

(الجزء الثالث)

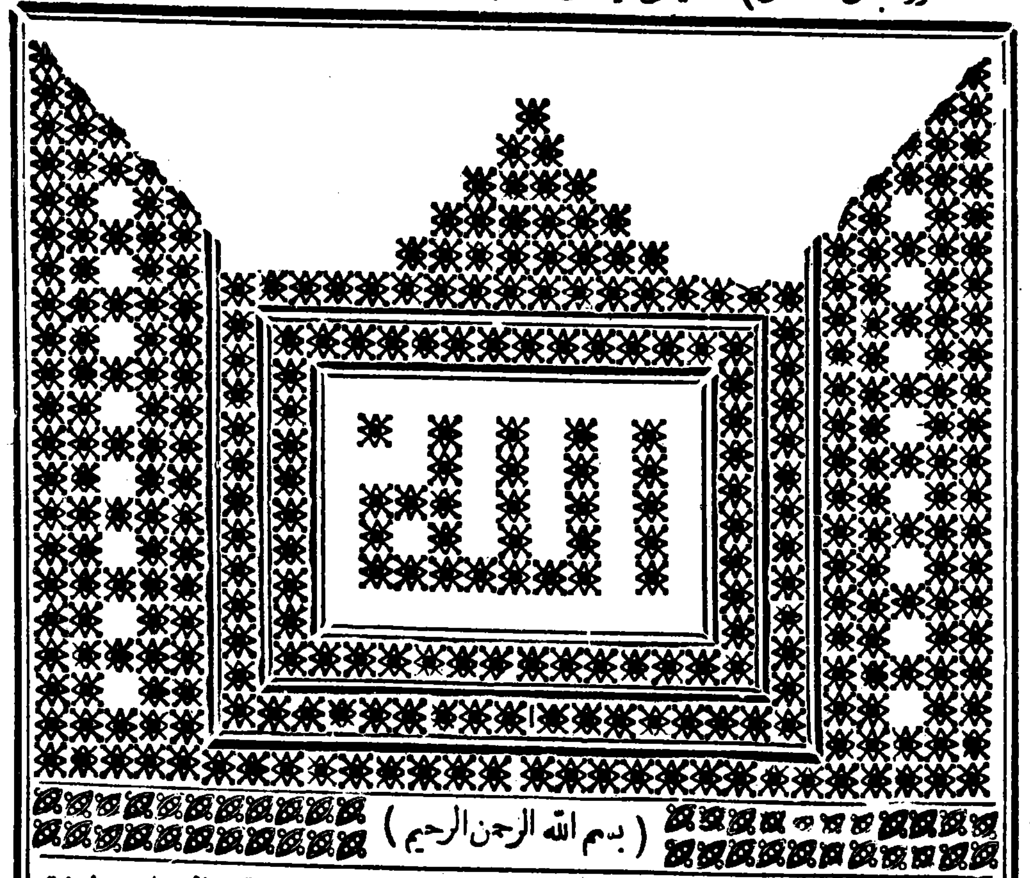
من نسيم الرياض * فى شرح شفاء القاضى
عياض * للعالم الفاضل * شتيت
الفضائل * الذى هو بانواع المدائح
حرى * مولانا أحمد شهاب الدين
الخفاجى المصرى تغمده الله
برحمته * وأسكنه فى
فراديس جنته
بمنه وكرمه
آمين

وبهامشه شرح الشفا لعلى
القارى رحمه الله تعالى

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢٧ هجرية)

(فصل) (فى انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمنى لايسمى قمرا الا بعد مضى ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية أكبر منه بمقدار مائة وعشرين مرة ومن جملة خواصه انه يبلى الكتان اذا ترك فى سمره ويعفن اللحم اذا ترك تحته وأما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوى والسفلى وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) أى قربت غاية القرب (وانشق القمر) روى ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قراءة حذيفة وقد انشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) أى معجزة (يعرضوا) أى عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) أى دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى) أى فيجب تحققه حقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز بلا ضرورة وحمله على انه ينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضى لتحقق وقوعه فى المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) أى وأخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا مما يدل على وقوعه فانه لا يتصور الاعراض الحقيقى قبل تحققه (واجمع) وفى نسخة صحيحة بالفاء أى فلهذا أجمع (المفسرون) أى من السلف (وأهل السنة) أى أرباب الحديث أو أهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف

على



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل فى انشقاق القمر وحبس الشمس) أى فى ذكر معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفى منع الشمس عن مسيرها للغروب كما سيأتى بيانه وهذا كان عقب قصة الاسراء وفى معناه رد الشمس الآتى فى قصة على واقتصر فى الترجمة على هذا لانهما فى المعنى سواء ولما سيأتى (قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر) قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا للمنكرى ذلك واثباتا له وتقريرا فى نفوس المؤمنين بها اذ تشقق السموات فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الحديث بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل أكثر من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخرها ألفا وحيث لم تبق الا صبابة وقوله انشق القمر أى وقع شقه وجعله فلقتين فى الزمن الماضى بمكة معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال المشركون له أرنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق فى المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضى لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبنى على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتئام ويكذبه القرآن وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أى دائم أو محكم من أمر الحبل اذا أحكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصحيحين وأخبر به جماعة من الصحابة والى بيان ذلك أشار بقوله (أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى واعراض الكفرة عن آياته) ومعجزاته التى لا يمكن البشر الاتيان بمثلها (وأجمع المفسرون وأهل السنة

(على وقوعه) قال الانطاكي في قول القاضي أجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندي والنسفي في تفسيرهما عن الحسن البصري ان معناه سينشق عند الساعة وكذا أبو الليث قال في تفسيره وأكثر المفسرين قالوا ان هذا قد مضى انتهى ويمكن دفعه بانه أراد بالمفسرين المشهورين منهم أو انه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لا يلزم عدم وقوع انشقاق القمر في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جمعوا على تحققه بالاحاديث السنة وانما الخلاف في معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضي أو الانشقاق الآتي والله سبحانه وتعالى أعلم (أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) أي أبو علي الغساني (من كتابه) لان المصنف ليس له الا الاجازة في بابه (ثنا) أي حدثنا (القاضي سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي) تقدم ذكرهما (ثنا الفربري) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقد سبق ذكره (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهو كاسمه مسدد بصري أسدي (ثنا يحيى) أي ابن سعيد روى عنه أحمد وغيره وأخرج له الأئمة الستة (عن شعبة) أي ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث (وسفيان) أي ابن عيينة أحد الاعلام وهو الاعور الكوفي (عن الاعمش عن ابراهيم) أي النخعي (عن أبي معمر) بفتح الميمين ازدي كوفي مخضرم (عن ابن مسعود) أي موقوفا كما ساقه القاضي عن البخاري وقد أخرجه البخاري في تفسيره وقد أخرجه أيضا عنه مسلم والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زمانه (فرقتين) أي فلقتين كما في رواية الترمذي عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفي الصحيحين بلفظ شقتين بكسر الشين المعجمة أي نصفين ولفظ في حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفي رواية أبي نعيم في الدلائل فصار قمرين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية أي منهما فرقة (فوق الجبل) أي جبل حراء أو أبي قبيس (وفرقة دونه) أي أسفل منه أو قريب منه هذا وقد قال الحجازي يجوز النصب والضم أفصح منه ومنه قوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله قلت وقد يقال الضم أصح اذا فصل النعت والا فالبدل في مثل هذا التركيب أفصح كما حقق في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين

على وقوعه) في الماضي وقال السبكي رحمه الله تعالى انه متواتر لا يجوز انكاره ورد واقول الماوردي ان الجمهور على خلافه وتأويل ينشق بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق أحد الا رآه ولم يعتد المصنف رحمه الله تعالى بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف من أهل السنة ومثله ليس من أهل التفسير بل من أهل التأويل عنده الا أن بعضهم نظر في حكايته الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيريهما انه منقول عن الحسن البصري وكذا قال أبو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكى عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أرسل أبو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود ويونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فالخم ولم يفه بشيء (أخبرنا الحسين بن محمد) هو أبو علي الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته (الحافظ من كتابه) لا بقراءته عليه قال (حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي) السابق ترجمته وفي نسخة أخبرنا في جميع ما يأتي قال (حدثنا المروزي) تقدم مع بيان نسبته قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وضبط نسبته قال (حدثنا البخاري) الامام المشهور قال (حدثنا مسدد) عبد الملك بن عبد العزيز الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كمسرهد وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد محدث البصرة وقال أبو نعيم لو كان في أول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين قال (حدثنا يحيى) بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة أربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمه في الميزان (عن شعبة) بن الحجاج العتكي الحافظ أمير المؤمنين في الحديث كما تقدم (وسفيان) بن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي أحد الاعلام الذي أخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم (عن الاعمش) سليمان بن مهران السابق ترجمته (عن ابراهيم) النخعي السابق ترجمته (عن أبي معمر) الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين (عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في زمانه وحياته والعهد يأتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد على من يقول انه سيكون بعده يوم القيامة (فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدر به من معنى انشق كقعد جلوسا أو بتقدير وافترق (فرقة فوق الجبل وفرقة دونه) بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء أو أبو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى في مقابلته منفصلا عنه لا تحته كما قيل

(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لما رآه منشقا (أشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم أهل الانكار والمعنى أشهدوا على نبوتى أو الخطاب للمؤمنين فالمعنى أشهدوا على معجزتى وأخبروا من بعدى من أمتى (وفى رواية مجاهد) أى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى) وفى نسخة زيادة قوله بمنى

وهذا لا يعارض قول أنس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذ بمكة فراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى أنه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذذاك كان ابن أربع أو خمس بالمدينة (ورواه) أى الحديث المذكور (أيضا عن ابن مسعود الاسود) أى كما ذكره أحمد فى المسند وأسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احتضر ويختم القرآن فى ليلتين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح أى فلقتيه (ورواه) أى الحديث المسطور (عنه) أى عن ابن مسعود (مسروق انه) أى انشقاقه (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله (وزاد) أى ومسروق فى رواية عنه (فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة يعنون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو كبشة اسم رجل قاله قديما أو فارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبه المشركون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان أبوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى اجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة أبيه وأمه يكنون بابى كبشة

لما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشهدوا) انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان أشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقاله لانه وقع ليلا فى وقت الغفلة أى أشهدوا على معجزتى ونبوتى ووقوع ما طلبوه لانهم أهل بهتان وجحد وفى صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم فى كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان أخرى وأكثر ما تستعمل فى الافعال واما فى الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر مرتين أى فلقتين ولما خفى هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين ويأتى ما فيه عن قريب (وفى رواية مجاهد) التى رويت عن ابن مسعود فى الصحيحين (ونحن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره (وفى بعض طرق الاعمش) كما رواه أحمد فى مسنده بزيادة قوله (بمنى) منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من الدم أى يراق ويقال لها المنازل أيضا ويقال نزلوا اذا أتوا منى قال أنازلة أسماء أم غير نازلة قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة واختلفت الروايات فى محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفى أخرى رئى حراء بينهما وقيل شقة منه على أبى قبيس وأخرى على السويداء والذين طلبوا ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات فى محله لا تنافى بينها الان كل راء يرى القمر باذاء مكان رؤيته (ورواه أيضا عن ابن مسعود الاسود) بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يعينه المصنف رحمه الله لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعمرين بالزهد وكثرة العبادة توفى سنة خمس وسبعين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل) يعنى جبل حراء على ما تقدم (بين فرجتى القمر) أى فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهى بضم الفاء وفتحها والضم أولى لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للمغروف والفرجة الفضاء ما بين الشيئين فتجوزبه عن المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة أبى عمرو مع الحجاج فى قراءته غرفة وسماعه من العرب

ربما ضاقت النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

مشهورة (ورواه) أى ما ذكر (عنه) أى عن ابن مسعود كما ذكره البيهقى فى الدلائل (مسروق) بن الاجدع الهمدانى الكوفى من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفى سنة ثلاث وستين (انه) أى الشق أو ابن مسعود (كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) يعنون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن حجر هو أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هو جد وهب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لامه وقيل عليه أن أم وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل أحد من النسابين ان الاوقص يكنى بابى كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب أيضا بان أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو

(فقال رجل منهم) وروى من القوم قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) أى لعيونكم وقت السحر (فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض) أى أهلها (كلها) أى جميعها (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) أى الانشقاق (فأتوا) أى جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) أى أهل مكة من قريش (فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك) أى كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندى نحوه) أى بمعناه مع اختلاف فى مبناه (وقال) أى السمرقندى فيما رواه (فقال) وفى نسخة قال (أبو جهل هذا سحر) أى نوع من الاختلاق (فابعثوا الى أهل الآفاق) أى بنسبتهم الى اختلاف المطالع فى حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا) أى أوما رأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا) أى بوصف الانشقاق (فقالوا) يعنى الكفار (هذا سحر مستمر) أى دائم بنعت الاستمرار أو ذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) أى الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) أى ابن قيس الليثى النخعى ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن أصحابه الكرام كأبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) أى مجاهدا وأبو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) أى رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق ما رواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) أى من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) أى فليس هو شاذا فى هذه الرواية (منهم) أى ممن رواه (أنس وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا بأعينهما فقد سمعا ممن حضر وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) أى فيما رواه مسلم والترمذى.

ابن زيد الخزرجى ولم يقل أحد ان عمرا يكنى بابى كبشة أيضا وقيل انه أبوه من الرضاعة وهو الحرث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كنى بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله تعالى عليه وسلم أجدادا من قبل أبيه وأمه تكنوا بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا بغضوا أحدا نسبوه لجد غامض له وفى النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرض آلهتهم شبهوه به فى ذلك وفى القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف أو كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى كل حال أرادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفا (فقال رجل منهم) أى من كفار قريش قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) حين شقه أو خيل لكم شقه (فانه لا يبلغ) أى لا يصل شئ (من سحره ان يسحر الارض كلها) أى أهلها كلهم (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر) غير مكة (هل رأوه) أى القمر أو شقه أو الامر الذى وقع وفى نسخة هل رأوا هذا (فأتوا) أى أتوا من قدم على أهل مكة من غيرها (فسئلوا) أى سئلوهم هل رأوا ذلك (فاخبروهم) لما سألوهم (انهم رأوا مثل ذلك) أى مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئى واحد وهو القمر المنشق (وحكى السمرقندى) تقدم ترجمته (عن الضحاك نحوه) أى مثل الحديث الذى ذكره أولا (وقال) أى الضحاك فيما رأوه (فقال أبو جهل) لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سئلوه (فابعثوا الى أهل الآفاق) بالمد جمع أفق بضمتين أو بضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الافق المرئى والافق الغير المرئى له احكام أخر والمعنى أرسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسئلوا من بها (حتى ينظروا) أى يعرفوا (أرأوا ذلك أم لا) الهمزة استفهامية وفى نسخة هل رأوا وشاهدوا مثل ما رآه أهل مكة أم لم يروه لانهم خيل لهم أمر لم يقع وفى نسخة حتى تنظر بنونين (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه) أى القمر حالة كونه (منشقا) والفاء فصيحة أى فسئلوهم فاخبروا (فقالوا يعنى الكفار هذا سحر مستمر) أى دائم باق غير ذاهب على حاله لى غير النهاية من المرور أو محكم قوى من امرار الحبل وهو شدة فتله وقال أبو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا اشارة الى ما صدر قبله من الآيات المتتابعة يقفو بعضها أثر بعض كما أشار اليه القاضى ولولا هذا لم يتأت ما قالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التى وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص وللنوع كما حققه النحاة (ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة) بن قيس ابن مالك النخعى الفقيه الكبير التابعى الجليل ولد فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة فى الكتب الستة (فهؤلاء الاربعة) يعنى مجاهدا والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث (عن عبد الله) بن مسعود رضى الله عنه ثم ذكر له طريقا آخر فقال (وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود) وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم ير وحديث الانشقاق رواية مسندها فى غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره وهى مما اتفق عليه الشيخان وأحمد بن حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته (منهم) أى ممن رواه غير ابن مسعود وأعاد ضمير الجمع نظرا لمعناه (أنس وابن عباس وابن عمر

(وحذيفة) أى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن أبى حاتم وأبى نعيم فى الدلائل (وعلى) أى ابن أبى طالب قال الدلجى لا يعرف مخرجه (وجبير بن مطعم) أى على ما رواه أحمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية أبى حذيفة الارحبى) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء المهملة فوحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان أخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم بعد راء ساكنة وفى أخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ما تقدم والله تعالى أعلم (انشق القمر) هذا مقول على كرم الله تعالى وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له أو أراد الحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وقد شاهدناه (وعن أنس سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) أى معجزة باهرة وعلامة ظاهرة على صدق ما ادعاه من النبوة والرسالة (فأراهم انشقاق القمر مرتين) أى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى رأوا حراء بينهما) وهو جبل عن ثلاثة أميال من مكة على يسار المار منها الى منى وهو بكسر الحاء المهملة ممدود ويقصر ويصرف ولا يصرف ويؤنث ويذكر وقد خطأ الخطابى فتح الحاء وقصر الراء وقال النووى والصحيح انه مذكر مصروف (رواه) أى الحديث (عن أنس قتادة) أى بهذا اللفظ (وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) أى عن أنس (أراهم القمر مرتين) أى شقين أو فلقتين ويؤيده انه فى نسخة فرقتين وقيل بمعنى كرتين وقوله (انشقاقه) بالنصب بدل اشتمال من القمر وفى صحيح مسلم فأراهم انشقاق القمر مرتين قال الحلبى هذه المسئلة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام أبى عبد الله ابن امام الجوزية ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة وأكثر ما تستعمل فى الافعال واما الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين أى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم أهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على أقول ولعله أعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين هو الصواب وقال العسقلانى وأظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لا بمرتين فانى لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق ولعل قائل مرتين أراد فلقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات هذا

وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم رضى الله عنهم) وهذه الروايات كلها فى الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية أنس وابن عباس فى الصحيحين ورواية ابن عمر فى صحيح مسلم والترمذى ورواية حذيفة بن اليمان فى الدلائل وغيرها ورواية ابن مطعم بكسر العين فى مسند أحمد والبيهقى ولذا قال (فقال على كرم الله وجهه (من رواية أبى حذيفة الارحبى) واسمه سلمة بن صهيف على الاصح نسب لارحب حى من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء موحدة قبل ياء النسبة وهو من الثقات المشهورين (انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والجملة حالية وضمير نحن لعلى ومن كان معه لا لمن تقدم (وعن أنس) خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه من مرسل الصحابة لان الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) معجزة غير ما رأوه وفى الرواية المتقدمة انهم سألوه ان يشق لهم القمر (فأراهم انشقاق القمر فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء وفى رواية فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر (حتى رأوا حراء ما بينهما) أى بين القطعتين وما زائدة للتأكيد وفى نسخة حذفها وحراء بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله التلمسانى وقال انه يذكر ويؤنث ويحرك ولا يحرك ٢ وهذا مما ذكره غيره من أهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابى من انهم يغلطون فى حراء ثلاث غلطات يفتحون حاءه وهى مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شئ لا أصل له الا قلة النظر فى كتب اللغة (رواه عن أنس قتادة وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) أى عن أنس (أراهم القمر مرتين انشقاقه) بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفى تقديم مرتين فى هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد فى الاراءة لا فى الانشقاق وانه مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان أصل المرات فى الازمان والافعال وانها قد تكون فى الاعيان والاول أكثر وهذا من قبيل الثانى فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد وان هذا خفى على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه ودعوى الحافظ العراقى فى منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعواه تواتره

٢ أى ينصرف ولا ينصرف

(ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) أي النوفلي (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) أي ابن مسعود ولد أخي عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى أحد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروي عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن أبي النجود وأبو اسحق (ومسلم ابن أبي عمران الازدي) والمقصود نفي توهم أن يكون أحد من الرواة وقع منفردا أو شاذا في الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين في اسناد هذه الحكاية (وأكثر طرق هذه الاحاديث) أي مما بيننا وبين السلف (صحيحة والآية مصرحة) بكسر الراء أي ودلالة الآية في هذه القضية صريحة فتكاد ان تصير متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولا يلتفت) بصيغة المجهول أي ولا ينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) أي متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع في قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة في مدلول الآية متشبثا باصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لا يتأتى فيها الانخراق والالتئام

تواتره فيها وما قيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحراء وهو على ثلاث أميال من مكة في طريق الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والا لزم التناقض في هذه الروايات وهي كلها صحيحة ولا يمكن عادة أن يكون الناس الذي رواه في ذلك الوقت في هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشئ فانهم اذا رأوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه خلف حراء وأخرى امامه من تعدد النظر لسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحراء او غيره من جبال مكة وبراريها فالذي تحرر في الجمع بين هذه الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين جدا ليكون أظهر في دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هؤلاء الحول العقول انه من غلط الحس فلما أشهدهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك أشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان و يا فلان ثم أراهم مرة أخرى فلقة أخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر في وسط السماء بحذاء حراء وبحذاء غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد في الشق ولا تدافع بين الروايات ولا يطعن في شئ منها وهذا ان شاء الله مما لا ينبغي العدول عنه فان القول بان المرات في الاعيان لا صحة له في اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزأ به فعليك بالنظر الحديد وان تطرح من جبذ فكره على التقليد فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر مؤيد المعجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يقوى الحديث وصار كالمتواتر وتأويله بانه سينشق اذا قامت القيامة يأباه قوله بعده وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) فرواه عن أبيه عن جده وجبير الثاني روى عنه أبو داود حديثا واحدا قال البرهان ولا أعلم له تخريجا ولا توثيقا وردبان ابن حبان ذكره في كتاب الثقات (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) الامام الجليل القدر أحد الفقهاء السبعة وهو ثقة مأمون خرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة (ورواه عن ابن عمر مجاهد) بن جبير وقدمنا ترجمته (ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي) بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفي سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الأئمة الستة رحمهم الله تعالى (ومسلم ابن أبي عمران الازدي) البصري هو أبو عبد الله المعروف بالبطين نسب للازد بسكون الزاي المعجمة ويقال لها أسد بالسين أيضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حي باليمن واليهم ينتهي نسب الانصار (وأكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة) الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان في بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها (والآية مصرحة) بما في الاحاديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من ان فيها ما يمنع التأويل الذي جوزه بعضهم (ولا يلتفت الى اعتراض مخذول) أصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من أنكر هذا بقصد الطعن في المعجزة لا من أول الآية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه أيضا لا ينبغي القول به أيضا (بانه لو كان هذا) الانشقاق (لم يخف على أهل الارض) كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) تعليل لقوله لم يخف

متمسكا (بانه) أي الشان (لو كان هذا) أي الانشقاق واقعا أو لو وقع هذا الامر (لم يخف على أهل الارض) أي كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) وهذا المقدار بيان الاعتراض وأما بيان خذلانه فهو قوله

(اذلم ينقل لناعن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا اشقاقه أو رأوا خلافه فى تلك الليلة وهذا معنى قوله (فلم يروه انشق) أى مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافى بلاشبهة كما فى رواية الهلال مشاهدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما أراد المصنف فرض الوقوع فى البلية فبطل قول الدلجى بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق فى ليلة فيرصدونه ثم قال المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان (ولو نقل الينا عمن لايجوز تمالؤهم) أى توافقهم وتواطؤهم (لكثرتهم) أى المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) أى بسبب نفيهم على فرض ترصدهم (حجة) أى دلالة قاطعة ملزمة (اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الارض) أى لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين) وفى نسخة على آخرين (وقد يكون) أى القمر فى مرئى (من قوم بضد ماهو من مقابليهم) أى بضد مرأى من قوم مخالفيهم (من أقطار الارض) أى جوانبها (أو يحول بين قوم وبينه) أى بين القمر (سحاب أو جبال) وكذا حجاب (ولهذا) أى ولكونه ليس فى حد واحد من العباد (نجد الكسوفات) أى محو أحد النيرين (فى بعض البلاد دون بعض) أى من البلاد حتى لايوجد فيها كسوف أصلا وقد نقل الحافظ المزى عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بنى ليلة انشق القمر (وفى بعضها) أى ونجد الكسوفات فى بعض البلاد أو فى بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) أى وقوعها باعتبار بعض أجزائه (وفى بعضها كلية) أى وقوعها يستوفى أطرافه كلها (وفى بعضها لايعرفها) أى الكسوفات (الا المدعون لعلمها) أى الماهرون والحاذقون بمعرفتها

(اذلم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه أخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول منه وليس بمعنى لغوى (فلم يروه انشق) رأى هنا بصرية وانشق حال أى وقد انشق ولايلزم ان يعرفوا انه سينشق فى تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفى فيه سماعهم له من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيرصدوا ماوعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذ الثانية تعليل لعدم الالتفات ثم أجاب بجواب آخر على فرض تسليم ما ذكر فقال (ولو نقل) بالبناء للمجهول (الينا) انهم رصدوه فلم يروه انشق (عمن لايجوز تمالؤهم على الكذب) أى طائفة من الارض لايجوز اجتماعهم على الكذب فى خبرهم (لكثرتهم) من الملأ وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على أمر واحد لانهم يملؤن مكان اجتماعهم (لما) اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة (كانت علينا به حجة) أى لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تأخير متعلق بحجة لتوسعهم فى الظرف (اذ ليس القمر فى حد واحد) الحد الوصف المميز للشئ مأخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار أى ليس القمر على حال واحد (لجميع أهل الارض) أى عند جميعهم لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق فى تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المصنف (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين) ولهذا لو شهد أهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء (وقد يكون) مرأى القمر (من قوم بضد ماهو من مقابلتهم من أقطار الارض) جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع فى بعضها والخفاء فى بعض (أو يحول) بالحاء المهملة أى يكون حائلا مانعا من رؤيته (بين قوم وبينه سحاب أو جبال) شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له (ولهذا) أى لكونه ليس على حال واحد فى جميع أقطار الارض (نجد الكسوفات فى بعض) من البلاد (دون بعض) منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضئ مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين فى محله (وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية) والكسوف الجزئى كسوف جزء منه والكلى كسوف جميع جرمه نسبة للجزء وللكل (وفى بعضها لايعرفها الا المدعون لعلمها) أى فى بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لايعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه أحكامه وغيرهم لايعرفها بل لايقدر على تصورها وعبر بالادعاء اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علماء الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وماذكره المصنف بناء على ان الكسوف يكون فى القمر فلايرد عليه ماقيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال فى عرف التخاطب وعليه مشى المصنف

(ذلك تقدير العزيز) أي الغالب بقدرته (العليم) أي المحيط علمه بارادته وحكمته ووقع في أصل المصنف الحكيم بدل العليم ولا يرد عليه انه مخالف للفظ التنزيل لانه ماقصد به الآية اذ ليس عليه شيء من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) أي مبهما وقته ومجهولا ساعته قال الخطابي الحكمة في وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو أراد الله تعالى ان تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه أجرى سنته بالهلاك في كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما أوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله

سبحانه وتعالى أعلم (والعادة من الناس بالليل) أي بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة أو ساكنة بعدها همزة على أصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) أي عن الحركة والمشي والتردد في الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة ما في السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر (وايجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم أي اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) أي بالتردد في داخل البيوت من أغلاقها وأعماقها (ولا يكاد يعرف من أمور السماء) أي لا سيما في فصل الشتاء (شيأ) أي من أمر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظرهم الى صوب الهواء (الا من رصد ذلك) أي انتظره قصدا لما هنالك ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أي بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة أي تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) أي ولكون آيته كانت ليلا وفي نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمري) أي بخلاف الشمسي النهاري (كثيرا) خبر كان أي لم يكن وقوعه كثيرا (في البلاد) وجعل الدلجي كثيرا حالا من اسم كان وخبرها في البلاد (وأكثرهم لا يعلم به) أي والحال ان أكثر الناس أو أكثر أهل البلاد لا يعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) أي بوقوعه في السمر والمعنى لا يقع فيها كثيرا مع عدم تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيرا ما) أي وأحيانا كثيرة (يحدث الثقاة) أي من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهدونها من أنوار) أي ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) أي باهرة (تظهر في الاحيان بالليل) أي بعض الاوقات أو الساعات منه (ولا علم لاحدها)

المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله (ذلك تقدير العزيز العليم) أي سير القمر وأحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله العلي العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما يقول الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع في أصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رأيناه في جميع النسخ العليم (وآية القمر كانت ليلا) أي الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال الخطابي الحكمة في ذلك أن من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله تعالى وقوعها ليلا ولو أراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لكل أحد فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس ان لم يؤمنوا بها فخص الله تعالى هذه الامة برحمته فجعل آية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على حال لا يقتضي اهلاكها (والعادة من الناس بالليل) أي فيه (الهدو والسكون) عطف تفسير أي النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها (وايجاف الابواب) أي اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء وأصل معناه الاسراع في السير واستعمل في الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند الحاجة لا سيما ليلا وهو تجوز سائغ شائع فما قيل انه لم يوجد في كتب اللغة فلعله هنا وجف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان بغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعي له ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكنى به عن ذلك (وقطع التصرف) والنظر لشيء فضلا عن رصد النجوم وكل هذا مبالغة في ان هذا أمر لا يستبعد (ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيأ الا من رصد ذلك) أي الا من تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا (واهتبل به) أي بذل جهده واعتني به غاية الاعتناء من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المصنف رحمه الله تعالى بالباء لانه ضمنه معنى الاعتناء (ولذلك) أي لكونه أمرا ليليا في زمان غفلة ونوم (ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد) ما زائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمري بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره (وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر) بالبناء للمجهول أي يخبره الناس العارفون بوقوعه (وكثيرا ما) منصوب على الظرفية أو المصدرية وما زائدة للتأكيد (يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار) بيان العجائب وجمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث في الجو نور زائد على ساعهد أو المراد به شعل نارية في بعض الليالي وينسب لها أمور تذكر في كتب الملاحم (ونجوم طوالع عظام تظهر كذوات الاذناب التي تمتد في الافق في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها) لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات في دائرتها

أى من غيرهم وفى نسخة ولا علم عند أحد منهم ثم هذا إنما يتعلق بانشقاق القمر على ما نزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الأثر (وأما رد الشمس له) صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون فى تصحيحه وضعفه ووضعه والأكثرون على ضعفه فهو فى الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى أن يصل الى مرتبة حسنة فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء أى أخرج (الطحاوى فى مشكل الحديث) وهو الامام ١٠ الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبرانى وغيره من الائمة وهو مصرى من أكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله بين الائمة الحنفية وكان أولا شافعيا يقرأ على خاله المزنى ثم صار حنفيا توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان أولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمسانى ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب أبى حنيفة كما يشهد به كتبه فى الرواية والدراية (عن أسماء) وأصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول أولى وهو منقول عن سيبويه ولعل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لا يجعل علما أبدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة فسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) أى باسنادين وكذا الطبرانى رواه باسانيد رجال بعضها ثقات (انه صلى الله تعالى

و تصل الى ما فوق الارض فتظهر بعد الخفاء وهو مشاهد كثيرا مفصل فى فنه (وخرج الطحاوى) بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الراء المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الائمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوى بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف وواو بعدها ياء نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث أبو جعفر أحمد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدى ثم المصرى الحنفى لا المالكى كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وتوفى ليلة الخميس مستهل ذى العقدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان أولا شافعيا من تلامذة المزنى ثم تحنف وانتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر وله تآليف جليلة (فى مشكل الحديث) هو كتاب جليل له فى الحديث اشتهر بالآثار (عن أسماء بنت عميس) مصغر وهى زوجة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وترجمتها مشهورة وكانت أولا زوجة جعفر بن أبى طالب (من طريقين) وسندين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسانيد مختلفة رجال أكثرها ثقات وهذا الحديث فى رد الشمس أو حبسها لعلى رضى الله تعالى عنه كما سيأتى قال ابن الجوزى انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة وفى روايته رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود فان الدارقطنى وابن حبان قالا انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك أيضا ذكره الذهبى فى الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس وتعقبه بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وفى طريقه الثانى فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروى الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزى ولا اتهم فيه الا ابن عقبة فانه رافضى يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن أى على صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزى ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة ولم يتلمح الى عدم الفائدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها أداء وقد ذكر ابن تيمية الحديث فى كتاب رد الروافض بطرقه وما فيه وأطال فيه قلت طالعته ورأيت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وأنشد فيه شعر الحميرى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) مرة بالصهباء (ورأسه) الشريف (فى حجر على) جملة حالية والحجر مثلث الحاء المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة على ركبته وهو نائم (فلم يصل) على رضى الله تعالى عنه (العصر حتى غربت الشمس) وغابت فانتبه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلى (أصليت يا على) بهمزة الاستفهام وفى نسخة هل صليت (فقال لا) أى لم أصلها (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) لانه لم يزعج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته (فاردد عليه الشمس) أى أعدها لمكانها الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها يقال أردد بالفك ورد بالادغام وهو دعاء وقد سمعت ما قاله ابن الجوزى انه لا فائدة فيه بعدما صارت قضاء ويأتى ما فيه (مشرقها) أى فى محل شروقها

عليه وسلم كان يوحى اليه) أى مرة (ورأسه فى حجر على) أى ابن أبى طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) وفى أى على العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعدما أفاق من الاستغراق (أصليت يا على قال لا فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) أى لما بينهما من الملازمة (فاردد عليه) أى لاجله (الشمس) أى شرقها كما فى نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية أى فى ارتفاعها أو على البدلية أى ضوءها

(قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) أي رجعت على أدراجها من مغربها بعدما غربت (ووقفت على الجبال والارض) ويروى وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) وهو بالمد ويقصر وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) أي عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقاة) أي فلا عبرة بمن طعن في رجالهما وانما جعله حديثين لروايته له من طريقين هذا وقال ابن الجوزي في الموضوعات

حديث رد الشمس في قصة علي رضي الله تعالى عنه موضوع بلا شك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوي ونسبوا بعضهم الى الوضع الاان ابن الجوزي قال أنا لا أتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى ولا يخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا أو خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوي لاحظ هذا المبنى وبنى عليه هذا المعنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ما قال الذهبي تبعا لابن الجوزي من انه ولو قيل بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فمدفوع لقيام القرينة على الخصوصية

وفي رواية شرقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس أو منصوب على الظرفية ومعناه ضوءها أو ارتفاعها على الحيطان أو انبساطها على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى يؤدي الصلاة في وقتها ويناقيه قوله (فقالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهباء) في القاموس قاعة بقرب خيبر وكذا قاله غيره ففي قوله (في خيبر) مسامحة أو فيه مضاف مقدر أي في قربها وخيبر بوزن ضيغم أرض بقرب المدينة فيها اقلاع وقرى كان بها ساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقوله في الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه * لعلي حتى يتم الاداء

ثم ولت لها صرير وهذا * لفراق له الوصال دواء

(قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) رواية (ورواتهما) أي أكثرهما (ثقات) جعلهما حديثين والمذكور حديث واحد تسمحا لانه روى من طريقين ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يردان الحق خلافه والذي غره كلام ابن الجوزي السابق ولم يقف على ان كتابه أكثره مردود وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطي وكذا السخاوي ان ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما أشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف رحمه الله تعالى وأشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوي وأخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقي في التقريب ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رأسه في حجر علي فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضاء لاوجه له فانها فاتته بعذر مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه فضيلة أي فضيلة فلما اعادت الشمس حاز فضيلة الاداء أيضا وقد قال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضا لهذا الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعى الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد أجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر أو المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافي مع انه نقل ابن حجر عن المصنف رحمه الله تعالى في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى أدركها اداء وما روي انه قضاها بعدما غربت الشمس لعله كان في يوم آخر وفي تفسير

مع احتمال التأويل في القضية بان يقال المراد بقوله غربت أي عن نظرها أو كادت تغرب بجميع جرمها أو غربت باعتبار بعض اجزائها أو ان المراد بردها حبسها وبقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها بطئ تحركها على عكس طي الازمنة وبسطها فهو سبحانه قادر على كل شئ شاءه واما ما ذكره الذهبي من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وذكره ابن الجوزي من ان في الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة

(وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) وهو أبو جعفر الطبرى المصرى الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخارى وغيره وقد كتب عن ابن وهب خمسين ألف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو ومات بمصر سنة مائتين وثمان وأربعين وكان أبوه من أهل طبرستان وجرت بين أحمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان يصلى بالشافعى (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله) وفى نسخة لمن يكون سبيله (العلم) أى بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة) أى وآيات الرسالة (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ أبو بكر الشيبانى عن هشام بن عروة والاعمش ومحمد بن اسحق بن يسار امام المغازى وعنه أبو كريب وابن نمير والعطاردى قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث أخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخارى فى الشواهد وأخرج له أبو داود والترمذى وابن ماجه (فى زيادة المغازى روايته) أى فى روايته كما فى نسخة (عن ابن اسحق) أى امام أهل المغازى (لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ليلة المعراج (وأخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها أى الجماعة من الرفقاء (والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة أى القافلة من الابل والدواب يحمل الطعام وغيره من التجارات (قالوا) أى الكفار (متى تجئ) أى القافلة الى مكة (قال يوم الاربعاء) بالمد وهو بتثليث الباء والاجود كسرها كذا فى المحكم وقال ابن هشام فيه لغات فتح الهمزة وكسر الباء وكسر الهمزة وفتح الباء وكسرهما قال وهذه أفصح اللغات (فلما كان ذلك

البغوى والكواشى والثعلبى ان الشمس ردت لسليمان أيضا وروى عن على رضى الله عنه ضمير ردوها عائد على الشمس فى الآية لعلمها وان لم يجر لها ذكر وأقول ان السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابى الحسن الفضلى أورد طرقه باسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التى أرسل صلى الله تعالى عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وما ذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبى معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان ومن غريب طرقه ما رواه الطبرانى فى الكبير عن أسماء أيضا قالت اشتغل على رضى الله تعالى عنه مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا على أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس فى المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث علم منه ان الصلاة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فائدة فما أورده وارد عليه ولا حاجة الى ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال نظيره على القول باختلاف المطالع ما لو صام أول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وأفطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاؤه تماما أم لا (وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) هو أبو جعفر الطبرى الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين وله ترجمة فى الميزان (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم) أى لمن طريقته ودأبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين (التخلف عن حفظ حديث أسماء) بنت عميس الذى روته فى رد الشمس (لانه من علامات النبوة) أى من الآيات الدالة على ثبوتها لانه معجزة عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان أحمد هذا من كبار أئمة الحديث الثقات ويكفى فى توثيقه ان البخارى روى عنه فى صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن فى روايته وبهذا أيضا سقط ما قاله ابن تيمية وابن الجوزى من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضى تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبأ به بعد ما سمعت (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر الشيبانى الامام الثقة وقول أبى داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفى فى سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق) محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى (لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر قومه) من قريش بعد اسرائه (بالرفقة والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة وهى الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء أى أخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقدمها جمل أورق على ما فصل واشتهر فى السير ويأتى بعضه قريبا (قالوا متى تجئ) جواب لما أى فى أى يوم تصل لمكة وسؤالهم لامتحانه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال يوم الاربعاء) بتثليث الباء والمد أى تجئ يوم الاربعا (فلما كان

ذلك اليوم) أى الموعود وهو بالرفع على انه نعت لذلك المتقدم الذى هو اسم كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وفى بعض النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (أشرفت قريش) أى أقبلت (ينظرون) أى ينتظرون (وقد ولى النهار) بتشديد اللام المفتوحة أى أدبر أوله وأقبل آخره (ولم تجئ) أى العير (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) أى بسط فى ساعاته (وحبست له الشمس) أى بطئ تحركها وقيل توقفت وقيل ردت على ادراجها كما تقدم والله تعالى أعلم هذا وقد حبست الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم من أيام الخندق حين شغل عن صلاة العصر كما ذكره المصنف فى غير هذا الكتاب وحبست لداود كما ذكره الخطيب فى كتاب النجوم وضعف رواته كما نقله عنه مغلطاى فى سيرته وفى تفسير البغوى انها حبست لسليمان عليه السلام لقوله تعالى ردوها على ونوزع بان الضمير عائد الى الصافنات الجياد وأيضا لم يكن هنالك مأمورون صالحون لرد الشمس عليه مع مخالفته للحديث الصحيح الصريح فى حصر حبس الشمس ليوشع مما بين الامم المتقدمة نعم ذكر الشيخ معين الدين فى معراج النبوة انها حبست لابى بكر رضى الله تعالى عنه أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم هذا وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بصحيح وان أوهم تخريج القاضى له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن تيمية العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وفى المواهب قال شيخنا قال أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبى هريرة انتهى قال القسطلانى وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه ابن العراقى فى شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة والسلام رأسه فى حجر على فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من النهار انتهى وقال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر قلت وفى معناه الشمس بل سلطانها أكبر وأبهر وأنور الا انها الكمال قرب غروبها لم تظهر للاكثر فتدبر وأما ما قال الجوزقانى بعد ان نقل عن ابن الملقن فى شرح العمدة انه روى الحسن وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا ليوشع حيث سار الى بيت المقدس هذا الحديث فيه رد لحديث اسماء فقد قدمت الجواب عنه واما قوله وهذا حديث منكر مضطرب لانه عليه الصلاة والسلام أفضل من على ولم ترد الشمس له بل صلى العصر بعد ما غربت فردود عليه لانها انما ردت على على ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان كرامات الاولياء فى معنى معجزات الانبياء وقد سبق عن البغوى انها ردت عليه أيضا فصلى العصر الا فى وقتها مع ان المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل كما يلزم من القول بعدم حبسها الا ليوشع فتأمل وتوسع

ذلك اليوم) بالرفع والنصب والاول أولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد (أشرفت قريش) بشين معجمة وراء مهملة أى قامت على شرف وهو المكان المرتفع وقوله (ينتظرون) حال أو مستأنف أى يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم فى اليوم الموعود (وقد ولى النهار) أى قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه (ولم تجئ) العير وتصل اليهم فى المكان الذى وقفوا فيه لانتظارها (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى سأل ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى تجئ العير قبل انقضائه (فزيد له فى النهار ساعة و) ذلك انه (حبست له الشمس) ساعة أى أمسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها فى ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق أيضا وفى سيرة مغلطاى نقلا عن الخطيب فى كتاب النجوم انها حبست لداود عليه الصلاة والسلام أيضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوى وغيره فى سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرض الجياد كما مر آنفا (تنبيه) الذى ذكرنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشرى والبيضاوى فى أول سورة الاسراء وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من الاسراء قعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به أبو جهل عدو الله وقال له مستهزأ هل استفدت من شئ قال نعم أسرى بى فى الليلة الى بيت المقدس قال وأصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال

أتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانفضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتني به فقصه عليهم فمن بين مصفق و واضع يده على رأسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه أسرى به الخ قال قد صدق وانى لاصدقه فيما هو أعظم من ذلك من أخبار السماء فسمى لذلك الصديق وكان فيهم من رأى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض أمره فجيء بالمسجد الاقصى و وضع دون دار عقيل فنظره فنعته لهم فقالوا أصاب ثم قالوا له أخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على عير بنى فلان بالروحاء وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفى رحالهم قدح ماء وعطشت فشربته فسألوهم هل وجدوا ماء فى القدح قالوا نعم وهذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكب قعودا نفر فوقع وانكسر قالوا نعم وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا أخبرنا عن عدتها واحمالها وهيآتها ومن فيها قال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا القد قضى محمد بيننا وبينه حتى أتوا كدا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كى يكذبونه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير أورق فرأوا فيها كل ماذكر فقالوا ان هذا الاسحر مبين انتهى مع طى لبعض ألفاظه وهذا مناف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى والعجب من بعضهم اذا ورده اهنا ولم يتنبه لما قلنا

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

(لطيفة) من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل على كرم الله وجهه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وأنشد ارتجالا

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى * مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك اذ أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

(فصل)
(فى نبع الماء من بين أصابعه وتكثره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وتكثيره ببركته

(فصل فى نبع الماء من بين أصابعه) أى خروجه من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله (وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة فيه وهو نبع أيضا وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وروى بطرق متعددة فى الصحيحين وغيرهما ففى بعضها أتى بقدح وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وهى اناء معدة للوضوء وفى بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة فى بعضها كانوا خمس مائة وفى بعضها ثمان مائة وفى بعضها خمسمائة وألف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه فى المعجزات وهذه المعجزة أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية واما من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان فى الكف معنى ليس فى الحجر

ولله در الابوصيرى فى قوله فى لاميته

ومنبع الماء عذبا من أصابعه * وذى أياد عليها قد جرى النيل

قالوا وهذا الماء أفضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير

(أما الاحاديث فى هذا) أى فى هذا النوع من جنس المعجزة (فكثيرة جدا) منصوب على المصدر وأريد به المبالغة فى الكثرة فان ذلك فى مواطن متعددة واعداد مختلفة كما ذكره ابن حبان فى صحيحه ففى بعضها أتى بقدح وفى بعضها زجاج وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وفى بعضها مزادة وفى بعضها كانوا خمس عشرة مائة وفى بعضها ثمانمائة وفى بعضها زهاء ثلثمائة وفى بعضها ثمانين وفى بعضها سبعين انتهى وفى صحيح البخارى فى حديث جابر فى قصة نبع الماء من بين أصابعه انهم كانوا ألفا وأربعمائة وفى رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفى عددهم أقوال مختلفة ثم هذه المعجزة أعظم من تفجر

بل من عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه وتفل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن وأصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا (أما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا) أى كثيرة عظيمة تفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير وفيه ايماء الى انها لا تدرك الا بغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووى رحمه الله تعالى انها بلغت مرتبة التواتر (روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة) بفتح الصاد مصدر فى الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابى (منهم أنس وجابر وابن مسعود) رضى الله تعالى عنهم وأشار بمن التبعيضية الى انه روى عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس رضى الله تعالى عنهم لانه وقع بين الجم الغفير منهم فى الحديبية وغيرها كما قال أولا ان أحاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها فى كتبهم من أئمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين لها (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) هو ابن أحمد القاسى اللواتى نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا) القاضى (عيسى بن سهل) ضد الصعب وتقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو القاسم) حاتم بن محمد كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاوانى تجعل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرء بذات يد * فالكسر يدنو لكل فخار

وقيل على المصنف رحمه الله تعالى ان الصواب أبو عبد الله بن الفخار قال ابن رشد أبو عمر الذى يروى عن أبى عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى القرطبى المتوفى سنة ستين وأربعمائة وبقراءته على أبى عيسى سمع الموطأ يونس بن المغيث لكن ابن أبى حاتم لم يذكر لرواية عنه وانما يروى عن عبد الله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة وأربعمائة ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى سهو من وجهين اذ سماه أبو عمر وهو أبو عبد الله وفى قوله قال (حدثنا أبو عيسى) قال (حدثنا يحيى) اذا سقط راو بين أبى عيسى ويحيى وهو عبيد الله أبو مروان وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى على الصواب فى غير هذا المحل فيما مر وفيما سيأتى وأبو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله فى غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتأمل قال أبو محمد القرطبى صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله الخ وصوابه أبو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان أبا عيسى انما تحمل عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى وأبو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير ابن يحيى سمع عم أبيه عبيد الله بالتصغير ابن يحيى وقد تقدم على الصواب فى فصل الحلم والاحتمال ويأتى أيضا كذلك

الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر فى الجملة قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (وروى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود) أما حديث أنس فرواه الشيخان عنه أيضا الا ان المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه حدثنا القاضى عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم ابن محمد) وقد تقدم ذكره (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة

(حدثنا أبو عيسى) هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير الليثى وقد سبق ذكره (حدثنا يحيى) وفى نسخة عن يحيى وهو يحيى ابن يحيى الليثى وفى نسخة صحيحة قبل قوله حدثنا يحيى حدثنا عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى ويؤيده ما قاله الحلبى انه سقط رجل بين أبى عيسى وبين يحيى وهو عبد الله أبو مروان ولا بد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتى على الصواب أيضا وحاصله ان عبد الله يروى عن يحيى عن أبيه ويحيى عن مالك

(قال حدثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك) وهو عمه لامه (رأيت) وفي نسخة
قال أي أنس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر) أي وقد قرب وقتها أو دخل فان الحين الوقت
(فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو أي ماء الوضوء وبضمها وفي نسخة بضمهما والمعنى ماءه بتقدير مضاف

والمؤدي واحد وقيل يطلق على كل منهما لكن الظاهر ان أحدهما مجاز (فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بوضوء) أي في أناء (فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس ان يتوضؤا منه) أي من الماء أو من الاناء أو من ماء ذلك الاناء (قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع) بتثليث الموحدة والضم أشهر أي يفور (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) قال النووي في كيفية النبع قولان أحدهما ان الماء كان يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول أكثر العلماء وثانيهما انه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه (فتوضأ الناس) أي منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) أي الى انتهاء أولهم فالقضية معكوسة
للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووي من هنا بمعنى الى وهي لغة (ورواه أيضا عن أنس وقتادة) (وفي
كما في صحيح مسلم (وقال) أي أنس أو قتادة عنه (باناء) أي فأتي باناء (فيه ماء يغمر أصابعه) بسكون الغين المعجمة وضم الميم أي يغطيها
ويسترها (أولا يكاد يغمر) شك من الراوي (قال) أي قتادة لانس كما صرح به الترمذي (كم كنتم) أي حينئذ وكم اسم استفهام
وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاي وهاء ممدودة أي كنا قدر ثلثمائة

في فصل كنيته قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة المشهور (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة) الامام المشهور الفقيه وأنس عمه توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة (عن أنس بن مالك) قال فيما رواه مالك في موطأه عنه والشيخان عنه (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قد (حانت صلاة العصر) بمهملة ونون أي قربت أو دخل وقتها وهو مأخوذ من الحين بمعنى الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضأ به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس ثم صار حقيقة في مطلق الطلب (فلم يجدوه فأتي) بالبناء للمجهول (بوضوء) تقديره باناء وضوء بقرينة قوله (فوضع يده فيه) وفي مسلم بقدح زجاج (وأمر الناس ان يتوضؤا منه قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس من عند آخرهم) أي جميعهم وتقدم معنى ينبع وانه بتثليث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتأدبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه وأصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة أصبوع قال ابن مالك رحمه الله تعالى

تثليث با أصبع مع ضم همزته * والفتح والكسر والاصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والأفصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية أو الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووي انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يأت على الاصل لان الى عنده لحن عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لابتداء الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤا كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق قائله *أقول سمع أيضا من آخرهم بدون عند كما في الكشاف في أول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كأنه مأخوذ ومبذول من آخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكأنهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي أسهل وأظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيها (ورواه أيضا) أي كالرواية السابقة (عن أنس) رضي الله عنه (قتادة) كما في صحيح مسلم (قال) أي أنس في هذه الرواية فأتي (باناء فيه ماء) الاناء بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان آنية جمعه وليس مفردا كما يتوهم (يغمر أصابعه) بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة (أو لا يكاد يغمرها) يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعله تسترا وتأدبا مع الله تعالى الذي لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها أبلغ من نفي الفعل الذي هو خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم (قال) أي قتادة لانس رضي الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الناس الذين توضؤا من ذلك الماء (قال زهاء) بضم الزاي المعجمة والمد ويقال أيضا لهاء باللام أي مقدار (ثلاثمائة) رجل وأصل الزهاء العدد الذي يقدر بالتخمين فقد ينقص أو يزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقي وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب

(وفي رواية عنه) أي عن أنس (وهم بالزوراء) بفتح الزاي وسكون الواو وفتح الراء ممدودة مكان يعرف بالمدينة قرب المسجد (عند السوق) وفي البخاري بالسوق أي سوق المدينة قال الداودي وهو مرتفع كالمنار (ورواه أيضا حميد) بالتصغير وهو الطويل وكان طوله في يديه مات وهو قائم يصلي ثقة لكنه يدلس أخرج له الأئمة الستة (وثابت) تقدم ذكره (والحسن) أي ابن أبي الحسن البصري (عن أنس) أي كلهم عنه الا أن البخاري انفرد بالاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) أي كانوا ثمانين أي رجلا كما في نسخة (ونحوه عن ثابت عنه) أي نحو مروي حميد عن أنس في العدد ورد عن ثابت عن أنس (وعنه) أي وعن أنس (أيضا) أي برواية ثابت أو غيره (وهم نحو من سبعين رجلا) ولعل رواية السبعين والثمانين في غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القضية ثم رأيت النووي قال انهما قضيتان جرتا في وقتين فحدث بهما جميعا أنس (وأما ابن مسعود ففي الصحيح) أي للبخاري وغيره (من رواية علقمة عنه) كما في نسخة أي عن عبد الله بن مسعود (بينما) أي بين ساعات أو أوقات (نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أطلبوا من معه فضل ماء) قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى

(وفي رواية عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (وهم بالزوراء عند السوق) الزوراء مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وثمة سوقها (ورواه) أي حديث نبع الماء (أيضا حميد) بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا في اسمه فقيل تيرو وقيل تيرويه وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو أبو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعي أو الدارمي مات وهو قائم يصلي سنة اثنين وأربعين ومائة وهو ثقة أخرج له الائمة الستة الا أنه نسب للتدليس وترجمته في الميزان (وثابت والحسن) ابن أبي الحسن البصري كما تقدم (عن أنس) وتفرد البخاري عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال) كانوا (ثمانين ونحوه عن ثابت عنه) أي عن أنس (وعنه أيضا) أي عن أنس (وهم نحو من سبعين رجلا) وفي مسلم عنه أيضا بين الستين الى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على انهما كانا قضيتين في وقتين ووقعتا حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال أيضا (وأما ابن مسعود ففي الصحيح) أي الحديث الصحيح أو صحيح البخاري (عنه) أي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (من رواية علقمة) تقدم ترجمته (بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة كما ذكره النحاة وفي نسخة بينما وهي كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعي يستفصح تركهما كما هنا (وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء) أي بقية من ماء كان أو زيادة منه على حاجته وقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلبه تسترا لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواجد الموجد للكل فتأدب بذلك مع الله ولو شاء لاوجده بدعائه وطلبه له من الله تعالى ولو شاء لاوجده ابتداء من غير شيء (فأتي بماء) بالبناء للمجهول والفاء فصيحة أي فطلبوا الماء فوجده بعضهم وأتى به (فصبه في اناء) أي صبه وسكبه في اناء آخر مكشوف وكأنه أتى به في مزادة لا تدخلها اليد (ثم وضع كفه فيه) أي في الاناء الثاني والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعائه أي فدعا الله تعالى ثم الى آخره (فجعل ينبع) بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس الاسناد مجازيا كما قيل (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذه القصة هي المتقدمة وانما أعادها اشارة الى تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل انها غيرها (وفي الصحيح) أي صحيح البخاري أو المراد في الحديث الصحيح له ولغيره (عن سالم بن أبي الجعد) الاشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن عباس وغيره وتوفي سنة مائة وله ترجمة مفصلة في الميزان (عن جابر رضي الله تعالى عنه عطش الناس يوم الحديبية) وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما تقدم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وفيه ان الكل من عنده تعالى (فاتى) أي فجيء (بماء) أي في نحو سقاء (فصبه في اناء ثم وضع كفه) أي مع أصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) أي فشرع يخرج (من بين أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما ينبع من الارض وفي نبعه احتمالان من زيادة الكمية أو الكيفية وهو أظهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة في قوله وتكثيره ببركته (وفي الصحيح) أي للبخاري وغيره (عن سالم) أي الاشجعي (ابن أبي الجعد) وهو من ثقاة التابعين روي عنه انه قال اشتراني مولاي بثلاثة دراهم وأعتقني فقلت بأي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير البلد زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشدد بئر بين مكة وجدة قبيل جدة وأما قول الدلجي بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بين يديه ركوة) جملة حالية والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحو الابريق ذكره الدلجي وهو وغيره ملائم لوضع اليد فيه اللهم الا ان يقال
ان المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء منه ثم رأيت في القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغير انتهى وهو يحتمل ان فمه كبير
ثم رأيت التلمساني ذكر انها الماء من الادم كالتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه) أي متعطشين اليه (وقالوا) عطف على
واقبل الناس وجعل الدلجي الواو للحال أي قائلين (ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك) اي التي هي موجودة في حضرتك (فوضع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة) أي ثانيا (فجعل الماء يفور) أي يرتفع متدفقا (من بين أصابعه كامثال العيون) أي كامثال
مياهها أو شبه أصابعه بمنابع عيون الماء أي بين كل أصبعين يفور الماء كالعين (وفيه) أي في حديث سالم (فقلت) أي لجابر (كم
كنتم) أي يومئذ (قال لو كنا مائة ألف) أي مثلا (لكفانا) أي لكونه معجزة (كنا) أي لكنا (كنا خمس

بين يديه) أي عنده في مكان قريب منه (ركوة) بتثليث الراء المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح
وجمعه ركاء بالكسر والمد وهي اناء للماء من جلد كالابريق (فتوضأ) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها واقبل
الناس نحوه) أي جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم (وقالوا له ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك) جملة حالية
والاستثناء متصل (فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور) أي ينبع ويرتفع
لزيادته (من بين أصابعه كامثال العيون) أي كان بين كل أصبعين من أصابعه الشريفة عين ماء نابعة
(وفيه) أي في حديث سالم هذا (فقلت) لجابر رضي الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الصحابة (قال لو كنا
مائة ألف لكفانا) ذلك الماء المشاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه (كنا خمس عشر مائة) يعني ألفا
وخمس مائة رجل وهم أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية مشهورة
ولذا اقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى وقيل كانوا ألفا وأربع مائة وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل
كانوا ألفا وست مائة وقيل ألفا وخمسمائة وأربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل وثلث
مائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا وروايه سبع مائة
وهم من راويها (وروى مثله) بالبناء للمجهول أي مثل حديث سالم المذكور (عن أنس عن جابر) صحح
في النسخ بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية أنس عن جابر رضي الله تعالى عنه في الكتب
الستة كما قاله البرهان الحلبي (وفيه) أي في هذا الحديث (انه كان بالحديبية) كما في الرواية التي قبله (وفي
رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه) أي عن جابر رضي الله تعالى عنه والوليد هذا ولد في حياته صلى
الله تعالى عليه وسلم وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث وأخرج له
الشيخان والترمذي وابن ماجه وهو روى عن أبيه (في حديث مسلم الطويل) صفة للحديث
(في ذكر غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة وألف وطاء مهملة وهي ثاني غزواته
وهي مفصلة في مسلم وغيره ويجوز فتح بائه أيضا وهي اسم لجبال لجهينة على ابراد من المدينة فهي
بقرب الينبع وكانت في ربيع الاول سنة اثنين وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم
(قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء) ناد أمر من النداء محذوف الآخر
المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بمقدر ومفعول ناد مقدر أيضا أي ناد الناس وقل لهم أعطوا أو
ناولوا الوضوء وهو الماء الذي يتوضأ به وفيه حث لهم عليه (وذكر الحديث بطوله) وفيه ان رجلا

عشرة مائة) يعني ألفا وخمسمائة وقيد ثمانين ألفا أو رجلا أو أربعين أو خمسة وعشرين رجلا أو ألفا وستمائة بناء على الاختلاف في عدد من بايع تحت الشجرة قال الحلبي فيقال أربع عشرة مائة وكذا هو في الصحيح وأكثر الروايات كما قال البيهقي انه ألف وأربعمائة هذا وقال اليمني قوله كنا خمس عشرة مائة هذه اللغة الى الآن بنجد سمعتها منهم لا تألف ألسنتهم الآلاف بل يقولون عشر مائة واحدى عشرة مائة وعشرون مائة وهلم جرا (وروى مثله) أي مثل حديث سالم كما في مسند الدارمي (عن أنس عن جابر) وهو من رواية الاصاغر عن الاكابر

فانهما صحابيان قال الحلبي كذا في النسخة التي وقفت عليها الآن بالشفاء وعلى عن التي بين انس وجابر صح يعني من
ان أنسا رواه عن جابر فان صح ذلك فرواية أنس عن جابر ليست في الكتب الستة (وفيه) أي وفي هذا الحديث (انه كان بالحديبية)
يعني فالاختلاف مبني على اختلاف عدد من حضر في تلك القضية (وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد في حياته
عليه الصلاة والسلام روى عن أبيه وعنه ابنه عبادة (عنه) أي عن جابر (في حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (في غزوة بواط)
بضم الموحدة وتخفيف الواو وفي آخره طاء مهملة (قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح الواو وتضم وفي
نسخة صحيحة الوضوء من غير الباء أي ناد الناس له أو به أو نصبه على الاغراء أي أعطوا أو ناولوا الماء وهو بيان النداء (وذكر
الحديث بطوله

وانه) أى الشان (لم نجد) بالنون وفى نسخة بالياء وفى أصل الدلجى لم يجدوا (الاقطرة) أى شيأ قليلا من الماء (فى عزلاء شجب) بالاضافة وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاى فلام ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فموحدة ما يلى من القربة وعتق من السقاية (فاتى) أى فجئ (به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمره) بالراء أى فغطاه وستره وفى أصل الدلجى بالزاى أى فكبسه بيده وعصره (وتكلم بشئ) أى من الاسماء أو الدعاء والثناء (لا أدرى ماهو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهى أكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع أو جمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا والباء مزيدة ولما كانت الجفنة محل الآية نوديت فكانها تعقل أو على حذف أى يا قوم هاتوها أو عدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان أى ائت بها وأحضرها (فاتيت بها) أى فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبى هو مبنى لما لم يسم فاعله أى فاتوانى بها وفى نسخة فأتيها بضم همزة وكسر ثانية (فوضعتها بين يديه وذكر) أى جابر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (أصابعه وصب جابر عليه) أى الماء (وقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بسم الله) أى وعلى بركة رسول الله وروى بسم الله كما أمره على ما فى أصل المؤلف (قال) أى جابر (فرأيت الماء يفور) أى يظهر مرتفعا (من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) أى ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت) ورواية مسلم ثم فارت الجفنة فدارت كذا ذكره الدلجى تبعا للحلبى قيل لان المقام مقام آية فكما نبع الماء استدارت الجفنة وحديث جابر هذا ليس فى شئ من الكتب الستة الا فى مسلم على ما صرح به الحلبى وغيره (وأمر الناس بالاستقاء) أى باخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) أى بأجمعهم وهو بضم الواو الاولى

من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فى سقاء فلما أخبره انه نادى فلم يجد الماء قال له انطلق الى فلان الانصارى فانظر هل فى اشجائه من شئ قال فانطلقت اليه وأخبره بماء عنده (وانه لم يجد) عند الانصارى (الاقطرة) أراد ماء قليلا جدا (فى عزلاء شجب) بالاضافة أى فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه عزالى بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل أو كسرها وسكون الجيم وباء موحدة ماقدم من القرب أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب وأصل معناه الهلاك (فاتى به) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الاولى وضمير به للمذكور (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه) بفتح الغين المعجمة والميم والزاى المعجمة أى وضع يده عليه وكبسه بها والغمز هنا كالذى فى قوله

وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما

والغمز بالغين الاشارة بها معنى آخر (وتكلم بشئ لا أدرى ماهو) وفى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتكلم بشئ لا أدرى ماهو فكأنه سر من أسرار الله تكلم به بالسر بانية ونحوها ليخفى على غيره وقد تقدم حكاية مثله فى رد الشمس المتقدم (وقال ناد بجفنة الركب) الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهى التى تشبع عشرة فاكثر ودونها الصحفة ثم المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع فى رواية لقتادة والذى فى مسلم ناد بجفنة فكأنه لم يكن معهم الاجفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها بدليل قوله (فاتيت بها) بالبناء للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البناء للفاعل وقيل مفعوله محذوف أى ناد القوم ليأتوا بجفنتهم أو هى منزلة منزلة من يعقل الا أن الله تعالى خالق فيها ادراكا حتى تنادى هى فتأتى بنفسها ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا مثله (فوضعتها بين يديه وذكر) جابر رضى الله تعالى عنه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده) بالسين والطاء وبهما قرئ أى وضع يده الشريفة (فى الجفنة) مبسوطة ليكون أبرك (وفرق أصابعه وصب جابر عليه) ما كان فى القربة من الماء (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) أتبرك وأطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه المأثور فى سائر الافعال لا لبيان انه يجرى بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال بسم الله جابر كان أوفق بما فى الرواية من انه وضع يده فى قعر الجفنة وقال خذ يا جابر صب على وقل بسم الله فصببت عليه صلى الله عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير اذن وان المصنف رحمه الله تعالى غير الرواية ونسب لجابر ما لم يقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من آداب الصحابة رضى الله تعالى عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم قرينة على ما ذكر (قال) جابر رضى الله تعالى عنه (فرأيت الماء يفور) أى يزيد ويرتفع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه (من بين أصابعه) صلى الله عليه وسلم (ثم فارت الجفنة) أى فار ماؤها ففيه مضاف مقدر او الاسناد مجازى للمبالغة فى فورانه (واستدارت) أى دار ماؤها الا ان الماء اذا زاد بسرعة يرى كأنه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه لا محصل له (حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا) أى أخذ

وأصله رو يوا كرضوا ولقوا (فقلت هل بقى أحدله حاجة) يجوز ان تكون هل نافية كما فى قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفى حديث وهل ترك لنا عقيل من دار أى ما بقى من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى يده كما فى أصل الدلجى وغيره (من الجفنة وهى ملائى) فعلى من الملىء ويجوز ان تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم ما بقى لاحد حاجة ولا يبعد ان يكون المراد بقوله فقلت تردده فى نفسه انه هل بقى لاحد حاجة اليه أم لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده شهادة لنفى البقاء فيكون كرامة أخرى (وعن الشعبى) بفتح أوله تابعى جليل فحديثه هذا مرسل وهو حجة عند الجمهور خلافا للشافعى (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جيء (فى بعض أسفاره باداوة ماء) وهى بكسر الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء ويسمى المطهرة (وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها) أى غير ما فى الاداوة هذه وهى لم تكف الجماعة شربا ووضوأ (فسكبها) أى صبها (فى ركوة) أى اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما فى نسخة (ووضع أصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس أى أصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها أى فى وسطها (وغمسها) أى غطس أصابعه وادخلها (فى الماء وجعل الناس يجيؤن) أى يأتون اليه (ويتوضأون) أى منه (ويقومون) أى عنه وفى نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذى) أى صاحب الجامع (وفى الباب) أى وفى الاحاديث الواردة فى هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتى فى الفصل الآتى من هذا الباب (ومثل هذا) أى ما ذكر من خوارق العادة (فى هذه المواطن الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء أى الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفى نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وتفتح أى لا تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة أى المخبر به (لانهم) أى السلف من الصحابة والتابعين (كانوا أسرع شئ الى تكذيبه) أى تكذيب من أخبر به لو عرفوا انه كاذب فى خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول أى خلقت وطبعت (عليه النفس) أي النفوس كما فى نسخة صحيحة

من

كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والرى مقابل العطش وفيما رواه المصنف رحمه الله بعض مخالفة لما فى صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفى بعض نسخة فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار (فقلت هل بقى أحدله حاجة) أى قال جابر فقلت الى آخره وهل هنا قيل انها نافية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان يكون استفهامية وقوله (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة) الفاء فيه فصيحة أى فقال لا فرفع الى آخره وحديث جابر هذا ليس فى شئ من الكتب الستة غير مسلم (وهى ملأى) بوزن سكرى أى مملوءة بالماء لم ينقص شيأ بما أخذوه (وعن الشعبى) هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف رحمه الله تعالى مالكى المذهب (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أى أتاه بعض الصحابة (باداوة) بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة وألف وواو وهاء وجمعها أداوى وهى اناء صغير للماء من جلد ولذا أضافها القوله (ماء فى بعض أسفاره وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة) أى صبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه أو أمر بصبها (ووضع أصبعه) بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة (وسطها) بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية أى وضعه فى وسط مائها وفى الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام فى كتب العربية ليس هذا محله وبيناه فى شرح الدرة وتقدم فيما مر ما فيه الكفاية (وغمسها فى الماء) تفسير لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال (وجعل الناس يجيؤن ويتوضؤن) جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة (ثم يقومون) بعد الوضوء (قال الترمذى) أبو عيسى امام أهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره (وفى الباب) أى فى هذا الباب الذى ذكر فيه معجزاته ونبع الماء (عن عمران بن حصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين أى روى عنه مثله (ومثل هذا) الامر المعجز المروى فى هذا الحديث (فى هذه المواطن) جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس (الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء أى الكثيرة الناس (والجموع الكثيرة) أى جموع الناس الكثيرة فى مثل هذه المحافل (لا تتطرق التهمة) بضم المثناة الفوقية وفتح الحاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن فى شئ على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما فى القاموس والصحاح ولا يكون الاسم الا ما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما فى شرح المفتاح لابن كمال وفيه نظر ويتطرق بمعنى يصل وأصل معناه يجد طريقا (الى المحدث به) بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها (لانهم كانوا أسرع شئ الى تكذيبه) أى تكذيب المخبر عنه أو الخبر لو وقوعه بين ناس كثيرين لا يمكن تواطئهم على الكذب (لما جبلت عليه النفوس

من ذلك) أي الاسراع الى التكذيب (ولانهم) أي من حضر تلك المحافل (كانوا ممن لا يسكت على باطل) فلا يقرونه على ماقاله اذا كذب فيهم وهم عرفوا خلافه ولا يخافون في الله لومة لائم (وهؤلاء) المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) الحديث الذي فيه نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم (واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له) أي قالوا انه وقع في محافل ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كجاؤا الجماء الغفير أي كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم أحد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها في القاموس وليس هذا محل تفصيلها (ولم ينكر أحد من الناس عليهم ماحدثوا به عنهم) أي لم يقل أحد ان مانقلوه من هذه المعجزة انها لا أصل لها ونحوه (انهم فعلوه وشاهدوه) بفتح همزة ان بدل من ماحدثوا وما فعلوه كوضوئهم وتقديمهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وماشاهدوه من نبع الماء وتدفقه وكثرته (فصار) ماذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره (كتصديق جميعهم له) أي لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا وأمرا مجمعا عليه وفي نسخة لهم

(فصل ومما يشبه هذا) أي من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجزاته) بيان لما أو حال من اسم الاشارة (تفجير الماء ببركته) صلى الله تعالى عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح فاضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا أو التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شائع فيه وقوله ببركته أي بيمنه وجوده في مكان أخرج منه الماء والبركة الخير الدائم وهي في الاصل من البرك وهو الموضع الذي يضعه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهو الموضع الذي يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى رب انزلني منزلا مباركا أي كثير الخير وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذي أفاضه على عباده وهو لا ينصرف ولا يستعمل في غير الله (وابتعاثه) وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجري (بمسه ودعوته) أي بلمسه لمحله ودعائه فيه وأخر هذا عن نبعه من بين أصابعه لان الاول أقوى في المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجاري وفي بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها بذلك لما تقدم (مما روى مالك في الموطأ) ومسلم في صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه لان روايته له أعلى سندا عنده أو لترجيح روايته (عن معاذ بن جبل) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (في قصة غزوة تبوك) بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة مبينة في السير (وانهم) أي الجيش الذين كانوا معه صلى الله عليه وسلم (وردوا العين) تعريفها للعهد أي عينا بتبوك نزلوا عليها في سفرهم هذا (وهي تبض) مضارع بض برنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال (بشيء من ماء مثل الشراك) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وألف وكاف وهو سير النعل الذي يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى أخدود في الارض كما قيل (فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع) الماء الذي

(من ذلك) أي الاسراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل) أي باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) أي المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) أي الحديث الذي سبق من نبع الماء من بين أصابعه (واشاعوه) أي نقلوه وافشوا اسناده (ونسبوا حضور الجماء الغفير له) وفي نسخة الجم الغفير أي الجمع الكثير كما في قضية الحديبية (ولم ينكر أحد من الناس) أي ممن حضر تلك الوقعة (عليهم ماحدثوا به عنهم انهم فعلوه) أي من شربهم وسقيهم (وشاهدوا) أي باعينهم في غيرهم (فصار كتصديق جميعهم لهم) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

(فصل)

(ومما يشبه هذا) أي النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين أصابعه لكرامته (تفجير الماء ببركته وانبعاثه) بالرفع أي ثورانه وجريانه (بمسه) أي اياه بجارحته (ودعوته) أي بلسانه أو جنانه (فيما روى مالك) أي رواه كما في نسخة (في الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا أخرجه مسلم في صحيحه (عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك) وهي غزوة معروفة كانت سنة تسع الهجرة (وانهم وردوا العين) أي التي كانت فيها (وهي تبص) بكسر الموحدة وتشديد المهملة أي تلمع وتلمع أو المعجمة أي تقطر وتسيل واختاره النووي (بشيء) أي قليل (من ماء) أي مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشيء أو ماء وفي نسخة بالرفع على تقديرهو وفي أخرى بالنصب على انه حال من شيء أي مماثلا للشراك في طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل في النعل والمقصود المبالغة في حد القلة (فغرفوا) أي اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) أي الماء كما في نسخة

(في شئ) أي من الاناء فيما لديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) أي الماء المغسول به (فيها) أي في العين التي بها ماء يسير (فجرت) الفاء عاطفة أي فسالت (بماء كثير فاستقى الناس) أي فشربوا منه وأسقوا دوابهم (قال) أي معاذ (في حديث ابن اسحق) أي فيما يرويه امام أهل المغازي عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء أي انفجر وجرى (من الماء ماله حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين أي حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد وربما كان معه ثمار الطيفة حديدة لا تمر بشئ الا أتت عليه وأهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوشك) أي يسرع ويدنو ويقرب (يا معاذ ان طالت بك حياة) أي مدة عمرك (ان ترى ماههنا)

غرفوه (في شئ) من الاواني التي كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا في شئ حتى اجتمع ماء كثير كما توهم (ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه) ضمير فيه للشئ بمعنى الاناء أو للماء وكان الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله (واعاده فيها) أي في العين التي غرفوا منها وضمير اعاده للماء لا للوجه كما توهم (فجرت بماء كثير) أي جرى من تلك العين ماء كثير (فاستقى الناس) أي شربوا وسقوا دوابهم (قال) معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (في حديث ابن اسحق) صاحب السير فيما رواه عن معاذ في سيرته (فانخرق) بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف أي انفجر انفجارا بشدة (من الماء ماله حس كحس الصواعق) الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو مجاز مشهور يقال للمشيه حس أي يسمع حركته والصواعق يكون معها أصوات شديدة من الصعقة وهي الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان في رجعته صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك كما قال ابن اسحق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فذكر القصة (ثم قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جري الاستقاء (يوشك) بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة وكاف مضارع أوشك وفتح شينه لغة رديئة كما في القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من غير بطؤ (يا معاذ ان طالت بك حياة) أي ان أطال الله عمرك ورأيت هذا المكان (ان ترى) بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية (ماههنا) ما موصولة أي الذي ههنا وهو اشارة للمكان (قد ملئ) بالبناء للمجهول (جنانا) منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهي البستان أي يكثر ماؤه ويخصب أرضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف منه على بعضه المراد منه اختصارا (وفي حديث البراء) بن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم (وسلمة بن الاكوع) أفعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البراء في صحيح البخاري وحديث سلمة بفتحتين في مسلم (وحديثه) أي حديث سلمة الذي رواه مسلم (أتم) من حديث البراء كما سيأتي (في قصة الحديبية) التي قدمناها وفيها بيعة الرضوان (وهم أربع عشرة مائة) رجل من الصحابة كما تقدم (وبئرها) أي وماء بئرها (لا تروي) بضم المثناة الفوقية (خمسين شاة) الشاة معروفة وروي اشاء بهمزة مكسورة في أوله ومفتوحة في آخره وهي النخلة الصغيرة (فنزحناها) أي أخرجنا جميع ما فيها من الماء بطينه (فلم نترك فيها قطرة) من مائها (فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والباء الموحدة مقصور وهو فم البئر وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وروي شفاها بشين معجمة وهما بمعنى هنا (قال البراء وأتي) بالبناء للمفعول (بدلو منها) أي من تلك البئر أي بماء دلو منها نزحوه منها

أي الموضع الذي ههنا لاجل كثرة ما فيه من الماء (قد ملئ) بصيغة المجهول أي امتلاء (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهو البستان الكثير الاشجار وهي مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكأنها مرة واحدة بشدة ألفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبي هذا ذكره ابن اسحق في طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعني من تبوك الى المدينة وكان في الطريق ماء ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فذكر القصة والله تعالى أعلم (وفي حديث البراء) أي على ما رواه البخاري عنه (وسلمة بن الاكوع) أي كما رواه مسلم عنه (وحديثه) أي حديث سلمة (أتم) أي من حديث البراء (في قصة الحديبية (فبصق)

وهم أربع عشرة مائة) أي ألف وأربعمائة (وبئرها لا تروي) أي بضم التاء وكسر الواو أي لا تكفي بمائها (خمسين شاة) قال المزي المعروف عند أهل الحديث خمسين اشاء بفتح الهمزة والمد وهي النخلة الصغيرة ذكره الشمني وقال التلمساني وهو الصواب (فنزحناها) أي فنزعنا ما فيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة المخففة مقصورا ما حول فمها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وليس مرادا ههنا وروي شفاها بفتح المعجمة والفاء مقصورا أي جانبها وطرفها (قال البراء وأتي) أي جيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) أي فيه ماء (منها)

فبصق) أي بزق فيه (فدعا) أي بالبركة في مائها وكب ماء في الدلو فيها أو هذه رواية البراء من غير شك وترددها (وقال سلمة) أي ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله أطلع على أحدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة أي فارت البئر وارتفع ماؤها وهو وصف الكثير (فاروا

(فبصق) أي ألقى ريقه (ودعا) بعد بصاقه أو هو شك من الراوي هل بصق فيها أو دعا الله لتكثير مائها كما أشار اليه بقوله (وقال سلمة) راوي الحديث (اما دعا واما بصق فيها) بكسر همزة اما فيهما بيان للشك في الرواية وفي نسخة فاما دعا الى آخره وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل (فجاشت) البئر أي فار ماؤها حتى ارتفع لفمها من جاشت القدر اذا غلت (فاروا أنفسهم وركابهم) أي شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الابل جمع لا واحد له من لفظه وقد علم ان حديث البراء رواه البخاري ولفظه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا أي صرفتنا ونحن وابلنا رواء ولم يحتج للقام بها لاجل الماء وان حديث سلمة في صحيح مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباء الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع حتى اذا كان في وسط الناس قال بايع يا سلمة فقلت قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس قال وأيضا ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزل أي ليس معي سلاح فأعطاني جحفة أو درقة ثم بايع حتى كان في آخر الناس قال ألا تبايعني يا سلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله أول الناس وأوسط الناس قال وأيضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المصنف من ان حديث سلمة أتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقي للشاء حين قدموا ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي غير هذه الروايتين) كذا في أكثر النسخ بتوحيد هذه وفي بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وجد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من التكلف والروايتان رواية البراء ورواية سلمة (في هذه القصة) أي قصة الحديبية (من طريق ابن شهاب) الزهري وقد تقدمت ترجمته مرارا (في الحديبية) تفسير للقصة (فأخرج سهما من كنانته) هي ما يوضع فيه السهام لانها تكنها أي تسترها (فوضع) بالبناء للمجهول وفي بعض النسخ فوضعه أي أمر بوضعه (في قعر قليب ليس فيها ماء) القليب البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهي طوى ويذكر ويؤنث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ماء قليل والذي وضع السهم البراء وقيل ناجية على ما يأتي (فروى الناس) بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية بينهما واو مكسورة أي شبعوا هم ودوابهم لقوله (حتى ضربوا بعطن) هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الماء بعد شربها للتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى أقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعني انهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقي مسندا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس انزلوا فقالوا

أنفسهم وركبهم) أي سقوا ذواتهم ودوابهم (وفي غير هذه الروايتين) أي رواية البراء ورواية سلمة وكان الاولى أن يقول وفي غيرها من الروايتين كما في نسخة أو في هذه الرواية عنهما (هذه القصة) أي قصة زيادة ماء البئر وفي نسخة في هذه القصة (من طريق ابن شهاب) أي الزهري (في الحديبية) وقد أبعد الدلجي حيث قال هذه القصة أي قصة الحديبية اماله الى قصة الحديبية في الحديبية (فاخرج) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف أي جعبته وهي كنانته التي فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) أي سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفي نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو أتم مبنى وأعم معنى (في قعر قليب) أي عمق بئر لم تطو يعني لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو أي بأنفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء لتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة أخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما في باب الاستقاء والمعنى حتى رووا وروبت ابلهم قال التلمساني والذي نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية

(وعن أبي قتادة وذكر) على مارواه البيهقي عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاد المعجمة والهمزة مقصورا وقد يمد فوزنها مفعلة أو مفعالة من الوضوء بزيادة الميم للا ٓلة أي مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها في ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحدة فنون فهاء ضمير أي حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فها) أي أدخله في فيه تشبيها له باللقمة لا انه أدخل فمه فيها كما توهم التلمساني (والله أعلم) أي وأنا لا أعلم (نفث) أي أنفخ بريق أو بلا ريق (فيها أم لا) أي أم لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو أي بأنفسهم ودوابهم (وملؤا كل اناء معهم فخيل) أي بصيغة المجهول أي تصور في ذهني (انها) الميضأة ملأى (كما أخذها مني) أي على حالها ما نقص شئ منها وقال التلمساني وروى اليه أقول والظاهر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله) أي مثل مروى أبي قتادة (عمران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبراني) وهو محمد بن جرير (حديث أبي قتادة على غير ماذكره أهل الصحيح وان) وفي نسخة صحيحة ان على انه بيان لما ذكره الطبري مخالفا لغيره وهو أن (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) أي بأصحابه (ممدا) أي معينا (لاهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة ويبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام (عندما بلغه قتل الامراء) أي أمرائه وهم زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن أبي رواحة (وذكر) أي الطبري (حديثا طويلا فيه معجزات) أي باهرة (وآيات) أي علامات وكرامات ظاهرة (للنبي صلى الله عليه وسلم) أي تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه

اعلامهم)

ما بالوادي ماء ننزل عليه فأخرج سهما من كنانته أعطاه رجلا من أصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيه ففعل فجاش الماء حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذي نزل في البئر خلاد الغفاري دلاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعمامة وقيل هو ناجية السلمي وكان البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه يقول أنا الذي نزلت كذا في دلائل النبوة (وعن أبي قتادة) هو الحارث بن ربعي وقيل النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقي أيضا فاذا عطفه فقال (وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض أسفاره) لانه كان يوما شديد الحر (فدعا بالميضأة) بكسر الميم وياء منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء وهي مقصورة وزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعا بمعنى طلب مطهرة ماء لوضوء فأتى بها (فجعلها في ضبنه) بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن يقال أضبنته اذا جعلته في ضبنك وبه سمى العيال كما في الغريبين والمراد انه أمسكها وضمها اليه (ثم التقم فها) أي أدخل فمها في فيه كما تدخل اللقمة (فالله أعلم) أي قال الراوي اني لا أعلم (نفث فيها أم لا) أي أنفث في تلك الميضأة أم لا والنفث بنون وفاء وثاء مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ وأقل من التفل (فشرب الناس) من تلك الميضأة (حتى رووا) أي حصل لهم الري المزيل للعطش (وملؤا كل اناء معهم) مما فضل عن شربهم (فخيل) بالبناء للمجهول (الى انها كما أخذها مني) أي مثل ما أخذها مني لم تنقص شيأ مما كان فيها حين أخذها مني وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري) محمد بن جرير الامام المشهور (حديث أبي قتادة) المذكور (على غير ماذكره أهل الصحيح) أي فيه مخالفة لما رواه أصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) أي بهؤلاء المذكورين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم (ممدا لاهل موتة) بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهي أرض من البلقاء وقرية بين تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا (عندما بلغه قتل الامراء) ما مصدرية والامراء جمع أمير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل حارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل ابن عمر الغساني فقتله ولم يقتل رسول له قبله فأمر رسول الله صلى الله تعالى وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وأرسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فأميركم جعفر فان قتل جعفر فأميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء دفعه لزيد وأوصاهم كما ذكره أهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما أخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفعت الراية لخالد بن الوليد الى آخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم من أخباره بالغيب كما أشار اليه بقوله (وذكر) أي ابن جرير (حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكر وما شاهده من جعفر وطيرانه في الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله تعالى به وعظم قدره (وفيه

اعلامهم) أى اخباره لاصحابه (انهم يفقدون الماء) بكسر القاف أى يعدمونه ولا يجدونه (فى غد) فهو من أعلام النبوة لقوله تعالى وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) أى الطبرى (حديث الميضأة) أى كما سبق (قال) أى أبو قتادة (والقوم) أى أصحابه (زهاء ثلاثمائة) أى قدرها تخمينا قال المزى الوجه نصب زهاء ولكن أهل الحديث يرفعونه ذكره الشمنى (وفى كتاب مسلم) يعنى صحيحه (انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) أى بعد ما قال لهم انهم يفقدون الماء فى غد (احفظ على) أى لاجلى وفى نسخة علينا (ميضأتك فانه) أى الشأن (سيكون لها نبأ) أى خبر عظيم قال القاضى فى الاكمال قال الامام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث معجزتان قولية وهى اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهى تكثير الماء القليل (وذكر) أى الطبرى (نحوه) أى نحو ما سبق مما ذكره غيره (ومن ذلك) أى ومما يدل على تفجر الماء من بين أصابعه (حديث عمران ابن حصين) أى كما فى الصحيحين عنه انه قال (حين أصاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه عطش) أى شديد (فى بعض أسفارهم) وفى نسخة من أسفارهم (فوجه رجلين) بتشديد الجيم أى فارسلهما وهما على بن أبى طالب وعمران بن حصين (من أصحابه) كما صرح بهما فى بعض طرق هذا الحديث (وأعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها أسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفى نسخة بتكرار كذا وبعين الموضع فى حديث صاحبه حاطب ابن أبى بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية أكبر من القربة وميمها زائدة وهى من مادة الزيادة لزيادتها على القربة وميمها زائدة وهى مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد ان تكون مأخوذة من الزاد والله تعالى أعلم بالمراد ثم قيل هى الراوية مجازا وانما الراوية هو البعير الذى يحملها (الحديث) أى بطوله والمعنى فذهبا على أثرها وطلباها (فوجداها وأتيابها النبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اناء) أى مما عنده (من مزادتيها) أى بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) أى من ثناء أو دعاء أو أسماء (ثم أعاد الماء) أى رد الماء المأخوذ (فى المزادتين ثم فتحت) بصيغة المجهول ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل (عزاليها) بفتح العين المهملة والزاى تثنية عزلاء وهو فمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وأمر الناس) وفى نسخة ثم أمر الناس

اعلامهم انهم يفقدون الماء فى غد وذكر) ابن جرير (حديث الميضأة) السابق (قال والقوم زهاء ثلاثمائة) أى قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم آنفا (وفى كتاب مسلم انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) وقد رأى معه ميضأته (احفظ على) وفى نسخة علينا (ميضأتك) هذه وأمسكها عندك (فانه) ضمير شأن (سيكون لها نبأ) أى خبر عظيم وقصة عجيبة فى أمر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة (وذكر نحوه) أى مثل ما تقدم (ومن ذلك) أى من قبيل المعجزة السابقة فى تفجير الماء (حديث عمران بن حصين حين أصاب النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش فى بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه) أى أرسلهما الجهة من الجهات (وأعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا) الرجلان عمران بن حصين الراوى وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل انهما على والزبير بن العوام وفى البيهقى ان عليا خرج فى نفر من أصحابه ولم يسم أحد هذه المرأة الا أنه وقع فى السير انها أسلمت ولم يذكروا اسم المكان الا أن فى الحديث انه بروضة خاخ ان كانت القصة واحدة (معها بعير) قال أهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى (عليه مزادتان) المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم فقالوا تثنية المزود (الحديث فوجداها) أى المرأة (وأتيابها الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل فى اناء من مزاديتها) أى جعل ماء من مائها فى اناء عنده أى وضع فيه بعض ماء المزادتين (وقال فيه) أى فى الماء الموضوع فى الاناء (ماشاء الله ان يقول) المراد دعاؤه وذكر اسم الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا أبهموه (ثم أعاد الماء) الذى أخذه فى انائه من المزادتين فرده بعدما دعا له (فى المزادتين) اللتين للمرأة (ثم فتحت عزاليهما) ببناء الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتأنيث والجمع وليس للقربة الا فم واحد قيل لانها كانت تتعدد فى قربهم عزلاء وان من أسفل وعزلاء وان من فوق وما كان من أسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله قد صغت قلوبكما الاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جنى على مائها الا انها كانت حربية ولضرورة العطش وقد قيل ان هذه المرأة أسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم (وأمر) صلى الله عليه وسلم (الناس)

(فلاؤا أسـقيتهم) جـمع سقاءوهو اناءمن جلد يتخذ للماء (حتى لم يدعوا) بفتح الدال أى لم يتركوا (شيا) أى من أوانيهم (الاملاؤه قال عمران) وفى نسـخة وعن عمران بن حصين (ويخيـل الى) بصيغة المضارع المجهول من التخييل وفى نسخة بصيغة الماضى المعلوم من التخيل أى وتصور عندى وتقرر فى ذهنى (انهما) أى المزادتين (لم تزدادا) وفى نسخة بصيغة الافراد أى كل واحدة منهما (الامتلاء) بكسر التاء على المصدريه أى من زيادة البركة فى الكمية والـكيفية (ثم أمر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ان يزودوها من زادهـم زيادة على ماتوهمت انهم أخذوا من مزادتيها وفق مرادها (فجمع) بصـيغة المفعول (للمرأة) وفى نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد أى من جملتها (حتى ملأ) أى ذلك الزاد وفى نسخة ملأوا (ثوبها وقال) أى النبى صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم (اذهبى فانالم نأخـذ مـن مائك شـيأ) أى مـــن كميته (ولـكن الله سقانا) أى بسبب زيادة كيفيتـه ببركة أسمائه (وعـن سلمة بن الا كوع) وفى نسخة وقال سلمة (قال النبى) وفى نسخة نبى الله (صـلى الله تعالى عليـه وسـلم هل من وضـوء) بفتـح الواو أى أمعكم أو أعنـدكم أو اتم ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمـزة أى اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) أى شئ يسير من الماء (فافرغها) أى صبها (فى قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لنا (فدغفقه دغفقة) بدال مهـملة وغين معجمة ففـاء قاف أى فصـبه صبا كثيرا (أربـع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا أى ألف وأربعمائة (وفى حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى والبزار عنه (فى جيش العسرة) أى الضيق والشـدة وهى غزوة تبوك سـنة تسع من الهجرة وكانت فى نهار حر ووقت الثمار وكثرة ظلال الاشجار رضى

ان يملؤامنه (فملأوا أسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء (حتى لم يدعوا شيأ) من أوانيهم (الاملئوه) ماء (قال عمران) بن حصين رضى الله عنه (و) أنا (يخيل الى) بالبناء للمجهول (انهما لم يزدادا الا امتلاء) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ أى حال كونى وقع فى مخيلتى ان المزادتين بعد أخذ الناس منهـما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كان عليه (ثم أمر) صلى الله تعـالى عليه وسـلم ان يعطوها من زادهم شيأ بدلا عما أخذ من مائها تفضلا منـه فان مائها لم ينقص (فجمع) بالبناء للمفعول أى جمـع الناس (للمرأة من الازواد حتى ملأ وا ثوبها) وحملوه على بعيرها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم للمرأة (اذهبى فانالم نأخذ من مائك شيأ ولـكن الله سقانا) من فضله واختلفت الروايات هنا ففى بعضها ماذكره المصنف فقط وفى بعضها انهم ملئوا أسقيتهم وسقوا ابلهم وانه أمرهم بذلك واستعماله صلى الله عليـه وسلم من ماء القربة التى للكافرة لاينافى النهى منه عن استعمال أوانيهم وانهم نجس وأمره بغسلها اذا اضطروا الاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم وأوانيهم التى يضعون فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لايتوهم فيها ذلك (الحديث بطوله) أى اقرأ الحـديث بطوله وتمـامه ان أردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى أنه حديث طويل مروى فى كتب الحديث كالبخارى وغـيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهـم القصة بتمامها وتعجبها مما رأته من المعجزة له صلى الله تعالى عليـه وسلم لـكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه (وعن سلمة بن الا كوع) رضى الله تعالى عنه تقدم بيانه انه (قال قال نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى يوم من الايام (هل من وضوء) بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذى يتوضؤ به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة فى المبتدأ المقدر خبره أى هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة ودال مهملة أى اناء من جلد صغير (فيها نطفة) أى ماء قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنـكتة وأصل معناها القطرة ومنـه نطفة الرجل لمنيه (فافرغها فى قـدح) أى صبها فى اناء (فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيـد لضمير الفاعـل (ندغفقه دغفقة) مفعول مطلق وندغفقه بضم النـون وفتـح الدال المهـملة وسكـون الغـين المعجمـة ثم فاء مكسـورة وقاف أى نصـبه صـبا كثـيرا من قولهـم عيش دغفـق أى واسـع (أربع عشر مائة) من الرجال وأربع بالرفع خـبر مبتـدأ مقـدر أى ونحـن أربـع الى آخره أو بدل من ضمـير ندغفـقه أو توضأنا لانه بيـان لعدد من توضأ وكثرتهـم مع قلة المـاء وصغر الاناء ونصبه على الحاليـة عن أحد الضمائر (وفى حديث عمر) بن الخطاب رضى الله تعـالى عنـه الذى رواه البيهقى والـبزار وابن خزيمـة فى مسـنده بسـند صحيـح (فى جيش العسرة) بضم العـين فسكون السـين المهملتـين وهى غزوة تبـوك الواقعـة فى سـنة تسع من الهجـرة وسميت بذلك لانهـا اتفـقت فى زمان كانت النفقة والزاد فى غاية القـلة عنـدهـم ولذا لم يور النـبى صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم فيهـا كما كانت عادته فى أسـفاره ولعثمـان بن عفـان

(وذكر) أي عمر رضي الله تعالى عنه (ما أصابهم) أي المسلمين (من العطش) أي الشديد (حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) أي ما في كرشه (فيشربه فرغب أبو بكر) أي مال وتوجه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدعاء) أي أمره أو في حمله على الدعاء (فرفع يديه) أي ويدعو ربه ويتضرع لديه ويثني عليه ويلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدي لم يرد يديه بعد رفعهما اليه وفي نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم أي لم يتغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) أي أمطرت فان القول يستعمل في جملة من الفعل وقيل مالت وروي قامت بالميم أي اعتدلت بالسحاب أو قامت

رضي الله تعالى عنه فيها اليد البيضاء لما جهزهم بماله كما بين في السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق (وذكر) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (ما أصابهم) أي جيش العسرة (من العطش) لقلة الماء (حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه) هو ما في كرشه (فيشربه) أي يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم (فرغب أبو بكر رضي الله تعالى عنه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب بفي فيقال رغب في كذا ولضده بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه أي تضرع وتذلل (في الدعاء) أي في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذي علمه منهم (فرفع يديه) نحو السماء التي جعلها الله تعالى قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر أي ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه أي يدعوه ويناشده في سرعة اجابته (فلم يرجعهما) بفتح الياء أي لم يرد يديه من دعائه ويرجع متعد كما في قوله تعالى فان رجعك الله ويكون لازما أيضا (حتى قالت السماء) أي غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم قال كذا اذا تهيأ له واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت السماء اذا أرعدت وغيمت وتفسيرها بأمطرت لا يناسب قوله (فانسكبت) أي انسكب ماؤها فالاسناد مجازي وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

(فملؤا ما معهم من آنية) جمع اناء كأوان وبعضهم ظنه مفردا وهو وهم كما روا الاناء معروف (ولم يجاوز العسكر) في يجاوز ضمير مستتر راجع للسماء بمعنى السحاب أو المطر المعلوم من السياق وهذه معجزة أخرى (وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف وأقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروي عن أبيه وغيره وأخرج له أربعة من أصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف (ان أبا طالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) أي راكب خلفه وضميره هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير رديفه لأبي طالب (بذي المجاز) بفتح الميم والجيم والف ثم زاي معجمة وذي بمعنى صاحب أي محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث رواه ابن سعد عن اسحق بن الازرق عن عبد الله بن عون عن عمرو (عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عن الدابة التي أردف عليها (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لابي

توجهها بالخيرات (فانسكبت) أي فانصب ماؤها بكثرة (فملؤا ما معهم من آنية) أي جميع أوانيهم (ولم تجاوز) أي السماء المراد بها السحاب وفي نسخة بالتذكير أي ولم يتعد المطر (العسكر) أي ما انتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ما كان من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) أي ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرج له الائمة الاربعة (ان أبا طالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) جملة حالية تحتمل احتمالين خلافا للتلمساني حيث جزم بان ضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابي طالب والرديف الراكب من خلف (بذي المجاز) بفتح الميم والجيم وزاي في آخره سوق عند عرفة من أسواق أهل الجاهلية (عطشت) بكسر الطاء قال الحلبي وهذا الحديث الذي ذكره القاضي هنا معضل لا أعلمه في الكتب الستة والرواية عن أبي طالب معلوم ما فيها انتهى وذكر الدلجي عن ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عوف عن عمرو وهو ابن دينار ان أبا طالب قال كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي يعني نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت (وليس عندي ماء) وروي عنده وروي معي وعنده مثلث العين ذكره التلمساني (فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال

اشرب) قال الدلجي الظاهر ان هذا كان قبل البعثة يعني فيكون من الارهاصات ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات
ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات في أواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين
في عرفات تصل الى مكة وحواليها من آثار تلك البركات هذا أبو طالب لم يصح اسلامه واما قول التلمساني وروى اسلام أمه باسناد
صحيح وروى اسلام أبويه فمردود عليه كما بينت هذه المسئلة في رسالة مستقلة ردا على السيوطي في رسائله الثلاث (والحديث) اللام
للجنس أي والاحاديث (في هذا الباب كثيرة) أي غير ما ذكر في هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء

وماجانسه) أي من أنواع استجابة الدعاء

طالب (أشرب) قيل هذا كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان أبا طالب كافر
لا يستدل بقوله (والحديث في هذا الباب) أي باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم
(كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء) أي دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب السقيا وايجاد
الماء عند الحاجة له (وماجانسه) أي شابه الاستسقاء من السماء كما ذكرهنا وهو مأخوذ من
الجنس وهو معروف

* (فصل) * مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توأمان (ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم
تكثير الطعام ببركته ودعائه) النافعين عند الحاجة وبدأه بحديث رواه مسلم في صحيحه بسند صحيح
وهو (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله) هو الحافظ ابن سكرة وتقدمت ترجمته قال (حدثنا
العذري) قال (حدثنا الرازي) تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال (حدثنا الجلودي) تقدمت ترجمته
ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح
مسلم وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال (حدثنا
سلمة بن شبيب) أبو عبد الرحمن النيسابوري الحافظ الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة سبع
وأربعين ومائتين قال (حدثنا الحسن بن أعين) أفعل تفضيل من العين وهو الحسن بن أعين بن محمد
الحراني الثقة قال (حدثنا معقل) بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة (عن أبي زبير) محمد بن
مسلم الثقة وترجمته مشهورة (عن جابر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (ان رجلا أتى النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أي يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا
اسمه لانه من أهل البادية والطعام ما يؤكل وبه قوام البدن ويطلق على غيره مجازا (فاطعمه) أي
أعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم يكن مأكولا فيقال
أطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل أو استعارة (شطر وسق شعير) الشطر هنا بمعنى النصف وهو أصله
ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين
المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق بعير أي حمله ثم خص وصار حقيقة عرفية في ستين صاعا
بصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ثلاث مائة وعشرون رطلا حجازية وأربع مائة
وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف في قدر الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى
الاول مائة وستون رطلا وعلى الثاني مائتان وأربعون رطلا والكلام في المقادير الشرعية مفصل
في كتب الفروع (فما زال يأكل منه وامرأته) بالرفع معطوف على الضمير المستتر في يأكل من غير

* (فصل) *
(ومن معجزاته تكثير الطعام) أي كمية أو كيفية (ببركته) أي بركة حصول وجوده أو وصوله بيده (ودعائه) أي لربه مقرونا بثنائه (قال) أي المصنف (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى) هو الحافظ ابن سكرة (حدثنا العذري) بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازي ثنا الجلودي) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعني صاحب الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهو أبو عبد الرحمن النيسابوري حجة أخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست وأربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن أعين) بفتح فسكون ففتحتين ثقة أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائي

(ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي (عن أبي الزبير) بالتصغير حافظ ثقة
روى عنه مالك والسفيانان وأخرج له مسلم والاربعة وأخرج له البخاري مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا أتى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أي يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطر وسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون
صاعا وشطر الشئ نصفه وهو بفتح أوله ولا يصح كسره قال النووي والشطر هنا معناه شئ كذا فسره الترمذي (فما زال) أي ذلك
الرجل السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) أي من ذلك الطعام (وامرأته

فصل مؤكد كاسكن أنت وزوجك الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه فصله بقوله منه وهو فصيح أيضا وقد يعطف من غير فاصل أصلا كما في قول علي كرم الله وجهه كنت وأبو بكر وعمر لكنه قليل (وضيفه) أي من ينزل عليه من غير أهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد يختص بالمفرد فيقال ضيف وضيفان وضيوف أي لم يزالوا يأكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص لانه لا يزال يكثر ببركة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفي نسخة وضيف (حتى كاله) غاية لا كله أي استمر أكلهم منه من غير نقص شيء منه الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما يأخذه منه فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه من الاتكال على الله وهو أكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ما ورد في الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من أسرار الله تعالى ينبغي كتمه (فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بتكثير ما عطاه له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته (فقال لو لم تكله لا كلتم منه) أي لاستمر أكلكم منه الى غير النهاية (ولقام بكم) أي لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه فانكحه امرأة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيء فبعث أبا رافع وأبا أيوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند يهودي في شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال فأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه (ومن ذلك) أي تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (حديث أبي طلحة المشهور) في قصته التي رواها الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه وهو زيد بن سهل بن الأسود الانصاري الصحابي رضي الله تعالى عنه توفي سنة احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته في كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث (واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع عطف على حديث (ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم بالثمانين (من أقراص من شعير) جمع قرص وهو رغيف صغير (أتى بها أنس) بن مالك وفي نسخة جاء وهو عم أبي طلحة (تحت يده أي ابطه) بكسر الهمزة والباء وتسكينها والابط ما تحت المنكب وفسره به لان اليد تشمله وغيره والابط يذكر ويؤنث (فامر بها) أي بالاقراص (ففتت) يقال فتته اذا قطعه باصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق

وضيفه) أي كذلك فهما مرفوعان أو معهما فهما منصوبان ويروى وصيفه بواو فمهملة (حتى كاله) أي ليعرف نقصانه وكماله ويوجب اكتياله ما يبين حاله وما آله ففني بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فاتى) أي الرجل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) أي بانه كاله وجرب حاله (فقال لو لم تكله) أي وما جربته (لا كلتم منه) أي كلكم طول عمركم (ولقام بكم) أي باودكم مدة بقائكم وفي هذا الحديث ان البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم * قيل والحكمة في ذلك ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفي تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجلبة للبركة واما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج النفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقي مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه امرأة فالتمس النبي عليه الصلاة والسلام ما سأله فلم يجد له فبعث أبا رافع الانصاري وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند يهودي في شطر وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم أكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه كذا ذكره التلمساني وهو خلاف ظاهر ما حرره القاضي ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) أي مما يدل على ما هنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث أبي طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو المروي في الصحيحين عن أنس في قصته وأبو طلحة هذا هو عم أنس بن مالك زوج أم سليم انصاري نجاري خزرجي بدري أحد الفقهاء قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة ذكر انه قتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم روى عنه ابنه عبد الله وابن زوجته أنس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم في روايته بثمانين رجلا (من أقراص) أي قليلة (من شعير جاء) وفي نسخة أتى (بها) أي بتلك الاقراص وفي نسخة به أي بما ذكر (أنس تحت يده أي ابطه) يعني حال كون انس واضعا لها تحت ابطه من كمال قلتها (فأمر بها) أي بالاقراص أو بفتها (ففتت) بضم الفاء وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة أي فجعلت فتاتا والمعنى كسرها بأصابعه وثردها وفي حديث اذا قل طعامكم فاثردوه

(وقال فيها) أي في حق الاقراص (ماشاء الله ان يقول) أي من ثناء ودعاء واسماء وأمرهم جيء عشرة عشرة حتى أكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووي وانما أذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فان القصعة التي فت فيها تلك الاقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة الا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون انه لا يكفيهم فتذهب بركته ويحتمل ان يكون لضيق المنزل وهو أقرب (وحديث جابر) أي ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخاري عنه (في اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق) أي زمن حفره وهو يوم الاحزاب (ألف رجل

من صاع شعير وعناق) بفتح أوله وهي الانثى من أولاد المعز مالم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) أي منه (حتى تركوه) أي على حاله وفي أصل الدلجي لاكلوا حتى شبعوا غاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) أي مالوا الى حرف أي جانب وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هي القدر من حجر أومدر (لتغط) بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة أي تغلي من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهو صوت غليانها (كما هي) أي على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كأنه لم يؤخذ منها شيء وما كافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف

بمعنى التكسير مطلقا (وقال فيها) أي في شانها بان دعا ببركتها وذكر أسماء الله عليها وقيل في بمعنى على كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل (ماشاء الله ان يقول) أي ماقدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث طويل في الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان أبا طلحة رضي الله تعالى عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم فاخرجت أقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني وقد علمت ان الحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعدما أكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا وأطعموا جيرانهم (وحديث جابر) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري (في اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم الخندق) أي قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كندة بمعنى الحفر (ألف رجل) بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحديث مبتدأ خبره مقدر أي من ذلك وقوله (من صاع شعير) بالاضافة وفي نسخة من صاع من شعير وتقدم معنى الصاع (وعناق) بفتح العين وهي الانثى من أولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل هي التي قاربت الحمل ولم تحمل (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) وفي نسخة لقد أكلوا ولما كان هذا أمرا غريبا خارقا للعادة أكده بالقسم لانه مظنة الانكار (حتى تركوه وانحرفوا) أي أكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة أخرى غير التي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على طرف غير متمكن (وان برمتنا لتغط) البرمة بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم ميم وهاء القدر مطلقا أو من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح أو كسر الغين المعجمة وبعدها طاء مهملة مشددة أي تغلي غليانا شديدا يسمع لها صوت كهدير النائم والمخنوق (كما هي) أي على حالها الاول لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها وهذا المحل الشاهد (وان عجيننا ليخبز) أي انهم استمروا على خبز العجين وايصاله شيأ فشيأ لمن يأكل منه ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك) فيهما ومعنى بارك دعا فيهما بالبركة كما مر أي الزيادة والنمو (رواه) أي روى هذا الحديث (عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه فعلاء أو مفعال وسعيد هذا أخرج له البخاري ومسلم وميناء علم منقول من الميناء وهي مرسى السفن وجوهر الزجاج (وأيمن)

أي مثل ماهي قبل ذلك (وان عجيننا ليخبز) أي كما هو وكل ذلك بعد برئة ان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) أي وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق) أي بزق (في العجين والبرمة وبارك) أي ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدودا ويقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال أو فعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر في الصحيحين (وأيمن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو أيمن الحبشي المكي وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته أخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر في الخندق أخرجه البخاري في المغازي وزيد في بعض النسخ الصحيحة ههنا بعد قوله أيمن

(وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) أى الراوى عنهما لكن جهالتهما لا تضر لكونهما صحابيين (قال) أى ثابت أو كل من الرجل والمرأة (وجىء بمثل الكف) أى من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) أى يدلكها ويوسعها (فى الاناء ويقول ماشاء الله) أى من الدعاء والثناء (فأكل منه من فى البيت والحجرة) بضم الحاء وتفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) أى وما حولها من الفناء (وكان ذلك) أى المقام (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) أى المرام (وبقى) أى ذلك الطعام (بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) أى سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث أبى أيوب) أى ومن ذلك حديث أبى أيوب بدرى مشهور وهو خالد بن زيد انصارى نجارى عقبى بدرى نزل عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خروجه من بنى عمرو بن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد على ابن عباس البصرة فقال انى أخرج لك عن مسكنى كما خرجت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك وأعطاه ما أغلق عليه ولما قفل أعطاه عشرين ألفا وأربعين عبدا مرض فى غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملونى فاذا صاففتم العدو فادفنونى تحت أرجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره مع سورها فقال مجاهد فكانوا اذا محلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبرانى والبيهقى عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما) بضم الزاى أى مقدار ما يشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار) خصهم بالدعوة كى يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فأكلوا حتى تركوا) وفى نسخة تركوه أى الاكل أو الطعام والثانى أظهر فى المرام لقرينة المقام ولقوله (ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك) أى فدعاهم فأكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وماخرج منهم أحد حتى أسلم) أى أظهر الاسلام أو ثبت على ذلك المرام قال التلمسانى فى الاصل هكذا الا حتى أسلم وصوابه حتى أسلم (وبايع) أى على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لما شاهد المعجزة فى بركة ذلك الطعام (قال أبو أيوب فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين أكلوا بعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وتفتح وحكى بكسرهما وكان الاظهر أن يقول وحديث سمرة بن جندب وهو ما رواه الترمذى والبيهقى وصححاه والنسائى عنه ولفظه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جىء

بزنة أفعل من اليمن وهو أيمن الحبشى المكى والد عبد الواحد بن أيمن مولى عمرة المخزومى الثقة وقال ابن حبان انه أيمن بن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخو أسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن أم أيمن هذا قتل بحنين فقد خلط ترجمته بترجمة وتبعه التلمسانى (وعن ثابت مثله) أى مثل حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال وجىء بمثل الكف) وفى نسخة بملئ الكف (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ماشاء الله) ان يقول (فأكل منه من فى البيت والحجرة والدار وكان ذلك) أى ماذكر من الثلاثة (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك وبقى بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وحديث أبى أيوب) أى ومن ذلك حديث أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه الذى رواه عنه الطبرانى والبيهقى وهو (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر) حين قدما المدينة فى الهجرة (من الطعام زهاء) أى مقدار (ما يكفيهما) أى طعاما يكفى رجلين فقط وهو بيان لقلته (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم) لما أخبره بذلك ودعاله (ادع ثلاثين من أشراف الانصار) انما خصهم قيل ليتألفهم كى يسلموا فان ذلك كان فى أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك (فدعاهم فأكلوا حتى تركوه) أى شبعوا وتركوا الطعام أو الاكل منه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ادع ستين) أى من أشراف الانصار (فكان مثل ذلك) أى أكلوا حتى تركوه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم له (ادع سبعين) فدعاهم (فأكلوا حتى تركوا) الطعام والاكل كامر (وما خرج أحد منهم) أى ممن دعاه وأكل حتى شبع و (حتى أسلم وبايع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم وفى نسخة الا حتى أسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له (قال أبو أيوب) رضى الله تعالى عنه (فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) ذكر بعضاهم وترك الباقى كأنه لكونهم لم يدعهم بأمره والمذكور مائة وستون غير أبى بكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن سمرة بن جندب) تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اذ لا يتعلق غرض

(بقصعة) بفتح القاف لا بكسر (فيها لحم فتعاقبوها) أي تناوبها أي تناولها الصحابة جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم فسكون ففتحتين لانها معرفة (حتى الليل) أي الى آخرها ثلاث الغدوة مع أخذ بعض الوقف من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلا ينافي ماقال التلمساني هكذا في الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ماكان يمد الا من ههنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر) على مافي الصحيحين عنه (كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) أي رجلا (ومائة) أي رجلا وهو لغة في مائة وثلاثين (وذكر) أي عبد الرحمن (في الحديث) أي في حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفي نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفي أصل الدلجي وصنع شاة أي فرغ من شانها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه أن يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا من كمال صانعه العادة ان يعجز واحد عن القيام بأمورها كلها فقد روى أن النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم كان في بعض أسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلى جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين أصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب في ذلك المقام (فشوى سواد بطنها) على بناء المفعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة أو معاليقها مما في جوفها واختاره الهروي والنووي الاول وخص الكبد لانه أصل الحياة وقيل القلب (قال) وفي نسخة ثم قال أي عبد الرحمن (وأيم الله) بهمزة وصل أو قطع وضم الميم ويكسر وهو ألفاظ من ألفاظ القسم كعمر الله وعهد الله وأصله وأيمن الله كما في نسخة وهو جمع يمين والمعنى أقسم ببركة الله وقدرته وقوته (مامن الثلاثين ومائتين) أي أحد (الا وقد حز له) بفتح الحاء وتشديد الزاي (حزة) بفتح الحاء وتضم أي قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبي قوله حزة بفتح الحاء في النسخة التي وقفت عليها ولا أعرفها ولا أحفظها الا بالضم وهي القطعة المحزوزة وأما بالفتح فالمرة من الحز وليست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولا يخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد في هذا المقام والله تعالى أعلم بالمرام ثم رأيت الشمني جوز الوجهين فتم النظام (ثم جعل) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أي من لحم الشاة وما معه من الطعام (قصعتين) أي جفنتين كبيرتين (فأكلنا أجمعون وفضل) بفتح الضاد في الماضي وضمها في المستقبل وبكسرها في الماضي وفتحها في المضارع أي وزاد (في القصعتين) وقيل الاول من الفضل في السودد والثاني من الفضلة وهي بقية الشئ وقد سوى بينهما الجوهري حيث قال فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة أخرى مثل حذر يحذر

بتبيان الآتي هنا (بقصعة) بفتح القاف ولا تكسر القصعة (فيها لحم) مطبوخ (فتعاقبوها) أي دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة لان كلا منهم أتى على عقب بعض أي من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز (من غدوة حتى الليل) بالجر ويجوز رفعه ونصبه (يقوم قوم ويقعد آخرون) تفسير لما قبله من تعاقب القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر فيقوم قوم ويقعد قوم آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ماكان الا من هنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما (كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبر كان (ثلاثين ومائة) ومع النبي حال من اسم كان أوهما خبران أي خبر بعد خبر (وذكر في الحديث انه عجن صاعا من طعام) روي ببناء عجن للفاعل ونصب صاعا وببنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت في قوله (وصنعت شاة فشوى) ببناء المفعول (سواد بطنها) المراد به الكبد خاصة أو حشوها مطلقا والاول أظهر (قال) أي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما (وأيم الله) قسم كعهد الله وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي فهو مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل وهو اسم وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل في باب القسم ولا يجر بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره (مامن الثلاثين ومائة) احد (الا وقد حز له حزة) بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة المشددة والحز هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم (من سواد بطنها) أي كبدها كما مر والحز بعينه بحسب الظاهر وهو أنسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم في تفريقها عليهم (ثم جعل منها) أي طبخ من الشاة ما جعل ملئ (قصعتين فأكلنا أجمعون) بالرفع تأكيد لاسم كان من غير أن يكون تابعا للكل كقوله لاغوينهم أجمعين (وفضل في القصعتين) أي فضل من لحمها مقدار في

القصعتين

(فحملته) أي ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبي عمرة الانصاري عن أبيه) أي أبي عمرة وهو أنصاري بدري له حديث في بركة الطعام في بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل أبو عمرة مع علي رضي الله تعالى عنه بصفين أخرج له النسائي فقط كذا قرره الحلبي وقال الدلجي حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقي عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) أي مثل مروي عبد الرحمن (عن سلمة بن الاكوع وأبي هريرة) كما رواه البخاري عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه أبو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) أي هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين أي مجاعة شديدة (أصابت الناس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض

القصة تين بعد ما أكلوا حتى شبعوا وقد صرح به في الصحيحين قيل ولو ذكره المصنف رحمه الله تعالى كان أولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقي فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم بالكسر في الماضي وضم عين المضارع وهي شاذة أو من التداخل فان كان من الفضيلة فبالفتح والضم لا غير (فحملته على البعير) فيه اشارة الكثرة ما بقي بعد أكلهم كلهم (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه (حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة) بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة (الانصاري عن أبيه) أبي عمرة بشير بن عمرو بن محصن الانصاري البخاري الصحابي البدري قتل مع علي كرم الله وجهه بصفين وفي اسم أبي عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن أخرج له أصحاب الكتب الستة الا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي في بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومثله) أي مثل حديث عبد الرحمن (لسلمة بن الاكوع وأبي هريرة) في مسلم (وعمر بن الخطاب) ورواه أبو يعلى بسند جيد (فذكروا) أي هؤلاء (مخمصة) بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن من الطعام أي مجاعة (أصابت الناس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو أو هو بمعنى الغزو نفسه واختلف في هذه الغزوة والذي في مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة وفي دلائل النبوة انه في غزوة غطفان وفي غيره عن ابن عباس انه في مرجعهم من الحديبية كلمه بعض أصحابه وقالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانحره لنا الحديث فالقصة وقعت مرتين (فدعا ببقية الازواد) أي طلب من كل رجل منهم ان يأتي بما بقي عنده من زاده (فجاء الرجل بالحثية) بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة والمثناة التحتية ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثي وحثا يحثو وهي والجفنة بالفاء والنون بمعنى وهو ما يملؤ اليدين معا وقيل بالفاء في اليدين وبالثاني أحدهما وروي بالخبنة بخاء معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول أشهر وأظهر وتعريف الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين (من الطعام) اليسير الذي بقي عنده (وفوق ذلك) أي أزيد منه بيسير (وأعلاهم) أي أكثرهم زادا وبقية (الذي يأتي بالصاع من التمر فجعله) أي وضع ما اجتمع من الازواد (على نطع) بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب بساط من أدم وفيه لغات أربع هذه أفصحها وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطاء (قال سلمة فحزرته) بحاء مهملة وزاي معجمة وراء مهملة أي قدرته بطريق الحدس والتخمين (كربضة العنز) براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة

مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائد كما في نسخة أي فطلبها ليبرك فيها فتكثر كميتها أو كيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية أي باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفي نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهي ما يحمل في الحضن (وفوق ذلك) أي في الكثرة أو القلة (وأعلاهم) أي في الزيادة (الذي يأتي بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الادم كذا في القاموس وقال الحلبي تلميذه أفصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمني وهو خلاف ما يتبادر عن عبارة القاموس

وكذا هو على خلاف ما هو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه أخف أنواع هذه اللغة هذا وقد وقع في أصل الدلجي فجعله باللام بدل فجمعه بالميم فاحتاج لقوله أي ما جمع من الازواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى أعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاي فسكون الراء أي خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فمعجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة أي مثل جثتها اذا بركت والعنز هي الانثى من المعز وأشار سلمة بهذا الى قلة التمر

(ثم دعا الناس) أي طلب النبي صلى الله عليه وسلم (بأوعيتهم) الأوعية والأزود واحد وقوله في نص الحديث حتى ملأ القوم أزودتهم
قال القاضي في الاكمال كذا الرواية فيه في جميع أصول شيوخنا والأزودة هي الأوعية كما قال في الحديث الآخر أوعيتهم (فما بقي في
الجيش وعاء) بكسر الواو أي ظرف وإناء (الا ملأوه وبقي منه) أي قدر ما جعل كما في نسخة أي جمع أولا (وأكثر) أي وقد يقال أكثر
(ولو ورده أهل الأرض لكفاهم) أي لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه) كما روى ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط بسند جيد أنه قال (أمرني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن أدعواه) أي أطلب أنا
لأجله (أهل الصفة) بالضم والتشديد أي من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فأووا موضعا مظللا من مسجده صلى
الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد بسنده الى أبي هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من أهل الصفة يصلون خلف
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم أردية ثم قال أبو الفتح اليعمري منهم أبو هريرة وأبو ذر وواثلة ابن الاسقع وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة لقد رأيت سبعين رجلا من أهل الصفة وقد عد من أهل الصفة أبو نعيم في الحلية مائة ونيفا فيهم أبو هريرة وابن الاسقع وأصحاب بشر معوية وفي عوارف المعارف للسهروردي انهم كانوا نحو أربعمائة والله تعالى أعلم وعد منهم سعد ابن أبي وقاص وعمار بن ياسر وعقبة ابن عامر وسلمان وبلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال في نظم الدرر وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد
اذا أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا واذا أتته
هدية أرسلها اليهم وأشركهم فيها وقال صاحب الكشاف أصحاب الصفة كانوا نحوا أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم
مسكن في المدينة ولا عشيرة كانوا في صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان عنده فضل طعام أتى بهم اذا أمسى (فتتبعتهم) بتشديد الموحدة أي فتفحصتهم
(حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة) أي قصعة مبسوطة (فأكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهي مثلها) حين وضعت يعني انها ما زادت
ولا نقصت (الا ان فيها أثر الأصابع) أي أصابع الآكلين فانها ازادت

من الربوض وهو كالجلوس في الانسان والبروك للابل والجثوم للطير أي مقداره مقدار جثة عنز باركة
على الأرض أو هو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها (ثم دعا الناس بأوعيتهم) أي طلب مجيئهم
ومعهم أوعيتهم ليأخذوا مما اجتمع عنده في الحديث حتى ملأ وأزودتهم قال المصنف في الاكمال كذا
الرواية عن جميع شيوخنا والأزودة بمعنى الأوعية كما سميت الأسقية روايا وورد أيضا جاؤا بأوعيتهم (فما
بقي في الجيش وعاء الا ملؤه) مما اجتمع عنده (وبقي منه) أي فضل منه بقية بعدما أخذ الجميع كفايتهم
والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث لطوله وفيه انهم أكلوا حتى شبعوا ثم حشوا في أوعيتهم
وقبله انهم لما أصابهم الجوع قال له بعضهم لو أمرتنا نحرنا نواضحنا أي ابلنا فقال افعلوا فقال عمر رضي الله
تعالى عنه ان فعلوا قل الظهر يعني ما يركب ولكن ادع بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة
والآخر بكف تمر والآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فأخذوا كلهم
وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الحديث (وعن
أبي هريرة) في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني بسند جيد (أمرني رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم أن أدعو له أهل الصفة) تقدم ان الصفة محل مرتفع في الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس
فيه وكان في مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعون عنده صلى الله تعالى عليه وسلم
من فقراء الصحابة الأغراب وغيرهم كسلمان وأبي ذر قال أبو نعيم في الحلية كانوا نيفا ومائة وفي عوارف
المعارف انهم كانوا نحو الأربعمائة ونحوه في الكشاف ولا ينافيه ما روى انه روى منهم نحو ثلاثين
رجلا يصلون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلا أردية وهؤلاء هم صفوة خلق الله
هنيئا لهم وانا نتوسل الى الله تعالى بهم ان يجعلنا في بركتهم (فتتبعتهم) أي ذهبت لكل واحد
منهم في مكان كان فيه لانهم في النهار يتفرقون في المدينة لان كل أحد لا يخلو من حاجة يذهب
لها (حتى جمعتهم) عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فوضعت) بالبناء للمجهول (بين أيدينا صحفة)
بالرفع نائب الفاعل وهي اناء بين الصغير والكبير يعد للطعام (فأكلنا ما شئنا وفرغنا) أي حتى
شبعنا وانتهت ارادتنا للأكل (وهي مثل ما وضعت) جملة حالية أي وهي مملوءة بما فيها كما كانت
حين وضعت بين أيدينا (الا ان فيها أثر الأصابع) أي أصابع من أكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد
الأكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشيء بنفسه كما لا يخفى وكان أهل الصفة يسمون أضياف الاسلام
لان

(وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبيهقى بسند جيد انه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين) أى رجلا (منهم قوم) أى بعض (يأكلون الجذعة) أى الشاة الجذعة وهى بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة الداخلة فى السنة الثانية اذا كانت من المعز وما أتى عليه ثمانية أشهر من الضأن قبل والمراد بها هنا الابل كما ورد مفسرا فى بعض الاحاديث وهو منها ما يدخل فى الخامسة أو الرابعة (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة أصبع بكيل الحجاز وقيل اناء يسع اثنى عشر صاعا بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) أى قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطلان ورطل وثلث أو ملئ كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمى مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فأكلوا) أى منه (حتى شبعوا وبقى كما هو) أى كأن لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير من خشب يروى الثلاثة والاربعة من لبن (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقى كأنه لم يشرب منه) أى شئ (وقال أنس) أى على ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) أى تزوج ودخل (بزينب) أى بنت جحش قال الحلبى المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت فى بنائه بصفية وفى شرح مسلم للمصنف ان الراوى أدخل قصة فى قصة وقال بعضهم فى حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيآن يعنى الشاة والحيس (أمره) أى أنسا (ان يدعوله قوما سماهم) أى جماعة منهم باسمائهم وخصهم ثم عمهم بعطف وغيرهم حيث قال (وكل من لقيت) أى فدعوتهم (حتى امتلأ البيت

لان أكثرهم أغراب وقال أكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان أبا هريرة منهم (وعن على بن أبى طالب) فى حديث رواه أحمد والبيهقى بسند جيد (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين) رجلا وهذا كان بمكة فى ابتداء البعثة (منهم قوم) هو فى الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور (يأكلون الجذعة) بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهى من البقر والغنم ما تم له سنة وقيل انه فى البقر ما دخل فى الثالثة والمراد هنا الاول أى أقل ما يكفيهم كما يقال لمن دونهما كله رأس (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة آصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم أى يرويهم ما فيه وفى النسخ هنا اختلاف ففى بعضها بنى عبد المطلب منهم من يأكل جذعة بنى عبد المطلب منهم قوم يأكل الجذعة وفى بعضها منهم قوم يأكل وفى بعضها منهم قوم يأكلون وهذه أقرب وفى التى قبلها قلق ما وقال التلمسانى المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا فى بعض الروايات وهى التى تدخل فى الخامسة (فصنع لهم مدا من طعام) أى طبخه وسواه (فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو) ما موصولة وهو مبتدأ خبره محذوف أى قبل الاكل والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كأنه ما أكل منه شئ (ثم دعا بعس) بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروى الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من أهله لهم (فشربوا) من العس (حتى رووا) أى تم شربهم منه (وبقى كأنه لم يشرب) منه شئ وتفصيله كما فى الدلائل للبيهقى وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الآية قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان بدأت قومى بها رأيت منهم ما أكره فصمت فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك فدعا عليا رضى الله تعالى عنه وأخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعدلنا عس لبن ثم اجمع بنى المطلب وهم نحو أربعين من أعمامه فلما اجتمعوا اقدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فأكلوا ثم شربوا فلما أراد أن يكلمهم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان فى الغد فعل مثل ذلك فلما أراد ان يكلمهم تفرقوا وفى الثالثة قال لهم يا بنى عبد المطلب انه لم يجئكم أحد بافضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة الى آخر الحديث والذى فى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا ونادى يا بنى فهر يا بنى عدى ويا بطون قريش حتى اجتمعوا الى آخره ولعل ذلك تكرر فخصص أولا ثم عمم (وقال أنس) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما) وفى نسخة حين (ابتنى بزينب) بنت جحش أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهو افتعال من البناء وهو التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها (أمره) أى أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنسا (ان يدعوله قوما سماهم) أى عينهم باسمائهم (وكل من لقيت) بتاء الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر أى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم أو فقال فدعوتهم (حتى امتلأ البيت) بالناس

والحجرة) وهي موضع منفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا في حديث أنس الآتي في آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصنعت أم سليم حيسا الى قوله حتى ملأوا الصفة والحجرة الحديث وكانت لكل واحد من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هي بيتها (فقدم) وفي نسخة وقدم (لهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر أو حجارة كالاجانة وهي التي تسمى مركنا طستا أو وسطا وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) أي بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق أو فتيت أو سويق (فوضعه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) أي بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أي فيه (وجعل القوم) أي شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفي نسخة بالذال المعجمة وهو ما يؤكل أعم من العشاء والغداء قال الحلبي في النسخة التي وقفت عليها بالذال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء بكسر الغين وبالذال المعجمتين أعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفي صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع النهار فذكر القصة وفيه أيضا من حديث أطعمنا الخبز واللحم حين امتد

النهار أي ارتفع وهذا صريح في ان ذلك كان في صدر النهار يعني فيناسب الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج في المعنى الاعم والله تعالى أعلم (ويخرجون) أي حتى خرج آخرهم (وبقي التور) أي بما فيه (نحوا مما كان) وهو تمييز لنسبة بقي أو حال من التور (وكانوا) وفي نسخة وكان القوم (احدا أو اثنين وسبعين) وفي أصل الدلجي أحدا وثلاثين أو اثنين وسبعين (وفي رواية أخرى في هذه القصة) أي قصة وليمة زينب (أو مثلها) أي أو في مثل هذه القصة وهي قصة وليمة صفية (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاي أي قدرها (وانهم أكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء (وقال لي) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) أي التور وفي أصل التلمساني لترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى فبذلك فلتفرحوا في قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتاخذوا مصافكم هذا وعن ابن عمر مرفوعا اذا وضعت القصعة فليأكل أحدكم مما يليه ولا يتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من أعلاها ولا يقوم الرجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة رواه يحيى ابن أبي كثير عن عروة عن ابن عمر فرفعته (فلا أدري) وفي أصل الدلجي فما أدري (حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة التأنيث على بناء المجهول فيهما ولعل التأنيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها ولا يبعد أن يكون بصيغتي الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته وأقول بل حين رفعت لحصول البركة وتعلق المعجزة حين رفعها بخلاف حال وضعها

المراد به المنزل كله وقيل انه أراد به الصفة التي فيه كما ورد مصرحا به (والحجرة) هي بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة تخصها وأصل معنى الحجرة بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عم (وقدم اليهم تورا) بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة كالاجانة أو كالقدح الذي يشرب فيه (فيه قدر مد من تمر) بيان للمد وقد تقدم تفسيره (جعل) بالبناء للمفعول (حيسا) مفعوله الثاني وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة وهو تمر خلط بسمن واقط أو دقيق قال * التمر والسمن يقال الاقط * أو الدقيق الحيس لما يختلط وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف وأصل معنى الحيس الخلط (فوضعه) صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للتور (قدامه) بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أي أدخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم بما كله معهم والسنة ان يأكل بثلاث أصابع ففيه تعليم لهم (وجعل القوم يتغذون) بذال معجمة من الغذاء بمعجمتين وهو أعم من الغداء بالدال المهملة وفي مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح أن يكون بالمهملة أيضا كما في المقتفى (ويخرجون) من الحجرة (وبقي التور نحوا) تمييز أو حال (مما كان) قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا (وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين) رجلا وهو شك من الراوي وقيل ان هذه القصة في بنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفية والراوي أدخل قصة في قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشيآن من الشاة والحيس الذي لام سليم وفي قوله بقي التور تجوز أي بقي ما فيه (وفي رواية أخرى في هذه القصة) أي قصة وليمة زينب رضي الله تعالى عنها (أو مثلها) فيما ذكر من الطعام (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) أي مقدارهم (وانهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي بعد ما شبعوا (ارفع) التور من مكانه (فما أدري حين وضعت) بضم التاء للمتكلم أي حين وضعته أو بتاء التأنيث الساكنة كالتي في قوله (كانت) بالتانيث باعتبار انه آنية (أكثر أم حين رفعت) بالوجهين وروى لترفع بدل أرفع بلام الامر والخطاب والاول أولى وأفصح

وهذا

(وفي حديث جعفر) أي الصادق (ابن محمد) أي الباقر (عن أبيه) أي أبي جعفر محمد (عن علي) أي ابن أبي طالب جده الأمجد وهو زين العابدين علي بن الحسين بن علي كذا رواه ابن سعد منقطعا لأن محمدا ووالده لم يدركا عليا فقول الحلبي رواية الباقر عن علي مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) أي طعام قدر وإذ كرت المحل وارادت الحال (لغدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) أي أرسلته (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي أصل

التلمساني في النبي أي في طلبه والتوجيه اليه أوفى بمعنى الى (ليتغدى معهما) أي فجاءها (فامرها فافرقت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلي ثم لها) أي ولأولادها أو لمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية أي لتفور وتسيل من جوانبها (قالت) أي فاطمة (فأكلنا) وفي نسخة وأكلنا (منها ما شاء الله) أي ان نأكل منها (وأمر) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر ابن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة أي يعطي الزاد (أربعمائة راكب من أحمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة في الديانة ولذا سميت قريش الحمس لتشددهم في دينهم وذلك انهم كانوا أيام منى لا يستظلون ولا يدخلون البيوت من أبوابها وفي رواية أربعمائة راكب من مزينة وهي قبيلة من مضر (فقال يا رسول الله ما هي الا أصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهري وان شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة وفي نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء في كثير من الرواة آصع والصواب أصوع

وهذا حديث طويل في مسلم اختصره المصنف رحمه الله تعالى اقتصارا على محل الشاهد منه (وفي حديث جعفر) الصادق (عن أبيه محمد) الباقر (عن علي) بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه جد والد محمد أعني زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد رضي الله تعالى عنه فان كان عليا المذكور علي الأصغر فالحديث مرسل أو معضل فهو ضعيف (ان فاطمة) الزهراء (طبخت قدرا) أي طعاما في قدر ففيه تجوز أو هو بتقدير مضاف أي طعام قدر (لغداء) بالمعجمة وهو كل ما يؤكل في أي وقت أو بمهملة وهو ما يؤكل أول النهار أي لأجل غدائها وفي نسخة تتغذى به وفي نسخة لغدائهما (ووجهت عليا) أي أرسلته (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لجهته والمراد بيته (ليتغدى معهما) وفي نسخة معهما (فامرها) أي قال لها اغرفي من القدر (فغرفت) بالغين المعجمة (لجميع نسائه) التسع المعروفة (صحفة صحفة) منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير معروف (ثم له ولعلي) أي ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلي (ثم لها) أي ثم غرفت لنفسها ما تتغذى به رضي الله عنها (ثم رفعت القدر) بعدما غرفت لجميع من ذكر (وانها لتفيض) جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعدما غرف منه بقي مملوأ بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم وكأنها بعثت له صلى الله تعالى عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده فلم يأت وأمرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الأخلاق والايثار (قالت) فاطمة رضي الله تعالى عنها (فأكلنا منها) أي أكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مؤنثة وقيل يجوز تذكيرها وتأنيثها فالمراد أن أهل فاطمة رضي الله تعالى عنها وأهل بيتها أكلوا مما بقي في القدر بعدما فرقته (ما شاء الله) أي الذي أراده الله لنا أو مدة ارادة الله تعالى ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك (وأمر) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر (عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود أربعمائة راكب) أي يعطيهم ما يكفيهم من الزاد (من أحمس) بزنة أحمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو حمس وهو من الحماسة وهي الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية (فقال) عمر رضي الله تعالى عنه (يا رسول الله ما هي الا أصوع) بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز أن تبدل همزة كما في الصحاح وهو اناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على أصوع وصيعان وفي كثير من الروايات أي في الحديث آصع بالمد والصواب أصوع انتهى وقوله والصواب أصوع غير مسلم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وهو مبني على عدم صحة الاستدلال بالحديث في العربية وهو على الاطلاق فاسد أي قال عمر رضي الله تعالى عنه ليس التمر الذي عندي يكفي فانه أصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع أربعة أمداد والمد رطل وثلث أو رطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم والضمير أعني هي راجع للأصوع وان تأخر لا للوديعة كما في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا ما يتلوه وأصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله

(فقال اذهب) أى فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) أى الذى أعطاهم (قدر الفصيل) أى ولد الناقة اذا فصل عن أمه أى فطم (الرابض) بكسر الموحدة أى الحقير أو البارك (من التمر وبقى) أى التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) أى كأن لم يؤخذ منه شئ (من) أى هذا الحديث من (رواية دكين) بالتصغير وأوله دال وقيل راء (الاحمسى) رواها أبو داود فى الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزنى قال أتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام أى الزاد فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى عليه بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة أى غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاى ففتح أى فاعطانا ما أعطانا قال الحلبى يقال له الاحمسى والمزنى والخثعمى له صحبة وليس له فى الكتب الا فى سنن أبى داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهو مختصر منه (ومن رواية جرير) يعنى أيضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسى أيضا أسلم مع اخوته الستة وقال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر) بالرفع أى الحديث هذا (بعينه) أى من غير زيادة ونقصان فيه على ما رواه أحمد والبيهقى بسند صحيح عنه (الا انه قال) أى النعمان (أربعمائة راكب من مزينة) أى كما مر عن أبى داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ وأبعد الدلجى بقوله منصوب باعنى (ومن ذلك) أى من قبيل تكثير الشئ ببركة دعائه وعظمة ثنائه (حديث جابر فى دين أبيه بعد موته) كما رواه البخارى عنه (وقد كان) أى جابر (بذل لغرماء أبيه أصل ماله) أى أراد ان يبذل لهم أو عرض عليهم ورضى لهم ان يأخذوا جميع ماله وبذل بالمعجمة أى أعطى واما بالمهملة فبمعنى العوض (فلم يقبلوه) أى استحقار الاصل ماله لعدم الوفاء بكماله كما بينه بقوله (ولم يكن فى ثمرها سنتين) أى ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله أو ثمر نخيل جابر أو أبيه بكماله

* هى النفس ما حملتها تتحمل * وهى العرب تقول ما شاءت انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام فى شرح التسهيل لا يسعه المقام (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه (اذهب) وافعل ما أمرتك به ولا تبال بقلة ما عندك (فذهب) عمر (فزودهم منه) أى أعطاهم ما يكفى لهم من التمر الذى عنده (وكان) أى التمر (قدر الفصيل) هو ولد الناقة الصغير (الرابض) أى البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا (من التمر) بيان لقدر (وبقى بحاله) أى لم ينقص شيأ مع اعطائهم منه وهو من المعجزات (من رواية دكين) خبر مبتدأ مقدر أى وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون ورواه العزفى بالراء بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد وقيل مسعد المزنى وقيل الخثعمى وله صحبة وهذا الحديث رواه أبو داود فى الادب قال أتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح وليس له غير هذا الحديث ولم يروه غير أبى داود (الاحمسى) نسبة لبنى أحمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين (ومن رواية جرير) أى مثل رواية دكين ولم يخرجه (ومثله) أى مثل المروى المذكور ما أخرجه أحمد والبيهقى بسند صحيح (من رواية النعمان بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والراء مخففة مكسورة وهى احمسى أيضا وأحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل اد بن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن ولم يسم السابع قال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم * ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر بعينه) بالرفع والنصب والباء مزيدة فى التأكيد يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره وتلطف القائل متغزلا فقلت فهذا قاتلى * بعينه وحاجبه وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم أو لايهامهم انها الباصرة (الا انه قال) فى هذه الرواية (أربعمائة راكب من مزينة) فزاد قوله من مزينة وكذا رواه أبو داود فى سننه قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شئ (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جعل القليل كثيرا (حديث جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه البخارى (فى دين أبيه بعد موته) أى فى قصته لما مات أبوه وعليه دين أراد اداءه لغرمائه (وكان قد بذل) بموحدة وذال معجمة أى أعطى وهو مجاز بمعنى أراد بذله (لغرماء أبيه) جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال تعالى ان عذابها كان غراما (أصل ماله) أراد باصل ماله بستانا ونخلا له كان يتقوت منه والمال فى لسان العرب لا يختص بالنقود كما فى العرف وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله (فلم يقبلوه) اما لانه لا يفى بدينهم أو لعدم احتياجهم أو لانه لم يكن مرضيا لهم (ولم يكن فى ثمرها) أنث الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان المراد بها هنا النخيل جمع نخل وهى تؤنث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا الاموال

المعلومة

(كفاف دينهم) بفتح الكاف أي وفاء لادائه قال الدلجي ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف أي اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت الرزق والاظهر ان المعنى فلا تلام على تحصيل ما يكفيك من المال عن السؤال وتشتت البال ثم صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبراني عن حكيم بن حزام (فجاءه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعدان أمره) أي جابرا (بجدها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة أي بقطع ثمرها (وجعلها بيادر في أصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر أي جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) أي بالبركة فيه (فأوفى) أي أعطى (منه جابر غرماء أبيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمساني تثلث ضاده والكسر أعلى أي زاد (مثل ما كانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة أي يقطعون (كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم) أي فضل (قال) أي جابر (وكان الغرماء يهودي) خبر كان غير منصرف علم طائفة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم أي فتعجبوا (من ذلك) أي لما عظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذ هو شأن العجب وسبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير من الشيء اليسير مع زيادته بدعائه وبركته فان هذا وأمثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من أعلى المعجزات وأعظم الكرامات (قال أبو هريرة) على ما رواه البيهقي عنه (أصاب الناس مخمصة) أي مجاعة شديدة (فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شيء) أي أهل عندك بعض شيء فمن تبعيضية لا زائدة كما قاله الدلجي ثم تنكير شيء للتقليل فيفيد المبالغة في المطالبة ولو شيء يسيرا وقدر حقير (قلت نعم) أي عندي (شيء) أي قليل (من التمر في المزود) بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد

المعلومة من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوائد مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه له لما ستسمعه في الحديث وقوله (سنتين) مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح (كفاف دينهم) بفتح الكاف بمعنى ما يفي به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقي كفافا أي مقدار الكفاية وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة تمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين ظرف مستقر لانه متعلق بثمر بالمعنى المصدري حال من ثمر (فجاءه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعدان أمره بجذها) بفتح جيمه وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها (وجعلها) بصيغة المصدر (بيادر) بمثناة تحتية ودال وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر لينشف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويصح ارادة كل منهما هنا والظاهر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن وأهل العراق يسمونه اندر وجمعه أنادر وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر (في أصولها) أي جعلها كوما كوما في أصول الثمار وهي النخل والمراد انه كونه في حديقة نخله حتى نعلم مقدارها (فمشى فيها) النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر أي في أرضها أو المراد ما بينها وفعل ذلك لتحصل البركة وينمو ما فيها (ودعا) الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت (فأوفى منه جابر غرماء) أي أعطاهم مما في البيدر مقدار حقهم بتمامه من قولهم أوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه أخذه بتمامه وضمير غرماه لابيه لعلمه مما تقدم أوله لقيامه مقامه في اداء دينه وفي نسخة غرماء أبيه وهي ظاهرة (وفضل) أي بقي منه بعدما أدى كل ذي حق حقه وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح أفصح (مثل ما كانوا يجذون) بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال معجمة أو مهملة أي ما كانوا يقطعونه من ثمارها (كل سنة) أي فيها (وفي رواية مثل ما أعطاهم) أي بقي مثل ما أعطى غرماء أبيه وفيه زيادة كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفي بدينهم في سنتين أو سنين (قال) أي جابر رضي الله تعالى عنه (وكان الغرماء يهود) بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة وقد ينكر وينون (فعجبوا من ذلك) أي مما رأوه من كفاية ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا الحديث قد علمت انه في البخاري وكذا في غيره واقتصر المصنف رحمه الله على محل الشاهد منه وكان أبو جابر عبد الله استشهد بأحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود كما علم ثلاثين وسقا فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فكلم اليهودي فلم يرض فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما مر فأتاه وطاف بيدره ثلاث مرات وأمره بان يكيل لهم فكال حتى وفى لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه فلما حضر جذاذ النخل أتيته صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما عندنا به فلا تكن من الغافلين (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي مسندا (أصاب الناس مخمصة) أي جوع كامر (فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل) عندك (من شيء) من جنس الطعام ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفي والاستفهام وشيء مبتدأ خبره مقدر كما ذكرناه (قلت نعم شيء نصفين من التمر) قليل (في المزود) بكسر الميم

(قال فأتني به) أي فأتيته به (فأدخل يده فأخرج قبضة) بفتح القاف أي مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة وهي مأخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للشئ المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازي وهو ملئ الكف قال الحلبي ويفتح أيضا ويؤيده ما في القاموس القبضة وضمه أكثر ما قبضت عليه من شئ هذا وفي نسخة بالصاد المهملة ففي القاموس قبصه تناوله بأطراف أصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم والقبصة من الطعام ما حملت كفاك او بضم انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى أبلغ في المعنى (فبسطها) أي بيده (ودعا بالبركة) أي لما فيها (ثم قال ادع عشرة) أي فدعوتهم (فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب أي دعوتهم (كذلك) على ما في نسخة أي فأكلوا حتى شبعوا وهكذا بقية من هنالك (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) أي وتركوا فضلهم وقد سبقت الحكمة في الاقتصار على العشرة في الجفنة وقيل خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله تعالى أقسم بها وفي العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشوراء وقال تعالى وأتممناها بعشر وقال تلك عشرة كاملة (وقال) وفي نسخة قال وفي نسخة ثم قال أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) أي مع الزيادة الحاصلة من البركة (وأدخل يدك) أي فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولا تكبه) بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم أي لا تقلبه (فقبضت) أي فأخذت (على أكثر ما جئت به فأكلت منه وأطعمت) أي غيري أيضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مدة حياته (وأبي بكر وعمر الى ان قتل عثمان) وهو عام خمس وثلاثين (فانتهب مني) بصيغة المجهول أي سلب (فذهب) أي فاستمر غائبا عني في المكان ولعل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفي رواية) أي حسنة للترمذي (لقد) وفي نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا) كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك) أي من الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشرة والاول أولى (ومنه) أي ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (أيضا) كما في نسخة أي كما وقع مكررا في مقام المرام (حديث أبي هريرة) كما رواه البخاري (حين أصابه الجوع) يعني أبا هريرة (فاستتبعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فأمره ان يتبعه فتبعه (فوجد) أي النبي أو أبو هريرة (لبنا) أي قليلا (في قدح) أي صغير (قد أهدي اليه) أي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو وعاء الزاد (قال فأتني به) فأتاه به أي بالمزود أو التمر (فأدخل يده) الشريفة في المزود (فأخرج منه (قبضة) بفتح القاف وهي المرة كالضربة أريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض (فبسطها) أي وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها (ودعا بالبركة) أي بان يبارك الله فيها حتى تزيد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما دعا (ادع عشرة) من الناس فدعاهم (فأكلوا حتى شبعوا) من ذلك التمر (ثم) قال ادع (عشرة كذلك) أي فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) وهذا يقتضي انه كان في بعض غزواته وقد صرح به في بعض الروايات وسيأتي (وقال) لي (خذ ما جئت به) لانه أطعمهم كلهم وبقي ما جاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه أمره برفعه وان يأخذ كل ما أراد وقال له ولا تكله ليبارك فيه كما مر (وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به) قال (فأكلت منه وأطعمت) أهلي ومن أردت اطعامه (حياة رسول الله) أي مدة حياته (صلى الله تعالى عليه وسلم و) في مدة حياة (أبي بكر وعمر الى ان قتل عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنهم (فانتهب مني) بالبناء للمجهول أي نهبه الناس وأغاروا عليه فأخذوه في زمن الفتنة (فذهب) أي عدم ولم يبق منه شئ ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه من البركة (وفي رواية) رواها الترمذي في سننه وحسنها عن أبي هريرة رضي الله عنه (فقد حملت من ذلك التمر) الذي أعطانيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي جعلته محمولا معي في اسفاري (كذا وكذا) كناية عن مقدار ما حمله (من وسق) بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر (في سبيل الله) أي من أسفاري غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا أطلق فالمراد به ما ذكر وفي رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول أصبت بثلاث مصائب لم أصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودي وروى هذا الحديث بطريق آخر قريبة مما هنا (وذكرت مثل هذه الحكاية) بالبناء للمجهول وأنث لانه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وفي نسخة وذكر (في غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة) ذكره لانه أبلغ في المعجزة لغاية قلته (ومنه) أي من تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (أيضا حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري (حين أصابه الجوع) وعلمه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم) أي طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعني وكن ماشيا معي فتبعه (فوجد لبنا في قدح) في بيته (قد أهدي اليه) صلى الله

تعالى

(وأمره) أي أباهريرة (ان يدعو أهل الصفة) أي بقيتهم اليه (قال) أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فقلت) أي في نفسي (ماهذا اللبن) أي ماتأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفي أي لايغني من شبعهم شيأ (كنت) أي أناوحدي (أحق ان أصيب منه شربة) أي مرة واحدة وأغرب التلمساني في قوله بضم الشين (اتقوى بها) يعني ولعلها تكفيني أم لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) أي فحضروا (وذكر) أي أبو هريرة (أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجي وأمرني ان أسقيهم ولعله نقل بالمعنى وتغير في المبنى (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الياء والواو (ثم يأخذ الآخر) أي فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روى جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجي حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة الجمع (قال) أي أبو هريرة (فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) أي قدح اللبن (وقال بقيت أنا) تأكيد لضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله (وأنت) نحو قوله تعالى أسكن أنت وزوجك الجنة (أقعد) أمر أدب (فاشرب فشربت ثم قال اشرب) أي فشربت كما في أصل الدلجي (ومازال يقولها) أي كلمة اشرب (وأشرب حتى قلت لا) أي لا أشرب أولا أقدر على زيادة الشرب (والذى بعثك بالحق) أي الى كافة الخلق (ماأجد) وفي نسخة صحيحة لاأجد (له مسلكا) أي مساغا وهو يحتمل ان يكون جوابا للقسم أو مستأنفا مبينا الامتناعه كأنه علة له (فاخذ) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) أي على مامنحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) أي البقية وفيه ايذان بان أفضل القوم يكون آخرهم شربا ذكره الدلجي وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه أيضا على وجه حكمة تأخير أبي هريرة عن القوم مع الايماء الى وجه اختيار الايثار لاسيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى أعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة قيل يارسول الله ومادولتهم قال ينادي يوم القيامة يامعشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الاقام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى صفوف أهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فاوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل ألم أكسك فيصدقه ويقول الآخر يافلان ألم أكلمك فلانا فلايزال يخبرونه بماصنعوا اليه وهو يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون ياليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا أكل طعامه طرح ثفالة طعامه على مزبلة فكان يأوي اليها عابد فان وجد كسرة أكلها وان وجد بقلة أكلها وان وجد عرقا يعرقه فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فادخله النار فخرج العابد الى الصحراء مقتصرا على بقلها ومائها ثم انه سبحانه وتعالى قبض ذلك

تعالى عليه وسلم (وأمره ان يدعو أهل الصفة) ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم (قال فقلت ما) موقع (هذا اللبن فيهم) ومامقداره القليل كاف لهم (كنت أحق) منهم لشدة جوعي وماعلمه الرسول من حالي (ان أصيب منه شربة) أي من ذلك اللبن (أتقوى بها) أي يكون فيها تقويه لضعفي بجوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لايليق بمثله فهو امما تعجب منه لما استغرب به قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لايؤاخذ بها وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولاحاجة لمثله (فدعوتهم) الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (و) بعد حضورهم (أمرني ان أسقيهم) وفي نسخة وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل) منهم (فيشرب) بالنصب (حتى يروى) بفتح المثناة أي يروى عطشه (ثم يأخذه الآخر) أي فيشرب حتى يروى وهكذا (حتى روى جميعهم) أي جميع أهل الصفة (قال) أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) الذي فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذي أهداه له أوهو من أقداحه صلى الله تعالى عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاءه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابي هريرة رضي الله تعالى عنه (بقيت أنا) تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله (وأنت أقعد فاشرب) أمره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه (فشربت ثم قال اشرب) مرة أخرى (ومازال يقولها) أي كلمة اشرب (واشرب) بالرفع أي وأنا أشرب والجملة حالية (حتى قلت لا) أشرب بعد هذا نفي للشرب المأمور به واعتذر عن رده بقوله (والذى بعثك بالحق لاأجد له) أي اللبن (مسلكا) أي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تأكيدا للنفي قبله ومابعده استئناف أو تعليل له (فاخذ) صلى الله عليه وسلم أي تناول من يد أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (القدح فحمد الله تعالى) على ماأنعم به من الزيادة (وسمى) فقال بسم الله (وشرب الفضلة) أي مابقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المصنف رحمه الله تعالى

العابد فقال له هل لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يارب قال فمن أين كان معاشك وهو أعلم به منه قال كنت آوى الى مزبلة ملك فان وجدت كسرة أكلتها وان وجدت بقلة أكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على بقلها وسائها فامره تعالى ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به أما انه لو علم به ما أدخلته النار (وفى حديث خالد بن عبد العزى) أى ابن سلامة الخزاعى له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا أن حديثه ليس فى الكتب الستة على ما فى التجريد كما ذكره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه البيهقى عنه (انه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أعطاه (شاة) أى تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا من الغنم فلا يقال أجزرت القوم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح اذا نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل من تهامة يقال له محرش بن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به الى الوادى حتى بلغا اشغاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكر وماواه فهو لخالد وما بقى من الوادى فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه وأحله محرش أى حلقه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين أى من يعوله (كثيرا) أى عددهم (يذبح الشاة) حال أو استئناف مبين لكثرتهم واللام فى الشاة للجنس فهو فى حكم النكرة أى قد يذبح خالد شاة (فلا تبد عياله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد الدال المهملة من بد الشئ وأبده فرقه وأعطى كل واحد بدته أى نصيبه على حدته قال الهروى وفى الحديث اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا أى متفرقين واحدا بعد واحد والمعنى لا تكفى الشاة كلهم اذا فرقت عليهم (عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الهمزة جملة حالية (أكل من هذه الشاة) أى التى أجزرها اياه (وجعل فضلتها) أى بقيتها (فى دلو خالد ودعا له بالبركة فبثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها راء أى كثر (ذلك لعياله) وفى نسخة صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين أى انتشر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل أى صبه وأخرجه ورمى به (فاكلوا وافضلوا) أى ودخلوا (ذكر) زيادة البركة

منه على محل الشاهد منه كما هو دأبه (وفى حديث خالد بن عبد العزى) الذى رواه البيهقى مسندا عنه ولم يذكره أصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة أبو خناش بخاء معجمة مضمومة ونون وآخره شين معجمة ونونه مخففة وهو خزاعى وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال التلمسانى انه خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى هاجر الى الحبشة فى المرة الثانية فمات فى الطريق وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (انه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة) بالنصب مفعول أجزر بمعنى أعطى والنبى بالنصب أيضا مفعول أول وأجزره أعطاه جزرة وهى شاة أو نعجة أو كبش أو عنز تعطى لتجزر أى تذبح ولا تكون فى الناقة فانه يقال أجزره أو جزره اذا أعطاه جزورا والغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهرى يقال أجزرت القوم اذا أعطيتهم شاة يذبحونها أو كبشا أو عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال أجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفى القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما فى بعض الشروح هنا (وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة) لاجلهم واطعامهم (فلا تبد عياله) بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا فرقه وقال ابن القطاع بددت الشئ فرقته وأبددتهم العطاء فرقته فيهم وفى المحكم أبد الطعام بينهم اذا أعطى كل واحد منهم نصيبه على حدته وهو بيان لكثرتهم يعنى ان الشاة اذا فرقت عليهم لا تكفيهم وقوله (عظما عظما) أى اذا فرقته عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم (وان النبى صلى الله عليه وسلم) بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه أجزر الى آخره الذى هو مبتدأ مقدم خبره وهو قوله فى حديث خالد (أكل من هذه الشاة) التى أجزرها له خالد (وجعل فضلتها) أى ما بقى منها بعد أكلهم (فى دلو خالد) هو وعاء من ادم وجلد يستقى به الماء فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره (ودعا له) أى لخالد ويجوز ان يعود للدلو (بالبركة) أى بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابى خناش (فنثر ذلك) الطعام الذى فى الدلو أى رماه (لعياله) بكسر العين قال الصاغانى فى التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريرى فى مقاماته وذكره المطرزى فى شرحه (فاكلوا وافضلوا) أى أبقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وبركة دعائه

(ذكر خبره الدولابى) بضم الدال المهملة انصارى رازى سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن أبى حاتم وابن عدى والطبرانى وغيرهم قال الدارقطنى تكلموا فيه وما تبين فى أمره الا خير توفى بين مكة والمدينة بالعرج فى ذى القعدة سنة عشر وثلثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا فى الاكمال ما لفظه واما خناش أوله خاء معجمة مضمومة وبعدها نون وآخره شين معجمة فهو أبو خناش خالد بن عبد العزى فى الصحابة ذكره أبو بشر الدولابى فى كتاب الاسماء والكنى بسنده الى أن قال عن مسعود بن خالد عن خالد بن عبد العزى بن سلامة انه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكل منها ثم قال أرنى دلوك يا أبا خناش ووضع فيها فضلة الشاة ثم قال اللهم بارك لابى خناش فانقلب به فنشره لهم وقال تواسعوا فيه فاكل عياله وفضلوا ذكره الحلبى (ومن حديث الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء بعدها ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى منسوب الى عمل الآجر (فى نكاح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى فاطمة) أى فى تزويجها له (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة) أى من دقيق خبز شعير أو حنطة (وذبح جزور) أى بعير (لوليمتها) وفى نسخة ويذبح جزورا بصيغة المضارع وفى أخرى وبذبح جزور بمصدر مضاف (قال) أى بلال (فاتيته بذلك) أى فجئت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالذى أمره ان يصنعه من القصعة (فطعن فى رأسها) أى فى أعلاها بيده لتنزل البركة عليه (ثم أدخل الناس) أى أمرهم بالدخول عليه (رفقة رفقة) بضم الراء وجوز تثليثها أى جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفى نسخة صحيحة فاكلوا منها (حتى فرغوا) أى عنها (وبقيت منها فضلة) وفى نسخة فضلة منها أى بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الراء أى فدعا بالبركة (فيها وأمر بحملها الى أزواجه) أى من النساء التسع (وقال) أى لهن بعد ارساله اليهن (كلن) أى بانفسكن (وأطعمن من غشيكن) أى اتاكن وحضر عندكن فان البركة توافى كلكن (وفى حديث أنس) كما رواه الشيخان (تزوج النبى صلى الله تعالى

(ذكر خبره) أى خبر خالد أو خبر ما ذكر من الاكل والزيادة (الدولابى) فاعل ذكره وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام وألف وباء موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولاب وهو الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصارى الرازى الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبرانى وأبو حاتم وتوفى بين مكة والمدينة بالعرج فى ذى القعدة سنة عشر وثلاث مائة ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين وفيه كلام مفصل فى الميزان فى ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم دولابى آخر وهو أبو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره (وفى حديث الآجرى) بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للآجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو أبو بكر بن محمد الامام البغدادى كما تقدم تفصيله فى ترجمته (فى انكاح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة لعلى رضى الله تعالى عنهما) أى عقده نكاحها واللام مزيدة للتقوية (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا) ان يأتى (بقصعة) مملوءة (من أربعة امداد أو خمسة) من حنطة أو غيرها (ويذبح جزورا) بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله أى ان يذبح أو معطوف على مقدر كما أشرنا اليه أو على أمر بتقدير وأمره أن يذبح والجزور بوزن الشكور رأس من الابل ناقة أو جملا سميت بها لانها انما يجز رأى وهى مؤنثة سماعية وان عمت ففيها شبه تغليب فافهم (لوليمتها) الوليمة هى الدعوة اطعام يصنع فى النكاح خاصة ويجمع على ولائم وهو مستحب (قال) بلال رضى الله تعالى عنه (فاتيته بذلك) الذى أمرنى به من القصعة والجزور (فطعن فى رأسها) ان كان الضمير للقصعة فرأسها بمعنى أعلاها وان كان الجزور فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها أو مسها لتحصيل البركة فيها (ثم ادخل الناس) أى أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بدخولهم ليأكلوا (رفقة رفقة) بالنصب أى حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين (يأكلون منها) جملة مستأنفة أو حال مقدرة (حتى فرغوا) أى أكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من أكلهم (وبقيت منها فضلة) أى فضل منها ما زاد على أكلهم (فبرك فيها) وفى نسخة بها وبرك بتشديد الراء المهملة أى دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهو الزيادة والنمو كما مر (وأمر بحملها) أى بحمل القصعة بما فيها أو بحمل الفضلة (الى أزواجه) أى الى بيوتهن (وقال) لازواجه (كلن وأطعمن من غشيكن) بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين أى كل من يأتى اليكن من غير أهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا أتاه اتيان ما قد غشيه أى ستره (وفى حديث أنس) الذى رواه الشيخان مسندا (تزوج رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم بعض نسائه) قال الحلبي تقدم ان هذا كان في ابتنائه بصفية (فصنعت أي أم سليم) بالتصغير (حيسا) تقدم مبناه ومعناه (فجعلته في تور) سبق كذلك (فذهبت) أي أنا وفي نسخة فبعثني (به) أي بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا) أي كأبي بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) أي من غيرهما عموما (فدعوتهم) أي المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال أي ولم اترك (احدا لقيته) أي في طريقي ذاهبا وآيبا (الا دعوته وذكر) أي أنس (انهم) أي المدعوين والمجتمعين لا كما قال الدلجي أي الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلثمائة) أي مقدارهم تقريبا (حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة أي استديروا كالحلقة المفرغة (عشرة عشرة) أي كل عشرة حلقة أو كل حلقة عشرة (ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) أي المسمى بالحيس الذي صنعته أم سليم وجاء به أنس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) أي بما شاء الله من الدعاء (وقال ماشاء الله ان يقول) أي من أصناف الاسماء وأنواع الثناء (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع) فرفعته (فما أدري حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولا يبعد ان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتانيث اضطراب الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع في أصل الدلجي وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لا يخفى

عليه وسلم) بعض أزواجه وهي صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهباء قال أنس رضي الله تعالى عنه (فصنعت أمي) وكنية والدة أنس (أم سليم) بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة أبي طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حيسا) وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس أي يخلط بعضه ببعض (فجعلته) أي وضعته (في تور) بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر (فذهبت) بضم التاء وهو ضمير أنس المتكلم (به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه) على الارض (وادع لي فلانا وفلانا) ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا لهما ثم عمم فقال (ومن لقيت) أي وادع كل من صادفته (فدعوتهم) أي دعوت من عينه أولا ولم يقل دعوتهما اما لان قوله فلانا وفلانا مختصر كناية عمن عينه من القوم أو لان الاثنين جمع على قول (ولم أدع) أي لم أترك (احدا) أي دعوته (لقيته الا دعوته) كما أمرني به (وذكر) أنس (انهم) أي من دعاهم (كانوا زهاء) أي مقدار (ثلاثمائة) رجل فاجتمعوا ثمة (حتى ملؤا الصفة) وهي موضع مظلل قدام البيت أو دكة عالية فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة (والحجرة) وهي البيت الصغير المفرز من الدار (فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد اجتماعهم (تحلقوا) تفعل أي استديروا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام (عشرة عشرة) يسعهم مكان الطعام (ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) الموضوع وهو الطعام الذي جاء (فدعا فيه) بالبركة (وقال ماشاء الله ان يقول) أي ما أراد الله من دعائه الذي علمه وأبهمه لانه أسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي خصه الله تعالى بها (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لي) أي لانس (ارفع) التور بما فيه (فما أدري حين وضع) عنده قبل الاكل منه (كان) الطعام (أكثر أم حين رفع) بالبناء للمجهول وفي بعض النسخ وضعت ورفعت واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن أنس قبل هذا فاعادته هنا تقتضي ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة في تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب بنت جحش وأخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من ان تكثير الطعام كان في وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام وانما فيه انهم شبعوا من الخبز واللحم ففيه وهم من الراوي ادخل فيه قصة في قصة فان التكثير في قصة صفية لا في وليمة زينب التي نزلت فيها آية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه لا وهم فيه وانه لا مانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم أكلوا وذهب منهم جمع وبقي آخرون يتحدثون فجاء أنس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصنف رحمه الله هنا وقال ابن حجر أيضا الاوجه لا انكاره تكثير الطعام في حديث الخبز واللحم فان أنسا قال انه أولم بشاة أشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان المصنف رحمه الله تعالى رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب أولا ولم يسمها اشارة الى انها صفية الا ان فيه توقفا عندي من جهة أخرى فان وليمة صفية كانت في السفر وذكر الصفة والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لام سليم وما قيل من ان أم سليم أهدته له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف رحمه الله تعالى فيه

(وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أي التي أولها فصل نبع الماء من بين أصابعه (في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفي نسخة حديث الفصل هذا ووقع في أصل الدلجي حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح أي ثلاثة عشر أو أكثر (من الصحابة) وأما قول الجوهري تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ببضع وعشرين درجة ولقوله في حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) أي روى معنى حديث هذا الفصل أو هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) أي بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لا يعد) بصيغة المجهول أي لا يحصر وفي نسخة لا ينعد (بعدهم) أي من تابعيهم (وأكثرها) أي وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت في قصص مشهورة) بكسر القاف أي حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) أي محضورة مما تقدم فيها (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أي على وفق الصدق حذرا من التكذيب في رواية منها (ولا يسكت الحاضر لها) أي المشاهد لها (على ما أنكر منها) حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه

(فصل)

(في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي المصنف (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف أجازه لي ذكره الحلبي وغيره (عن أبي عمر) وفي نسخة أبي عمرو بالواو (الطلمنكي) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن أبي بكر بن المهندس) بكسر الدال (عن أبي القاسم البغوي) بفتحتين وهو الحافظ الكبير المسند البغوي الاصل البغدادي ابن بنت أحمد بن منيع البغوي روى عن أحمد بن حنبل عاش مائة وثلاث سنين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان وقال في آخرها وهذا الشيخ الحجازي يعني به أبا العباس أحمد بن الشحنة راوي صحيح البخاري وغيره بينه وبين البغوي أربعة أنفس وهذا شيء لا نظير له في الاعصار وذلك ان الحجازي توفي سنة

اضطراب يحتاج للتحرير (وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أي نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته (في الصحيح) من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله أكثر اشارة اضعف بعضها (وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة) يعني توافقوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحدة على حدة وتقدم ان البضع بكسر الباء من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف في استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده في الحديث وقوله ببضع وعشرين درجة في فضل الصلاة وتفصيله مشهور (رواه عنه اضعافهم من التابعين ثم) رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين (من لا يعد بعدهم) بصيغة المجهول وفي بعض النسخ من لا ينعد بالنون (وأكثرها) أي أكثر أحاديث الفصول الثلاثة (في قصص مشهورة) بحسب الرواية (ومجامع مشهودة) جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق * اذا جمعتنا يا جرير المحافل * والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتورية بديعية وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع أو منتقل (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أي لا ينتقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة (ولا) يمكن ان (يسكت الحاضر) في مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام في قوله (لها على ما أنكره) منها مما خالف الواقع

(فصل في كلام الشجر) الآتي بيانه والشجر ما قام على ساق وواحده شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة والكلام ما يتلفظ به اسم ويجيء بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يخلق الله تعالى فيه نطقا ولما كان هذا أمرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل (وشهادتها له بالنبوة) من عطف الخاص على العام (واجابتها دعوته) أي طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم منها ان تجيء نحوه كما سيأتي وله منها احاديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان أهل المغرب (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس في المجمل ويتعدى باللام والباء والاجازة الاذن في الرواية عنه والكلام على أنواعها ولغتها مفصل في ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا (عن أبي عمرو الطلمنكي) بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (عن أبي بكر بن المهندس) المعروف بابن أبي طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاي وهو معرب وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البناء (عن أبي القاسم البغوي) نسبة الى بغ ويقال بغاو هي قرية بين مرو وهراة وأصلها بغشور فخفف

ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته و وفاة البغوي أربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا أحمد بن عمران الاخنسي) بفتح الهمزة وسكون
المعجمة روى عنه ابن أبي الدنيا وغيره (حدثنا أبو حيان) بتشديد التحتية (التيمي) وفيه ان الاخنسي لم يدركه على ما صرح به المزي
ولعله أسقط محمد بن فضيل و يؤيده اه وجد في نسخة صحيحة قبله حدثنا محمد بن فضيل و يؤيده ما سيأتي مما ساق المصنف في أول فصل
في الآيات في ضروب الحيوانات حديثا في اسناده حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل الخ والله تعالى أعلم (وكان) أي
أبو حيان (صدوقا) وقد روى عن أبي

زرعة والشعبي وعنه يحيى القطان وأبو اسامة أخرج له الائمة الستة (عن مجاهد)
تابعي جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمي والبيهقي والبزار أيضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فدنا) أي قرب (منه اعرابي) أي بدوي (فقال يا اعرابي أين تريد قال أهلي) أي أريد أهلي أو أهلي أريدهم وفي نسخة الى أهلي أي مرادي التوجه اليهم (قال هل لك) أي ميل ورغبة (الى خير) أي من أهلك أو خير محض لك في حالك ومآلك (قال وما هو) أي ذلك الامر أو الخير (قال تشهد) أي ان تشهد أي شهادتك أو خبر معناه أمر أي اشهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها أي انه (لا اله) موجود أو معبود أو مشهود (الا الله وحده) حال مؤكدة أي متوحدا ومنفردا (لا شريك له) أي في وحدانية ذاته
وسبحانية صفاته (وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ما تقول) أي من دعوى التوحيد صلى
والرسالة (قال هذه الشجرة السمرة) بفتح فضم وهي بدل مما قبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك كثير وظل يسير قالوا
وهو شجر الصمغ العربي (وهي بشاطئ الوادي) أي طرفه وجانبه (فاقبلت) أي بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام هذه الشجرة
تشهد على حقية الاسلام وفي نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفي أخرى تجبك قال أي الاعرابي فدعوتها فاقبلت وهذا أبلغ في قبول
الاجابة والمعنى فشرعت الشجرة في الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ومنه
الاخدود وهو الشق في الارض أي حال كونها تشق الارض وتسعى اليه على ساق بلا قدم (حتى قامت) أي وقفت كما في نسخة (بين يديه

وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادي ابن بنت أحمد بن
منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيي السنة ومولده ذا في رمضان سنة
أربع عشرة ومائتين وتوفي في ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته في الميزان قال (حدثنا
أحمد بن عمران الاخنسي) بياء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه
الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك في بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفي في حدود
الثلاثين ومائتين وكان ببغداد وفيه كلام قال (حدثنا أبو حيان التيمي) بحاء مهملة مفتوحة ومثناة
تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة أخرج له الستة وتوفي في سنة خمس وأربعين ومائة
وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وأبي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سيأتي في كلام
المصنف في بعض النسخ وتردد في تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب (وكان صدوقا) وثقة
ردا على بعض من طعن فيه (عن مجاهد) تقدمت ترجمته (عن ابن عمر) الصحابي المشهور رضي الله
تعالى عنهما (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فدنا منه) أي قرب منه من الدنو
(اعرابي) نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفي النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده
كلام مشهور (فقال) له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يا اعرابي أين تريد) أي تقصد بسيرك وسفرك
هذا (قال الى أهلي) أي أريد مكانا فيه أهلي ولم يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه
والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تأنيسا له وازالة لما في نفسه من مهابته صلى الله تعالى عليه
وسلم فانه كان مهيبا لمن رآه وتوطئة لقوله (قال هل لك الى خير) أي هل تنقاد وتذعن لخير مما أنت فيه
(قال وما هو) أي الخير الذي دعوتني اليه (قال تشهدان) مخففة من الثقيلة (لا اله الا الله وحده) حال
لازمة أي متوحدا منزها عما يشاركه في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا بحق وقوله (لا شريك له)
تأكيدا لوحدانيته بعد تأكيد (وان محمدا عبده ورسوله) قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء في
مدحه (قال) الاعرابي (من يشهد لك على ما تقول) من دعوى الرسالة (قال هذه السمرة) بفتح السين
المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهي شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح وأشار اليها لقربها
منه وفي نسخة بعد ما تقدم فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها (وهي) أي السمرة (بشاطئ
الوادي) بشين معجمة وألف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادي الارض الواسعة المستوية
من ودى بمعنى سال لما فيها من المياه السائلة (فاقبلت) الفاء فصيحة أي فدعاها التشهد له فاقبلت
(تخد الارض) بمثناة فوقية وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة أي تشقها ومنه
الاخدود وشقها التسعي بعروقها التي في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك (حتى وقفت بين يديه)

صلى الله تعالى عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه (فاستشهدها ثلاثا) أى قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة تخد الارض حالية أو مستأنفة وانما كرر استشهادها تأكيدا لتقرر ذلك فى قلب الاعرابى (فشهدت) له بأنه رسول الله حقا أرسله الله الذى لاشريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق (ثم رجعت الى مكانها) الذى كانت فيه وفى هذه القصة معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله فى الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية يجىء بها ويذهب وقد وقعت على سبيل التحدى فالمعجزة منطبق على كل واحدة منها (و) فى حديث رواه البزار مسندا (عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصدر البردة المعروفة وهو أبو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابى أسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو وخراسان غازيا فى أيام معاوية أو يزيد سنة اثنين أو ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أى علامة ومعجزة تدل على أنه رسول الله حتى يؤمن به (فقال له قل لتلك الشجرة) مشيرا لسمرة كانت ثمة وهى تلك السمرة المذكورة فى الحديث الذى قبله أو غيرها (رسول الله يدعوك) بكسر الكاف أى يطلب منك المجىء اليه والحركة نحوه (قال) أى بريدة فدعاها (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أى مالت ميلا شديدا وتحركت فى جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله تعالى عليه وسلم (فتقطعت عروقها) المتمكنة فى مغرسها وهو اما على ظاهره أو المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله (ثم جاءت تخد الارض) وتشقها (تجر عروقها) من خلفها وهذا يدل على انها لم تقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة أخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التى هى سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان أو متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها (مغبرة) أى مسرعة فى مشيها قال الله تعالى (فالمغيرات صبحا) ومنه المغارة على العدو وهو منصوب على الحال أيضا ومغيرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغار وهو حال من الفاعل المستتر أو من العروق ولكل منها ذهب بعض (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قريبا منه مواجهة له (فقالت السلام عليك يارسول الله) وفيه شهادة برسالته وتوقيره ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد فى حق البشر لانه أمان وليست من أهله فما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة أمر محتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعاء بالسلامة وقيل انه هنا اسم الله أى الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله (قال الاعرابى مرها) بضم الميم أمر أصله أومرها فخفف (فلترجع الى منبتها) تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فأمرها (فرجعت) لمحلها (فدلت عروقها) أى أدخلتها فى الارض أصلها (فاستوت) أى انتصبت قائمة من غير

فاستشهدها ثلاثا) أى طلب منها أن تشهد له ثلاث مرات (فشهدت) أى ثلاثا (انه) أى الامر (كما قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام ان الله واحد لاشريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الحصيب بن عبد الله الاسلمى أسلم حين مر به عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وشهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان غازيا وأما بريدة ابن سفيان الاسلمى فلا صحبة له وان ذكره بعضهم فى الصحابة بل هو تابعى متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه قال (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أى علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال) أى بريدة (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أى من جهاتها كلها واضطربت فى مكانها وارتفعت فى شأنها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فقطعت عروقها) أى المتعلقة بأصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متداخلان أو مترادفان (مغبرة) بتشديد الراء والباء (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله) قال الدلجى لعله صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لا يخفى (قال) وفى نسخة فقال (الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) أى بعد أمره لها (فدلت عروقها) بتشديد اللام أى أرسلتها ومكنتها (فى ذلك) أى المكان قال التلمسانى الموضع سقط عند العرفى وثبت عند غيره (فاستوت) أى قائمة

ميل بها (فقال الاعرابى) لما رأى هذه المعجزة وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (ائذن لى) أمر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء (أسجدلك) مجزوم فى جواب الامر أو جواب شرط مقدر أى ان تأذن لى فى السجود أسجدلك فأبى صلى الله عليه وسلم ذلك و(قال) له (لوأمرت أحدا أن يسجد لاحد) أى لو جاز لى أمر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) لوجوب طاعته عليها ولما له عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لا يجوز لغير الله تعالى فى ملتنا وقد قيل انه كان جائزا فى الشرائع التى قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال الله تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام ثم نسخ هذا فى شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابى الاذن فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام بذلك فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهيا عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة (قال) الاعرابى لما نهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن السجود (فأذن لى أقبل) مجزوم فى جواب الامر (يديك ورجليك) تعظيما لك (فأذن له) فى تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه أو علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر دينى كما قاله النووى فى الاذكار فان كان لامر دنيوى فهو مكروه وقد وردفى أحاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا ردعلى المتولى من أئمة الشافعية حيث أطلق القول بعدم جوازه (وفى الصحيح) أى الحديث الصحيح أو المراد به صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث مسندا فيه (فى حديث جابر بن عبد الله الطويل) بالجر صفة الحديث ووصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الى الصحراء (يقضى حاجته) لانه لم يكن فى بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط أى ذهب لاجل ذلك (فلم يرشيأ يستتر به) أى حائلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها (فاذا بشجرتين) اذا الفجائية والباء زائدة أى فاجاه بغتة من غير ترقب منه أى فاذا هو فالمبتدأ مقدر هنا (فى شاطئ الوادى) بالهمزة أى طرفه وجانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما) أى توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها (فأخذ بغصن من أغصانها) أى أمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (فقال) للشجرة (انقادى على) أى طاوعينى وميلى على لتكون ساترة له عن الاعين (باذن الله) أى بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبى واذن الله يتجوز به تجوزا مشهورا (فانقادت معه) أى طاوعته ومالت حتى سترته كما أراد وانما أمسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما فى الحديث الذى قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابى وهنا لم يقصد ذلك (كالبعير المخشوش) أى كما ينقاد البعير المخشوش ان يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخاء وشينين معجمتين وهو الذى يوضع فى أنفه خشاش بكسر الخاء والبعير الذى يعسر قوده يخرق أنفه ويوضع فيه شئ يذلل به فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابى وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم وهى نكتة سربه لم ينبهوا عليها والتشبيه فى السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع فى كلامهم كعكسه فى قوله فى الابل

لمن شجر قد أثقلتها ثمارها ❊ سفائن بر والسراب بحارها

همزة الاصل بالياء أى مرنى (أسجدلك) جواب الامر وفى نسخة صحيحة أن أسجدلك (قال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد) أى غير الله سبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) أى لما عليها من حقوقه (قال فأذن لى) وفى نسخة فقال ائذن لى (أقبل) وفى نسخة أن أقبل (يديك ورجليك فأذن له) أى فقبلها (وفى الصحيح) أى صحيح مسلم (فى حديث جابر بن عبد الله) أى الانصارى كما فى نسخة وهما صحابيان جليلان (الطويل) نعت الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته) كناية عن فعل الغائط أو البول (فلم يرشيأ يستتر به) أى من عيون الانس والجن فتحير فى أمره (فاذا بشجرتين) أى ثابتتين أو نابتتين (بشاطئ الوادى) أى فى جانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذهب (الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال) أى لها كما فى نسخة (انقادى على) أى استسلمى لى وأطيعينى (باذن الله) أى بأمره وتيسيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى

الذى يصانع قائده) أى يلاينه وينقاد له وهو بالخاء والشينين المعجمات الذى جعل فى انفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه حبل و يجعل فى أنفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة أو من صفر أو حديد فهو برة بضم موحدة فتخفيف راء (وذكر) أى جابر (انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أى من الشجرتين (كذلك) أى مثل مافعل بالاولى (حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر أى وسط الطريق (بينهما) أى بين موضعيهما وهو بيان أو تأكيد (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للشجرتين (التئما) أى اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفى رواية أخرى) أى لمسلم وغيره (فقال ياجابر قل لهذه الشجرة) أى التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله الحق) بفتح الحاء أى اجتمعى واتصلى (بصاحبتك) أى بنظيرتك وهى الشجرة التى فى مقابلتك (حتى أجلس خلفكما) أى فاقضى حاجتى مستترا بكما وفى أصل الدلجى حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) أى الشجرة عن حالتها التى كانت عليها وفى نسخة فزحفت بالزاى والحاء المهملة والفاء أى انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهر ان القضية متكررة وان الشجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة أى أعدو وأجرى انما فعل ذلك رضى الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست أحدث نفسى) أى بهذا الامر الغريب والحال العجيب (فالتفت) أى فنظرت الى أحد طرفى (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فاجأته بغتة فابصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) أى من محل اجتماعهما وانتقلتا الى موضعهما

والخشاش مأخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله فى الانف وقوله (الذى يصانع قائده) صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهى المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب (وذكر) أى جابر رضى الله تعالى عنه فى حديثه هذا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أى بالشجرة الاخرى التى كانت بالوادى (مثل ذلك) أى مثل مافعل بالاولى بان أمسك غصنا منها حين انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة (حتى اذا كان) صلى الله تعالى عليه وسلم أى حل ووجد (بالمنصف) بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة أى حل فى وسط المكان (بينهما) أى بين الشجرتين وهذا أسترله (قال التئما) بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة أى انضما واجتمعا (على باذن الله فالتأمتا) بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عنده من لايغض بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لاينافى كون هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم فان اللازم التستر باى وجه كان (وفى رواية أخرى) لحديث جابر رضى الله تعالى عنه من غير طريق مسلم (فقال) صلى الله عليه وسلم (ياجابر قل لهذه الشجرة) التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحقى بصاحبتك) أى تحركى واذهبى حتى تكونى مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما فى واد واحد أو باعتبار ما يؤول بعد اللحوق والانضمام (حتى اجلس) لقضاء الحاجة مستترا (خلفكما فزحفت) بزاى معجمة وحاء مهملة وفاء وفى نسخة فرجعت براء وعين مهملتين بينهما جيم (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) أى بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضى الله تعالى عنه (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة أى أسرع فى العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهرى الحضر بالضم العدو يقال أحضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع المزيد للمتكلم كأكرم يكرم (وجلست أحدث نفسى) حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة الشريفة التى شاهدها رضى الله تعالى عنه من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما أسرع وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة فى التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تأدب ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله تعالى عليه وسلم منتظر البعده عنه (فالتفت) أى حولت وجهى وأنا جالس الى جانبه لانظر ماحدث بعد الحدث (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا) اذا فجائية أى فاجأنى بغتة بعد التفاتى فابصرته ومقبلا اسم فاعل من الاقبال مرفوع خبر رسول وفى نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر أى جاء مقبلا والجملة خبر المبتدأ والحال مؤكدة كولى مدبرا (والشجرتان قد افترقتا) وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهى جملة اسمية حال من الضمير المستتر فى قوله

(فقامت كل واحدة منهما على ساق) أى فى منبتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) أى خفيفة (فقال برأسه) أى فاوماله أى فاومأبه الى الشجرتين (هكذا يمينا وشمالا) تفصيل لما قبله اجمالا ولعله كان وداعا للشجرتين أولمن هنالك من الملائكة واما قول الدلجى وقد تبعه التلمسانى اذنا منه لهما بالرجوع الى مكانهما فيأباه الفاء كما لا يخفى على أهل الوفاء (و روى اسامة بن زيد نحوه) أى كما رواه البيهقى وأبو يعلى بسند حسن عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) أى غزواته (هل تعنى) بالفوقية أى تقصد وتعين (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لقضاء حاجته فيه وتصحف الدلجى وضبط لفظ تعنى بالتحتية وتكلف بقوله هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه ومن ثمه بينه الراوى بقوله يعنى مكانا لحاجته نعم هذا انما يصح بناء على نسخة هل ترى يعنى مكانا الخ وقد تبعه التلمسانى فقال أى ترى أوتجد وهو اما حذفه للعلم به وأما حذفه الراوى لانه لم يسمعه أولم يفهمه أولم يجده فى أصله انتهى وكله تكلف وتعسف مستغنى عنه (فقلت ان الوادى مافيه موضع بالناس) أى ليس فيه مكان مستقر بهم بل كله خال عنهم فما التفت الى كلامه حيث لم يكن على وفق مرامه (فقال هل ترى من نخل أوحجارة) أى ولو فى بعد وأغرب التلمسانى فى قوله ان بالناس معمول ان أى غاص أوملآن أوعامر أو كائن وكائن بعيد هنا ثم قال موضع يستتر فيه أو يقضى الحاجة وحذف للعلم به (قلت أرى نخلات) بفتح الخاء أى (متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفى أصل التلمسانى مقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفى نسخة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامركن ان تأتين لمخرج رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لتستره بكن (وقل للحجارة) أى لجنسها من الحجارات هنالك (مثل ذلك) أى كما قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق) فيه تلويح الى جواز القسم بالامر العظيم ذكره الدلجى والصواب انه قسم بفعل الله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) أى ورأيت الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء أى متراكمة بعضها فوق بعض

مقبل (فقامت كل واحدة منهما على ساق) منتصبة فى منبتها مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر ومالا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلأ كما فصله أهل اللغة (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) يسيرة ينتظر لما أكرمه الله تعالى به من مشى الشجر لاجله (فقال برأسه) أى حركه (هكذا) وفسره بقوله (يمينا وشمالا) منصوبان على الظرفية أى فى جانب اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال أى ميل رأسه الشريف فى الجهتين قال فى القاموس قال ابن الانبارى يجىء قال لمعان تقول قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم ومال وأقبل الى آخر مافصله وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما فى الافهام وقيل انه اذن لهما فى الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر (وروى اسامة بن زيد) فى حديث أخرجه البيهقى فى الدلائل وأبو يعلى بسند حسن عنه (نحوه) أى بمعنى الحديث الذى قبله (قل) اسامة (قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى الغزاة أو محلها كما مر (هل) استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به أواستهجان ذكره أولانه لم يسمعه أولم يفهمه أولم يجده فى أصله أى هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة واليه أشار بقوله (تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحاجة هنا كناية عن البول والغائط (فقلت ان الوادى مافيه موضع بالناس) الباء سببية وما نافية أى مافيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملوء بهم (فقال هل ترى من نخل أوحجارة) مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل يقضى الحاجة خلفه و يكون فيه سترة ومن زائدة بعد الاستفهام (قلت أرى نخلات) جمع نخلة (متقاربات) أى قرب بعضها من بعض وهو مناسب للسترة بها للجلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهو لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا كثيرا وقرئ فى الشواذ فلا تكهر فى لا تقهر ورأى بصرية وكونها علمية بعيد فهى صفة نخلات منصوبة (قال انطلق وقل لهن) أى للنخلات (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين) أى تجتمعن و يتزايد قربكن ليكون أستر له (لمخرج رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لمكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه (وقل للحجارة مثل ذلك) أى مثل قولك للنخلات من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم لها ان تأتين لمخرجه وفى كلام اسامة لم يأمر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل أولانها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة (فقلت ذلك لهن) الفاء فصيحة أى فذهبت فقلت ما أمرنى به لهن (فوالذى بعثه بالحق) قسم أى بالدين الحق (لقد رأيت النخلات يتقاربن) أى يدنو بعضها من بعض (حتى اجتمعن) فى مكان واحد (والحجارة) بالنصب (يتعاقدن) أى ينضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض (حتى صرن ركاما) بضم الراء المهملة

(خلفهن) أي وراء النخلات (فلما قضى حاجته قال لي قل لهن) أي لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) أي ليفترقن أو مجزوم على جواب الامر مبالغة في تأثيره لهن نحو قوله تعالى قل للذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (والذي نفسي بيده) وغاير بين القسمين تفننا (لرأيتهن) أي النخلات والحجارة (يفترقن) أي بجميع أفرادهن (حتى عدن) بضم العين أي صرن على حالهن ورجعن (الى مواضعهن وقال يعلى ابن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فالف فموحدة أمه وأبوه مرة وله صحبة أيضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفي تجريد الذهبي أن يعلى بن مرة بن وهب الثقفي بايع تحت الشجرة وله دار بالبصرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره في التهذيب فجعلهما واحدا وكذا المزي جعلهما واحدا

ثم قال وزعم أبو حاتم انهما اثنان انتهى وسيأتي قريبا في كلام المصنف ما يؤيد الاول وقد روى حديثه هذا أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عنه انه قال (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) أي سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) يعلى (فأمر) أي المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية أي نخلتين صغيرتين وضبطهما الشمني بفتح الواو فسكون الدال وتخفيف الياء (فانضمتا) أي اجتمعتا وفي أصل الحجازي فانضما قال وصححه المزي بالتأنيث وكذا رأيته في النسخ المصححة (وفي رواية اشائتين) بفتح الهمزة والشين المعجمة الممدودة بمعنى وديتين وضبط في نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما في كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفي) بفتحتين نسبة الى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة أسلم بعد الطائف وله عشر نسوة فأمره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمسك أربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز الى انه يختار أربعا كما شاء وفقهاء العراق الى ان يمسك الاربع التي تزوجها أولا وهو ممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال له كسرى ذات يوم أي ولدك أحب اليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وأنتم من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر وكان شاعرا توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (مثله) أي نحو ما سبق مروي غيره (في شجرتين) أي من اجتماعهما وافتراقهما

أي بعضها فوق بعض (خلفهن) متعلق بركاما والضمير للنخلات يعني ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفي نسخة لخامس خلفهن فالضمير للنخلات والحجارة (فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن) أي يرجع كل نخلة وحجر الى موضعه الذي كان فيه أولا (فوالذي نفسي بيده) أي الله الذي روحي في قبضة تصرفه وارادته ان شاء أبقاها وان شاء أماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين القسمين تفننا مع مناسبة الاولى للقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثاني لحاله من ان من آمن بالله وخشيه لا يتكلم الا بالحق لا سيما فيما ذكر (لرأيتهن والحجارة) بالنصب عطف على الضمير وهو مفعول معه والضمير للنخلات واللام في جواب القسم (يفترقن حتى عدن الى مواضعهن) وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم في سعي النخل والحجارة بأمره مرتين وخلق الله تعالى فيها قوة تسمع وتأتمر بأمره والحديث طويل وفيه معجزات أخر من اتيان امرأة له صلى الله تعالى عليه وسلم بولد لها صغير كان يصرع فتفل في فيه فلم يعد له ذلك وان أمه أتت له صلى الله تعالى عليه وسلم بشاة فسواها أسامة له فقال له ناولني منها ذراعا فناوله ثم قال ذلك فناوله ثم قال فقال أسامة انها ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناولني منها وكان ذلك في سفره للحج بمحل يقال له الروحاء (وقال يعلى ابن سيابة) في حديث صحيح رواه أحمد والبيهقي والطبراني ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وألف وموحدة يليها هاء اسم أمه فيرسم ابن بالالف وأبوه مرة بن مرازم وقيل مرة بن وهيب الثقفي وقيل انهما اثنان وهو صحابي بصري أو كوفي وترجمته مفصلة في الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من أهل الشجرة (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) بفتح الميم مصدر ميمي أو اسم زمان أو مكان قيل والاول أولى (وذكر نحوا من هذين الحديثين) اللذين قبله في ذهابه لقضاء حاجته وأمره للشجرتين غير انه قال (وذكر فأمر وديتين) تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل التي تخرج من أصول كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا (فانضمتا) أي انضمت احداهما للاخرى كالذي مر (وفي رواية اشاءتين) بفتح الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطأ وشين معجمة وألف ممدودة وهمزة وتاء تأنيث مثنى اشاءة وهي من صغار النخل أيضا لكنها أكبر من الودية وهمزة الثانية منقلبة عن ياء وقيل أصلية (وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين) وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن

(وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله في غزاة حنين) بفتح الغين أي غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو أبوه (وهو ابن سيابة) وهي أمه (أيضا) أي هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) أي يعلى (أشياء) أي من خوارق العادات (رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمي طلحة (أو سمرة) تقدم انها بضم الميم وانهما من شجر الطلح فاوشك من الراوي كذا قرره الشراح وأرادوا الشك في رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون أو بمعنى بل (جاءت) أي احداهما أو أخراهما (فاطاقت به) أي ألمت به وقاربته على ما في القاموس وفي أصل الدلجي فطافت به أي دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى

منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي الشجرة المذكورة (استاذنت) أي ربها (ان تسلم علي) أي فاذن لها فجاءت وسلمت (وفي حديث عبد الله بن مسعود) أي عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون أي أعلمت (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) أي باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعوا له) أي لقراءته أو لكلامه (شجرة) فاعل آذنت وهي سمرة على ما في بعض السنن قال الدلجي وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته انتهى وفيه انه ثبت تصريح بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم للقراءة عليهم وقد أخبر

عم

ببعض صورهم مما رآه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة في حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود) نقل الحافظ العلاء عن أبي زرعة انه مرسل ولا مضرة فانه عند الجمهور حجة (في هذا الحديث) أي المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) أي بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) أي الحاضرة (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ في تعالوا بالضم وأغرب التلمساني حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها أي ارتفعي الى عن مقامك واطلبي من عندي مرامك

عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر أسلم بعد الطائف وتوفي في آخر خلافة عمر وهو الذي أسلم على عشر نسوة وفي هذه الرواية لم تعين الشجرتان (وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين) اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من أمر الشجرتين (وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا) اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم أبيه كما سمعته آنفا وان سيابة اسم أمه (وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ذكر ابن سيابة أمورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الغزوة (فذكر ان طلحة أو سمرة رضي الله تعالى عنهما) بفتح المهملة وضم الميم كما مر نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمى العضاة وأو للشك من الراوي في تلك الشجرة (جاءت فطافت به) صلى الله تعالى عليه وسلم أي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو بمعناه يقال طاف وأطاف ويطوف واستطاف بكذا اذا ألم به ودار حوله وأما كونه من الطوف بمعنى الغائط ويقال منه أيضا طاف وأطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه أسند الى الشجرة مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة ولا يناسب قوله بعده (ثم رجعت الى منبتها) أي موضعها الاول الذي نبتت فيه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي تلك الشجرة (استاذنت ان تسلم علي) أي استأذنت ربها ويجوز ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من الله تعالى ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للتغوط كما قيل (وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه) الذي رواه الشيخان مسندا (آذنت) بالمد بمعنى أعلمت وفاعله شجرة الآتي وقوله (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعوله و(بالجن) متعلق به أي بحضورهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم واستماعهم منه القرآن (ليلة استمعوا له) منصوب على الظرفية أي في الليلة التي استمعوا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن (شجرة) وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة وأعلمته بحضورهم واستماعهم وفي هذه القصة كلام سنفصله (وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث) الذي رواه الشيخان (ان الجن قالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اجتمعوا به (من يشهد لك) بانك رسول الله (قال هذه الشجرة) ثم دعاها للشهادة فقال (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء التحتية وهو أمر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم

عم وصار بمعنى أقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشري وقال انه قرئ به في الشواذ وانه لغة وعليه قول أبي فراس وهو أسير يسمع تغريد حمامة شوقته لأوطانه * ومعاهد الفه واخوانه

أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتي هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * ولا خطرت منك الهموم ببالي
أتحمل محزون الفؤاد قوادم * الى غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور ويبكي طليقه * ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعي في الحوادث غالي

(فجاءت) امتثالا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال تعالى (تجر عروقها) لانها لما خرجت من محلها أخرجت عروقها التي كانت في داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها (لها) أي لعروقها أو للشجرة نفسها (قعاقع) أي صوت قوي كصوت الرعد وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل يجوز ان يراد به صوت كلام جهوري لما اذ أنطقها الله تعالى أو الصوت من شق الارض كما انها جاءت تخد الارض أو صوت اصطكاك أغصانها قال الحافظ العراقي حديث مجاهد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرسل نقلا عن شيخه العلائي وابن الصلاح (وذكر) مجاهد (مثل الحديث الاول) أي ما يشابهه لفظا ومعنى (أو نحوه) أي قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا لجمعه بينهما وقوله في أول الحديث ان الشجرة أعلمته بالجن يقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضي انه رآهم وخاطبهم ولا تناقض فيه لان القصة تعددت وتحقيقها كما في كتاب آكام المرجان في أحكام الجان انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أيس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراءته فآمنوا به وأتوا قومهم منذرين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى آخره وفي هذا القصة كما في الصحيحين لم يقرأ عليهم ولا رآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السماء تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله تعالى عليه وسلم نفر منهم من جان تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه فلما سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا وأخبروا قومهم وأنزل الله عليه قل أوحي الى السورة كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال البيهقي وهذا كان في أول أمر ولم يرهم وأتاه مرة أخرى داعي الجن فرآهم وقرأ عليهم كما رواه ابن مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما الذي أعلمه بهم الشجرة وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود أعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلي رحمه الله تعالى انهم كانوا يهودا لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف في عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب أحد منكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل حراء وقال أتاني الليلة داعي الجن فذهبت معه

(فجاءت تجر عروقها) أي من محل أصولها (لها) أي لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهي حكاية حركة شيء يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) أي مجاهد أو ابن مسعود (مثل الحديث الاول) أي في مبناه (أو نحوه) أي باعتبار معناه من اتيان الشجرة وبيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل

(قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن

زيد) راعى الترتيب بينهم لا باعتبار مراتبهم بل على حسب روايتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة ويعلى على ابن مسعود والا فهو أجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وأنس بن مالك وعلى ابن أبي طالب وابن عباس) بناء على ما سيأتي عنهم قوله (وغيرهم) أي كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الائمة المذكورين هنا ومنهم عمرا وعمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) أي باعتبار مبناها أو معناها (ورواها عنهم من التابعين اضعافهم) أي في العدد لا في الرتبة (فصارت في انتشارها) أي فشو هذه القصة (من القوة حيث هي) أي على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف ويمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة الطائف) وهي كانت في السنة الثامنة بعد الفتح وبعد حنين وفي أصل الدلجي زيد وحنين (ليلا) أي

وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثار نيرانهم وذكر لنا ما أمرهم به من الزاد وهذه غير الليلة التي
أعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله
تعالى عليه وسلم لأصحابه من أحب منكم ان يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر أحد منهم غيري
فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لى برجله خطا أمرني أن اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرأ
فغشيته اسودة حالت بيني و بينه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر
ثم أتاني وفي هذه الرواية ان ابن مسعود قال سمعتهم يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ماذكر
من قصة الشجرة وماهنا من اعلامه لهم وخروجه معه الى آخره ومار وى عنه من انهم التمسوه وباتوا
بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقي انها واحدة لا يمكن فيه الجميع بين الروايتين
ويعينه مارواه أبو نعيم في دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها
بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن
عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية
كانت بأعلى مكة في الجبال والثالثة ببقيع الغرقد حضرها ابن مسعود رضي الله عنه وخط عليه الخط
والرابعة كانت مع ابن مسعود أيضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير والسادسة في بعض أسفاره
مع بلال رضي الله تعالى عنه ولكل منها احاديث مسندة أوردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف
في معناه مثله * أقول وفيما ذكرناه معجزات أخر منها انقياد الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم
باختيارهم وهي أعظم من تسخيرهم لسليمان عليه الصلاة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها
له وعودها لمحلها بعد خروج عروقها من منبتها وهو أمر خارق للعادة وفي الحديث فوائد منها كراهة
الاستنجاء بالعظم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن ذلك فيه ومنها ان غيره صلى الله تعالى عليه
وسلم من الانبياء بعث للجن كموسى عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم
رسول أم لا فقيل منهم رسولا يسمى يوسف وثمة فوائد أخر لا يسعها نطاق البيان هنا (قال القاضي أبو
الفضل) هو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه) وهذا فذلكة لما تقدم بقوله (فهذا ابن عمر) رضي
الله تعالى عنهما (وبريدة وجابر) بن عبد الله رضي الله عنهما (و) عبد الله (ابن مسعود ويعلى بن مرة
واسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلى بن أبي طالب و) عبد الله (بن عباس) رضي الله تعالى عنهما
(وغيرهم) الى قوله (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) يعني كلام الشجر (أو معناها) مما يدل على
ذلك (وقد رواها عنهم) أي عمن ذكر من الصحابة (من التابعين اضعافهم) لتعدد طرقهم والضعف
هو المثل أو المثلان (فصارت في انتشارها) أي اشتهار روايتها عنهم (من القوة حيث هي) يعني انها
نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حيث بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك
فيها أحد من العقلاء فحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير القصة مبتدأ خبره محذوف تقديره هي
معروفة مشهورة (وذكر ابن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة
جليل القدر (انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف) اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار
يقال ان جبريل اقتطعها من أرض صنعاء وهي المذكورة في سورة ن في قوله تعالى فطاف عليها طائف
من ربك وهم نائمون والطائف هو جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم أنزلها
حيث هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطائف وهذه الغزوة كانت في السنة
الثامنة من الهجرة (ليلا) متعلق بسار (وهو وسن) بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفي فقه اللغة في
مراتب النوم أوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التعفيق ثم الاغفاء ثم التهويم

من الليالي (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة ثم
مشبهة من الوسن بفتحتين وهو أول النوم ومقدمته ومنه السنة وأصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق في النوم بل هو نعسان

(فاعترضته) أي ظهرت في عرض وجهه (سدرة) أي وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) أي جاوز (بينهما وبقيت) أي تلك الشجرة (على ساقين) أي من غير التئام لهما (الى وقتنا) أي هذا كما في نسخة (وهي) أي تلك الشجرة (هناك) أي في طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت في زمانهم وأما في زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) أي ومن قبيل ما ذكر من اجابة الشجرة (حديث أنس) كما رواه ابن ماجه والدارمي والبيهقي عنه (أن جبريل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه) أي وقد رأى جبريل النبي عليهما الصلاة والسلام (حزينا) أي من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (أتحب أن أريك آية) أي علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) أي أحب أن تريني آية من آيات ربي ليطمئن قلبي (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) أي بعيدة كائنة (من وراء الوادي) أي الذي كان فيه والمعنى من قدامه أو خلفه (فقال) أي لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) أي فدعاها (فجاءت تمشي) أي اليه (حتى قامت) أي وقفت (بين يديه قال) كما (مرها فلترجع) أي الى منبتها كما في نسخة وفي نسخة الى مكانها أي فأمرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) أي مما كانت فيه أي في ابتداء حالها (وعن علي نحو هذا) أي الحديث الذي رواه أنس (ولم يذكر) أي علي (فيه) أي في مرويه وفي نسخة فيها أي في هذه الرواية (جبريل) يعني بل فيه (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه أبو نعيم عنه (اللهم أرني آية) أي معجزة أطمئن بها وأدفع الحزن عني بسببها ويكون من جملة نعتها (لا أبالي) أي لا أكترث ولا أحزن (من كذبني بعدها فدعا شجرة) أي فجاءته (وذكر) أي علي (مثله) أي مثل حديث أنس (وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه) أي لا لضيق حاله وقلة ماله فكان حزنه لامر دينه ومرضاة ربه فان قلت سبق في حديث هند ابن أبي هالة ان ابن القيم قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز أن يكون حزنه على الكفار لان الله تعالى قد نفاه عنه قلت لعل الحزن في الحديث المفسر هنا قبل النهي عن حزنه على الكفار على ان حزنه لتكذيب قومه لا يلزم أن يكون حزنا عليهم لجواز أن يكون لما نسبوه اليه مما هو معصوم منه وهو الكذب عليه

ثم الضرار ثم التهجاج وهو الهجوج يعني أنه صلى الله عليه وسلم نعس وهو سائر على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه (فاعترضته سدرة) أي وقع اتفاقا ان شجرة في طريقه أتت دابته لها بحيث كادت تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها الطريق أخرى (فانفرجت له نصفين) أي انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب (حتى جاز بينهما) أي بين النصفين (وبقيت) الشجرة شجرتين (على ساقين) قائمة (الى وقتنا) أي الى زمن أدركه ابن فورك (وهي هناك) أي في الارض التي فيها من الطائف (معروفة معظمة) لانها من آثار معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجه والبيهقي كما قاله السيوطي وهو (حديث أنس أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا) جملة حالية أي وقد رآه محزونا لعدم اطاعة قومه له في أول البعثة اذ عرض نفسه على القبائل (أتحب أن أريك آية) أي معجزة تزيل حزنك لانه اذا أطاع دعوته الجماد دل ذلك على ان الناس ستطيعه ولكن تأخيره لحكم خفية (قال نعم) أحب ذلك ليزول حزني واعلم أن الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي) الذي كان فيه مع جبريل (فقال) جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم (ادع تلك الشجرة) أي مرها بان تأتي اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فأمرها (فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم بمكان قريب منه (ثم قال مرها فلترجع) الى مكانها الذي كانت فيه فأمرها (فعادت الى مكانها) كما كانت (وعن علي) كرم الله وجهه (نحوه) قال السيوطي لم أجده عن علي وانما هو عن جابر رضي الله تعالى عنه (ولم يذكر فيها) أي في هذه الرواية (جبريل) وكلامه له (وانما) الذي فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اللهم أرني آية) أي معجزة ملزمة لمن رآها دالة على اني مستجاب دعوتي وينفذ بلاغي واللهم معناه يا الله كما فصل في النحو وتقدم منه ما فيه الكفاية (لا أبالي من كذبني بعدها) لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا أبالي بمعنى لا أعتد ولا ألتفت لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله تعالى في المجمل اشتبه على اشتقاق لا أبالي فرأيت قول ليلى الاخيلية

تبالى رواياهم هبالة بعدما * وردن الماء بالجم يرتمي

اذ فسر التبالي بالمبادرة للاستقاء يقال تبالى القوم اذا تبادروا الماء عند قلته وانتظار بعضهم لبعض فقولهم لا أبالي معناه لا أبادر الى اقتنائه بل أنبذه ولا أعتد به انتهى (فدعى شجرة وذكر مثله) من مجيئها ورجوعها (وحزنه) بالنصب أي التعب والكدر كما مر (لتكذيب قومه) له في أول أمره

(فطلبه) بالرفع أى واستدعاؤه (الآية) أى المعجزة (لهم) أى لاستقامة أمته أو اقامة حجته (لا له) أى لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه فى معرفته وعدم تردده فى طويته (وذكر ابن اسحق) أى امام المغازى وكذا رواه أبو نعيم عن أبى امامة (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد بن يزيد صحابى صارعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأما ركانة المصرى الكندى غير منسوب فختلف فى صحبته كذا حققه الفيروزآبادى (ومثل هذه الآية) أى المعجزة (فى شجرة دعاها) أى طلبها (فأتت) أى جاءت اليه (حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) أى الى محلها (وعن الحسن) أى برواية البيهقى مرسلا (أنه عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه من قومه) أى بعضهم (وانهم يخوفونه) أى بضربه أو حبسه أو اخراجه أو قتله (وسأله آية) أى علامة (يعلم بها) أى يزيد علمه بها ويطمئن قلبه بسببها (ان لا مخافة عليه) ان مخففة من المثقلة أى انه كذا ذكره الدلجى والظاهر ان ان هنا مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى يعرف بها عدم المخافة عليه من ايصال أذيتهم اليه (فأوحى اليه) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل وفى أخرى فأوحى الله تعالى اليه (أن ائت وادى كذا) وروى أرأيت وادى كذا أى أبصرت أو علمت وان مصدرية أو تفسيرية (فان

(وطلبه الآية لهم) أى لقومه المكذبين (لا له) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه على يقين من أمره وعلمه بقدرة ربه (وذكر ابن اسحق) مما رواه فى سيره ورواه أبو نعيم والبيهقى عن أبى امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية فى شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) كما ستسمعه قريبا فى الحديث الذى أذكره لك وركانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة وألف تليها نون وهاء وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المكى الصحابى الذى أسلم عام الفتح وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنين وأربعين وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة فى المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صارعه فصرعه وأما مصارعته لرجل آخر يقال له أبو جهل فلم تصح كما قاله المقدسى وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادى اضم بالمدينة وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له أنت الذى تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بينى وبينك لقتلتك ولكن ادع الهك أن ينجيك منى اليوم وأنا أدعوك لامر وهو ان تصارعنى وتدعو الهك وأدعو اللات والعزى فان غلبتنى فلك من غنمى هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعنى وانما غلبنى الهك وخذلنى اللات والعزى وما وضع جنبى على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتنى فلك على عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم دعاه ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمى تختارها فقال له لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان ترينى آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلى باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدى ركانة فقال أريتنى أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فقال أكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها بانى أجبتك لرعب قلبى منك ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لى بها وانطلق فلقيه أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقال له تخرج الى الوادى وبه ركانة فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أليس الله عصمنى وحدثه الحديث المار والحديث يقتضى جواز المصارعة الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب منه ذلك وانما أقره على مقالته ليريه آية رجى بها اسلامه أو انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تحريه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا كما علم وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح (وعن الحسن) فى حديث رواه البيهقى مرسلا وهو الحسن بن على رضى الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصرى رحمه الله تعالى (أنه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه) فى أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله (وانهم يخوفونه) كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك وهو عطف تفسيرى لان المراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور فى تبليغ ما أرسل به فلا ينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم على كمال يقين من الله فى رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس (وسأله آية) ومعجزة (يعلم بها ان لا مخافة عليه) ان هنا مخففة من الثقيلة وأصلها انه (فأوحى الله اليه ان ائت وادى كذا) من أودية مكة

(فيه شجرة) أي عظيمة وهي بالرفع مبتدأ خبره الجار قبله قال التلمساني أو بالنصب بفعل مضمر أي فانظر فيه شجرة أو أطاب انتهى ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل عليه قوله (فادع غصنا منها) أي من الشجرة أو أغصانها (يأتك) وفي نسخة يأتيك باثبات الياء على انه مرفوع أو مجزوم على لغة (ففعل) أي ماذكر (فجاء) أي الغصن منها (يخط الارض خطا) أي يشقها شقا باثرها في الاتيان اليه (حتى انتصب) أي وقف (بين يديه) أي امامه وقدامه وأغرب التلمساني حيث فسر انتصب بقوله حبس وغرابته من جهة المبنى والمعنى لاتخفى (فحبسه ماشاء الله) أي من زمان بقائه لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) أي على وجه خرق العادة (فرجع) أي يخط الارض خطا حتى قام بمنبته (فقال يارب علمت ان لامخافة على) أي بعد اراءتك لي هذه الآية وكان صاحب البردة أشار الى هذه الزبدة بقوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطر الما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(ونحو منه) أي من مروي الحسن كما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي بسند حسن (عن عمر رضي الله تعالى عنه) أي ابن الخطاب وفي نسخة عن عمرو أي ابن العاص (وقال) أحدهما (فيه) أي في مرويه أو وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه بعد قوله (اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر) وفي نسخة فذكر أي الراوي المختلف فيه بقية الحديث (نحوه) أي نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابي أرأيت) أي أخبرني (ان دعوت

(فان فيه شجرة فادع غصنا منها) أي غصنا وطرفا من أطرافها (يأتك) مجزوم في جواب الامر (ففعل) أي أتى الوادي ودعا الغصن كما أمر (فجاء يخط الارض خطا) أي يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم يخدو ويحتمل ان الطاء مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط أثر مشيه الذي يشبه خط الكتابة كقول الابوصيري

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطر الما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(حتى انتصب بين يديه) أي قام عنده (فحبسه ماشاء الله) أي جعله مدة من زمان أرادها الله قائما عنده (ثم قال له ارجع كما جئت فرجع) الى مكانه الذي كان فيه والتأم باصله (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (يارب علمت ان لامخافة على) بتسخير الجمادات لامتثال أمري الدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه (ونحو منه) أي فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي بسند حسن ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي (عن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (وقال) عمر (فيه) أي فيما رواه (أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها) أي لا أعتد وأهتم به لاطمئنان قلبي وذهاب خوفي (فذكر نحوه وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي مسندا (انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي أرأيت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى أخبرني وقل لي وهو مجاز مشهور ورأى فيه علمية أو بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة (ان دعوت) ان شرطية أي أمرت (هذا العذق) اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله (من هذه النخلة) وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذقا بفتح العين (أتؤمن باني رسول الله) أي أتؤمن بي وبما أرسلت به وتقر بذلك (قال نعم) أشهد بانك رسول الله (فدعاه) أي العذق بان أمره بالمجيء اليه (فجعل) أي طفق وصار العذق (ينقز) بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما في المحكم ففي الاقتصار على الضم قصور وآخره زاي معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقي وقال ان الاعرابي من بني عامر (حتى أتاه) ووصل الى مكان عنده بقربه (فقال) له (ارجع فعاد الى مكانه) الذي كان فيه (وخرجه) بالتشديد أي رواه بسند (الترمذي وقال هذا حديث صحيح) متنا وسندا

المعجمة أي هذا العذق) بكسر العين المهملة وسكون الذال العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ وهي العيدان التي عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) أي الحاضرة وأجابتني (أتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف ويكسر وبالزاي أي فشرع يثب اليه متوجها لديه (حتى أتاه) أي أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي) بتشديد الراء أي أخرجه في جامعه (وقال هذا حديث صحيح) ووقع في أصل الدلجي وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لروايته من طريقين احداهما تقتضي صحته والاخرى حسنه أو حسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد رواية أو حسن لغة صحيح حجة

(فصل) (في قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم ويعضد) بضم الضاد أي يقوي ويؤيد (هذه الاخبار) أي الاحاديث السابقة الواردة في كلام الاشجار ومجيئها الى سيد الاخيار (حديث أنين الجذع) وفي نسخة حنين الجذع أي شوقه اليه وبكاؤه لديه صلى الله تعالى عليه وسلم والجذع بكسر الجيم أصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجيء بقية القصة (وهو) أي وحديثه هذا (في نفسه) أي باعتبار مبناه مشهور أي عند السلف (منتشر) أي عند الخلف (والخبر به) أي بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) أي يفيد العلم القطعي لمن أطلع على طريق الحديث الاحادي المفيد بانفراده العلم الظني قال الحلبي وكذا قال غيره انه متواتر وقد أبعد التلمساني حيث قال أراد به التواتر اللغوي يقال تواترت الكتب أي جاء بعضها في أثر بعض من غير ان ينقطع والاول أظهر فتدبر وقد قال السهيلي حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف وكلهم نقل ذلك أو سمعه من غيره فلم ينكره أحد انتهى وسبه ما بينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء أي أخرجه (أهل الصحيح) أي ممن التزم الصحة في رواياته الواردة في كتابه كالبخاري ومسلم وان حبان وابن خزيمة (ورواه من الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح أي ثلاثة أو أكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها (منهم) أي بعضهم وهم عشرة منهم (أبي بن كعب) وهو أقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعي وابن ماجه والدارمي والبيهقي (وجابر بن عبد الله) أي الصحابي ابن الصحابي وسيأتي حديثه (وأنس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة والسلام وحديثه في الترمذي وصححه (وعبد الله بن عمر) وهو أشهر من ان يذكر (وعبد

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشتهر (في قصة حنين الجذع) الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس يقال حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قائما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما يأتي قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال المصنف رحمه الله تعالى هنا وهذا الجذع من سوار المسجد النبوي وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما يأتي في رواية جابر رضي الله تعالى عنه ولا بدع في ان يخلق الله تعالى فيه حياة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره (ويعضد هذه الاخبار) المذكورة في الفصل الذي قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أي يقويها ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها (حديث أنين الجذع) الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي تعبيره به اشارة الى أنه لحقه ألم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصوري في قوله

يا أسنا فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي أن حقيقة الحنين في الابل فتحن اذا فارقت أولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار وأهلها * وحنينه أبدا لاول منزل

وأما الانين فانه مما لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كأنين المريض فهو من عطف الخاص على العام فتنبه (وهو) أي حديث الجذع (في نفسه) بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه (مشهور منتشر) أي شائع بين الخلف والسلف (والخبر به متواتر) لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطئهم على الكذب (خرجه أهل الصحيح) أي رواه مسندا أصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح في قوله ان التواتر لا يكاد يوجد كما بينه في شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد في كتابه الاحاديث الصحيحة عنده (ورواه من الصحابة بضعة عشر) تقدم ان البضع من الثلاثة الى تسعة فما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند أهل اللغة وهو كما مر بكسر الباء وفتحها (منهم) أي من الصحابة الذين رووه مرفوعا (أبي بن كعب) كما رواه عنه الشافعي في مسند، وابن ماجة والدارمي والبيهقي (وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) كما رواه عنه البخاري (وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه) كما رواه عنه الترمذي وصححه (وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه عنه البخاري

(وعبدالله بن عباس) أى ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل ابن سعد) الساعدى رضى الله تعالى عنهما وحديثه رواه الشيخان (وأبو سعيد الخدرى) رواه عنه الدارمى (و بريدة) بالتصغير وقد سبق ذكره (وأم سلمة) أى أم المؤمنين رواه عنها البيهقى (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن أبى وداعة) بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار فى أخبار المدينة (كلهم) أى جميع المذكورين وغيرهم (يحدث) أفرد ضميره باعتبار لفظ كل أى يحدثون (بمعنى هذا الحديث) أى وان كانت ألفاظهم مختلفة فى باب التحديث وعلى هذا المبنى حصل التواتر فى المعنى (قال الترمذى وحديث أنس صحيح) أى اسناده (قال) وفى نسخة وقال (جابر) أى ابن عبدالله كما فى نسخة صحيحة (كان المسجد) أى مسجد المدينة وهو المسجد النبوى (مسقوفا على جذوع نخل) بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضى الله تعالى عنهما (وكان) وفى نسخة فكان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى دائما أو غالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) أى معين (منها) أى من تلك الجذوع (فلما صنع له المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار أو غيره من أثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهى الناقة الحامل أو التى أتى لحملها عشرة أشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر منه البكاء لما أحس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفى رواية أنس) أى وهى قوله فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور أى صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم أى اضطرب وارتعد (المسجد) أى باهله (لخواره) بضم الخاء المعجمة و بالواو وفى نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفى نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها ألف وهو أظهر فى هذا المقام باعتبار تمام المرام ففى القاموس جأر جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا واما الخوار بضم الخاء المعجمة من صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازى واما

(وعبدالله بن عباس رضى الله عنهما) كما رواه عنه أحمد فى مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمى والبيهقى (وسهل بن سعد) كما رواه عنه الشيخان (وأبو سعيد الخدرى) بالدال المهملة كما تقدم فى ترجمته رواه عنه الدارمى (وأم سلمة) أم المؤمنين كما رواه عنها البيهقى (والمطلب بن أبى وداعة) بفتح الواو والدال المهملة وألف وعين مهملة بعدها هاء ابن الحرث بن صبرة بن سعيد القرشى السهمى الصحابى ممن أسلم عام الفتح رواه عنه أحمد والزبير بن بكار (كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث) فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكأنه اشارة الى ان تواتره معنوى لا اصطلاحى لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه (قال الترمذى) صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته (وحديث أنس صحيح) انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفى صحة غيره حتى ينافى ما مر من رواية أهل الصحيح له أو لان فى بعض رجاله شئ (وقال جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنه) فى روايته (كان المسجد) أى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة (مسقوفا) اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو معروف (على جذوع نخل) جمع جذع وقد تقدم يعنى ان له سوارى وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) أى قام للخطبة (يقوم) مستندا (الى جذع منها) وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك فى استعمالهم كقولهم كان حاتم يقرى الضيف وقال الله تعالى وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به فى كتب العربية والاصول وفى وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به هنا (فلما صنع) بالبناء للمجهول وفى نسخة وضع (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (المنبر) بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه ورقاه لانه يرتفع القائم عليه به عن غيره (سمعنا لذلك الجذع) الذى كان يستند اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبه (صوتا كصوت العشار) بكسر العين المهملة وشين معجمة وألف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهى الناقة التى أتى عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع و بعد وضعها أيضا والمراد خوارها حين وضعها أو عقبه نزاعا لولدها اذا لم تره وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من ان الحنين أصله فى النوق والتشبيه به لشدته وانه لحزنه على مفارقته صلى الله تعالى عليه وسلم كما انه فى النوق كذلك و يزيده حسنا ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل (وفى رواية أنس) انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع (حتى ارتج المسجد) بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف أى أهله أو هو على ظاهره بان تتحرك حيطانه و جدرانه لشدة صوته اما حقيقة أو لظن ذلك ممن هو فيه (لخواره) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو بعدها ألف وراء مهملة بوزن فعال وهو

بالخاء المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا أعلم به رواية انتهى والحلبي جعله أصلا ونسب الاول الى نسخة فى الهامش واليمني اقتصر على الثاني وجوز الشمني الوجهين والحاصل ان رواية الجيم أعم وفى الدراية أتم والله تعالى أعلم (وفى رواية سهل) أى ابن سعد الساعدى (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) أى من الحنين والانين من جهة التبعد عن خدمة سيد المرسلين أو من خشيته من التنزل فى درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم ويجوز بفتح اللام وتشديد الميم كما قرئ بهما فى قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفى رواية المطلب) أى ابن أبى وداعة السهمى وزيد فى نسخة صحيحة وأبى ويشير اليه قول

بناء مطرد فى اسماء الاصوات والخوار فى الاصل كما قال الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه فى أصوات جميع البهائم وفى بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجأرون من جار اذا أفرط فى الدعاء تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد أى صاح (وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به) البكاء يمد ويقصر معروف وما موصولة والعائد محذوف أى رأوا بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئى حركته ونحوها والباء بمعنى فى أو سببية وفيه تجوز أى للذى رأوا أو آثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية (وفى رواية المطلب) ابن أبى وداعة (وأبى) بن كعب (حتى تصدع وانشق) عطف تفسيرى لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الرأس لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة فى شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله (حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى نزل عن منبره وأتى له (فوضع يده عليه فسكت) أى ترك خواره لما زال ألمه بقربه صلى الله تعالى عليه وسلم منه ومشيه له (زاد غيره) أى غير المطلب وهو فى رواية أبى بن كعب (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر) فقد كقتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود فهو أخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله أو الموعظة أو القرآن وجوز ان يكون نفس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أطلق عليه الذكر أيضا (وزاد غيره) أى غير الغير أو من ذكر (والذى نفسى بيده) قسم بالله على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده معناه بقبضة قدرته وتصرفه حياته ومماته متى أراد (لو لم ألتزمه) هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما فى الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه (لم يزل هكذا) أى له صراخ وجؤار (الى يوم القيامة تحزنا على) مفارقة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف (فامر به نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أمر بعض الصحابة باخذه أو بدفنه (فدفن تحت المنبر) وانما أمر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت فى الجنة كما سيأتى وان بعض أغصان الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض * واعلم ان سوارى المسجد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم معدودة مفصلة فى تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خشب أثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه أشجار وفى النجار الذى صنعه له صلى الله تعالى عليه وسلم أقوال كثيرة فقيل انه قبيصة المخزومى وقيل انه غلام للعباس

الحلبي وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد الدال اى تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجى وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) أى أتاه (أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) أى تسلية لما لديه (فسكت) أى حيث سكن اليه وسيأتى فى رواية انه عانقه بيديه (زاد غيره) أى غير المطلب ومن معه وقال الدلجى فى رواية الشافعى عن أبى بن كعب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين أى بعد (من الذكر) أى الموعظة البليغة فى الخطبة ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (وزاد غيره) أى غير ذلك الغير وفى رواية أبى يعلى عن أنس (والذى نفسى بيده) أى بتصرف قدرته وقبضة ارادته (لو لم ألتزمه) أى اعتنقه (لم يزل هكذا) أى باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاى اظهارا للحزن الزائد على الصبر (على رسول الله) أى على فراقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) وما أحسن من قال من بعض أرباب الحال

الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) أى حتى يقرب الى الذكر وما يتبعه من أثر الخير

(كذا في حديث المطلب) أي السهمي (وسهل ابن سعد) أي الساعدي (واسحق) أي ابن عبد الله ابن أبي طلحة وهو تابعي روى عن أبيه وعدة وعنه مالك وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة أخرج له الأئمة الستة (عن أنس) وهو عمه من أمه (وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف) أي في سقف المسجد شك من الراوي ولعل وجه التأنيث كونه جذع النخلة فاكتسب التأنيث من الاضافة وفي أصل التلمساني فدفن قال وفي طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقي انما دفنه وهو جاد لانه صار في حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت ولعل دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولا يحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق أول ليلة من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من أعظم مصيبة (وفي حديث أبي) أي ابن كعب (فكان) أي أولا (اذا صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى اليه) وهو (لا ينافي انه عند خطبته كان يعتمد عليه فلما هدم المسجد) أي عند ارادة تجديده وتوسيعه في تجديده وهو في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ليزيد فيه من جهة القبلة توسعة للامة أو في أيام اباحة يزيد المدينة في أحد الايام الثلاثة (أخذه أبي فكان عنده الى ان أكلته الارض) كذا في النسخة المصححة والمراد بها الدابة التي يقال لها الارضة سميت بفعلها وأضيفت اليه في آية سبأ بقوله دابة الارض تأكل منسأته قال المزي المشهور عند أهل الحديث الارضة

للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم أو باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الداري وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امرأة انصارية وقول الكرماني رحمه الله تعالى انه غلام لعائشة رضي الله تعالى عنها لا مستند له فيه وقيل انها عائشة الانصارية وقيل هي من بني سعد وكان وضع منبره صلى الله تعالى عليه وسلم في السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون التاسعة لانه أسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو أول منبر في الاسلام وكان له درجة ثلاثا ومن قال اثنتين أسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل انه كان أكثر من ثلاث وكان طوله أكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة في قيامه ولما حج معاوية رضي الله تعالى عنه كساه قباطي ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بني العباس واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل في تاريخ المدينة (كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن أنس) وفي بعض النسخ هنا وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف انتهى وضميره دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده أو لتأويل الجذع بالخشبة واسحق المذكور هو ابن عبد الله بن أبي طلحة الانصاري أخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره أو تسمح فيه لانه قيل دفن في يسار المنبر وروي دفن في المسجد (وفي حديث أبي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه) أي استقبله وجعله كالسترة للمصلى من المارين (فلما هدم) بالبناء للمجهول والهدم والهد نقض البناء ونحوه (المسجد) أي مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وهدمه في زمن عمر رضي الله تعالى عنه لان بنائه في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضي الله تعالى عنه وزاد فيه كما ذكر في تاريخ المدينة (أخذه أبي رضي الله تعالى عنه) هذا لا ينافي ما مر من انه جعل في السقف أو دفن تحت المنبر أو في المسجد قريبا منه لجواز وضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له تحت المنبر ثم رفع في السقف لئلا يداس بالارجل تكريما لاثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم حين الهدم أخذه أبي تبركا به (وكان عنده الى ان أكلته الارض) ووقع في رواية الارضة بفتحات وهي دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهي العثة وقال الامام المزني ان هذه الرواية هي المشهورة عند المحدثين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور لانها تبلى ما يدفن فيها فاستعير له الاكل أو هو بتقدير أي دابة الارض وهي تلك المتقدمة بعينها أو مصدر أرض يأرض أرضا اذا أكلته الارضة وبه فسر قوله تعالى دابة الارض تأكل منسأته كما ذكره السيوطي ولابن عنين

يا أهل مصر وجدت أيديكم * عن بسطها بالنوال منقبضه
لما عدمت النوال عندكم * أكلت كتبي كأنني ارضه

فليس في كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قاله القسطلاني * فان قلت هذا يخالف قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو لم التزمه بقي هكذا الى يوم القيامة وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى كل من عليها فان قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم يقع وهذا مع الحاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاءه على عدم فعله به ما فعله فاذا فعله تغير وفني وقد علم الله بما

(وعاد رفاتا) بضم الراء ففاء فتاء فوقية أى وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبى قوله الى أن أكلته الارض كذا ما فى النسخة التى وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور أعنى حديث أبى وهو مطول فى مسند أحمد وفيه الارضة وهى دابة تأكل الخشب وهو باختصار فى سنن ابن ماجه فى الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله فى السقف وينبغى ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان أكلته الارض عند أبى حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما أحسن مناسبة ما تحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل فى روضه (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وتكسر فراء ممدودة فهمزة فنون فياء نسبة الى بلد فى العجم فى خراسان وفى نسخة بنون بين يائين والظاهر ان المراد به أبو اسحق ويحتمل انه أبو خالد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق) بضم الراء وكسرها أى يشق (الارض فالتزمه) أى اعتنقه تودعا منه (ثم أمره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة لرجوعها الى معنى واحد فى المآل وما وقع فى ألفاظها من اختلاف الاقوال مما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت تقول الرجال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى خطابا للجذع (ان شئت أردك الى الحائط) أى البستان (الذى كنت فيه) أى أولا على حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول أى يخرج لك (عروقك) وتثبت فى محل أصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة أى ويتم (خلقك) أى خلقتك على ما عليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت أغرسك) بكسر الراء (فى الجنة) أى الموعودة (فيأكل أولياء الله تعالى من ثمرك) أى ثمرك (ثم أصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ألقى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع ما يقول) أى مما يرده عليه

ذكر (وعاد رفاتا) عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لامر كان عليه وهو أحد معنييه كما بين فى كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالفتات وهو ما تكسر وتفرق (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وألف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولى المتبحر فى سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو أبو اسحق لانه اذا أطلق فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كابى حامد وطاهر بن محمد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) أى دعا الجذع المذكور (الى نفسه) أى أمره بان يأتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع فى غير افعال القلوب وما الحق بها كما وقد أورد عليه نحو قوله وهزى اليك بجذع النخلة وصرهن اليك وقد أجيب عنه بما يطول وقد فصلناه فى السوانح والمقام يضيق عنه هنا (فجاءه يخرق الارض) أى يشقها بمشيه فيها (فالتزمه) واعتنقه (ثم أمره) بالرجوع لمحله (فعاد الى مكانه) الذى كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الرأى وهو امام ثقة على ان هذا رواه الامام البيهقى فى دلائله والحافظ أبو القاسم فى تاريخه عن العباس كما فى الشرح الجديد ولو وقف عليه المصنف عزاه له (وفى حديث بريدة) علم منقول من تصغير البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحرث بن الاعرج السلمى واختلف فى كنيته فقيل هو أبو عبد الله وقيل أبو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابى أسلم حين مر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة وأخرج له أحمد فى مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمى كما توهم فانه تابعى روى أحاديث مرسلة فظن انه صحابى وله ترجمة فى الميزان (فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) للجذع حين سمع حنينه (ان شئت) بتاء الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا (أردك الى) مكانك (الحائط الذى كنت فيه) هو فى الاصل اسم فاعل من حاطه اذا أحاط به ودار عليه ثم نقل للبستان نفسه الذى فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذى كنت فيه (ينبت لك عروقك) بدل من قوله أردك أو مستأنف لبيان علة الرد الى مكانه الذى نبت فيه (ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة) الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهى كالورق للنخل والثمر بمثلثة واحده ثمرة أى تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها (وان شئت) مفعوله مقدر أى غرسك فقوله (أغرسك فى الجنة) جواب الشرط مجزوم (فيأكل أولياء الله من ثمرك) معطوف على الجواب وهو مرتبط بقوله فالتزمه فى الكلام الذى قبله فخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية (ثم أصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصاد مهملة وغين معجمة أى أمال رأسه وقربها منه (يستمع ما يقول) أى ليسمع قوله

(فقال بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله تعالى) أى فى دار النعمة (وأكون) أى ثابتا وناب‍تا (فى مكان لا أبلى فيه) بفتح الهمزة واللام أى لا أخلق ولا أعتق ولا أفنى قال الحلبى ابلى بفتح الهمزة ووقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن مضموم الهمزة بالقلم ولا يصح قلت يصح أن يكون مجهولا من ابلاه متعدى بلى كما صرح باسناده صاحب القاموس (فسمعه) أى كلام الجذع (من يليه) أى يقربه والضمير له أى للنبى عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضى الله عنهما قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك ذكره التلمسانى (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) أى قبلت أو جزمت على هذا الفعل أو غرست كما أردت (ثم قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) أى البصرى (اذا حدث بهذا) أى الحديث (بكى وقال يا عباد الله الخشبة) أى مع كونها فى حد ذاتها ليست من أهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون أى تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) أى لمكانة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند سبحانه وتعالى أو لاجل مكانه المتبعد من مكانها (فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من أهل الفضائل

وألقى حتى فى الجمادات حبه

وما يحييه به وهو من الصغى بمعنى الميل كما علم يقال صغت الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء وأصغيته اذا أملته وأصغيت الى فلان ملت بسمعى نحوه وحكى صغوت اليه أصغو اصغوا وصغيت أصغى قاله الراغب (فقال) أى الجذع (بل تغرسنى فى الجنة) أى تصيرنى من غراس الجنة وتغرسنى بيدك (فيأكل منى) أى من ثمرى (أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه) أبلى كأفنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر وهو الفناء فاختار الحياة الباقية كسائر أهل الجنة وأشجارها وأبلى بفتح الهمزة وضمها خطأ (فسمعه من يليه) أى سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثانى يحتمل عوده له وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) بضم التاء للمتكلم أى أجعلك من غراس الجنة (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اختار دار البقاء) وهى الجنة كما تقدم (على دار الفناء) وهى الدنيا (فكان الحسن) البصرى التابعى الامام المشهور (اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة) يعنى الجذع (تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم تفسير الحنين (شوقا اليه) مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا أو مفعول له والاول أولى لان قوله (لمكانه) لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا أى الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهى جماد وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام فى العصا واحياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحياء عند الاشعرى وان قيل ان مجرد الصوت المسموع لا يستلزمه كما تقرر فى محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة أو بمعنى علو قدره وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشرنا اليه (فأنتم أحق) من الجماد (ان تشتاقوا الى لقائه) ونقل عن صاحب القاموس انه استأذن سلطان اليمن فى الحج وزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكتب اليه بكلام قال فيه انه صح فى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل بالمؤمن ان يمر عليه أربع سنين ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لى من الشوق ماشب عمره عن الطوق وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فما هو الاعظم فى جراب وقد بلغت دقاقة الرقاب الى آخر ما قاله وقلت أنا حين وقفت على ما كتبه

لم لا أحن الى المختار من اضم * والجذع حن اشتياقا بعد فرقته

انى لأعجب من خشب مسندة * ماهزها الشوق أحيانا لروضته

والشوق نزاع النفس للشئ والهيجان اليه ونقل ابن عطية فى سورة الكهف انه سمع الجوهرى الواعظ يقول كلب أحب أهل الخير نالته بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله فى كتابه فالخشبة تحن والكلب يحب وهذا عبرة لاولى الالباب وفقنا الله لما يقر[illegible] (رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص) بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص بن عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك وهو يروى عن جده وروى عنه أصحاب السنن وقال أبو

* فكانت لاهداء السلام له تهدى   وفارق جذعا كان يخطب عنده * فان أنين الام اذ تجد الفقدا

يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن أولى ان نحن له وجدا   اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا

(رواه) أى الحديث الذى مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (ويقال عبد الله بن حفص) قال الحلبى ويقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك يروى عن جده وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال أبو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر فى البخارى

(وأيمن) الحبشي مولى ابن أبي عمرة المخزومي قال الذهبي في الميزان ما روى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه أبو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد أخرج البخاري وحده لايمن (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعي يروي عن علي مرسلا وعن ابن عباس وأبي سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبي وقع في نسخة التي وقفت عليها الآن بالشفاء أبو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شئ لا أعرفه ولا أعلم أبا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابي غفاري وليس له شئ عن جابر فيما أعلم (وابن المسيب) تابعي جليل (وسعيد بن أبي كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفي نسخة بفتح فسكون وهو همداني وثق (وكريب) بالتصغير يروي عن مولاه ابن عباس وعائشة وجماعة وعنه ابناه

وموسى بن عقبة وطائفة وثقوه (وأبو صالح) أريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) أي الحديث الذي سبق (عن أنس بن مالك الحسن) أي البصري (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق بن أبي طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) أي مولاه وهو من اعلام التابعين (وأبو حية) بتشديد التحتية كلبي كوفي روى عن عمر وهناك أبو حية روى عن علي (ورواه أبو نضرة) وهو الذي سبق ذكره قال التلمساني وهو في الموضعين في الاصل بموحدة من أسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبي والانطاكي (وأبو الوداك) بتشديد الدال أي رويا الحديث المتقدم كلاهما (عن أبي سعيد وعمار ابن أبي عمار) بتشديد الميم أي روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وأبو حازم) بكسر الزاي وهو سلمة بن دينار الاعرج المديني أحد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) أي ابن سعد الساعدي كلاهما (عن سهل بن سعد) أي عن أبيه (وكثير بن زيد) أي الاسلمي أو الايلي (عن المطلب) أي ابن أبي وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضي مرو وعالمها (عن أبيه والطفيل بن أبي) بالتصغير فيهما كنيته أبو بطن لعظم بطنه (عن أبيه) أي أبي بن كعب (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (رضي الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه أخرجه) وفي نسخة خرجه (أهل

حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده (وأيمن) الحبشي والد عبد الواحد بن أيمن مولى بن أبي عمرة المخزومي وقد وثقه أبو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان خلط في ترجمته وأيمن منقول من أفعل التفضيل من اليمن وهو البركة (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس لنا أبو بصرة غير أبي نضرة واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي وأبو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي النضري له رواية عن ابن عباس وغيره وأخرج له أصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة تسع ومائة (وابن المسيب) سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان بائه تفتح وتكسر (وسعيد بن أبي كرب) بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان (وكريب) مثله الا انه مصغر وهو ابن رشد بن مولى ابن عباس (وأبو صالح) وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته (ورواه عن أنس بن مالك الحسن) البصري وقد تقدمت ترجمته (وثابت) البناني وقد تقدمت ترجمته (واسحق بن أبي طلحة) السابق بترجمته (ورواه عن ابن عمر نافع) أبو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له الستة (وأبو حية) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه يحيى الكلبي الكوفي الامام الثقة والد أبي جناب يروي عن ابن عمر ولهم أبو حية آخر يروي عن علي وترجمته في الميزان (ورواه أبو نضرة) السابق ذكره قريبا (وأبو الوداك) بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم ألف وكاف وهو جبر بن نوف البكالي وله ترجمة في الميزان (عن أبي سعيد) الخدري رضي الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته (وعمار بن أبي عمار) مولى أبي هاشم وهو ثقة أخرج له مسلم (عن ابن عباس وأبو حازم) بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة أحد الاعلام أخرج له الستة (وعباس) بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة وألف (ابن سهل) بن سعد الساعدي توفي سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على التسعين وأخرج له أصحاب السنن (عن سهل بن سعد) أبو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره (وكثير) بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة (ابن زيد) الاسلمي أبو محمد المدني وله ترجمة في الميزان (عن المطلب) السابق ذكره وروايته كثير عنه ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان (وعبد الله بن بريدة عن أبيه) عبد الله قاضي القضاة بمرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان (والطفيل) بصيغة تصغير طفل (ابن أبي عن أبيه) أبي بن كعب وكنيته أبو بطن لعظم بطنه (قال القاضي أبو الفضل) وهو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه فهذا) يعني حديث حنين الجذع (حديث كما تراه) يعني انه علم بما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه (خرجه أهل

الصحة)

الصحة) أي من أرباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة من ذكرنا) أي من اجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) أي زائد عليهم أو قدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) أي للاختصار أو لعدم الاستحضار أو لعدم الاشتهار (و) من دون هذا العدد) أي ويجمع أقل من هذا العدد المذكور وفي نسخة وبدون هذا العدد (يقع العلم) أي القطعي (لمن اعتنى بهذا الباب) أي اهتم بشأنه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة ويجوز تخفيفها أي من شاء من عباده (على الصواب)

(فصل) (ومثل هذا) أي ماذكر من حنين الجذع (وقع له في سائر الجمادات) أي بقيتها أو جملتها من غير النباتات التي هي قريبة من الحيوانات فهو في باب المعجزة أقرب وفي خرق العادة أغرب (حدثنا

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) وفي نسخة ابن محمد (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له أبو عمرو الداراني (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا أبو القاسم ثنا أبو الحسن القابسي) بكسر الموحدة (ثنا المروزي ثنا الفربري) بفتح الفاء ويكسر (ثنا البخاري) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) بتشديد النون المفتوحة (ثنا أبو محمد الزبيري) بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد ابن الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني أسد قال بندار ما رأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) أي ابن يونس ابن أبي اسحق اسمعيل السبيعي الكوفي أحد

الصحة) أي الثقات من المصنفين الذين التزموا في كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة (ورواه من الصحابة من ذكرناه) في هذا الفصل (وغيرهم من التابعين ضعفهم) بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي روى عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم (الى من لم نذكره) فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره (و) من (دون) وفي نسخة وبدون (هذا العدد) الذي ذكره (يقع العلم) أي يوجد العلم وتتفق صحته فكيف به (لمن اعتنى) أي اهتم به وتقيد (بهذا الباب) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (والله المثبت) بضم الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة أي توفيق الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته (على الصواب) وهو ضد الخطأ

(فصل ومثل هذا) من حنين الجذع واشتياقه ونطقه (في سائر الجمادات) أي جميعها أو بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبره ما بعده أو فاعل فعل مقدر أي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد بحديث رواه البخاري وهو ما أشار اليه بقوله (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) تقدم بيانه وترجمته قال (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط) بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المري توفي بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين وأربعمائة وكان متفننا في العلوم سمع من المهلب والداني وغيرهما قال (حدثنا المهلب أبو القاسم) والمهلب بصيغة المفعول هو ابن أبي صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم وسيأتي بيانه أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) علي بن محمد بن خلف الحافظ المغافري كما تقدم قال (حدثنا المروزي) أبو زيد كما تقدم قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه قال (حدثنا محمد بن المثنى) وهو محمد بن المثنى أبو موسى العنزي الحافظ الثقة الورع توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان قال (حدثنا أبو أحمد الزبيري) بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني أسد توفي في سنة ثلاث ومائتين قال (حدثنا اسرائيل) بن يونس بن اسحق السبيعي الكوفي أبو يوسف الثقة أخرج له الستة وتوفي في سنة اثنين وستين ومائة وترجمته في الميزان (عن منصور) أي عتاب بن المعتمر السلمي من أئمة الكوفة (عن ابراهيم) بن يزيد النخعي (عن علقمة) بن قيس تقدم بيانه (عن عبد الله ابن مسعود (قال) أي ابن مسعود (لقد كنا) معاشر الصحابة (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية أي في حال أكلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي غير هذه الرواية) يعني رواية البخاري وهو رواية الترمذي (عن ابن مسعود) أيضا (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الاعلام وثقه أحمد وغيره وضعفه ابن المديني وغيره أخرج له الأئمة الستة (عن منصور) أي ابن المعتمر أبو عتاب السلمي من أئمة الكوفة يروي عن أبي وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) أي ابن يزيد النخعي (عن علقمة) أي ابن قيس (عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال لقد كنا) أي نحن معشر الصحابة معه صلى الله تعالى عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا قد ساقه القاضي كما رأيت من رواية البخاري وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد أخرجه الترمذي في المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبي (وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفي أصل الدلجي وفي روايته عنه أيضا وقال كما في الترمذي (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أي قوله سبحان الله وهذا مما يستأنس به لان معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن أخرجه الترمذي عن ابن يسار أيضا من طريق آخر وفي قوله كنا الى آخره دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة أعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام وفي الدر المنثور للسيوطي ان كل شيء يسبح الا الكلب والحمار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به وأهل الظاهر أولوا الآية بلسان الحال كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المصنف رحمه الله هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته (وقال أنس) في حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا) أي مقدار ما يملؤ الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر أي ملء كف (من حصى) جمع حصاة وهي صغار الحجارة (فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفي نسخة في يده (حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أي وضعهن وهو استعارة شائعة في الاجرام الصعبة كصببنا الصبرة من المكيل وأصله في المائعات كالماء (في يد أبي بكر فسبحن) جملة حالية (ثم) صبهن (في أيدينا فما سبحن) وفي قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل أبي بكر رضي الله تعالى عنه على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ما سمع تسبيحهن أوان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول أولى (وروى مثله أبو ذر) رضي الله تعالى عنه رواه الطبراني والبيهقي والبزار والمثلية في مجرد تسبيح الحصى فلا ينافي قوله (وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان) رضي الله تعالى عنهما ولفظ هذا الحديث عن أبي ذر في دلائل البيهقي قال كنت أتتبع خلواته صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه فجاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسلم وجلس عن يمين أبي بكر رضي الله تعالى عنه ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر رضي الله تعالى عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا أخرجه الحافظ أبو القاسم في تاريخه مسندا عن أنس رضي الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفي رواية صبهن في أيدينا رجلا رجلا الى آخره وفي الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه فان كان تسبيحها في يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن أيضا وأجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة أولان خلافته أدركت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه رضي الله تعالى عنه مع ماله من المناقب * أقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية أبي ذر انه لم يكن ثمة غيره وما في رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم علي رضي الله تعالى عنه وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا (وقال علي) رضي الله عنه في حديث رواه الدارمي والترمذي بسند حسن (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أي تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال أنس) وفي نسخة وعن أنس كما روى ابن عساكر في تاريخه (أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى) أي حجارة دقاق (فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أي حولهن واضعا لهن (في يد أبي بكر فسبحن ثم) أي بعده وقعن (في أيدينا فما سبحن وروى مثله) مثل حديث أنس (أبو ذر رضي الله تعالى عنه) على ما رواه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي عنه (وذكر) أي أبو ذر (انهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما) ولعل القضية متعددة (وقال علي) وفي نسخة وعن علي (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فخرج الى بعض نواحيها) أي جهاتها وأطرافها (فما استقبله) أي ما واجهه (شجرة) وفي نسخة شجر (ولا جبل) أي حجر كما روي (الا قال له السلام عليك يا رسول الله) رواه الدارمي والترمذي بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله تعالى عليه وسلم من النبوة (وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام اني لاعرف) وفي رواية الآن (حجرا بمكة كان يسلم علي) أي يقول السلام عليك يا رسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) وقيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القاسي وقال انه الحجر المبني للجدار المقابل لدار أبي بكر قال السهيلي روي في بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت) أي شرعت (لا أمر) بفتح همز وضم ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولا شجر) وفي نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه) كما رواه البيهقي (لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) أي انقاد وتواضع له بنحو السلام أو سجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له أو كالملائكة لآدم عليه السلام بجعله قبلة (وفي حديث العباس) على ما رواه البيهقي أيضا (اذا اشتمل عليه) أي على عمه (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه) أي بني عمه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممدودة ريطة كالملحفة قطعة واحدة وأما قول الدلجي بهمزة ممدودة فسهو قلم من أثرهم نشأ له تبعا للحلبي في قوله بهمزة مفتوحة ممدودة (ودعالهم) أي للعباس وبنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب ويؤيد الاول قوله

فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله) وفي بعض النسخ فما استقبلته (شجرة) أي وقعت في مقابلة وجهه قريبا منه (ولا جبل الا قال له) كل واحد منهما (السلام عليك يا رسول الله) بان خلق الله تعالى فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة أيضا وهذا كما قاله ابن اسحق رحمه الله تعالى كان في بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته (وعن جابر بن سمرة) رضي الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه مسلم (اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي) أي يقول السلام عليك يا رسول الله ونحوه (قيل انه الحجر الاسود) فقد قال السهيلي وغيره روي في المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة في محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به الآن ويقولون انه الذي كان يسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه المعجزة أعظم من معجزة داود عليه الصلاة والسلام في قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن لانها لم تسبح بيده وفي يد من أراده من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما لانه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتأكيده بان وتنكيره اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ما الفائدة في ذكر حجر واحد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما أشار اليه بقوله (وعن عائشة) رضي الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه البزار في مسنده (لما استقبلني جبريل) عليه الصلاة والسلام أي نزل علي وأتاني (بالرسالة جعلت) أي صرت (لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله) تشريفا له وتطمينا وانها العموم رسالته وأمر بقربه الحجر كيف ينكره البشر (وعن جابر بن عبد الله) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البيهقي (لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في ابتداء بعثته (يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) أي انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام والسجود لغير الله سبحانه وتعالى انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد التصريح به في الحديث السابق ومثله لا يقال من قبل الرأي فلا حاجة الى ان يقال انه علم من باب الكشف ويحتمل ان الراوي شاهد ذلك في حال مروره معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث العباس) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البيهقي رحمه الله تعالى عن أسيد الساعدي (اذا اشتمل عليه) الضمير للعباس رضي الله تعالى عنه أي الحديث الذي ذكر فيه انه كان في وقت اشتمل أي ضمه (صلى الله تعالى عليه وسلم) في رداءه (وبنيه) وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذي له شقتان فان كان له شقة واحدة فهي ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وريط (ودعالهم) أي للعباس وبنيه (بالستر من النار) الستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبه بعد التجوز في

(كستره اباهم بملاءته) كأنْ قال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اباهم بملاءتي هذه (فامنت) بتشديد الميم أي تكلمت بكلمة آمين (أسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أي عتبته (وحوائط البيت) جمع

قوله (كستره) صلى الله تعالى عليه وسلم (اباهم بملاءته) اذ قال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اباهم بملاءتي هذه (فامنت) بفتح الهمزة والميم المشددة والنون أي قالت آمين طلبا الاستجابة دعائه (أسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهي العتبة وما يعلوه الداخل من الباب ومن المجاز وقعت الدمعة على أسكفة عينه أي جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه (وحوائط البيت) جمع حائط وهو معروف أي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه (آمين آمين) هو اسم فعل أمر بمعنى استجب وفيه لغات أشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروى قصرها وتشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور وآمين آمين اما معمول لمقدر أي وقالت آمين أو لامنت لتضمنه معنى القول وتكريرها اما على التوزيع أي قالت الاسكفة آمين والحوائط آمين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر وقوله آمين تأكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه في دلائل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا أبا الفضل لا تفارق أنت وبنوك بيتك حتى آتيك فان لي بكم حاجة فانتظروه فلما أتاهم قال كيف أصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فخمهم معه في ملاءته وقال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله وفي دلائل أبي نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة أبو الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم وسعيد وأم حبيبة أختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أوسهل * كستة من بطن أم الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل * عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث أهل الكساء في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لخمسة من أهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسنان في كسائه ويقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان معهم كما قيل أفضل من تحت الفلك * خمسة رهط وملك

وقال الخالدي أعاذلي ان كساء التقى * كسانيه حبي لآل الكساء

وقال أبو علي الضرير لمن وعده بكساء ثم اخلف

من غزل من هذا الكساء ونسج من * هل في عمان طرازه أم في عدن

ولاي وقت بعد ريح قرة * هبت وأمطار ألمت تحتزن

أم ذا كساء العز آل محمد * فالضن عن بذل له أمر حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا أعظم من المشبه به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل (وعن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطي لم أجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المصنف رحمه الله تعالى عليه (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بطبق فيه رمان وعنب) المذكور في اللغة ان الطبق يعني الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجاز الانه على هيأته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الآخرة لم يفن لقوله أكلها دائم لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة أولا (فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح) أي فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكره مع الجماد وهو مالا روح له مطلقا (وعن أنس) بن مالك رضي الله تعالى عنه في حديث رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه (صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر

حائط نعني الجدار أي وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كررا اما تأكيدا أو تقريرا لوقوعه مكررا أو باعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبني على الفتح ومعناه استجب أو افعل وفي حديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) أي الصادق (ابن محمد عن أبيه) أي محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل (بطبق) أي من سعف أو غيره (فيه رمان وعنب) أي من فواكه الدنيا أو الجنة (فاكل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من مجموعهما أو من كل منهما أو من طبقهما (فسبح) أي ما في الطبق عندا كله قال الدلجي لم أدر من رواه قلت يكفي انه رواه المصنف وهو من أكابر المحدثين ولولا ان الحديث له أصل لما ذكره ولذا قال القسطلاني في المواهب ذكره القاضي عياض في الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ أبو الفضل في فتح الباري (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين أي طلع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر

وعثمان

وعثمان أحدا) بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه وأخبر انه سيكون في الجنة (فرجف) الجبل (بهم) أي تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما لهابته صلى الله تعالى عليه وسلم أو لخوفه من الله تعالى أو انه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه (فقال اثبت أحد) بضم آخره من غير تنوين أي يا أحد فأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل أمره وهو محل الشاهد في هذا الحديث أي ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال (فانما عليك نبي) يعني نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (وصديق) يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه (وشهيدان) يعني عمر وعثمان رضي الله عنهما لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان بالشهادة اختصارا واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضربه برجله أي ركضه بها (ومثله) أي مثل الحديث الذي في أحد مارواه مسلم (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حراء) بالمد والقصر والتذكير والتأنيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة أميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه (وزاد) في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وأبي بكر رضي الله تعالى عنهم (ومعه علي وطلحة والزبير) وفي رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بدل علي (وقال) في هذه الرواية (فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد) أو هنا بمعنى الواو للتقسيم وبها عبر المصنف رحمه الله تعالى عند سياقه هذه الرواية فيما يأتي فقال أثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد ويأتي الكلام عليها ثمه وأراد بذلك مايشمل مافوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا الان عمر رضي الله تعالى عنه قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي رضي الله تعالى عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله تعالى عنه قتل بوادي السباع ظلما وطلحة رضي الله تعالى عنه اعتزل الناس فأصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اسكن حراء أو اهدأ حراء الى آخره كما رواه مسلم والترمذي ولم يذكر سعدا كما سيأتي (والخبر) الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنه (قال) عثمان رضي الله تعالى عنه في هذه الرواية (ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد) في رواية عثمان (عبد الرحمن) ابن عوف (وسعدا) ابن أبي وقاص (قال ونسيت الاثنين) تتمة العشرة وهما طلحة والزبير (وفي حديث) آخر رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة (سعيد بن زيد أيضا) ابن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرة (مثله) أي مثل حديث عثمان وفي الصحابة سعيد بن زيد أنصاري أسلمي وهو غير هذا لانه لا يعرف له رواية (وذكر) في هذه الرواية أيضا (عشرة وزاد نفسه) فيهم (وقد روي) في حديث الهجرة المذكور في السير ولم يسنده السيوطي هنا (انه) صلى الله عليه وسلم (حين طلبته قريش)

وعثمان رضي الله عنهم أحدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم أي اضطرب من هيبتهم وارتعد من خشيتهم (فقال اثبت أحد) أي يا أحد (فانما عليك نبي) أي ثابت النبوة (وصديق) أي مبالغ في ثبوت الصداقة (وشهيدان) أي ثابتان في مرتبة الشهادة وبمنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع في أصل الدلجي بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود في النسخ المعتبرة وفي أصل التلمساني أو صديق أو شهيد فهي كالواو للصاحبة أو للتفصيل (ومثله) أي مثل ماروى أنس في أحد روي (عن أبي هريرة في حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد) أي أبو هريرة (معه) أي مع ما ذكر (وعلي) أي قوله وعلي بالعطف على ماقبله والمعنى روي ومعه علي (وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد) وفي رواية وسعد ابن أبي وقاص بدل وعلي فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) أي الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان قال) أي عثمان ومعه عشرة من الصحابة (أنا فيهم وزاد) أي عثمان (عبد الرحمن) أي ابن عوف كما في نسخة (وسعدا) وهو ابن أبي وقاص (قال) وفي نسخة وقال أي عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير (وفي حديث سعيد بن زيد) أي كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه (أيضا مثله) أي مثل الخبر المروي قبله (وذكر عشرة وزاد) أي سعيد نفسه أي ذكرها فيهم (وقد روي) بصيغة المجهول أي في حديث الهجرة من السيرة (انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش

قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما في القاموس وفي النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل
عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب الى عرفات واما قول الشمني جبل بمزدلفة فغلط انه متصل بآخر مزدلفة واما قول
الحجازي جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فاظنه انه وقع سهوا وهو من أسمائه وليس بمراد

المخرج مهاجرا وأرسلوا اخلفه من يطلبه منهم (قال له ثبير) بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة
ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال أخر تسمى ثبيرا
كلها حجازية وسمي ثبيرا من الثبور وباسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمي باسمه (اهبط يا رسول
الله) أي انزل من على ظهري واذهب الى مكان آخر تختفي به عنهم ثم علل أمره بالهبوط والنزول منه الى
مكان آخر بقوله (فاني أخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله) بالنصب معطوف على يقتلوك
وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه
يستحق به العذاب أو لانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذي يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما
غضب على أرض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر أخرى حتى يوجه بان خوفه
بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحوه من التخيلات التي لا وجه لها كما قيل (فقال له حراء) اسم جبل كما تقدم
(الي يا رسول الله) بتشديد الياء المفتوحة تقديره ائت الي أو هو اسم فعل بمعنى أقبل وقال له ذلك لانه
ألهمه الله ان يقدره على ان ينشق له ويستتر في جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله تعالى عليه
وسلم وكان هذا قبل توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم الى غار ثور والذي اختفى فيه عند الهجرة (وروى
ابن عمر) في حديث رواه مسلم والنسائي وأحمد في مسنده وما ذكره المصنف هو رواية أحمد بلفظه (ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر) آية (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق تعظيمه
وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض أحبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على
أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع
ويقول أنا الملك أنا الله فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرأ وما قدروا الله الآية
ونحو منه في جامع الترمذي وقال الخطابي انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات أصابع وهو
منزه عن مثله ولذا قال (ثم قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما تلى الآية (يمجد الجبار نفسه)
أي يعظم وينزه ذاته وروي يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفي ذكره الجبار موافقة للقرآن
وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهي وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى
الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد في القرآن أيضا وليس من قبيل قوله تعلم ما في نفسي
ولا أعلم ما في نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما
خفي على كثير من الفضلاء يعني المقصود من الآية تعظيم كبريائه توفيقا للعباد على كنه ذاته فلذا قال
(أنا الجبار أنا الجبار) وكرره للتأكيد والتهويل (أنا الكبير المتعال) أي المتعالي في عظمته عما يخطر
بالعقول وحذف الياء في الوقف وهو جائز أي أنا الجليل المتكبر العلي الاعلى المنزه عن الجارحة
وفيه اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته (فرجف المنبر) أي
اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى قلنا) أي قال من كان حاضرا (ليخرن
عنه) أي ليقع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه أو لينهد المنبر وهذا
وما قبله من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو

هنا (اهبط يا رسول الله) أي انزل عني (فاني أخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله تعالى) أي بمشاهدة هذا الامر فوقي وتحمل هذا الفعل مني (فقال حراء الي) أي التجئ واصعد الي وارتفع لدي (يا رسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء (وروى ابن عمر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) أي على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) أي وما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا في ألوهيته ووصفهم اياه بما لا يليق بربوبيته (ثم قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم أي يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة وروي يحمد (يقول) كذا في نسخة وهو جملة حالية (أنا الجبار أنا الجبار) بالرفع باثبات التكرار وهو الذي يجبر العباد على وفق ما أراد

ويقهرهم بالفناء عن البلاء (أنا الكبير) أي العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازي أنا الجبار محل
مرتين وأنا الكبير يروى مرتين (المتعال) أي المتعال وهو الرفيع الشان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما من سمات
الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر) أي اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى قلنا ليخرن) بفتح اللام
والياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون أي ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) أي عن المنبر

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقى (قال كان حول البيت) أى على جدرانه ذكره الدلجى (ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل) بفتح الموحدة المخففة أو المشددة أى مستمرة (بالرصاص) بفتح الراء على ما فى القاموس قيل ويكسر (فى الحجارة) أى من أحجار البيت ولا يبعد أن تكون الاصنام موضوعة على حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه أيضا قال الدلجى وروى أبو يعلى نحوه أى عنه وانه قال (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أى المسجد الحرام وهو يطلق على الكعبة وما حولها من البقعة (عام الفتح) أى سنة فتح مكة (جعل) أى شرع (يشير بقضيب) أى بسيف لطيف أو عود ظريف (فى يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبى وفى رواية صحيحة بقضيب يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل أن يكون من حيثية طوله وعرضه أو من جهة انحراف فى وسطه (ولا يمسها) أى بيده تجنبا عنها الا بعدها كما ذكره الدلجى (ويقول) أى ما أمره الله به أن يقول (جاء الحق) أى ظهر الحق وأهله (وزهق الباطل) أى اضمحل وذهب أصله (الآية) أى ان الباطل كان زهوقا أى غير ثابت فى نظر أهل الحق دائما (فما أشار) أى به كما فى نسخة أى بقضيبه (الى وجه صنم الاوقع لقفاه ولا) أى ولا أشار به (لقفاه الاوقع لوجهه) أى سقط عليه هيئة مما أشار به اليه (حتى ما بقى منها صنم) أى الا خر ساقطا اما على وجهه واما على قفاه (ومثله فى حديث ابن مسعود) أى على ما رواه الشيخان عنه (وقال) أى ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين ويضم وهو أولى من عبارة الحلبى بضم العين ويفتح لما فى كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه مع ما فى الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر فى يسع ويضع ويدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد الاشارة لما سبق صريحا فى العبارة والمعنى يشير اليه فى صورة الطاعن لديه

محل الشاهد (وعن ابن عباس) فى حديث أخرجه الشيخان والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود أيضا (كان حول البيت) فى الجاهلية وقبل الفتح (ستون وثلثمائة صنم) اتخذها قريش آلهة يعبدونها من دون الله (مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة) أى قيدت أرجلها ومكنت فى الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهرى بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد فى كثير من الروايات (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أى مسجد مكة المشرفة (عام الفتح) أى فتح مكة (جعل) أى شرع وطفق (يشير بقضيب) وعصا كانت (فى يده اليها) أى الى الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير (ولا يمسها) بيده ولا بقضيبه لاستكراهه صلى الله تعالى عليه وسلم لها ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها (ويقول) حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف أى قائلا (جاء الحق وزهق الباطل الآية) والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت (فما أشار) بالقضيب (الى وجه صنم) أى ما هو على صورة وجه مقابل له (الاوقع) خر ساقطا (لقفاه) أى على قفاه فاللام بمعنى على كقوله

* وخر صريعا لليدين وللفم *

والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى فى حال من الاحوال الا حال سقوطه (ولا) أشار (لقفاه الاوقع لوجهه) أى أى جهة أشار صلى الله تعالى عليه وسلم اليها من الصنم وقع على مقابلها (حتى) سقطت كلها و(ما بقى منها صنم) قائم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده فى لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل أشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول البيت وأما ما كان فى جوفه فأمر باخراجه ولم يدخل صلى الله عليه وسلم البيت حتى أخرجت منه ومحيت الصور التى كانت فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه فى الصحيحين لان كلامه فى اطاعة الجمادات له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو أراد أحد قلعها لم يقلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله وأشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص (ومثله) أى مثل هذا الحديث وبمعناه (فى حديث ابن مسعود) الذى رواه الشيخان (وقال) أى ابن مسعود فى روايته (فجعل يطعنها) أى الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول أشهر وأفصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به وهى متقاربة والذى مر فى الرواية السابقة انه أشار اليها من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصا ونحوها وهذه الرواية تقتضى انه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها بأشار اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فأشار لبعض منها وطعن بعضا منها فلا تعارض فى الروايات

(ويقول) أى كما م به فى آية أخرى (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) أى ظهر الحق ولم يبق للباطل ابداء ولا اعادة أو ما يبدئ الصنم خلقا ولا يعيده أو لا يبدئ ضر الاهله فى الدنيا ولا يعيده فى العقبى (ومن ذلك) أى من قبيل ماذكر عن الجمادات (حديثه) أى خبره الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس أو جرجيس بزيادة ابن عبد القيس من نصارى تيماء أو بصرى ذكره ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (فى ابتداء أمره) أى أمر ظهوره (اذخرج تاجرا) ظرف لحديثه معه أو لابتداء أمره (مع عمه) أى أبى طالب وفيه انه لم يكن فى خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركنى وليس لى أحد فأخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفى هذه لقى نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفى كتب السير مسطورة فقوله تاجرا حال من عمه لا من ضمير خرج (وكان الراهب) أى بحيرا (لا يخرج) أى فى عادته (الى أحد) أى ممن كان ينزل المكان (فخرج) أى فى ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) أى شرع يطلب أحدا فى خلال من كان فى تلك المحال (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش) (ثم
أى من المشركين (ما علمك) أى ما سبب علمك به ويقربه عندربه (قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد) أى الاشجار والاحجار (الا لنبى وذكر القصة) أى على ما أوردها أهل الاخبار من انه قال وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه

(ويقول) معطوف أو حال بتقدير وهو يقول (جاء الحق) أى الدين الحق والتوحيد أو وعد الله بفتح مكة (وما يبدئ الباطل وما يعيد) الابداء الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة أخرى وما هنا جوز فيها أن تكون نافية أى ان الشرك هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفى أيضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه فى الصحيحين وقدم الاول لانه أوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهى مقبولة (ومن ذلك) أى مما ذكر من أمر الجمادات (حديثه) الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيراء واسمه جرجس ويقال جرجيس بياء ابن عبد القيس من نصارى تيما أو بصرى وهو ممن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفى المسئلة اختلاف ذكره البرهان فى النبراس وغيره وقيل ان بحيراء يهودى واسمه بفتح الباء مقصور ويروى مده وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية وهى الزهد فى المأكل وغيره لشدة رهبته أى خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى (فى ابتداء أمره) صلى الله تعالى عليه وسلم أى وهو صغير السن لم يبعث (اذخرج تاجرا) أى لاجل التجارة (مع عمه) أبى طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تتركنى وليس معى أحد فأخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة رضى الله تعالى عنها وميسرة هذا لم يذكر فى الصحابة وقدمات قبل البعثة وفى هذه الخرجة لقى راهبا آخر وهو نسطورا وقصته مشهورة أيضا ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى مالا يخفى وما قيل فى الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه أو حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم المستتر فى خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذى خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا (وكان الراهب لا يخرج) من صومعة له كان يترهب فيها (الى أحد) ممن يمر عليه من ابناء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش فى ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم (فخرج) على خلاف عادته لما نزل قريبا منه أبو طالب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معه وأبصرهم (فجعل) أى صار (يتخللهم) بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة أى يدخل فى خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما فى الصحاح (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أمسك بيده الشريفة (فقال هذا سيد العالمين) أى أشرف المخلوقات كلهم لما رأى فيه من الصفات التى علمها من كتبهم (يبعثه الله) أى يرسله لدعوة الكافة بعدما نبأه (رحمة للعالمين) أى لاجل رحمتهم جميعا بمجيئه بما يسعدهم فى الدنيا والآخرة كما تقدم (فقال له) أى للراهب (أشياخ من قريش) جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع فى الشريف المتقدم على غيره (ما علمك) بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة أى من أين عرفت هذا (فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له) وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم بأحوالهم فى السفر (ولا تسجد الا لنبى) تعظيما له اذا مر بها أو نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو فى حق العقلاء دون غيرهم كما عرفانهم لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له (وذكر القصة) الى آخرها مفصلة كما فى السير وشهرتها تغنى عن ذكرها

(ثم قال) أي الراهب أو الراوي (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال أنظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفي نسخة قد سبقوه (الى فيء الشجرة) بفتح الفاء وسكون التحتية بعدها همزة أي الى ظلها (فلما جلس مال الفيء) أي فيء الشجرة (اليه) فقال أنظروا امال الفيء اليه ثم قال أنشدكم الله تعالى أيكم وليه قالوا أبو طالب واذا بسبعة من الروم قد أقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبي قد خرج من بلاده في هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال أفرأيتم أمرا أراده الله تعالى أيقدر أحد يدفعه قالوا لا فأقاموا عنده ثلاثة أيام ولم يزل يناشد عمه حتى رده و بعث معه أبو بكر بلالا وزوده

الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر أبي بكر و بلال فيه وهم

* (فصل) *

(في الآية) أي الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع الكرامات ومنيع المعجزات (في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا أبي) قال الحلبي تقدم أبوه فاضبط في بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضي أبو يونس ثنا أبو الفضل الصقلي) بفتح الصاد وتكسر وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم ابن ثابت عن أبيه عن جده) أي كليهما (قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ثنا محمد ابن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح وقع في أصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس بن عمرو) بالواو وقال أبو معين ثقة

وقال أبو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها قال وسمعت شعبة ينكر ان يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي وحديثه عنها في الصحيحين وقد صرح في غير حديث بسماعه منها والله تعالى أعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما يألف البيت من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهي المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة صحيحة عندنا مؤخر (قر وثبت مكانه) أي الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) أي ولم يغير شأنه توقيرا له وتكريما وهيبة منه وتعظيما

(ثم قال) أي الراهب (فاقبل) صلى الله تعالى عليه وسلم للمنزل (وعليه غمامة تظله) دون من معه من رفقته (فلما دنا من القوم) المرافقين له الذين نزلوا قبله (وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس) صلى الله تعالى عليه وسلم (مال الفيء اليه) أي الى جانبه الذي جلس فيه والفيء هو الظل أو الظل بالغداة والفيء بالعشي لانه من فاء اذا رجع وهذا هو أصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الآخر والغمامة السحابة أو البيضاء والمراد الاول وخبر بحيراء صحيح روي من طرق صحيحة الا أنه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستقبلهم بحيراء وقال لهم ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم أرأيتم أمرا أراده الله هل يستطيع أحد رده قالوا لا فصدهم عما أرادوه وأقاموا معه ورده أبو طالب و بعث معه أبو بكر بلالا رضي الله تعالى عنهما وقال الذهبي انه حديث منكر وانما طعن فيه لان أبا بكر رضي الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث آخر والآفة فيه من رواته * وما آفة الاخبار الا رواتها *

*(فصل في الآيات في ضروب الحيوانات) * الآيات جمع آية وهي العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبي والضروب جمع ضرب وهو النوع (حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ قال حدثنا أبي قال حدثنا القاضي يونس) رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى أسمائهم فلا حاجة لتكرار المملّ (قال حدثنا أبو الفضل الصقلي) بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاوسى * تأجج نيران تذكارها

وكسر صادها خطأ وان ذكره البرهان ظنا منه عنده (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو) كذا في النسخ وقد سقط منه راو وصوابه حدثنا أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو كما في بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم وأصحاب السنن الاربعة وترجمته في شرحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومائة (قال حدثنا مجاهد) وفي نسخة عن مجاهد (عن عائشة) أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه (قالت) عائشة (كان عندنا داجن) من المداجنة وهي لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تألف البيوت وتعلف فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربى في البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزلها الذي تسكنه وكذا في قوله (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه) أي وقف أو ربض في مكانه

(واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) أي تردد واضطرب وهذا الحديث رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبراني
والبيهقي والدارقطني وهو صحيح وفي المدعى صريح (وروى عن عمر) رضي الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعارا بضعفه فقد قال
الحافظ المزي لا يصح اسنادا ولا متنا وقال ابن دحية انه موضوع لكن قال القسطلاني قد رواه الائمة فنهايته

لا يتحرك تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من منزله
(جاء وذهب) أي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رؤيته صلى
الله تعالى عليه وسلم اشتياقا لرؤيته وهذا حديث صحيح رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والبيهقي والدار
قطني وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لالف الحيوانات التي لا تعقل ومهابتها له وروى داجنة
بالهاء وراجن بالراء وقد علم ان قر من القرار وهو السكون وعدم الحركة (وروى عن عمر) بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروى أيضا عن عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة
وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في
محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى
جمع (من أصحابه اذ جاء اعرابي) أي دخل بغتة عليهم رجل من أهل البادية غير معروف (قد صاد ضبا)
جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة حيوان برى أكبر من الجرذ دون بيض والاعراب
تصطاده وتأكله (فقال) الاعرابي للصحابة (من هذا) سأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه
ينكره أو لم يعرفه (قالوا) له جوابا (نبي الله) أي هو نبي الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وليس قولك من هذا بضائره * البيت يعرف من أنكرت والحرم

(فقال واللات والعزى) وهما صنمان عبدا في الجاهلية وأصل اللات اللاء فحذفوا الهاء وأدخلوا تاء
التأنيث عوضا عنها وهو من لوى سمى به لالتوائهم في طوافهم حولها وكان بنخلة والطائف لقريش
وثقيف والعزى تأنيث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال ياعزى
كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد أهانك ثم أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك
العزى ولن تعبد أبدا واقسم الاعرابي بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله (لا آمنت
بك) أي بانك رسول الله (أو يؤمن بك هذا الضب) بنصب يؤمن أي الا أن يؤمن هذا الضب فأومن
أنا بك أيضا بعد رؤيته معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك وأو بمعنى الا أو الى غاية لانتفاء
ايمانه وهما مما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه وفي نسخة حتى بدل أو (وطرحه) أي رمى
الاعرابي الضب (بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم) أي في مقابلته قريبا منه (فقال) صلى الله عليه
وسلم (له) أي للضب (يا ضب) بالضم لانه منادى مفرد (فاجابه بلسان بين) كلامه أو بكلام ظاهر
مفهوم (يسمعه القوم) الذين عنده (جميعا لبيك) أي اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على
المصدرية كما بينه النحاة (وسعديك) أي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب
وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة (يا زين من وافى القيامة) أي من تزين وتحسن من
كل من جاء الى القيامة والموافاة الحضور والمجيء والقيامة معروفة وانما جعله زينا أي مزينا
لاهلها ومن بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة
شائعة في لسان عامة العرب فيقولون يا زين القوم لاشرفهم وأحسنهم (قال) رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم للضب (من تعبد) سأله ليقر بعبوديته لله فوصفه بما يعرفه كل أحد (قال)

الضعف لا الوضع فمن رواه الطبراني والبيهقي قال وروى أيضا باسانيد عن عائشة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وماذكرناه ومثلها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل) بفتح الميم وكسر الفاء أي مجتمع (من أصحابه اذا جاء اعرابي قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب وأطول الحيوان روحا بعد ذبحه ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول في كل أربعين يوما قطرة (فقال) أي الاعرابي (من هذا قالوا نبي الله فقال واللات) بواو القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبدونهما في وسط الكعبة (لا آمنت بك) أي بنبوتك ورسالتك وفي نسخة لا أومن بك (أو) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب أي الى أن يؤمن أو حتى يؤمن كما في نسخة (بك
هذا الضب) أي فأومن أنا أيضا بك حينئذ (وطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ألقى
الضب بين جهتي يديه يعني قدامه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ياضب فاجابه بلسان مبين) أي بين أو مبين حروفه (يسمعه
القوم جميعا لبيك) أي اجابتي لك مرة بعد مرة (وسعديك) أي ومساعدتي لطاعتك كرة بعد كرة (يازين من وافى القيامة) أي يا زينة من
أتاها وحضر (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام له (من تعبد) أي ممن يسمى الها (قال)

أعبد

أعبد (الذي في السماء عرشه) وهو في الاصل سرير الملك والعرش والكرسي اجمالا معلوم وتحقيقه في كتب التفسير والمراد بالسماء ما يقابل الارض أو جهة العلو مطلقا فلا ينافي ما ورد من انه فوق السموات كما قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وللكلام في هذا مقام آخر لا تحيط به ظروف الحروف (وفي الارض سلطانه) أي في الارض ومن فيها ظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر فيهما والسلطان في الاصل مصدر من التسلط والقهر (وفي البحر سبيله) أي طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال الله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيهما سواه كما قال الله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (وفي الجنة رحمته) المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والآخرة (وفي النار عذابه) وفي نسخة عقابه فلما آمن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ليكمل ايمانه (فمن أنا) أي اذا آمنت بي فمن انا (قال رسول رب العالمين) اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات (وخاتم النبيين) فلا نبي بعدك كما تقدم (وقد أفلح) وفاز بسعادة الدارين (من صدقك) وأقر برسالتك (وخاب من كذبك) بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك (فاسلم الاعرابي) لما رأى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله تعالى والاقرار برسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقي وفيه ان الاعرابي من بني سليم وانه كان ذاهبا بالضب ليشويه ويأكله فلما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له معه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اسلامه قال لا أتبع أثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض أبغض الي منك وأنت اليوم أحب الي من نفسي وولدي فلما أسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي هداك ان هذا الدين يعلى ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقرآن ثم أعلمه الصلاة والقراءة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تسخير الحيوانات وانطاقها (قصة كلام الذئب المشهورة) التي رواها أحمد والبزار والبيهقي وصححها (عن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه هو سعيد بن مالك الصحابي كما تقدم (بينما راع) تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع أو كافة عن الاضافة فراع في محل رفع أو جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو معروف وقوله (يرعى غنما له) ذكره لبيان ان الغنم له فليس باجنبي وانه كان يرعى غنما فان الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان بن أوس وقد جرى عليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي وانه وقع مثل هذه القصة لابي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية في ذئب أخذ ظبيا ولابي جهل وأصحابه وفي حديث آخر ان الذئب أخذ شاة فتبعه الراعي فقال له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وان الذي كلمه الذئب اهبان بن أوس الاسلمي وقيل أهبان بن عقبة عم سلمة بن الاكوع أحد أصحاب الشجرة وقيل أهبان بن الاكوع وعند السهيلي انه رافع بن ربيعة وقيل هو أهبان بن عباد الخزاعي وقيل الذي كلمه الذئب سلمة ابن الاكوع ويأتي بيان ذلك كله وقيل أهبان ابن صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه الذئب رافع بن عميرة الطائي كلمه الذئب وهو في ضأن له يرعاها ودعاه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره باللحوق به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

رعيت الضأن أحميها زمانا * من الضبع الخفي وكل ذئب

الذي في السماء عرشه) أي ملكوته سبحانه (وفي الارض سلطانه) أي ملكه المظهر شانه (وفي البحر سبيله) أي طريق آياته ولعله من باب الاكتفاء فان في البر كثيرا من عجاباته (وفي الجنة رحمته) أي ثوابه من أثرها للطيعين (وفي النار عقابه) أي من أثر سخطه للعاصين (قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) أي آخرهم وهو بفتح التاء على ما قرأ به عاصم بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبينا ختم النبيين (وقد أفلح) أي فاز (من صدقك) بتشديد الدال أي أطاعك (وقد خاب) أي خسر (من كذبك) أي عصاك (فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن أبي سعيد الخدري) كما رواه أحمد والبزار والبيهقي وصححه (بينا) وفي نسخة بينما على ان ما زائدة كافة واما الف بينا فقيل هي اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور (راع يرعى غنما له

عرض الذئب لشاة منها) أى وقت رعى غنمه فاجاء عروض الذئب أى ظهوره فى تعرضه لشاة من جملة قطيع الغنم (فاخذها) أى الراعى (منه فاقعى الذئب) أى ألصق أسته بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض (وقال للراعى ألا تتقى الله) أى أما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار الداخل على النفى المقيد لتحقق ما بعده كما ذكره الدلجى (حلت بينى وبين رزقى) بضم الحاء أى منعت رزقى عنى وهو جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعى العجب) أى كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) أى فى مقام الانس (فقال الذئب ألا أخبرك باعجب من ذلك) أى وأغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهى ارض ذات حجارة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفى نسخة صحيحة ما بدل من وانما كان أعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره) أى بكلام الذئب له فقال النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم له) أى للراعى (قم فحدثهم) أى الحاضرين والغائبين (ثم قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعى أو قبله (صدق) أى الراعى فى قوله وبالحق نطق فى نقله (والحديث فيه قصة) أى طويلة أو عظيمة وهو الاظهر لقوله (وفى بعضه طول) أى فى بعض ألفاظه طول أى ليس هذا محل بسط تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه ثم وسوطه بما احدث أهله بعده وفى رواية قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث أهله بعده (وروى حديث الذئب عن أبى هريرة) أى من طرق (وفى بعض الطرق عن أبى هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك) حال

فلما ان سمعت الذئب نادى * يبشرنى باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبى * عن الساقين قاصدة الركيب
فالقيت النبى يقول قولا * صدوقا ليس بالقول الكذوب
فصيرنى لدين الحق حتى * تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضىء حولى * أمامى ان سعيت وعن جنوبى
الا ابلغ بنى عمرو بن غوث * واخوتهم جذيلة ان أجيبى
دعاء المصطفى لا شك فيه * فانك ان أجبت فلن تخيبى

وقد علم ان قصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (عرض الذئب لشاة منها) أى أتاها لاختطافها واخذها (فاخذها الراعى منه) أى أدركه وانتزعها من يده وردها (فاقعى الذئب) أى مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف فى اقعاء الكلب والذئب وللاقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء فى كتاب الصلاة (فقال) الذئب بعد اقعائه (للراعى ألا) حرف استفتاح هنا (تتقى الله) أى تخافه وتحذره (حلت) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح تاء الخطاب أى فصلت وفرقت (بينى وبين رزقى) الذى رزقه الله لى (قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس) وفى نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك (فقال الذئب) مجيبا له (ألا أخبرك باعجب من ذلك) أى من كلام حيوان أعجم (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وتاء تانيث مثنى حرة وهى ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة (يحدث الناس بانباء ما سبق) وفى نسخة من سبق أى الامم السابقة وأحوالهم وانما جعله أعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده أعجب من نطق حيوان أنطقه الله الذى أنطق كل شئ وكون الامر أعجب يختلف باختلاف الاسباب والانباء جمع نبأ وهو الخبر (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بكلام الذئب وقصته معه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للراعى قم) من عندى فاذهب الحاضرين (فحدثهم) بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته (ثم قال صدق والحديث فيه قصة) لما فيه من الغرابة وانه من أشراط الساعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما احدث فى أهله ولما لم يكن فى هذا الاستشهاد لما هو بصدده أسقطه واعتذر عنه بقوله (وفيه) أى فى بعض رواياته (طول) ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا (وروى حديث الذئب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) رواه أحمد والبزار والبيهقى وصححه والبغوى وأبو نعيم بسند صحيح (وفى بعض الطرق) بضمتين جمع طريق تجوز به عن الرواية (فقال الذئب) للراعى (أنت أعجب) أى حالك أعجب من حالى فى حال كونك (واقفا على غنمك) أى مراعيا

وحافظا

(وتركت) أي والحال انك قد تركت (نبيا) أي خدمته وصحبته مع انه نبي عظيم ورسول كريم (لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا) أي رفعة ورتبة (قد فتحت له أبواب الجنة) أي وكذا لمن تبعه من أكابر الامة (وأشرف أهلها) أي اطلع أهل الجنة (على أصحابه ينظرون قتالهم) أي في الغزوة وينتظرون وصالهم بالشهادة وحسن مآلهم في الجنة (ومابينك) أي والحال انه لاحائل بينك (وبينه الاهذا الشعب) بكسر أوله أي قطع هذا الوادي وهو ما انفرج بين الجبلين (فتصير في جنود الله) أي أحزابه المجاهدين (فقال الراعي من) وفي نسخة ومن (لي بغنمي) أي من يقوم لي برعاية غنمي (قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) أي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) أي الراعي (قصته) أي مع الذئب (واسلامه ووجوده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على وفق ما حكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين وسكون الدال المهملة أي ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر أي تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أي بتمامها وكمالها ما نقص شيء منها (فوجدها كذلك) أي كما أخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم الهمزة (ابن أوس) بفتح أوله أي وروى عنه أيضا (وانه) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (كان صاحب القصة) أي الحكاية (والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على ما في الروض الانف (وانه كان صاحب هذه القصة أيضا) فيه إيماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) أي في هذه الرواية

وحافظا لها (وتركت نبيا) أي وقد تركت الى آخره فالجملة حالية بتقدير قد (لم يبعث الله نبيا) من أنبيائه السالفة (قط أعظم منه عنده) وأجل (قدرا) ومنزلة عند ربه وهو تمييز لنسبة أعظم (وقد فتحت له أبواب الجنة) بتشديد تاء فتحت وتخفيفها أي هيئت وأعدت له والجملة حالية أيضا وقوله (وأشرف أهلها) يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال مأخوذ من الشرف وهو المكان العالي (على أصحابه ينظرون قتالهم) أي ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة (ومابينك وبينه الاهذا الشعب) بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لاعذر لك في التخلف عنه (فتصير في جنود الله) اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع [illegible] العجب من نطق الذي تعجبت منه (قال الراعي) للذئب لما أشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن لي بغنمي) أي اذا ذهبت اليه من يتكفل لي بحفظ غنمي حتى أجيء (قال الذئب أنا أرعاها) أي أحفظها وأحرسها (حتى ترجع) اليها من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (فاسلم الرجل) وهو الراعي (اليه غنمه) أي سلمها للذئب وتركها عنده (ومضى) الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر) له (قصته) مع الذئب وما كلمه به وما فعله معه (واسلامه) الغنم له (ووجوده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل) كما قال له الذئب (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما قص قصته عليه وأسلم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (عد الى غنمك تجدها بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أي بتمامها وكمالها لم ينقص منها شيء من قولهم أرض وفرة لم يرع نباتها (فوجدها كذلك) أي تامة غير ناقصة (وذبح للذئب شاة منها) جزاء له على صنيعه وارشاده له (وعن اهبان بن أوس) عطف على قوله عن أبي هريرة وهو بضم همزة اهبان وأوس بفتحها علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقي والبخاري في تاريخه عنه (وانه كان صاحب هذه القصة) المذكورة في كلام الذئب (و) انه (المحدث بها ومكلم الذئب) كما في الروض الانف وانه كان في غزوة ذي قرد (و) روى أيضا (عن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه) أي ابن الاكوع لاسلمة كما قيل ويجوز فتح همزة انه وكسرها (كان صاحب هذه القصة أيضا) يعني انها تعددت (و) كانت (سبب اسلامه) وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذئب في رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو أهبان بن الاكوع وعن الواقدي هو أهبان بن أوس الاسلمي الصحابي رضي الله تعالى عنه من أسلم نزل الكوفة وتوفي في خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذئب اهبان بن عبادة بن [illegible] بن كعب بن أمية بن نقطة بن خزيمة من أسلم وذكر جدي في التلقيح ان من اسمه اهبان أربعة اهبان بن الاكوع أبو عقبة واهبان بن أوس الاسلمي واهبان بن صيفي الغفاري واهبان بن عباد الخزاعي مكلم الذئب قال وقيل ان مكلم الذئب اهبان ابن أوس انتهى ولم يذكر في الرواية منهم سوى اهبان بن صيفي والحاصل ان مكلم الذئب على رواية هشام اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدي اهبان بن أوس الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان ابن صيفي الغفاري انتهى ففيه أقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت فلا

(بمثل حديث أبي سعيد) متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلاف في اسم الراعي المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن أوس السلمي أبو عقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من أصحاب الشجرة وقيل اهبان بن عباد الخزاعي وقيل اهبان بن صيفي وعن الكلبي هو اهبان بن الاكوع وعند السهيلي هو رافع بن ربيعة وقيل سلمة ابن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية واختلاف المراد باهبان في الرواية (وقد روى ابن وهب مثل هذا) أي مثل ماجرى في أخذ الذئب شاة (انه جرى لابي سفيان بن حرب) أي والد معاوية (وصفوان بن أمية) بالتصغير (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أي أراد أخذه (فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب) أي تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم أي فتعجبا (من ذلك) أي من انصرافه عما هنالك (فقال الذئب أعجب من ذلك) أي مما تعجبا (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) أي الى سببها وهو الايمان (وتدعونه الى النار) أي موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى عن مؤمن من آل فرعون ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لاجرم ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال أبو سفيان) أي لصفوان (واللات والعزى لئن ذكرت هذا) أي الخبر (بمكة) أي فيما بين أهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام أي بلا راع ولا حام كذا في النهاية ويقال حي خلوف اذا غاب رجالهم وبقي نساؤهم وقيل أي متغيرة أخذا من خلوف فم الصائم والمعنى ان أهلها بعد سماعهم هذا تغيرت أحوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق أحد منهم الا دخل في الاسلام وتعجبوا معهم ولعل هذا كان سبب اسلامهم في آخر أمرهم (وقد روى مثل هذا الخبر) أي الذي جرى لابي سفيان وأحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها (جرى لابي جهل وأصحابه) الا انه لم يسلم لما جرى لما سبق له من الشقاوة الابدية في كتابه هذا وعند ابن القاسم عن أنس كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك فشردت على منه غنمي فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت الرعاء خلفه فقال الذئب طعمة أطعمنيها الله تعالى تنزعونها مني فبهت القول فقال ماتعجبون الحديث وفي الروض أيضا في غزوة ذات السلاسل وهي في آخر الكتاب مالفظه وذكر في هذه السرية صحبة رافع ابن أبي رافع لابي بكر وهو رافع بن عمير وهو الذي كلمه الذئب وله شعر مشهور في تكلم الذئب له وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب ألا أدلك على ماهو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع وأسلم

خلاف وليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من أبي عقبة فليحرر (بمثل حديث أبي سعيد) الخدري أي روى سبب اسلامه بمثله (وروى) عبد الله (ابن وهب) السابق ترجمته (مثل هذا) المذكور من كلام الذئب (انه جرى) أي وقع واتفق (لابي سفيان بن حرب) والد معاوية وأم حبيبة المشهور رضي الله تعالى عنهم (وصفوان بن أمية) الصحابي المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من أشد الناس عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل اسلامهما فلما أسلما صار صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليهما من نفسهما (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أي أراد أخذه فجرى خلفه في الحل ليأخذه بقرينة قوله (فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب) عنه لانه في الحرم المحرم صيده أو انه انفلت منه بعد أخذه (فعجبا من ذلك) أي من كون الذئب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلاء (فقال الذئب) لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما (أعجب من ذلك) الفعل الذي صدر منه (محمد بن عبد الله) موجود (بالمدينة يدعوكم الى الجنة) بدعوته للاسلام الذي هو مقتضى لدخولها (وتدعونه الى النار) بقولكم له لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود في النار وانما كان هذا أعجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق حيوان أعجم لقدرة الله تعالى واقداره ليس بعجيب كهذا في النظر السديد والعقل السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة (فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت) بضم التاء وفتحها (هذا) أي تكلم الذئب وما قاله (بمكة) أي ذكرته لاهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر أو جمع خالف والمراد تركها خالية من أهلها بان يسلموا جميعا ويرتحلون له صلى الله تعالى عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد في صحة رسالته صلى الله عليه وسلم وسعادة من أتبعه أو المراد يدعها وأهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم أتيت الحي فوجدته خلوفا أي ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن خوالف لانهن يخالفن الرجال والثاني من قوله صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك أي رائحة تغيره (وقد روى مثل هذا الخبر) الذي وقع لابي سفيان وصفوان (وانه جرى لابي جهل وأصحابه) أي انهم شاهدوا مثله

(وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة ويفتح وميم مخففة فألف فراء ذكره الصغاني وغيره وفي نسخة بالدال (صنمه) بالجر بدل من ضمار أو بيان فانه اسم لصنم كان يعبده هو ورهطه (وانشاده) أي ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذى ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) روى ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس أي بني أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح بأعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي أقوم فصاح صائح من جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مدة
قبل البيان من النبي محمد
وهو الذى ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدي
قل للقبائل من سليم كلها
أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فخرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم (فاذا طائر سقط) أي وقع ونزل بين يديه (فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) أي بتخلفك عن مورث انسك (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) وفي نسخة صحيحة يدعوك (الى الاسلام وأنت جالس) أي بعيد عن مقام المرام (فكان) أي كلام الطائر (سبب اسلامه) والحديث هذا كما في الطبراني الكبير بسند لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى البيهقي عنه (عن رجل) وهو أسلم أو يسار وهو رجل أسود استشهد في غزوة خيبر كما ذكره أبو الفتح اليعمري في سيرته (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) أي النبي عليه الصلاة والسلام (على بعض حصون خيبر وكان) أي الرجل (في غنم يرعاها لهم

وتعجبوا منه ولكن الله أشقاهم وأشقاهم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كالصديق رضي الله تعالى عنه وجماعة الا انه كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور الله قلبه (لما تعجب) لما ظرف متعلق بمقدر أي وقع ذلك أو شرطية جوابها قوله فاذا طائر الخ فان جواب لما قد يقترن بالفاء لكنه نادر (من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن كتاب كما في القاموس وفي بعض نسخ الذيل والصلة للصاغاني بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبي (صنمه) بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه (وانشاده) بالجر معطوف على كلام (الشعر) بالنصب مفعول المصدر (الذى ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة الشعر وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال لابنه يا عباس أي بني أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح بأعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي أقوم فصاح صائح من جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل البيان من النبي محمد
وهو الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
قل للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فخرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا طائر سقط) أي خر من الجو بغتة عليه (فقال) الطائر (يا عباس أتعجب من كلام ضمار) بالتنوين والصرف الا انه وقع في الشعر غير مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لتعجبه لانه كلام شيطان في جوفه وكلام الطائر أعجب منه (ولا تعجب من نفسك أن رسول الله يدعو الى الاسلام) حذف مفعوله للتعميم أي كل أحد اليه (وأنت جالس) في منزلك متخلف عن اجابة دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم التي هي السعادة العظمى (فكان ذلك) المذكور مما سمعه من الصنم والطائر (سبب اسلامه) لانه لما سمع ما ذكر نهض في ثلثمائة فارس من قومه وهم سليم فلما رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم وقال له يا عباس حدثنا بما رأيت فقص عليه القصة وأسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة يتحاكمون اليه وان قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكأنه صنم آخر والقصة ونطق الاصنام وأخبارها ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقعت مرارا وفيها أخبار مذكورة في السير قيل انما تركها المصنف لان النطق المسموع منها من الجن (وعن جابر بن عبد الله) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه البيهقي (عن رجل) اسمه أسلم وعن الواقدي ان اسمه يسار وهو رجل أسود كما يأتي قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته في غزوة خيبر (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر) قوله وهو جملة حالية أي وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن بها الا القصر كما قيل ولا حذف في هذا الكلام وقيل الضمير للرجل ويبعده قوله (وكان في غنم يرعاها لهم) أي لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية أو هي

فقال يارسول الله كيف بالغنم) أى مع أصحابها (قال أحصب) بفتح الهمزة وكسر الصاد أى ارم بالحصباء وهى دقاق الحصى (وجوهها) أى لترجع الى دورمالكيها (فان) أى لان وفى نسخة بان أى (بسبب ان الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها الى أهلها) أى بكمالها من غير خلاف لها

(ففعل فسارت كل شاة) أى فى طريقها (حتى دخلت الى أهلها وعن أنس) كما رواه أحمد والبزار بسند صحيح (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصارى) أى بستان واحد من الانصار (وأبو بكر وعمر وعثمان ورجل من الانصار) أى معه (وفى الحائط غنم) وهو بحركتين الشاء لا واحد لها من لفظها والواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكر والاناث وعليهما جميعا (فسجدت له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها) أى فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك لكن أمرنا موقوف على اذنك (الحديث) بتثليث المثلثة وسيأتى تمامه (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) أى أبو هريرة (مثله) أى مثل حديث أنس لا مثل حديث ابى هريرة كما توهم الدلجى فقالوا هذه بهيمة لا تعقل فسجدت لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها

مجازيه لقوله واذا كنت فيهم الآية (فقال يارسول الله فكيف بالغنم) أى كيف أفعل بالغنم اذا أسلمت وهى ملك غيرى وأنا أجير (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (احصب وجوهها) أى ارمها فى وجوهها بالحصباء وهى صغار الحجارة ودقاقها وماقيل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى الفعل فى قوله

وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لذليل

ومنه الاحصاء بمعنى العد وأخذ العلم والهداية لها الى أهلها هذيان لا معنى له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم للرجوع لمنازل أصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما أشار اليه بقوله (فان الله سيؤدى عنك أمانتك) وهى الغنم التى أسلمت لك أى يوصلها ويبلغها (ويردها الى أهلها) وهم أصحابها المالكون لها فتخرج أنت عن عهدة ضمانها (ففعل) ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها) وانما كان هذا لانه كان مستأمنا وفى يده أمانة لاهل خيبر قبل فتحها فلذا ردها صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابها مع مافيه من تطمين قلبه من خروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها فيئا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح وقيل ان الراعى كان عبدا أسود رقيقا لبعض أهل خيبر فلما غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود جاءه وأسلم أى أظهر اسلامه فلا منافاة بينه وبين مامر وحسن اسلامه واستشهد فى تلك الغزوة بحجر أصابه أو سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وأخبر انه رأى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا فى دلائل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى (وعن أنس) فى حديث صحيح مسند رواه أحمد والبزار (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط أنصارى) الحائط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا (وأبو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط) أى البستان (غنم فسجدت له) صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت من نور نبوته وألهمها الله تعالى معرفته (فقال أبو بكر) لما رأى سجودها له صلى الله تعالى عليه وسلم (نحن أحق بالسجود لك منها) يعنى لو كان السجود لغير الله تعالى والجار الاول متعلق بالسجود والثانى بأحق وفى بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله (الحديث) وتتمته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لا ينبغى لاحد أن يسجد لاحد وأحد المخصوص بالنفى يشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلاء كما صرحوا به ففى ذلك اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلاة والسلام (وعن أبى هريرة) قال السيوطى هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة بن مالك الآتى رواه أبو نعيم وحديث جابر رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى وحديث يعلى بن مرة رواه أحمد والحاكم والبيهقى رحمهم الله تعالى بسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وأبو داود وحديث عبد الله بن أبى أوفى رواه أبو نعيم والبيهقى (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا) أى بستانا (فجاء بعير) كان فى البستان (فسجد له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر مثله) أى مثل الحديث الذى قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصلح

(ومثله) أى مثل حديث أبى هريرة (فى البعير) وفى نسخة صحيحة فى الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه أبو نعيم قال المزى قدم ثعلبة من اليمن على دين يهود فنزل فى بنى قريظة فنسب اليهم ولم يكن منهم ولم يعرف من الصحابة من اسمه ثعلبة ابن أبى مالك غيره واسم أبى مالك عبد الله (وجابر بن عبد الله) كما رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى عنه (ويعلى بن مرة) كما رواه أحمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح عنه (وعبد الله بن جعفر) كما رواه مسلم وأبو داود عنه قال أبو هريرة

(كان لا يدخل أحد الحائط) أى

لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لماله من الحق عليها (و) روى (مثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك) الصحابى وهو ممن استشهد باحد لكن الذى ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة بن أبى مالك القرظى وأبوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بنى قريظة فنسب اليهم ثم أسلم فقول ابن مالك صوابه ابن أبى مالك (وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر) فى حديث الجمل وسجوده روى من طرق متعددة مرويه عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطى (قال) كل منهم أو عبد الله بن جعفر (وكان لا يدخل أحد الحائط) من غير أصحاب البستان (الا شد عليه الجمل) شد هنا بمعنى أسرع وحمل حملة عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا أسرع وشد عليه جمل يعنى انه كان عقورا هائجا على كل من استقر به (فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم عليه) أى على الجمل فى البستان (دعاه) وأمره بالاقبال عليه (فوضع مشفره فى الارض) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة وهو فى الابل كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطوم للسباع والمنقار للطير كما بينه أهل اللغة فى الفروق (وبرك بين يديه) البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه (فخطمه) أى وضع زمامه الذى يقاد به فى رأسه وعلى فمه لانه برك عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وانقاد له متذللا بعدما كان لا يطاق (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن عنده (ما بين السماء والارض شئ) من الحيوان والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضى السبع (الا يعلم) وفى نسخة الا ويعلم (انى رسول الله) بعلم خلقه الله فيه ويلهمه له (الا عاصى الجن والانس) أى الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتى أى معرفة انى رسول الله حقا وعاصى يجوز ان يكون مفردا وأصله عاصين فحذفت النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان أول من عصى الله ابليس والا كثر حيث اجتمعا تقديم الجن فى القرآن (ومثله عن عبد الله بن أبى أوفى) هو وأبوه صحابيان رضى الله تعالى عنهما شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى دعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين أتى اليه بصدقته وقال اللهم صل على آل أبى أوفى وحديثه مذكور فى دلائل النبوة لابى نعيم والبيهقى كما علمت ولفظه قريب مما ذكره أولا (وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) لما أبق منهم وبطش بكل من قرب منه (فاخبروه) وفى نسخة فاخبر بالبناء للمفعول (انهم أرادوا ذبحه) لانه ضعف كما سيأتى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف) وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات (وفى رواية انه شكى الى انكم أردتم ذبحه) ونحروا كثر ما يستعمل فى الابل النحر وفى غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الآخر ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام (بعد ان استعملتموه) أى أكثرتم العمل به من التحميل ونحره (فى شاق العمل) أى فيما يشق أى يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق غير مسموع فكأنه مبنى على ان التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور فى كتب اللغة (من صغره)

ذلك البستان من غير أهله (الا شد عليه الجمل) أى حمل وصال عليه حفظا لحائطه واستغرابا لداخله ورعاية لصاحبه (فلما دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) أى الجمل فجاءه خاضعا وانقاد له خاشعا (فوضع مشفره) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء فراء أى شفته (على الارض وبرك) بتخفيف الراء أى ناخ (بين يديه فخطمه) أى فوضع فى رأسه بخطامه من رسنه وزمامه (وقال ما بين السماء والارض شئ) أى من حيوان أو غيره (الا يعلم) أى الا انه يعلم وفى نسخة لا يعلم أى ليس يوجد بينهما شئ لا يعلم قال المزى المعروف الا يعلم وقد يكون رواية (انى رسول الله) أى اليه أو الى غيره (الا عاصى الجن والانس) أى الا كافر الثقلين والصيغة يحتمل الافراد والجمع بان

حذفت نونه للاضافة (ومثله) أى مثل هذا المروى بعينه (عن عبد الله ابن أبى أوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) أى حاله معهم فى مآلهم (فاخبروه انهم أرادوا ذبحه) الاولى نحره وكأنه أراد ذبحه اللغوى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم) أى لاهل الجمل (انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه) أى الجمل (شكا الى انكم أردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره

فقالوانعم) قال بئس الجزاء أرادوه له كذا نقله الدلجي والظاهر أردتموه له وفي أصل صحيح ثم الحديث بقوله نعم والله تعالى أعلم (وقد
روى في قصة العضباء وهي الناقة المشقوقة الاذن ولقب ناقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن عضباء ذكره الفيروزابادي فقيل
انها والقصوى والجدعاء واحدة وقيل اثنتان وقيل ثلاث ولم يكن بها عضب ولا جدع وقيل كان باذنها عضب
(وكلامها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها) أي بذاتها وحالاتها (ومبادرة العشب اليها في الرعى) أي في رعيها (وتجنب الوحوش عنها وندائهم) والاظهر ونداءها (لها انك لمحمد) أي في زمان حالك أو في مآلك (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائني) حكى ابن عباس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة وناقة باركة في الدار فلما مر بها قالت السلام عليك يا زين القيامة يا رسول رب العالمين قال فالتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها فقال وعليك السلام فقالت يا رسول الله اني كنت لرجل من قريش يقال له أعضب فهربت منه فوقعت في مفازة فكان اذا غشيني الليل احترستني السباع فنادت بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا أصبحت وأردت ان أرتع نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد
كرع
صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقعت هنا قال فسماها عضباء شق لها اسما من اسم صاحبها ثم قالت الناقة يا رسول الله ان لي اليك حاجة
قال وما هي قالت تسأل الله ان يجعلني من مراكبك في الجنة كما جعلني في الدنيا قال صلى الله تعالى عليه وسلم قضيت ذكره التلمساني
(وروى ابن وهب ان حمام مكة

الى ان بلغ الكبر وعجز عن العمل (فقالوا نعم) اعترافا بما ذكر فبئس الجزاء الذي أرادوه وهذا الحديث
أخرجه الطبراني وابن ماجة في سننه في غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الداري وفيه انه صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لهم ما هكذا جزاء المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وأرسله يرعى في الشجر حتى قوى
والحديث فيه طويل (وقد روى) بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا التفصيل الآتي لا يعرف
راويها (في قصة) الناقة (العضباء) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهي
اسم ناقة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف في ناقته العضباء والقصواء
والجدعاء بالمد فيهما أيضا هل هن ثلاثة أو واحدة لها ألقاب متعددة أو اثنتان فذهب التيمي والعراقي في
منظومته الى انها واحدة ولا عضب ولا جدع أي شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب أي
شق وفي البخاري ان الجدعاء هي التي هاجر عليها وقيل ان التي هاجر عليها القصواء وعن ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة في الدار فقالت السلام عليك يا نبي الله يا زين القيامة
يا رسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليك السلام فقالت اني كنت لرجل من قريش يقال له اعضب
فهربت منه فوقعت في مفازة فكان اذا غشيني الليل احتوشني السباع ينادي بعضها بعضا لا تؤذوها
فانها مركب محمد فاذا أصبحت رتعت نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد حتى وقعت ههنا
فسميت عضباء باسم صاحبها وفيه انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله أن يجعلني مركبك
في الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث كله في سنده طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت
عضباء وقصواء وجدعاء بدال مهملة وصلا وامخضرمة والكل متقاربة المعاني والجدع قطع طرف
الاذن فاذا بلغ لربع فهو قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزي عن ثعلب
انها كلها ألقاب لناقة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا جدع لها ولا عضب واختاره في القاموس (وكلامها
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كلام بمعنى تكليم مصدر والنبي منصوب به مفعوله (وتعريفها له بنفسها)
كما سمعته آنفا (ومبادرة العشب اليها) بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان
يناديها الي الي فالمراد طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف (في المرعى) أي مكان رعيها
(وتجنب الوحوش لها) أي عدم أذيتها وأكلها لها كامر (وندائهم لها انك) معدة (لمحمد) ولركوبه
وضميرهم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين (وانها لم
تأكل ولم تشرب بعد موته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ماتت) من الحزن والاسف على فراقه صلى
الله تعالى عليه وسلم وقيل انها التي اشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه من بني الحريش مع أخرى
بثمانمائة درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله تعالى عليه وسلم منه بأربعمائة درهم وقد ذكر قصتها
مفصلة أبو سعيد في كتاب الشرف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نوق أخر كما بينه أصحاب
السير (ذكره الاسفرائني) رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته (وروى ابن وهب) رحمه الله تعالى وهذا
الحديث لم يخرجوه وأما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته (ان حمام مكة) الموجود بحرمها الى
الآن والحمام كل ذات طوق بري أو أهلي وقيل انه مخصوص بالبري وقيل انه كل ما عب وهدر والعب

أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جعلت عليه ظلا (يوم فتحها) بفتح فسكون وفي نسخة بفتحات (فدعا لها بالبركة) هذا وقيل انها من نسل الحمامة التي باضت على باب الغار بعد دخول سيد الابرار لكن قال الدلجي واما قصة العضباء فلم أدر من رواها ولا حديث حمام مكة (وروى عن أنس) وفي نسخة عن ابن مسعود (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة) على ما رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عنهم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمر الله ليلة الغار شجرة) وفي نسخة شجرا (فنبتت تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم التاء المبدلة من الواو أي قبالته التي تقتضي مواجهته قال الدلجي هو مجاز عن انباتها كما في كونوا قردة قلت الظاهر انه أمر تكوين وانه على حقيقته كما حقق في قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (فسترته) أي تلك الشجرة عن أعين الفجرة وقد ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما دخل الغار ومعه أبو بكر أنبت الله على بابه الراءة مثل الطاعة قال قاسم بن ثابت وهي شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى الراءة من اعلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن ذكره السهيلي والاعلاث من الشجر القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبس على ما في القاموس (وأمر حمامتين فوقفتا) بالفاء وروى بالعين أي نزلتا (بفم الغار) أي لئلا يظن الاغيار دخول سيد الابرار ومن معه من أصحابه الكبار قال الدلجي فسمت صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما أي دعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه (وفي حديث آخران) وفي نسخة صحيحة وان (العنكبوت نسجت على بابه) أي على فم الغار (فلما أتى الطالبون له) أي لسيد الاخيار (ورأوا ذلك) أي ما ذكر من وقوف الحمامتين ونسج العنكبوت (قالوا لو كان فيه أحد) أي ممن دخله هذا الوقت (لم تكن الحمامتان ببابه) أي ولا نسج العنكبوت ولعابه (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا) أي ولم يدركوا مرامهم وفي مسند البزار ان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل اليه حمامتين وحشيتين وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرمين من نسل تينك الحمامتين

كرع الماء من غير نفس والهدير وقال الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف (أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لا تصاد وقيل انها من نسل حمامتي الغار وسيأتي (يوم فتحها) أي فتح مكة (فدعا لها بالبركة) فاجاب الله دعاءه فيها وكانت محترمة لا تصاد كما تقرر (وروى عن أنس) رواه عنه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة قال أمر الله ليلة الغار) منصوب على الظرفية والغار غار ثور والذي اختفى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة في القرآن غنية عن البيان (شجرة فنبتت) من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المأمور المختار وروى بشجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلي وهي بمقدار القامة ولها زهر أبيض وبها شيء شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راء كما في كتاب النبات قال الشاعر

ترى ودك السديف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع

(تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم ان التجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو وأصله وجاه أي في مقابلة وجهه باب الغار (فسترته) عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش (وأمر) أي ألهم الله (حمامتين) ذكرا وأنثى فعششتا وباضتا على تلك الشجرة (فوقفتا بفمه) أي بفم الغار لان مثله لا يكون الا بمكان خال من الناس وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم أي دعا لهما بالبركة فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفي حديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا أي اذا بدأتم بالاكل فكلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتوا أي ادعوا لمن أكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تشق الارض كما أشار اليه القائل

قامت اليه سرحة سترته من * نظر العدو باحسن الاغصان

(وفي حديث آخر) رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة ابن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم كما تقدم (ان العنكبوت نسجت على بابه) أي على باب الغار وفمه (فلما أتى الطالبون له) صلى الله تعالى عليه وسلم الذين قصوا أثره واتبعوه ليأخذوه (ورأوا ذلك) المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار (قالوا لو كان فيه) أي في هذا الغار (أحد) من الناس (لم تكن الحمامتان) يقران (ببابه) الذي منه المرور (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم) لقربهم منه بحيث لو أمعنوا النظر رأوه (فانصرفوا)

(وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وسكون الراء له صحبة ورواية قال ابن عبد البر كان اسمه في الجاهلية شيطانا فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله انتهى قتل بارض الروم والحديث رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم عنه انه (قال قرب) بضم القاف وتشديد الراء المكسورة أي ادنى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) بفتحتين جمع بدنة وحكى بضمتين وهي ناقة أو بقرة ذكره الجوهري وزاد ابن الاثير وهي بالابل أشبه وسميت بدنة لعظمها وسمنها فلا يلتفت الى قول الدلجي وهي خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة بها في الاجزاء عن سبعة تناول اسمها للبقرة شرعا بل الحديث وآية الحج بمعناه انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت اطلاق البدنة على البقرة لغة والحاقها بالابل شريعة فالمخالفة فيهما مكابرة ومنع الحديث وآية الحج لهما صادرة (خمس أو ست أو سبع) شك من الراوي (لينحرها يوم عيد) أي من اعياد الاضحى (فازدلفن اليه) افتعلن من الزلف وهو القرب ومنه قوله تعالى حكاية ليقربونا الى الله زلفى ابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاي ومنه المزدلفة والمعنى تقربن منه (بايتهن يبدأ) أي في نحرها قال المزي صوابه بايتهن بتاء التأنيث وفيه بحث (وعن أم سلمة كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء) أي بادية قفراء (فنادته ظبية يا رسول الله) فالتفت فاذا هي موثقة (في واعرابي نائم (قال) أي لها (ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان) تثنية خشف وهو بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين ولد الظبية الصغير

راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيانا من قريش مضوا خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم سراقة القائف يقص أثره فلما انتهوا الى الغار رأوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل أحد لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طأطأ أحد رأسه رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا ويعجبني قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل زي
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وانظر الى هذا مع قولي

على غار ثور عنكبوت بنسجه * لقد حاز فخرا فاق كل فخار
لذلك دود القز يهلك نفسه * وقد غار من نسج له بفم الغار

وفيه معان أخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيري في همزيته

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين هي الدرع لانها تجن البدن أي تستره والحصداء المحكمة النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة الحصداء أي الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ويفسره قوله في البردة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابي ثمالي وكان أميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين وأخرج له أصحاب السنن وأحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم مسندا (قرب) بالبناء للمفعول أي أتى بعض الصحابة (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا تطلق على البقر وغيرها وان كانت في حكمها شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العز في انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها (خمس أو ست أو سبع) الشك من الراوي (لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه) افتعال من الزلفى وهي القرب أبدلت تاؤه دالا لاجل الزاي أي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله تعالى عليه وسلم رغبة في أن يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالى (بايتهن يبدأ) في الذبح وهذه معجزة باهرة (وعن أم سلمة) في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند او رملة كما تقدم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية) أي كلمته بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له (يا رسول الله) فالتفت اليها فاذا هي موثقة عندها اعرابي نائم (قال ما حاجتك) حتى ناديتني (قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان) مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبي الصغير الذي ولدته أمه

(فى ذلك الجبل فاطلقنى) بفتح الهمزة وكسر اللام أى من القيد وأرسلنى (حتى أذهب الى ولدى فارضعهما) بضم الهمزة وكسر الضاد (وارجع) أى اليك (قال أوتفعلين) بفتح الواو أى أتقولين هذا القول وتفعلين هذا الرجوع وفى نسخة صحيحة وتفعلين فالهمزة مقدرة وفى رواية قال أخاف ان لا ترجعى قالت ان لم أرجع فانا شر من يأكل الربا وشر من ينام عن صلاة العشاء وشر من يسمع اسمك ولم يصل عليك (قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت) أى بعدما أرضعت (فاوثقها) أى فربطها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على حالها (فانتبه الاعرابى) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم فى المعالجة لها أو عندها (وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق) أى نعم هو ان تطلق أو هو خبر معناه أمر وفى نسخة صحيحة أطلق (هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء) أى تجرى (وتقول) أى الظبية (أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق وضعفه جماعة من الائمة حتى قال ابن كثير لا أصل له وان من نسبه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كذب لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وقد رواه أبو نعيم الاصبهانى فى الدلائل باسناده فيه مجاهيل عن أم سلمة نحو ما ذكره المصنف وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساقه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة (ومن هذا الباب) أى باب طاعة الحيوانات من طريق خرق العادات لبعض صحابته من تمام بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما روى من) وفى نسخة فى (تسخير الاسد لسفينة) غير منصرف للتأنيث والعلمية (مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أعتقته أم سلمة وشرطت عليه ان يخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه مهران عند الاكثر وكنيته أبو عبد الرحمن على الاشهر ولقبه عليه الصلاة والسلام سفينة لقضية مشهورة (اذ وجهه) أى كان التسخير حين أرسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى معاذ باليمن) أى حال اقامته فيه لقضائه (فلقى) أى سفينة (الاسد فعرفه) بتشديد الراء أى فذكراه (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) أى مكتوبه عليه الصلاة والسلام الى معاذ أو غيره (فهمهم) بهاءين وميمين مفتوحتين فعل ماض من الهمهمة وهى الكلام بالخفية (وتنحى عن الطريق) أى وتبعد وتأخر الاسد عن طريق سفينة (وذكر) أى سفينة (فى منصرفه) أى مرجعه (أيضا مثل ذلك) قال الدلجى لم أدر من رواه كذا وقد رواه البيهقى ان لقيه الاسد انما كان حين ضل عن الجيش فى أرض الروم قلت يحمل على تعدد الواقعة كما يشير اليه قول المصنف

(فى ذلك الجبل) تشير لجبل بتلك الصحراء (فاطلقنى حتى أذهب فارضعهما وأرجع) بنصب الافعال الثلاثة (قال أوتفعلين) أى ترجعين الى ان أطلقتك (قالت نعم فاطلقها) والاعرابى نائم لا يشعر بذلك (فذهبت) وأرضعتهما (ورجعت فأوثقها) وربطها كما كانت (فانتبه الاعرابى) ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (فقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها) من وثاقها (فخرجت تجرى وهى تقول أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق أخر فلا يلتفت لقول ابن كثير انه لا أصل له لان فى سنده مجاهيل وانما استأذنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك لانه ملكها بالحيازة واتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو فى قوله أوتفعلين محركة عاطفة على مقدر أى أتقولين ذلك لى وترجعين الى أو استئنافية على القولين فى مثله وفى الحديث معجزات ظاهرة (ومن هذا الباب) أى باب المعجزات باطاعة الحيوانات (ما روى) قال السيوطى لم أقف على هذا الحديث هكذا وأخرج البيهقى انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الا ان البخارى ذكره فى تاريخه كما قاله المصنف فلا اعتراض عليه (من تسخير الاسد) أى تذليله وانقياده (لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو من خدمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى لقبه سفينة لانه رآه فى بعض أسفاره حاملا لامتعة فقال له انما أنت سفينة فاشتهر بذلك واختلف فى اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من أصحاب السنن وفى الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه (اذ وجهه الى معاذ) بن جبل حال كونه (باليمن) وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدى العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعتقه وقيل ان أم سلمة أعتقته فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة (فلقى الاسد) فى طريقه (فعرفه) أى قال له (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) فألهمه الله تعالى فهم كلامه وكف عنه (فهمهم) الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفى الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعنى عليه أو على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وتنحى عن الطريق) أى تأخر عنه فى ناحية متباعدة عن الطريق اذهابا لخوفه (وذكر) أى سفينة (فى منصرفه) أى انصرافه ورجوعه من اليمن (مثل ذلك) أى مثل ما وقع له فى

(وفي رواية أخرى عنه) أي عن سفينة كما رواه البيهقي والبزار (ان سفينة) أي من السفن (تكسرت به) أي وسفينة في تلك السفينة (فخرج الى جزيرة) وهي أرض يتجزر البحر عنها (فاذا الاسد) أي حاضر والمعنى فاجأه بغتة (فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وتضم بعدها زاي أي يشير الي ويحرك علي (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف أي بما بين كتفه وعنقه (حتى أقامني) أي دلني (على الطريق) وفي ايراد هذا الحديث اشارة الى ان كرامة الولي بمنزلة معجزة النبي من حيث الدلالة على صدق النبوة والرسالة فان الكرامة متفرعة على صحة المتابعة (أخذ عليه الصلاة والسلام) كان الاولى ان يقال ومن ذلك انه أخذ عليه الصلاة والسلام (باذن شاة لقوم من بني عبد القيس) قبيلة كبيرة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وجوز تثليث كل منهما فالوجوه تسعة (ثم خلاها) أي تركها (فصار لها ميسما) بكسر الميم وفتح السين أي صار أثر أصبعيه لها علامة وهو في الاصل الحديدة التي يكون بها ويجعل بسببها علامة فاطلاقه على العلامة مجاز في العبارة ظاهر العلاقة (وبقي الاثر فيها) أي في أصل تلك الشاة (وفي نسلها بعد) بالضم أي بعدها قال الدلجي لا أدري من رواه (وما روى) أي ومن ذلك ما روى (عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار) في سيرة مغلطاي كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الحمير يعفور وعفير ويقال هما واحد وآخر أعطاه سعد بن عبادة (أصابه) أي في سهمه وفي نسخة الذي أصابه (بخيبر وقال) أي الحمار وهو كان أسود (له اسمي يزيد بن شهاب) يعني ونعتي ان الله تعالى أخرج من نسلي ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك ان تركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي وكنت أعثر به عمدا وكان يجيعني ويضربني على ما رواه ابن أبي حاتم عن حذيفة وفي رواية يجيع بطني ويضرب ظهري (فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) بالقصر وفي نسخة بالتنوين وفي نسخة يعفور كيعقوب

يصرف

ذهابه فيكون لقيه في سفره هذا مرتين (وفي رواية أخرى عنه) أي عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تخريجه (ان سفينة تكسرت به) في بعض أسفاره (فخرج الى جزيرة فاذا الاسد) أي فاجأه بها أسد لقيه فيها والجزيرة معروفة (فقلت) للاسد (أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أي طفق وصار (يغمزني) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاي معجمة وأصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف وهو رأس الذراع وما بين الكتف والعنق (حتى أقامني على الطريق) أي حتى أتى بي الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقي قال سفينة وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى أجمة فيها أسد فرأيته أقبل الي فقلت يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى أقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فظننته انه يودعني فكان آخر عهدي به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة أيضا رضي الله تعالى عنه (وأخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة) أي أمسكها وأخذ المتعدي بالباء بمعنى امسك بخلاف أخذه فهو تضمين (لقوم من بني عبد القيس) اسم قبيلة مشهورة (بين أصبعيه) بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت (ثم خلاها) أي نحى أصبعيه عنها وتركها (فصار ذلك) أي أخذه باذنها يعني أثره (ميسما) بكسر الميم أصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو الكي فهو اسم آلة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة وأثرها مجازا كما يطلق على العضو الذي فيه الاثر كما ورد في الحديث (فيها) أي الشاة (ونسلها بعد) بالبناء على الضم أي بعدها أو بعد أخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين (وما روى عن ابراهيم بن حماد بسنده) هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف (من كلام الحمار) ونطقه له صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا مقاله (الذي أصابه بخيبر) أي وجده بها لما فتحها (وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب) وانه من نسل ستين حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت أتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي فكنت أعثر به عمدا فكان يجيعني ويضربني (فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) هو في أكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمي وروي غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمساني أقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه أخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعفور لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة ألا ترى ان يعفر بضم الياء

(وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (كان يوجهه) أي يرسله (الى دور أصحابه) أي بيوتهم (فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) أي يطلب منهم اجابة الدعوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات) أي ودفن (تردى) أي رمى بنفسه (في بئر) أي لابي الهيثم بن التيهان (جزعا) أي فزعا (وحزنا) بفتحتين أو بضم فسكون (فمات) أي فصارت قبره رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي منظور وقال لا أصل له واسناده ليس بشيء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات قلت قصة يعفور ذكرها غير القاضي فقد نقلها السهيلي في روضه عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشامل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد أحدا من أصحابه أرسل هذا الحمار اليه فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم ان قد أرسل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه ان أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد أخرجه ابن عساكر عن أبي منظور وله صحبة نحو ما سبق وقال هذا حديث غريب وفي اسناده غير واحد من المجهولين ورواه أبو نعيم عن معاذ ابن جبل كما تقدم والله تعالى أعلم (وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر وقال الذهبي وهو موضوع وفيه نظر (وفي العنز) أي وفي حديث العنز كما في نسخة صحيحة وهي الانثى من المعز (التي أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عسكره) أي حال كونه فيما بين جنده في غزوة له (وقد أصابهم عطش) أي شديد (ونزلوا على غير ماء) أي لضرورة بهم (وهم زهاء ثلثمائة) أحوال متتابعة مترادفة أو متداخلة فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يصرف لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم الياء منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس في أوزان الفعل يفعول وفي هذه المسئلة كلام في شرح التسهيل * واعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذي رمى نفسه في البئر كما سيأتي ويقال هما واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفير كان أشهب وهو مما أهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر أهداه له فروة كان يركبه وآخر أعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الحوفي في كتاب الشامل (وانه كان يوجهه الى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) ومعنى يوجهه يرسله الى جهة ودور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا لدقه الباب ورأوه علموا انه يطلبهم لانه يكلمهم لكنه يفهم ما أمره به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخر له وفهم مراده (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى) الحمار أي ألقى نفسه وطرحها (في بئر) كانت بالمدينة معروفة لابي الهيثم بن التيهان فكانت البئر قبره والتردي تفعل من الردى وهو الهلاك وهو مخصوص بهلاك من ألقى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البئر اذا سقط أو ألقى نفسه فيها (جزعا وحزنا) على فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفقده (فمات) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حمار وانه كان يركبه وان ركوبه سنة لا كلام فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قال ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم لا أصل له (و) مما ذكر من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجماد والبهائم ونطقها (حديث الناقة) الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع (التي شهدت) بنطق بين (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها) ومالكها لذي قيل انه سرقها فقالت (انه ما سرقها وانها ملكه) فحكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بها الان للقاضي أن يحكم بعلمه أو نقول انه من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحديث هو ما قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة أبصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى آخره (وفي العنز) أي في حديث العنز الذي أخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه (التي أتت رسول الله) صفة العنز وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في عسكره) حال أي وهو في عسكره (وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء) اى في مكان لا ماء فيه (وهم زهاء ثلثمائة) أي قريب عددهم تخمينا من ثلثمائة رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يحتمل انه على

(فاروى الجند) أي جميع العسكر (ثم قال لرافع) أي مولاه كذا قاله الدلجي لكن مولاه أبو رافع ولذا قال الحلبي رافع هذا لا أعرفه بعينه وفي الصحابة جماعة كثيرة يقال لكل منهم رافع (أملكها) بفتح الهمزة وكسر اللام أي أوثقها أو اربطها واحفظها (وما أراك) بضم الهمزة أي ما أظنك تملكها وتحفظها (فربطها) أي وغفل عنها (فوجدها قد انطلقت)

أي ذهبت برأسها بحيث لم يدر أحد بها (رواه ابن نافع) وقد سبق ذكره (وغيره) منهم ابن سعد وابن عدي والبيهقي عن مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه (وفيه) أي وفي حديث ابن قانع (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذي جاء بها) أي الله سبحانه وتعالى (هو الذي ذهب بها) فيه ايماء الى ان ايجادها واعدامها كليهما من خرق العادة (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لفرسه عليه الصلاة والسلام) كذا في بعض النسخ المصححة وانما محله قبله بعد قال كما لا يخفى ثم قيل كانت أفراسه صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة وعشرين اتفق منها على سبعة (وقد قام الى الصلاة) أي والحال انه قد أراد قيامه اليها (في بعض أسفاره) متعلق بقام كما هو أقرب أو بقال (وهو أنسب لا تبرح) أي لا تفارق مكانك (بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته) أي في صوب قبلته أو في جهة مقابلته (فما حرك عضوا) أي من أعضائه وهو بضم أوله ويكسر (حتى صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حتى فرغ منها كما في أصل الدلجي وألحق في بعض النسخ هنا وزعم بعضهم انه من الام (ويلتحق بهذا) بصيغة المجهول أو المعلوم ومشابه

ظاهره وان يكون أمر بحلبها والاسناد مجازي (فاروى) بلبنها (الجند) بأجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده ومنه أروى والعسكر والجيش والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد أروى للنبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز أيضا ان لم نقل فاعل أروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعده (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (لرافع) براء وعين مهملتين بينهما ألف وفاء بزنة اسم الفاعل من الرفع علم لصحابي كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته (أملكها) أي خذها واتخذها املاكا لك لانها لا صاحب لها اذ وجدت بأرض العدو ويحتمل أن يكون معناه شدها وأوثقها من ملاك الامر أو ملك العجين ونحوه (وما أراك) مالكا لها أو فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبني للمفعول أي لا أظنك تملكها أو تحفظها (فربطها) وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع (فوجدها قد انطلقت) أي انحل وثاقها ومضت وغابت عنه فالفاء فصيحة (رواه) أي حديث هذه العنز (ابن قانع) بقاف ونون وعين مهملة (وغيره) من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن عدي عن جماعة من الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر وكنا أربعمائة فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك علينا وأعلمناه بذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فحلبها وشرب حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما أراك تملكها فأخذت لها وتدا لها وغمت ثم قمت في بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يسألني فقال يا رافع ذهب بها الذي جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هي ككبش الفداء وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذي وأهمه ذلك قوله (وفيه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لرافع لما أخبره بانطلاقها (ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها) يعني الله أو الملك (و) من هذا القبيل ما روي أنه عليه الصلاة والسلام (قال لفرسه) الفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى الا انه مؤنث سماعي وسمع فرسه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أفراس مذكورة في السير بأسمائها ومن أين ملكها ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم (وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره) والفرس غير مربوط ولم يأمر أحدا بامساكه بل خاطب الفرس وقال له (لا تبرح) أي لا تزل من مكانك الذي أوقفتك فيه من البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت في مكانه وبمعنى زال وهو نفي معين فاذا دخل عليه صار لنفي النفي وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة وأهل اللغة (بارك الله فيك) دعاء له من البركة وقد تقدم تحقيقها ويأتي أيضا مع زيادة (حتى نفرغ من صلاتنا) ونتمها وهو غاية اثباته في مكانه (وجعله قبلته) أي جعله في جهة قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب الفقه لا حاجة لذكره هنا (فما حرك) الفرس (عضوا) من أعضائه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف (حتى صلى) أي أتم صلاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه معجزة له عليه الصلاة والسلام لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بأنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ هنا زيادة وهي (ويلتحق بهذا) المذكور من معجزاته أو من كلام الحيوانات لان فهم لغة لم يعرفها كفهم العربي كلام العجمي قريب منه

(ماروى الواقدى) بكسر القاف قاضى العراق يروى عن ابن عجلان وثور وابن جريج وعنه الشافعى رحمه الله والصغانى قال البخارى وغيره متروك وقد ذكر له ترجمة حسنة ابن سيد الناس فى أول سيرته وذكر فيها ثناء الناس عليه وجرحهم له

ومشابه له (ماروى الواقدى) صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعى عنه دليلا على صحة مارواه وترجمته فى الميزان مفصلة وكذا فى أول سيرة ابن سيد الناس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله) جمع رسول (الى الملوك) من العرب والعجم أى أرسلهم لجهتهم وناحيتهم لافشا الاسلام وقوى (فخرج ستة نفر منهم) أى ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه فى شرح الدرة وقد صرح به الكرمانى فى شرح البخارى وهو عربى فصيح أيضا وكان ارساله لهم (فى يوم واحد) خرجوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) من غير مضى زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن أرسلوا اليه مفصل فى السير أيضا وهذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لشمول بركته لهم (والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وماوقع منه فى كتب الائمة) رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم * (خاتمة) * مما يلتحق بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والجمادات ماذكر فى بعض الكتب وشاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر فى أماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر فيه الا أن هذا لم يضبط لان هذا أمر عدمى لا يعرفه الا من كان حاضرا ثمة وقد ذكر هذا السبكى فى تائيته وغيره قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمى الخليل عليه الصلاة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبوطالب

وموطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل

وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بما تأثر ضربه فى الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبى الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بها الى الآن يقال له مسجد البغلة وماذاك الا من سره صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فيها ليكون أوضح فى الدلالة على انه أوتى مثل ما أوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه ونقل المجد الشيرازى عن ابن بكار فى المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة ومسجدها انه فى غربى هذا المسجد أثر كأنه أثر مرفق يذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر فيه وفى آخر أثر أصابعه انتهى وممن ذكر أثر البغلة السيد السمهودى فى تاريخ المدينة وقال انه مسجد بنى ظفر من الاوس شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره ابن النجار فى تاريخه أيضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقى فى سيرته ان هذا لاوجود له فى شئ من كتب الحديث وممن أنكره الشيخ برهان الدين التاجى وقال السيوطى فى فتاويه لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت من خرجه فى شئ من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمى فى شرح الجامع

وانه نسب الى وضع الحديث وفى آخرها استقر الاجماع على وهن الواقدى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك) أى لتبليغ الرسالة اليهم وتحقيق الحجة لديهم (فخرج ستة نفر منهم) أى من رسله (فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم) أى صار لما بلغ عندهم وأراد تبليغهم (يتكلم بلسان القوم الذين بعثه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) أى من الملوك واتباعهم من غير تعلم للسانهم وتعرف بشأنهم قال الكلاعى فى النقاية وفى حديث ابن اسحق قال عليه الصلاة والسلام ان الله بعثنى رحمة كافة فادعوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى فقال أصحابه وكيف اختلفوا يارسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فامامن بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك الى الله تعالى فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التى بعث اليها (والحديث فى هذا الباب) أى فى معنى هذا النوع من المعجزة (كثير) أى ورد بطرق متعددة وقضايا متكثرة (وقد جئنا منه بالمشهور) أى فى صحته وثبوته (وماوقع) أى وماورد (منه فى كتب الائمة) أى المعروفين بالسنة والسيرة

الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ المعتمدة فلا يسوغ نسبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث أحمد المتولي شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قلناه مفصلا سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطي وقد قال في خصائصه الصغرى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما وطاء على صخر الا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري انتهى * قلت لا سهو ولا نسيان فان السيوطي رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المعجزة وانما أنكر ما يؤثر بعينه في الاماكن التي ذكروها وكذا ما قاله صاحب المواهب الا أن ما نقله السيوطي من قوله ما وطئ صلى الله تعالى عليه وسلم على صخر الا وأثر فيه لا ينبغي لان الظاهر انه كان في أول البعثة ككلام الحجر والشجر الذي تقدم وأما كونه لا أثر لقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابوري وغيرهما بسند ضعيف وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم ألطف خلق الله وأخفهم ولذا لم يؤثر مشيه في الرمل ولا ينافيه تأثيره في الحجارة فانما هو لبقاء أثره وتبكيت حاسديه وانهم أقسى من الحجارة الا انه وقع في الاحياء ما يقتضي خلافه لانه نقل فيه أثرا فيه ان بعض الصحابة أنكر على أبي موسى رضي الله تعالى عنه دعاءه على المنبر لعمر رضي الله تعالى عنه اذ لم يذكر أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقام بين الملأ بالمسجد وقال له أين من كان قبله فشكاه لعمر رضي الله تعالى عنه فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاء دق عليه الباب فخرج اليه وقال له أزعجتني من وطني فسأله عن سبب شكاية أميره منه فقص عليه القصة فبكى رضي الله تعالى عنه وقال والله ليوم وليلة لابي بكر رضي الله عنه خير من خلافتي يعني باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة أمامه وتارة يحمله يقصد بذلك اخفاء أثر أقدامه في الرمل حتى لا يشعر به من يقص أثره * قلت وكان هذا هو مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعاء للسلاطين في الخطبة سنة وان كان الزركشي قال في كتاب أحكام المساجد انه بدعة لا ينبغي تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوائد النفيسة الجليلة

* (فصل) * من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في احياء الموتى وكلامهم) له صلى الله تعالى عليه وسلم واحياء مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله أو النبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقي هو الله وهو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال في البردة

لو ناسبت قدره آياته عظما * أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت وأورد عليه ان من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم آية من كتاب الله خير من محمد وآل محمد فكيف لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره في الشرف وأجيب بان المراد بمعجزاته ما أحدثه الله تعالى على يديه والقرآن صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شيأ من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا أن يكون منها ان كل أحد لو دعا باسمه وتوسل به في احياء الموتى وقع له ذلك بان يقول اللهم اني أسئلك بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تحيي صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم (وكلام الصبيان) الذين في المهد لم يصلوا لسن يتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانه ليس من شأنهم الكلام وأخره لانهم أحياء من شأنهم الكلام فهو دونه مرتبة (والمراضع) جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان يقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدأ رضاعه والاطفال كالصبيان لا تؤدي مؤداه الذي قصده (وشهادتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة) أي قول من في المهد

* (فصل) *
(في احياء الموتى وكلامهم) أي للاحياء قال القرطبي في تذكرته وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أحيى الله على يديه جماعة من الموتى قال الحلبي وقد ذكر القاضي فيما يأتي جماعة منهم (وكلام الصبيان) أي الاطفال قبل أوان التكلم (والمراضع) جمع راضع على خلاف القياس وهو أخص من الاول فتأمل ويحتمل ان يكون العطف تفسيريا ووقع في أصل الدلجي وكلام الصبيان المراضع بالوصف بدون العاطف (وشهادتهم) أي الصبيان (له بالنبوة) أي المتضمنة للرسالة (صلى الله تعالى عليه وسلم

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد) بضم فسكون (والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) سبق (وغير واحد) أي وكثيرون من مشايخنا (سماعا) أي رواية (واذنا) أي اجازة (قالوا) أي كلهم (ثنا أبو علي الحافظ) الظاهر انه أبو علي الغساني (ثنا أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر (ثنا أبو زيد) أي عبد الرحمن بن يحيى كما في نسخة (ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي) تقدم (ثنا أبو داود) صاحب السنن (ثنا وهب بن بقية) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية روى عنه مسلم والبغوي ثقة (عن خالد هو الطحان) بتشديد الحاء أحد العلماء ثقة عابد زاهد يقال اشترى نفسه من الله ثلاث مرات يتصدق بزنة نفسه فضة (عن محمد ابن عمرو) أي بن علقمة ابن وقاص الليثي يروى عن أبيه وأبي سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله (الانصاري عن أبي سلمة) وهو أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) قال المزي في الاطراف كذا وقع هذا الحديث في رواية سعيد عن ابن الاعرابي عن أبي داود مسندا موصولا وعند باقي الرواة عن أبي سلمة وليس فيه أبو هريرة فهو مرسل (ان يهودية) وهي زينب أخت عبد الله بن سلام وقيل زينب بنت الحارث (أهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) بفتح الميم وكسر اللام وتحتية مشددة أي مشوية (سمتها) بتشديد الميم من السم لا من التسمية أي وضعت السم فيها (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها والقوم) بالرفع ويجوز نصبه وفي نسخة وأكل القوم أي منها أيضا (فقال ارفعوا أيديكم) أي عنها (فانها أخبرتني) أي حينئذ (انها مسمومة فمات) أي من أكلها (بشر بن البراء) بفتح الباء وتخفيف الراء وهو ابن معرور واياك ان تعجمها فانه تصحيف مغرور وهو خزرجي سلمي شهد العقبة وبدرا وأحدا قيل انه مات في الحال وقيل لزمه وجعه حتى مات بعد سنة وقضية خيبر كانت في أول السابعة أو في آخر السادسة

انك نبي الله ورسوله وعطفه على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام ثم شرع في اثبات ماذكره بحديث أورده أبو داود مسندا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فقال (حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه) أي المتبحر في معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا (بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد) علم منقول من ضد الغي وهو محمد بن أحمد بن رشد الامام في كل فن الجليل قاضي قرطبة تولى قضاها بعد أبي القاسم بن حمدين سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم عزل سنة أربع عشرة وولي أبو القاسم وذلك في سلطنة يوسف بن تاشفين (والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) الذي تقدمت ترجمته (وغير واحد سماعا واذنا) يعني انه سمع منهم وأذنوا له في الرواية عنهم (قالوا حدثنا أبو علي الحافظ) الغساني الذي تقدم قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى) بن محمد المعروف بابن العطار قال (حدثنا أحمد ابن سعيد) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابي) تقدم قال (حدثنا أبو داود) الامام صاحب السنن قال (حدثنا وهب بن بقية) الواسطي أبو محمد ويقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وروى له مسلم وأبو داود والنسائي (عن خالد هو الطحان) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفي سنة تسع وتسعين ومائة وولد سنة عشر ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن محمد بن عمرو) بن علقمة وله ترجمة في الميزان (عن أبي سلمة) أحد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (ان يهودية) من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بني النضير وقيل انها زينب أخت عبد الله بن سلام (أهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) أي مشوية من صلاه بالنار اذا شواه وأصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها (سمتها) أي وضعت فيها السم يقال سممته أنا والعامة تقول سميته وهو خطأ كما قال السراج الوراق رحمه الله تعالى

رزقت بنتا ليتها لم تكن * في ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد يقال أصله سممتها بثلاث ميمات أبدلت الثالثة ياء على القياس (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها وأكل القوم) الذين كانوا معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أي شرعوا في الاكل (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ارفعوا أيديكم) أي كفوها عن الاخذ منها للاكل وأبعدوا أيديكم عنها وأصل الرفع الاعلاء فكني به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه (فانها أخبرتني انها مسمومة) وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شاء الله أسمعهم كلامها (فمات بشر بن البراء) بفتح الباء الموحدة والراء المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطأ وهو صحابي خزرجي شهد العقبة وبدرا قيل انه مات في الحال وقيل لم يزل

(وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ما حملك) أي أيتها اليهودية (على ما صنعت قالت) أي حملني ما تردد في باطني من انك (ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا) بكسر اللام أي ممن يدعي ملكا (أرحت الناس منك قال) أي أبو هريرة كما رواه البيهقي عنه موصولا وأبو داود عن أبي سلمة مرسلا (فامر بها) أي بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أنس) كما في الصحيحين (وفيه قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا (فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك) ويروى ليسلط على ذلك ويسلطك على أي على قتلي فاني نبي موعود لا كمال ديني وعصمة روحي (فقالوا أنقتلها) وفي رواية الانقتلها (فقال لا) أي لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر فلما مات أمر بقتلها به (وكذلك روى) أي هذا الحديث وفي نسخة وكذلك عن أبي هريرة (من رواية غير وهب) أي ابن بقية وهو شيخ أبي داود (قال) أي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فاعرض لها) أي فما تعرض لها ولم يامر بقتلها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما رواه أبو داود والبيهقي عنه (وفيه) أي في حديثه (أخبرتني به هذه الذراع قال) أي جابر (ولم يعاقبها) أي ولم يؤاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صدر عنها قبل موت بشر منها (وفي رواية الحسن) البصري (ان فخذها كلمني انها مسمومة) قلت في

وفي الجمع بينهما نصاب الشهادة (وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت) أي الشاة بكمالها أو ببعض اجزائها (اني مسمومة) أي فلا تأكل مني (وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق) أي المغازي (وقال فيه) أي في حديثه (فتجاوز عنها) أي عفا ابتداء

مريضا حتى مات بعد سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لليهودية ما حملك على ما صنعت) من السم ووضعه حتى خصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال الله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أي كلفوا أن يقوموا بحقها فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك لصنعك هذا (قالت) الداعي اني أردت معرفة حالك واختبارك (ان كنت نبيا لم يضرك ما) وفي نسخة الذي (صنعت) من وضع السم وأكلك له (وان كنت ملكا) بكسر اللام أي سلطانا (أرحت الناس منك) بموتك فلما لم يضر السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله عصمه من أذى الناس ولم يمكن أحدا من قتله صلى الله تعالى عليه وسلم باي طريق كان فانما احتجم بعده كما روى هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل الاكل ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غير اهانة له صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في السم هل كان في الشاة كلها وفي الذراع زيادة على غيره لانها سألت ما أحبها اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع أو كان في الذراعين فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس وانما سئلها صلى الله تعالى عليه وسلم لتقر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا نقض له (قال) أي أبو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان رواه مرسلا في محل آخر (فامر بها) أي بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من طريق آخر في الصحيحين (عن أنس) بن مالك (وفيه) أي فيما رواه أنس (قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا كما مر (فقال) لها (ما كان الله ليسلطك) من التسليط والسلاطة وهي التمكن من القهر والاذية كما قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم (على ذلك) أي القتل وروى على مشددا بجر ياء المتكلم والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمساني (فقالوا أنقتلها) وفي نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفي أخرى الانقتلها (قال لا) تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية أبي هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها للبراء الآن يقال ان البراء عفي عنها أو على انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل في كتب الفقه (وكذلك روى) بالبناء للمجهول أي روى هذا الحديث (عن أبي هريرة من رواية غير ابن وهب) بن بقية شيخ أبي داود انه روى و (قال فما عرض لها) عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد أي تركها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما في سنن أبي داود والبيهقي (وفيه) أي فيما رواه جابر (أخبرتني به) أي بالسم الذي فيها (هذه الذراع) أي ذراع الشاة وهو مؤنث سماعي ولذا قال هذه وكذا الفخذ الآتي مؤنث (قال) جابر رضي الله تعالى عنه (ولم يعاقبها) أي لم يقتلها وفي بعض النسخ (وفي رواية الحسن) البصري (ان فخذها) هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق (كلمتني) أي قالت لي (انها) أي الشاة (مسمومة) اما لان السم عمها أو في ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافي ما مر من ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للفخذ بناء على أحد الوجهين (وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك) أي مثل هذه الرواية (وذكر الخبر) السابق (ابن اسحق) في سيرته (وقال فيه فتجاوز عنها) أي عفى عنها ولم يقتلها

(وفي الحديث الآخر) الذي رواه الشيخان (عن أنس انه قال فما زلت أعرفها) أي أثر سمها (في لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء جمع لهاة وهي اللحمة المعلقة في سقف أقصى الفم (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابن سعد وهو في الصحيح (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) في

وجعه الذي مات فيه وفي نسخة منه (مازالت أكلة خيبر) بضم الهمزة أي لقمتها وخيبر بلدة على اميال من المدينة السكينة أكل بها من الشاة المسمومة (تعادني) بضم التاء وتشديد الدال أي يراددني ويراجعني ويعاودني ألم سمها في أوقات معينة لها وهو مأخوذ من العداد بكسر العين وهو اهتياج وجع اللديغ لوقت معلوم فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم (فالآن) وفي نسخة والآن أي وهذا الزمان الذي أنا فيه (أوان قطعت أبهري) والاوان بفتح الهمزة وتكسر بمعنى الوقت وهو هنا بفتح النون لاضافته الى المبني كما في قوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * أو بضمها على انه مرفوع على الخبرية أي فهذا الزمان أوان قطعت على بناء الفاعل وهو الاكلة ومفعوله أبهري وهو بهمزة مفتوحة وسكون موحدة وفتح هاء عرق يكتنف الصلب والقلب اذا قطع لم يبق معه حياة وهو الذي يمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الظهر فيسمى الوتين فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا أوان قتلني السم فكنت كمن انقطع أبهره كذا ذكره التلمساني والظاهر انه على ظاهره وان السم سرى الى أبهره وقال الداودي الالم الذي حصل له من الاكلة هو نقص لذة ذوقه قال ابن الاثير وليس يبين لان نقص الذوق ليس بألم قلت هو ألم من العذاب الاليم كما يشهد به الذوق السليم

في أول الامر ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به كما مر في الجمع بين الروايتين أو لم يقتلها بسببه امالانه لا يوجب القتل أو لامر آخر رآه (وفي الحديث الآخر) الذي رواه الشيخان (عن أنس انه قال فما زلت أعرفها) أي أعرف الفعلة التي فعلتها اليهودية (في لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن قناة وهي لحمة في أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان وأول الحلق وهي لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكأنه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الاول كما في قولهم اللهى تفتح اللها فكان لها أثر في ظاهر فمه من بشر ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد انها أثرت في صورته تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث في البخاري وفيه كلام في شروحه والحاصل انهم اختلفوا في قتلها كما مر وعن ابن شهاب انها أسلمت فتركها لاسلامها وفي الروض الانف انه تركها أولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهاءنا والشافعي قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فأكل منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص ولذا قيل انه انما قتلها سياسة أو لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذي في البخاري ان اليهود سموها الا ينافيه لانه كان بامرهم واتفاق منهم (وفي حديث) عن (أبي هريرة) رضي الله عنه الذي رواه عنه ابن سعد بسند صحيح (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه) يعني مرضه فعبر عنه بلازمه (الذي مات فيه) أي مات متلبسا به أو في زمنه وروي منه بدل فيه (مازالت أكلة) بضم فسكون وهي ما يؤكل كالغرفة لما يغرف لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار كما قاله النحاة (خيبر) بمنع الصرف بلدة على أميال من المدينة أهلها يهود (تعادني) بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وألف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم أي تعود الي مرة بعد مرة أخرى في أوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما يأتي لوقت كالحمى والسم وقال السهيلي تعادني بمعنى تعتادني وقيل هو ما يهيج بعد سنة من ألم لدغ ونحوه وليس المراد بالالم نقص في الذوق لانه لا يعد مثله ألما وما قيل من انه المراد مكابرة في المحسوس لا وجه له مع انه لا ينافي قوله (فالآن) مبني على الفتح ولا يستعمل بغير أل وهو والزمن الحاضر (أوان قطعت) أي الاكلة بسمها وتأثيره (أبهري) بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة أفعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب أو داخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع يموت صاحبه وقيل انه الا كحل وموته بهذا السم لا ينافي قوله تعالى والله يعصمك من الناس الى آخره لانه قيل نزول هذه الآية بل لان المراد عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة بحيث يظهر في وقته وهذا مع انه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء أثره وانما قدر الله تعالى تأثيره فيه بعد زمان ليرزقه الله تعالى الشهادة وهذا مما لا دخل لمخلوق فيه ومرضه الذي مات فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى أبو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب وأورد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لد بقسط وزيت فلما أفاق صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنتم ترون ان بي ذات الجنب ما كان الله تعالى ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى أحد في البيت الا لد فعلوه واللدود دواء ذات الجنب وقد ورد ان ذات

(وحكى ابن اسحق) أي في المغازي (ان) مخففة من المثقلة أي ان الشأن (كان المسلمون) أي الصحابة والتابعين (ليرون) بفتح اللام وضم الياء أي ليظنون وفي نسخة صحيحة بفتح الياء أي ليعتقدون (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) أي نوعا من الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة) أي لئلا يخلو من نوع من أبواب السعادة وهذا لا ينافي قوله تعالى والله يعصمك من الناس اذ المراد به عصمته من القتل على أيديهم واما مادونه فقد احتمل صلى الله تعالى عليه وسلم في ذات الله ومرضاته حتى سم وسحر وكسرت رباعيته كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حين أصيبت أصبع رجله بحجر في طريقه هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقد أجيب بان الآية نزلت بتبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك والله تعالى أعلم (وقال ابن سحنون) بفتح السين وضم النون منصرفا وممنوعا وهو محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي (اجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته) وهو محمول على آخر أمرها فلا ينافي ما ورد من عدم التعرض لها في ابتداء حالها فقول الدلجي ان دعوى ابن سحنون يردها مامر من حديث أنس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما من رواية غير وهب بن بقية ليس في محله اذ سبق ان كل واحد من الحديثين يحمل نفيه قبل موت البراء وهذا معنى قول المصنف (وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك) أي بحسب ما يتبين التخالف هنالك (عن أبي هريرة وأنس وجابر) أي ابتداء لا انتهاء كما يشير اليه قوله (وفي رواية عن ابن عباس انه دفعها الاولياء بشر بن البراء فقتلوها) أي بعد موت البراء فارتفع النزاع وثبت ماذكره ابن سحنون من الاجماع (وكذلك) أي مثل هذا الاختلاف أو نحوه قد اختلف (في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا) أي من قتله (وروى) وفي نسخة وقد روى عنه (انه قتله) ولعله عفا عنه أولا بسبب سحره المتعلق بخاصة نفسه ثم قتله لما صدر عنه بالنسبة الى غيره أو لدفع ضرره عن المسلمين في آخر أمره أو أوحي اليه بعد عفوه ان يأمر بقتله وهذه الجملة معترضة (وروى الحديث) أي حديث الشاة المسمومة

الجنب من الشيطان وأجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون في مستبطن الحشاء وهو المنفى وآخر يكون بين الاضلاع وهو المروى في الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم (وحكى ابن اسحق ان) بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر أصله انهم (كان المسلمون ليرون) بفتح اللام وهي لام الابتداء ويرون بضم الياء المثناة التحتية أي يجوزون ويجوز فتحها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون) بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكي الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم (أجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته) كما مر في بعض الروايات مع ما فيه ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى مأولة عنده كامر لا تصفى كدره واليه أشار المصنف رحمه الله بقوله (وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك) الدال على خلاف ما قاله ابن سحنون (عن أبي هريرة وأنس بن مالك وجابر) وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وماذكر في الحديث الذي قبل هذا من كون آثار السم تشاهد في لهواته من تتمة القصة فلا ينافي كون الفصل معقود الاحياء الموتى كما توهم وكذا ماذكر في هذا الحديث (وفي رواية ابن عباس) التي رواها ابن سعد (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دفعها) أي سلم المرأة التي سمته (لاولياء بشر بن البراء فقتلوها) يعني ورثته الذين لهم دعوى القصاص (وكذلك) أي مثل ما اختلف في قتل من سمه وحكمه (قد اختلف في قتله من سحره) وفي نسخة الذي سحره وهو رجل يهودي من بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان يخيل له ان يفعل الشئ وما يفعله ثم شفاه الله تعالى منه كما سيأتي الكلام على قصته في كلام المصنف رحمه الله تعالى (وقال الواقدي وعفوه عنه) أي الساحر (أثبت) أي أقوى وأصح وأصل معناه أشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر (عندنا) معاشر أهل السنة والحديث (وروى عنه انه قتله) وفي الوفاء عن زيد بن أرقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودي فاشتكى لذلك ألما فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا في بئر كذا او كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها وحلها فجعل كلما احل عقدة وجد لذلك خفة فقام كانما نشط من عقال فاذكر لذلك اليهودي ولا أراه في وجهه قط وقال الثعلبي انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم أما تأخذ الخبيث فتقتله فقال أما أنا فقد شفاني الله وأكره ان أثير على الناس منه شرا بسببي وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلا في الفروع وفي السحر وجواز تعلمه كلام مشهور بيناه في غير هذا المحل (وروى الحديث) أي حديث الشاة

المسمومة

(البراء عن أبي سعيد) أي الخدري (فذكر مثله) أي نحو ما سبق (الا انه قال) أي أبو سعيد (في آخره) أي في آخر حديثه (فبسط) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) أي مدها (وقال) أي لاصحابه كما في نسخة (كلوا باسم الله) أي مبتدئين باسمه ومستعينين بذكره (أكلنا) أي منها (وذكرنا اسم الله) أي عليها (فلم تضر منا أحدا) عن الحافظ ابن حجر انه منكر ذكره الدلجي ولعل وجه الانكار عموم نفي الاضرار مع انه ثبت في الصحيح موت البراء منه كما سبق به التصريح وكذا تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تضرر منها الى ان توفي بسببها وحصل له مرتبة الشهادة بها هذا والحديث رواه الجزري أيضا في الحصين بلفظ وأمر الصحابة في الشاة المسمومة التي أهدتها اليه اليهودية ان اذكروا اسم الله وكلوا فأكلوا ولم يصب أحدا منهم شئ وأسنده الى مستدرك الحاكم قال صاحب السلاح رواه الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري وقال صحيح الاسناد انتهى لكن قال بعض مشايخنا وفيه تأمل لا يخفى اذ المشهور بين أصحاب الحديث وأرباب السير انه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أحد من الصحابة الا بشر بن البراء أكل منها القمة ومات منها وأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحراق تلك الشاة ودفنها تحت التراب واحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الانصار والله سبحانه وتعالى أعلم بالاسرار (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) أي الذين التزموا الصحة (وخرجه الائمة) أي البقية من أصحاب السنن المشتملة على الصحيح

المسمومة السابق لا حديث السحر كما توهم (البزار عن أبي سعيد) الخدري (فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده) ومدها صلى الله تعالى عليه وسلم ليتناول من لحمها (وقال) لمن عنده من الصحابة (كلوا) متبركين (بسم الله فأكلنا منها فلم يضر منا أحدا) وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذي تقدم وقال السيوطي نقلا عن الشيخ ابن حجر ان هذا الحديث منكر (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (رضي الله تعالى عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته (وخرجه الائمة) في كتبهم كاصحاب السنن (وهو حديث مشهور) بين المحدثين (واختلف أئمة أهل النظر) من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث (في هذا الباب) أي باب خلق الله الكلام في أجسام غير ناطقة ثم بين وجوه اختلافهم بقوله (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة) بالتشديد والتخفيف (أو الحجر أو الشجر) ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظي والنفسي بالاشتراك أو بالحقيقة في الاول والمجاز في الثاني أو بالعكس أشار الى أن المراد الاول بقوله (وحروف وأصوات) أي هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام (يحدثها) أي يوجد تلك الحروف والاصوات (فيها) أي في تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها العدم توقفها عليها (ويسمعها) بضم التحتية أي يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحياء (منها) أي من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل (دون تغيير اشكالها) جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال الله تعالى وآخر من شكله أزواج أي هو مثله في الهيئة ومنه قولهم الناس أشكال وآلاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قال الراغب فقوله (ونقلها من هيأتها) أي نقلها من هيأتها الاصلية الى هيئة أخرى لذوات الارواح والنطق (وهو) أي عدم لزوم ماذكر (مذهب الشيخ أبي الحسن) الاشعري امام أهل السنة (والقاضي أبي بكر) الباقلاني فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام في الاجسام (و) قوم (آخرون) من أهل السنة (ذهبوا الى) اشتراط ذلك والى

وغيره من الاقسام (وهو حديث مشهور) أي بين الخاص والعام عند الجمهور من علماء الاعلام (واختلف أئمة أهل النظر) أي من المتكلمين وغيرهم (في هذا الباب) أي باب خلق الله تعالى الكلام في الاجسام (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى) أي في محل من الموجودات أعم من الحيوانات والنباتات والجمادات كما بينه مثلا بقوله (في الشاة الميتة) بتخفيف الياء ويجوز تشديدها (أو الحجر أو الشجر) ذكرها بلفظ أو للتنويع (وحروف وأصوات) برفعهما عطف على كلام (يحدثها الله تعالى فيها) أي يوجدها في هذه الاشياء بلا حياة لها العدم توقف ماذكر عليها (ويسمعها) بضم الياء وكسر الميم أي من شاء من خلقه (منها) أي من الاصوات والحروف (دون تغيير أشكالها) أي أنواع صورها (ونقلها عن هيئتها) أي حالتها وصفتها وتمام حقيقتها (وهو) أي هذا القول (مذهب الشيخ أبي الحسن) أي الاشعري (والقاضي أبي بكر) أي ابن الطيب الباقلاني (رحمهما الله تعالى) أقول فعلى هذا كلام الشاة من جنس سلام الحجر وكلام الشجر فلا يصلح أن يكون مستند الاحياء الموتى على ما ساقه المصنف كما لا يخفى بخلاف ما يستفاد من قوله (وآخرون ذهبوا الى

ايجاده) أي الله سبحانه وتعالى (الحياة) وفي نسخة الى ايجاد الحياة لها أولا (ثم الكلام) بالنصب أو الجر أي ثم ايجاد الكلام (بعده) أي بعد ايجاد الحياة بها مع عدم تغيرها عن حالها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا) أي معشر أهل السنة (أبي الحسن) أي الاشعري (وكل) أي من القولين (محتمل) أي لايجاد الحياة فيها أو لعدمها ولما كان التناقض بين القولين دفعه المصنف بحمل القول الثاني على الكلام النفسي لاستلزامه الحياة وحمل الاول على اللفظي لعدم استلزام خلقه في محل خلقها فيه بقوله (والله أعلم اذلم نجعل) أي نحن ويجوز بصيغة الغائب أي أبو الحسن (الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذلا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها) أي فيه (فأما اذا كانت) أي الحروف والاصوات (عبارة عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة لها) أي للاصوات (اذلا يوجد كلام النفس الامن حي) أقول وظاهر الآيات والاحاديث يؤيد القول الاول فتأمل منها قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وحديث ان الجبل ينادي الجبل باسمه أي فلان هل مر بك أحد ذكر الله تعالى فاذا قال نعم استبشر الحديث مع انه ليس هناك خرق للعادة فالصحيح من مذهب أهل السنة والصريح من مشرب الصوفية أن الاشياء لها معرفة بموجدها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها ألسنة مسبحة لخالقها ويفهمها جنسها ومن أراد الله ادراكها (خلافا للجبائي) بضم الجيم وتشديد الموحدة بعدها ألف ممدودة نسبة الى جبي قرية بالسواد وهو من متقدمي المعتزلة وكان اماما في علم الكلام وأخذه عن يعقوب بن عبد الله الشحام الذي البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الاشعري علم الكلام وله معه مناظرات مستحسنة بعدما أقام على الاعتزال معه أربعين سنة ثم رجع حاله وحسن مآله ومال الى مذهب أهل السنة وصار امام الائمة قيل انه مالكي المذهب وقال السبكي أخذ فقه الشافعي عن أبي اسحق المروزي توفي في عام ثلاثين وثلثمائة وأما الجبائي فمات سنة ثلاث وثلثمائة (ومن بين سائر متكلمي الفرق) أي فرق الاسلامية اذلم يوافقه أحد منهم (في احالته) أي عدم امكانه (وجود الكلام اللفظي) والحروف والاصوات الامن حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات (والتزم) أي الجبائي (ذلك) أي ماذكر من التركيب (في الحصى) أي الذي سبح في يد المصطفى (والجذع) أي الذي حن وأن (والذراع) أي الذي تكلم وبين

(ايجاد الحياة بها أولا) قبل نطقها وصدور الكلام منها (ثم الكلام بعده) أي بعد ايجاد الحياة بها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن) الاشعري كما حكى القول الاول عنه فله قولان في هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم أن يكون المصنف رحمه الله تعالى أدركه وتلمذ له كما لا يخفى في مثله (وكل) من القولين (محتمل) اسم مفعول أي جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه بدونها ولا تناقض على ماقررناه في كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل أحدهما وليه على الكلام النفسي لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والآخر على اللفظي لعدم استلزام خلقه في محل خلقها فيه ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى (اذلم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات) وحينئذ يحتمل أنه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل انه أنطقها بدون ذلك اذلا يشترط وجوده ولا عدمه (اذلا يستحيل) ويمتنع عقلا (وجودها) أي الحروف والاصوات (مع عدم الحياة بمجردها) أي وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها (فاما اذا كانت) أي الحروف والاصوات أو هذه العبارة التي هي الكلام فالتأنيث لمراعاة الخبر في قوله (عبارة) أي معبرا بها والظاهر الثاني (عن الكلام النفسي) الذي يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسي والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل في علم الكلام يضيق طوق المقام عنه (فلابد من شرط الحياة لها) لانها العلم أو مستلزمة له وعلى كل حال فلابد من الحياة فيها (اذلا يوجد كلام النفس الامن حي) اذلابد له من نفس تقوم به والنفس لاتكون الاذات حياة وأما الكلام اللفظي فلا يشترط فيه ذلك (خلافا للجبائي) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وياء نسبة الى الجباء قرية بالسواد وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد بن حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان البصري رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلثمائة (من بين سائر متكلمي الفرق) أي فرق أهل السنة والمعتزلة فانه تفرد (في احالة وجود الكلام اللفظي) أي عده محالا عقلا وعادة (والحروف والاصوات الامن حي مركب) قائم بحسب الصورة (على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات) بأن يكون جسما له آلة نطق وجوف ثم لما ورد عليه ماتواتر من نطق غيره قال دفعا له يلتزمه واليه أشار بقوله (والتزم ذلك) أي وجود التركيب المذكور (في الحصا) بمهملتين جمع حصاة (والجذع والذراع)

(وقال) أي الجبائي (ان الله خلق فيها حياة وخرق) بالراء أي شق ويروى خلق (لها فما ولسانا وآلة) أي مما يتوقف النطق عليها (مكنها) بتشديد الكاف وفي نسخة أمكنها أي أقدرها الله تعالى (بها من الكلام وهذا) أي ما ادعاه دعوى بلا بينة منه فانه كما قال المصنف (لو كان) أي وجد ما ذكره (لكان نقله والتهمم به) أي الاهتمام بنقله (أو كد) لكونه أغرب وأعجب فنقله أهم (من التهمم بنقل تسبيحه) أي الحصى في يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وحنينه) أي الجذع اليه (وأخباره) أي الذراع له كذا في شرح الدلجي ولم يوجد لفظ وأخباره في الاصول المعتمدة (ولم ينقل أحد من التفسير) أي شراح الحديث وفي نسخة من أهل السير أي أرباب التواريخ (والرواية) أي من المحدثين (شيأ من ذلك) أي مما ادعاه الجبائي (فدل) أي عدم نقلهم ما ادعاه (على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر) أي في نظر العقل وخبر النقل اذ المقام مقام خرق العادة وهو انما يكون على وفق القدرة والارادة وهو سبحانه وتعالى على كل شئ قدير (والله الموفق) أي لتيسير كل عسير وفي نسخة والموفق الله لا سواه (وروى وكيع) الظاهر انه ابن الجراح وقد تقدم (رفعه) بالنصب وفي نسخة بصيغة الفعل أي رفع حديثه (عن فهد بن عطية) بالفاء في أوله وبالدال في آخره وفي نسخة بالراء وكلاهما لا يعرف على ما ذكره الدلجي تبعا للحلبي وفي المواهب عن مهد بالميم والدال ولعله تصحيف وانما رواه البيهقي عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم في آخره راء عن بعض أشياخه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتى

الذي نطق له صلى الله تعالى عليه وسلم لتواتره (وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما) أي أبدعه وميزه عن غيره من الاعضاء كما خرق سمعه وشقه اذا أبرزه وصوره (ولسانا وآلة للكلام (أمكنها) أقدرها وجعلها متمكنة بها (من الكلام) والنطق (وهذا) أي المذكور من الآلة والاعضاء دعوى بلا بينة اذ (لو كان) أي ما ادعاه وقع في الخارج (لكان نقله) أي وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة (والتهمم به) تفعل من الهم أي الاهتمام والاعتناء به (آكد) بالمد وأو كد بالواو بمعناه أي أقوى وأشد (من التهمم بنقل تسبيحه) أي تسبيح الحصا (وحنينه) أي الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شائعا ولم ينقل انه روى له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة في المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها (ولم ينقل أحد من أهل السيرة) أي رواة الحديث والسير النبوية (والروايات) وفي نسخة الرواية (شيأ من ذلك) المذكور الذي ادعاه (فدل) عدم نقلهم (على سقوط دعواه) أي بطلانها (مع انه لا ضرورة) داعية (اليه في النظر) والفكر في الامور المعقولة وأما كون الله خلق ذلك وأخفاه فاوهى من دعواه (والله الموفق) للصواب (وروى وكيع) بفتح الواو والكاف المكسورة هو أبو سفيان بن الجراح بن مليح بن عدي الراسي (رفعه) أي رواه مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن فهد بن عطية) هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفي نسخة راء مهملة قال البرهان لا أعرفه بدال ولا براء والذي في البيهقي انه عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتي بصبي قد شب) أي كبر وصار شابا وهو (لم يتكلم قط) من طفوليته لشبابه لانه خلق أخرس (فقال) له (من أنا فقال أنت رسول الله) فانطقه الله معجزة له صلى الله عليه وسلم بعدما كان أبكم وذكر هذا في الفصل الذي بعده أظهر وان كان هذا بتنزيل الابكم لمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق (وروى عن معرض بن معيقب) بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل وقيل الراء مكسورة مشددة وروى معيقب بباء وقيل معيقل بلام (رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا) أي أمرا عجيبا وقع عنده وهو انه (جيء) بالبناء للمجهول أي جاء اليه بعضهم (بصبي يوم ولد) مجهول أيضا (فذكر) راويه وهو معرض (مثله) أي مثل ما مر من انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم من أنا فقال له أنت رسول الله (وهو) معروف في المعجزات بانه (حديث مبارك اليمامة) وفي نسخة وكان يسمى أي ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله تعالى

بصبي) أي جيء به اليه (قد شب) أي صار شابا (لم يتكلم قط فقال له من أنا فقال رسول الله) أي أنت رسوله (وروى) بصيغة المجهول وقد رواه البيهقي وابن عساكر (عن معرض) بضم ميم وتشديد راء مكسورة وروى معرض بكسر أوله كانه آلة (ابن معيقيب) بالتصغير وفي نسخة معيب بخلاف الياء الثانية (رأيت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) وفي المواهب أسند الحديث الى معيقيب اليماني قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت منه عجبا أي خرق عادة متضمنا الكرامة (جيء) أي اليه (بصبي يوم ولد فذكر مثله) أي قال له من أنا قال رسول الله (وهو حديث مبارك اليمامة) قال ابن دحية هو موضوع ذكره الدلجي ولعله موضوع باسناد غير معروف لما تقدم من ان الحديث هذا رواه البيهقي وابن عساكر فتأمل فانه محل زلل

(ويعرف) أي حديث المبارك أيضا (بحديث شاصونة) بضم الصاد وسكون الواو وفنون فتاء وضبط في بعض النسخ بتحتية بدل النون وفي أخرى بفتح الصاد والواو وسكون الياء فهاء مكسورة هو أبو عبيد من أهل اليمن (اسم راويه) أي راوي حديث المبارك قال الحلبي هذا الصبي هو مبارك اليمامة وهو مذكور في الصحابة قال الذهبي في تجريده في الصحابة مبارك اليمامة في حديث معرض الصحابة (وفيه) أي في مروي شاصونة (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت) أي فيما نطقت (بارك الله فيك) أي في عمرك أو في أمرك (ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها) أي بعد هذه الكلمة أو الشهادة (حتى شب) أي بلغ زمن التكلم وفيه ايماء الى أن المراد بالغلام هنا هو الصبي قبل ان يصير شابا فهذا غير الصبي الذي تقدم والله تعالى أعلم (فكان) وفي نسخة

صحيحة وكان (يسمى مبارك اليمامة) أي لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالبركة أضيف الى اليمامة لانه كان من أهلها وفي القاموس ان اليمامة جارية زرقاء كانت تبصر الرا كب من مسيرة ثلاثة أيام وبلاد الجو منسوبة اليها سميت باسمها وهي أكثر نخيلا من سائر الحجاز وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة هذا وقد جمع الجلال السيوطي رحمه الله تعالى جميع من تكلم وهو صغير في هذه الابيات

تكلم في المهد النبي محمد
ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف
وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم

عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا مؤخر في النسخ كما سيأتي (ويعرف) ذلك الحديث (بحديث شاصونة) بشين معجمة وألف وصاد مهملة وواو ساكنة تليها نون وهاء وهو (اسم راويه) أي راوي هذا الحديث وبيانه ما قاله السيوطي في خصائصه الكبرى قال الخطيب أخبرني علي بن أحمد الرزاز قال حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم املاء قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمي املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامي منصرفا من عدن سنة عشر ومائتين بقرية يقال لها الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليمامي عن أبيه عن جده حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا غلام من أنا فقال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال أبي فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة سمعت هذا الحديث منه منذر ثمانون سنة ولم أسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطني كان الكديمي يتهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بيني وبينه عقدة لا أحلها الا بين يدي الجبار فانتهى اليه الخبر فكان لا يذكره الا بخير وقال الخطيب ان الكديمي لما أملى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الا أنه قد وقع الينا من غير طريق الكديمي ثم ساقه بسنده الى آخره قال السيوطي فقد وقع روايته من طرق فهو حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطي هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف (وفيه) أي في هذا الحديث (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له) أي للصبي حين تكلم (صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد) مبني على الضم أي بعد ذلك الكلام (حتى شب) أي كبر ووصل سن النطق (فكان يسمى مبارك اليمامة) لدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له بالبركة (وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع) بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها آخر حجه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب أجله وانه يودع فيها أمته (وعن الحسن) البصري وقدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي (أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له) تصغير بنت (في وادي كذا) لم يعينه راويه أي رماها ثمة فماتت وقيل انه وأدها على عادة الجاهلية (فانطلق) أي مشى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

(معه)

(وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع) بفتح الواو وتكسر وهي سنة عشر من الهجرة (وعن الحسن) أي البصري (أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وأسلم هو وامرأته (فذكر) أي الرجل له (انه طرح بنية) بالتصغير (له في وادي كذا) يعني وانها هلكت على ظنه بها أو تردد في حياتها ومماتها (فانطلق) أي فذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

(معه الى الوادي) أي المعهود (وناداها) أي البنية أبوها أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (باسمها يا فلانة أجيبي) أي دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باذن الله تعالى) أي بامره وتيسيره (فخرجت) أي من الوادي وظهرت فيه (وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) أي بالحياة الاصلية أو المجددة رددتك عليهما أو الافتركتك على حالك (فقالت) وفي نسخة قالت (لا حاجة لي بهما) وفي نسخة فيهما (وجدت الله خيرا لي منهما) والحديث عن الحسن لم نعلم من رواه كذا ذكره الدلجي ثم سياقه محتمل ان يكون من كلام الصغار أو في احياء الموتى لان القضية تحتملهما الا ان المصنف رحمه الله لم يرتب في هذا المحل اذ كان اللائق به ان يذكر أولا ما يتعلق باحياء الموتى ثم يأتي بكلام الصبيان على طبق العنوان ثم رأيت الحديث في دلائل البيهقي صريحا في احيائها حيث ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أرني قبرها فاراه اياه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا فلانة قالت لبيك وسعديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أتحبين ان ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا فقال حق المصنف ان يقدم هذا الحديث بهذا اللفظ في صدر الباب ليكون مطابقا لعنوان الكتاب ثم يذكر ما اخرجه أبو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاكل القوم وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها كذا ذكره صاحب المواهب واما ما ذكروا عنه عليه الصلاة والسلام من احياء أبويه وايمانهما به على ما رواه الطبراني وغيره عن عائشة فاتفق الحفاظ على ضعفه كما صرح به السيوطي وقال ابن دحية هو موضوع مخالف للكتاب والسنة وقد بينته في رسالة مستقلة لتحقق هذه المسألة ردا على العلامة السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة وبيان الدلائل المضعفة (وعن أنس) كما رواه ابن عدي والبيهقي وابن أبي الدنيا وأبو نعيم (ان شابا من الانصار توفي وله أم عجوز) أي مات حال وجودها (عمياء فسجيناه) بتشديد الجيم أي غطيناه (وعزيناها) بتشديد الزاي أي أمرناها بالصبر وحملناها على الشكر لوعد الاجر والحذر من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة ولولدها بالمغفرة (فقالت مات ابني) أي امات (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم) أي من نيتي في هجرتي (اني هاجرت اليك والى رسولك

(معه الى الوادي) الذي ذكره له (وناداها) أي نادى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنت ذلك الرجل (باسمها يا فلانة أجيبيني باذن الله تعالى) أي بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر تجوزا مشهورا (فخرجت) حية من قبرها (وهي تقول لبيك وسعديك) أي اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور في كتب النحو كما تقدم (فقال لها) لما اجابته (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما (قالت لا حاجة لي فيهما) ولا أريد الرجوع اليهما (وجدت الله) وما عنده من الخير (خيرا لي منهما) ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احياء الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير أيضا وقد نطق في المهد جماعة منهم من ذكر في هذه الاحاديث وسيأتي تمامه واعلم ان من تكلم في المهد من الاطفال كثير عدوا منهم عيسى ابن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة بنت فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وما ذكره المصنف رحمه الله وقد نظمهم السيوطي في قوله

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك أيضا (وعن أنس) في حديث رواه البيهقي وابن عدي مسندا (ان شابا من الانصار توفي وأمه عجوز عمياء) وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها (فسجيناه) بالسين المهملة والجيم أي غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض أو كفناه (وعزيناها) أي صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية أهل الميت عنه وهي سنة معروفة (فقالت لهم) لما عزوها (مات ابني) فيه استفهام مقدر أي أمات ابني وانما قالته اما لانها لم تعلم أو لتذكر ما بعده أو لذهولها بالمصيبة (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت) الهجرة الانتقال من بلد الى آخر وهذا لا ينافي كونها من الانصار لانها قد تسكن في مكان بعيد هاجرت منه (اليك والى نبيك) الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فالله معها أينما

رجاء) بالنصب أى من أجل أملى (ان تعينني على كل شدة) أى واقعة لى (فلاتحملن على) بتشديد الياء (هذه المصيبة) اذلست لحملها
مطيقة هذا ولا يبعد ان يكون ان بمعنى اذلكن الاولى ماقدمناه من ان الترديد غير راجع الى علمه سبحانه وتعالى بل الى معلومه من
حيث عدم جزمها بكون هجرتها خالصة وقد أبعد الدلجى بقوله تجاهلا منها فيه (فما برحنا) بكسر الراء أى ماذهبنا من مكاننا ولانزلنا
فى موضعنا (حتى كشف الثوب) كذا فى أصل الدلجى أى الى ان كشفه وفى الاصول المعتمدة ان كشف الثوب أى
فمازلنا كشفه ومافارقنا
رفعه (عن وجهه) بعد
دعائها الى احيائه (فطعم
وطعمنا) بكسر العين
أى فعاش مدة بدعائها
وأكل وأكلنا معه وفيه
اشارة الى ان الكرامات
نوع من المعجزات بل
هى أبلغ منها حيث
حصل للتابع مايحصل
للمتبوع من خوارق
العادات هذا وليس فيه
صريح دلالة على احيائه
بعد اماتته لاحتمال اغمائه
مع وجود سكتته لكن
زال الغم بدعاء الام
(وروى) أى على مانقله
البيهقى (عن عبدالله بن
عبيدالله الانصارى كنت
فيمن دفن ثابت بن قيس
ابن شماس) بتشديد
الميم قال الحلبى ثابت هذا
انصارى خطيب الانصار
وقدشهد له النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم
بالجنة وذلك انه لما نزل
قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لاترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبى الآية
احتبس ثابت عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فى اذنيه صمم فكان يرفع صوته وقال لقد
علمتم انى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال بل هو من أهل الجنة روى عنه بنوه وأنس (وكان) أى ثابت (قتل باليمامة) وكانت وقعة اليمامة سنة اثنتى عشرة فى خلافة
الصديق (فسمعنا حين أدخلناه القبر يقول

كما

كانت (رجاء ان تعينني) بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين (على كل شدة) الشدة بمعنى الصعوبة هنا أى
على كل أمر شاق يصعب على ويعسر تحمله لاسيما فقد الولد مع كبر السن وعدم البصر وعلقته بان
المشعرة بعدالجزم باعتبار ان خلوصها فى هجرتها الله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه
لا لانها لاتعلم ذلك لانه ينافى توصيلها به الى الله أو باعتبار القبول أو تجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب
مفعول له (فلاتحملن) بالحاء المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى لاتكلفن لان التكليف كالحمل
الثقيل فاستعير له كقوله تعالى لاتحملنا مالاطاقة لنا به (على) بجر ياء المتكلم (هذه المصيبة) يعنى موت
ولدها فى هذه الحالة (فما برحنا) أى ماذهبنا من مكاننا الذى كنا فيه (حتى كشف) ولدها (الثوب عن
وجهه) بعدما غطى به (فطعم وطعمنا) أى قدم لنا طعام أكل منه ولدها وأكلنا معه وذكروا انه عاش
الى وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بقى بعده كما ذكره ابن أبى الصيف وفيه معجزة حيث
انه أحيى الميت للدعاء باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبى (وروى)
الراوى له البيهقى رحمه الله تعالى (عن عبدالله بن عبيدالله الانصارى) بتصغير الثانى (كنت فيمن
دفن ثابت بن قيس) أى حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب
ابن الخزرج الانصارى المدنى الصحابى وكان خطيب الانصار وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بالجنة (وكان قتل باليمامة) وروى له البخارى والنسائى وأبوداود وكان جهورى الصوت فلما نزل
يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته
اذا تكلم فسئل عن سبب ذلك فقال قد علمتم انى أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاخشى ان أكون من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من أهل
الجنة وقال التلمسانى انه كان باذنه صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لايحتاج لرفع صوته وقد
قال ابن حجر ان الصحابة لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة فى ربيع الاول سنة اثنتى عشرة فى
خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كما مر وهى بلدة مسيلمة الكذاب وهى على ستة
عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه أوصى بعد موته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية أحد بعد موته الا هو
وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر وكانت أنفس درعيه فرأى رجل
ثابتا فى منامه فقال أوصيك بوصية فاياك ان تقول انها حلم فتضيعها انى قتلت أمس فربى رجل فاخذ
درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة
رحلا فأت خالدا يعنى أميرهم فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابى بكر ان على دينا للناس
مقداره كذا والدائن فلان وفلان وان رقيقى فلانا حر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده
الدرع فوجدها كما وصف وأخبر أبو بكر بوصيته فاجازها (فسمعناه حين أدخلناه القبر
يقول) أى سمعنا كلامه ففيه مضاف مقدر أو الضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله الثانى على
ماذهب اليه أبو على الفارسى من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه
متعد لواحد مقدر والجملة حالية أو مستأنفة وقد خطأ ابن السيد أبا على فى هذه المسئلة فى كتاب الحلل

محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان) وفي نسخة وعثمان (البر) بفتح الموحدة (الرحيم) أي البار لقومه عامة والرحيم برحمة خاصة (فنظرنا) أي مختبرين حاله من حياة وموت (فاذا هو ميت) فهذا الحديث دليل كلام الموتى لا احيائهم كما لا يخفى (وذكر عن النعمان بن بشير) كما رواه الطبراني وأبو نعيم وابن منده عنه وابن أبي الدنيا في كتاب من

عاش بعد الموت عن أنس (ان زيد بن خارجة) بالخاء المعجمة ثم الجيم (خر ميتا) أي سقط من قيام أو قعود حال كونه ميتا وجوز ان يكون التقدير وقد خر حيا فمات به في عقبه ويؤيده ما في رواية ابن أبي الدنيا على مانقله عنه القسطلاني فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي (في بعض أزقة المدينة) بكسر الزاي وتشديد القاف جمع زقاق أي بعض طرقها المسلوكة في داخلها (فرفع) أي جسده (وسجي) أي غطي وجهه (اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن) بضم الراء أي يبكين بصياحهن (حوله) أي ومعهن رجال من أهله (يقول انصتوا انصتوا) بفتح الهمزة وكسر الصاد فيهما أي اسكتوا واستمعوا والتكرير للتأكيد فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب (فحسر) بصيغة الفاعل أي كشف غطاءه (عن وجهه) وفي نسخة بصيغة المفعول ويؤيده انه في رواية فحسروا عن وجهه (فقال) أي القائل على لسانه كما في رواية (محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (النبي الامي وخاتم النبيين) أي آخرهم (كان ذلك) أي كونه رسولا نبيا أميا وخاتما كليا (في الكتاب الاول) أي اللوح المحفوظ أي الذي كل ما فيه لا يبدل (ثم قال) أي زيد (صدق صدق) أي رسول الحق والتكرير للتأكيد أو صدق فيما أخبر به عن الابتداء كما انه صدق فيما انبأ به عن الانتهاء

كما فصلناه في غير هذا المحل واجبنا عنه (محمد رسول الله أبو بكر الصديق) مبتدأ أو خبر أي الكامل في التصديق والصدق لانه لم يرتب في تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق الناس في ذلك فلذا خص بالصديقية وسيأتي تحقيقها (عمر الشهيد) أي المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء لان قاتله كافر مجوسي وهو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس وهو شهيد أيضا (عثمان بن عفان) (البر الرحيم) ذو البر والاحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم أيضا أي ذو رحمة ورأفة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته (فنظرنا اليه) لما تكلم بعد موته لتوهمنا انه عادت اليه حياته (فاذا هو ميت) أي فاجأنا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله وانما انطقه الله الذي أنطق كل شيء لتحقق حياة الشهداء قيل وقوله هذا كان عند سؤال الملكين اما ان قلنا ان الشهداء يسئلون وفيه نظر (وذكر) بالبناء للمجهول وهذا مما رواه الطبراني وأبو نعيم وابن منده ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا (عن النعمان ابن بشير) الصحابي الانصاري الخزرجي البدري وهو أول من بايع أبا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد بعين النهر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان أول مولود بعد الهجرة ولد بعد أربعة أشهر منها ومات بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة أربع وستين وولاه معاوية حمصا والكوفة (ان زيد بن خارجة) هذا أصح مما وقع في بعض النسخ ابن حارثة وان كان من بني الحارث بن الخزرج لانه زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك من بني الحارث ابن الخزرج قال في الاستيعاب ولم يختلفوا في انه هو الذي تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال أبو نعيم الاصبهاني خارجة بن زيد هو الذي تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الاثير في أسد الغابة وكذا قال الذهبي وقيل المتكلم أبوه وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزي ولم يحك فيه خلافا ولابن أبي الدنيا جزء أفرده لمن تكلم بعد الموت ولم نقف عليه (خر ميتا) أي سقط من قيام في حال كونه ميتا وأصل معنى خر سقط سقوطا يسمع معه خرير وتقدم ان الخرير صوت الماء والريح ونحوه مما يسقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا (في بعض أزقة المدينة) جمع زقاق كغراب وهو الطريق (فرفع) بالبناء للمجهول أي أخذ من مكانه الذي سقط فيه (وسجي) بالبناء للمجهول أي غطي (اذ سمعوه بين العشائين) اذ هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعني المغرب والعشاء على التغليب (والنساء يصرخن) بالصاد المهملة والخاء المعجمة ونون النسوة (حوله يقول) مفعول ثان لقوله سمعوه أو حال أو هو جملة مستأنفة كما ومقول القول (انصتوا انصتوا) أي استمعوا وكرره للتأكيد (فحسر عن وجهه) بضم الحاء وكسر السين والراء المهملات أي كشف عنه بعدما كان عليه غطاء (فقال) لما كشف عن وجهه (محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين) أي آخرهم بعثا كما مر (كان ذلك) المذكور من كونه رسولا ونبيا أميا خاتما للرسل (في الكتاب الاول) أي في جنسه من الكتب المتقدمة أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله تعالى (ثم قال) زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده أو لمن يصح ان يتوجه الخطاب اليه أو مجردا من نفسه مخاطبا مأمورا ان كان قوله (صدق صدق) أمرا كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما رأيناه بضبط القلم واعتمد عليه في الشرح الجديد وقال فاعله ضمير

(وذكر أبا بكر وعمر وعثمان) أي بخير وبأنهم صدقوا فيما عاهدوا الله عليه أو بأنهم ممن قال تعالى فيهم والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وذلك لما كشف له من أحوال الآخرة هذا وقد تصحف على الدلجي حيث قال صدق صدق أمر مخاطب (ثم قال) أي زيد (السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته) وهو سلام وداع اما غيبة واما مشاهدة ويؤيده انه في رواية قال هذا رسول الله الخ قال التلمساني روي تركناه أقول الظاهر انه تصحيف (ثم عاد ميتا كما كان) أي عود البدء واعلم ان صاحب الاستيعاب ذكر في زيد ابن خارجة بن زيد انه هو الذي تكلم بعد الموت لا يختلفون في ذلك قال الذهبي وهو الصحيح وقيل هو أبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد قال ابن عبد البر توفي في زمن عثمان فسجي بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال أحمد أحمد في الكتاب الاول صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الامين في الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجه مضت أربع وبقي سنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر اريس هذا وعن سعيد ابن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أبو بكر بن الضحاك والله سبحانه وتعالى أعلم

مستتر عائدا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالامر ظاهر أي صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغ عن الله (وذكر) بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أبا بكر وعمر وعثمان) وكانه لم يذكر عليا رضي الله تعالى عنه لعدم ادراكه خلافته لانه توفي في زمن عثمان كما ذكروه ومراده الثناء عليهم رضي الله تعالى عنهم بما فعلوه وأيدوا به الدين الذي بلغه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه (ثم قال السلام عليك يا رسول الله) دعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم وأصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدأ للدلالة على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق أنواع السلام الذي وجه للانبياء وزيادة ومعناه السلامة من النقائص والتكريم والتشريف بما يليق بجنابه كما بينوه وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذي هو من جملتهم (ورحمة الله وبركاته) والرحمة بمعنى الانعام والاحسان أو ارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لمن أباه لورودها في حديث التشهد كما مر ويأتي بيانه أيضا والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب أصل البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير التي بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا في الحرب وبركات القتال مكان يلزمه الابطال وسمي محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في الشئ قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة (ثم عاد ميتا كما كان) قبل تكلمه حين سجي وكفن * فان قلت المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم باحياء الموتى وانطاق من ليس من أهل النطق له وما في هذا الحديث ليس كذلك * قلت هو من امته صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل على ما قبله ومؤكد له لانه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثله فكيف لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في ابراء المرضى) جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم زوال مرضهم وحصول شفائهم وأصل البرء والبراءة والتبري التفصي مما يكره ولذلك قيل برئت من المرض اذا خلصت منه (وذوي العاهات) جمع عاهة وهي الآفة ويقال عاه الزرع اذا أصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة وقد لا تخص بها فتكون الامراض ما يعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون أتم فائدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضاء كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقيا أيضا وهذا هو المعروف (أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره) تقدم الكلام على هذا وعلى معنى الاجازة قال (حدثنا أبو اسحق الحبال) بحاء مهملة وموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بحاء مهملة أيضا كما تقدم قال (حدثنا ابن الورد) عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوي سيرة ابن هشام

(فصل) (في ابراء المرضى وذوي العاهات) أي الآفات (قال) أي المصنف (أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة (فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال) أي أبو الحسن أو كل منه ومن غيره (ثنا أبو اسحق الحبال) بتشديد الموحدة (ثنا أبو محمد بن النحاس) بتشديد الحاء المهملة (ثنا ابن الورد) وهو راوي سيرة ابن هشام (عن

(عن البرقي) هو أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبي ذرعة البغدادي الزهري مولاهم المعروف بابن البرقي نسبة لبرقة اسم مكان (عن ابن هشام) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الامام الاديب النحوي صاحب السير وهو حميري معافري بصري وسكن مصر وتوفي بها سنة ثلاث عشرة ومائتين وله تآليف نفيسة ككتاب الانساب وغريب أشعار السير وغيره كما أصله ابن خلكان وفي تاريخ وفاته اختلاف (عن زياد البكائي) بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة سمي البكائي لانه دخل على أمه فرآها تحت أبيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان أبي قتل أمي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له أصحاب السنن وترجمته في الميزان مفصلة (عن محمد بن اسحق) الامام صاحب المغازي والسير كما تقدم قال (حدثنا ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري شيخ ابن اسحق الامام المشهور كما تقدم ووقع في بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما في المقتفى (وعاصم بن عمر بن قتادة) بن النعمان الظفري الثقة امام رواة المغازي توفي سنة تسع أو سبع وعشرين أو عشرين فقط ومائة أخرج له الستة وترجمته في الميزان (وجماعة ذكرهم) فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهري (بقضية أحد بطولها) متعلق بذكرهم والباء بمعنى في وقضية أحد غزاتها وما وقع فيها (قال وقالوا) أي الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحق التي أسندها المصنف رحمه الله عنهم ورواه البيهقي أيضا (قال سعد بن أبي وقاص) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه في قصة أحد التي رواها بطولها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني) أي يعطيني بيده وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية (السهم الذي لا نصل به) بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام وهو حديدة في طرف السهم والرمح وفي بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان والصحيح الاول والثاني لا يتضح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكأنه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح أيضا لان النضل رمي السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى به لانه لا نصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا (فيقول) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له (ارم به) بكسر الهمزة والميم أمر من الرمي والضمير للسهم وفي الكلام مقدر أي فيرمي به ويقتل من أصابه سهمه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان لم يكن محل الشاهد (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ) أي يوم أحد (عن قوسه) يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه (حتى اندقت) أي انكسرت والقوس مؤنثة سماعية وأصل معنى الدق الرض بجرم صلب (وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان) أصيبت مبني للمجهول أي أصابها سهم فأخرجها وأذهبها وروي أصيب بدون

(عن البرقي) بفتح الموحدة وسكون الراء وهو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن أبي زرعة البغدادي الزهري مولاهم (عن ابن هشام) هو الامام الاديب العلامة أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب صاحب السيرة قال السهيلي مشهور بكمال العلم متقدم في علم النسب والنحو والادب وأصله من البصرة قدم مصر وحدث بالمغازي وتوفي بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن زياد البكائي) بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة الى جد له اشتهر بالبكاء وقيل سمي به لانه دخل على أمه وهي تحت أبيه فبكى وصاح وقال انه يقتل أمي روى عنه أحمد وقال ابن معين لا بأس به في المغازي خاصة (عن محمد بن اسحق) وهو الامام في المغازي (ثنا ابن شهاب) وفي نسخة ابن هشام والاول هو الصواب والمراد به الزهري وهو أحد مشايخ ابن اسحق المذكور (وعاصم بن عمر ابن قتادة) أي ابن النعمان الظفري يروي عن أبيه وجابر وعنه جماعة صدوق وكان علامة في المغازي مات سنة عشرين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة (وجماعة) أي آخرون (ذكرهم) أي ابن اسحق (بقضية أحد) أي في غزوته (بطولها) أي بجميع ما يتعلق بها ومنها هذه القصة بخصوصها وقد رواها البيهقي أيضا (قال) أي ابن اسحق (وقالوا) أي مشايخنا المذكورون (قال سعد ابن أبي وقاص) أي في غزوة أحد وهو أحد العشرة المبشرة (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل به) بالصاد المهملة حديدة السهم والرمح وفي نسخة بالضاد المعجمة وهو تصحيف وتحريف (فيقول ارم به) أي فارمي به فيقتل من أصابه وهذا من خرق العادة ولعل هذا كان بعد فراغ السهام التي لها نصل (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على ما رواه ابن اسحق والبيهقي عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا (يومئذ) أي يوم أحد (عن قوسه) وهي المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف أي انكسرت وفي نسخة حتى اندقت سيتها كذا في السير (وأصيب) وروي وأصيبت (يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان) بضم النون هو تفسير من الراوي

(حتى وقعت على وجنته) بتثليث الواو والفتح أفصح أي سالت على أعلى خده فأتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امرأة أحبها وأخشى ان رأتني تقذرني فأخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم أكسه جمالا وفي رواية انه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ما هذا يا قتادة فقال هذا ما ترى يا رسول الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يا رسول الله ان الجنة أجر جزيل وعطاء جليل جميل ولكني أكره ان أعير بالعور فردها الى وأسأل الله لي الجنة فقال افعل فأعادها الى موضعها ودعا لي بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدي والبيهقي عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقي من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري عن قتادة (فكانت) أي عينه المردودة (أحسن عينيه) لانها المقبولة وكانت أيضا أحدهما نظرا ولا ترمد اذا رمدت الاخرى ولذا ظهر ضعف قول التلمساني يجوز أن يكون اكتفى بذكر احدى العينين عن الاخرى اذ روى انهما أصيبتا معا فردهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا او يمكن الجمع بتفرق القضيتين هذا وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أبونا الذي سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها
فيا حسن ما عين ويا حسن ماخد

فوصله عمر وأحسن جائزته وقال

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن قتادة قال كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه واجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا (وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) أي كما تقدم قيل وهو الذي قدم على عمر بن عبد العزيز كما سبق (ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة) كذا في النسخ ولم يعرف في رواة الحديث بل ولا في جملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض ابن عمر بن قتادة وقال الحلبي الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن ذلك لان عاصم بن عمر شيخ يزيد هذا ويزيد بن عياض ليثي حجازي حدث عن نافع وابن شهاب والمقبري وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة وعنه علي بن الجعد وشيبان وعدة قال البخاري وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد أخرج له الترمذي وابن ماجه ولا يحتمل أن يكون يزيد بن عياض يروي عن عمر بن قتادة لان عمر بن قتادة لم يرو عنه الا ولده عاصم ولا يعرف الا برواية عنه وجده ذكره ابن حبان في الثقات

تأنيث للتأويل بالعضو أو للفاصل بينهما (حتى وقعت) عينه (على وجنته) الوجنة أعلى الخد وما يلي العين من الوجه ويطلق على الخد كله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده) أي أعاد حدقة عينه التي سالت لمكانها (فكانت) العين المردودة بيده صلى الله تعالى عليه وسلم (أحسن عينيه) أي أجملهما وأقواهما حسنا أي أحسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما أصيب وردت عينه فلا يرد عليه ان الشئ لا يكون أحسن من نفسه وقوله أصيبت عينه ظاهره انما أصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروى ان عينيه أصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما بأحدهما وهو فصيح مشهور كما قال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة وروى ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فقال له من أنت فقال بديهة

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال يا رسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكني أكره العور فردها واسأل الله تعالى لي الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسي اختلف أهل السير في عددها فقيل سبع وقيل ست وهي الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها والسداد ورند الرنان لصوتها والتي انكسرت بأحد هي الكتوم كما في الهدي النبوي والكلام على قسيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أين صارت وتوجيه تسميتها مذكور في السير وشروحها (وروى قصة قتادة) المذكور فيها رد عينه وهي قصة فيها طول اقتصر المصنف منها على محل الشاهد وذكر أولها لما فيه من المعجزة أيضا (عاصم بن عمر بن قتادة) صاحب القصة (ويزيد بن عمر بن قتادة) كذا في النسخ كما قاله

البرهان

(ورواها) أي قصة قتادة (أبو سعيد الخدري عن قتادة) فهي رواية الاكابر عن الاصاغر (و بصق) أي برق (على أثر سهم في وجه أبي قتادة) كما رواه البيهقي من حديث أبي قتادة وهو الحارث بن ربعي وقيل غير ذلك (في يوم ذي قرد) بفتح القاف والراء فدال مهملة وحكى السهيلي عن أبي علي الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها وبين خيبر ويقال لها غزوة الغابة كان يومه قبل خيبر بثلاثة أيام ذكره الحجازي قال ابن سعد كانت في الربيع الاول سنة ست وفي البخاري بعد حنين بثلاثة أيام وقبل الحديبية وفي مسلم نحوه وقال ابن القيم في الهدى وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازي والسير فذكروا انها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ماقاله بما أورده فيه (قال) أي أبو قتادة (فما ضرب على) أي ضربا (ولا قاح) من القيح وهي المدة لا يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح اذا حصل فيه مادة بيضاء (وروى النسائي) بالقصر ويمد باسناده في سننه وهو الذي تأخر بعد الثلاثمائة من أصحاب الكتب الستة سمع قتيبة وطبقته وأصحاب مالك انتهى اليه علم الحديث وروى عنه الكتاني وابن السني (عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة وفتح نون وعثمان هذا هو أخو عبادة وسهل وله صحبة ورواية شهد أحدا ومابعدها وهو أحد من تولى مسح سواد العراق لعمر وولي البصرة على

البرهان الحلبي والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد أوسقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثي الحجازي حدث عن نافع الى آخره وكذا وقع في نسخة على الصواب (ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة) رضي الله تعالى عنه وأبو سعيد هو أخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان أنصاري أوسي وشهد مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وأحدا وغيرهما من المشاهد وكانت واقعته يوم أحد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما ترى هل قلعت عينه أو عيناه والمشهور الاول ووقع الثاني مصرحا به في بعض الروايات أيضا كما رواه أبو نعيم الاصبهاني ونقله السهيلي وقال الدارقطني انه غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر في شرح الهمزية وهي زيادة ثقة فتقبل وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف أيضا هل انفصلت أولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى بها أو بهما في كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يا رسول الله اني محب للنساء وعندي امرأة أحبها فاخشى ان تقذرني فردها وادع الله لي بالجنة ففعل فكانت أقوى عينيه وأحسنهما وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنهما (و) روى البيهقي انه صلى الله تعالى عليه وسلم (بصق على أثر سهم) أي جعل ريقه ومافيه على جراحة (في وجه أبي قتادة) الحارث ربعي الانصاري السلمي الصحابي توفي بالمدينة وهو ابن أربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفي وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق أو مستقر حال أو صفة لسهم (في يوم ذي قرد) بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروى بضمتين كجبل وهو اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر والصوف الردي المتجعد فسمي به لانه معاطن فيها ذلك أو لكثرة طحلبه الشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال أيام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا وهي غزوة تسمى أيضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها ورده في الهدى النبوي والقرطبي في شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقاح ترعى بالغابة فيها ابن أبي ذر وامرأة من غفار فاغار عليها عيينة بن حصن الفزاري في أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر وسبوا المرأة فركبت المرأة ناقة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لا نذر في معصية الله ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونودي يا خيل الله اركبي وكان أول ما نودي به فادركهم في خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم عشرا وفروا بباقيها كما فصل في السير (قال) أبو قتادة (فما ضرب) الجرح وأثر السهم (على) أي ما آلمني ولا أوجعني ضربانه ولا سلط على ضربانه من الضر بان يقال ضرب الدهر بمعنى ألم (ولا قاح) أي سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح وتقيح والقيح صديد وهو شئ كالماء أصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذي والبيهقي (وروى النسائي) والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه والنسائي بالهمزة نسبة لنساء بلدة ويقال نسوي بالواو أيضا وأبو عبد الرحمن ابن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفي سنة ثلاث وثلاثمائة على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتاخر عن الثلاثمائة من أصحاب السنن غيره (عن عثمان بن حنيف) بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر وهو أخو عباد وسهل ابنا وهب وله صحبة ورواية وروى عنه أحمد وأصحاب

ان أعمى قال يارسول الله أدع الله ان يكشف لي عن بصري أي يزيل عنه ما حجبه (قال انطلق) وفي نسخة صحيحة فانطلق أي اذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك) أي ملتجئا ومتوسلا (بنبي) وفي رواية بنبيك (محمد نبي الرحمة يا محمد) فيه التفات (اني أتوجه بك

الى ربك ان يكشف لي عن بصري اللهم) التفات آخر (شفعه في) بتشديد الفاء والياء أي اقبل شفاعته في حقي (قال) أي عثمان الراوي (فرجع) أي الاعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهر ان قوله يا محمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من باب سوء الادب في ندائه فلا يحتاج الى تكلف الدلجي بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه الترمذي أيضا وقال حسن صحيح غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه في الصلاة والحاكم والبيهقي وصححاه (وروى) كما رواه أبو نعيم والواقدي عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) بضم الميم وكسر العين والاسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقال له ملاعب الرماح أيضا وتعبيره بالملاعب أبلغ من اللاعب سمي به لتقدمه وشجاعته فكأنه يلاعبها قال الحلبي لا أعرف ابنه وأما هو فعامر بن مالك عم عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم في الصحابة لكن قال الذهبي في تجريده والصحيح انه لم يسلم وقد قدم المدينة فعرض عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام في قصة بئر معونة (أصابه إستسقاء) أي المرض المعروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء أصفر في البطن

السنن وهو من الاشراف ولي سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرره ذا الحديث قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغي للقاضي ان يذكر سنده ليعلم انه صحابي لئلا يتوهم ان النسائي سمع منه ومثله سهل (ان أعمى) لم يذكروا اسمه (قال يا رسول الله أدع الله لي ان يكشف عن بصري) المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطاء فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة طلب ازالتها أو شبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه وبين المبصرات والرؤية بازالته ففيه استعارة (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر اله (انطلق) أي قم من مجلسك هذا (فتوضأ) أمر بالوضوء (ثم صل ركعتين) نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه أخذ ان كل من أهمه أمر ينبغي له ويستحب ان يصلي قبل الدعاء تقربا الى الله (ثم قل اللهم) أي يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه في غير هذا المحل (اني أسألك) وأطلب منك حاجتي هذه (وأتوجه اليك) أصل معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد به الاخلاص في القصة للدعاء والتوسل (بنبيك) وفي بعض النسخ بنبي بالاضافة الى ياء المتكلم (محمد نبي الرحمة) بدل من نبيك أو عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى الى خطاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه واسطة في كل ما يصل من الاحسان والفيض الالهي (يا محمد اني أتوجه بك الى ربك) أي أتوسل بك فيما طلبته من الله وهو (ان يكشف عن بصري) حجابه المانع له عن الرؤية وفيه مقدر أي فدعا فابصر ونداؤه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن في الدعاء مأمورا به كما هنا لقوله تعالى قل اللهم الى آخره فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه بتحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ليس بظاهر وعدل صلى الله تعالى عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا للامة وتواضعا وتأدبا مع الله تعالى وهذا الحديث مسند صحيح أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكي فيه حكايات فيها اجابة دعاء من دعا به من غير تأخر وقد أخرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه (اللهم شفعه) أي أقبل شفاعته (في) وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فيه في الدنيا برد بصره أو شفاعته له في الآخرة أو ما يشملهما وهذا أولى ومنه علم استحباب الدعاء عقب الصلاة (وروى) بالبناء للمجهول والراوي له الواقدي وأبو نعيم عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) قال البرهان الحلبي ان ابن ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته وأما ملاعب الاسنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمي ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد في طرف الرمح يعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمي بذلك لانه في يوم سوبان برنة طوفان وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة وكان أخوه طفيل بن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فر في ذلك اليوم فقال فيه الشاعر

فررت وأسلمت ابن مالك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمي بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو أبو براء عامر وذكره بعضهم في الصحابة وقال الذهبي الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترس (أصابه استسقاء) أصل

(فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدا يستشفيه (فاخذ) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بيده حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة لغة في حثية بالياء من حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه والمعنى أخذ قبضة منها (فتفل عليها) أي بصق قال أبو عبيد النفث بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شئ من الريق (فاعطاها رسوله) أي الذي جاء من عنده (فاخذها متعجبا يرى) بضم الياء أو فتحها أي يظن أو يعتقد (ان قد هزئ به) بضم هاء وفتح وكسر زاي فهمز وان مخففة من المثقلة اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان وضمير به راجع الى ابن الملاعب وذلك لما شاع في هذا الباب ان ذلك تراب (فاتاه بها) أي بالحثوة (وهو على شفا) بفتح الشين المعجمة مقصورا ممنونا وهو حرف كل شئ ومنه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار أي حرفها وطرفها ويقال أشفى المريض على الموت ومابقي الاشفا أي قليل وأشفى عليه أشرف أي والحال انه مشرف على الموت (فشربها) أي بانضمامها الى ماعنده من الماء فكانه عرف بالايماء اليه انه نافع للاستسقاء (فشفاه الله تعالى) أي عافاه مما ابتلاه (وذكر العقيلي) بضم المهملة وفتح القاف صاحب كتاب الضعفاء قال ابن القطان أبو صفر العقيلي مكي ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم في الحفظ توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) مصغر فدك بالدال المهملة (ويقال فريك) أي بالراء وبالاول رواه البيهقي والطبراني ورواه ابن أبي شيبة بالثاني واما حبيب فبفتح الحاء المهملة وروى بضم المعجمة مصغرا (ان أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيأ) وروى انه عليه الصلاة والسلام سأله عما أصابه قال كنت أقود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فعميت (فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي نفخ (في عينيه فابصر) أي بهما (فرأيته) أي أبي بعد ذلك (يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين) أي سنة كما في رواية وفي رواية وان عينيه لمبيضتان في المواهب رواها ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم

معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه واستسقى وبه سقي بكسر السين وهو ان يقع الماء الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لا يكاد ينجو من أصابه منه (فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه أسلم بخلاف أبيه كما مر (فاخذ) صلى الله عليه وسلم لما قص عليه قاصده أمره (بيده) الشريفة (حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء أيضا وهو ملء يده أو يديه وهو من التراب هنا (فتفل) بفتح المثناة الفوقية والفاء وفي نسخة بصق (عليها) أي الحثوة من ماء فمه المبارك (ثم أعطاها) أي حثوة التراب (رسوله) الذي أرسله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذها متعجبا) مما أعطاه وان مثله لا يداوي به الاستسقاء بل يزيده لان مبدأه سدة في الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين (يرى) بفتح الياء وضمها أي يظن (ان قد هزئ به) الضمير للرسول أو لمرسله وهزى بالبناء للمجهول ويجوز فيه بناء الفاعل أيضا (فاتاه بها) أي بالحثوة (وهو) أي ابن ملاعب الاسنة على (شفا) بفتح الشين المعجمة والفاء مقصور أي قريب من الموت وأصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر قال الله تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله (فشربها فشفاه الله) تجنيس بديع أي وضعها في ماء وشربها فشفاه الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر العقيلي) بالتصغير وهو الامام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفاء الذي رتبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) حبيب بفتح الحاء المهملة وبموحدتين بينهما ياء مثناة تحتية وقيل انه بخاء معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل الدال وقيل براء مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني وقد اضطرب فيه وفي اسمه وأخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن أبي شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن أمه أن خالها حبيب بن فديك حدثها ان أباه خرج به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعيناه مبيضتان فسأله ما أصابه فقال كنت أقود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فاصيبت في بصري فلا أبصر شيأ والى بعض ماذكر من الاختلاف في اسمه أشار بقوله (ويقال فويك) بواو بدل الدال (ان أباه ابيضت عيناه) لغشاوة غطتهما أو هو عبارة عن العمى (فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمثلثة أي تفل ريقه (في عينيه فابصر) بهما وذهب عنه عماه في ساعته (فرأيته يدخل الخيط في الابرة) لقوة بصره وصحته (وهو ابن ثمانين سنة) وهو من يضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس في الحديث ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه أعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصرح به

(ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره) أي صدره (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ) بفتح الراء ويكسر وقيل برأ من المرض بفتح الراء وبرئ من الدين بكسرها قال الدلجي لا أدري من رواه انتهى قال الحلبي كلثوم بن الحصين أبو رهم الغفاري شهد أحدا وبايع تحت الشجرة واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة في عمرة القضاء وعام الفتح وأصيب بسهم في نحره فسمي المنحور وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرأ روى الزهري عن ابن أخيه عنه وقد أخرج له أحمد في المسند والبخاري في كتاب الادب المفرد وليس له في الكتب الستة شئ (وتفل) أي بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم (على شجة عبد الله بن أنيس) بالتصغير والشجة الضربة في الوجه والرأس فقط وقد يسمى بذلك ما يكون في سائر الجسد مجازا (فلم تمد) بضم التاء وكسر الميم وتشديد الدال من أمد الجرح صارت فيه مدة أي قيح والمعنى لم تحصل مادة من القيح في ذلك الجرح والحديث رواه الطبراني وذلك ان رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس الى اليسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا ان قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة على تسعة أميال من خيبر ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فطعن له عبد الله بن أنيس وهو يدير السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش في يده من شوحط فأمه فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه (وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان) أي علي (رمدا) بفتح الراء وكسر الميم أي ذا رمد بفتحتين وهو وجع العين وفي الحديث لاهم الاهم الدين ولا وجع الا وجع العين (فاصبح بارئا) بكسر الراء بعدها همزة أي فصار معافى والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي ففي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أين علي ابن أبي طالب فقالوا يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عينيه فدعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن أبيه قال فارسلني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى علي فجئت به أقوده أرمد فبصق في عينيه فبرأ وعند الطبراني من حديث علي قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث علي فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا

لانه معلوم (ورمى) بالبناء للمجهول (كلثوم بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو أبو رهم الغفاري الصحابي وهو من أصحاب الشجرة وشهد أحدا واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح (يوم أحد) لما وقع السهم في نحره وخشي الموت من وقوع السهم (في نحره) أي مقدم عنقه عند حبل الوريد الذي لا يعيش من جرح به (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أي في نحره ومحل جراحته (فبرأ) بفتحات وهمزة مقصورة آخره ويقال برئ أيضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت أي حصل له البرء من حينه وهذا الحديث لم يخرجوه (و) روى الطبراني حديثا مسندا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (تفل) بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات أي بصق (على شجة عبد الله بن أنيس) الشجة بفتح الشين المعجمة والجيم المشددة جراحة ضربة في الوجه أو الرأس وقد تطلق على ما في غيرهما من الجسد والمعروف الاول وأنيس مصغر بن أسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهني الانصاري الصحابي شهد أحدا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اليسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن أنيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير ابن أنيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل في شجته (فلم تمد) بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة أي لم يبق فيها مادة وقيح يقال أمد الجرح اذا صارت فيه مدة وهي القيح كما في الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم (وتفل في عيني علي) ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد (يوم خيبر وكان رمدا) بزنة حذر منصوب منون أي به رمد والرمد وجع العين (فاصبح بارئا) أي صار بارئا في الحال لانه تأخر برؤه الى وقت الصباح وأصبح له معنيان هذا أحدهما والحديث بتمامه في الصحيحين وغيرهما وفي دلائل البيهقي عن بريدة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما أخذته الحمى فيمكث اليوم أو اليومين

لا

(ونفث) أي ثلاث نفثات (على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت) بفتح الراء وفي نسخة فبرئت بكسر الراء وهي لغة
أهل الحجاز وفي نسخة فبرأ وفي رواية فما اشتكاها قط رواه البخاري (وفي رجل زيد بن

معاذ) أي ونفث فيها (حين أصابه السيف الى الكعب) أي الى كعب رجله (حين قتل ابن الاشرف) وهو كعب بن الاشرف اليهودي وقصته مشهورة (فبرئت) أي رجله رواه عبد بن حميد في تفسيره عن عكرمة ورواه ابن اسحق والواقدي أيضا لكن قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن أوس ورواه البيهقي من حديث جابر وذكر بدله عباد بن بشر وهو ممن حضر قتل كعب وأما زيد بن معاذ فقال الحلبي لا أعرف انه ذكر في هذه الواقعة بل ولا في الصحابة أحد يقال له زيد بن معاذ الا ان يكون أحد نسب الى جده أو جد له أعلى بل الذي جرح في رأسه أو رجله على الشك من الراوي في قتل كعب ابن الاشرف انما هو الحارث بن أوس بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بدري قتل يوم أحد وله ثمان وعشرون سنة وقيل الذي حضر كعبا هو الحارث بن أوس بن
النعمان الحارثي وقد حكى الذهبي القولين ثم قال وقيل هما واحد نسب الى جده الاعلى لكن افترقا بالنسب كما ترى انتهى وقد سمي
في رواية البخاري الذين قتلوا كعبا منهم الحارث بن مسلم وكذا مسلم في الجهاد فعليه الاعتماد هذا وقد قال بعضهم ان زيد بن معاذ
هو ابن أخي سعد بن معاذ وانه نقله غير القاضي كذلك ولعلهما اطلعا على المراد

لا يخرج فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج فأخذ أبو بكر رضي الله تعالى عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم
أخذها عمر رضي الله تعالى عنه وقاتل فلما خرج وأخبر بذلك قال لأعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك فأصبح وجاء علي وقد عصب عينيه فقال ادن الي وتفل في
عينيه ففتحهما وأعطاه الراية وروي انه وضع رأسه في حجره ثم بصق في راحتيه ودلك بهما عينيه
والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به التفضيل على مشهور وغير محتاج للبيان (و) في
صحيح البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر
فبرئت) من حينها والضمير للساق لانها مؤنث سماعا أو للضربة وبرؤها بذهاب أثر الجراحة والتحامها
(و) روى عبد بن حميد في تفسيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نفث (في) جراحة (رجل زيد بن معاذ) أي
جعل ريقه عليها (حين أصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت) رجله أو جراحتها
واعترض البرهان الحلبي على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مقررة في السير ورواها مسلم في الجهاد
كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا في قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف
في الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الى أحد أجداده أو الى جد أعلى له وهو خلاف
الظاهر والجرح الذي في رأسه أو رجله على الشك من الراوي في قصة كعب انما هو الحارث بن أوس
ابن معاذ بن النعمان بن أخي سعد بن معاذ الاشهلي وقد سمى البخاري الذين قتلوا كعبا وسمى منهم
الحارث بن أوس بن سعد بن النعمان وهو الذي تفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرحه وقيل
هو الحارث بن أوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمساني ان العزيزي نقل في تفسيره في سورة
الحشر ما ذكره المصنف بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن أخي سعد بن معاذ فالمصنف لم يقل ما قاله
الا عن تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للنقول الصريحة ومثله لا يقال بسلامة الامير وكعب بن
الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودي من بني نبهان وقصته كما في السير انه لما أصيب
أصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها
فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكي أصحاب
القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى أذاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من
لابن الاشرف فانه أذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة أخو بني عبد الاشهل أنا لك به يا رسول الله
قال فافعل ان قدرت فرجع وأقام ثلاثا لا يأكل الطعام ولا يشرب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لم
تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا أدري أفي به أم لا فقال عليك الجهد فقال لا بد ان نقول فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان
ابن سلامة أبو نائلة الاشهلي وكان أخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس وأبو عبس بن
جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث معه وتناشد الاشعار وكان شاعرا ثم قال له
ويحك يا ابن الاشرف اني جئتك لحاجة أذكرها لك فاكتمها قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا
بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال
وجهدت الانفس فقال كعب قد أخبرتك ان الامر سيصير لما أقول فقال انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر لم
يصير شانه واني قد جئتك أستسلفك وقال الدمياطي الذي تحدث معه أبو نائلة وهو الذي نزل له كعب من

حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك ماتثق به قال ارهنوا أبناءكم ونساءكم قال أردت ان تفضحنا فانت أشب أهل يثرب وأعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها الوفاء وأراد ان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولى أصحاب جاؤا لذلك فرجع الى أصحابه وأمرهم ان يأخذوا السلاح ويجتمعوا اليه فلما اقبلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع فى ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به أبو نائلة وكان كعب حديث عهد بعرس فقالت له امرأته انك رجل محارب لا ينبغى لك الخروج فى مثل هذا الوقت وان فى الصوت لسواء وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لودعى لطعنة ليلا أجاب * والبلاء موكل بالمنطق * فقال لها انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى وبرز لهم فى ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا نمشى لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع أبو نائلة يده على رأسه ثم شمها وقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر من هذا ثم تماشى ساعة وفعل مثل ذلك ثم أخذ بفود رأسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة أشرف عليه أهل الحصون فلما قتلوه أتوا برأسه ويقال انها أول رأس حملت فى الاسلام وقيل بل هى رأس أبى عزة الجمحى وقيل رأس عمرو بن الحمق فأصاب الحارث بن أوس سيف من أصحابه برجله فابطأ عليهم ثم أتاهم يتحامل فحملوه آخر الليل وأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المصنف على ما فيه وفى هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لا يجوز مما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد أجاب عنه الفقهاء وغيرهم بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التى تجوز لمصلحة واذا تأملت ما قالوه تجده يحتمل المدح وقد أذن لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وسيأتى تفصيله فى محله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وفى قوله الى الكعب نكتة يعنى ان الصدمة السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكانه قصد تجنيسا لان ابن الأشرف اسمه كعب كما علمت فكأنه قال جرح الى الكعب فى قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتأمل (و) نفث (على ساق على بن الحكم يوم الخندق) على هذا صحابى وهو أخو معاوية بن الحكم السلمى وهذا الحديث أخرجه أبو القاسم البغوى فى معجمه كما قاله السيوطى ويوم الخندق هذا كان فى غزوة الاحزاب سمى به لان سلمان رضى الله تعالى عنه أشار على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يعمله ملوك الفرس قال الطبرى ان أول من عمله منوشهر بن أيدج بن فريدون وهم يزعمون ان فريدون ابن اسحق وأكثرهم على خلافه وخندق معرب كندة ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية (اذ انكسرت) أى ساقه لانها مؤنثة وهى ما بين القدم والركبة (فبرئ) أى صح وزال ما به من الكسر ويقال برئ كعلم وبرأ كضرب وآخره مهموز (مكانه) بالنصب على الظرفية أى كائنا فى مكانه وسرجه الذى ركب عليه (وما نزل عن فرسه) الذى كان عليه لما جاءه يستشفيه قال أبو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم عن أبيه قال كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل أخى على بن الحكم فرسا له الخندق فأصاب رجله جدار الخندق فدقها فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال بسم الله فما أذاه شئ منها وقد عد أبو حاتم البغوى فى الثقات (و) روى البيهقى فى الدلائل عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قال (اشتكى على ابن أبى طالب) رضى الله تعالى عنه مرضا والمرض يسمى شكاة (فجعل يدعو) الله تعالى لما ضجر كما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمعه (اللهم اشفه أو عافه) شك من الراوى فى لفظه والمعنى واحد (ثم ضربه برجله) ليقوم من مضجعه (و) قام و (ما اشتكى ذلك الوجع بعد) مبنى على الضم أى بعد ضربه أو دعائه أوهما ولفظ البيهقى عن عبد الله بن سلمة قال سمعت

(وعلى ساق على بن الحكم) بفتحتين صحابى وهو أخو معاوية بن الحكم السلمى (يوم الخندق اذ انكسرت) أى نفث حين انكسرت ساقه (فبرأ) وفى نسخة فبرئ (مكانه) أى ولم يتعد زمانه (وما نزل عن فرسه) أى والحال انه لم يقدر على نزوله عن فرسه اذ جاءه يستشفيه رواه أبو القاسم البغوى فى معجمه (واشتكى على ابن أبى طالب) أى مرض أو اشتكى وجعا (فجعل) أى شرع على أو قصد (يدعو) أى يطلب الله تعالى ان يعافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه) روى بالضمير وهاء السكت وكذا قوله (أو عافه) والشك من الراوى (ثم ضربه برجله) أى لتصيبه بركة فعله بعد أثر قوله (فما اشتكى ذلك الوجع بعد) بضم الدال أى ما شكاه بعد دعائه واصابة رجله لبعض أجزائه رواه البيهقى

عليا رضي الله تعالى عنه يقول أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا شاك أقول اللهم ان كان أجلي قد حضر فارحني وان كان متأخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فضربني برجله وقال كيف قلت فأعدت عليه فقال اللهم اشفه أو قال اللهم عافه قال علي رضي الله تعالى عنه فما اشتكيت وجعي ذلك بعد (وقطع أبو جهل يوم بدر) اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان المعروف ان القاطع عكرمة ابن أبي جهل لا هو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وقد نقله ابن سيد الناس عن المصنف رحمه الله (يد معوذ) بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة (بن عفراء) بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة ومدة اسم أمه وهو من جملة شهداء بدر وهم أربعة عشر ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجاري الانصاري رضي الله تعالى عنه وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بأمه هو وأخواه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ ابن عفراء الى زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه والذي في سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفراء قتل أبا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه وأجهضه القتال فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما أذته وضع عليها قدمه فقطعها (فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألصقها فلصقت) كما كانت في مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذي تفل عليها وهذا لا ينافي كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله (رواه ابن وهب) وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن اسحق وصححه ابن سيد الناس والمصنف رحمه الله تعالى في غير هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لا شك في جلالته فما رواه يخالف ما قاله ابن اسحق لجواز كون معاذ قطعت يده أيضا وعكرمة قطع يد أخيه معاذ وأبو جهل نفسه قطع يد معوذ وألصقها له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال فلا ينبغي ذكره من غير تثبت (ومن روايته) أي رواية ابن وهب التي رواها ابن اسحق والبيهقي عنه كما نقله السيوطي (أيضا) كروايته الاولى (ان خبيب) بالتصغير وخاء معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل (ابن يساف) بكسر الياء آخر الحروف وسين مهملة وألف وفاء ويقال اساف بهمزة مكسورة (أصيب) بالبناء للمجهول أي أصابته ضربة بسيف (يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه) وكتفه (حتى مال شقه) الذي أصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي رد عضوه الى مكانه الذي كان فيه (ونفث عليه حتى صح) أي التأم وعاد كما كان فيه ويساف هو وابن عيينة بن عمرو الخزرجي شهد ابنه خبيب بدرا وأحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه وأسلم وشهد بدرا فضرب رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتأم فانطلق وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك

(وقطع أبو جهل يوم بدر يد ابن معوذ) بتشديد الواو المكسورة وتفتح (ابن عفراء) بمهملة ففاء فراء ممدودة قال الحلبي والمعروف ان ابن أبي جهل عكرمة فعل ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وكذا نقله أبو الفتح اليعمري ابن سيد الناس عن القاضي عياض ثم قال معوذ صحابي معروف قتل يوم بدر وهو من جملة أربعة عشر قتيلا من المسلمين في وقعة بدر رضي الله تعالى عنهم أقول ولا منع من الجمع فتأمل (فجاء) أي معوذ أو معاذ (يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عليها (فألصقها فالصقت) بكسر الصاد (رواه ابن وهب ومن روايته أيضا) وكذا رواه البيهقي عن ابن اسحق (ان خبيب ابن يساف) بفتح الياء وفي نسخة اساف بكسر الهمزة ويفتح وأما خبيب فهو بخاء معجمة وموحدتين بصيغة التصغير في النسخ وهو موافق لما في القاموس ومطابق لما ذكره الحلبي وضبطه الدلجي بمهملة وبيائين بينهما مثلثة والظاهر من كلامه انه بفتح أوله وكسر ثانيه (أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حال كونه معه أي بقربه (بضربة على عاتقه) أي ما بين منكبه وعنقه (حتى مال شقه) بكسر الشين وتشديد القاف أي أحد شقيه بانفصاله عنه بحد سيفه (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بامالته الى محله (ونفث عليه حتى صح) أي التأم قال الحلبي وخبيب هذا خزرجي شهد بدرا وأحدا وما بعدهما وكان نازلا بالمدينة فتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه في الطريق فأسلم وشهد بدرا فضرب رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فتفل عليه ولأمه ورده فانطلق فقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك وكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك الى النار وتوفي في خلافة عثمان

(وأتته امرأة من خثعم) قبيلة معروفة (معها صبي به بلاء) أي عارض (لايتكلم) أي بسببه (فأتي بماء فمضمض فاه) أي فمه (وغسل
يديه) الظاهر الى رسغيه (ثم أعطاها اياه) أي الماء (وأمرها بسقيه) أي بشرب الصبي منه (ومسه به) أي مسحه بيده وقع في أصل
الدلجي وأمرها ان تسقيه ومس به أي مس صلى الله تعالى عليه وسلم الصبي بالماء (فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بضم الضاد
المعجمة وتفتح أي يزيد ويغلب (عقول الناس) رواه ابن أبي شيبة عن أم جندب مرفوعا (وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به
جنون فسح) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (صدره فثع ثعة) بمثلثة ومهملة مشددة فيهما أي قاء مرة (فخرج
من جوفه مثل الجرو
الاسود) بتثليث الجيم
ولد الكلب والسبع
(فشفي) بصيغة المجهول
أي برئ من جنونه وفي
نسخة فسعى بفتح السين
والعين المهملتين أي
مشى واشتد عدوا
والظاهر انه تصحيف
ثم فاعل سعى الجرو
وهو الاقرب أو المبتلى
وهو الانسب والحديث
رواه أحمد والبيهقي وابن
أبي شيبة ففي مسند أحمد
حدثنا حماد حدثنا يزيد
حدثنا حماد بن سلمة
عن فرقد السنجي عن
سعيد بن جبير عن ابن
عباس ان امرأة جاءت
بولدها الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
فقالت يارسول الله ان به
لمماوانه يأخذه عند
طعامنا فيفسد علينا
طعامنا قال فسح رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم صدره ودعا له فثع
ثعة فخرج من فيه مثل
الجرو الاسود فشفي وقد ذكره أحمد أيضا من طريق أخرى
فقال حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد فذكر نحوه الا انه قال فثع أي سعل انتهى والظاهر ان قوله سعل بيان لسبب
قيئه أي فسعل فقاء (وانكفأت القدر) بهمزة مفتوحة بعد الفاء أي انقلبت البرمة وسقطت (على ذراع محمد بن حاطب) بحاء
مهملة وطاء مكسورة فموحدة وفي نسخة حاتم وهو غير صحيح والمراد به ابن الحارث بن معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة قيل هو
أول من سمي في الاسلام محمدا له صحبة (وهو طفل) جملة حالية (فسح عليه ودعا له وتفل

الى النار والى ذلك أشار المصنف بما ذكر (و) روى ابن أبي شيبة عن أم جندب أنه صلى الله عليه وسلم
(أتته امرأة من خثعم) بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده
منها هذه المرأة لانها كانت نازلة بالجبل كما توهم (معها صبي) وهو ابنها (به بلاء) وهو ما يبتلى به الناس
وفسره بقوله (لايتكلم) فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه انه كان أخرس أو أبكم وان كان بمعنى
انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستأنف وهذا هو المراد كما سيأتي (فأتي بماء) بالبناء للمجهول أي أمر
من يأتيه بماء في اناء فأتاه به (فمضمض فاه) مضمض متعد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الماء في الفم
فذكر الفم بعده تجريد او هو لازم ضمن معنى غسل (وغسل يديه) بذلك الماء (ثم أعطاها اياه) أي
أعطى المرأة ذلك الماء الذي رده في انائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه (وأمرها بسقيه) أي أمر المرأة
بان تسقي الصبي من ذلك الماء (ومسه به) مصدر مضاف للمفعول أي مسحه بالماء (ف) لما فعلت ما أمرها
به (برأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بزنة يقعد ويرقد (عقول الناس) أي يزيد على عقول الناس الذي
من أمثاله وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امرأة جاءت بولدها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله ان به لمما أي جنونا يأخذه عند طعامنا فيفسده علينا
قال فسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة أي تقيأ فخرج من فيه مثل الجرو
وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة ما ذكر القاضي بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع
احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه التي رواها أحمد والبيهقي وابن
أبي شيبة ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاءت امرأة
بابن لها به جنون فسح صلى الله تعالى عليه وسلم صدره) بيده المباركة الشريفة (فثع ثعة) بفتح المثلثة
وتشديد العين المهملة أي قاء مرة واحدة كذا قاله أهل اللغة وقال بعض أهل اللغة ثع بمعنى سعل وروى
الحديث من طرق متعددة (فخرج من جوفه) وبطنه (مثل الجرو الاسود) بجيم مثلثة وراء مهملة
ساكنة وواو وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء أيضا وهو
محتمل هنا وجمعه أجر كادل بكسر آخره وحذف الواو بعد قلبها ياء (فشفي) بالبناء للمجهول أي شفاه الله
(و) في حديث رواه البيهقي والنسائي والطيالسي مسندا مصححا فيه انه (انكفأت) بنون وكاف وفاء
وهمزة مفتوحة بعدها تاء تأنيث ساكنة أي انقلبت (القدر) التي يطبخ فيها أي وقع ما فيها من طعام
حار كالنار المحرقة (على ذراع محمد بن حاطب) بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي الصحابي الذي
ولد بالحبشة وهو أول من سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة
علم منقول من جامع الحطب وسمي لذلك (وهو طفل) صغير والجملة حالية وفيه تقدير أي فخرق ذراعه
(فسح عليه) أي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على ذراع محمد أو على محمد نفسه (ودعا وتفل
عليه)

قيه فبرأ الحينه) أي على فوره رواه النسائي والطيالسي والبيهقي (وكانت في كف شرحبيل) بضم أوله ويقال له شراحيل (الجعفي) بضم الجيم (سلعة) بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهي زيادات تحدث في الجسد بين الجلد واللحم كالغداة تكون من قدر حمصة الى قدر بطيخة اذا غمزت باليد تحركت (تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين أي لجامها أو زمامها

عليه) أي نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفي نسخة وتفل فيه (فبرأ الحينه) من غير بطؤ وبمثله يكون في أيام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابي ابن صحابي توفي عام أربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة (و) في حديث رواه الطبراني والبيهقي مسندا (كانت في كف شرحبيل) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب عن الاصمعي شرحبيل أعجمي وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند أهل اليمن ورأى أكثر البصرية خلافه بل شرحبيل كقذعميل وشراحيل كسراويل جمع سمي به أو بزنة الجمع انتهى وهو عند سيبويه اسم عربي غير منصرف (الجعفي) بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابي ذكره الذهبي (سلعة) بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها لغات فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان هنا من فتح أراد الشجة لا وجه له فانها لغة والكل بمعنى ولا ينافي كون السلعة بمعنى الشجة كما في القاموس والسلعة المتاع الذي يباع أيضا (تمنعه) أي تلك السلعة لكونها في داخل كفه (القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به الفرس ونحوه (فشكاها) أصله شكى منها الضر رهاله (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها) أي يريد كفه الشريف عليها بقوة كما تدور الرحا وهو بفتح الحاء ويقولون كسأل يسأل (حتى رفعها) أي حتى أزالها من كفه (ولم يبق لها أثر) في كفه يضره ويمنعه ففي قوله يطحنها استعارة (و) في حديث رواه الطبراني عن أبي امامة انه صلى الله عليه وسلم (سألته جارية طعاما) أي امرأة صغيرة السن أو خادمة لبعض أهل المدينة (وهو يأكل) جملة حالية أي حال تناوله من طعامه (فناولها) أي أعطاها (من بين يديه) أي من طعامه صلى الله عليه وسلم الذي كان بين يديه (وكانت) الجارية (قليلة الحياء) من الناس لوقاحتها (فقالت) الجارية له صلى الله تعالى عليه وسلم (انما أريد) بسؤالي ان تناولني (من الذي) وضعته من الطعام (في فيك) وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى (فناولها ما في فيه) ولم يحرمها ولم يردها بعنف (ولم يكن) صلى الله عليه وسلم (يسأل) بالبناء للمفعول أي يسأله أحد (شيأ فيمنعه) بالنصب في جواب النفي (فلما استقر) الطعام الذي ناولها من فيه (في جوفها ألقي) بالبناء للمفعول أي ألقى الله (عليها من الحياء) بالمد وأما بالقصر فهو المطر (مالم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها) أي حياء لم يكن في امرأة غيرها لشدته ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فما موصولة أو موصوفة في محل رفع نائب فاعل ألقي والجملة صلة أو صفة بتقدير العائد أي ما لم يكن به أي بسببه وذكر هذا لان قلة الحياء من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التي يصعب زوالها فمناسبة الحديث ظاهرة هنا وفي هذا الباب من أمثال ما ذكر أحاديث كثيرة من أرادها فعليه بالنظر في مطولات كتب الحديث

* (فصل في اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم) * أي دعائه للناس وعليهم (وهذا) الامر المذكور هنا والاجابة وذكرها رعاية للخبر في قوله (باب واسع جدا) بكسر الجيم منصوب على المصدرية فهو في الاصل ضد الهزل ثم استعمل في معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو ظاهر (واجابة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة) أي لاجل ناس استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهم أو عليهم كما أشار اليه

(فشكاها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يطحنها) بفتح الحاء أي يعالجها ويفحصها بكفه (حتى رفعها) أي أزالها من كفه (ولم يبق لها أثر) أي في محلها رواه الطبراني والبيهقي (وسألته جارية) أي بنت أو مملوكة (طعاما وهو يأكل) جملة حالية (فناولها من بين يديه) أي بعض ما لديه (وكانت) أي قبل ذلك (قليلة الحياء) لعلها الخلل كان بعقلها (فقالت انما أريد من الذي في فيك) أي في فمك (فناولها ما في فيه ولم يكن) أي من عادته (يسئل شيأ فيمنعه) بالنصب على جواب النفي (فلما استقر) أي ما كولها الذي ناولها (في جوفها ألقي عليها من الحياء ما) أي شيء عظيم منه حتى بسببه (لم تكن امرأة في المدينة) أي فضلا عن غيرها (أشد حياء منها) أي ببركته ويمن همته

* (فصل) * (في اجابة دعائه عليه الصلاة والسلام) أي لقوم وعلى بعض (وهذا باب واسع) أي متسع ذيله وما يتعلق به (جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال منصوب على المصدر أي وسعا كثيرا (واجابة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما

دعالهم) أي بالخير تارة (وعليهم) أي بالشر تارة وهذا مفهوم كلام المصنف بحسب الظاهر ولكن الاظهر ان المراد به انه دعا لبعض منهم بالمنفعة ولآخرين منهم بالمضرة ولذا قال التلمساني فكأنه أوصله نفعا وصب عليه شرا (وهذا أمر متواتر في الجملة) وفي نسخة على الجملة أي لا على التفصيل (معلوم ضرورة) أي عند أهل السيرة (وقد جاء في حديث حذيفة) أي من رواية أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت الدعوات) أي أثرها (ولده وولد ولده) وفيه تنبيه على صحة معنى ما يقال الولد سر أبيه ويؤيده قوله تعالى وكان أبوهما صالحا قيل كان بينهما سبعة آباء (قال المصنف حدثنا أبو محمد العتابي) بتشديد الفوقية (بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) بكسر التاء (ثنا أبو الحسن) وفي نسخة بالتصغير والاول هو الصحيح (القابسي) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (حدثنا محمد بن اسمعيل) أي البخاري صاحب الجامع وقد أخرجه مسلم أيضا (ثنا عبد الله بن أبي الاسود) أي البصري من رواية مالك (ثنا حرمي) بفتح الحاء والراء وهو ثابت بن روح وكنيته أبو عمارة ابن أبي حفصة من (ثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قالت أمي) وهي أم سليم بنت ملحان (يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله) أي حلالا (وولده) أي صالحا (وبارك له فيما آتيته) أي أعطيته من المال والولد فاوتي مالا كثيرا وأولادا مات له في الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير أولاد أولاده

بقوله (دعا لهم وعليهم) فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه أوصل لهم بدعوته ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضر كأنه أنزل عليهم البلاء وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا ألا ترى صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة وقيل انما أعاده بلفظ الافراد دون الجمع المعنوي كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال التشخيصي وقد أدرج شيأ مما عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى (متواتر على الجملة) أي متواتر تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده (معلوم ضرورة) أي بعلم ضروري غير محتاج لدليل (وقد جاء) أي ورد في حديث رواه أحمد بن حنبل (في حديث حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا الرجل أدركت) أي وصلت وأثرت (دعوته) المستجابة (ولده وولد ولده) فوصل أثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه (حدثنا أبو محمد العتابي) هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم (بقراءتي عليه) من صحيح البخاري قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) الذي تقدمت ترجمته وتقدم ويأتي انه يجوز التكني بأبي القاسم على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالجمع بين الاسم والكنية قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) الحافظ السابق ترجمته قال (حدثنا أبو زيد المروزي) نسبة لمرو كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري قال (حدثنا عبد الله بن أبي الاسود) واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا حرمي) بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمي بن عمارة بن أبي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومائتين قال (حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس) رضي الله تعالى عنه تقدم تراجم هؤلاء كلهم (قال) أنس رضي الله تعالى عنه (قالت أمي) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسم أمه رميلة وقيل الرميصاء وهي أنصارية صحابية وهي أم سليم (يا رسول الله خادمك أنس) بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصاري النجاري وكنيته أبو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال النووي الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه آخر من مات بالبصرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال ابن عبد البر لا أعلم أحدا مات بعده غير أبي الطفيل وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروى عنه ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا (ادع الله تعالى له) ولم تعين الدعوة بل فوضتها له صلى الله عليه وسلم (قال اللهم أكثر ماله وولده) أكثر وكثر بمعنى (وبارك له فيما آتيته) أي فيما أعطيته من المال والولد فاجاب الله تعالى دعوته حتى مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا قيل وفي هذا دليل على فضل الغني على الفقير وارتضوا ان الغني الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد في الحديث القدسي * ان

من عبادي من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ودعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما أوتي لم يكن فيه ضرر ولا تقصير في الحقوق وهو غنى محمود (ومن رواية عكرمة) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه كما أخرجه مسلم (قال أنس فوالله ان مالي لكثير) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان ولدي وولد ولدي) لكثير لما ر (ليعادون اليوم) المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة وألف بعدها دال مهملة مشددة وواو جماعة ونون أي يزيدون (على نحو المائة) وهو مفاعلة من العدد وروي في الصحيحين وغيرهما ليتعادون بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد وقد وقع في نسخ الشفاء بالروايتين أيضا وفي الاساس بنو فلان يتعادون على بني فلان أي يزيدون انتهى كأن بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكروا قحم والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق (وفي رواية) قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها (وما أعلم أحدا أصاب) أي وجد عنده (من رخاء العيش) أصل الرخاء بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة (ما أصبت) أي كالذي أصبته أنا (ولقد) جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم (دفنت بيدي) بالتثنية (هاتين) اشارة ليديه ليبين انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف (مائة من ولدي) ثم بين ان المراد بالولد أولاده الكبار لصلبه فقال (لا أقول) ان الولد كان (سقطا) بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن أمه قبل مدة تمام حمله وأوان ولادته (ولا ولد ولد) نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبي وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر أي لا أقول دفنت سقطا الى آخره والجملة مقول القول وحديث أنس هذا صحيح روي من طرق مختلفة في ألفاظها الاختلاف يحتاج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة وفي الوفاء لابن الجوزي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في دعائه له واطل حياته وان أنسا قال فاكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي مائة وستة وفي مسلم انه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقالت أمي يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعا لي اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه أيضا جاءت أمي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت هذا ابني أتيتك به يخدمك فدعا له وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بامي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها * (تنبيه) * قال ابن قتيبة ان ثلاثة من أهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد لصلبه أنس وأبو بكرة وخليفة بن بدر وفي تاريخ ابن خلكان ان تميم بن المعتز بن باديس خلف مائة ذكر وستين انثى (ومنه) أي من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقي (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف) الصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو من أغنياء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وترجمته معروفة (بالبركة) أي بان يبارك الله تعالى له فيما رزقه (قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا من مكانه بيدي (لرجوت) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أصيب) وأجد

(ومن رواية عكرمة) أي على ما انفرد بها مسلم وهو ابن عمار الحنفي اليمامي وكان مجاب الدعوة (قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون) بضم الياء وتشديد الدال أي يعد بعضهم بعضا وليزيدون (اليوم على نحو المائة) قال التلمساني وفي رواية الصحيحين والمصابيح ليتعادون بزيادة التاء (وفي رواية) وهي

غير معروفة (وما أعلم أحدا أصاب اليوم من رخاء العيش) أي سعة المعيشة وكثرة النعمة (ما أصبت) أي ببركة دعوة صاحب النبوة وأثر كثرة الملازمة والخدمة هذا واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لانس على تفضيل الغنى على الفقر وأجيب بانه مختص بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه مضرة (ولقد دفنت بيدي) بتشديد الياء (هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا) بكسر السين ويجوز ضمها وفتحها وهو الجنين الذي يسقط قبل تمامه (ولا ولد ولد) أي لا أحسبها في العدد قال الحلبي واعلم ان في البخاري في الصوم من رواية حميد عن أنس قال حدثتني ابنتي أمينة انه دفن لصلبي مقدم الحاج البصرة عشرون ومائة قيل وكان مقدمه سنة خمس وسبعين وقد ولد لانس بعد ذلك أولاد كثيرة وتوفي في سنة ثلاث وتسعين ونقل عن ابن قتيبة انه وقع على الارض من صلب المهلب ابن أبي صفرة البصري ثلاثمائة ولد (ومثله) وفي نسخة صحيحة ومنه أي ومن دعائه المجاب (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة) على ما رواه البيهقي (قال) أي عبد الرحمن كما في نسخة صحيحة (فلو رفعت حجرا لرجوت ان أصبت

تحته ذهبا وفتح الله عليه) أى فتوحات كثيرة وأموالا غزيرة (ومات فحفر الذهب) بصيغة المجهول أى استخرج مما كان مدفونا (من تركته) بفتح فكسر أى متروكاته بعد خيراته ومبراته (بالفؤس) بضم الفاء والهمزة وسكون الواو جمع فأس بالهمزة ويبدل كراس ورؤس وكأس وكؤس (حتى مجلت) بفتح الجيم ويكسر أى تنفطت من كثرة العمل (فيه الايدى وأخذت كل زوجة) أى من زوجاته (ثمانين ألفا وكن أربعا) فجملته ثلثمائة وعشرون ألفا (وقيل مائة ألف) بالنصب أى أخذت كل واحدة منهن مائة ألف فجملته أربعمائة ألف (وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه) أى الذى مات فيه (على نيف) بتشديد التحتية المكسورة وتسكينها أى زيادة بمعنى كسر (وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا) أى ألف دينار فى سبيل الله كما صرح به عروة بن الزبير وكذا أوصى بالف فرس فى سبيل الله كما ذكره الحجازى وغيره (بعد صدقاته الفاشية) أى الكثيرة الشائعة (فى حياته وعوارفه العظيمة) أى معروفاته الجزيلة قبل مماته (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير) بكسر العين أى بقافلة (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أى جاءت من سفر تجارة (تحمل من كل شئ) أى من أجناس الاموال وأنواعها (فتصدق بها) أى بالابعرة السبعمائة (وبما عليها) أى من أنواع البضائع المختلفة (وباقتابها) جمع قتب بالتحريك وهو للبعير كالاكاف لغيره.

(تحته ذهبا وفتح الله عليه) أى يسر له أمور الدنيا بسهولة وتقدم ان أصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال الله تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شئ أى وسعنا عليهم باقبال أنواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة آخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى مالا كثيرا (ومات) فى سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس أو ثلاث أو اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع (فحفر الذهب من تركته بالفؤس) الحفر معروف وهو فى الاصل اخراج تراب الارض قيل المراد به هنا قطعه لانه فى صدر الاسلام لم يكن تضرب الدنانير وانما كانت تأتى من غير ديارهم وتجعل الذهب والفضة سبائك وقطعا توزن فكان عنده منها قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت والتركة بفتح أوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفؤس بضم الفاء والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كؤس جمع فاس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل ألفا (حتى مجلت فيه الايدى) بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفى آخره لام وتاء تأنيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل تغير يكون فى اليد من كثرة العمل حتى خرج فى أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم (وأخذت كل زوجة) واحدة من زوجاته (ثمانين ألفا) لم يبين هل هى ذهب أو فضة وهل هى مثاقيل أو دراهم الا أنه وقع التصريح فى رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم (وكن) أى زوجاته التى مات عنهن ورثته (أربعا) من النسوة (وقيل) ان نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الاربع (مائة ألف وقيل بل صولحت) بالبناء للمجهول (احداهن) أى صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة (لانه طلقها فى مرضه) الذى مات فيه والمطلقة فى مرض الموت ترث اذا مات وهى فى العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة فى كتب الفقه وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى عليه وخالفه فى ذلك الشافعى رحمه الله تعالى عليه فى أحد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل فى كتب الفقه وليس هذا محله (على نيف) بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه (وثمانين ألفا) من الدنانير (وأوصى بخمسين ألفا) من الدنانير كما ذكره الطبرانى فى الرياض النضرة قال أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار فى سبيل الله وأوصى بحديقته لامهات المؤمنين فبيعت باربعمائة ألف وأوصى لمن بقى من أهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وبالف فرس فى سبيل الله وهذا كله (بعد صدقاته الفاشية) أى الظاهرة المشهورة من فشى السر اذا شاع (فى حياته وعوارفه العظيمة) جمع عارفة وهى ما يعتاد من الاحسان والعطايا بجعل المعروف عارفا مبالغة وعمايحاوه ومن لطائفهم المشهورة ثم أشار الى شئ مما ذكر فقال (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير) بكسر العين المهملة وهى الجمال التى تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال لكل ما تحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أى جاءته مع قافلة أرسلها للتجارة (تحمل من كل شئ) أى عليها أحمال من أمور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفى أى من كل ما عهد حمله للتجارة (فتصدق بها) أى بالابل (وبما عليها) من طعام وغيره (باقتابها) جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه

من الاذى (وباحلاسها) جمع حلس بكسر الهاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا قليل مما ذكر فى مناقب بن عوف وصدقاته فانه لا يعد ولا يحصى وكان أهل المدينة عيالا عليه يصلهم دائما ويقضى ديونهم ويقوم بمؤنة فقرائهم وليس هذا محل تفصيله (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمعاوية) بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما (بالتمكن فى البلاد) التمكن تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له قال الله تعالى ولقد مكنا كم فى الارض (فنال الخلافة) أى صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه أبو سعد فيه انه قال اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب ومعاوية رضى الله تعالى عنه أسلم هو وأبوه وأمه هند وأخوه يزيد فى فتح مكة وقال معاوية انه أسلم فى يوم الحديبية وكتم اسلامه عن أبويه وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنائم هوازن أربعين أوقية ولما بعث أبو بكر رضى الله تعالى عنه الجيش الى الشام سار هو وأخوه يزيد معهم فاستخلفه أبو بكر على دمشق ثم أقره عمر عليها ثم أقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا الطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله وجرى بينهما ما جرى فى وقعة صفين مما ينبغى الكف عنه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضائله أحاديث أخر فكان فى أول أمره أميرا لابى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل أمر على كرم الله تعالى وجهه لاجتهاد أداه لذلك فلما قتل على واستخلف ابنه الحسن رضى الله تعالى عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم رأى ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه فرجع الى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة وأتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمى ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعدما كان الحق مع على كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضى أبو بكر بن العربى لا متغلبا كما أشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة فاندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة أو الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسيأتى الكلام على ذلك كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد أبيه ستة أشهر وقيل الخلافة بالمعنى اللغوى لانه خلف من قبله أو الخلافة اتباع السنة (و) دعا صلى الله تعالى عليه وسلم (لسعد بن أبى وقاص) أى دعى دعاء مستجابا لسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه كما ورد فى حديث رواه الترمذى مسندا متصلا عن سعد والبيهقى عن قيس بن أبى حازم مرسلا حسنا وأبو وقاص كنية أبيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهرى القرشى أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو أول من أراق دما فى الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله بضع وستون أو سبعون سنة وثمانون ودفن فى البقيع ومناقبه مشهورة (ان يجيب الله دعوته) أى كل دعوة له (فما دعا على أحد الا استجيب له) بالبناء للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال

(وباحلاسها) جمع حلس بالكسر وهو كساء يلى ظهر البعير تحت القتب وفى ذكرهما مبالغة فى الاستيفاء وتأكيد للاستقصاء هذا وقد قال الحلبى الذى استحضره من صدقات عبد الرحمن بن عوف انه تصدق بشطر ماله أربعة آلاف ثم بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم تصدق بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وفى الترمذى انه أوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف قال الترمذى حديث حسن وقال الزهرى أوصى لمن بقى من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ وأوصى بألف فرس فى سبيل الله انتهى وروى انه رضى الله تعالى عنه لما حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة جاءه بأربعة آلاف درهم وقال يارسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى ماله (ودعا لمعاويه) أى ابن أبى سفيان (بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة) أى أصابها فى الجملة أو على وفق ما أراد اذ الصحيح انه لا يسمى خليفة على خلاف بعد نزول الحسن والمعتمد ان الخلافة تمت بخلافة الحسن بعد أبيه بستة أشهر لقوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدى فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه أحمد والترمذى بسند صحيح وكذا ابن حبان عن سفينة ثم رأيت انه قيل صوابه الامارة وقد روى ابن سعد دعاءه عليه الصلاة والسلام اللهم علمه الكتاب ومكنه فى البلاد وقه العذاب وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته (ولسعد ابن أبى وقاص) أى دعا له (ان يجيب الله دعوته فما دعا) أى سعد (على أحد الا استجيب له) رواه الترمذى موصولا ورواه البيهقى عن قيس ابن أبى حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له اذا دعا حسنه وقد استجيب له دعاء

دعوات مروية في الصحيح وغيره منها ان رجلا نال من علي كرم الله وجهه بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارني فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخاري انه دعا على أبي سعدة اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا اسقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد (ودعا) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بعز الاسلام بعمر أو بابي جهل فاستجيب له في عمر) رواه الامام أحمد والترمذي في جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعا ولفظه اللهم أيد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابي جهل أو بعمر ابن الخطاب وصححه ابن حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ أعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واما مايدور على الالسنة من قولهم اللهم أيد الاسلام باحد العمرين فلا يعلم له أصل في المبنى وان كان يصح نقله بالمعنى بناء على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم أبي جهل وكان يكنى أولا أبا الحكم فكناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا جهل فغلبت عليه هذه الكنية (وعن ابن مسعود) وفي نسخة وقال ابن مسعود (مازلنا أعزة) جمع عزيز أي أقوياء وعظماء أو ظاهرين قاهرين (منذ أسلم عمر) قلت وفي الآية أي اشارة الى هذه العزة حيث نزل عند اسلامه قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانه رضي الله تعالى عنه كان تمام الاربعين (وأصاب الناس في بعض مغازيه) أي سير غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش) أي شديد (فسأله عمر الدعاء) أي الاستسقاء (فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم) بالنصب أي قدر كفايتهم (ثم أقلعت) بفتح الهمزة واللام أي انقشعت السحابة وانجلت (ودعا في الاستسقاء) أي يوم جمعة على المنبر في المدينة كما رواه الشيخان عن أنس (فسقوا) بصيغة المفعول

وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وأصل معناه الاجابة قال الترمذي قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضي الله تعالى عنه ان سعدا قال يارسول الله ادع الله ان يستجيب دعائي فقال ياسعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة مأثورة وقد أجيب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (بعز الاسلام) بان الله يعز الاسلام أي يقويه وينصره ويظهره باحد الرجلين (بعمر) رضي الله تعالى عنه (أو بابي جهل) لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما وبتفرسه فيهما الا على التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين (فاستجيب له في عمر) بان هداه الله تعالى وأعز به دينه فسبقت له السعادة وسبقت الشقاوة لابي جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله فقتل كافرا يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز أهله والا فهو دائما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضي الله تعالى عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه صلى الله تعالى عليه وسلم له في الدعاء مع أبي جهل لانه لم يتعين عنده أحدهما أو لم يعينه لامر ما وقد روي من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم خص عمر بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تفرس فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى أمرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله تعالى والهام منه ان اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا أو كرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة في السير (قال ابن مسعود مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) لانه أظهر ذلك وقاتلهم في بلدهم كما فعل حمزة أيضا رضي الله تعالى عنه فكان ذلك ابتداء الظهور وكان ما كان مما لم يجل في خواطر الامكان (و) مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة دعائه ما رواه البيهقي والحاكم وصححه عن عمر رضي الله تعالى عنه (أصاب الناس في بعض مغازيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش فسأله عمر الدعاء) للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله (فدعا فجاءت سحابة) أي ظهرت سحابة عقب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداءه فجاءه فهي تصريحية تبعية أو تخييلية كما في قوله (فسقتهم) أي شربوا من ماء مطرها وقوله (حاجتهم) مفعوله لتضمينه معنى أعطتهم حاجتهم وهي الماء الذي يزيل عطشهم (ثم أقلعت) أي انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من سائها قيل هذه الغزاة هي غزاة بدر المشار اليها بقوله في سورة الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزي في الوفاء وساق الحديث بتمامه ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه (في الاستسقاء) أي في دعائه وطلبه ان يسقيهم (فسقوا) بالبناء للمجهول

أي سقاهم الله تعالى عقب دعائه ودام السحاب بمطر (ثم شكوا اليه المطر) من كثرته ودوامه المضر بهم (فدعا) الله بان يكف المطر ويقلع السحاب (فصحوا) أي صحت السماء وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازي وهو بفتح الحاء بزنة رموا وروي بضمها وأصله صحو وانتقل وحذف (ودعا لابي قتادة) الحارث بن ربعي الصحابي وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقي في الدلائل وبين دعاءه بقوله (أفلح وجهك) الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوي وهو نيل ما يطيب به حياة الدنيا والبقاء في عز وغنى وأخروي وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات كما في قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (اللهم بارك له) أي لابي قتادة رضي الله تعالى عنه وتقدم معنى البركة (في شعره وبشره) والشعر معروف والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكنى بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يبقى معمرا على أحسن تقويم كاملا جميع أعضائه (فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة) في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوي وأخروي وما ذكره من تمام خلقته دنيوي فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروي لان الكريم اذا طلب منه أمران فعجل باحدهما دل على انه يعطي الآخر وانما اقتصر على هذا لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل

كما أحسن الله فيما مضى * سيحسن الله فيما بقى

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للنابغة) الجعدي وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله بن عمر بن عدس بوزن عمر وفي الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبياني ولكنه اذا أطلق يراد به هذا وهو أحد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين وثمانين سنة وقيل مائتين وأربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما يأتي واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخرج له بقي بن مخلد حديثا ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرائية وهي نحو مائة بيت في غاية البلاغة أنشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره المصنف ولما بلغ قوله فيها

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شاء الله تعالى ثم لما أنشده صلى الله تعالى عليه وسلم قوله

ولا خير في علم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) وروي لا يفضي الله فاك بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها ياء ساكنة مضارع أفضى كأعلى يعلي قال المرزوقي في شرح الفصيح تقول العرب في الدعاء عليه فض الله فاه وفي الدعاء له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضي الله فاك أي لا يجعله فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله

* قد ترك البرني فاه بلدا انتهى * فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثاني على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ في الشعر أي فاق أقرانه والهاء للمبالغة كعلامة (فما سقطت له سن) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا زيادة السن نقص في السن فالسن الاول العمر والثاني واحد الاسنان (وفي رواية) لحديث النابغة المذكور (فكان أحسن الناس ثغرا)

أي بقي وفاز وظفر (اللهم بارك له) أي لابي قتادة (في شعره) بفتح العين ويسكن (وبشره) بفتحتين أي ظاهر جلده حتى يستمر أحسنين (فمات) أي أبو قتادة (وهو ابن سبعين سنة) جملة حالية وكذا قوله (وكأنه ابن خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة وتكسر رواه البيهقي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (للنابغة) أي الجعدي واسمه قيس بن عبد الله وقيل عكسه حين أنشده قصيدته الرائية (لا يفضض الله) بضم الضاد المعجمة الاولى وكسر الثانية على ان لا ناهية وضمها على ان لا نافية وهي أبلغ أي لا يسقط وقيل لا يكسر من فض كسر وفرق وروي لا يفض الله فاك من الفضاء وهو الخلاء أي لا يجعل الله فاك فضاء لا اسنان فيه (فاك) أي اسنانك أو اسنان فيك باعتبار أحد المجازين كقوله تعالى واسئل القرية (فما سقطت له سن) رواه البيهقي وابن أبي أسامة وروى مثله عن عمه العباس قال يا رسول الله اني مدحتك فقال لا يفضض الله فاك فأنشد الابيات السابقة (وفي رواية فكان) أي النابغة (أحسن الناس ثغرا) بفتح المثلثة وسكون الغين المعجمة أي سنا وقيل هو ما تقدم من الاسنان ويؤيده الاول عموم قوله

(أذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة) هو ابغة فى مائة وعشرين (وقيل أكثر من هذا) فقيل عاش مائة وثمانين سنة وقيل مائتين وأربعين سنة وكان فى الجاهلية يصوم ويستغفر وبقى الى أيام ابن الزبير وأخرج له بقى بن مخلد حديثا واحدا وفى الشعراء جماعة غيره يقال لكل منهم النابغة واذا أطلق فهو المراد واختلف فى سبب الدعاء له فقيل قوله

بلغنا السماء فى مجدنا وسناؤنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال الى أين يا أبا ليلى قال فقلت الى الجنة فقال نعم ان شاء الله وقال الحديث وقيل قوله

ولا خير فى علم اذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له
تأن اذا ما أورد الامر أصدرا

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجدت فلا سقطت له سن (ودعا لابن عباس) كما رواه الشيخان (اللهم فقهه فى الدين) أى علمه ما يحتاج اليه فى أمر الدين من الامور الواضحة للمجتهدين (وعلمه التأويل) أى تأويل الكتاب والسنة من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه وأريد به صرف اللفظ عن ظاهره لدليل لولاه ما صرف عن حاله (فسمى) أى ابن عباس (بعد) بضم الدال أى بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (له الحبر) بفتح الحاء وتكسر أى حبر الامة وهو عالمها سمى به وهو المداد اذ اولته له غالبا فى اداء المراد وفى نسخة البحر بدل الحبر أى بحر العلم (وترجمان القرآن) بفتح التاء وضم الجيم وضمهما وحكى فتحهما أى مفسره ومعبره والترجمان فى الاصل من يترجم الكلام أى ينقله من لغة الى لغة أخرى وفى القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان

بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال أثغر الغلام بتشديد المثلثة وأتغر بتشديد المثناة ويطلق الثغر على الفم ويصح ارادته هنا وثغرا منصوب تمييز (اذا سقطت له سن نبتت له أخرى) مكانها الثلا يخلو فمه من الاسنان (وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا) فقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وأربعين وقيل مائتين وثمانين لان دعائه صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه وأكثر أعمار هذه الامة ما بين الستين والسبعين وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الاطباء انه العمر الطبيعى وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعى فى كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفارسى وقد اختلفوا فى مدته كما هو مفصل فى ترجمته وفى الحديث ما يدل على ان مدح الشعراء للاشراف غير مكروه وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة أو بدعاء وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها فى بعض كتبه ولولا خوف الاطالة أوردناها هنا (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابن عباس) فى حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سائر بنيه وقوله (اللهم فقهه فى الدين) معمول مقدر أى فقال أو قائلا الى آخره أى فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فيخص به كما قال تعالى ليتفقهوا فى الدين انتهى (وعلمه التأويل) أى التفسير وقد يفرق بينهما فيقال التفسير بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو كبار الصحابة والتأويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشئ الى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا فالعلم كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والفعل كقوله

* وللنوى قبل يوم البين تأويل * وقوله تعالى يوم يأتى تأويله أى بيان غايته المقصودة منه وقوله ذلك خير وأحسن تأويلا بمعنى أحسن معنى وترجمة وقيل أحسن ثوابا فى الآخرة فدعاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يعلمه الله الشريعة المحمدية وان يهديه للوقوف على معانى كلامه فأجاب الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه فى ذلك (فسمى بعد) بالبناء على الضم أى بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له أو بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم (الحبر) مفعول سمى وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم المتقن الذى تبقى آثاره بعده وأصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره أى جماله وبهاؤه أى كان الصحابة وسائر الناس يسمونه بذلك لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم توفى وابن عباس ابن عشر أو ثلاث عشر أو خمس عشر سنة على اختلاف فيه (وترجمان القرآن) ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح أوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات أخر وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه فى الدين وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم التأويل والتفسير ودعاؤه صلى الله تعالى

عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا وروى من طرق صحيحة منها ما روى عنه انه قال أتى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا أي ماء يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الى آخره قال ابن المنير مناسبة الدعاء لما فعله انه يدل على ذكائه لعلمه بانه يحتاج لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهي المخبرة له صلى الله تعالى عليه وسلم بما صنعه وفي رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده الشريفة على كتفه وفي رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضمه لصدره وأول من لقبه بترجمان القرآن ابن مسعود وكان أعلم الناس بالفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها وكان يجلس لافادته فكان لا يسأل عن شيء الا وجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (لعبد الله بن جعفر) بن أبي طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد بالحبشة وتوفي في سنة تسعين أو ثمانين وروى عنه أحاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبد الله ولده من أسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخاء (بالبركة) أي الزيادة والنماء (في صفقة يمينه) أي في بيعه وشرائه ومعاملته وسمى ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق أحدهم يده بيد الآخر والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر في الاخذ والعطاء بها تيمنا (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) أي وجد فيه ربحا وفائدة (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي في الدلائل وأبو نعيم (للمقداد) بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة ويأتي انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي مشهور توفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه (بالبركة) أي الزيادة في ماله (فكان عنده غرائر من المال) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهي معروفة وقال الجوهري أظنها معربة قال أبو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من حجره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الحجر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد انتهى (ودعا مثله) أي بمثل ما دعى للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني وأحمد في مسنده (لعروة بن أبي الجعد) البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل عروة بن أبي الجعد وهو صحابي مشهور أخرج له الستة وأحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا له قيل من قال ابن الجعد فقد أخطأ وولاه عمر قضاء الكوفة (قال) عروة (فلقد كنت) جواب قسم مقدر (أقوم بالكناسة) بضم الكاف معناها القمامة ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته أي أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله وهو بعيد (فما أرجع) أي أعود من المحل الذي قمت فيه (حتى أربح أربعين ألفا) مما يبيعه ويشتريه (وقال البخاري فيه) أي في حديث عروة (فكان) عروة رضي الله تعالى عنه (لو اشترى التراب ربح فيه) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مثل هذا) أي مثل حديث عروة المذكور (لغرقدة أيضا) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه وبه سمي بقيع الغرقد وهو مقبرة أهل المدينة وغرقدة صحابي يسمى أبا شبيب روى عنه ابنه (وندت له ناقة) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وند ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها وأصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال

(ودعا لعبد الله بن جعفر) أي ابن أبي طالب (بالبركة في صفقة يمينه) أي تبايعه وسمى صفقة لوضع كل من المتبايعين يده في يد الآخر عرفا وعادة (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (ودعا للمقداد) أي ابن الاسود (بالبركة فكان له) وفي نسخة صحيحة عنده (غرائر) بفتح الغين جمع غرارة بالكسر وهي جوالق (من المال) رواه البيهقي في الدلائل عن ضباعة بنت الزبير (ودعا مثله) أي بمثل ما دعا للمقداد من البركة (لعروة ابن أبي الجعد) قال ابن المديني أخطأ من قال فيه عروة ابن الجعد وانما هو ابن أبي الجعد انتهى وهو صحابي مشهور وحديثه هذا رواه البخاري (قال) أي عروة كما رواه أحمد (فلقد كنت أقوم) أي أقف كما في نسخة (بالكناسة) بضم الكاف موضع أو سوق بالكوفة وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم (فما أرجع) أي عنها (حتى أربح) بفتح الموحدة أي أستفيد أربعين ألفا يحتمل الدينار والدرهم (وقال البخاري في حديثه فكان) أي عروة (لو اشترى التراب) أي مثلا (ربح فيه وروى مثل هذا) أي الدعاء بالبركة (لغرقد) بغين معجمة فراء ساكنة (أيضا) قال الدلجي لا أدري من رواه (وندت) بنون وتشديد دال أي نفرت وذهبت على وجهها شاردة (له) أي لغرقد (ناقة فدعا) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما هو ظاهر الكلام

ند الرجل وليس ضميرا له لغرقدة كما توهمه بعضهم (فجاءبها أعصار ريح) الاعصار بحروف مهملة ريح شديدة تثير غبارا ويرتفع الى السماء كأنها عمود وهي الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا (حتى ردها) الاعصار (عليه) أي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لا يناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ما قلناه وليس من هذا أيضا كما في الشرح الجديد ما وقع في غزوة بني المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت ليلا فقال له صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة بن زيد فقال بعض المنافقين أيزعم محمد انه يعلم الغيب وهو لا يعلم مكان ناقته فأتاه جبريل وأخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى آخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح (ودعا) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم فيه انه دعا (لام أبي هريرة) رضي الله تعالى عنهما بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة (فاسلمت) وهداها الله للاسلام وحازت شرف الصحبة واسمها أميمة بنت صبيح بن الحرث بن دوس كما ذكره ابن بشكوال وأبوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين ابن الاثير في أسد الغابة وأما أبو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه وكان رضي الله عنه حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكي وقال له اني كنت ادعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك يا أبا هريرة فسمع صبها الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا أبا هريرة اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرحا وقال أبشر يا رسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله تعالى أمي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله أدع الله أن يحببني أنا وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم لهما فكان لا يسمع به أحد أو يراه الا أحبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلائله (ودعا) صلى الله عليه وسلم (لعلي) بن أبي طالب في حديث رواه البيهقي وابن ماجة بسند صحيح متصل بعلي رضي الله تعالى عنه (ان يكفى) بالبناء للمجهول أي أن يكفيه الله تعالى بفضله (الحر والقر) أي المهما وهو بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها ما يعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويخص ببرد الشتاء كما يخص الحر بحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج وأصله من القرار لان البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة كما قاله الراغب (فكان) علي رضي الله تعالى عنه بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (يلبس) في زمن (الشتاء ثياب الصيف) الخفيفة كالقميص الواحد (وفي) زمن (الصيف ثياب الشتاء) وهي المضربات المحشوة والثياب الثخينة (ولا يضيبه) أي لا يجد ويحس (حر ولا برد) أي المهما ويقصد باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف به غيره لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا كان لا يضره شدة حر الصيف لا سيما في الحجاز ولا شدة برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم له بخيبر لما أصابه بها رمد شديد قال عبد الرحمن ابن أبي ليلى كان علي رضي الله تعالى عنه يلبس في الحر القباء المحشو والثخين ولا يبالي بشدة الحر ويخرج في البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالي فسئل عن ذلك فقال انه صلى الله عليه وسلم أعطى الراية يوم خيبر أبا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال لاعطين

(فجاءبها) وفي نسخة صحيحة فجاءبها (أعصار ريح) بالاضافة والاعصار بالكسر ريح عاصف يستدير في الارض ثم يسطع الى السماء مستديرا كالعمود (حتى ردها) أي الاعصار الناقة (عليه) أي على غرقد (ودعا لام أبي هريرة) أي بالهداية كما رواه مسلم وغيره (فاسلمت) فعن أبي هريرة قال دعوت أمي يوما الى الاسلام وهي مشركة فاسمعتني في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أكره فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشرا بدعوته عليه السلام فلما صرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقال مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال خيرا (ودعا لعلي ان يكفى) بصيغة المفعول أي يحفظ (الحر والقر) بضم القاف وفتحها وتكسر البرد أو شديده أي شرهما (فكان) أي علي (يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه) ويروى ولا يسيئه ويروى ولا يسوءه (حر ولا برد) أي مع اختلاف الاحوال والحديث رواه ابن ماجه والبيهقي

لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه فدعاني
واعطاني الراية وكان بي رمد شكوته له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت
لهما ألما بعد ذلك وانما دعا له برفع الحر والبرد مع ان تالمه رضي الله تعالى عنه كان من الرمد ووجع
العين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان رمده كان من زيادة الدم الذي حصل له من الحر فدعا له بدفع
سبب ذلك وزاد عليه دفع ألم البرد لانه ضده فربما أذاه لقوته بعدم ضده وروى يسيئه من الاساءة
ونسوءه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لفاطمة ابنته) رضي
الله تعالى عنها في حديث رواه البيهقي عن عمران بن حصين (الله) مفعول دعا وفي نسخة ان الله (ان
لايجيعها) أي ان لايجعلها متألمة من الجوع وترك الطعام وأكله (قالت) فاطمة رضي الله تعالى عنها (فما
جعت) بضمير المتكلم (بعد) مبني على الضم أي بعد دعائه وبركته قال عمران بن حصين كنت معه
صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع
فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع المجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران
فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت لي ماجعت بعدها عمران قال البيهقي بعدما ذكر
الحديث هذا كان قبل نزول آية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن علي لما بينهما
من المناسبة مما لايخفى (وساله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي
عنه وابن جرير من طريق الكلبي (الطفيل بن عمرو) بضم الطاء المهملة المشددة والفاء المفتوحة
وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي
الدوسي ويقال له ذو النور وقتل في وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة
في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وهو من
كبار الصحابة ومن أصحاب النور وهم ستة أسيد بن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو
الاسلمي وقتادة بن النعمان كما يأتي والطفيل هذا والحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم ولكل منهم
قصة مذكورة في محلها (آية لقومه) مفعول سأل أي سأله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة تكون معه
يؤمن بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم
يطيعوه فقال يارسول الله ان دوسا قد عصت وأبت فادع عليها فقالوا اهلكت دوس ان دعا عليها فقال
اللهم أهد دوسا فعلم ان الله تعالى سيهديهم ببركة دعائه فطلب الطفيل منه صلى الله تعالى عليه وسلم ان
يريهم آية يهتدوا بها (فقال اللهم نور له) الضمير للطفيل أي اجعل معه نورا يكون آية لصدقه رضي الله
عنه (فسطع له نور بين عينيه) أي ظهر بين عينيه نور ساطع وأصل معنى السطوع الارتفاع والظهور
وهو المراد هنا (فقال) أي الطفيل لما علم بذلك النور الذي بين عينيه (يارب اني أخاف) من قومي
اذا رأوا ذلك النور (ان يقولوا مثلة) خبر مبتدأ مقدر أي هو أو هذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام
بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه ونحوه
وهذا هو المراد هنا أي خشي ان يعدوه عارا لتوهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه
وكسرها وهو تكلف لاداعي له (فتحول) ذلك النور (الى طرف سوطه) أي لما شكى الى الله تعالى
ما يخافه وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل بمعنى الخلط
فسمي به ما يعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف (فكان) أي سوطه (يضيء في الليلة المظلمة)
كالشمع والمصباح (فسمي) الطفيل (ذا النور) أي صاحب النور لذلك وروى الظلماء بدل المظلمة
ولا اشكال في شيء من هذا كما توهمه بعضهم وأغرب منه انه قال روى صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم

ودعا لفاطمة ابنته ان لايجيعها) أي جوعا شديدا (قالت فما جعت بعد) أي بعد ذلك الدعاء أبدا رواه البيهقي عن عمران بن حصين (وسأله) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (الطفيل) بالتصغير أي ابن عمرو كما في نسخة وهو ابن طريف الازدي الدوسي قتل يوم اليمامة وكان شريفا مطاعا في قومه روى أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة انه قال لما قال الطفيل ابن عمرو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان دوسا قد غلب عليهم الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال عليه السلام اللهم أهد دوسا (آية) أي علامة تكون كرامة (لقومه) أي عندهم (فقال اللهم نور له فسطع) أي ظهر ولمع (له نور بين عينيه فقال يارب اني اخاف أن يقولوا مثلة) بضم الميم ويفتح ويكسر وسكون المثلثة أي تنكيل وعقوبة وهي مرفوعة وقيل منصوبة (فتحول) أي فاستجيب دعاؤه وانتقل ذلك النور (الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة) وروى الظلماء (فسمي ذا النور) كالحسنين ابني علي وأسيد بن حضير وعباد ابن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كل سمي بذلك واما ذو النورين فهو لقب عثمان لانه تزوج بنتين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث هذا رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي

تكلم فى تاويله بخرافات لا ينبغى تسويدها لوجه المصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا فى قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصيبك فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فما زالوا ينهونى و يحذرونى منه حتى قلت لهم لا أدخل المسجد الاسادا أذنى فحشوتهما كرسفا أى قطنا ودخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما فى يمانى وأبى الله الأن يسمعنى قوله فقلت فى نفسى ان هذا المعجز وأنا امرء ثبت لا يخفى على الحسن والقبيح والله لاسمعنه فان كان رشدا أخذته أو عناء تركته فنزعت ما باذنى واستمعت له فلم أسمع احسن وأحلى مما قاله فانتظرته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يا محمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ما قلت ووقع فى نفسى انه حق فاعرض على دينك وما تأمر به وتنهى عنه ففعل فاسلمت ثم قلت يا رسول الله انى راجع لدوس وأنا فيهم سيد مطاع وأنا داعيهم الى الاسلام فادع الله تعالى ان يجعل لى آية تكون عونا لى عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى أشرفت على حاضرة دوس ولى هناك أب شيخ كبير وامرأة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عينى نور كالشهاب فقلت اللهم فى غير وجهى فانى أخشى ان يظنوه مثلة لفراق دينهم فتحول فى رأس سوطى فلقد رأيتنى أسير وانه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم أتانى أبى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى فانى أسلمت واتبعت دين محمد فقال أى بنى ان دينى دينك فاسلم وحسن اسلامه ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها كما قلت لابى فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت على فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمكة فقلت يا رسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم أهد دوسا فرجعت اليهم وأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم الى الاسلام حتى استجاب لى منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أحد والخندق بثمانين أو سبعين من أهل بيتى حتى فتحت مكة وأرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه وأقام معه حتى قبض ثم بعثه أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه كما تقدم (ودعا على مضر) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى حديث صحيح رواه الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفى وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرس لان نزارا أباهم أوصى لمضر بالذهب وهو وقد يؤنث فيوصف بالحمرة و يقال ذهب حمراء وأعطى ربيعة الخيل فقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم فى الحرب العمائم والرايات الحمر وشعار أهل اليمن الصفر وبه فسر قول أبى تمام فى الربيع

محمرة مصفرة فكأنها * عصب تيمن فى الوغى وتمضر

ومضر أبو قريش (فاقحطوا) بالبناء للمجهول أى أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية (حتى استعطفته قريش) أى سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطف عليهم و يرحمهم بدفع القحط عنهم وما حل بهم من البلاء (فدعا) الله (لهم) ان يمطرهم ويزيل قحطهم (فسقوا) أى سقاهم الله تعالى عز وجل وأمطر أرضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجراد والدم والعظام

(ودعا على مضر) على وزن عمر وهم قبيلة (فاقحطوا) بصيغة المجهول أى فدخلوا فى القحط باحتباس المطر عنهم وانقطاع الخير منهم (حتى استعطفته قريش) أى طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم (فدعا لهم) أى بالمطر (فسقوا) بصيغة المجهول أى فاعطوا مطرا فاخصبوا رواه النسائى عن ابن عباس والبيهقى عن ابن مسعود وأصله فى الصحيحين

فقال له أبو سفيان أو كعب بن مرة انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه أبو نعيم في الدلائل (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (على كسرى) بكسر الكاف وقد تفتح كما مر وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من أولاد أنوشروان وقيل ابرويز معناه المظفر وأنوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي رحمه الله (حين مزق كتابه) الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه يحثه فيه على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا به وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتى تمزق تجبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له أرسله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعاء بعده حين بلغه خبره بعد زمان اما لان المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر أو المراد حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من أجل تمزيقه كتابه ليس بشئ (ان يمزق الله ملكه) معمول دعا أي بان يمزق الى آخره باهلاكه وانتقال ملكه لغيره فمزق كل ممزق (فلم يبق له) أي لكسرى أو لملكه (باقية) أي نفس باقية من عقبه أو هو مصدر بمعنى بقية وبقاء والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا (ولا بقيت لفارس) هو معرب بارس بالباء العجمية ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم (رياسة) أي ملك ونفاذ كلمة (في اقطار الدنيا) وفي نسخة البلاد أي في جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وأفناهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لما عصوه وتجبروا فلم يزل أمره في انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده بزمن يسير ومالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل في التواريخ والحديث في البخاري والكلام عليه مبسوط في شروحه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أبو داود والبيهقي انه دعا (على صبي) صغير قال ابن حبان اسم الصبي يزيد بن بهرام وقيل انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي أظنه موضوعا لانه أشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم عليه مع رأفته به وما أجاب به البرهان الحلبي من ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ بعد أحد كما قاله التقي السبكي أو بعد الهجرة كما قاله غيره أو هو من باب خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده وأبعد منه وأغرب ما قيل ان الله أطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم على حال هذا الصبي وانه سيصير متعديا وانه لو لم يكن كذلك أضر بالناس فلذا دعا عليه كما أطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام الذي قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد قرر أئمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن أحيانا كما يحكم بالظاهر وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد أفرده السيوطي بجزء ألفه فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه (قطع عليه صلاته) بمروره بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وقطع الصلاة مجاز عن افسادها قبل تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلي اذا صلى في غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغي ان تكون مرتفعة ارتفاعا ما فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سترة في هذه الصلاة أو كانت ومر الصبي بينه وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان أو حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه

(ودعا على كسرى) بكسر الكاف وتفتح لقب لكل ملك الفرس وهو هنا ابرويز بن هرمز قال الطبري وتفسيره المظفر بن هرمز بن نوشروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك (حين مزق كتابه) بتشديد الزاي أي شقق مكتوبه (ان يمزق الله ملكه) أي بتمزيق الله ملكه فمزقه كل ممزق (فلم تبق له باقية) أي نفس باقية أو أثر وبقية قال السهيلي ولما دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وقع أمره في الانحطاط الى ان قتله ابن له يقال له شيرويه ومات ابنه الذي قتله بعد أبيه بزمن يسير وسببه ان ابرويز قيل له ان ابنك شيرويه يريد قتلك قال اذا قتلني فانا أقتله ففتح خزانة الادوية وكتب على حقة السم الدواء النافع للجماع وكان ابنه مولعا بالجماع فلما اقتل أباه وفتح الخزانة ورأى تلك الحقة تناول منها فمات من ذلك ومات سائر أولاده وأكثر أقاربه بعد دعائه عليه الصلاة والسلام لستة أشهر ومالت عنهم الدولة حتى انقرضوا عن آخرهم (ولا بقيت لفارس) بكسر الراء مصروفا وممنوعا أي لاهل فارس (رياسة في سائر أقطار الدنيا) أي نواحيها رواه البخاري من طريق ابن عباس (ودعا على صبي قطع عليه) أي بمروره بين يديه (الصلاة) أي صلاته كما في نسخة

(ان يقطع الله أثره) ومن جملته مشى قدميه كما قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم (فاقعد) بصيغة المجهول أي صار مقعدا لا يستطيع النهوض وفي رواية قطع صلاتنا قطع الله أثره وفي أصل الدلجي دابره بدل أثره فتكلف في وجهه بان الدابر في الاصل الآخر ومنه قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق أحد منهم ثم استعير للزمانة كما هنا بسبب قوة مشيه هذا والحديث رواه أبو داود والبيهقي ورواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده وكذا ابن القيم وقال الذهبي أظن انه موضوع ثم على تقدير ثبوته فيه اشكال وهو انه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو على الصبي وهو غير مكلف بالاحكام مع ان القاضي جزم بذلك في مقام المرام وجوابه نقل عن البيهقي في المعرفة ان الاحكام انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة قال الحلبي وفي كلام السبكي انها انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد احكام ثم قال الحلبي أو يقال ان هذا من باب خطاب الوضع لانه اتلاف لا يشترط فيه التكليف انتهى وتبعه الانطاكي وقرره التلمساني وفيه ان الصلاة صحيحة بالاجماع فليس من الاتلاف بلا نزاع نعم اتلاف لكمال الحال في حضور البال وهو غير مقتض لهذا النكال ولذا قال الدلجي وأجيب هنا بما لا يشفي ثم أقول ولعل الصبي كان من أولاد الكفار وقد أمره أهله بان يقطع الصلاة على سيد الابرار فاراهم صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة اظهارا للعزة ودفعا للذلة أو كان الصبي مراهقا فظنه عليه الصلاة والسلام وليس بالغا وفي قطعه قاصدا فتبين انه كان صبيا قاصرا أو يكون من باب قضية الخضر مع الصغير مكاشفا (وقال لرجل) هو بر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن راعي العير الاشجعي قيل كان منافقا (رآه يأكل بشماله) فقال له (كل بيمينك فقال لا أستطيع) أي ان آكل بيميني لعذر بي (فقال لا استطعت) ان تأكل بيمينك دعاء عليه لكونه كاذبا فيما ادعاه (فلم يرفعها) أي يمينه بعد ذلك (الى فيه) أي فمه لا عند أكله ولا في حال غيره والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع واستدل به علي وجوب الاكل باليمن ولا دلالة فيه عند المحققين

يقطعها لانه ورد في أحاديث صحيحة منها ما رواه أبو ذر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا قام أحدكم يصلي بسترة ما يضعه بين يديه مثل آخرة الرحل فاذا لم يكن ذلك فانه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الاسود وخصه لانه ورد في الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه فقيل انه منسوخ وقيل انه مؤول والمعنى يقطع خشوعه في صلاته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان لا يشغله عن الله شئ فعله تشريعا للامة (ان يقطع الله أثره) معمول دعا أي دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الصبي بان يقطع الله أثره والاثر بفتحتين ما يؤثره بمشيه وغيره ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفناء والذهاب بالكلية فيقال ما بقي له عين ولا أثر كما قيل

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع أثره كما تقرر ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما أشار اليه بقوله (فاقعد) الصبي وصار مقعدا زمنا لا يمكنه المشي ليبس أعصاب رجله التي يتحرك بها وروي ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل الآخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق منهم أحد فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد وقد سمعت ما فيه (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال (لرجل) قال البرهان الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملة ومن أعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعي العير الاشجعي (رآه يأكل بشماله كل بيمينك) ارشادا له للسنة فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله كل الى آخره مقول القول (فقال لا أستطيع) أي لا أقدر على الاكل بيميني (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا استطعت) بتاء الخطاب وهو دعاء عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين (فلم يرفعها) أي يده اليمنى لانها مؤنثة سماعا أي لم يقدر بعد دعائه صلى الله عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى (الى فيه) ويحركها لانها شلت وبطل عمله بها لانه صلى الله عليه وسلم أمره بالتيمن وهو سنة بالاكل والشرب لقوله اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل أمره الا تكبره ولذا قال المصنف في شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك في أول أمره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب وأخلص لله فلا اشكال فيه وما قيل من ان ترك المندوب لا يقتضي استحقاق العقاب ليس بشئ لان مخالفة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة بغير عذر لا تجوز

وليس هذا الرجل جاهليا كما توهمه هذا القائل وخبط وخلط هنا على عادته وليس في قوله قال دون دعا اشارة لما توهمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الحاكم والبيهقي وابن اسحق من طرق صحيحة مسندة (لعتبة بن أبي لهب) الجهنمي عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة أولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب أسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقي واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقها فاذاه فدعا عليه بما يأتي فافترسه الاسد بالزرقاء من أرض الشام كما رواه الحاكم من حديث أبي نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهز أبو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب هنا سباع فاحذروا على أنفسكم فقال أبو لهب لمن معه أنتم قد عرفتم سني وحقي قالوا أجل فقال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة وافترشوا لابني عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجاء أسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه وذهب قيل انه لم يأكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة أسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذي في نسخ الشفا بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذي أسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي كما في بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) قال في حياة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه في بعض أحواله ويرفع رجله اذا بال فلما أضاف الكلب الى العظيم علم انه أعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبي والى ذلك أشار بقوله (فأكله الاسد) وفي دلائل النبوة للبيهقي كانت أم كلثوم ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية تحت عتيبة بن أبي لهب وأختها رقية تحت أخيه عتبة فلما انزل تبت يدا أبي لهب وتب قال أبو لهب لابنيه رأسي من رأسيكما حرام ان لم تطلقا ابنتي محمد وقالت أمهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتيبة وأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له اني طلقت ابنتك فاني لا أحبك ولا تحبني وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط الى آخره ثم خرج في نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفي روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر ولا خلاف في أصل القصة وقد ذكرها حسان رضي الله تعالى عنه في شعره (وقال) صلى الله عليه وسلم (لامرأة يا أكلك) وفي نسخة أكلك (الاسد فأكلها) الاسد قال البرهان الحلبي هذه المرأة لا أعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصارية فانها أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مولي ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا أكله الاسد فقالت أنا ابنة مطعم الطير ومباري الريح أبو ليل جئت لاعرض نفسي عليك لتتزوجني فقال قد فعلت فرجعت الى قومها وأخبرتهم الخبر فقالوا أنت امرأة غيرى وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نساء فيدعو عليك فرجعت وقالت له أقلني فأقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حائط بالمدينة افترسها ذئب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ (و) من ذلك (حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (المشهور الذي رواه مسلم والبخاري (من عبد الله بن مسعود في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش) قبل

(وقال لعتبة) بضم أوله وفي نسخة بالتصغير (ابن أبي لهب) أي ابن عبد المطلب بن هاشم (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد) أي ليلا وهو مسافر وقد جعله أصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نائمين فافترسه رواه ابن اسحق عن عروة بن الزبير عن هبار بن الاسود والحاكم من حديث أبي نوفل ابن أبي عقرب عن أبيه والبيهقي من طرق عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم قال الحلبي واعلم ان عتبة أسلم يوم الفتح وكذا أخوه معتب ولم يهاجرا من مكة وهذا هو المشهور وبعضهم جعل هذا عقير الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذي أسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي والله تعالى أعلم وسبب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى عروة ابن الزبير ان عتبة ابن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد وهو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش فاني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله هذا وفي النسخة زيد هنا وقال (لامرأة أكلك الاسد فأكلها) قيل هذا بخطه ليس من الرواية (وحديثه المشهور) أي كما رواه الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش

حين وضعوا له السلا) بفتح المهملة مقصورا هو للبهيمة كالمشيمة لبني آدم وهي جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه قال الشمني ان سقط عن وجه الفصيل ساعة ينتج والا قتله وكذا اذا انقطع السلا في البطن فاذا خرج السلا سلمت الناقة وسلم الولد وان انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم

الهجرة بمكة (حين وضعوا) أي حين اذ وضع بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل (السلا) بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصورا وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المرأة وفي النهاية الاول أشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان نزع عنه ساعة يولد بقي حيا والا هلك وكذا اذا انقطع في البطن و يقال للولد بعينه سلا أيضا تسمية له باسم محله و يكون فيه دم ونحوه (على رقبته) الشريفة والرقبة مؤخر أصل العنق عند الكتفين (وهو ساجد) عند البيت في صلاته والجملة حالية (مع الفرث والدم) حال من السلا والفرث بالفاء والراء المهملة والثاء المثلثة هو السرجين ما دام في الكرش (وسماهم) فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما أشرنا اليه وهم المستهزؤن المذكورون في الآية وكانوا سبعة كما تقدم و يحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي صرح به سياق أهل الحديث (فقال) أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) فأجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا في الصحيحين كما مر قال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس فقال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به وانتظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سجد فجعله بين كتفيه وأنا أنظر فجعلوا يضحكون و رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فطرحته عنه فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذي جاء بالسلا وألقاه عقبة وهو أشقاهم لمباشرته الفعل كأشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري وأما استمراره صلى الله تعالى عليه وسلم في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة فقد أجابوا عنه بأجوبة منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرها حتى يتحقق نجاستها وكان هذا في آخر الصلاة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا في قليبها فان عقبة بن أبي معيط أسر ببدر ثم قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار أكثرهم وغالبهم على ما فيه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مسندا من طرق صحيحة (على الحكم ابن أبي العاص) بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي وهو أبو مروان وعم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو ممن أسلم في الفتح (وكان) أي الحكم (يختلج بوجهه) أي يحرك وجهه و بعضه كحاجبيه وعينيه (و يغمز) بعينيه أي يحركهما مشيرا بهما وهو جالس (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه من المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا أصل له كما أشار اليه بقوله (أي لا) فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين بأسراره صلى الله تعالى عليه وسلم والا ما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم (فرآه) صلى الله

وسماهم) أي قريشا مجملا ومفصلا حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وأمثالهم (فقال) وفي نسخة وقال أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) أي معظمهم فان أشقاهم عقبة بن أبي معيط الذي وضع على رقبته السلا حمل من بدر أسيرا فقتله على بعرق الظبية بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة في تأخير الاشقى ليشاهد العقوبة في أصحابه في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى قال الحلبي وعمارة بن الوليد لم يقتل ببدر أيضا وانما جرى له قصة مع النجاشي مشهورة وقد سحر فصار متوحشا وهلك على كفره بأرض الحبشة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (ودعا على الحكم بن أبي العاص) أي ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف وهو أبو مروان عم عثمان أسلم يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه

تعالى

و يغمز) بكسر الميم (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله و يرمز شيرا بعينه أو حاجبه (أي لا) أي أراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) أي النبي عليه الصلاة والسلام مرة

تعالى عليه وسلم وهو يختلج (فقال) له (كن كذلك) دعا عليه بان لا يزال وجهه يختلج وفى نسخة كذلك كن (فلم يزل يختلج الى ان مات) بدعائه وكان موته فى خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان فى خلافته فكان بسبب رده وابنه ما كان ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عثمان أبا بكر رضى الله تعالى عنه فى رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رده فوعدنى به فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه انى لم أسمع ذلك ولم تكن معه بينة ثم لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سأله ذلك فقال كما قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما تولى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه فى خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضى الله تعالى عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف فى سبب نفيه فقيل انه كان يستخفى و يسمع ما يسره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكبار الصحابة فى أمر المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكى مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها و يتغامز فى مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها انها قالت لمروان لما قال فى حق أخيها عبد الرحمن ما قال أما أنت فاشهد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه تشير الى ما روى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم فلذا قيل

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضى بما حكم الصديق فى الحكم

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى وابن جرير موصولا عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما قال بلغنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا (على محلم) بميم مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة ثم ميم (ابن جثامة) بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة وألف وميم وهاء واسمه جثامة بن بدر بن قيس بن ربيعة الكنانى الليثى أخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم فى سبيل الله الآية كما يأتى (فمات) أى محلم هلك عقب دعائه عليه (لسبع) أى عند سبع أو بعد سبع ليال من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلى انه مات بحمص أيام ابن الزبير وسيأتى مثله و بينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبى (فلفظته الارض) أى قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها العدم قبولها له وهذا مما شوهد كثيرا وورد فى الحديث يبقى فى كل أرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم (ثم ورى) بواوين مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية أى ستر وغطى وغيب فهو مجهول وأراه اذا غيبه (فلفظته) الارض (مرات) فكانوا كلما دفنوه أصبحوا رأوه فوق الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا (فالقوه) أى ألقوا بدن محلم (بين صدين) مثنى

(فقال كن كذلك) وفى نسخة صحيحة كن (فلم يزل يختلج) أى يرتعد ويضطرب (الى ان مات) رواه البيهقى من طرق عن عبد الرحمن ابن أبى بكر وعن ابن أبى عمرو عن هند بن خديجة وفى رواية فضربه فصرع شهرين ثم أفاق مختلجا قد أخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا وقال التلمسانى قوله يغمز أى يعيب لانه كان يخبر المنافقين بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لانه كان يحكى فعله صلى الله عليه وسلم فى مشيه وأمره ونحوه أولا بالفتح وتشديد الواو خلاف الاخير وروى أى لا باى التفسيرية ولا النافية فعلى الاول معناه كان يختلج أولا قبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها ومعناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج أى يختلج أولا أى قبل الدعوة ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثانى زمن السقم فيكون خبرا لكان أو مفعول يختلج أو أولا يشير الى ما كان عليه من الاستهزاء فكنى باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى الثانى تفسير لفعله وحذف ما بعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لا يليق لان فيه تنقيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه لا يكون كذلك الاولى أو الاحق وماشا كل هذا بوطن أو موطنين فى غيبته أو حضوره والله تعالى أعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم وتشديد المثلثة (فمات) فى حمص أيام ابن الزبير على ما قاله السهيلى (لسبع) أى بعد سبعة أيام (فلفظته الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء أى قذفته الارض ورمته على ظهرها بعد دفنه فى بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما لفظته الارض ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحى جبل فاكلته السباع والسوح هو الشق (ثم ورى) بضم أوله مجهول وارى أى ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف أى رموه (بين صدين) بفتح الصاد و يضم جبلين أو واديين

صد بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال المهملتين وهو ناحية الوادي أو الشعب أو الجبل (ورضموا عليه الحجارة) رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء والصد بالضم والفتح جانب الوادي وهو الارض الواسعة وهذا أحد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه الصلاة والسلام انه بعثه في سرية أمر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته الارض مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين صوحي جبل حتى أكلته السباع قال الزبيدي الصوح الشق قال التلمساني والذي رواه ابن عبد البر مسندا الى القعقاع عن أبيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سرية الى أضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبرناه نزل يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمصا ومات بها في زمن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما ولهم اختلاف في سبب نزول الآية المذكورة وفيمن نزلت على أقوال كثيرة وقد اختلف في محلم هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا أم لا (وجحده) صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل بيع فرس) أي أنكره وكان اشتراها منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل اعرابي يسمى سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابي والفرس المرتجز كما قاله الجوهري وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب (وهي) أي هذه الفرس (التي شهدت فيها) أي بيعها (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خزيمة) بخاء وزاي معجمتين ويقال اسمه أبو خزيمة وهو صحابي مشهور قتل بصفين مع علي رضي الله تعالى عنهما سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضي الله تعالى عنه (فرد الفرس) بالنصب مفعول رد (بعد) مبني على الضم أي بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) هو فاعل (رد على الرجل) الذي جحد البيع وهو متعلق برد وانما ردها صلى الله تعالى عليه وسلم تعففا منه وتكرما (وقال) اذ ردها (اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أي لا تجعل له بركة في فرسه (فاصبحت) أي الفرس (شاصية برجلها) الباء زائدة وشاصية بشين معجمة وألف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء (أي رافعة) رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازي وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد في الجيف بعد أيام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله أهل اللغة ووقوع مثله عادة لا يكون الا بعد أيام فوقوعه بسرعة من الآيات أيضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابي وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه ويزيدون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابي ان كنت مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة أنا أشهد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أحضرتنا فقال بأبي أنت وأمي أنا أصدقك في أخبار السماء أفلا أصدقك في ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابي قبل اسلامه أو قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق (وهذا الباب) أي باب دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا وروي في أحاديث كثيرة (أكثر من أن يحاط به) أي لا يمكن أحد من علماء هذه الامة ان يعلم جميع دعواته صلى الله تعالى عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المصنف رحمه الله تعالى منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين وقوله أكثر

(ورضموا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة أي كوموا عليه (بالحجارة) رواه البيهقي عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغني انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم انه كان بعث سرية للغزو فيها محلم فامر عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامرا غدرا فجرى ما جرى (وجحده رجل) أي من الصحابة على ما ذكره الدلجي ولعله كان منافقا (بيع فرس) أي أنكره (وهي) القصة (التي شهد فيها خزيمة) بالتصغير (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بانه اشتراه منه مع أنه لم يره وجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة عن اثنين (فرد الفرس بعد) بالضم أي بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل) والمعنى فرد على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أي فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) أي رافعة من سبب نفخها شصا بصره أي شخص (وهذا الباب أكثر من ان يحاط به) أي بجميع فصوله من فروعه وأصوله

(فصـل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان) أي بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى له (فيما لمسه أو باشره صلى الله تعالى عليه وسلم) والكرامة اسم من الاكرام (انا) أي أخبرنا كما في نسخة (أحمد بن محمد) أي ابن غلبون الخولاني (ثنا) أي حدثنا (أبو ذر الهروى اجازة وثنا القاضي أبو على سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) أي وغير القاضيين أيضا (قالوا) أي جميعهم (حدثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر الهروى) سبق (ثنا أبو محمد) وهو السرخسي (وأبو اسحق) وهو المستملي (وأبو الهيثم) وهو الكشميهني (قالوا) أي الثلاثة (ثنا الفربرى) بكسر ففتح على الاشهر (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد بن زريع) بالتصغير وهو أبو معاوية البصري الحافظ قال الحلبي وقد سقط واحد بين البخاري وبين يزيد ابن زريع فان يزيد ابن زريع ليس شيخا للبخاري وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبد الاعلى بن حماد وقد أخرج البخاري هذا الحديث الذي ذكره القاضي في كتاب الجهاد عن عبد الاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذي ساقه القاضي قال الحجازي وكذا وجدته في النسخة المعتمدة انتهى وعبد الاعلى هذا روى عن الحماد بن مالك وعنه الشيخان وأبو داود وأبو يعلى والبغوى (ثنا سعيد) أي ابن أبي عروبة (عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل المدينة فزعوا) بكسر الزاى أي خافوا واستغاثوا (مرة) أي وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل الناس حين خرج من المدينة

من أن يحاط به كقولهم أكثر من ان تحصى ومثله كثير وتأويله مشهور فان ظاهره غير مراد اذ لا يعنى انه أكثر من الاحاطة وقد بينوه في محله حتى أفرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشئ معناها استقصاء جميع أفراده * (تنبيه) * مران الدعاء معناه التضرع الى الله تعالى في جلب ماينفع ودفع مايضر وقد قيل اذا كان كل شئ بقضاء وقدر وقد جف القلم فافائدة الدعاء وأجيب بانه أمر تعبدى محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعاء موقوفا عليه كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن أنكر الدعاء وقال انه لافائدة فيه فقد ضل عن سواء السبيل فاعرفه

* (فصل في كراماته) * صلى الله تعالى عليه وسلم أي ما أكرمه الله تعالى سبحانه به من الامور الخارقة للعادة والكرامة أعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدى بالفعل أو بالقوة والكرامة لايشترط فيها ذلك ويكون للنبي وغيره من أولياء الله تعالى سبحانه وان غلب في العرف جعل الكرامة للولى والمعجزة للنبي الا انها لاتختص بذلك على ماعرف وما كان منها قبل النبوة للنبي يسمى ارهاصا لانه تأسيس للنبوة ومقدمة لها (وبركاته) أي ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته من الخوارق (وانقلاب الاعيان له) أي تبدل حقيقتها وماهيتها او صورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان أعظمه فالاولى الاحسن ان يقول في كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع عين وهي الذات (فيما لمسه) صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (أو باشره) المباشرة ان يلى الامر بنفسه فهى أعم من اللمس واللمس والمس متقاربان (أخبرنا أحمد بن محمد) بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني شيخ المصنف رحمه الله توفي سنة ثمان وخمس مائة وكان في الحديث وسائر الفنون امام عصره قال (حدثنا أبو ذر الهروى) تقدم بيان ترجمته (اجازة وحدثنا القاضي أبو على سماعا) أبو على هو ابن سكرة السابق ترجمته (والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم (قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي) الباجي الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا أبو ذر) يعنى الهروى المتقدم قال (حدثنا أبو محمد) السرخسي المتقدم (وأبو اسحق) المستملي المتقدم (وأبو الهيثم) الكشميهني المشهور (قالوا حدثنا الفربرى) تقدم بيانه ونعته ونسبته قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا يزيد بن زريع) بالتصغير أبو معاوية البصري ولد سنة احدى ومائة ومات سنة ست وثمانين ومائة كذا في النسخ هنا وصوابه حدثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد ابن زريع وهكذا هو في صحيح البخاري فسقط منه راو من قلم المصنف قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة كما تقدم وفي نسخة عن سعيد (عن قتادة) تقدمت ترجمته (عن أنس بن مالك) الصحابي المشهور (ان أهل المدينة فزعوا مرة) أي وقع بهم فزع بفتح الفاء والزاى المعجمة والعين المهملة قال المبرد في الكامل الفزع في كلام العرب على وجهين أحدهما الخوف والذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ يقال فزع وأفزع وهو من الاضداد قال زهير

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم * طوال رماح لاضعاف ولاعزل

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع والمراد هنا الاول أي وقع خوف استصرخوا بسببه وهو أشهر معنييه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع

(فرسا لابي طلحة) أي مستعارا منه (كان) أي الفرس (يقطف) بضم الطاء ويكسر أي يقارب خطوه في سرعة وزيد في أصل الدلجي به فقال أي بابي طلحة (أو به قطوف) بضم أوله شك ممن رواه عن أنس ذكر الدلجي أو ممن بعده قال الجوهري القطوف من الدواب البطئ وقال أبو زيد هو الضيق المشي وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) أي غير أنس (يبطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة أي لضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبري ثبطا أي ثقيلا وقال أبو عبيد في قوله تعالى فثبطهم أي عوقهم (فلما رجع) أي من الفزع الى المدينة ولم ير بأسا (قال) أي لابي طلحة (وجدنا فرسك بحرا) أي واسع الجري سريع العدو (فكان) أي ذلك الفرس (بعد) أي بعد ذكره أو قوله هذا (لايجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجري بالجيم أي لايسابق ولايباري والمعنى لايسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين أي طعنه عند دبره أو جنبه بمحجن أو نحوه (وكان) أي الجمل (قد أعيي) أي عجز عن المشي وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفي مضارعه بفتحها أي خف وأسرع وفي النهاية وكثيرا ما يجئ في الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) أي انتهى نشاطي الى ان صار جابر (مايملك) ويروى لايملك (زمامه) رواه الشيخان

صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذي سمع منه الصوت ورأى الناس في رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب (فرسا لابي طلحة) ركبها عريا من غير سرج عليه وأبو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري النجاري الصحابي البدري وهو أحد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه أحاديث كثيرة وتوفي سنة أربع وثلاثين من هجرته (كان يقطف أو به قطاف) بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء والشك فيه من الراوي قال البرهان يقطف بضم الطاء في قولهم تقطف الدابة بمعنى تبطئ واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قاله الزمخشري والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهري المقطوف في الدواب البطئ وقال أبو زيد الضيق المشي وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب في الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف (وقال غيره) أي غير أنس (يبطأ) مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطأ والبطؤ ضيق الخطا فهو قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطؤ وينسب اليه ذلك وهو مبني للمجهول (فلما رجع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزع ولقي أبا طلحة (قال) له (وجدنا فرسك بحرا) أي كالبحر في شدة جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان في علمه أي توسع (فكان) ذلك الفرس (بعد) مبني على الضم أي بعد قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك ببركته (لايجارى) مبني للمجهول مفاعلة من الجري وهو مما يوصف به الماء والحيوان أيضا فهو تجريد شبه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لايسبق فكأنه لذلك لايجاريه أحد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا (و) مما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نخس جمل جابر) بن عبد الله الانصاري الصحابي المعروف رضي الله تعالى عنهما ونخس بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه في جنبه أو نحوه بعود أو نحوه وكان ذلك بمحجن في يده الشريفة (وكان) ذلك الجمل (قد أعيي) أي تعب وقلت حركته من السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة في الماضي وفتحها في المضارع أي أسرع في السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة وسرعة وفي النهاية روي كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها وفي الحديث كأنما انشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعني ان الصواب هنا انشط من المزيد وأصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولايخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا نزعها فيشبه الجمل بدلو في بئر ويشبه نخسه له حتى جد في سيره باخراجه من البئر كأنه جذبه وأبدا قوته التي لم تكن ظاهرة فيه (حتى كان) أي جابر أو الجمل (لايملك زمامه) الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه انه لايقدر على ضبطه وحبسه لانه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه فيه والحديث كما في الصحيحين قال جابر رضي الله تعالى عنه انه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة فابطأ به جمله ومر به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماشانك فقال له ابطأ بي جملي وأعيي فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لايقدر على كفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته في الحديث وشروحه وفي ثمنه اختلاف أيضا وفيه من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولطف معاملته مع أصحابه وكرمه

وكرمه مالا يخفى وهذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري (وصنع مثل ذلك) أي مثل ماصنع مع جابر رضي الله تعالى عنه في حديث البيهقي (بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه جعال (الاشجعي) بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لاشجع وهي قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن أبي الجعد قال كنت في بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في أخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشانك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله لك فيها قال فلقد رأيتني أول الناس ماأملك رأسها وبعت من بطنها عدة كثيرة واليه أشار بقوله (خفقها) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي ضربها (بمخفقة) كانت (معه) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهاء اسم آلة من الخفق وهي الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا (وبرك عليها) بالتشديد تفعيل من البركة أي دعا مرارا بالبركة فيها (فلم يملك رأسها) أي لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له وهذا من قولهم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملاك مأخوذ من هذا وهو حقيقته (نشاطا) أي من شدة نشاطها (وباع من بطنها) أي مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع في الولد والنسل (باثني عشر ألفا) وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسل فيكون ذلك ولدها وولد أولادها وفيه لف ونشر فقوله يملك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الى آخره ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائي وابن عبد البر في الاستيعاب (و) في حديث رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ركب حمارا قطوفا) قليل السير متقارب الخطا (لسعد بن عبادة) الانصاري سعدهم المشهور (فرده) أي أعاده صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبه بعد ماركبه أو معناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما صرحوا به فعلى الاول مابعده حال وعلى الثاني مفعول ثان (هملاجا) بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من البراذين مايسرع مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان (لايساير) مبني للمجهول أي يسبق كل ماسار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما مر في قوله لايجارى (و) روى البيهقي انه (كانت شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما (في قلنسوة خالد بن الوليد) أي انه رضي الله تعالى عنه وضعها في داخل قلنسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو وقبل هائه ماتوضع على الرأس وهي معروفة ويقال قلنسية كما في الصحاح (فلم يشهد بها) أي لم يحضر (قتالا) وحربا قاتل فيه (الارزق النصر) أي الانصره الله تعالى على أعدائه فيقتلهم أو يهزمهم ببركة تلك الشعرات التي كانت في قلنسوته وجملة الارزق الى آخره حال مستثناة استثناء مفرغا من أعم الاحوال وحكى ابن العديم ان ابن أبي طاهر العلوي كان عنده أربعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض أمراء حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له وأهدى تلك الشعرات له فاكرمه ثم أتاه بعد أيام فعبس في وجهه ولم يلتفت اليه فسأله عن السبب فقال له قال لي فلان ان هذه الشعرات لا أصل لها فسأله احضارها فاحضرت فطلب منه نارا وقدها فاتى بها فرمى شعرات منها في النار فلم تحترق بل صارت أحسن مما كانت فقبل رجله وأنعم عليه بنعم لا تحصى وأكرمه غاية الاكرام (وفي الصحيح) أي في

(وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعي خفقها) أي ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء أي بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء أي دعا بالبركة فيها (فلم يملك) أي جعيل بعد ذلك (رأسها نشاطا) بفتح النون أي من أجل اسراعها (وباع من نسلها) وفي نسخة من بطنها (باثني عشر ألفا) وهذا من أثر دعائه بالبركة لها وماقبله من أثر ضربه وتوجهه اليها فهذا مانشر ولف مرتب لما قبلهما رواه البيهقي (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) أي من محله الذي انتهى اليه أو من وصفه الذي كان عليه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم أي سريع الهرولة فارسي معرب ويسمى الآن رهوانا (لايساير) بصيغة المفعول أي لاتسايره دابة الاسبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله ابن أبي طلحة (وكان شعرات من شعره) بفتح العين ويسكن أي من شعراته كما في نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم (في قلنسوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السين ماتوضع على الرأس مثل الكوفية (فلم يشهد بها) أي فلم يحضر خالد بتلك القلنسوة (قتالا الارزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر أي أعطى الفتح والظفر رواه البيهقي (وفي الصحيح) أي من رواية مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه

(عن اسماء بنت أبي بكر) أي الصديق رضي الله تعالى عنهما (انها أخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما في شرح مسلم للنووي وفي نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام ويثلث فارسي معرب وفي نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهو اما من أصلها واما لما طرأ عليها الان هذه الجبة صارت بيد أسماء بعد موت اختها عائشة وهي ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الحديث الصحيح أو صحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة (عن أسماء بنت أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما (انها) أي أسماء (أخرجت) أي أظهرت وأرت الناس (جبة) بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وهي ثوب مخيط (طيالسة) قال النووي انه روي باضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف لانه بزنة ثمانية ورفاهية ويجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة كانت عند أختها عائشة أم المؤمنين فلما ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمسة وأربعين سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات أعلام خضر ولذا روي جبة خضراء فوصفت بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل الطيلسان كساء أخضر يعرف بالساج وقيل الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن الطيلساني في الشتم (وقالت) اسماء (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها) أي كان يكثر لبس هذه الجبة لانه كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون وليس بطريق الوضع كما مر (فنحن نغسلها) ونأخذ غسالتها فنعطيه (للمرضى فتستشفي) المرضى (بها) أي بغسالتها بان يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفاء ببركته وفي مسلم انها جبة كسروانية نسبة لكسرى أي عجمية وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على حل السجاف من الحرير وقيده بعضهم بان لا يزيد على أربعة أصابع ولا ينافي كونها من الطيالسة ما قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الدجال (وحدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة وقد تقدم (عن شيخه أبي القاسم بن المأمون) بن محمد بن هشام الرعيني السبتي المعروف بابن المأمون الامام المشهور (قال كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ولا تكسر كما مر وهي الجفنة المعروفة وتختص في العرف بما كان من الخشب وقيدها النووي بما كانت تسع عشرة والقائل ابن المأمون فيحتمل انها كانت عنده ووصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل انها كانت بديارهم وبلادهم (من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف كجمع جفنة وجفان ويجمع على قصع أيضا وقصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعدوها ولم يذكروا اصفاتها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يعتني بها ولا يعدها ولا يدخرها (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى) جمع مريض (فيستشفون بها) أي يطلبون الشفاء فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيه البركة آثارا آثاره (وأخذ جهجاه الغفاري) جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الاخيرة ألف وهاء وقيل ان صوابه جهجا مقصورا لاهاء في آخره والغفاري بكسر الغين نسبة لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم أبيه فقيل هو ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقيل ابن سعد بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابي مهاجري مدني روى عنه أحاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بسنة (القضيب) يعني قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان مع الخلفاء والقضيب عصا قصيرة (من يد عثمان) ابن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل أخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله

بنحو خمس وأربعين سنة وفسرت بالاكسية وبالخضراء ثم طيالسة بالتنوين لانها في زنة رفاهية وثمانية (وقالت) أي أسماء (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلبسها) بفتح الموحدة (فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها) جملة حالية أو مستأنفة مبينة وهي بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة المتكلم هذا وقال المصنف (وحدثنا القاضي أبو علي) وهو ابن سكرة (عن شيخه أبي القاسم ابن الميمون) أخذ عن أبي محمد الباجي (قالت كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ومن لطائف كلام أرباب اللغة لا تفتح الجراب ولا تكسر القصعة (من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف جمع (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون) وفي نسخة فيستشفون (بها) أي فيشفيهم الله تعالى ببركة نسبتها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهائين ابن سعد منصرفا أو سعيد أو مسعود وقال الطبري المحدثون يزيدون في آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء في آخره (الغفاري) بكسر أوله حضر بيعة الرضوان وعن عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما أسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبي التي كان الخلفاء يتداولونها (من يد عثمان) أي وهو على المنبر

منصرفالداره (ليكسره) أي أخذه بقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح الناس عليه وقال ابن عبد البر وبعض أهل السير انه كسر (على ركبته) أي اتكى على ركبته في كسره كما هو معتاد (فصاح به الناس) ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أمر عظيم وجراءة لم يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح كسر العصا عمن أطاع أو عصى وهذه العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب وكذا الخلفاء بعده (فأخذته) أي أصابته ووقعت به وأصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عما ذكر (الاكلة) كفرحة وهو داء يصيب بعض الاعضاء فيتأكل أي يتفتت ويتقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات كتب الطب والناس تقول آكلة بالمد وقد قيل انه خطأ الا ان الثعالبي أنشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب

ومن أنت هل أنت الا امرؤ * اذا صح نسلك في باهلة
وللباهلي على خبزه * كتاب لآكله الآكلة

ولم يخطئه فيه وهو من أئمة اللغة فيصح ان تقرأ عبارة المصنف رحمه الله تعالى به الا ان تعارضه الرواية (فقطعها) أي قطع جهجاه ركبته أو رجله من ذلك لئلا يسري المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل * القطع طب كل عضو فاسد * فلا حاجة لما قيل ان ضمير الفاعل للاكلة وذكره بتأويل المرض ونحوه (ومات) الجهجاه من قطعها (قبل) تمام (الحول) أي السنة التي وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضي الله تعالى عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه بسنة وهو مناف لكلام المصنف رحمه الله تعالى من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضي الله تعالى عنه حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو أيضا مخالف لكلام ابن عبد البر في قوله انه أخذها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج في آخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم أبو أمامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القائمين عليه الجهجاه وشافهه بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جراءته على قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم اشكال لا يخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضي الله تعالى عنه لا يسوغ له مثل ذلك وعثمان رضي الله تعالى عنه كان مجتهدا مثابا ولا فيما أنكروه عليه وما هذه الا ذلة عظيمة لا تليق بمن كان مؤمنا صحابيا (و) روى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه حديثا متصلا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (سكب من فضل وضوئه) السكب بمعنى الصب وفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله تعالى روحه في كتابه الرزان الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدي والفتح أولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضأ وضوأ وتطهر طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء من أسماء الماء كالوقود ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما تبرأ منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهما لم يحرراه انتهى ما قاله شيخنا فلك هنا الفتح والضم (في بئر قباء) بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف ويجوز صرفه أيضا باعتبار المكان وألفه ليست للتأنيث وقال في التبصرة انه اسم أماكن ثلاثة وينسب اليه قباي والى قبا فرغانة قباوي

(ليكسره على ركبته) أي معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفي نسخة فصاح الناس به (فاخذته فيها الاكلة) بفتح فكسر ويسكن وبكسر فسكون وبفتحتين أي الحكة وفي نسخة بمد فكسر (فقطعها) أي ركبته وتذكير الضمير العائد الى الاكلة بتأويل الداء (ومات قبل الحول) رواه أبو نعيم في الدلائل وابن السكن في معرفة الصحابة وقال ابن عبد البر هو الذي تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بسنة ذكره الحلبي ثم كسر العصا ليس صريحا في كلام القاضي وهو صريح في كلام ابن عمر ولكني رأيت في حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلي عن ابن دحية نقلا عن ابن العربي في كتاب العواصم انه لا يصح كسر العصا ممن أطاع ولا من عصا قلت وكذا يخالف بين قوليهما حيث قال القاضي مات قبل الحول وقال ابن عبد البر توفي بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى أعلم (وسكب) أي صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو ويضم أي ماء وضوئه (في بئر قبا) بهمز مصروف ويمنع وقد يقصر ولعلها بئر أريس

والقصر لغة فيه أيضا (فانزفت) البئر أي انقطع ماؤها (بعد) مبني على الضم أي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم ونزفت بفتح الزاي المعجمة ويجوز كسرها فهو مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر على الثاني فقد قصر وقد ورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه الله تعالى فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها في السوانح والمصنف رحمه الله تعالى قال انه صب فضل وضوءه أي بقيته ووقع في روايه انه تفل فيها وعد هذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تفجير الماء في بئر الحديبية وبئر تبوك لانه ثمة وقع التحدي لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدي كما قيل (و) روى أبو نعيم في دلائله أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (بزق) بزاي وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه (في بئر كانت في دار أنس) ابن مالك خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يكن بالمدينة) بئر من آبارها (أعذب منها) أي أحلى وألذ من مائها وهذا كان بين أظهر المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما أشرنا اليه (ومر) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ماء) في بعض أسفاره (فسأل عنه) أي عن اسمه (فقيل) له (اسمه بيسان) بموحدة مكسورة وقال التلمساني بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الآتي ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة وألف ونون (وماؤه ملح) جملة حالية أي لاعذوبة فيه فلما سمي بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يحب صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتشاءم به فغيره لانه كان يحب الفال الحسن (فقال بل هو نعمان) بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة وبيسان موضعان أحدهما بالشام وهو في حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذي مر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة ذي قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه فغير الله ماءه فاشتراه طلحة رضي الله تعالى عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض وضبط الانطاكي في حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ما تقدم وفي الشرح الجديد انه بكسر النون فكأنه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح لغة أيضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها في النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة أوردنا ذلك (وماؤه طيب) هذا من جملة مقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا تناقض كلامه (فطاب) ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه طيب (و) روى ابن ماجه في حديث آخر مسندا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتى) بالبناء للمجهول أي أعطاه بعض أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاءه (بدلو) مملوء (من ماء زمزم) ورواه البيهقي عن وائل الحضرمي الا انه لم يقل فيه انه من ماء زمزم (فمج فيه) أي ألقى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فمه وريقه (فصارت) رائحته (أطيب من رائحة (المسك) وقريب منه قصة نافع أحد القراء السبعة المذكورة في شروح الشاطبية (و) من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه الطبراني عن أبي هريرة انه (أعطى الحسن والحسين لسانه) الشريف أي وضعه في فمهما (فمصاه) أي جذبا ريقه وشرباه منه (وهما يبكيان) جملة حالية أي باكين

(فانزفت) أي ما فنيت ولا نفدت وفي نسخة بصيغة المجهول ففي الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هي فيتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضا على ما لم يسم فاعله وحكى الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) أي بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقي عن أنس (وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن) أي ماء (بالمدينة) وفي نسخة في المدينة (أعذب منها) أي أطيب وأحلى ماء من تلك البئر رواه أبو نعيم ولله در القائل من صاحب ولو تفلت في البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) أي له كما في نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة وتفتح فسكون تحتية (وماؤه مالح) بكسر فسكون مبالغة مالح أي أجاج (فقال بل هو نعمان) بضم أوله وفي نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمساني للمشاكلة ولو كسر لكان له وجه وجيه اقتضيه حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر أولها أو فتحها (وماؤه طيب فطاب) أي بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان أحدهما بالشام وهو المراد في حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذي مر به عليه الصلاة والسلام في غزوة ذي قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه الصلاة والسلام طلحة الفياض (فأتى) كذا في نسخة صحيحة والظاهر وأتى بالواو كما في بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول أي وجيء (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم أي ألقى من فيه ماء (فيه) أي في الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما في القاموس (فصار أطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقي عن وائل الحضرمي ولم يقل من ماء زمزم (وأعطى الحسن والحسين) أي كلا منهما (لسانه فمصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان) (عطشا)

(عطشا) تمييز أو مفعول له والعطش حرارة تقتضي اشتهاء ما يشرب (فسكتا) فسكن عطشهما أو تركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله وكان يتفل فى أفواه الصبيان الى آخره (و) فى حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه (كان لام مالك) الانصارية الصحابية وهى أم سليم بنت ملحان قيل والصواب ان يقول أم أنس بن مالك وفى الصحابة أم مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان أم مالك هذه ليست أم أنس وقد قالوا انه لا يعرف اسمها وفى شرح المصابيح للتوربشتى ان أم مالك فى الصحابة اثنتان أم مالك الانصارية وأم مالك البهزية وهى صاحبة العكة انتهى (عكة) بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهى صفن من الجلد يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة (تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا) أى ترسل به له على طريق الهداية وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن قال الزبيدى السمن للبقر غالبا ويكون للمعزى أيضا وفى القاموس ان سلاء الزبد ولم يقيده (فامرها النبى صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها) الامر هنا بمعناه اللغوى لان قوله لا تعصرها نهى لا أمر أو هو باعتبار لازمه لان النهى يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية ما فيه مما قل ففيه اشارة الى انه لا ينبغى النظر لقلة ما فيها واحتقاره وتعظيم ما قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب (ثم دفعها) أى دفع صلى الله تعالى عليه وسلم العكة (اليها) أى الى أم مالك المهدية له (فاذا هى مملوءة سمنا) أى فاجأها بغتة ملؤها من ذلك فمملوءة بزنة المفعول مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها (فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلاف الفقهاء فى اللحم هل يسمى اداما عرفا أم لا فلا ينافى ما ورد فى الحديث سيد ادام الدنيا والآخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام (وليس عندهم شئ) يعنى من الادام (فتعمد اليها) أى تقصدها وتمسكها بيدها وعمد يعمد بفتح الميم فى الماضى وكسرها فى المضارع ويجوز العكس كما فى شرح الفصيح للبلى (فتجد فيها سمنا) كما كانت فلا تنقص (فكانت تقيم ادمها) أى تجده قائما أى باقيا على حاله (حتى عصرتها) غاية للاقامة أى لما عصرته انتهت اقامة السمن فى العكة وفقدته وذهبت بركته لما خالفت أمره صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووى فى شرح مسلم الحكمة فى ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله تعالى بزوال ما أنعم به عليها ولم يذكر هذا فى المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل فى بيت أم مالك وفى أسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فلما أخذتها اذا هى مملوءة فأتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل بى شئ فقال ماذاك يا أم مالك قالت رددت على هديتى فدعا بلالا وسأله عن ذلك فقال والذى بعثك بالحق نبيا لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك يا أم مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وهذا صريح فى ان ما ذكر كان بركة لا معجزة بملاحظته عليه السلام كما قيل فتدبر (و) فى حديث رواه البيهقى انه صلى الله عليه وسلم (كان يتفل) بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقى بيوم عاشوراء (فى أفواه الصبيان) وافواه جمع فم باعتبار أصله لان أصله فوه والصبيان جمع صبى والمراد بهم الصغار الذى يرضعون ولهذا قال (المراضع) بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهى مص الثدى لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لا يجمع على مفاعل وادعاء انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفى

(عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول من أجله لا تمييز كما اختاره الحلبى (فسكتا) أى بسكون عطشهما رواه الطبرانى عن أبى هريرة (وكان لام مالك) أى الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل أو البهزية روى عنها طاوس والظاهر ان المراد بها الاول وقال الشارح الصواب أم أنس بن مالك فسقط ذكر أنس قاله أبو على الغسانى وهى أم سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدى) بضم التاء وكسر الدال أى ترسل (فيها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) أى ليتأدم به (فامرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها) بضم الصاد أى أمرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسئلونها الادم) بضم فسكون وبضمتين وهو كل ما يؤتدم به (وليس عندهم شئ) من الادام أو من السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم أى تقصد على العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها) وفى نسخة أدمهم أى تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها (فى افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم أولاد المراضع كما قاله الحلبى وهو الظاهر وقال الدلجى جمع رضيع يعنى مرضع اسم مفعول

(فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاي فهمزة وتسهل لا كما قال الدلجي بفتح التحتية أي يكفيهم (ريقه الى الليل ومن ذلك) أي من
قبيل كراماته (بركة يده) أي الحاصلة (فيما لمسه) أي مسه بها مطلقا (أي غرسه) أي من شجر وغيره كما في

أصل الدلجي وفي النسخ المصححة وغرسه (ولسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل رواه البيهقي عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرس له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود وأصله من فارس من قوم مجوس فخرج يطلب الدين وطريق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى أخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه (على ثلاثمائة ودية) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع أي جميعها (تعلق) بفتح اللام وتضم أي أي تمسك أو تحبل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين أي تعطي الثمرة أو تدرك (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو في لغة وهي كانت أربعين درهما من فضة في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها (من ذهب) قال الحلبي انما
كاتب سلمان مولاه ففيه مجاز ولكن جاء في بعض طرقه وهو في المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم (وغرسها)
من اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبي صلى الله عليه وسلم

بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم
الان ابن عصفور قال انه شاذ وادعاء بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها
وما قيل ان تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطأ اللهم الا ان وقع له رواية صبيان
المراضع بالاضافة ولم نجده في شيء من النسخ (فيجزيهم) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاي
المعجمة وهمزة أي يكفيهم وأهل الاصول فسروا الاجزاء بالصحة وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق
بين الاجزاء والصحة (ريقه) الشريف (الى الليل) أي فيكفيهم عن الرضاعة النهار كله ببركته صلى
الله تعالى عليه وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الام الكثير (ومن كراماته) أي من كرامات النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ما رواه البيهقي (بركة يده فيما لمسه) اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على
الشيء فقوله بيده تأكيد أو تجريد كنظرت بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم (وغرسه
لسلمان الفارسي) أي لاجله كما سيأتي والغرس وضع أصول الشجر في الارض ليمنو وفي نسخة أو
غرسه فهو شك من الراوي وسلمان هو أبو عبد الله الفارسي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو من قرية يقال لها جيّ من قرى أصبهان أو رام هرمز لم يتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بعد ما أعتقه وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين وكان رضي الله تعالى عنه يعمل
الخوص ويأكل منه مع ان عطاءه من بيت المال خمسة آلاف كل سنة وكان اذا أخذها تصدق بها قال
النووي اتفقوا على انه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة وتوفي بالمداين ودفن بها
سنة خمس أو ست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فاشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه وقصته مشهورة
(حين كاتبه مواليه) من اليهود وهذا ينافي ما قاله البرهان انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه وجمع
الموالي ولم يكن له الا مولى واحد تجوزا وقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه
نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد وله معان أخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب
الفقه (على ثلاثمائة ودية) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهي صغار
النخل (يغرسها لهم كلها تعلق) بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف أي تنبت
بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المرأة اذا حبلت وقال بعض الشراح تؤكل ثمرتها من علق يعلق
كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من بابين والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة
كلها تعلق بدل مما قبله وقوله (وتطعم) أي يوجد فيها ما يؤكل من ثمرها ويؤيد ان المراد بما قبله تدرك
وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن يكرم (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد الياء
ويقال وقية أيضا بفتح الواو وقال السعد في شرح الكشاف الاوقية أفعولة فاصلها أوقوية فاعلت أو
فعلية من الاوق وهو الثقل والمراد أربعون درهما كما في كتب اللغة وعند الاطباء وهو
المتعارف الآن انها عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وقال الزمخشري انها اثنان وأربعون درهما انتهى
وقيل انها سبعة مثاقيل (من ذهب) بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع في حديث
رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما في النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد انها المشهورة بين
العوام فلا ينافي تصحيح أهل اللغة لها كما في القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة
عشرون درهما (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من مجلسه الى محل عين لغراسها فيه

وغرسها له) أي لسلمان أو لمالكه (بيده الواحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ما ذكره ابن عبد البر بسنده في الاستيعاب وهو في مسند أحمد أيضا وفي طريق أخرى ذكرها البخاري في غير صحيحه ان الذي غرسها سلمان فيجمع بينهما بان واحدة غرسها عمر وأخرى غرسها سلمان أو ان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوي مرة عزا غرسها العمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوي واحدا وهو بريدة كما رواه أحمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز كذا حققه الحلبي ويؤيد الثاني من القولين

(وغرسها له بيده) الشريفة تبركا (الا واحدة) منها (غرسها غيره) قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرساها معا أو ان كل واحد منهما غرس واحدة (فاخذت كلها) بمعنى انها اطلعت وادركت فهو مجاز كأنها أخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام (الا تلك الواحدة) التي غرسها غيره (فقلعها) من محلها (وردها) أي اعادها الى محلها (فاخذت) أي نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته الباهرة صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الا واحدة يدل على بطلان التوفيق بانها غرس كل واحد منهما ودية وفي السير انه صلى الله تعالى عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغي ان يحمل على القصة اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما (وفي كتاب البزار) بموحدة وزاي معجمة وألف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور (فاطعم النخل) أي أثمر ذلك النخل الذي غرسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (من عامه) أي في سنته التي غرس فيها ومن ابتدائية (الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها) واضافة العام لها حقيقية لوقوع الغراس فيه (وأعطاه) أي أعطى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه (مثل بيضة الدجاجة) أي قدر حجمها الا وزنا كما قيل (من ذهب) جاءه من الغنائم (بعد ما أدارها على لسانه) الشريف فيما يحصل فيها بركته ولا حاجة الى ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولم يسمع فانه لا يقال مثله بالرأي (فوزن) سلمان رضي الله تعالى عنه (منها لمواليه) أي لمن كاتبه كما مر (أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم) وهي أربعون أخرى وكانت في رأي العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من غو الاعيان قيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا بقي وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان رضي الله عنه طويلة مفصلة في السير وحاصلها انه كان بجيء وهي قرية بفارس كان أبوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فر سلمان برهبان في كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه أمرهم وقال هذا خير من ديننا فلما أخبر أباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الى الشام فاخبروني به وكانوا قالوا له ان ديننا هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء الى الشام ودخل كنيسة فيها اقسدس يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات فذهب لآخر بعمورية ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فمرض وأشرف على الموت فقال له ان مت ما أفعل قال ان ديننا هذا قديم وقد دنا زمن نبي على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم النبوة ولا يأكل الصدقة ويأكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى أرض العرب فغدروا به وأسروه وباعوه من يهودي وقيل ابتاعته امرأة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قوله (فاخذت كلها) أي نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردها) أي بيده الكريمة (فاخذت) أي أخذت عروقها ونشبت في محلها (وفي كتاب البزار) بتشديد الزاي وفي آخره راء (فاطعم النخل) أي جنس ما ذكر (من عامه الا الواحدة) أي التي غرسها غيره عليه الصلاة والسلام (فقلعها وغرسها فاطعمت من عامه وأعطاه) أي سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال ويثلث أي مقدارها وزنا أو حجما (من ذهب بعد أن ادارها) أي تلك القطعة التي هي كالبيضة (على لسانه) أي مبالغة للبركة في شانه واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجي لعله أراد بذلك انه برك عليها أي دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده فظن انه انما أرادها عليه (فوزن) أي سلمان

(منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم) أي كمية وازيد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل أربعمائة سنة في المجوسية ومائة في اليهودية ومائة في النصرانية ثم لما أسلم قال يا رب عمرني في الاسلام مائة سنة فعاش مائة في الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وما ترك شيأ يورث عنه

المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها اذا برجل غريب جاء الى سيده المذكور وقال هل سمعت ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقباء الآن فلما سمع سلمان مقالته عراه نافض كالحمى ونزل يسأل الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها فلما رأى العلامات المذكورة جاء وكاتب سيده على ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فان قلت تقدم في الحديث انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سلمان منا أهل البيت فكيف يكون هذا وهو مكاتب وكيف أكل صلى الله تعالى عليه وسلم مما أتى به والعبد لا يملك شيأ قلت أجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه منه مما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما مر وانما باعوه ظلما وغصبا ولو سلم فهو مولى موالاة لا مولى رق ولذا قبل صلى الله تعالى عليه وسلم ما أهداه له لانه أجرته أو أذن له سيده في دفعه لمن يريد (وفي حديث حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق) بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل (شرب) صلى الله تعالى عليه وسلم (أولها وشربت آخرها) يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته (فما برحت) أي لم أزل بعدما شربت سؤره (أجد شبعها) أي يحصل عندي الشبع بزنة العنب وهو معروف (اذا جعت) أي اذا جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام (وريها) بكسر الراء وهو برد يحصل في الجوف من الماء ونحوه يغني عن الماء (اذا عطشت) أي جاء وقت الحاجة الى الشرب والضمير ان للشربة (وبردها اذا ظمئت) بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظمأ وهو العطش فغاير بينهما في العبارة تفننا أي لم يفارق بعد شربها الشبع والري لبركة سؤره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) في حديث صحيح رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أعطى قتادة بن النعمان) بن زيد ويكنى أبا عمر وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنه وهو الذي ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار (وصلى معه العشاء) جملة حالية بتقدير قد أي وقد صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العشاء (في ليلة مظلمة مطيرة) أي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى (عرجونا) بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وفتح كفردوس وبهما قرئ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لقتادة (انطلق به) أي خذ العرجون واذهب به لمنزلك (فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا) أي مقدار عشرة أذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل (فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) وهو ضد البياض والمراد جسم أسود والسواد يطلق على الجثة والشبح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي انه كان هيئة قنفذ فاذا رأيته

في كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبرا فعلى من رآه أن يرسمه هنا (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء أي ما زلت (أجد شبعها) بكسر ففتح (اذا جعت وريها) بكسر راء فتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد من كثرة الحر أو شدة الحرارة (وأعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة) جملتان معترضتان وردتا اعتراضا بين أعطى ومفعوله الثاني كذا ذكره الدلجي والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله في ليلة ظرف لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم (وقال انطلق به فانه سيضيء لك بين يديك عشرا) أي عشرة اذرع أو نحوها والعدد اذا حذف مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فستري سوادا) أي جسما اذا سواد أو جسما وشخصا (فاضربه

(فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون) هو أصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) رواه أحمد عن أبي سعيد بسند صحيح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي فانه قنفذ بدل فانه شيطان ولا تنافي فلعله تمثل بصورته أسود (ومنها) أي ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) أي اعطاؤه عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون ذال معجمة أي أصل

شجرة وأراد به هنا عودا وقيل

((فاضربه حتى يخرج) من البيت (فانه) أي السواد المرئي (الشيطان) تصور بهذه الصورة (فانطلق) قتادة (فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) من بيته كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء وهاجت السماء وأظلمت وبرقت فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة فقال له قتادة قال نعم يارسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان أشهدها فقال له اذا انصرفت فأتني فلما انصرف أعطاه عرجونا وقال خذه فسيضيء امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث ويضيء جاء متعديا فعشرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة أو ابليس بعينه (ومنها) أي من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث مسند وهو (دفعه لعكاشة) ابن محصن الصحابي المشهور وهو بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول وأصله العنكبوت أو بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع أصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطاء والتسليم كما يقال دفع له المال (جذل حطب) بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر ومنه المثل أنا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك به الابل الجرباء فاستعير لمن يرجع لرأيه ويستشفى بهدايته في المهمات والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام آخر فقال مثل ما قال فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من خيار المهاجرين وأيضا ورد انه انما قال لثالث ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت أولانه عرف صلى الله تعالى عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم (وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر) أي في وقعة بدر كما مر في اطلاق اليوم على مثله (فعاد في يده سيفا) أي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله وقوله (صارما) أي قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة (طويل القامة) أي طويلا مستقيما (أبيض) اللون (شديد المتن) أي قوى الجرم صلبا من المتانة وهي القوة ولذا سمى الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضاء وقوامها به (فقاتل به) ببدر حتى انقضت (ثم لم يزل) السيف (عنده) أي في ملكه وتصرفه والعند للحضرة وترد لمعان أخر منها هذا (يشهد) أي يحضر (به المواقف) أي قتال الكفرة (الى ان استشهد في قتال أهل الردة) واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الى آخره غاية لبقائه في يده فلا ينافيه بقاؤه عند أهله بعده كما توهم (وكان هذا السيف يقال له العون) سمى به هذا

هو الحطبة أو الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه) ظرف لدفعه (يوم بدر) أي زمن وقعته (فعاد) أي فتحول (في يده سيفا) وفي نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذ لم يكن قط سيفا فيعود (صارما) أي قاطعا (طويل القامة أبيض) أي بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهي القوة أو قوى الظهر فان المتن هو أصل الشيء الذي به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) أي في وقعة بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) أي لقتال الكفرة (الى ان استشهد) أي عكاشة (في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له) وفي نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة أو بمعنى المعين أو المعان والله المستعان رواه البيهقي وقال الخطابي يجب ان

يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم المعنيون بقول أبي هريرة وكفر من كفر وهم أصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم في انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة وأنكروا الزكاة يعني اعطاءها لا وجوبها وهؤلاء هم أهل بغي وانما لم يخصوا بهذه السمة لدخولهم في غمار أهل الردة بخلاف المسلمين فاضيف الاسم في الجملة الى الردة اذ كانت أعظم الامرين خطبا وصار مبدأ

قتال أهل البغي مؤرخا بايام علي رضي الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين في عصره ولم يختلطوا باهل شرك في دهره (ودفعه) أي ومنها
دفعه عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن جحش) بفتح الجيم فسكون مهملة (يوم أحد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية
(عسيب نخل) أي جريدة منه مما لا خوص عليه وما نبتت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) أي انقلب (في يده
سيفا) رواه البيهقي وفي سيرة ابن سيد الناس انه أعطى سلامة بن أسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان في
يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة انتهى ونقله الواحدي باسناده (ومنه) أي ومن هذا النوع (بركته في درور الشياه الحوائل) بالهمز جمع الحائلة وهي الشاة العديمة اللبن (باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد) بفتح الميم والموحدة وقصتها ما رواه ابن سعد والطبراني عن أبي معبد الخزاعي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الاريقط استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم طريق الساحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبي بفناء بيتها فتطعم وتسقي من مر بها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوا فرأوا
عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم
فقال أتأذنين لي ان أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه
ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها أبو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن
هزالا فرأى اللبن فعجب فقال أنى لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث

المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء وكان من عادة العرب وأهل الصدر الاول انهم يسمون آلات حربهم
وخيولهم باسماء كالاناسي (ودفعه) مصدر مرفوع مبتدأ خبره مقدر أي من كراماته صلى الله عليه وسلم
دفعه أو هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى (لعبد الله بن جحش يوم أحد) أي في وقعة
أحد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين
بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل به بقطع أنفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته
مشهورة في السير ورواها البيهقي مسندة (وقد ذهب سيفه) جملة حالية أو معترضة فاعطاه صلى الله تعالى
عليه وسلم (عسيب نخل) عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة
قيل وهي جريدة النخل لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح من انه من السعف ما فوق الكرب لم
ينبت عليه خوص كعسب الذنب (فرجع) أي صار العسيب وهو أحد معنيي الرجوع ويكون لازما
ومتعديا (سيفا) مفعول رجع قال ابن عبد الله البر في الاستيعاب انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم
أحد فاعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد عرجون نخلة فصار في يده سيفا يقال ان قائمه
كان منه فبقي الى ان بيع من بغاء التركي بمائتي دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية
تدل على ان العسيب أصل العرجون لا الجريد كما قيل وهذه أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة
والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت
مرارا في عصي متعددة وتلك عصا واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله لسلامة بن أسلم يوم بدر (ومنه)
أي من هذا النوع من الكرامات والبركات (بركته) صلى الله عليه وسلم (في درور الشاة) ودرور بدال
وراءين مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درا ودرورا واسال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره
ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم وأصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا
والشياه بزنة رجال جمع شاة (الحوائل) جمع حائل وهي التي لم تحمل مطلقا أو ما حمل عليها فلم تحمل
وقيل انها ما لم تكمل سنة أو سنتين وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها
أبعد من الدر (باللبن الكثير) ذكره للايضاح والتأكيد أو أراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد
والمجاز المرسل (كقصة شاة أم معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعي أخت حبيش الصحابي المعروف بالاشعر
وأبو معبد أسلم ومات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وله رواية وقال السهيلي انه لا يعرف
اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكتم بن أبي الجون ومنزله بقديد وقصة أم معبد مشهورة
وتقدمت الاشارة اليها وأفردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي
غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه
وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله
تعالى عليه وسلم المدينة بولد صغير لها وأسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله في السيرة وشرحها

وهو

(وأعنز معاوية) بفتح همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز أي شاة أنثى وفي أصل العز في المصحح من أصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبري في كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون واو وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح رأسه وأعطاه اعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور في أبيه   وأبي الذي مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات
والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة أنس) أي وقصتها (وغنم حليمة

وهو مشهور لا حاجة لذكره هنا (و) منها قصة (أعنز) جمع عنز (معاوية بن ثور) بالمثلثة بن عبادة بكسر العين ابن البكاء والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفي نسخة العز في انه معونة بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الضجيع بن البكاء والاصم بن كعب فقال يا نبي الله بأبي أنت وأمي أمسح على وجهه ابني فمسح عليه وأعطاه أعنزا سبعا ودعا له بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلاء أصاب بني البكاء فأصابتهم بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ونمت الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بني بشر المذكور وفيه قصة الاعنز وفي ذلك يقول بشر رضي الله عنه
وأنا الذي مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات
(وشاة أنس) وقصتها كقصة شاة أم معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطي في تخريجه أيضا لعدم الوقوف عليها (وغنم حليمة مرضعته) صلى الله تعالى عليه وسلم أي قصة غنمها التي رواها أبو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى الله تعالى عليه وسلم لتعرضه في سنة كان فيها قحط أصاب أرض قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تأتي من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتي عجافا جافة الضرع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة هي بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها والحارث بن عبد العزى وقد أسلمت هي وزوجها وأولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة (وشارفها) بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة المهرية وقيل انها تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد الاول فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف ليس في ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما أخذت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة فقالت اني والله أرجو بركته الى آخر القصة (وشاة عبد الله بن مسعود) التي روى قصتها البيهقي وابن مسعود من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال له هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن فقال ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابي بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه (وكانت لم ينز عليها فحل) نزا الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع والفحل الذكر فيصح في ينز أن يكون بفتح الياء التحتية وضم الزاي المعجمة مبني للفاعل ويصح ضم أوله وفتح آخره بالبناء للمجهول وهو مبالغة في عدم اللبن بنفي اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها (وشاة المقداد) بالجر أي قصتها التي رواها مسلم

مرضعته وشارفها) وهي المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المعز على ما رواه أبو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) أي كما رواه البيهقي (وكانت) أي تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاي أي لم يثب ولم يعل (عليها فحل) أي للضراب وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حامل لا لبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه (وشاة المقداد) كما في صحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة أم معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ما روي عنه انه قال أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهب اسماعنا وأبصارنا من الجهد يعني الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاث أعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب كل انسان نصيبه ونرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل فيشربه فوقع في نفسي ذات ليلة ان نبي الله يأتي الانصار فيتحفونه ما به حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على ما فعلت خشية انه اذا جاء فلم يجده يدعو علي فأهلك وجعل لا يجيئ النوم وأما صاحباي فناما فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيأ فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من

والبيهقي وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما يأتي ابن عبد يغوث الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا منها لبنا بيننا فكنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم وقد نام صاحباي فجاء صلى الله تعالى عليه وسلم لعادته ليكشف الاناء فلم يجد شيأ ورفع بصره الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلها فحلبت اناء حتى علت رغوته وجئت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم احذر سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأت من الناس (ومن ذلك) أي من كراماته وبركاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه) أي اعطاءهم ما يتزودونه أي يكون زادا والزاد يشمل الماء والطعام والمراد الاوّل لقوله (سقاء ماء) السقاء ككساء جلد كالقربة وضع فيه الماء واللبن ونحوه وضمن تزويد معنى اعطاء ولذا نصب السقاء أو هو على التسمح وقوله سقاء ماء المراد به سقاء فيه ماء كما يشهد له ما بعده (بعدان أوكأه) أي شده بالوكاء وهو ما يربط به القربة ونحوها (ودعا فيه) أي دعا في شانه وأمره وبسببه وبعد متعلق بتزويد (فلما حضرتهم الصلاة) أي دخل وقتها حتى كأنها جاءتهم وهذا يقتضي انه كان ما يصلح للوضوء (نزلوا فحلوه) أي حلوا وكاءه ليستعملوا ماءه (فاذا هو لبن حليب) أي فاجأهم كونه لبنا الصا بعدما كان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وزبدة) بياء الموحدة أو بالاضافة لضمير اللبن أو للسقاء بادنى ملابسة (في فه) أي في فم ذلك السقاء والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته وانما أوكأه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه وبدل لمن لم يكن معه وفي نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقاء معهما وهذا الحديث (من رواية حماد بن سلمة) بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه من روايته على خلاف المعتاد من أسلوبه في تحريره قبل بيان الشان هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال وسلم من أجله وروى عنه والمغاربة والمصنف رحمه الله تعالى من أجلهم يمشون أثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه وقال ان البخاري لم يروعنه الا على طريق الاستشهاد وهذا من قلة الانصاف وسلمة بفتحتين كما مر (ومسح على رأس عمير بن سعد) أي مر صلى الله تعالى عليه وسلم يده على رأسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو أبو كبشة الانصاري الصحابي وعمير من الصحابة أيضا ولا أعرف من جرت له

أطعمني واسق من سقاني قال فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز أيتها أسمن أذبحها له فاذا هن حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت أن النبي قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الارض فقال احذر سوءتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فما هي قال فقلت يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) أي من قبيل كراماته وزيادة بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه سقاء) بكسر أوّله أي وعاء (ماء بعدان أوكأه) بألف بعد الكاف أي ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا به فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة أي ففتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذا به) أي فيه وفي نسخة فاذا هو فاجأهم ذلك الماء في السقاء (لبن طيب وزبدة) بتاء وحدة وفي أصل الدلجي زبده بالاضافة أي زبد اللبن (في فيه) وفي نسخة فه أي في فم السقاء (من رواية حماد ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبي هو الامام أبو سلمة أحد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) بضم عين وفتح ميم وفي نسخة عمر بن سعد كلاهما صحابي قال الحلبي وما أعرف من جرت له القصة منهما قلت ولا يبعد ثبوت القصة عنهما ففي كل نسخة اشارة الى أحدهما بل روى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولا عمر فتدبر

(وبرك) أي دعا بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) أي رأسه خصوصاً أو شعره عموماً والله تعالى أعلم (وروى مثل هذه
القصص) أي الروايات المتضمنة للحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) أي عن كثير من الصحابة

له هذه القصة منهما وقال السيوطي ان الذي رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفي نسخة التلمساني عمر بن سعيد وقال انه أبو يحيى النخعي الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة (وبرك) بالتشديد أي دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في عمره وصحته (فمات وهو ابن ثمانين) أي وقد بلغ سنه الثمانين فجعله ابنها مجازاً ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما يقال الليالي حبالى قال

فخضت المنون له بيوم * أتى ولكل حاملة تمام

(فما شاب) أي ببركة مس يده الشريفة له لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم فنفى الهرم بنفي الشيب لانه من لوازمه (وروى) للبناء للمجهول نائب فاعله (مثل هذه القصص) من بركاته صلى الله عليه وسلم (عن غير واحد) أي عن كثير فنفي الواحدة كناية عن الكثرة (منهم السائب بن يزيد) بن سعد بن ثمامة بن الاسود (ومدلوك) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو تليها كاف وهو أبو سفيان الفزاري له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام وأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح برأسه فكان ما مست يده أسود وسائر رأسه أبيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقار الان مدحه لدلالته على الصحة كما مر ولكل شيء جهة مدح وجهة ذم وقد أفرد ذلك الثعالبي في كتاب سماه مدح الشيء وذمه (و) روى الطبراني والبيهقي انه (كان يوجد لعتبة بن فرقد) أي كان موجوداً عنده والمضارع لحكاية الحال الماضية هو أبو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي شهد خيبر وابتنى بالموصل داراً ومسجداً وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقدة وولي الموصل (طيب) نائب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف أي رائحة طيب يشم من جسده ويفوح في مجلسه (يغلب طيب نسائه) أصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وروي سبقت فالمراد ان رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر عندها فانه روى كما في الدلائل والاستيعاب عن زوجته أم عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب ليكون أطيب ريحاً من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا ريحاً فقلت له في ذلك فقال أصابني الضراء على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلك الاخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون واليه أشار بقوله (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره) وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب (وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو) أي مسح صلى الله تعالى عليه وسلم وجهه بيده متكئاً عليه حتى أخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت ويختص باخراج المائع والرطب الملتصق بشيء آخر يقال سلت القصعة اذا أمر أصابعه على جوانبها التنظف كما في صحاح الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعائذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عائذ بن عمرو بن هلال المزني الصحابي من أصحاب الشجرة وهو مزني وحديثه هذا رواه عنه الطبراني (وكان) عائذ (جرح يوم حنين) أي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل في السير وحنين اسم موضع قريب من الطائف بينه وبين مكة ثلاثة أميال سمي باسم حنين ابن مهيلائيل لنزوله به كما روجه وكان الخ حالية (ودعا له) لجهاده في سبيل الله (فكانت له

(منهم السائب بن يزيد) قد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزاري مولاهم أسلم مع مواليه علق البخاري حديثه وقيل هو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان في ثقاته فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح برأسه فكان رأس أبي سفيان ما مسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسود وسائر رأسه أبيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد) أي ابن يربوع السلمي له صحبة ولي الموصل لعمر وكان شريفاً وشهد خيبر وابتنى بالموصل داراً ومسجداً وأما ابنه عمرو فمن الاولياء ذكره الذهبي (طيب يغلب طيب نسائه) أي رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقي والطبراني (وسلت الدم) أي مسحه وأماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة بعد الهمز (ابن عمرو) أي ابن هلال أبو هبيرة المزني بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين

(وكان) أي وقد كان (جرح يوم حنين) وفي نسخة يوم أحد (ودعا له فكانت) أي بعده كما في نسخة أي بعد سلته من موضعه (له

غـرة) أى بياض فى وجهـه من غـير سوء به (كغرة الفرس) وفى أصل الدلجى ولا كغرة الفرس أى بل أعلى منها رواه الطبرانى (ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامى) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) أى بالبركة (فهلك) أى مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبى) وفى نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت يده عليه من شعره) أى بقيـة شعر رأسـه (أسود فـكان) أى قيس بسبب تلك الغرة فى جبهته (يدعى الاغر) أى تشـبيها لما فى وجهـه من البياض بغرة الفرس ذكره ابن الـكلبى (وروى مثل هذه الحـكاية) أى من مسح الرأس وظهور أثر المسح كما رواه البيهقى (لعمرو بن ثعلبـة الجهنى) قال الحلبى هذا الآخر لا أعرفـه وقال الدلجى لعـله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قـد روى ابن سعد عن وجه السـعدى انه صـلى الله تعالى عليـه وسـلم مسح وجهه فصارت له غـرة بيضـاء (ومسح وجـه قتـادة بن ملحـان) بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبى مسح رأسـه ووجهه لعـــل غالب مسحه كان عـلى وجهه ولذا اقتصر عليه (فكان لوجهه بريق) أى لمعان عظيم (حـتى كان ينظر فى وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظـر فى المـرآة) بكسر المـيم والهمـزة الممدودة رواه أحمـد والبيهقى (ووضـع يده عـلى رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسكون ذال معجمة ففتح تحتيـة وفى نسخة بالجيم مصـغرا وهـو تصحيف وضـبطه التلمسانى بخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة وبمثناة من أسفل ساكنة قال وروى مثل ما قدمنا واخترناه قال وكذا ذكره أبو عمر وهو الذى روى صحبة حديث لا يتم بعد احتلام قال الذهبى حديثه فى مسند أحمد ولابيه صحبة وذكر فى التجريد حنيفة والد حذيم لها صحبة ولابنـه حنظلة قيل ولابن ابنه أيضا لكن قال موسى لابن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزى وغيره ما نعلم أربعة أدركوا رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم الا هؤلاء يعنى أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمدو يكنى أبا عتيق قال الحلبى ومحـمد أبو عتيق الصحيح انه تابعى ولو قال موسى بن عقبـة عبد الله بن الزبير وأمه أسماء وأبوها أبو بكر وأبو قحافة لـكان صوابا فان هؤلاء لاخلاف فى صحبتهم

غرة) بيضاء منيرة (كغرة الفرس) من أثر يده الشريفـة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا فى وجهه فان قلت سميت فرجة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصـلاة والسلام والفرق بينه و بين البرص ظاهر وفى نسخة ولا كغرة الفرس أى لا تشبه غرته لما فيه من النور وليس كالوضح فى البدن (و) ذكر ابن الـكلبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مسح على رأس قيس بن زيد) وهو صحابى له وفادة على رسول الله صلى الله تعـالى عليـه وسـلم وكان سيد قومه وفى بعض النسخ يزيد بياء فى أوله وأبوه يسمى عامرا (الجذامى) نسبة لجذام كغراب قبيـلة مشهورة (ودعا له) صـلى الله تعالى عليه وسلم بما فيه بقاء صحته وعافيته (فهلك) أى مات فالهلاك والموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت بغير مرض لـكنه ليس معنى وضعيا (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض) اشيبه (وموضع كف النـبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت عليه يده أسود) لم يشب ببركتـه صـلى الله تعالى عليـه وسـلم (وكان يدعى الاغر) أى كان يسمى بالاغر لما فى وجهه من النور تقول دعوت ابنى محمدا اذا سميته به (وروى) بالبناء للمجهول والذى رواه البيهقى (مثل هـذه الحـكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنى) فى مسحه صـلى الله تعـالى عليه وسلم برأسه و بقاء أثره فى وجهه وموته كما مات قيس على أحسن حالة وثعلبة هو وهب بن عدى بن مالك النجارى الزهرى والجهنى منسوب لجهينة وهى قبيلة مشهورة وقصته كما فى دلائل البيهقى انه قال لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسـلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهى فمات عمرو وقد أتت عليه مائة سنة وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه ورأسه وسيالة بوزن سحابة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسـلم (على وجه آخر) قال البرهان لا أعرفه وقيل لعله خزيمة بن سواد بن الحارث لانه روى انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضاء وقيل لعله طلحة بن أم سليم فانه روى انه صلى الله تعالى عليـه وسـلم مسح بناصيته فـكان كغرة (فـما زال على وجهه نور) من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم (ومسح) صلى الله عليه وسـلم (وجـه قتـادة بن ملحان) بكسر المـيم و يجوز فيـه الصرف وعـدمـه وقتادة هـذا صحابى له رواية وترجـمة (فـكان لوجهـه بريق) أى لمعـان وصـفاء بشرة مـن أثر مرور يده الشريفـة عليـه (حـتى كان ينظر) بالبنـاء للمجهول (فى وجـهـه) أى يقـابل وجهـه بوجهـه ليرى الناظر صورة وجهـه فيـه لشـدة صـفاء بشرته (كما ينظـر فى المـرآة) بكسر المـيم اسم آلة من الرؤية معروفـة والظـاهـر انه مبالغـة فى صفائه وحسنه وليس المراد حقيقتـه (ووضع) صـلى الله تعالى عليـه وسـلم يده (على رأس حنظلة) فى حـديث رواه البيهقى بطوله مسـندا (ابن حـذيم) قال ابن ماكولا هو بكسر الحـاء المهـملة وسكون الذال المعجمـة وفتـح المثناة التحتيـة وميم وقال انه حنيفـة ابن حـذيم أبو حنظلة له صحبـة وكذا قال الذهـبى فى المشـتبه والتجريد حنيفـة والد حـذيم ولهما صحبـة ولحنظلة ابنـه وذكر حـذيما فقال حـذيم ابن حنيفـة بن حـذيم الحنـفى والده له فيما قيـل

وبرك عليه) أي دعا له بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهني فهو في حكم النكرة أي برجل من الرجال (قد ورم وجهه) بكسر الراء أي تورم وانتفخ (والشاة) أي وبالشاة (قد ورم ضرعها) بفتح أوله أي ثديها (فيوضع) وفي نسخة فيضع أي محل الورم منهما (على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من رأسه (فيذهب الورم) أي من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقي وغيره (ونضح) بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد ويعجم ان لم يعتمد رش (في وجه زينب) أي ربيبته (بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان) وفي نسخة فما كان يعرف (في وجه امرأة من الجمال ما بها) أي مثل ما كان بوجهها من الكمال رواه ابن عبد البر في استيعابه وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كانت من الليلة الأخرى دخل في ظلمة فقال انظروا زيانبكم لئلا أطأ عليها أوقال أخروا احكاه السهيلي هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح في وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبي به عاهة) أي آفة من قرع ونحوه (فبرأ) أي زال ما به (واستوى شعره) أي على حاله بل أحسن منه في مآله هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ الا ان أبا نعيم روى عن الاوزاعي انه انطلق الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوته له أعقل منه أي ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا أحسن منه ببركته ومسح وجهه هذا وزيد في نسخة هنا وروى مثله في خبر المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا ذكره أبو عمرو وقيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمى المهلب (وعلى غير واحد) أي ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء وبكسر فعوفوا من مرضهم وجنونهم

صحبة ولابنه وابن ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم أربعة لهم صحبة وقد قال ابن الجوزي لا نعلم أربعة ادركوه صلى الله تعالى عليه وسلم الا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى أبا عتيق انتهى والصحيح ان أبا عتيق تابعي وجرى عليه الذهبي في تجريده ولو قالوا عبد الله بن الزبير وأمه اسماء وأبوها أبو بكر وأبوه أبو قحافة كان صوابا فانه لا خلاف في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة أشخاص ولهم رابع ذكره العراقي في حاشية ألفيته وحنظلة مالكي وقيل حنفي وقيل سعدي هذا محصل ما قاله البرهان (وبرك عليه) بالتشديد أي دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك (فكان يؤتى) بصيغة المجهول أي يأتيه الناس (بالرجل) تعريفه للعهد الذهني المساوي للنكرة (قد ورم وجهه) جملة حالية أي أصابه مرض ورم منه وجهه (والشاة) بالجر من المعز والضأن (قد ورم ضرعها) وهو كالثدي للانسان وهو معروف (فيضع) محل الورم من الوجه والضرع (على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الذي مسه به (فيذهب الورم) الذي كان أصابه (و) روى ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نضح في وجه زينب بنت أم سلمة) بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وأم سلمة هي أم المؤمنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رش بالماء ونحوه (نضحة) أي رشة (من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة) أي ما كان يرى وينظر في وجه أحد من النساء أو يعلم بالاخبار لمن لم يرها (من الجمال) أي حسن الوجه ورونقه (ما بها) أي ما كان بها من ذلك ببركة الماء الذي رشه صلى الله تعالى عليه وسلم في وجهها لان ذلك الماء كان مسه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وتقدم ان اسم أم سلمة هند وقيل رملة وأبوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت بأرض الحبشة فقدمت بها أمها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة المباركة (على رأس صبي) كان ذلك الصبي (به عاهة) أي آفة ومرض والمراد انه كان أقرع واسم هذا الصبي لا يعرف (فبرأ) بزنة ضرب وآخره مهموز وأما برئ بمعنى خلق فعل أي زالت عاهته وشفي مما به (واستوى شعره) أي نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من الشراح (ومثله روى في خبر المهلب بن قبالة ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على غير واحد) أي على كثير كما مر بيانه (من الصبيان المرضى) جمع مريض (والمجانين فبرؤا) أي زال ما بهم

(وأتاه رجل به أدرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين أي نفخة في خصيته (فامره ان ينضحها) بفتح الياء وكسر الصاد المعجمة أي يرشها (بماء من عين) أي ماء وفي نسخة من عين غس بفتح غين معجمة وتشديد سين مهملة (مج) أي صب من فيه (فيها) أي في تلك العين وفي نسخة فيه أي في الماء أو في ذلك المكان (ففعل) أي النضح (فبرأ) قال الدلجي لا أعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمزة غلط فيهما وهو ابن كيسان اليماني من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهري وسليمان التيمي وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس في العلم والعمل توفي بمكة سنة ست أو خمس ومائة أخرج له الائمة الستة (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ماجيء (باحد به مس) أي جنون أو وله (فصك) بتشديد الكاف أي ضرب (في صدره الاذهب) أي ما به من المس (والمس الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم أي صب من فمه (في دلو) أي فيه ماء (من بئر) وسبق في رواية القاضي من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد وبضم أي كب الدلو يعني ماءه (فيها) في تلك البئر (ففاح) أي سطع وانتشر (منها ريح المسك) أي مثل ريحه تشبيها بليغا وانما شبه به لانه أعلى أنواع الرائحة وان كان رائحة ماجه أتم أصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفاتحة رواه أحمد عن وائل بن حجر وفي شرح التلمساني فج أطيب من المسك هكذا رواه وصوابه فصار أطيب أو فعاد أطيب ويجوز ان يكون معناه فصار المج أطيب من المسك (وأخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح أي مقبوضة منه (يوم حنين) وفي نسخة يوم بدر وهو أصل التلمساني قال وروى حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار (ومن) باقيهم القرار (ورمى بها في وجوه الكفار) (وقال

من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل ابراء المرضى وذوي العاهات وأكثر فصوله متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف (و) في حديث لم يخرجوه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتاه رجل به أدرة) بضم الهمزة وسكون الدال وبالراء المهملتين وهاء وهو انتفاخ في الخصيتين معروف (فامره ان ينضحها) أي يرش على أدرته (بماء من عين مج فيها) أي كان صلى الله عليه وسلم تفل ريقه فيها (ففعل) أي رش من مائها على ادرته (فبرأ) أي شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله تعالى عليه وسلم في الماء الذي خالطه فيه وضمير فيها للعين أي عين الماء لانها مؤنثة وفي بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للماء أو للعين لتأويلها به والامر فيه سهل ويجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيها أو في أحد جانبيها وقد يكون بلحم يزيد فيها أو ريح كما يعرفه الاطباء وينضحها يجوز في ضادها الفتح والكسر وفي بعض الحواشي ان الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة الخفيفة ولام وروى هلب بن قنافة وهلب بضم الهاء وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفاء قال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا قصتين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة ابن عدي بن عبد شمس بن عوف الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه ونبت شعره فسمي المهلب لذلك (و) في حديث روى (عن طاوس) ابن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو من ابناء الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القراء روى عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما وكان رأسا في العلم والعمل توفي سنة ست أو خمس ومائة وأخرج له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج أربعين حجة وصلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من أجل التابعين دفن بمكة رضي الله تعالى عنه (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أي لم يأته أحد (باحد به مس) سيأتي تفسيره (فصك في صدره) بصاد مهملة وكاف مشددة أي ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب أو أشده (الاذهب) المس عنه وبرأ منه وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية تأتي بالواو وقد وبدونهما (والمس الجنون) واللمس والمس متقاربان الا انه يكنى به عن الجنون قال الله تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال على كل ماينال الانسان من الاذى كقوله تعالى مستهم البأساء والضراء (و) روى أحمد عن وائل بن حجر مسندا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مج) أي صب من فيه (في دلو) فيه ماء أخرج (من بئر ثم صب فيها) أي في البئر الماء الذي مج فيه ريقه (ففاح منها ريح المسك) الريح هنا بمعنى الرائحة ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في الطيب وهو أتم منه وأطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته (و) في حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أخذ قبضة) بفتح القاف وضمها (من تراب) أي ملء كفه من التراب (يوم حنين) أي في وقعتها المشهورة في السير (ورمى بها) أي بترابها (في وجوه الكفار) فاصابتهم جميعا

وقال شاهت الوجوه) أى قبحت ماخوذة من الشوهة وهو القبح وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمسانى (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة وذال معجمة وألف مقصورة جمع قذاة وهى ما يقع فى العين وغيرها من تراب وتبنة ونحوها أى يميطونها ويزيلونها (عن أعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع (وشكا اليه أبو هريرة النسيان) أى نسيان ما سمعه من الحديث والقرآن (فامره بسط ثوبه) أى بفتحه ونشره لديه (وغرف) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) أى تشبيها لمن أخذ شيأ وألقاه فى ثوبه ثم أمره بضمه) أى بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسى شيأ) أى من أمره فى عمره ٢ (وما روى عنه فى هذا كثير) أى ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا المعنى وهو الدعاء لذهاب النسيان كثير طرقه ولا يبعد ان يكون المعنى ما روى عن أبى هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو أربع سنين (وضرب فى صدر جرير بن عبد الله) أى البجلى (ودعاله) أى بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) أى جرير (ذكرله) أو كان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرله (انه لا يثبت على الخيل) أى حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء أى شجعانهم وفى نسخة من أفرس العرب (وأثبتهم) أى على الخيل من ركبانهم كذا فى الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) أى ابن أخى عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لا من زيد كما توهم الدلجى (وكان دميما) بدال مهملة أى قبيحا ودميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة فى الخلق بالفتح وبالمعجمة فى الخلق بالضم وعلى

(وقال شاهت الوجوه) جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهى من الشوهة والتشويه وهو القبح قيل وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع مثله فى يوم بدر كما فى السير وهو شئ أقدره الله تعالى عليه كما قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا المقدار اليسير الى أعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير (فانصرفوا) أى ولى الكفار حال كونهم (يمسحون القذا) بفتح القاف والذال المعجمة وألف مقصورة وهو ما يقع فى العين من التراب ويكون أيضا ما يقع فى الماء المشروب ونحوه مما يكدره (عن أعينهم) أى يزيحونه ويزيلونه منها لتأذيهم به ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة وفى الحديث يرى أحدكم القذاة فى عين أخيه ويعمى عن الجذع فى عينه وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونظمه بعض المتأخرين فقال

واعجبا للمرء مع علمه * ان ليالى عمره سارية

ينظر فى عين أخيه القذا * ولا يرى فى عينه السارية

وقوله فانصرفوا يعنى انهزموا لما وصل التراب الى أعينهم وقال شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى بعض النسخ انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرب صدر جرير بن عبد الله) البجلى الصحابى رضى الله تعالى عنه وليس هو جرير الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه مقر القلب (ودعاله وكان) جرير (ذكرله) صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لا يثبت على الخيل) أى لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته (فصار) جرير رضى الله عنه حينئذ (من أفرس العرب) أى أقواهم (وأثبتهم) على ظهورها ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فالفاء فصيحة أى فدعاله فصار الى آخره (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) بن نفيل القرشى العدوى المدنى الصحابى (وهو صغير) وكان أتى به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه (وكان دميما) بدال مهملة بمعنى حقير وأما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مرادا هنا (ودعاله بالبركة) أى بالزيادة فى خلقته وسائر أموره (ففرع) بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات (الناس) أى جنسهم وفى نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم (طولا) أى فى طول قامته (وتماما) أى بان تم سائر أعضائه وكمل الله خلقته بدعائه له صلى الله تعالى عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد فى الاصل ونقل من خط المصنف رحمه الله تعالى (وشكى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو هريرة) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وتقدمت ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه وما فيه من الكلام للناس (النسيان) مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثانى يتنبه صاحبه بادنى تنبه والفرق بينه وبين الخطأ انه صدور أمر من غير قصد (فامره) صلى الله تعالى عليه وسلم (ببسط ثوبه) أى ما كان لابساله فى ذلك الوقت أى بان يضعه على الارض ويفرشه (وغرف بيده فيه) أى فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شئ ما يضعه فى آخر وضمير فيه للثوب الذى أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ببسطه للامر الذى أراده له (ثم أمره) بعدما غرف فيه (بضمه) أى ضم ثوبه على جسده (ففعل) أى ضمه عليه حتى كأنه صار بدنه ما غرفه له (فما نسى شيأ بعد) بالبناء على الضم لما تقرر فى محله فى علم

٢ قوله وما روى هذه الرواية لم توجد باصل الصلب الذى بايدينا فليحرر اه مصححه

العربية أى لم ينس أبو هريرة شيأ مما كان يسمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما التقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخارى وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص فى العرف بالمخيط منه وما فعله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغرف ونحوه بجعل المعانى المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشئ عنده اغترف منه حتى ملأ رداءه وضمه اليه حتى يحبط به ويسرى من ظاهره لباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف فى عالم الشهادة فوض اليه التصرف فى غيره أيضا وهو سر من الاسرار دقيق لا يوقف عليه الا بالكشف

(فصل ومن ذلك) أى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته الباهرة (ما اطلع عليه) هو اما مبنى للمجهول من الافعال أى أطلعه الله تعالى عليه أو من الافعال (٢) مبنى للفاعل بتشديد الطاء (من الغيوب) بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عنى كذا ويستعمل فى كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله عالم الغيب والشهادة أى ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب أى بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام (وما يكون) فى المستقبل وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله أو ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات (والاحاديث) الواردة (فى هذا الباب) أى فى هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيب الذى أطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (بحر) تشبيه بليغ أى فى كثرتها كالبحر (لا يدرك قعره) بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وأرضه أى لا يصل أحد الى نهايته (ولا ينزف) بمعجمة وفاء مبنى للمفعول أو للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى أى لا يفند ويفنى (غمره) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدا (وهذه المعجزة) فى اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب (من جملة معجزاته) اشارة الى كثرتها فهى البحر حدث عنه ولا حرج (المعلومة) للناس (على) طريق (القطع) بتحققها بحيث لا يمكن انكارها أو التردد فيها لاحد من العقلاء وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار فى بعضها كالقرآن والى هذا اشار بقوله (الواصل الينا خبرها) جاريا (على) نهج (التواتر) المشهور (لكثرة رواتها) أى رواة مجموعها (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) أى الامور المغيبة وهذا لا ينافى الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفى علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق بقوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذى يبصر به فمن كان الحق بصره فاطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافى قول المرسى فى تفسيرها الا رسول أو صديق أو ولى ولا زيادة فيه على النص فان السلطان

هذا ينشد كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم (فدعاله بالبركة ففرع) بفاء وراء مفتوحتين فمهملة أى طال وعلا وغلب (الرجال) وفى نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم ابن محمد بن عبد العزيز الزبيرى عن أبيه

(فصل)

(ومن ذلك) أى من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفى نسخة بتشديدها مضمومة أى ما ألهم اليه (من الغيوب) أى الامور المغيبة فى الحال (وما يكون) أى سيكون فى الاستقبال (والاحاديث فى هذا الباب) أى فى هذا النوع من أنواع الكتاب (بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الياء وكسر الزاى والغمر الماء الكثير فى البحر الكبير أى لا يحاط غايته ولا تفنى نهايته (وهذه الجملة) أى الآتية وفى نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) أى على الوجه القطعى والطريق اليقينى (الواصل الينا خبرها على التواتر) أى لدينا (لكثرة رواتها) أى مع اختلاف مبانيها الدالة (واتفاق معانيها الدالة على الاطلاع على الغيب) أى على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا

(٢) قوله من الافعال لعل صوابه من الافتعال لمصححه

اذا قال لا يدخل على اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي اذا أطلعه الله على غيبه لم يره بنور نفسه وانما رآه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا أشار الغزالي في أماليه على الاحياء ثم قال ويحتمل أن يكون المراد بالرسول في الآية ملك الوحي الذي بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة أو القاء في روع أو ضرب مثل في يقظة أو منام ليطلع من أراد وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه أحدا من عباده الا على يدي رسول من ملائكته أرسله لمن فرغ قلبه لانصباب أنهار العلوم الغيبية في أوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة في خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه أشار القاضي في تفسيره وبقي ثمة أسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما أجمل بحديث رواه أبو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان رحمهم الله تعالى الشيخان لما في طريقه التي رواه منها من الزيادة فقال (حدثنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري) المعروف (اجازة) منه بروايته عنه (وقراءته على غيره) اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قوية والقراءة والاجازة طريقان اختلف في أيهما أقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر (قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري) علي بن أحمد بن علي الامام المشهور أحد رواة سنن أبي داود وتستر كجندب بلد معروفة وسينه مهملة واعجامها لحن قال (حدثنا أبو عمر الهاشمي) وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال (حدثنا اللؤلؤي) وهو أبو علي محمد بن أحمد بن عمر السابق ترجمته قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المشهور كما تقدم قال (حدثنا عثمان بن أبي شيبة) بن محمد بن ابراهيم أبو الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم وترجمته في الميزان قال (حدثنا جرير) ابن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات المشهورة الثقة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة وأخرج له الستة وترجمته في الميزان وغيره (عن الاعمش) هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته (عن أبي وائل) سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة اثنين وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة أخرج له الستة (عن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبره بالفتن وما سيكون وروى عنه أحاديث كثيرة وكان عمر رضي الله تعالى عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفي في سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن مشهور واليه أشار بقوله (قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الضمير للصحابة والمراد به انه خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قائما أي قام ونحن عنده فالظرفية مجازية (مقاما) بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمي فهو مفعول مطلق (فما ترك) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقامه هذا (شيأ) مما (يكون) أي يوجد ويحدث بعده مما يهم من أحوال المسلمين ومن يتولى أمورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيأ (في مقامه ذلك) أي في خطبته التي خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به (الى قيام الساعة) أي من أول زمنه الى آخره فقدره لدلالة المقام عليه (الا حدثه) أي الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفي نسخة حدث به والفعل في تأويل الاسم كقولهم أنشدك الله لا فعلت والاستثناء متصل لدخول المحدث به في الشئ وقيل انه منقطع بمعنى لكن (حفظه من حفظه) الضمير للحديث المفهوم من السياق (ونسيه من نسيه) أي حفظه بعض

مهملة لا معجمة كما في لسان العامة وهو أحد رواة سنن أبو داود (حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوي سنن أبي داود (حدثنا أبو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما أسند المصنف هنا من حديث أبي داود عن حذيفة وروا عنه مع رواية الشيخين لما في روايته له من طريق آخر من الزيادة كما سيأتي (حدثنا عثمان بن أبي شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (حدثنا جرير) بفتح الجيم فكسر الراء روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن أبي وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدي الكوفي مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) أي ابن اليمان

(قال قام فينا) أي خطيبا أو واعظا أو معناه خطبنا (مقاما) بفتح الميم في مكان أو قياما (فما ترك) وفي نسخة ما ترك (شيأ) أي مهما (يكون) أي يحدث من العدم (في مقامه ذلك) ظرف لما ترك (الى قيام الساعة الا حدثه) وفي نسخة حدث به أي حدث بوجوده (حفظه) ما ذكره (من حفظه) أي جميعه (ونسيه من نسيه) أي بعضه أو كله

(قد علمه) متعلق بيكون أي عرف هذا الخبر (أصحابي هؤلاء) أي من الصحابة الحاضرين أو الموجودين قال الدلجي لم أر هذه الزيادة من مختصات رواية أبي داود لان لفظه قد علمه أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) أي الشان (ليكون منه) أي ليحدث ويقع مما أخبرنا به (الشيء) أي الذي قد نسيته فأراه موجودا في الاعيان (فاعرفه) أي انه مما أخبرنا به (واذكره) أي أتذكره بعد مانسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) أي كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذا رآه عرفه) أي بعد نسيانه اياه قال الدلجي الى هنا رواية

الشيخين وزاد أبو داود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن أبيه عن حذيفة وان كان صنيعه هنا يقتضي اتصاله به (ثم قال) أي حذيفة كما في أكثر النسخ (ما أدري أنسي أصحابي) أي حقيقة (أم تناسوه) أي تكلفوا نسيانه لقلة اهتمامهم به لقيامهم بما هو أهم منه ولما أراد الله من اختصاص كل منهم ببعض ما استفادوا عنه (والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) أي أمير لها يقودها الى المحاربة ويجرها الى المخاصمة بالطرق الباطلة أو محدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه) أي مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) أي فأكثر والجملة صفة قائد (الا قد سماه) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) أي لاجلنا (باسمه واسم أبيه وقبيلته) أي التي تؤويه (وقال أبو ذر) أي على ما رواه أحمد والطبراني بسند صحيح وأبو على وابن منيع عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مات عنا (وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف أي أفهمنا (منه) من ذلك الطائر أو تحريكه (علما) أي حكما اجماليا أو تفصيليا (وقد خرج أهل الصحيح) أي من التزم صحة ما رواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك وأحمد وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا في كتبهم الصحة (ما أعلم به) مفعول خرج أي ما أخبر به (أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) أي الغلبة (على أعدائه) وفي نسخة على أعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما

(و)

السامعين له ونسيه بعضهم (قد علمه أصحابي هؤلاء) الحاضرون عنده أو المراد أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الزيادة في رواية أبي داود ولم يذكرها البخاري (وانه) الضمير للشان (ليكون منه الشيء) أي يوجد شيء مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه فأراه بعيني بعد ما وجد (فاعرفه فاذكره) أي أتذكره بعد مانسيته فأتذكر ما أخبرنا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضاحا له (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه) فيه تقديم وتأخير أي كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه وهو في مخيلته الا انه لم يذكره فاذا رآه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بتذكر بل بنسي المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا (ثم قال) حذيفة فيما رواه أبو داود وزاده على ما رواه الشيخان (ما أدري أنسي أصحابي) هذا الحديث (أم تناسوه) أي أظهروا نسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل بل لانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث بها كل أحد (والله) قسم أكد به ما بعده (ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد) بالقاف والدال المهملة ومن زائدة والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشي خلفه (فتنة) فيأتي للمحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من أصحاب البدع من زمنه (الى ان تنقضي الدنيا) أي الى ان تتم وتنتهي مدتها ويخرب العالم وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (يبلغ من معه) أي يصل من معه من اتباعه والضمير للقائد (ثلثمائة) رجل (فصاعدا الا قد سماه لنا) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باسمه واسم أبيه وقبيلته) بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روي من طريق آخر مفصلا على كلام فيه ذكره ابن الجوزي وغيره (وقال أبو ذر) الصحابي المشهور في حديث رواه أحمد والطبراني وغيرهما بسند صحيح (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ذهب عنا وانتقل الى الآخرة من بين أظهرنا ولم ندع شيأ الا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا شيء من بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا أطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيأ الا بينه لاصحابه (وما يحرك طائر جناحيه في السماء) أي في الجو وهو كناية عن بيان كل شيء (الا ذكر لنا منه علما) وفي نسخة الا ذكرنا منه علما أي تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا في الارض وهذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيلا تارة واجمالا أخرى (وقد خرج أهل الصحيح) أي رووا باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين وأصحاب السنن والمسانيد (والائمة) الحفاظ الثقات كأحمد والشافعي وأبو حنيفة ومالك (ما أعلم به أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به) بيان لما (من الظهور على أعدائه) لغلبتهم وقلة شوكتهم (وفتح مكة) الذي أخبر به قبل وقوعه فحققه الله تعالى

(وبيت المقدس) كما رواه البخاري عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما في الصحيحين عن سفيان ابن أبي زهير (وظهور الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة أي ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة وأخرى عند نيسابور (الى مكة لاتخاف الا الله) على مارواه البخاري عن عدى ابن أبي حاتم (وان المدينة) أي السكينة (ستغزى) بالغين والزاي على بناء المفعول وهو من الغزو أي ستحارب وتقاتل وفي رواية بمهملتين قال الحافظ المزي الرواية في الحديث بالعين المهملة والراء يعني من العرى أي تصير عراء والمعنى ستخرب بليس فيها أحد فقد رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافي وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووي وغيره وانما يقع قرب الساعة وقال التلمساني وقع هذا في زمن يزيد بن معاوية ندب عسكرا من الشام الى المدينة فنهبها والوقعة معروفة بالحرة وهي أرض بظاهر المدينة ذات حجارات سود وقتل فيها كثير من أبناء المهاجرين والانصار وكانت في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد (وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه) كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) أي يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) أي ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز كسرى) بكسر الكاف ويفتح أي ملك فارس (وقيصر) أي وكنوزه وهو ملك الروم كما في الصحيحين من طرق عن أبي هريرة وغيره

(و) فتح (بيت المقدس) كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم تميما الداري بفتحه لما أسلم وأقطعه أرضا بها ثم فتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاعطى تميما أقطاعه في سنة ست عشرة من الهجرة (و) فتح (الشام و) فتح (اليمن و) الفتح (العراق) يعني ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة كما مر والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث رواه ابن دحية كما في كتاب مرج البحرين في أخبار المشرقين والمغربين وأصل معنى العراق شاطئ البحر وقيل انه معرب (وظهور الامن) في الممالك الاسلامية وهو مجرور أي أعلم أصحابه بظهور الامن (حتى تظعن المرأة) بظاء معجمة وعين مهملة ونون أي تسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال الله تعالى يوم ظعنكم وذكر المرأة للمبالغة في الامن لانها مع ضعفها وشدة خوفها اذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الاولى (من الحيرة الى مكة) بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الراء المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة أخرى بقرب نيسابور (لاتخاف) المرأة (الا الله) كناية عن انها لاتخاف أحدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم (وان المدينة) يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها وأصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس (ستغزى) روي بغين وزاي معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الآتي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروي بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية الاولى أي تخرب وتخلو فتصير عراء ليس فيها أحد والعراء الفضاء الخالي من الناس قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة أيضا فان الناس ارتحلوا فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم أمنهم يزيد حتى عادوا لها (و) أعلمهم صلى الله عليه وسلم (بفتح خيبر على يد) علي كرم الله تعالى وجهه (في غد يومه) أي أخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه فدعا عليا وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وقد تقدم الكلام على شئ منه (و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (بما يفتح الله تعالى على أمته) أي بما ييسره الله تعالى لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم (من الدنيا) بكثرة المال والعزة (ويؤتون) بالبناء للمجهول أي يؤتيهم الله تعالى (من زهرتها) أي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة (وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر) الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا خزائنهما وما لهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم الملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم أو نكرة وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم أطلق على كل ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان أمه ماتت حين أرادت وضعه فشق بطنها وأخرج

(وما يحدث بينهم) أي بين أمته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفي نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على ما رواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس في الملك واختلاف أمر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من أهل البدعة (وسلوك سبيل من قبلهم) أي وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن أبي سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم فسئل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) أي اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) أي طائفة كما رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن أبي هريرة قيل وأصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة شيعة اثنتان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجارية ثلاثة فرق وجبرية محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرقهم مختلفة (الناجية منها) أي من تلك الفرق (واحدة) أي فرقة واحدة كما في نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي وهم أهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) أي الشان وفي نسخة وانها أي القصة وفي نسخة صحيحة وانهم (سيكون لهم) أي لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب فراش ويغشى عليه الهودج أيضا وهذا في الصحيحين عن جابر وفي الترمذي عن علي (ويغدو) أي يصبح أو يمر (أحدهم في حلة ويروح) أي يمسي أو يرجع (في أخرى)

منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد حقق الله تعالى ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه رضي الله تعالى عنهم (وما يحدث بينهم) أي أعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بين أمته (من الفتون) بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما في أكثر النسخ جمع فتنة كما قال البرهان والفتنة أصلها الاختبار ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما في بعض النسخ لان الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشيء فانه ورد بمعنى الفتنة أيضا وهو بطريق المجاز أي مطلق الميل (والاختلاف) في الكلمة والآراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان أحسن (والاهواء) بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا أطلق خص بالامور الباطلة (وسلوك سبيل من قبلهم) من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما أحدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صرح به في الحديث (وافتراقهم) أي افتراق هذه الامة (على ثلاث وسبعين فرقة) أي ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى بنائية كما قاله الدواني في حواشي الشمسية في قوله رتبته على مقدمة الى آخره فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد بعد دخول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن معنى البناء فانه يتعدى بعلى الى أسلوبه فيقال بني الدار على طبقتين أو يقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور على انحاء فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفا للجلال السيوطي (الناجية منها واحدة) أي الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذوة بالقذوة وان بني اسرائيل افترقت على ستين أو سبعين ملة فستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ملة واحدة أو فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم أي الناجون منهم قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفي قوله ستفترق اشارة الى أنه ليس في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى أن الخلاف المذكور في الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم في أمور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت في كتاب الملل والنحل وفي علم أصول الدين وهذا من جملة ما أطلعه الله عليه من المغيبات (و) في حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه و(انهم سيكون لهم انماط) جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعني ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة (و) قوله (يغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى) وما بعده من حديث رواه الترمذي عن علي وحسنه

ويوضع بين يديه صحفة) أي اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) أي من بين يديه (أخرى) أي صحفة أخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا لاصحابه الكرام (آخر الحديث) أي في آخر الكلام (وأنتم اليوم خير منهم يومئذ) قالوا العاطفة ردا لقولهم نحن يومئذ خير من اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا في طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وأنتم اليوم خير لان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة

وتقصر وهي مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى وفي نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة أو مفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي بسبيهم لهن (رد الله بأسهم) أي شدة عداوتهم بكثرة محارباتهم (بينهم) أي لطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) أي الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة أهل الشر في الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذي عن ابن عمر كما قاله الدلجي واما ماذكره الحلبي من ان الحديث رواه الذهبي في ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفي الكرماني ولفظه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر الحديث

وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة سير أول النهار ويقابله الرواح والحلة هي الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما فوق الآخر كما ان الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ماقلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعدما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله (وتوضع بين يديه) أي بين يدي احدهم (صحفة) بزنة قصعة وهي اناء الطعام (وترفع أخرى) أي صحفة أخرى اشارة الى تلون أطعمتهم وتعددها ونفاستها (ويستر بيوتهم) بالبناء للمجهول أي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها وفي نسخة ويسترون بيوتهم (كما تستر الكعبة) وهذا كما تفعله الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي عنه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه (في آخر الحديث) الذي رواه الترمذي وغيره (وأنتم اليوم) المراد به مطلق الزمان الحاضر (خير منكم يومئذ) أي أحسن منكم حالا من حالكم الآتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم فضلهم على أنفسهم باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به (و) مما أعلم به صلى الله عليه وسلم أصحابه (انهم اذا مشوا المطيطاء) كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا أن الذهبي قال في ميزانه انه لم يصح والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة وألف ممدودة كما في الصحاح ويقصر أيضا كما في النهاية وهو مبني على التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالتمطي والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد ومن مطا يمطو كما بين في كتب اللغة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي اتخذوا الجواري والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا أولانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة أرقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم أيضا وهو معرب بارس بالباء المعجمة ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف أيضا سموا باسم أبيهم (رد الله بأسهم بينهم) جواب اذا والبأس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان أعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب اعدائه الكفرة وبقي من ذلك أثر فيمن اقتدى به من الخلفاء فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعداء وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الآخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب (وسلط شرارهم على خيارهم) الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى أخير او مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتداء ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن

ثم قال لا يصح فلا يعارض ما تقدم فان عدم صحته يحمل على روايته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفي الثبوت بطريق الحسن وهو كاف في الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى علي جماعة حتى قتله أشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بامر يزيد وشرار أعوانهم الحسين وأصحابه خيار زمانهم وقد ...لط بنو أمية سبعين سنة على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا

(وقتالهم الترك) كما في الصحيحين بلفظ لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا اقواما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه
ذنف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار ولعل القضية متأخرة أو وقعت وليس لنا بها معرفة (والخزر)
أي وقتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاى فراء طائفة من الترك جمع أخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط
الاصل أيضا في كثير من النسخ واقتصر عليه الشمنى وفى حديث حذيفة كما في بهم خنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيرى
(والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق في الصحيح قتالهم مع قيصر فلا وجه لقول الدلجى لا أدرى من روى
حديث الطائفتين
(وذهاب كسرى) أى ذهاب ملكه بذهابه
(وفارس) أى وذهاب قومه أى من ارض
العراق وغيره (حتى
لا كسرى ولا فارس بعده
وذهاب قيصر) أى ملك
الروم من الشام ونحوه
(حتى لا قيصر بعده)
رواه الشيخان بدون
فارس وذكر الحارث
عن ابن محيريز مرفوعا
فارس نطحة أو نطحتان
ثم لا فارس بعد هذا ابدا
وقد وقع ما أخبر به من
زوال ملكهما من أقليمهما
فلم يبق من كسرى وقومه
طارفة عين بدعوته
صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يمزق كل ممزق وقيصر
أعنى به هرقل قد انهزم
من الشام في خلافة عمر
رضى الله تعالى عنه الى
أقصى بلاده فافتتح
المسلمون بلاده ما فلله
الحمد والمنة وأخذ
السهيلى من هذا أن
لا ولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى وأراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم
وكسر
قيل التقدير ولا مثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان أول بالنكرة (وذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(ان الروم ذات قرون) أى كلما هلك قرن خلفه الى آخر قرن الدهر قال الفارسى معناه ان هلك منهم رئيس خلفه آخر وليسوا كالفرس
لانهم مزقوا وقد ورد في هذا المعنى حديث وكانه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعده هذا ابدا والروم
ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى

(و) أخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (قتالهم الترك) كما ورد في حديث رواه الشيخان لاتقوم الساعة
حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذنف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا
الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التاء جيل معروف من الناس يقال لهم بنو قنطوراء وهى
أمة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف في نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم من أولاد
يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا يأجوج ومأجوج وعلى كل
حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقائع مشهورة كوقعة
جنكيز وهلاكه المفصلة في التواريخ (والخزر) بضم الخاء وسكون الزاى المعجمتين وراء مهملة وهم
جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع أخزر وهو الضيق
العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقائعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم
وروى الخزر بفتحتين أيضا وفى بعض نسخ الشفاء بخاء مضمومة وواو وزاى معجمة ساكنة وفيه نظر
والخزر ضيق العين كما علمت أو النظر بمؤخرها (والروم) أى مما وقع من أخباره صلى الله عليه وسلم
أصحابه أخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحق سموا
باسم أبيهم ثم قيل روم ورومى كزنج وزنجى وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان
وأصل مساكنهم جهة الشمال (وذهاب كسرى) بفتح الكاف وكسرها كما مر أى ذهاب ملكه وقومه
بعد ظهور دولته وتغلبه (وفارس) من أرض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه (حتى لا كسرى ولا فارس)
أى حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيامة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان نقول انه نكر كما في هذا
الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى أى لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو أثره
وفيه مقدر أى لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة (بعده) أى لا يكون بعده من جنسه
(وذهاب قيصر) ملك الروم بذهاب ملكه وقومه (حتى لا قيصر بعده) وهذا مما رواه الشيخان أيضا
بدون فارس الا انه وقع في رواية من غير طريقهما (وذكر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أخبر به من
المغيبات التى كانت كما قال (ان الروم) أى جنسهم المعروف (ذات قرون) وفى نسخة ذات القرون
بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد أى كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم
منهم وقيل القرن السيد أى كل ما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه
قرن وقيل المراد بهم قرون شعورهم التى كانوا يطولونها ويعرفون بها للاشارة الى طول همهم (الى
آخر الدهر) أى يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه
وسلم عليهم لما مزقوا كتابه حين بعثه لهم كما هو مذكور في السير وقد تقدم أيضا وهو مشاهد الى الآن
ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك في عهده كتب
لكسرى فلما قرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

(وبذهاب الامثل فالامثل) أي الافضل فالافضل (من الناس) أي من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فاثبتت الامثلية للاول ثم للثاني وهكذا حتى تبقى حثالة لايباليهم الله بالة (وتقارب الزمان) كما في

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد * أذاقه الله تمزيقا بتمزيق

واما قيصر فلما أتاه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع دحية قبله وأجله فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب وأوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لايزال قائما مادام هذا الكتاب عندهم حتى انهم أخرجوه لابن الصائغ الحنفي لما أرسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لامر مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة وهو الى الآن عندهم ولكن الله يهدي من يشاء (و) أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه (بذهاب الامثل فالامثل من الناس) الامثل هنا بمعنى الاشرف لانه أكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفاء لترتيب التفاضل لاثباته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى حثالة لاعبرة بهم وفي الصحاح فلان أمثل بني فلان أي أدناهم للخير وهؤلاء اماثل القوم أي خيارهم أي أعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لايباليهم الله بالة أي لايرفع لهم قدرا ولايقيم لهم وزنا والحثالة بالحاء المهملة والثاء المثلثة من كل شئ رديه (وتقارب الزمان) في حديث رواه الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهو حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومقارب وهذا يكون اذا قربت الساعة في آخر الزمان كما ورد التصريح به في بعض الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين ومازال الناس يصفون الايام الهنية بالقصر وللشعراء فيها مبالغة ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول أبي تمام

أعوام وصل كان ينسي طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام * ثم انبرت أيام هجر اعقبت
نحوي أسا فكأنها أعوام * ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وهذا المذكور هو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بانه لايناسب قوله بعده (وقبض العلم) وقال ابن حجر انما احتاج الخطابي لتأويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص في زمنه والذي تضمنه الحديث نجده في زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام مالم نجده في العصر الذي قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل كفى حزنا أن لاحياة هنية * ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شئ حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله تعالى وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن أهله أقصر أعمارا من أعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال باموور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن أوقاتهم ولا يشعرون بها * كما قلت

ان الزمان مقصر ذهبت به * بركاته اذ زادت الآلام
ماذاك الا انه قد فر من * خوف وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله (وظهور الفتن والهرج) وهي جمع فتنة وهي معروفة وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى أخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لايبقى الا الناس جهلة اذا

حديث الترمذي لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة أي العرفية والساعة كالضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشئ اذا قل وقصر تقارب أطرافه والظاهر انه أريد به زمن عيسى عليه السلام فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات للاستلذاذ بالمسرات أو زمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من همومهم لايدرون كيف تنقضي أيامهم أو أريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم في المنحة أو المحنة أو أريد به قلة البركة في أعمالهم مع كثرة الحركة في أحوالهم (وقبض العلم) أي بقبض العلماء لحديث ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا كما رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء فسكون الراء فجيم قيل لغة حبشية ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل

المفعول في نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها أي جمعها لي وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها والمعنى زويت لي جملة الارض مرة واحدة وستفتحها امتي جزأ فجزأ حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) أي ولاجل تقييده لها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال أي انبثت أمته وانتشرت ملته وفي نسخة وكذلك كأن بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بدل أو بيان للمشارق والمغارب (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل منه

استفتوا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عنه وتوهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح الآتي لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله تعالى عز وجل فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل وأصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم في هرج ومرج (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (ويل للعرب من شر قد اقترب) أي قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر يشير بذلك الى أمر عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما وويل مبتدأ وان كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهي ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل في العربية واللغة والمراد بالشر ما هو اقرب وقيل انه اشارة لفتح سد يأجوج ومأجوج لان الحديث أوله قالت زينب رضي الله تعالى عنها استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النوم محمرا وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الى آخره فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج أي السد وعقد تسعين يعني بجعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه صلى الله عليه وسلم يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحسابهم المشهور ومثله كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط في شروحه (و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه أيضا (انه زويت له الارض) بالبناء للمجهول أي جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها (فأرى مشارقها ومغاربها) أي جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير في محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا وأرى بضم الهمزة مبني للمجهول أي أراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما في قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة في جهتي المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وفي قوله (وسيبلغ) أي يصل (ملك أمته) أي سلطانهم وحكمهم اشارة اليه (ما زوى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أي الارض أو المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية بيانية أو تبعيضية لما مر (ولذلك كان) أي وقع ما ذكر من الامتداد (امتدت) ممالكهم واتسعت أو أمته بمعنى انتشرت في نواحيها (في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بيان للمشارق والمغارب أو بدل (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل أيضا (الى بحر طنجة) بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة وراءه) أي انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين أي ليس بعده بلاد ولا جزائر معمورة وطنجة لفظ بربري وهي مدينة عظيمة فتحت في الاسلام ثم استولى عليها النصارى في سنة سبعين وثمانمائة بعد قتال عظيم فلما رأى المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدأ ومن أراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس (وذلك) الذي امتد لهذه الامة (ما لم يملكه أحد من الامم) السالفة (ولم تمتد) الممالك الاسلامية (في) جهة (الجنوب

(الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة) بكسر أوله (وراءه) أي فيما وراء ذلك المكان (وذلك) أي ما ملكته أمته (ما لم تملكه أمة من الامم ولم تمتد في الجنوب) بفتح الجيم أي في الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهو ريح يخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل أي الى مطلع الثريا ولا

(ولا فى الشمال) بكسر أوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) أى مثل امتداد جهتى المشرق والمغرب واعل فى اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ماهنالك وكذلك الى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق أكثر وأظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) أى كما رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص مرفوعا (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق) أى على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعليم العلوم للعباد (حتى تقوم الساعة) أى الى قرب القيامة (ذهب ابن المدينى) هو الامام أبو الحسن على بن عبد الله المدينى الحافظ يروى عن أبيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخارى وأبو داود والبغوى وأبو يعلى قال شيخه عبد الرحمن بن مهدى على بن المدينى أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموننى على حب على بن المدينى والله لا تعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشأن توفى بسامرا هذا والمدينى نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الاثير وقال ان أصل المدينى منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى ثم قال وأما المدينى فنسبة الى أماكن وساق سبعة وأما الجوهرى فقال المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور هذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لا بصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) أى أهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهى الدلو) أى العظيمة وفى نسخة (وهو الدلو وغيره) أى غير ابن المدينى (يذهب الى انهم أهل المغرب وقد ورد المغرب) أى بدل الغرب فارتفعت الشبهة فى مبناه (كذا

ولا فى) جهة (الشمال مثل ذلك) أى مثل امتدادها فى المشرق والمغرب فما قيل فى تفسيره انه بلغ ملكها أقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه (لا يزال أهل الغرب) سيأتى تفسيره مفصلا فى كلامه (ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) غاية لاستمرار ظهورهم بتأييد الله تعالى لهم واعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين أصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوى وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا فى المشرق والمغرب أيهما أفضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف لا طائل تحته قال ابن العماد فى كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل المغرب بهذا الحديث وأجيب بان الثابت لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربى المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل أو هو متعلق بظاهرين بتضمين معنى محافظين مداومين على اقامة الحق وشعائر الدين (ذهب ابن المدينى) فى تفسير هذا الحديث وهو على بن عبد الله بن جعفر بن جريح أبو الحسن امام أهل الحديث وأعلمهم به فى عصره وقال النسائى كأن الله تعالى لم يخلقه الا لهذا الشأن وقال البخارى رحمه الله تعالى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على بن المدينى الى آخره وكان من أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخارى رحمه الله تعالى وغيره من أصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدنى كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مدينى فى النسبة لمدينة المنصور فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة فى الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مدنى والاكثر مدنى والمدينى نسبة الى مدائن سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهرى المدينى نسبة لمدينة الرسول والمدنى نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح فى الكلام على المسلسل بالاولية المدينى نسبة لحى مدينة أصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفى القاموس النسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدنى ولمدينة المنصور وأصبهان وغيرهما مدينى وقال الكرمانى قال الحافظ القدسى قال البخارى المدينى الذى أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدنى الذى تحول عنها وكان منها انتهى (الى انهم العرب) مطلقا ووجه تسميتهم بأهل الغرب بقوله (لانهم المخصوصون بالسقى بالغرب) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة (وهى الدلو) العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب فى الحديث الحدة والشوكة وتقدم تفسيره بالشام أيضا ومنه غرب الشام لحدته وللغرب معان كثيرة فى كتب اللغة (وغيره) أى غير ابن المدينى من علماء الحديث (يذهب الى انهم) فى الحديث (أهل المغرب) بميم فى أوله (وقد ورد المغرب كذا) أى بهذا اللفظ فى بعض الروايات وهو مؤيد للتفسير

في الحديث بمعناه) لكن فيه انه لا يعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة (وفي حديث آخر من رواية أبي امامة) كما رواه أحمد والطبراني عنه مرفوعا (لا تزال طائفة من أمتي) أي أمة الاجابة (ظاهرين على الحق) أي مستعلين عليه غير مخفيين لديه (قاهرين لعدوهم) أي غالبين عليهم من قهره غلبة واللام للتقوية (حتى يأتيهم أمر الله) أي بفنائهم أو خفائهم (وهم كذلك) أي لابثون على هنالك (قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبطه بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المديني على تأويل ما تقدم وقال غيره المراد بأهل الغرب أهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام لكن لا منع من الجمع بان يوجد في كل منهما جمع يقومون بأمر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد في باب الجهاد مع الكفار والملحدين ويؤيده ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا ان يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (وأخبر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بملك بني أمية) فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وفي سنده علي بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف وعن أبي هريرة وفي سنده الزنجي وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد ببني أمية بنو مروان بن الحكم ابن أبي العاص ابن أبي أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأول خلفائهم وأفضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية ابن أبي سفيان وهو أول الملوك بقي تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين وأشهر ثم معاوية بن يزيد ومات بعد أربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة أشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات في شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكان مدته تسع سنين ثم بويع أخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة أشهر ثم بويع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم ومجموعهم أربعة عشر ما عدا عثمان رضي الله تعالى عنه (وولاية معاوية) أي ابن أبي سفيان وهو منهم لكن خص لانه متميز عنهم باشياء منها قوله

الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روي (في الحديث بمعناه) فهو رواية بالمعنى ولولا هذا لم يفسره بغيره (وفي حديث آخر) من هذا القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن أحمد بن حنبل (من رواية أبي امامة) عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم) من الكفرة بالجهاد في سبيل الله (حتى يأتيهم أمر الله) يعني الساعة واشراطها وغاية لظهورهم على ظاهرها أو المراد انهم لا ينعدم ظهورهم كقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره (وهم كذلك) أي باقون على حالهم والجملة حالية (قيل يا رسول الله وأين هم) من البلاد ومقرهم (قال ببيت المقدس) بالاضافة وفيه لغات فقدس كرجع اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطهر أي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب أو يطهر فيه للعبادة من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس أي التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة والظاهر ان الطائفة المذكورة الامراء والحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخاري هم أهل العلم ونقل عنه أيضا انهم أهل الحديث وكل محتمل والتعميم أولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية أهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التأويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى أقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رسالة للطرسوسي أرسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل أراد كم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا لما أنتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفاء أثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما (بملك بني أمية) وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق آخر في سنده ضعف (وولاية معاوية) بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ولقد

أجاد المصنف رحمه الله تعالى اذ عبر في بني أمية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر في معاوية رضي الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما سنبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغليب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق لمن هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما في الحديث الآتي مع الكلام عليه الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان أولا أميرا ثم صار ملكا وهو أول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضي الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان رضي الله تعالى عنه من بني أمية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا لان أبا سفيان كما علمت ابن حرب بن أمية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه أول ملوك بني أمية ولكل وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم رأى مناما بني أمية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني أمية كان ألف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله أمته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب الواقعة في تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف ذلك من ألهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذي بصيرة (ووصاه) أي وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا ملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله تعالى عنه فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل في قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى البيهقي عن معاوية انه قال ما حملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ما روى انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل وروى ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (و) منه أيضا قوله و(اتخاذ بني أمية مال الله دولا) كما ورد في حديث رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول أي يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم أول من فعل ذلك في الاسلام وأول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم ثم ولي ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المؤرخون (و) منه أيضا (خروج ولد العباس) بعد انقراض الدولة الاموية أي ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد في حديث رواه أحمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثاني (بالرايات السود) اشارة الى ما في هذا الحديث تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شئ حتى تنصب بايلياء أي بيت المقدس وفي سنده ضعف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روى تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل زوجته من طرق أفردها السخاوي بتأليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بني العباس السواد في لباسهم ورواياتهم وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بذلك

(ووصاه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقي عنه بلفظ ما حملني على الخلافة الا قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا معاوية ان ملكت وفي رواية اذا وليت فاحسن وضعفه البيهقي ثم قال غيره ان له شواهد منها حديث سعد بن العاص ان معاوية أخذ الاداوة فتبع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم يقول أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بني أمية مال الله بينهم دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم فسكون وقد يفتح أوله أي متداولة متناوبة فيها من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي ورواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ بنو أبي العاص أربعين رجلا تخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن أبي سعيد الخدري اذا بلغوا ثلاثين الحديث (وخروج ولد العباس) أي ابن عبد المطلب وفي نسخة وخروج بني العباس أي ظهورهم في غلبة أمورهم (بالرايات السود) أي الاعلام الملونة بالسواد تفاؤلا بغلبتهم على الاعداء

(وملكهم) بضم الميم أي تملكهم (أضعاف ما ملكوا) أي ملك غيرهم من ملوك البلاد فقد رواه أحمد والبيهقي بأسانيد ضعيفة أنه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم في اسناده
عبد القدوس وهو ضعيف وفي روايات تخرج الرايات السود من خرسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا وهي بيت المقدس في اسناده
رشد بن سعيد وهو ضعيف وأما أولاده الخلفاء وأحفادهم الامراء فأولهم أبو العباس السفاح بويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم أبو
جعفر المنصور ثم المهدي بن المنصور ثم الهادي ثم موسى بن الهادي ثم الرشيد أبو جعفر هارون بن المهدي ومات بطوس ثم الامين محمد
ابن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون أبو جعفر ثم المتوكل أبو الفضل
جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر أبو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن
المتوكل على الله ثم المهدي بالله أبو عبد الله بن الواثق ثم المعتمد أبو العباس ابن المتوكل ثم المعتضد أحمد بن أحمد الواثق
ابن المتوكل ثم المكتفي علي بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد ثم القاهر محمد ابن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب أمورا قبيحة لم يسمع بمثلها في الاسلام قال بعضهم صليت في جامع المنصور ببغداد فاذا أنا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها وبعض قطن فيها وهو يقول أيها الناس تصدقوا علي فاني كنت بالامس أميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل لي انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا من
ثم الراضي محمد بن جعفر ثم المتقي بعد أخيه وهو
أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع للدين المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطايع عبد الكريم ابن الفضل بن
المطيع القادر بالله ثم ولده القائم بامر الله ثم ابنه المقتدي بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفي
بالله وكان خلفاء بني العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل
ومن بعد (وخروج المهدي) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبي واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما في
الاحاديث انتهى وأصل أحاديثه في أبي داود في سننه وقيل من أولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به أحد الائمة الاثنى
عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مختف في المكان وسيظهر في آخر الزمان ولا أحد المشايخ الذي انتهت اليه الطائفة المهدوية
القائلة بانه جاء ومضى وان من لا يعتقد ذلك فهو ضال وقد أفرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة مفردة في معرفة

وقيل سببه ان مروان الحمار آخر بني أمية لما بلغت دعوة أبي مسلم الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد
الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما أحس بالقتل أوصى اتباعه بالثبات على أمرهم واستخلاف
أخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا لحزنهم وحملا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم فلا منافاة بين
الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المأمون بن الرشيد في سنة احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس
الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع أخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضي فمات ولم يتم أمره فكلمه
العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا أول لبس العلويين الخضرة وليس
مبدؤه كما توهمه المتأخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفي ذلك
يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم * في جنة الخلد لباسا أخضرا

وقال ابن المزين

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر كأعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث
شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به
فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين
وهو كلام حسن (وملكهم) أي تملك بني العباس الخلفاء (أضعاف ما ملكوا) أي أضعاف تملك
بني أمية وأضعاف خلفائهم فان أولهم السفاح بويع في ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة واستمر
ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين ببغداد انقضت تلك السنون وأهلها ولله الامر من
قبل ومن بعد (وخروج المهدي) في آخر الزمان كما ورد في حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم

المهدي فعليك بها وينبغي ان لا يتوهم ان المهدي هذا من بني العباس ولذا ذكر الدلجي أحاديث مما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره فقال رواه أحمد والبيهقي باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خرسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجئ خليفة الله المهدي فاذا كان كذلك فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفي اسناده مجهول وفيه أبو أسماء وهو ضعيف وفي رواية أخرى يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حثيا في سنده عطية العوفي وهو ضعيف قال التلمساني وعلامة وقته خسوف القمر أول ليلة من رمضان أو ثالثه أو السابع والعشرين وهي علامة لم تكن منذ ١٦٣ خلق الله السموات والارض

من طرق كثيرة الا انه قيل ان أسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتآليف فقيل انه عباسي وقيل انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته أبو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه وأحواله مبسوطة في تذكرة القرطبي وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر (ومايناله أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم) يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستترا يعود لما وأهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير أي ماناله أهل بيته وما قيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه الحاكم ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم (وقتل علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم قتل علي كما رواه أحمد والطبراني في حديث فيه (وان أشقاها) أي أشقى الخلائق أو الدنيا أو الطائفة الخوارج أو أشقى هذه الامة (الذي يخضب هذه) أشار به الى لحيته (من هذه) اشارة لرأسه أي يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه وغيره (أي لحيته من رأسه) أي من دمها وهو تفسير لما قبله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا بها وكذا قصة قتل أهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا (وانه) يعني عليا كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه (قسيم النار) ظاهر كلامه ان هذا مما أخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه أحد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال في النهاية الا ان عليا رضي الله تعالى عنه قال أنا قسيم النار يعني أراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق علي فهم على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وماذكره علي لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه أنا ومن معي قسيم لاهل النار أي مقابل لهم لانه من أهل الجنة وقيل القسيم القاسم كالجليس والسمير وقيل أراد بهم الخوارج ومن قاتله كما في النهاية (يدخل أولياؤه الجنة) أي من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه فيرفع أولياؤه

(وماينال أهل بيته) أي ومايصيبهم من المحن كقضية الحسنين وبقية أئمة أهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) أي تطريدهم كما أخبر به فيما رواه الحاكم من حديث أبي سعيد ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي (وقتل علي) كما رواه أحمد عن عمار بن ياسر والطبراني عن علي وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) أي اشقى الطائفة أو الثلاثة حيث تيسر له ماقصده فان من العصمة ان لا تقدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان أشقاهم بل أشقى الآخرين لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ياعلي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقي عليا أدخل عليه فقال أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أعش فانا ولي دمي عفوا وقصاصا وان مت فالحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين فلما مات علي أخرج من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمي وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق الى آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم أمر به فقطع لسانه ثم جعلوه في قوصرة واحرقوه بالنار (الذي يخضب) بكسر الضاد أي يصبغ (هذه من هذه أي لحيته من رأسه) يعني بدمها قال الاسنوي في المهمات تبع النووي في تهذيبه ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة أو مكسورة (وانه) أي عليا (قسيم النار) أي والجنة كما قيل * (علي حبه * قسيم النار والجنة) * فهو من الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل أولياءه الجنة

وأعداءه النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون وفريق عليه فهم ضالون اعداء له فيكون سببا لدخولهما الجنة
والنار ويلائمه ماضبط فى نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من رواه الا انه قد جاء ما يقوى معناه
(فكان) أى على (فيمن) وفى نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثنى عشر ألفا أصحاب صلاة
وصيام قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر أحدكم صلاته فى جنب صلاتهم وصومه فى جنب صومهم لا تجاوز قراءتهم
حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية على ماجاء فى طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون
ببغض على رضى الله
تعالى عنه وقد نصبوا له
الحرب وقد روى مسلم
تكون أمتى فرقتين
فيخرج من بينهما مارقة
يلى قتلها أولاهم بالحق
وهم الذين قتلهم على
بالنهروان وكانوا أربعة
آلاف ولم يقتل من
المسلمين سوى تسعة
(وطائفة ممن ينسب)
بالياء والتاء وروى
ينتسب (اليه) أى الى
حب على كرم الله وجهه
(من الروافض كفروه)
لتركه فى زعمهم الكاذب
الخلافة لغيره وهى حقه
فكأنه رضى بالباطل
وسكت عن الحق مع
قدرته عليه (وقال) أى
النبى عليه الصلاة والسلام
(يقتل عثمان وهو يقرأ
فى المصحف) بضم الميم
ويكسر ويفتح ورواه
الترمذى عن ابن عمر
ولفظه ذكر رسول الله
صلى الله تعالى عليه
وسلم فتنته فقال يقتل
هذا مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) قوله
بضم أوله (قميصا) أى خلعة الخلافة والتلبس بها (وانهم) أى أهل الفتنة (يريدون خلعه) أى عزله عنها فامتنع من انخلاعها لقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وحسنه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان انه
لعل الله ان يقمصك قميصا فان أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها
(وانه) أى الشان (سيقطر دمه) بضم الطاء وفى نسخة بصيغة المجهول أى ستقع قطرات دمه (على قوله تعالى

أو ينصب أو تدخل بفوقية وذلك باذن من الله تعالى تكريما له على الثانى لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة
كما ورد فى الحديث (و) يدخل (اعداؤه النار) لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفى الغيلانيات انه
ينادى يوم القيامة أين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيؤتى بالخلفاء رضى الله تعالى عنهم فيقول الله
لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم أو ماهو بمعناه (فكان ممن عاداه) أى أظهر العداوة له
(الخوارج) وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثنى عشر ألفا أصحاب صلاة وصيام وقد أخبر
عنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلى رضى الله تعالى عنه معهم وقائع
مدونة فى التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج
وخارجى (والناصبة) أى الفرقة أو الطائفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض على
كرم الله وجهه ورضى الله عنه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير ذلك لكل من يكيد
ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفى الكشاف النصب بغض على وعداوته وهو بالصاد
المهملة وهم من الخوارج أيضا (وطائفة ممن ينسب) بالياء التحتية وبالمثناة الفوقية وروى ينتسب
افتعال من النسبة (اليه) أى الى على لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك
الطائفة (من الروافض) من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة (كفروه) أى
نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهى حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم وقولهم لا حكم
الا لله وهى كلمة حق أريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة أيضا وفى قوله السابق ممن عاداه اشارة
الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من بنى أمية والعباسيين أظهروا عداوته وسبه
(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (يقتل عثمان بن عفان وهو
يقرؤ) القرآن (فى) داره فى (المصحف) وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى
عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعنى عثمان
رضى الله تعالى عنه وحسنه وهو من جملة ما أخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم
وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتى (وان الله عسى ان يلبسه قميصا) أتى بعسى هنا تأدبا
لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم للترجى أى سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة
بقوله (وانهم يريدون خلعه) وظاهره ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم
اجتمعوا لخلعه فلم يرض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله تعالى
بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهو حديث
حسن وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه أى عثمان أصبح يحدث الناس فقال رأيت النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما وقتل فى يومه (وانه سيقطر دمه على

قوله فسيكفيكهم الله) وهو السميع العليم أي باخذ ثارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبري في كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبي انه موضوع وتبعه السيوطي والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الآية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع في مصحف فانه لم يكن في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان ابن سرحان وقيل الاسود التجيبي وهذه أول فتنة ومصيبة وقعت في الاسلام

ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى * وفي غير الايام ما وعد الدهر

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) روى البيهقي هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما والشيخان عن حذيفة ولقي يوما عمر رضي الله تعالى عنه أبا ذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ماهذا يا أبا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما أيكم يحفظ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة * أقول في هذا سر من كنايات البلاغة عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرأ الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سأل ليعلم هل علمه غيره أم لا وخطب خالد بن الوليد يوما فقال ان أمير المؤمنين قد بعثني الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلا أراد ان يؤثر به غيري فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذي بلي أو بذي بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركني واياكم أولئك الايام وبوانيه جمع بانية أي خيره وسعته والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هي الزبدة أي كأنها عسل وزبد لما يجيء من أموالها وذي بلي وذي بليان يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدري موضعه فهو بذي بلي من بلي في الارض اذا ذهب أراد ان أمور الناس تضيع بعد عمر رضي الله تعالى عنه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طرق وهو مما أخبر به من المغيبات (بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال اما انك ستقاتله وأنت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله تعالى عنه وقال ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وأنت لي ظالم قال نعم ولكن أنسيته وانصرف عنه فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله وأتى برأسه كما فصله المؤرخون (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (نباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) يعني عائشة رضي الله تعالى عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع وقرية فيه الماء في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه في العقد وبعضهم يقول فيه الحوأب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج

فسيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبي انه موضوع لكن نقل المحب الطبري في الرياض ان أكثرهم يروي ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله في المصحف ونقل عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتله عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به في قبره أخرجه السلفي الحافظ (وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) كما رواه البيهقي فهو سد باب الفتنة كما أخبر به حذيفة (وبمحاربة الزبير لعلي) كما رواه البيهقي في دلائل النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له وذكره به على يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلة فقال قد حلفت ان لا أقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (و بنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) أي وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة أي صياحها والحوأب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع بين البصرة ومكة نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين علي ومعاوية

فلم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل حولها) أي حول بعض الازواج وهي عائشة رضي الله تعالى عنها (قتلى كثير) أي جمع كثير من المقتولين قيل قتل يومئذ نحو من ثلاثين ألفا وفي نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعدما كادت) أي الى الهلاك كما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس (فنبحت) بفتح الباء وكسرها أي كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) أي توجهها من مكة (الى البصرة) كما رواه أحمد وكذا البيهقي بلفظ لما أتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني الا راجعة اني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ترجع لعل الله ان يصلح بك بين الناس (وان عمارا) وهو ابن ياسر (تقتله الفئة الباغية) رواه الشيخان ولفظ مسلم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وزاد وقاتله في النار (فقتله) أي عمارا (أصحاب معاوية) أي بصفين ودفنه علي رضي الله تعالى عنه في ثيابه وقد نيف على سبعين سنة فكانوا هم البغاة على علي بدلالة هذا الحديث ونحوه وقد ورد اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وقد كان مع علي رضي الله تعالى عنهما واما تأويل معاوية أو ابن العاص بان الباغي علي وهو قتله حيث حمله على ما أدى الى قتله فجوابه ما نقل عن علي كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل حمزة عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل أو نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم انهم اجتهدوا وأخطأوا فالمراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطالبة كما ظنه بعض الطائفة (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام

وأنا البريء من الزبير وطلحة ❊ ومن التي نبحت كلاب الحوأب

وفي معجم البلدان أصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عائشة رضي الله تعالى عنها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة الى الشرق في كتيبة فكانت عائشة في وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فخالفوها انه ليس بالحوأب والحوأب أيضا اسم مخلاف بالطائف قتلت فيه سلمى المراد به عتيقة عائشة وقيل أيضا انها المرادة بالحديث أيضا لانها كانت مع نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدثهن به كما في المعجم والصحيح خلافه لما يأتي في بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلب والتيس وقيل انه أي الحوأب سمي باسم حوأب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف في وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله تعالى عنه لان عائشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين علي فاتفق ما اتفق في وقعة الجمل (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (انه يقتل حولها) ممن كان معها (قتلى كثيرة) قيل كانوا نحو ثلاثين ألفا (وتنجو) أي تسلم هي (بعدما كادت) أي قاربت عدم النجاة (فنبحت) كلاب الحوأب (على عائشة عند خروجها الى البصرة) وهذا الحديث صحيح كما مر روي من طرق عديدة فعن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوأب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه وعدمه لمشاكلة الحوأب فكان ما أخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله عنه وكانت هي وامهات المؤمنين حاجات في ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشي الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عائشة رضي الله تعالى عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت في هودجها على جمل يقال له عسكر وودعتها أمهات المؤمنين يبكين فسمي ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب وأناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردوني وأخبرت بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها الزبير يا أم المؤمنين أصلحي بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (ان عمارا) بن ياسر الصحابي المشهور (تقتله الفئة الباغية) من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروي وقاتله في النار (فقتله أصحاب معاوية) وكان هو مع علي بصفين وهو صريح في ان الخليفة بحق هو علي رضي الله عنه وان معاوية مخطئ في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله عنه كان مع علي وهذا هو الذي ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضي الله عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تأول معاوية حديث عمار لما لم يجد محالا لانكاره فقال انما قتله من أخرجه ولذا قال علي كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضي الله عنه لما أخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن العمادية واحتز رأسه ابن جزء ودفنه علي رضي الله تعالى عنه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تقدم (لعبد

(لعبد الله بن الزبير) لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويل للناس منك وويل لك من الناس) وويل هنا للتحسر والتأسف وتكون للدعاء بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطاه دمه وقال له أرقه في محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجرأة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لأن من كان على الحق جريا على المقاتلة عليه تكثر أعداؤه وحساده وينال من الناس أذى ووقع له ذلك رضي الله تعالى عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى أراق دمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في أخباره عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان (في) حق (قزمان) بقاف مضمومة وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا أعجب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما أشار اليه بقوله (وقد أبلى مع المسلمين) وأبلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام وألف مقصورة فعل ماض من أبلى بمعنى اختبر ويقال أبلى بلاء حسنا في الحرب اذا صبر في قتاله وأجاد والجملة حالية أي أبان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد أطلع الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله (فقال فيه انه من أهل النار) فعجب الناس من ذلك فأظهره الله لهم (فقتل نفسه) لما كسرت الجراحة فيه وأثخنته واختلفت الرواية في أي موطن قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن أبي هريرة فقيل انه كان ذلك بأحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمها بها خطأ وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض غزواته رأى رجلا فقال انه من أهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم أشد القتال حتى أثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه من أهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه ألم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه وقيل قطع عروق يده فأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله لينصر الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن أي مؤمن كامل أو قد علم منه انه منافق أو انه ارتد قبيل موته والمنادي قيل انه عمر رضي الله تعالى عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة أو بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر العمل والاتكال عليه (و) روى الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال في) حق (جماعة) من الصحابة كانوا عنده (فيهم أبو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب آخركم موتا في النار) آخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت موتا في النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر أو بالمصدر أو آخركم فاعل يموت وأما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه ايهاما وتورية لان المراد انه يحترق في الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفئوا منه فكان يملؤه قدر عظيم ماء يسخن ويجلس عليه ليدفأ من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات في حريق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار في الآخرة ثم يخرج لأمر صدر منه والذي صححه السيوطي وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله (فكان بعضهم) ان بعض من قيل في حقه ذلك مما تقدم (يسأل عن البعض) من رفقائه الذين قال صلى الله

(لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك) أي مشقة وهلاك في الآخرة بقتله ظلما (وويل لك من الناس) أي في الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (في قزمان) أي في حقه وهو بضم القاف وسكون الزاي ذكره الحلبي رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد أبلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية أبانت شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من أهل النار) فقتل نفسه أي في خيبر كما ذكره البخاري وصوبه المصنف وأقره النووي ومسلم في حنين والخطيب تبعا لأصحاب السير في أحد وأقره النووي ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره في قضيته (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (في جماعة فيهم) أي في حق جماعة من جملتهم (أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار) أي يكون موته في نار الدنيا لا انه يدخل في نار العقبى كما توهم الدلجي على ما سيأتي فعامله موتا وهو ايهام أو تورية وابهام (فكان بعضهم) أي تلك الجماعة (يسأل عن بعض) أي عن حياته ومماته كما رواه البيهقي عن ابن حكيم الضبي اذا لقيت أبا هريرة يسألني عن سمرة فاذا أخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا

عشرة في بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وفي رواية للبيهقي
عنه وكان اذا أراد أحد ان يغيظ أباهريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى عليه ثم مات أبوهريرة رضي الله تعالى عنه قبل سمرة
(فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف) بكسر الراء فيهما أي أصابه خلل في بدنه وخبل في عقله (فاصطلى بالنار) أي استدفأبها
(فاحترق فيها) وفي تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز هو داء من البرودة أو برد شديد لا يكاد يدفأ منه فأمر بقدر
عظيمة فملأها ماء وأوقد تحتها واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفأ فلم يلبث ان سقط به فاحترق ويوافقه مارواه البيهقي
عن بعض أهل العلم انه مات في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أغرب الدلجي حيث استدل به بانه
يدخل النار في الآخرة ثم يخرج منها ثم قال ويحتمل انه يورد النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجي منها بايمانه
بشهادة حديث البيهقي عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام وأهله قال عبد الله
ابن صبيح لابن سيرين
بهذا وبصحبته رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم نرجوله بعد تحقيق
قول رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فيه الخير
انتهى ولا يخفى ان هذا
الحديث مايقتضي
دخوله في النار ثم نجاته
منها بل الظاهر نجاته منها
ابتداء وان احتراقه في
الدنيا يكون سبب
خلاصه عنها في العقبى
على تقدير وقوع ذنب
يستحقها والا فهو
موجب زيادة درجة
عالية في الجنة وغرفها
ثم حضوره مجلس زياد
وابن زياد حين قتلهما
خلقا كثيرا لايدل على
استحقاق عذاب ولا
استيجاب عتاب اذلم
يعرف انه كان راضيا بفعلهما وبما كان مكرها في حضوره عندهما هذا وللبيهقي انه استجمر فغفل
عنه أهله حتى أخذته النار ولا يخفى امكان الجمع بين هذا وما تقدم والله تعالى أعلم وأما حديث البيهقي عن أوس ابن خالد كنت اذا
قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة فسألت أبا محذورة عن سؤالهما اياي فقال كنت
أنا وسمرة وأبوهريرة في بيت النبي عليه الصلاة والسلام فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا في النار فمات أبوهريرة
رضي الله تعالى عنه ثم أبو محذورة ثم سمرة فلا يخلو من الاشكال لما سبق من معارضته في المقال والله تعالى أعلم بالحال (وقال) أي النبي
عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (في حنظلة) أي ابن أبي عامر
الانصاري (الغسيل) أي مغسول الملائكة (سلوا زوجته عنه) أي عن حاله قبل موته (فاني رأيت الملائكة تغسله) أي بعد قتله شهيدا
باحد مع ان الشهيد لا يغسل (فسألوها فقالت انه خرج جنبا) حين غسلت أحد شقي رأسه وسمع الهيعة وكان قد ابتنى بها تلك الليلة
(وأعجله الحال عن الغسل) أي عن تمامه لمبادرته الى القتال ومسارعته للامتثال

تعالى عليه وسلم فيهم مامر قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت أباهريرة سألني عن سمرة فاذا أخبرته
بصحته فرح فسألته عن ذلك وقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في
النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله (فكان
سمرة آخرهم موتا هرم) بزنة علم أي كبر سنه وضعف بدنه وأصابه هزال الشيخوخة (وخرف) بخاء
معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة أي فسد عقله وتغير من الكبر (فاصطلى) أصله اصتلى فابدلت
التاء طاء لمجاورة الصاد أي تدفى (بالنار) أي بنار أوقدت له (فاحترق فيها) لغفلة أهله عنه وضعفه عن
الحركة فعلم صحة ماأخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده
ليجدوا في أعمالهم ويدوموا على الخوف والمراقبة أولانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك
وهو من الحكم الخفية قيل ان ماذكر لم ير منقولا عن غير المصنف ولم يذكر أحد ان سمرة حرق بل لم ينقل
ان أحدا من الصحابة حرق الا بشر بن ارطاة أو ابن أبي ارطاة على القول بانه صحابي وقد نعى بشرا سفينة
مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله البرهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن
اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال (في حنظلة) ابن أبي عامر الانصاري الصحابي المشهور
(الغسيل) فعيل بمعنى مفعول من الغسل سمي بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان
جنبا فقتله أبو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن أوس الليثي وهو حنظلة ابن أبي عامر الراهب الذي
لقبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاسق فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة
تغسله مع انه شهيد فقال (سلوا زوجة) يعني امرأته وزوجته فانه يقال للمرأة زوج كالرجل في الفصيح
وقد يقال زوجة للفرق (عنه) أي عن حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان تغسيله لجنابته وهي
لا يطلع عليها غيرها كما أشار اليه بقوله (فاني رأيت الملائكة تغسله) والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد
(فسالوها فقالت) انه (خرج) من بيته لاحد (جنبا) من جماع امرأته (أعجله الحال) أي محبة الجهاد
واللحوق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الغسل) بضم فسكون أي عن ان يغتسل من
جنابته

(قال أبو سعيد) أي الخدري (ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الخلافة في قريش) رواه أحمد والترمذي ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقها في طائفة من قريش وهم الخلفاء الاربعة فيكون اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده وأما اذا أريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجي فلا يلائم سياقه في هذا الباب كما لا يخفى على أولى الالباب ويؤيده ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن معاوية (وان يزال هذا الامر) أي أمر الخلافة (في قريش ما أقاموا الدين) يعني فاذا لم يقيموا أمر الدين على ما ينبغي انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما أخبرهم زاد البخاري في رواية ولا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه أي في الدنيا وفي العقبى قال النووي انعقد الاجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من أهل البدعة (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يكون) أي سيوجد (في ثقيف) بفتح فكسر هو أبو قبيلة

من هوازن (كذاب ومبير) بضم فكسر أي مهلك من أبار أهلك مأخوذ من البوار وهو الهلاك ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا أي هلكى (فرأوهما الحجاج والمختار) أي فرأى السلف ان أحدهما الحجاج وهو بفتح الحاء كليب بن يوسف والآخر المختار ابن أبي عبيد وان الثاني هو الكذاب والاول هو المبير فهما لف ونشر مشوش ففي حديث أسماء بنت أبي بكر من طريق مسلم وغيره انها قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا

أخالك الا اياه وقال الترمذي في جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين ألفا انتهى وأما المختار فهو الكذاب حيث زعم ان جبريل أتاه بوحي الكذاب فقد رواه البيهقي عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسي فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا أمن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه قال النووي في شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية كان خارجيا ثم صار زبيديا ثم صار شيعيا وكان يدعو الى محمد بن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان أرسل ابن الاشتر بعسكر الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل من كان في قتل الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه في ذلك صرف وجوه الناس اليه والتوسل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر الشر ولما ولي مصعب بن الزبير البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله

جنابته لخوفه ان يبطئ عن حضوره معه صلى الله تعالى عليه وسلم فيفوته ذلك الوقت وفي رواية قالت كان جنبا فغسلت احدى شقي رأسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة وهي جميلة بنت أبي بن سلول المنافق (قال أبو سعيد) بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا (ووجدنا رأسه) أي رأس حنظلة لما قتل (يقطر ماء) من أثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب وهذا مما وقع في بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله أم لا اختلاف فيه فقيل يجب لانه بسبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه مفصل في كتب الفقه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أحمد والترمذي وهو مما نحن فيه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات (الخلافة في قريش) ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع أو لم يقع وقد وقع كما أخبر مدة طويلة الى انقضاء دولة بني العباس (و) في حديث آخر رواه البخاري (لن يزال هذا الامر) يعني الخلافة (في قريش ما أقاموا الدين) بيان لغايته أي ما حموا شوكة الاسلام وأقاموا شعائر الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله تعالى ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه خوف السآمة والملل وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة وما ظرفية مصدرية أي مدة امامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي (يكون) أي يوجد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (في ثقيف) قبيلة معروفة (كذاب ومبير) أي مهلك يكثر القتل بغير حق من البوار فهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا أي هالكين (فرأوهما) من الرأي أي رأى العلماء ان المراد في الحديث بهما (الحجاج) بن يوسف الثقفي وهذا مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ففي حديث أسماء رضي الله تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج ان في ثقيف كذابا ومبيرا أما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك الا اياه وقال النووي رحمه الله أجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين ألفا (و) الكذاب هو (المختار) بن أبي عبيد الثقفي بن مسعود بن عمر بن عمير ففي

عبارته لف ونشر مشوش وأبوه أسلم في حياة النبي عليه السلام ولم يره فلم يعد من الصحابة والمختار هذا كان يزعم ان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية واستحوذ على الكوفة وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم أمره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأمر الحجاج أشهر من ان يذكر (وان مسيلمة يعقره الله تعالى) أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما وهو رجل من بني حنيفة كنيته أبو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحي بقرآن فكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لي بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله فقال لو سألني هذه الشظية ما أعطيتها له فرجع معهم وتخرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشركه معه في أمره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد أشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده أظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بني حنيفة ثمامة بن مالك رضي الله تعالى عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضي الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك * فانك في الامر لم تشرك
كذبت على الله في وحيه * هواك هوى الاحمق الانوك
فما في السماء لك مصعد * ومالك في الارض في مبرك

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جمع جموعا سفها فجهز له أبو بكر رضي الله تعالى عنه جيشا أميرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله تعالى قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وشاركه فيه ناس والعقر أصله يستعمل في الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلم يذك ولم يزك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ان فاطمة) الزهراء بنته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله عنها (أول أهله لحوقا) وروى لحاقا (به) أي أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من أهل البيت فماتت بعد ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل مائة يوم وهي أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وأحبهم اليه وهي أول من غطي نعشه من النساء في الاسلام وأول الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم سارها في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشئ فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت سارني أولا بانه يموت في مرضه هذا فبكيت ثم سارني باني أول أهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف في محل دفنها فقيل في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وروى أحمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابها وكفنها وقالت اني مقبوضة فلا يغسلني ولا يكفنني أحد فامتثل أمرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت أم لا لانه يعارضه ما روى من أنها أمرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من خصائصها وفي اللآلي للسيوطي عن أم سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت يا أمتاه اسكبي لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي

(وان) وفي نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر اللام (يعقره الله) بكسر القاف أي يهلكه أو يقتله أو يهلكه قتلا فقتله وحشي بن حرب في قتال أهل الردة زمن أبي بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) أي بنته الزهراء (أول أهله) أي أهل بيته كما في نسخة (لحوقا به) أي موتا ووصولا اليه ففي الصحيح عن الزبيري عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ستة أشهر

ثيابي الجدد فنما ولتهافلبستهافقالت قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها وأتى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ماروي بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها وانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرها به (وانذر بالردة) أي أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير وهو مما رواه الشيخان أيضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وكان ذلك بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة أشهر وستة أيام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا أهل الحرمين والبحرين فكفى الله أمرهم بابي بكر رضي الله تعالى عنهم بعدما قاسى منه أمورا شديدة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه أصحاب الكتب الستة مسندا وفيه (ان الخلافة) أي خلافة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة من قريش وهي (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أي تتحول الخلافة وتصير (ملكا) عضوضا أي سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها (فكانت) الخلافة الحقيقية (كذلك) أي كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وتمت المدة التي ذكرها (بمدة الحسن بن علي) بن أبي طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه سنتين وأربعة أشهر وخلافة عمر رضي الله تعالى عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله تعالى عنه اثنى عشر سنة الا اياما وخلافة علي رضي الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر واياما وفي المغرب خلافة أبي بكر سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وعثمان اثنى عشر سنة الا اثنى عشر ليلة وعلي خمس سنين الا ثلاثة أشهر فتمم المدة بمدة الحسن لما بويع في عشر رمضان الاخير سنة أربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية في نصف جمادى الاولى سنة احدى وأربعين فمدته كانت سبعة أشهر ونصفا واياما فبها تم الثلاثون كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين المهملة صيغة مبالغة وروي ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرير الخبيث والملك السلطان والخليفة أمير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه خلفه في القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البزار عن أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (ان هذا الامر) أراد به دين الاسلام وأمر الشريعة المحمدية (بدأ) بهمزة في آخره أي ابتدأ في أول أمره أو بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا (نبوة ورحمة) بالنصب على الحالية أو بنزع الخافض أي بدأ بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وأمور الجاهلية وهذا في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم تكون) بعده (رحمة وخلافة) في زمن الخلفاء الراشدين وآخر الرحمة أولا لانها نشأت من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله

(وانذر بالردة) أي وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه وخوفهم وعرفهم بانها ستكون كما في حديث الشيخين لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي حديث مسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الاوثان فوقعت الردة في خلافة أبي بكر ارتد عامة العرب الا أهل مكة والمدينة والبحرين وكفى الله أمرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان) وفي نسخة وبان (الخلافة) أي الحقيقية الحقيقية (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أي تصير الخلافة (ملكا) أي سلطنة بالغلبة فقد روى أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (فكانت) أي الخلافة (كذلك) أي ثلاثين سنة (بمدة الحسن ابن علي) أي بمضي مدة خلافته وهي ستة أشهر تقريبا وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة علي اربع سنين وعشرة أشهر أو تسعة وبتمامها خلافة الحسن (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ان هذا الامر) أي أمر ملة هذه الامة (بدأ) بهمزة أي ابتدأ أو بالف أي ظهر (نبوة ورحمة) أي نبوة مقرونة بالرحمة العامة (ثم يكون) أي الامر (رحمة وخلافة) أي رحمة في ضمن الخلافة

(ثم يكون) أي الامر (ملكا) قال التلمساني وفي أصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين أي سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك ويعض بعضهم بعضا حثا على الهلاك وفيه ايماء الى ما قال عارف بهذا الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفي النهاية ثم يكون ملك عضوض أي يصيب الرعية عسف وظلم فكأنهم يعضون فيه عضا باسنانهم أي يتحملون فيه محنة شديدة في شأنهم وفي رواية وسترون بعدي ملكا عضوضا وفي أخرى ثم يكون ملوك عضوض قيل وهو جمع عض بالكسر أي شرير خبيث (ثم يكون) أي الامر (عتوا) بضمتين فتشديد أي تكبرا (وجبروتا) بفتحتين فعلوت من الجبر بمعنى القهر مبالغة أي تجبرا وقهرا (وفسادا في الامة) أي في أمر دينهم ودنياهم هذا ولفظ البيهقي ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله تعالى وقد ابتدأ هذا الفساد من بدء امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا في

تعالى عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت (ثم يكون) بعد الخلافة (ملكا عضوضا) بفتح العين وضمها كما تقدم في رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية أو مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس بعض من رآه (ثم يكون) بالتحتية والضمير للامر (عتوا وجبرية) العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن أيضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار في الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد فقيل أجبرته على كذا وسمي الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء أي قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه البيهقي ان الله بدأ بهذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروي بالرفع فكان تامة وروي جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة أيضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فالحال مؤكدة وقوله في الحديث عتوا وجبروتا (وفسادا في الامة) يلزمه عطف الشئ على نفسه وفي الكشاف معناه أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فساد كما انتهى وكونه أشد الفساد يحتاج الى النقل وفي الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون النهي عن التمادي في حال الفساد انتهى ملخصه فيه بحث وانما تركناه لانه اطال فيه من غير طائل وانا أقول لا يخلو ما في كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة فقط والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل ومراده ان العثوان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد لان الاصل التأسيس وقد قرره في سورة البقرة في أمر المؤمنين بالايمان ومثله كثير (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم عن المغيبات ما أشار اليه بقوله و (أخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم (بشأن أويس) ابن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة مشهورة (القرني) بفتحتين نسبة لقرن بن

الزيادة الى يومنا هذا فيما بين سلاطين البلاد والله رؤف بالعباد (وأخبر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بشأن أويس) أي ابن عامر (القرني) بفتحتين أي منسوب الى بطن من مراد قبيلة باليمن وغلط الجوهري في نسبته الى قرن المنازل روى أنه كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا قدر دينار أو درهم وله أم كان بها بارا ولو أقسم على الله لابره وقال من لقيه فليستغفر وعن عمر مرفوعا يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل قاله الارزنجاني في شرح المشارق الامداد

ردمان

جمع مدد والمراد هنا القافلة قال وكان عمر اذا أتى عليه أمداد اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر قام على أبي قبيس فنادى باعلى صوته يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لا ندري من أويس ولكن ابن أخي يقال له أويس وهو أخمل ذكرا وأهون أمرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلا حقيرا بين أظهرنا فقال له عمر أين ابن أخيك قال بازاء عرفات فركب عمر وعلي سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلي والابل حوله ترعى فسلما عليه وقالا من الرجل قال عبد الله قالا قد علمنا ان أهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذي سمتك به أمك قال يا هذان ما تريدان قالا وصف لنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أويسا القرني وأخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء فاوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة فابتدرا يقبلانه وقالا نشهد انك أويس القرني فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحدا من ولد آدم ولكنه

فى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات يا هـذا ان قد أشهر الله لـكمال حالى وعرف كما أمرى فمن أنتما قال على أما هـذا فعمر أمير المؤمنين واما أنا فعلى بن أبى طالب فاستوى اويس قائما وترحب بهما فقال له عمر مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا أمير المؤمنين ما أصنع بالنفقة والكسوة

أما ترى على ازارا ورداء من صوف متى أخرقهما وقد أخذت من رعايتى أربعة دراهم متى آكلها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينـه عقبـة كؤودا لا يجاوزها الا كل ضامر مخفف به فاخـف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى باعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمـه ألا من يأخـذها بما فيهـا ولهـا ثم قال يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ عنها فولى عمر ناحية مكة وساق أويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لـقى الله تعالى وروى الحاكم فى مستدركه عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين أويس ولا ينافيه قول أحمد وغيره ان خـيرهم سـعيد بن المسيب لان مرادهـم فى العـلوم الشرعيـة لا فى أكثرية الدرجة العليـة قال الحلبى وقد قتـل مع على بصفين فى وقعتهـا وقال ابن حبان واختلفوا فى محل موته فمنهـم من يزعم انه مات عـلى جبل أبى قبيس بمكة ومنهـم

ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهرى فى نسـبته لقرن المنازل كما غلط فى فتح راء قرن المنازل كما فى القاموس وتبعـه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر فى فتح البارى بالغ النووى فى حكاية الاتفاق على تخطئته فى تحريك قرن المنازل وحكى المصنف رحمه الله تعالى عن تعليق القابسى ان من قال بالاسكان أراد الجبـل ومن قال بالتحريك أراد البلد وقال الـكرمانى أويس القرنى منسوب الى قبيلة بنى قرن ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه وفى طبقات الاولياء للشرحى انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبى صلى الله تعالى عليه وسـلم له وكان أدرك زمن النبى صـلى الله تعالى عليه وسـلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع امداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهـم منه لانه دعا الله تعـالى ان يزيله الا لمعة أذكر بها نعمك على فمن أدركه منـكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه أشهل ذو صهومة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صـدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول فى أهـل الارض معروف فى السماء لو اقسم على الله لابره تحت منـكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا أنتما القيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لـكما فكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على أبى قبيس فنادى يا أهل اليمن هل فيكم أويس فقام شيخ وقال لا ندرى ما أويس ولـكن ابن أخ لى أخمـل ذكرا وأهون من ان نرفعـه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليـه عمر رضى الله تعالى عنـه كأنه لا يريده ثم قال أين هو فقـال بأراك عرفات فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل فقـال راعى ابل أجير فقالا لسنا نسـئلك عن ذلك ما اسمك فقال عبـد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به أمك قال فـا تريدان منى فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسـهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله عن أمة محمد خيرا واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضى الله تعالى عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائى وكسوة من ثيابى فقال لا ميعاد لى ولا ترانى بعـد اليوم وما أصنع بالنفقة والـكسوة ثم أقبـل على العبادة وتوفى بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شـهيدا مع أصحاب على رضى الله تعالى عنهـم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ومعنا أويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما رجعنا لم نجد له أثرا والاول أصح لقول أبى هريرة ان اجتماعه بعمر فى السنة التى توفى فيهـا فـكيف يكون غزا فى أيامه وقيـل دفن بدمشق والله أعلم انتهى وهـذا هو المراد بشانه الذى أشار اليه المصـنف رحمه الله تعالى وبما علمت ان أويسا لم يدفن باليمن كما توهمه بعض الناس وانه أفضـل التابعـين وانه لقى عليا وعمر وأدرك زمنه صـلى الله عليه وسلم لما ورد فى الحديث الصحيح ان خـير التابعين رجل يقال له أويس القرنى وقال أحمد بن حنبل أفضل التـابعين سعيد بن المسيب قال العراقى لعل أحمد لم يقف على هذا الحديث أو لم يصح عنده وفيه انه ذكره فى مسنده ولم يضـعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين بمن التبعيضية وقال النووى أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية

من يزعم انه مات بدمشق ويحكون فى موته قصصا تشـبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض أصحابنا ينـكر كونه فى الدنيا ثم ساق بسنده الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وأبا اسحق عن اويس القرنى فلم يعرفاه أقول ولعلهما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة الحديث اذ لم يرو شيأ وكان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والخلطة وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل طائفة مذهبهم

(وبامراء) أى وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن أبى ذر ولفظه كيف أنت اذا كنت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد فى رواية أخرى، والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووى أى عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها وروى يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا فى زمن بنى أمية (وسيكون فى امتى) وفى أصل الدلجى فى أمته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) رواه أحمد والطبرانى والبزار منهم مسيلمة الحنفى والاسود العنسى بالنون والمختار ابن أبى عبيد الثقفى وسجاح بفتح السين فجيم زعمت انها نبية فى زمن مسيلمة (وفى حديث آخر ثلاثون دجالا) وفى نسخة رجلا (كذابا أحدهم) وفى نسخة وهى الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) أى الاعور الذى يقتله عيسى ابن مريم كما رواه الشيخان عن أبى هريرة ولفظهما ان بين يديه الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفى نسخة يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبى وفى الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم فى حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والدجل تمويه الشئ وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب أيضا لانه يدجل الحق بالباطل (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (يوشك) أى يقرب (ان يكثر فيكم العجم) أى ضد العرب لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموزا أى أموالكم

سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل أفضلهم الحسن البصرى وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن أبى ذر رضى الله عنه (بامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها) لفظ الحديث كيف أنت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها * قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها فصل فانها لك نافلة وفى رواية والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووى المراد فى الحديث تأخيرها عن وقتها الاختيارى لا عن وقتها مطلقا بشهادة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة فى الصلاة المقضية والقول بان المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء لغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان أو حاكم بلدة يؤم الناس فى المكتوبات أو يستخلف من يصلى بهم وقد وقع هذا فى زمن بنى أمية لانهم أول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التأخير فى زمن الحجاج وأنكر عليه ذلك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه أحمد والطبرانى والبزار رحمهم الله تعالى انه قال (سيكون فى أمتى) وفى بعض النسخ فى امته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) ادخال النسوة فيهم بطريق التغليب والذى فى صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد فى حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والذى ذكره المصنف رواية اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم أو المراد بالامة أمة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال لمسيلمة والاسود العنسى بالنون ومن النساء لسجاح التى ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به فى الحديث كحديث فى امتى دجالون كذابون وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى ولو استقصى عدتهم بلغت ما ذكر والدجال الكذاب الذى يخلط ويلبس يقال دجل أمره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة (وفى حديث آخر) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (ثلاثون دجالا كذابا) عطف بيان على ما قبله (آخرهم الدجال الكذاب) الاعور الذى يظهر فى آخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفى تذكرة القرطبى فيه أقوال أخر أحدها انه ابن صياد يدعى الالوهية ويظهر أمورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز (كلهم يكذب على الله ورسوله) كذبه على الله قوله انه أوحى اليه وعلى رسوله قوله انه بشر بى وأخبر بنبوتى كقول مسيلمة المتقدم انه أشركنى فى أمره ويحتمل ان يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل على وأوحى الى كذا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار والطبرانى بسند صحيح من حديث طويل فيه (يوشك) بضم أوله مضارع أوشك بمعنى قرب ودنا وأسرع يقال وشك وأوشك (ان يكثر فيكم العجم) هم خلاف العرب مطلقا لان ألسنتهم عجم أى غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول أقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما فى كثير من الدول كالنوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال (يأكلون فيأكم) جمع فىء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء

(ويضربون رقابكم) أي يريقون دماءكم أو يبالغون في ايذائكم وقد وقع في دولة الترك من بعدهم رواه البزار والطبراني بسند صحيح
(ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يسترعيهم مسخرين له كراعي غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له
واستيلائه عليهم ولم يرد نفس العصا الا ان في ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم في اطاعته (رجل) قال القرطبي في تذكرته لعله
الجهجاه (من قحطان) وهو أبو اليمن رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظهما لا تقوم الساعة
حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان (خيركم قرني) ولفظهما خير أمتي وفي رواية خير الناس قرني وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل في الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك في الخيرية فيستقيم قوله (ثم يأتي بعد ذلك قوم) وفي تغيير العبارة ايماء الى ما أشرنا اليه وفي رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة المجهول أي يبادرون بتأدية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لا تقبل وأما حديث خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضي ان عنده الشهادة
حيث جهل أو شك صاحب الشهادة انها عنده أم لا أو هل يظهر الشهادة أم يخفيها وقيل يشهدون بالزور وقال الحلبي وقيل
معناه يحلفون ولا يستحلفون كما قال في رواية أخرى يسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله
تعالى فشهادة أحدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) أي بنذرهم وفي رواية
ولا يفون من وفى يفي

عليه وأخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل
ان يراد بافيائهم مالهم الذي بايديهم سماه فيئا لانه مما أفاء الله لهم بغير مشقة عليهم (ويضربون رقابكم)
أي يقتلونهم بغير حق فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فيشمل جميع من بعد عصر
النبوة كما في غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد
فسره الشارح الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان (لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع
ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع لغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى
ضعف الناس وجهلهم فكأنهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا
فلان أي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا (رجل من قحطان) أي من عرب اليمن وقحطان أبو
اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظ أو يقظان وكان تجبر ومنع
أرزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان أيضا (خيركم) المراد أمته ولفظ الصحيحين خير أمتي وهو المراد (قرني) أي عصري وزماني
الذي أنا فيه والمراد أهله لقوله (ثم الذين يلونهم) أي يأتون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون
لهم باحسان (ثم الذين يلونهم) وهم تبع التابعين والقرن أهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في أعمارهم
وجميع أحوالهم وفي تفصيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه
وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل أصحابه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان المراد تفضيل
الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل
والافضل ولا شبهة في فضل العصر وجملة أهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث أمتي كالمطر لا يدرى
الخير في أوله أم في آخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع
الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر
وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم واهم نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمان
وما كان في عهده تفضيل لعصره فيضل ويضل (ثم يأتي بعد ذلك قوم) وروى ثم ان بعدكم قوما
(يشهدون ولا يستشهدون) أي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد
في الحديث ان خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسئلها فان هذا محمول على من كان عنده علم بأمر
وشهادة فيه وصاحبه لا يدري انها عنده [illegible] بما عنده ليستشهده عند حاجته ولكل مقام مقال
(ويخونون ولا يؤتمنون) هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن أو المراد ظهور خيانتهم حتى
لا يأمنهم أحد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن أو المراد انهم يخونون فيما ائتمنوا عليه كمن
سرق أو غصب ونحوه (وينذرون) بضم الذال المعجمة وكسرها (ولا يوفون) بما نذروه من غير عذر

(ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفى حديث يكون فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى رواية ويل للمتسمنات يوم القيامة وفى رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك بن الصيف أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما أنزل الله على بشر من شئ (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) رواه البخارى ولفظه قال الزبير أتينا أنسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم وفى رواية أشر منه وهو لغة كأخير فى خير قال بعض الحفاظ الا والذى بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال الحلبى والذى فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له مابال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال لابد للناس من تنفس يعنى ان الله تعالى ينفس عباده وقتا ما ويكشف البلاء عنهم حينا ما قلت وهو ما ينافى ماسبق من التنزل فى أمر الدين كما هو مشاهد فى نظر أرباب اليقين فانه كلما يبعد عن النور تبقى الظلمة فى الظهور فالبعد عن الحضرة يفيد هذا الترتيب فى الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرنى ثم وثم فى الجملة بل جاء فى حديث رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أنس مرفوعا لا يأتى عليكم عام ولا يوم الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (هلاك أمتى على يدى أغيلمة)

ومانع لهم ويقال وفى وأوفى بمعنى (ويظهر فيهم السمن) أى عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم فى عواقب الامور وروى يأتى فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفى الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة أنشأه الله عليها القوة نطفة أبويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقى لانه ورد فى الحديث ويل للمتسمنات يوم القيامة أى اللواتى يستعملن السمنة وهى دواء يتسمن به وروى تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهى السمن (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) المستثنى جملة حالية يجوز فى مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدى أتينا أنسا رضى الله عنه فشكونا له الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم عليه الصلاة والسلام وروى أشر على الاصل كأخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا على الاصل نادرا وفى معنى هذا الحديث ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابتا فى أحاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصرى لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج لابد للناس من تنفس يعنى ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلاء أحيانا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش) أغيلمة تصغير أغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو فى حكم المفرد وفى القاموس جمع غلام غلمة وأغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما فى النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد فى جمعه أغلمة ومثله أصيبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد جمع القلة لجمع قلة آخر فى التصغير عما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا لدلنا على انه سمع فيه أغلمة فلا حاجة للتعسف فى تأويله والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان) أى لو أردت ان أسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه أباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من خيار أهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وكبنى مروان بن الحكم وغيرهم من بنى أمية ولم يسمهم

تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام يعنى صبيان (من قريش) وفى رواية أعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان أطعتموهم أذلتكم وان عصيتموهم أهلكتكم اذهم صغار الاسنان (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت لسميتهم لكم) أى لبينتهم وقلت لكم انهم (بنو فلان وبنو فلان) لكنى ما أشاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الا ان فى العبارة اشارة بالكناية والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة أيام فقتل من خيار أهلها كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما أوجب أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل أبى فلان ليسوا لى باولياء ولكن لهم رحم سابلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ كانوا ولاة الامر وأصحاب الشر هذا وقد قال القرطبى هم والله تعالى أعلم يزيد بن معاوية وعبد الله بن زياد ومن جرى مجراهم من احداث ملوك بنى أمية

(وأخبر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذي وأبو داود والحاكم أنه قال القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح أمته وذمهم جعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم مذهبهم فالمجوس أثبتوا الهين زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه أهرمن وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور أي خلقهما وأما القدرية فزعموا ان الله خالق الخير وهو الله وخالق الشر وهو الانسان وقد قال تعالى الله خالق كل شئ وهو ما ينافي ان ينسب اليه الفعل خلقا وايجادا والينا عملا واكتسابا (والرافضة) بالالف بمعنى الرفضة أي وأخبر بظهور الطائفة الرافضة أي التاركة لحب جل الصحابة وقد رواه البيهقي من طرق كلها ضعيفة الا انها يتقوى بعضها ببعض ويعضدها ما رواه البزار بلفظ يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام أي بالكلية لانهم يستحلون سب الصحابة ويكفرون أهل السنة والجماعة أو المعنى يتركون كمال الاسلام وجماله ان لم يصدر منهم ما ينافي أحكام الايمان وفي رواية يلفظونه أي يرمونه فاقتلوهم فانهم مشركون أي مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الامة أولها) أي وأخبر بظهور هذا الامر من الرافضة وقد رواه أبو القاسم البغوي عن عائشة مرفوعا بلفظ لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وللترمذي من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولعن هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه والتتابع بالياء التحتية هو الوقوع في الشر كما انه بالموحدة يستعمل في الخير هذا وقد ظهر لعن السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا ولعل مذمة الرافضة في بعض الاحاديث وردت بالمعنى اللغوي الشامل لكل من الطائفتين وان كان العرف خصها باعتبار الغلبة (وقلة الانصار) أي وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والاظهر ان المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة وقد يتوسع ويراد بهم ذريتهم أيضا ولا يبعد ان يراد بهم أنصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل المهاجرين وغيرهم وقد رواه البخاري عن ابن عباس خرج علينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون ويقل الانصار أي بعدي

يسمهم خوف الفتنة (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم (بظهور القدرية) في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم لما قالوا بان الامور كلها ليست بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لانكارهم قدرة الله على أفعاله وشبههم بالمجوس لانهم أثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور والذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها أهرمن وهؤلاء لما نسبوا أفعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول وأما معنى القضاء والقدر فعند السلف القضاء ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشياء خيرها وشرها والقدر ايجاده اياها على ما اقتضاه أولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة وأما القدرية الذين أنكروا القدر وان الامر أنف أي مستأنف لا يعلمه الله الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هم لانهم انقرضوا ولم يبق منهم أحد (والرافضة) الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد في حديث رواه البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروي يلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا صحب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما أخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الآن منهم (وسب آخر هذه الامة أولها) أي أخبر صلى الله عليه وسلم بان من تأخر من أمته سيظهر بسب أولها وهذا من المغيبات ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا فقال لا تذهب الامة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووقع من بني أمية سب علي كرم الله تعالى وجهه على المنابر وادخل بعضهم في هذا من سب بعض الاولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون العارف بالله سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من أولياء الله تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم أعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على المتصدي لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم (و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بقلة الانصار) بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا أنصارا لانهم نصروا الرسول

صلى الله تعالى عليه وسلم وآووه وهو جمع ناصر أو نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم أنصاري ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار (حتى يكونوا كالملح في الطعام) فمن ولى منكم شيأ يضر قوما وافيه وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أي ان أهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه أفواجا أفواجا وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الاكثر قليل في كل جيل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الآن في المدينة لم يبق منهم الا أقل من القليل كما أشار اليه بقوله (فلم يزل أمرهم يتبدد) المراد بامرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من أملاكهم وأموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق وينشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون (حتى لم يبق لهم جماعة) أي لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه أولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحدهم لم يقم بعده من يخلفه (و) أشار لسبب ذلك بقوله و (انهم سيلقون بعده) أي يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أثره) بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثاني شدة الاستبداد أي يلقون بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من يؤثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم في العطاء من الديوان ويقل نصيبهم من الفيء فتضيق معيشتهم وفي نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد أمرهم قال ابن سيد الناس كان ابتداء هذا في زمن معاوية رضي الله عنه ويجوز في أثره ان يكون جمع آثر ككاتب وكتبة أي آثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقوني على الحوض والحديث طويل في الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات (و) منه أخباره صلى الله عليه وسلم (بشأن الخوارج) الذين خرجوا على أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه رضي الله عنه بالنهروان وهم نحو أربعة آلاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض أصحابه وقيل كانوا أكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان (وصفتهم) بالجر عطفا على شان وهم فرق من أهل الضلال كالمحكمة الذين أنكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم مما لاحاجة لتفصيل أحوالهم وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم انهم أهل صلاة وصيام يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاته وصيامه في جنب صيامهم الا أنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا امرتكب الكبيرة وأكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحي المغرب (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمخدج الذي فيهم) وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد وروى المخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج وهو اشارة لما في حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم في بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة أعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم أعدل خبت وخسرت فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي اضرب عنقه فقال له دعه ان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته الى آخره وآيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتال علي لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا اذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فشقوه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكر الله تعالى اذ صدق نبيه

وانهم) أي وأخبر انهم (سيلقون بعده أثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكي بضم فسكون أي ايثار الناس أنفسهم عليهم فيما هم أولى به من العطايا ومناصب القضايا في الصحيحين بلفظ انكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض قال اليعمري كانت هذه الاثرة زمن معاوية (وأخبر بشان الخوارج) أي على على بالنهروان وكانوا أربعة آلاف فقتلهم على فقتلا ذريعا ولم يقتل ممن معه الا تسعة (وصفتهم) أي وبيان حالهم وأفعالهم حيث قال فرقة يحسنون القول ويسيئون الفعل أو العمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم (والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة وبالجيم أي الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفي نسخة مشددة أي بناقص الخلق (الذي فيهم) أي بان احدى ثدييه مثل ثدي المرأة

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل (وان سيماهم) بكسر السين المهملة وهى
العلامة (التحليق) أى يحلقون شعور رؤسهم ولم يكن فى الصدر الاول حلق الرؤس الا فى النسك وهذه
الاحاديث ظاهرة فى تكفيرهم كما قاله الخطابى وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم حلقا حلقا وليس
بشئ وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبما ذكرناه علم ان حلق جميع
الرأس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث صحيح
على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم رأى صبيا حلق بعض رأسه فقال احلقوه كله أو اتركوه كله

قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم وهو صريح فى اباحته وقال وقال الفقهاء انه جائز على كل حال فان شق
عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه (و يرى رعاء الشاء) يرى
بالتحتية مبنى للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهى
معروفة (رؤس الناس) ورؤس جمع رأس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس و روى ترى بالتاء الفوقية
والخطاب لغير معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ويجوز رفعه ونصبه والعراة الحفاة العراة
جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس فى رجله نعل وهذا الحديث فى الصحيحين بمعناه
وبعض ألفاظه فالمصنف رحمه الله تعالى رواه من طريق آخر ورواه بالمعنى (يتبارون فى البنيان) أى
يتناظر بعضهم بعضا فى بنائه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى
وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له فى الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله
وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض فى البناء العالى كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفى مسلم ان ترى
الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروى يتطاولون فى البناء يعنى ان من أشراط الساعة
ان أهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور و يترأسون وجهلة
الناس وأراذلهم يصير حاكما والياعظيم الشان ولقد ظهر ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من هذا المغيبات وهو الآن عيان رأى العين وكنى بكونهم رعاء الى انهم مجهولون الانساب جهلة وانهم
مشغولون عن عبادة الله وروى يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد (وان تلد الامة) أى الجارية
المملوكة التى اتخذت سرية (ربتها) بتاء التأنيث ورب ربت ورب بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد
والمالك والمربى والمدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة
بحسب القرائن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان أو أنثى وأنثه باعتبار النسمة وهو من حديث
صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التى أخبر بها صلى الله
تعالى عليه وسلم أصحابه وفى معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون أمه أمة من
جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد أحوال الناس فى آخر الزمان وكثرة بيع أمهات الاولاد حتى يشترى
الرجل أمه وهو لا يدرى انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها لوطئها بشبهة قوية
أو رقيقا بنكاح أو زنا و يعتق و يتداول الايدى أمه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى
يستطيل الولد على أمه استطالة السيد والذى عده من الاشراط على الاول كثرة التسرى فلا ينافى تسرى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمارية وغيره وفى الشروح كلام مبسوط فى هذا الحديث وفيه من دلائل
النبوة الاعلام بكثرة التسرى والسبى بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم
والانذار بان غاية الانحطاط لايذانه بقيام الساعة وكل شئ بلغ الحد انتهى (و) مما أخبر به صلى الله
تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو (ان قريشا والاحزاب لا يغزونه أبدا) الاحزاب جمع
حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون

(وان سيماهم التحليق) أى علامتهم المبالغة فى حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (و يروى) بصيغة المجهول وقال
الدلجى بصيغة الخطاب
العام (رعاء الغنم) و
أصل الدلجى رعاء الشاء
وهو نائب الفاعل أو
المفعول الاول والثانى
قوله (رؤس الناس) أى
رؤساءهم (والعراة الحفاة)
وفى نسخة والحفاة العراة
(يتبارون) بفتح الراء أى
يتفاخرون (فى البنيان)
أى فى اطالة بيوتهم
وتحسينها وتزيينها فقد
روى الشيخان معناه
ببعض مبناه فلمسلم وان
ترى الحفاة العراة رعاء
الشاء يتطاولون فى البنيان
وللبخارى واذا تطاول
رعاء الابل البهم فى البنيان
وله أيضا واذا كانت
الحفاة العراة رؤس
الناس فذلك من أشراطها
ولهما وان ترى الحفاة
العراة الصم البكم ملوك
الارض وفيه اشارة الى
ان أرباب الجهالة والقلة
والذلة يغلبون على أهل
العلم والغنى والعزة (وان
تلد الامة ربتها) أى
سيدتها فان ولد الامة من
سيدها كسيدها لانه
سبب لعتقها فهى بنتها
فبالاولى ابنها قال الحلبى
وفى رواية ربها وفى رواية
بعلها أى تلد مثل سيدها
ومالكها ومتصرفها أراد
به كثرة السبى والسرارى
فى أوقات السعة أو فى
أزمنة الفتنة أو كناية عن كثرة العقوق وقلة تأدية الحقوق (وان قريشا) أى وأخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) أى
وسائر طوائف الكفار (لا يغزونه أبدا) ولعله بعد غزوة الخندق فعن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين أجلى الاحزاب

عنه الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) أي يبدؤهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعده أي لا يكفرون فيغزون وقوله في رواية أخرى لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة أي لا تعود مكة دار كفر يغزى عليه واما ما قيل من ان المعنى لا يغزوها كفار أبدا فان المسلمين قد غزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة يقلعها حجرا حجرا (وأخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح أي بالوباء (الذي يكون

بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخاري عن عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم لا يلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من العرب حي الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية أي راية تحت كل غاية اثنى عشر الفا انتهى وكان هذا الموتان في خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع في الاسلام مات به سبعون الفا في ثلاثة أيام وبنو الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان أصفر وهو روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وما وعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وحكي ضمها الا انه لا يجوز في النسبة اتفاقا بالغيب فقد روى أبو داود عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاؤها بتشديد اللام أي ساحلها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها أي نواحيها الظاهرة بها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير واهل هذه الامور وردت معنوية أو ترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثماني عشرة لم يعبد الصنم قط على ارضها

في الغزوة المشهورة (وانه هو الذي يغزوهم) بعد اخباره بذلك في الاحزاب وهي غزوة الخندق وبعد أحد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله تعالى عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة وأتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم القيامة أي لا تعود مكة دار كفر ولا تغزوها الكفار فلا ينافي ما وقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذي السويقتين قال الواقدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذي القعدة (و) مما رواه الشيخان أيضا انه صلى الله عليه وسلم (أخبر بالموتان) بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو ولا يصح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفي القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان أو أرض لم تحي بعد وبالضم موت يقع في الماشية وتفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين في المصادر يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا (الذي يكون بعد فتح بيت المقدس) وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه بعمواس بفتحتين وهي قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو أول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون ألفا في ثلاثة أيام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس هذه هي القرية التي بين الرملة وبيت المقدس مات فيها أبو عبيدة بن الجراح والحديث أوله عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال أعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى آخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر والموتان ان خص بالماشية كما مر فهو ههنا مجاز مرسل لمطلق الموت أو استعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه آخر وهو شدة السرعة والمنافي له ذكر التشبيه في ذلك المجاز بعينه وقد أشار لما قلناه الشريف في حواشي الكشاف في قوله كان اذني قلبه خطلاوان وهو من الفوائد النفيسة (وما وعد من سكنى البصرة) بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة أو ذات حجارة والفتح أشهر وأفصح وهي بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير أيضا بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصري بكسر وفتح ولا يجوز الضم وهذا الحديث رواه أبو داود عن أنس انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاؤها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحي للنازلين ببطحائها وظواهرها وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها وفي هذا من أعلام النبوة والاخبار

بالغيب مالا يخفى ويجوز كسر صادها ولهم بلدة بالمغرب تسمى البصرة أيضا والمراد الاولى وسكنى مصدر كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها (و) من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيب أيضا في حديث رواه الشيخان (انهم) أي أمته صلى الله تعالى عليه وسلم (يغزون في البحر) بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد بالبحر البحر الملح لانه اذا أطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره الا نادرا (كالملوك على الاسرة) وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يقعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعا وتعظما ومؤخر المراكب المعدة للغزو الذي يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه لم تكن ذلك بديار العرب ولم يره أحد منهم فتوصيفه صلى الله تعالى عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتبسم فقالت ما أضحكك يا رسول الله قال اناس من امتي عرضوا علي يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام فرأى ذلك فقال لها ما قال أولا ودعا لها وقال لها أنت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة في البحر مع معاوية رضي الله تعالى عنه فلما انصرفوا واقرب لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة ثمة واختلف في زمنه فقيل في زمن معاوية كما مر وقيل في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه أمر معاوية رضي الله تعالى عنه بغزو البحر فغزا بامر عثمان رضي الله عنه ثم لما ولي الخلافة غزاه بنفسه وفي الحديث معجزات اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن غزو أمته في البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وان أم حرام من أولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك في كراهته للنساء في رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد أجره على البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزوة أول غزوة فيه وهي فتح قبرس وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لم يأذن في ذلك أولا ثم لما ذكر له هذا الحديث أمر به وجهز الاسطول كما هو مفصل في محله وليس المراد بالبحر في الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وأم حرام رضي الله تعالى عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الدين لو كان منوطا) أي معلقا (بالثريا لناله) أي وصل اليه (رجال من أبناء فارس) أي ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي كواكب مجتمعة اختلف في عدتها كما مر وهي المنازل المشهورة وهي أي الثريا مشهورة بالعلو في السماء ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان أو الشرع وما يتعلق به وهو كناية عن ان هؤلاء يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة أيضا لما ظهر فيهم من الاولياء والعلماء وما ظهر منهم من التصانيف التي لا تعد ولم يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخاري هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما أخبر به سيد البرية صلى الله تعالى عليه وسلم وفارس جبل معروف ويقال لهم الفرس أيضا وهم من أولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا

(وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة) كما في الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان من خالات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة ابن الصامت فدخل عليها يوما فاطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج أي وسطه ومعظمه وقيل ظهره هذا البحر ملوك على الاسرة أو كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال أنت من الاولين فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان) أي واخبر بان (الايمان لو كان منوطا) أي معلقا (بالثريا لناله رجال من أبناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن أبي هريرة كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان الفارسي ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وجمع اسم الاشارة مع ان المشار اليه واحد لارادة الجنس ولو هنا لمجرد الفرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم وأراد بآخرين التابعين اللاحقين بالصحابة السابقين وأعلاهم في هذا المقام الافخم هو الامام الاعظم والله تعالى أعلم

به ويطلق على بلادهم أيضا والحديث مروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يارسول الله وفينا سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء وفى رواية لو كان العلم وروى أيضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان رضى الله تعالى عنه لان المراد به الجنس أوهو بتقدير من جنس هؤلاء (و) من ذلك مارواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه (هاجت) أى هبت (ريح) بشدة (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزواته) أى فى غزوة من غزواته وهى غزوة تبوك وهو محل من أرض الشام كما قيل وفيه نظر (فقال انها لموت منافق) أى رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزى انه عم قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه وذكر عنه قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه انه رأى منه مايدل على صحة اسلامه وقال الذهبى فى التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروى انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو أيضا محمول على ظاهره أو هو باعتبار ما فى قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق وكان ذلك فى رجوعه منها سنة ست أو أربع أو خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله تعالى كما فى ريح عاد التى أهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لانه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله تعالى وقدره واطلع من أراد عليه والممنوع انما هو اسنادها لها وجعلها مؤثرة فيه (فلما رجعوا) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من تلك الغزوة (وجدوا ذلك) أى ما أخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك فى وقت اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه بسند صحيح (لقوم من جلسائه) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء (ضرس أحدكم) أى واحد منكم أيها الحاضرون (فى النار) أى اذ كان فى جهنم (مثل أحد) أى كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان أحدهم يموت كافرا لما فى حديث آخر ضرس الكافر مثل أحد وجسم المعذب كلما ازداد عذابه فكان أشد عليه وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل فى غاية البعد (قال أبو هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى كان الخطاب له (فذهب القوم) الذين كانوا جلساءه أى ماتوا كلهم كما أشار اليه بقوله (يعنى) أبو هريرة بقوله ذهب القوم (ماتوا) فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس * فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * (وبقيت أنا ورجل) منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوة والرحال براء مهملة وحاء مهملة بن ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من أهل اليمامة (فقتل مرتدا) حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرجل (يوم اليمامة) أى فى حرب كان باليمامة وهى اسم أرض معروفة شرقى الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة أيضا وقيل قتله زيد بن الخطاب فى حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بنى حنيفة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوحى ارتد وشهد له بذلك (وأعلم) الصحابة رضى الله تعالى عنهم

(وهاجت ريح) أى هبت بشدة (فى غزاته) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغزاته فى بعض غزواته وهى غزوة تبوك من الشام على ما ذكره الدلجى أو غزوة بنى المصطلق كما قرره الحلبى وهو أولى بالاعتماد (فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) أى موت المنافق على وفاق ما أخبر به هنالك وهذا المنافق هو رفاعة ابن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهفاء المنافقين كذا قاله أبو اسحق على ماذكره الحلبى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن رافع ابن خديج (لقوم من جلسائه) وهم أبو هريرة الدوسى وفرات بن حيان العجلى والرحال ابن عنفوة اليمامى وهو المراد من قوله (ضرس أحدكم) أى واحد منكم لا كل واحد منكم (فى النار أعظم من أحد) أى هيئة وصورة فى هذا تلويح بان يموت أحدهم كافرا لحديث ضرس الكافر فى النار مثل أحد رواه مسلم وغيره (قال أبو هريرة فذهب القوم يعنى) أى يريد بقوله ذهبوا (ماتوا فبقيت أنا ورجل فقتل) ان ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقى الحجاز معروفة (وأعلم) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى

(بالذى غل) أى خان فأخذ من الغنيمة قبل القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاى وهى الجواهر وما ينتظم من نحوها والمراد بها هنا فصوص من الحجارة (فوجدت) أى تلك الخرز (فى رحله) أى بعد موته فعن زيد بن خالد الجهنى قال توفى رجل يوم خيبر فذكروا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتشنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات يهود ما تساوى درهمين (وبالذى) أى وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (عن أبى هريرة) بالذى (غل الشملة وحيث هى) أى وبالمكان الذى هى فيه وهى كساء يشتمل به الرجل ولفظهما أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر أى لا يدرى راميه فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجى وقال الحلبى الذى غل الشملة هذا كركرة قال النووى يقال بكسر الكافين وبفتحهما جعله فى المبهمات وكذا هو فى سنن ابن ماجه فى الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع فى النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته أى قضيتها أو وحيث هى وناقته كما فى أصل التلمسانى والظاهر جرها أى وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى بناقته ومكانها (حين ضلت) أى ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) أى برسنها أو زمامها وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بنى المصطلق أخذتهم ريح كادت ان تدفن الراكب وهى التى أخبر انها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل عليه السلام وأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها وقال ما أزعم انى أعلم الغيب ولكن الله أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق

عنهم: يب عنهم وهو ماض مبنى للفاعل بوزن أكرم وفاعله ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كأن الايدى غلت أو من الغلل وهو الماء الجارى تحت النبات وكثر استعماله فى السرقة من الغنائم (خرزا) بخاء معجمة وراء مهملة وزاى معجمة واحده خرزة وهى حجارة تنظم ويزين بها أو كل جوهر (من خرز يهود) ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهود بن يعقوب أخو يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفى بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه (فوجدت) تلك الخرز التى غلها (فى رحله) أى فى منزله وما معه بعد موته وهى لا تساوى درهمين وأصل الرحل ما يوضع على البعير وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه (و) اعلم أيضا بما هو من الغيب (بالذى غل) أى سرق كما مر (الشملة) وهى المرة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعائر بعين وراء مهملتين اصابة من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا فقل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين أو كسرتين فمات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر السيوطى رحمه الله تعالى على الاول وانه الذى عناه المصنف وهو الظاهر والنووى فى المبهمات على الثانى والبرهان تبعه والذى أوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول فى الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام أو يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبنى على التعزير بأخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون (وحديث ناقته) أى بما أعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذى رواه البيهقى عن عروة مرسلا (حين ضلت) ناقته وغابت عنه حتى لم يروها (وكيف تعلقت) ناقته (بالشجرة بخطامها) بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم طالبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله

تعالى عليه وسلم ما أزعم انى أعلم الغيب ما أعلمه ولكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد اللصيب أو ابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان أولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطى فى مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا ووقع فى بعض النسخ وحيث هى ناقته حين ضلت وفى أخرى ومن ضلت ناقته حيث هى حين ضلت وكيف الى آخره فقال بعضهم هو مجرور عطف على الذى أو مبنى على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدأ وهى مبتدأ ثان خبره محذوف أى موجودة والجملة فى محل جر باضافة حيث وأنت فى غنى عن مثله (و) من المغيبات التى أعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها ما رواه الشيخان عن على كرم الله وجهه حين أعلم (بشأن كتاب حاطب) بن أبى بلتعة الصحابى البدرى المشهور الذى أرسله (الى أهل مكة) لما تجهز النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم أحدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى و بعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ ففيها جارية معها مكتوب فأتونى به وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخفى مسيره فأتوا المحل فوجدوا الجارية فأنكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيأ فهموا بالرجوع ثم بدا لعلى رضى الله تعالى عنه أن خبره صلى الله تعالى عليه وسلم صدق فهدد الجارية فأخرجت الكتاب من عقصتها فلما أتوا به قال عمر رضى الله تعالى عنه دعنى أضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا فان الله اطلع على أهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة أهلا ومالا خشى ضياعه فأراد أن يضع فيهم يدا يقتضى حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة فى شروح السير والبخارى والكتاب كان مع امرأة تسمى أم سارة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى حين أعلم (بقصة عمير) بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) بن أمية بن خلف (حين ساره) أى أخبر عمير صفوان سرا فى خفية لم يسمعه أحد وذلك السر انه يقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ يأتيه بغتة بحيث لم يشعر به أحد وكان شجاعا فاتكا (وشارطه على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اشترط عليه ما يعطيه ان فعل ذلك (فلما جاء عمير الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر والسر) الذى كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة (أسلم) عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية وهو ابن عمه فى الحجر بعد بدر فذكروا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ليس فى العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين على ليس عندى قضاؤه وعيال أخشى ضياعهم لكنت آتى محمدا حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى أسير عنده فاغتنمها صفوان فقال على دينك أقضيه وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا فقال اكتم عنى شأنى ثم شحذ سيفه أى سنه وسمه وانطلق حتى أتى المدينة وأناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرآه عمر رضى الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا لشر وأخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له أدخله على فاقبل عمر رضى الله

(و بشأن كتاب حاطب) بكسر الطاء وهو ابن أبى بلتعة وكان مكتوبه بالخفية (الى أهل مكة) وهى سهيل بن عمرو وعكرمة ابن أبى جهل وصفوان ابن أبى لهيعة من مسامة الفتح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلى ولا منع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على ما فى نظم الدر أنه عليه الصلاة والسلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذى منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك وأخجله هنالك (وبقصة عمير) وفى نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) أى ابن أمية ابن خلف (حين ساره) بتشديد الراء أى خافت صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) أى جعل له جعلا (على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاء عمير للنبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصد القتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) أى الذى جاء بصدده (والسر) أى المخفى عن غيره (أسلم) أى عمير وكذا أسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى

تعالى

تعالى عنه حتى أخذ بحمالة سيفه لبيبه بها ثم أدخله فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أرسله يا عمر ادن
مني يا عمير فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا اليه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحه
الله ما أغنى شيأ قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت أنت وصفوان بالحجر
وذكرا أصحاب القليب وقلت لولا دين على وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك
وجئت لتقتلني فقال أشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله
انى لاعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وتشهد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
فقهوا أخاكم دينه فاقرأوه القرآن واطلقوا أسيره وأما صفوان فهرب خائفا يوم الفتح ثم جاء مستأمنا
فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير أبغض الناس لعمر فلما أسلم كان أحب الناس اليه وهو من سادات
قريش وفصحائها فتممت سيادته بالاسلام وله أحاديث في السنن (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقى عن عائشة باسناد صحيح (بالمال الذى تركه عمه
العباس) بمكة (عند أم الفضل) لبابة بنت الحارث بن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما
كنى العباس أبو الفضل وهي من أشراف الصحابة رضى الله تعالى عنها يقال انها أول امرأة أسلمت بعد
خديجة وكان كتم ماله عندها وأخفاه حتى عن أولاده كما أشار اليه بقوله (بعد ان كتمه) فلما أسر
ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفداء فقال لا مال لى فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما صنع
المال الذى وضعته عند أم الفضل (فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم) وقيل له لم تسلم قبل الفداء ليبقى
لك مالك الذى افتديت به فقال لم أكن لاحرم المؤمنين ما طعموا فيه من مالى وقد قيل انه أسلم قبله
ولكن كان يخفى اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعدو فى بعض النسخ أم الفضيل بالتصغير
وهو خطأ من الناسخ وأصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفداء اسرائهم فقال العباس يا رسول
الله انى كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله
يجزيك فاما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك وابنى أخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبى طالب
وحليفك عتبة وأخى بنى الحارث قال ما عندى ما يفى بالفداء قال ما فعلت بالمال الذى دفنته عند أم
الفضل وقلت ان أصبت فى سفرى فالمال لولدى فقال والله يا رسول الله هذا شئ ما علمه غيرى وغيرها
فاحسب لى ما أصبتم أى فانه جاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من الذهب ليطعم بها
المشركين فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى
وقال أما شئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال ذلك أعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله يا أيها النبى
قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية ومقتضى قول المصنف فاسلم انه ما أسلم الا حينئذ والذى قالوه انه
أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون
بمكة يتقوون وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحوال المشركين وأحب أن
يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر من لقى منكم
العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عن
عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه (أعلم انه سيقتل) بنفسه (أبى بن خلف) كما تقدم فجرحه بعنقه فى
أحد فمات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندى فرس أعلفها كل يوم لاقتلك
عليها فيقول له صلى الله تعالى عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما كان يوم أحد أقبل يقول أين محمد
لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلوا سبيله
ونظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له

(وأخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند أم الفضل) أى زوجته وهى لبابة بنت الحارث أول امرأة أسلمت بعد خديجة وقيل بل هى فاطمة بنت الخطاب وفى نسخة أم الفضيل بالتصغير وهو غلط محض بل لم يعلم فى الصحابيات من يقال لها أم الفضيل بالتصغير وكان ذلك (بعد ان كتمه) أى العباس ذلك الخبر عن الغير (فقال) أى العباس (ما علمه غيرى وغيرها) أى وما هذا الا باعلام الله سبحانه اياك (فاسلم) أى فصار سبب اسلامه بعد ان فدى نفسه فقيل له لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك ما افتديت به فقال لم أكن لاحرم المؤمنين مما طعموا من مالى أقول ولعله أخر اسلامه بعد ان تحقق حاله لئلا يظن به انه انما أسلم لئلا يدفع ماله والحديث رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقى عن الزهرى وغيره مرسلا (واعلم انه) وفى نسخة بانه أى النبى عليه السلام (سيقتل) أى بيده (أبى ابن خلف) كما رواه البيهقى عن عروة وسعيد ابن المسيب مرسلا وسبق انه عليه السلام جرحه باحد فى عنقه فمات بسرف

(وفي عتبة) وفي نسخة عتيبة وهي الصواب كما تقدم (ابن أبي لهب) أي وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم في شانه (انه يا كله كلب من كلاب الله) وفي نسخة يأكله كلب الله وأبعد الدلجي في تقديره هنا حيث قال وقال في عتبة لعدم دلالة عليه ولزوم كسر همزة انه مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع أهل بدر) أي وأعلم كما في مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) أي كما أخبر في الحال (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما روى الشيخان وغيرهما من طرق (في الحسن) أي ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما (ان ابني هذا سيد) أي كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين) وفي رواية ولعل الله ان

يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين أي جماعتين كثيرتين من أشياعه واتباع معاوية وقد بلغت كل فئة أربعين ألفا قال الحسن البصري فلما ولي ما أهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما أسلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى وان أعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق به مني أو حق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفي رواية خطب معاوية ثم قال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال أيها الناس ان الله هدانا بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين في شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث في الحسن بترك الامر حين صارت الخلافة اليه وكان أحق بها وأهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيا ورعا ورغبة فيما عند الله واشفاقا على الامة من الفتنة لا من القلة والذلة ان كان معه يومئذ أربعون ألفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله به بين الفرقتين أهل الشام فرقة معاوية وأهل العراق فرقة الحسن

ما بك من بأس فقال لو بصق علي محمد لقتلني فقتل قاتله الله في مرجعه من أحد (و) مما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال (في عتبة ابن أبي لهب انه يأكله كلب من كلاب الله) فاكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما أضافه الله أفادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبي في المضاف والمنسوب وقد تقدم ان أبا لهب كان له أولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر أسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المصنف رحمه الله تعالى عتيبة بالتصغير الا ان من علماء الحديث من قال مثل ماقاله المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض غير مسلم كما مر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر هذا في فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضي انها خبرية أخبر بها عن أمر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلامه محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاؤه لم اشتد رعبك قال ان محمدا قال لي كذا وهو لا يقول الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند من تحقق اجابته خبر معنى (و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن مصارع أهل بدر) أي محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعني من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم أهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال أهل الدار لمن بها (فكان) ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مصارعهم (كما قال) لم يتجاوز أحد منهم موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى وأصل هذا الحديث كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا لمصارعهم فلم يتجاوز أحدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا في القليب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان ابن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال الصحابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتكلم أجسادا لا أرواح لها فقال والذي نفسي بيده ما أنتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما (في الحسن) بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه (ان ابني هذا) سماه ابنه له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه (سيد) أي شريف رئيس مسود في قومه لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على الله تعالى وعلى غيره كما تقدم تفصيله (وسيصلح الله به) أي بسببه سيقع الصلح والاصلاح (بين فئتين عظيمتين) من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن

كان

كان مع معاوية رضى الله تعالى عنهما وفى صحيح البخارى عن الحسن عن أبى بكرة قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروى من طرق وفى رواية فئتين عظيمتين قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى الاستيعاب لما قتل على كرم الله وجهه ورضى الله عنه بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا على الموت وكانوا أطوع وأحب له من أبيه فبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وماوراء النهر ثم سار رضى الله عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراء الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر اليه بشرطان لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان فى أيام أبيه فاجابه معاوية رضى الله تعالى عنه لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة أنفس لا أؤمنهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لا أبايعك وأنت تطالب أحدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل اليه معاوية رضى الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ماشئت وأنا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية وساء ذلك أكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له قال أخطب الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى وان أعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق به منى أو حق لى تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل (و) مما أخبر به صلى الله عليه وسلم مارواه الشيخان من قوله (لسعد) ابن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه مالك بن وهيب بن عبد مناف أحد العشرة وأصحاب الشورى ولتبادره اذا أطلق لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله فى الحسن أى قال لسعد (لعلك تخلف) وفى نسخة ان تخلف بالمصدرية فى خبرها حملا لها على عسى لانها اختها فى الترجى كما قال * لعلك يوما ان تلم ملمة * وكان سعد رضى الله تعالى عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التى هاجر منها فاتاه صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده فقال يارسول الله أوصى بمالى كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى آخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشى ان يموت ثمة وذلك فى حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام أى تبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله (حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون) قال النووى فى هذا الحديث من المعجزات تحقق ما أخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان أميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولاتزر وازرة وزر أخرى وقال ابن حبيب المراد به انه تولى العراق وأتى بقوم ارتدوا وسجعوا اسجاع مسيلمة لعنه الله تعالى فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به وأبى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تأويله عند بعضهم وقيل الرواية انما هى يضر بك آخرون والمصنف اراد باستفعل فعل وجعل المصنف الترجى أخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تأدبا منه وقد صرحوا بان الترجى فى حق الله والرسول والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البخارى عن أنس (بقتل أهل مؤتة) بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما فى القاموس وهى اسم موضع بالشام كان فيه غزوة مشهورة واضافة أهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق كما قيل لانه انما أخبر بقتل ناس منهم قبل مجئ الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم والذى أتى بالخبر يعلى بن

(ولسعد) أى وقال كما رواه الشيخان لسعد ابن أبى وقاص فى مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن أصحابى (لعلك تخلف) بفتح اللام المشددة أى يؤخر موتك (حتى ينتفع بك أقوام) أى من الابرار (ويستضر) وفى نسخة بصيغة المجهول أى ويتضرر (بك آخرون) أى أقوام من الفجار زيد فى رواية اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على أعقابهم بموته فيها (وأخبر) أى فيما رواه الشيخان عن أنس (بقتل أهل مؤتة) بضم ميم فهمزة ساكنة ويبدل

(يوم قتلوا) أي أمراء غزوها فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فأصيب ثم جعفر ابن أبي طالب فأصيب ثم عبد الله بن رواحة فأصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (وبينهم) أي والحال ان بينه عليه الصلاة والسلام وبين أهل مؤتة وأمرائهم الكرام (مسيرة شهر او زيد) أي بل أكثر ويؤيده ما في نسخة بالواو فاو بمعنى الواو أو بمعنى بل ولعل الدلجي حمل أو على الشك من الراوي فقال بل أقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام (وبموت النجاشي) بفتح النون ويكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان ممن آمن وأخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن أبي هريرة (يوم مات) أي سنة تسع من الهجرة وهو بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن أصحابه وقد احضرت جنازته لديه (وأخبر بفيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية أي وأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقي (حين ورد عليه) وفي نسخة اذ ورد عليه أي حين وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) أي ملك فارس وهو وزيره (بموت كسرى ذلك اليوم) أي في يوم ورود فيروز أو في يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) أي ما قصه عليه من موته في وقته (اسلم) ففاز فيروز فوزا عظيما

منه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد ففتح الله تعالى عليهم فلما أتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرني وان شئت أخبرتك فقال أخبرني فاخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله (يوم قتلوا) متعلق باخبر (و) بينه صلى الله عليه وسلم و (بينهم) أي المقتولين بمؤتة (مسيرة شهر او أزيد) ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجيء الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معركتهم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده يقتضي انه قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا او كسير الجمال في القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف أيضا بطول الايام وقصرها والامر فيه سهل (وبموت النجاشي) أي أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (يوم مات) متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه استدل الشافعي على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذي أرسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم في الهدى النبوي اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها (وهو بارضه) جملة حالية والضمير للنجاشي أي والحال ان النجاشي مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقت موت النجاشي كان بارضه أي المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان أمكن ان يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل انه من خصائصه أيضا (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر رواه البيهقي (فيروز) علم عجمي ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمي والديلم جيل من العجم (اذ ورد) أي جاء فيروز وقدم (عليه) أي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم) بنصبه على الظرفية أي يوم ورد عليه أو يوم مات كسرى (فلما تحقق فيروز القصة) التي قصها عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بموت كسرى الذي هو رسوله (أسلم) فآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق وحاصلها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الى آخره فلما اقرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين ياتيانه فبعث قهرمانه بانونه ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب يامره فيه بالانصراف معهما فلما اتياه قال ائتياني غدا فلما اتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله في وقت كذا فاخبر باذان بما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لننظرن ما قال فان تحقق فهو نبي مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم وأسلم معه أبناء فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه ابرويز وهذا ما ذكره

المؤرخون

المؤرخون وأصحاب السير واما ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فلم يشتهر ولم ينقل أحد ان من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي نقله عن دلائل النبوة للبيهقي فقيل انه ليس فيها ذلك وفي الاستيعاب ان فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه الذي قتل الاسود العنسي وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى الماوردي في اعلام النبوة وأطال فيها (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم (أباذر) الغفاري كما رواه أحمد في مسنده (بتطريده) أي بنفيه من المدينة وقد ذكر الحريري في الدرة الفرق بين طرده وأطرده وطرده المشدد وانه انما يقال في النفي الا مشددا كقول أبي سفيان * وأنت الذي طردتني كل مطرد * وطرده وأطرده بمعنى نحاه وكثير من أهل اللغة لم يقولوه (كما كان) أي وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم بعينه (ووجده) أي وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أباذر (في المسجد) أي مسجده بالمدينة (نائما فقال له) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بك اذا أخرجت منه) أي من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم علم ما سيجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وما يكون له لقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى والمعنى كيف ظني أو علمي بك في هذه الحالة (قال اسكن المسجد الحرام) يعني مكة المشرفة (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أي اقرأ الحديث أو اذكر الحديث الذي رواه أحمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرآه نائما فقال له أراك نائما فقال أين أنام وهل لي بيت غيره فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا أخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام فقال له كيف بك اذا أخرجوك منه قال الحق بالشام أرض الهجرة والمحشر وأرض الانبياء فاكون رجلا من أهلها قال فاذا أخرجوك من الشام قال أرجع اليه فيكون منزلي قال فكيف بك اذا أخرجوك منه الثانية قال آخذ سيفي وأقاتل حتى أموت فوكزه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني وأنت على ذلك واما تطريده رضي الله تعالى عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر أسندوا فيه لعثمان رضي الله عنه ما لا أصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي ذر اذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلعا فاخرج منها وأشار الى جهة الشام فلما زاد بناؤها ذهب الى الشام ثم انه رضي الله عنه أنكر على معاوية بعض أموره فشكاه لعثمان فكتب اليه أقبل الينا فنحن أرعى لحقك فقدم عليه ثم استأذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات والذي قيل ان عثمان أمر بازعاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما جاءك على ما صدر منك قال أشهد ان رسول الله قال اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها قال أكثرهم لا أصل له (ويعيش وحده) أي أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس وفي نسخة عيشة بالتاء (ويموت وحده) فكان كما قال لان البيهقي روى ان أم أبي ذر لما حضرته

يكن قهرا عليه اذ كان أمكنه ان يمتنع منه الا انه وافق حكمه أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختار خروجه من غير ان يكون هناك اكراه واجبار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده في المسجد) أي مسجد المدينة (نائما فقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (له) أي لابي ذر (كيف بك اذا أخرجت منه) أي من هذا المسجد وما حواليه (قال أسكن المسجد الحرام) أي وما حوله من الحرم (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أي بطوله قيل كان أخرجه عثمان الى الشام لانه كان اذا مر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم ثم رضي عليه فرده الى المدينة ثم أخرجه الى الربذة قرية خربة فسكنها الى ان مات (ويعيشه وحده وموته وحده) أي وأخبر ان أباذر يعيش وحيدا ويموت فريدا فكان كما أخبره عليه الصلاة والسلام على ما رواه أحمد وابن راهويه وابن أبي اسامة والبيهقي واللفظ له قالت أم ذر لما حضرت أباذر الوفاة بكيت فقال وما يبكيك فقلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض وليس عندي ما يسع كفنا لي ولا لك قال فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية وجماعة

فأناذلك الرجل فابصرى الطريق فبينما أناوهو كذلك اذ أنابرجال على رحالهم كأنهم الرخم فالحقت بثوبى فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال أنتم تسمعون انه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى أولامرأتى لكفنت فيه انى أنشدكم الله ثم أنشدكم الله ان لايكفننى رجل منكم كان أميرا أوعريفا أوبريدا أونقيبا وليس منهم أحد الاقارف ماقال الافتى من الانصار قال أنا أكفنك ياعم فى ردائى هذا وثوبين فى عيبتى من غزل أمى قال فكفنى فكفنه وقاموا فدفنوه وعن ابن مسعود قال لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف أبو ذر يتلوم بعيره فقالوا يارسول الله تخلف أبو ذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فلما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتتبع أثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى شدة الحر وحده فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله أباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لما مات رضى الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الاامرأته وغلامه فلما غسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذ أقبل عبدالله بن مسعود فى رهط من أهل العراق فلما رآهم الغلام قام اليهم وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكى رافعا صوته ويقول صدق رسول الله فى قوله

الوفاة بكت فقال لها مايبكيك فقالت مالى لاأبكى وأنت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لاتبكى فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن أحدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وأناذلك الرجل فابصرى الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال أنشدكم الله ان يكفننى منكم من لم يكن نقيبا ولاأميرا فقال غلام منهم أنا أكفنك ياعم فى ردائى وثوبين فى عيبتى (٢) من غزل أمى قال فكفنى فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه (وأخبر) صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم (ان أسرع أزواجه به لحوقا) أى أول من يموت من أمهات المؤمنين بعده (أطولهن يدا) لم يقل طولاهن بالتأنيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم بعده كن يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منها فلما ماتت زينب رضى الله تعالى عنها علمن ان المراد الثانى فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع مافيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة (فكانت) أى أطولهن يدا وأسرعهن لحوقا به صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمها ضمير عائد على ماذكره وقوله (زينب) بالنصب خبرها وهى زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (لطول يدها بالصدقة) بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضى الله تعالى عنها سنة عشرين أواحدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت خزيمة التى كانت تدعى أم المساكين والحديث عن عائشة من طرق قالت قلن أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفى رواية أخذن قصبة يذرعن بها أى يقسن أذرعتهن لظنهن

(وأخبر ان أسرع أزواجه به لحوقا) أى وصولا عليه بعد موته (أطولهن يدا فكانت زينب) أى بنت جحش (أسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن أم المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا فكانت زينب أطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبى مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فى الصدقة وللبخارى عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة أطولنا ذراعا فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها فى الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجى وهو مخالف لحديث مسلم والشعبى مع منافاة ماأفاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما أفاده قولها كانت أطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولامنافاة لظنها أولا ان المراد بالطول هو الحسى فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوى كما هو المعتبر عند أرباب النظر مع مافى العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح أبلغ من التصريح وان فى التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ماورد فى الصحيحين ان تكون احداها أسرع حقيقا والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هى الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مما ألهمنى الله من التحقيق والله ولى التوفيق ثم رأيت الحلبى قال زينب هذه هى بنت جحش توفيت سنة عشرين أواحدى وعشرين لازينب بنت خزيمة التى تدعى أم المساكين لانها توفيت فى آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة

٢ قوله عيبتى هى شئ يوضع فيه الثوب مثل الخرج وغيره اه مصححه

(وأخبر بقتل الحسين) أي ابن علي رضي الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كأنه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والاكتفاء بحسب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من أهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

أنا علي بن الحسين بن علي * نحن وبيت الله أولى بالنبي * تالله لا يحكم فيها ابن الدعي *

وقتل من ولد أخيه عبد الله بن الحسن

والقاسم بن الحسن ومن أخواته العباس بن علي وعبيد الله ابن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد بن علي وهو أصغرهم ومن ولد جعفر بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله ابن جعفر ومن ولد عقيل ابن أبي طالب عبد الله ابن عقيل وعبد الرحمن ابن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار أربعة والباقي من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر أبو الربيع ابن سبع في مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت في ضيعتي فصلينا العتمة ثم جلسنا في البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن علي فقال رجل ما من أحد أعان على قتل الحسين الا أصابه عذاب قبل أن يموت وكان في البيت شيخ كبير فقال أنا ممن شهدها وما أصابني أمر أكرهه الى ساعتي هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه ففارت النار فأخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فأخذته النار حتى مات قلت بل جمع له بين الاحراق والاغراق (وأخرج بيده تربة) أي قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم ويكسر أي مقتله أو مدفنه رواه البيهقي من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابني فقال ستقتله أمتك وان شئت أخبرتك بالارض التي يقتل فيها فأشار بيده الى الطف من العراق فأخذ تربة حمراء فأراه اياها (وقال) أي النبي عليه السلام كما رواه ابن عدي والبيهقي (في زيد بن صوحان) بضم أوله المهملة من اختلف في صحبته

لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت أكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما في البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فقلن له أينا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي صححوه وفيه اضطراب أيضا لان أوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرماني ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية ما يقال فيه قيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد أو شبهت الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضي حوز هذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كان كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن وهن من أهل اللسان * أقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن أوصله بشخص له طول في يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدهما أو هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه وهو ايصال الانعام أو اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق (بقتل الحسين) ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء المشددة المهملة وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة (وأخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده تربة) أي مقدار ملء كف من تراب أراه لبعض أصحابه وأهل بيته (وقال) اذا خرجها (فيها) أي في أرض هذا التراب منها وفيها يموت ويقتل (مضجعه) أي مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول أقيس وأفصح وفي التعبير به ايماء الى انه رضي الله تعالى عنه حي شهيد لان أصله محل يضطجع فيه النائم وأصل الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني فقال ستقتله أمتك فان شئت أخبرتك بالارض التي يقتل فيها وأشار جبريل بيده الى الطف من أرض العراق وأخذ تربة حمراء فأراه اياها ولا ينافي ذلك ما جاء انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله في عاشوراء وقتل معه جماعة من أهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها في يوم قتله يظهر عليه دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله وأخزاه وجعل سجين مأواه ولابن العربي هنا مقالة أظنه برئ منها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن عدي والبيهقي مسندا (في زيد بن صوحان) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وألف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي أخو صعصعة وله وفادة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا

الحديث ايماء الى جواز تعلق الروح بالاجزاء من غير تمام الاعضاء كما حققه العلماء (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام والتحية والثناء (في الذين كانوا معه) أي كما سبق ذكرهم من الشيخين وعثمان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم (على حراء) أي وقد تحرك بهم كما في الانباء والمعنى قال في حقهم وعلو شأنهم مخاطبا للجبل (اثبت) أي مع الثابتين من الاعلام (فانما عليك نبي وصديق وشهيد) وفي نسخة بأو في الموضعين فهي للتنويع ولفظ مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدأ فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد زاد بعضهم سعدا مكان علي (فقتل علي وعمر وعثمان) كذا في النسخ ولعل تقديم علي لثبوت شهادته بصريح الخبر وفي أصل الدلجي فقتل عمر وعثمان وعلي

لسلمان حتى يكثر يا سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان معناه اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما (يسبقه عضو) من أعضائه (الى الجنة) أي يدخل الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة ولا مانع من أن يحفظها الله في الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية أعضائه في الجنة وأمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع في سبيل الله أولا ثم يستشهد بعد ذلك فكنى عنه بما ذكره ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفي سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف (فقطعت يده) الشمال كما رواه الذهبي (في الجهاد) لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل في قتال المشركين وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة أويس القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي رضي الله تعالى عنه في وقعة الجمل وعلى هذا فاخباره عن المغيب أقوى وأبلغ في اطلاعه على أمره قبل خلقه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (في الذين كانوا معه) أي حاضرين معه وهم (على حراء) اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة أميال يمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (اثبت) أي لا تتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه كما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك بهم فقال اهدأ فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وزاد بعضهم سعدا وأورده بعضهم مكان علي والمصنف رواه (انما عليك نبي وصديق وشهيد) والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب في الحديث على وفق ما في القرآن والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم في تفسيره أقوال فقال ابن المظفر انه من صدق بأمر الله تعالى وبرسله بحيث لا يخالجه شك في شئ وقال الكلبي رحمه الله تعالى الصديقون أفاضل الصحابة واختاره البغوي وقيل من صدق بالانبياء حين عاينهم واختار الرازي انهم أول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما عرضت الاسلام على أحد الا وله كبوة الا أبو بكر فله رضي الله تعالى عنه مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا أجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية تلي مرتبة النبوة وقد أفرد ذلك بالتأليف الكمال ابن الزملكاني (فقتل علي وعمر وعثمان) فقتل عليا كرم الله تعالى وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضي الله تعالى عنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان عمر رضي الله تعالى عنه لا يأذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة فاستأذنه المغيرة في غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنائع ينتفع بها الناس فأذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر مائة درهم فشكى ذلك لعمر فسأله عن صنعته فأخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك وأضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلي فاستشهد وعثمان استشهد يوم الدار في قصته المشهورة (وطلحة والزبير) أما طلحة بن عبد الله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلي وقيل كما انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم أصابه سهم فمات منه وأما الزبير رضي الله تعالى عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بما مر فقتله أبو جرموز نائما بوادي السباع كما تقدم (وطعن) بالبناء للمجهول (سعد) ابن أبي وقاص سنة خمس أو أربع وخمسين وهو آخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن بمعنى أصيب بالطاعون وهو من أقسام الشهادة أيضا وان لم يكن

(وطلحة والزبير وطعن سعد) أي جرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة مثل الحديث وقال التلمساني أي أصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجي ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على الافادة

مثل غيره من كل وجه ولذا أخره المصنف وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا الا ان يدخله في الصديقين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وفتح الراء المهملتين مخففة وقاف وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو أبو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج في طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة ويأتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى الاشارة لبعضها ثم أسلم وتوفي سنة أربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من البادية وليس مثله لما يلبسه المترفهون من ملوك العجم آية عظيمة من آيات النبوة وعز الدين (كيف بك) كيف جواب عما أبهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو عليها الان كل أحد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا طرأ عليه مالم يعهد مثله ونال مالم ينله أمثاله فكنى بما ذكر وفيه من البلاغة مالا يخفى (اذا لبست) أي وضعت في يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل (سواري) مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال أسوار بضم الهمزة وكسرها أيضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن (كسرى) تقدم انه كل من ملك العجم ويخص ببعضهم وهو كسرى الذي أدرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك (فلما أتى بهما) أي بسواري كسرى (لعمر) ضمن أتى بصيغة المجهول معنى أوصل فعدى باللام وفي نسخة عمر بدونها (ألبسهما اياه) أي سراقة تحقيقا لما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ألبسه اياهما وقيل وهو الاولى (وقال) عمر رضي الله تعالى عنه (الحمد لله) حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة أعدائه وما فتح الله على يديه (الذي سلبهما) من يدي (كسرى وألبسهما سراقة) وهو بدوي اعرابي متقشف هو من آحاد أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وأصل الحديث كما في دلائل النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما أتى بسواري كسرى بن هرمز وضعتا بين يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله أكبر الله أكبر وحمد الله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك الذي قصم من نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير من أعزه وليس في هذا استعمال للذهب ولبس الرجال له وهو من المحرمات لانه لا يفعله الا تحقيقا وتصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يقرهما ومثله لا يعد استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل والخطيب في تاريخه (تبنى) بالبناء للمجهول والباني أبو جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس (مدينة) هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون أكبر من البلدة والقرية (بين دجلة) بدال مهملة مفتوحة أو مكسورة من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لخفاء أمره بتخليطه في أموره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل (ودجيل) مصغر علم نهر بالاهواز حفره أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان بالمدائن عليه قرى كثيرة ومخرجه من أصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة (وقطربل) بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف

(وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك بن جعشم بضم شين (كيف بك) أي كيف حالك (اذا لبست سواري كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه أسورة وجمع الجمع أساور وهو ما يلبس في اليد وفيه تنبيه على هلاكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وأئمة أمته (فلما أتى عمر بهما) أي جيء بسواريه (ألبسهما اياه) أي سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) أي عمر (الحمد لله الذي سلبهما كسرى) أي ملك العجم (وألبسهما سراقة) أي واحدا من بدو العرب ولعل في تقديم المفعول الثاني ايماء الى الاهتمام بذكرهما وما يعقبه من شكرهما فاندفع اعتراض الدلجي ولو قال ألبسه اياهما لكان أولى (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه أبو نعيم في الدلائل عن جرير ابن عبد الله والخطيب في تاريخه (تبنى) أي ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من أصفهان (وقطربل) بضم القاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة فلام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق

(والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفى بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره الشمنى قال الحلبى والهراة كذا فى الاصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفى القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروى محركة (تجبى اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة أى تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك (يخسف بها) أى يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم أهلها ولان بناءها أسس على شفا جرف هار (يعنى) أى يريد النبى صلى الله عليه وسلم (بها) أى بتلك المدينة (بغداد) مر بيان لغاتها وقد بناها أبو جعفر الدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس لكن قال أحمد بن حنبل لم يحدث به أى بحديث بغداد

ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبى فى ميزانه حديثه منكر (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه أحمد والبيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال وولد لاخى أم سلمة من أمها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد بن عبد الملك ثم رأينا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجى وقال الحديث فى مسند أحمد من حديث سعيد

وتشديد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر (والصراة) بفتح الصاد المشددة والراء المخففة المهملتين ثم ألف وهاء وهو نهر بالعراق أيضا مشهور وهو الاصح المعروف وفى بعض النسخ والهراة بهاء بدل الصاد وهى بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد (تجبى اليها) أى يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسى الممالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره (خزائن الارض) أى ما كان مخزونا فى غيرها من البلاد بيد أهاليها (يخسف بها) أى يخسف الله أرضها ودورها باهلها وقد وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من بنائها فى الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقى أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكره الذهبى فى ميزانه فى ترجمة عمار بن سيف الضبى الكوفى راوى هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله أعلم بامره (يعنى بغداد) اسم المدينة المشهورة ويسمى دار السلام وهو اسم أعجمى عرب وفيه لغات تقدم الكلام عليها (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الامام أحمد والبيهقى عن سعيد ابن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخى أم سلمة من أمها غلام سموه الوليد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لاتسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه (سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتى من فرعون لقومه) قال الاوزاعى كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضى الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما الا ان الثانى أشقاهما وفى هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد كما أشار اليه فى الحديث وقال ابن الجوزى ان هذا الحديث موضوع فكأنه ثبت عند المصنف رحمه الله تعالى فان موضوعات ابن الجوزى مدخولة تكلم فى كثير منها وصحح فى الشرح الجديد ان المراد انما هو الثانى المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وأظهر من فسقه وولعه بالملاهى وتهاونه بالدين أمورا شنيعة لاحاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله تعالى عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان فى زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طرى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (لاتقوم الساعة) أى لايأتى زمانها ويقرب أوانها (حتى تقتتل فئتان) أى طائفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة (دعواهما) فى اعتقادهما ودينهما (واحدة) وهى الاسلام والدين الحق وقد وقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما ثم سرى ذلك الكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقائع التى لاتحصى الا ان الوقعة الاولى أول مادهم أهل الاسلام من الامور المنكرة التى كانت ثلمة فى الدين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى والحاكم

ابن المسيب عن عمر رضى الله تعالى عنه وسعيد اختلف فى سماعه من عمر وقد ذهب أحمد الى أنه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزى فى موضوعاته من طريق أحمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) أى كما فى الصحيحين (لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهى الاسلام أو الخلافة فوقع كما أخبر فى حرب صفين فان صفوان بن عمرو قال كان أهل الشام ستين ألفا فقتل منهم عشرون ألفا وأهل العراق مائة وعشرون ألفا فقتل منهم أربعون ألفا (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام

(لعمر) أي ابن الخطاب كما رواه البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (في سهيل بن عمرو) أي في شأنه وقد قال له عمر يا رسول الله دعني انزل ثنيته فلا يقوم خطيبا في قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) أي الامر (كذلك) أي مثل ما أخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) أي عند الكعبة (مقام أبي بكر) أي في مرتبته وثبات حالته في المدينة (يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام أي وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) أي بمثل خطبة الصديق في المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة أي حملهم على الثبات في الدين

(وقوى بصائرهم) بتشديد الواو أي وصار سببا التقوية كشف بصائرهم في اليقين فقال من كان محمد اله فان محمدا قدمات والله حي لايموت وكانت خطبة أبي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت الاان أبا بكر رضي الله تعالى عنه زاد عليه بانيان الآيات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم لزيادة كماله في الرتبة قال البيهقي ثم الحق في أيام عمر بالشام مرابطان في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس (وقال لخالد) أي ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم أي ارسله (لاكيدر) بالتصغير ملك كندة اختلف في اسلامه وصحبته (انك تجده يصيد البقر) أي بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم أسلم وقيل بل مات نصرانيا وجمع بينهما

عن الحسن بن محمد مرسلا (لعمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (في سهيل بن عمرو) ابن عبد شمس ابن عبد ود أبو يزيد العامر القرشي أحد خطباء قريش أسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدي توفي سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين على قتال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انه رجل مفوه فدعني أنتزع ثنيتيه السفليتين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان أعلم السفلى أي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليتان يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضي الله تعالى عنه أمر بديع فقال صلى الله عليه وسلم لعمر دعه (عسى ان يقوم مقاما) أي يقوم خطيبا في مقام ينفع بخطبته ويأتي بما يمحو مقاماته الاول وقدمر ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق (يسرك يا عمر فكان كذلك) أي وقع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقق ما أخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما (قام بمكة مقام أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه أي مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته (يوم بلغهم) أي بلغ المسلمين بمكة (موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبهم) في مقامه بمكة (بنحو خطبته) أي بخطبة مثل خطبة أبي بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله (وثبتهم) أي ثبت المسلمين على دينهم (وقوى بصائرهم) باعلامهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان محمد اله فان محمدا قدمات والله حي لايموت وأبو بكر رضي الله تعالى عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت فتواردا على معنى واحد في مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن اسحق والبيهقي (لخالد) ابن الوليد (حين وجهه) أي أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجها (لاكيدر) بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين كصغرا كدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوماء بالمد وهي ايلياء وهو موضع بين مكة وبرك الغامة أو بين الحجاز والشام سميت بدومان ابن اسمعيل لانه كان ينزلها (انك تجده) أي تصادف اكيدر (يصيد البقر) أي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه في أربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعياء بن الحارث بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشافعي انه من كندة أو غسان وكان نصرانيا قدملك دومة وأهلها فأتاه خالد رضي الله تعالى عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليه فاستأسرا كيدر وقاتل أخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات

بانه أسلم ثم ارتد قال ابن منده وأبو نعيم الاصبهاني في كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا أسلم وأهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلطا فيه فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقي فيه ثم ان خالدا حاصره زمن أبي بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلاذري ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة وبرك الغماد والحجاز والشام فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد اكيدر ومنع ما قبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله

(فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته) أى وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الان منها ما وقع فى حياته ومنها ما وقع أو سيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) أى على نهج ما أخبر به عنه فى ذلك المقام من المعنى المرام (الى) أى منضمة أو منتهية الى (ما أخبر به جلساءه من أسرارهم) أى خفيات أفعالهم (وبواطنهم) أى مكنونات أحوالهم كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس فى القوم خير منك قال نعم وفى رواية ومواطنهم أى ومشاهدهم وفى أصل التلمساني ومواصلتهم أى مواصلة الناس من أهل الاسلام ونقل ما يصنعون الى اخوانهم الكفرة (واطلاعه عليه) أى والى ما انكشف عليه (من اسرار المنافقين) أى فيما بينهم (وكفرهم) أى من جهة تواطئهم كما ظهر منهم فى غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأعلمهم به فقالوا الا ما كنا فى شئ من أمرك بل كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (وقولهم فيه) أى ومن تكلمهم فى حقه عليه الصلاة والسلام (وفى المؤمنين) أى من أصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن أبى حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بسيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الآيات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) أى المنافقين (ليقول لصاحبه) أى رفيقه اذا طعن فى الاسلام وأهله (اسكت) أى من نحو هذا الكلام (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) أى شئ من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) أى صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبى عليه الصلاة والسلام فى البيت وأمر بلالا ان يؤذن فقال عتاب ابن أسيد لقد اكرم الله أسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث بن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفى رواية أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال أبو سفيان لا اقول شيأ لو تكلمت لاخبرته عنى هذه الحصباء فلما خرج قال لهم لقد علمت الذى قلتم وأخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

نصرانيا وقال البلاذرى انه عاد الى دومة فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه أسلم وأهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر وعده ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق أهل السير وقيل انه أسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يعد فى الصحابة أيضا (فوجدت) بالبناء للمجهول (هذه الامور) المذكورة فى هذا الفصل (كلها فى حياته) بعد ما أخبر بها (و) وجد بعضها (بعد موته كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مطابقة لخبره ومما آلت له منتهية أو مضمومة (الى ما أخبر به جلساءه) من الصحابة (من أسرارهم) أى ما أسروه وأخفوه (وبواطنهم) أى أمورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما أخبر به (وأطلاعه عليه) عطف على ما أخبر به (من أسرار المنافقين) أى ما اسروه فى أنفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم أو ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف عليه المؤمنون (وكفرهم) المضمر فى قلوبهم مع اظهارهم الايمان (وقولهم فيه) أى فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى المؤمنين) وهو معطوف على أسرار المنافقين عطف تفسير كقول رأسهم ابن أبى لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبى بكر فقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثانى اثنين فى الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه (حتى ان) بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر (كان بعضهم) أى بعض المنافقين (يقول) وفى نسخة ليقول (لصاحبه) أى من هو معه منهم اذا أراد ان يتكلم بشئ فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سرا معه (أسكت) ولا تنطق بشئ من أمره ثم بين وجه أمره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ما قاله فقال (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) بما يقوله فى شأنه من ملك أو جن يبلغه ما يقال فيه (لاخبرته حجارة البطحاء) وهى ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء يعنى ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة أيضا لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة

وأمر بلالا رضى الله تعالى عنه بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن
أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا اذ لم يرهذا اليوم وقال
الحارث اما وجد محمد مؤذنا غيرهذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيأ ولو تكلمت لاخبرته
هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال
الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك به (واعلامه) بالجر
معطوف على ما أخبر به وهو اشارة الى ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها وهو مصدر مضاف
لفاعله ومفعوله محذوف أى اعلامه الناس (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) وهو
يهودى من بنى زريق وقصة سحره مشهورة فى السير والتفسير (وكونه) أى السحر المذكور الذى
وضعه (فى مشط) بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها
الشعر ويقال لها مشط أيضا (ومشاطة) بضم الميم وهى ما يسقط من الشعر اذا سرح وفى نسخة مشاقة
بقاف بدل الطاء وهما بمعنى أو الاول من الشعر والثانى من الكتان (فى جف) بضم الجيم وتشديد الفاء
وهو وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشا وفى نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب
البئر وهو مضاف لقوله (طلع نخلة ذكر) والطلع ما يخرج من النخل فى ظرف منطبق عليه معروف
والنخل منه ذكر وأنثى تحمل بثمرها المعروف (وانه) بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور (التى
فى بئر ذروان) أى وضع فى هذه البئر وهى بئر بالمدينة لبنى زريق وهى بذال معجمة مفتوحة وراء
مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان (فكان) ما أخبر به صلى الله عليه وسلم (كما قال) عليه السلام (ووجد
السحر (على تلك الصفة) التى وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحى من الله تعالى كما فصلوه وعن
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما
سحر قال أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ما وجع
الرجل قال مطبوب أى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى أى شئ قال فى مشط ومشاطة
وجف طلع ذكر قال وأين هو قال فى بئر ذروان فجاءها صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناس من أصحابه
فاستخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقالت
هلا أخرجته يا رسول الله قال قد عافانى الله تعالى فكرهت ان أثير على الناس منه شرا فأمر بها فدفنت
قال أبو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بئر ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعى هو خطأ وصوابه أروان
بالهمزة انتهى وفى القاموس بئر ذروان بالمدينة وهى ذو اروان بسكون الراء وقيل بتحريكها انتهى
وفى مسلم بئر ذى أروان قال النووى وهو صحيح والاول أجود وأصح ويحتمل ان الاول مخفف منه
(واعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى فى الدلائل (باكل الارضة)
بفتحات دودة تأكل الورق وتسكن فيه اذا انقطع زمانا بحيث لا يمر به الهوى وهى معروفة وعلى
أنواع ومنها ما يأكل الخشب فمن فسرها هنا بدويبة تأكل الخشب قال الله تعالى ما دلهم على موته الا
دابة الارض تأكل منسأته والارض بالسكون مصدر أرض اذا كان به ارضة أضيفت لها لم يطبق
الفصل وليست هى الدابة المسماة سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب (ما فى صحيفتهم)
الاضافة للعهد أى الصحيفة المشهورة وسيأتى بيانها (التى تظاهروا بها) أى تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم
على عهود كتبوها فى تلك الصحيفة كما سيأتى (على بنى هاشم) وهم فخذ من قريش (وقطعوا بها رحمهم)
أى قصدوا بما كتب فى الصحيفة قطع رحمهم أى قرابتهم أى ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بنى عمهم

(واعلامه) أى ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) أى من
يهود (وكونه) أى ومن كون سحره (فى مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما ما يمشط به (ومشاقة)
وفى نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم أولهما بمعنى وهو ما يسقط من الشعر عند امتشاطه (فى جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء أى وعائه فى غشائه الذى يكون فوقه ويروى جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بفتحتين صفة طلع أو نخلة على ان التاء للوحدة كالنملة وليس بفعل ماض معلوم أو مجهول كما يتوهم من أقوال الدلجى (وانه) أى السحر فيما ذكر (التى فى بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهى بالمدينة بستان لبنى زريق ويقال له بئر ذى أروان كذا فى مسلم وكلاهما صحيح وما فى مسلم أصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووى واما بالواو قبل الراء فوضع بين قديد والجحفة (فكان) أى فوقع الامر (كما قال) أى من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) أى الهيئة من كونه فى مشط ومشاطة (واعلامه) أى ومن
اخباره (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى (باكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تأكل الخشب (ما فى صحيفتهم التى
تظاهروا) أى تعاونوا وتناصروا (بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم) أى قرابتهم ممن بينهم وبينهم نسب يجمعهم

من بني هاشم وأصل الرحم مقر الولد ثم شاع في القرابة حتى صار حقيقة فيها (وانها) أي الارضة وهو معطوف على أكل الارضة أي واعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانها (أبقت فيها) أي الصحيفة (كل اسم لله تعالى) دون غيره مما عاهدهم عليه فحتته لانه باطل وابقت اسم الله تعالى تبركا وتأدبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستأتي وتوجيهها (فوجدوها كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به عن الغيب فهو من معجزاته وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من انها أبقت اسم الله تأدبا ومحت غيره للاشارة الى انه أمر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية أخرى انها لحست اسم الله تعالى وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله تعالى بريء منهم وانه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس في سيرته فاذا صحت الروايتان أشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان في التوفيق بينهما ان لم نقل ان رواية انها لحست اسم الله أقوى والمعول انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداهما في الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع ذلك في رواية أصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم أمره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين قهرهم أرادوا قتله فلم يرض به أبو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا أو تعتزلوا عنا جميعا في الشعب بحيث لا تقابلونا ولا تجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها في الكعبة فكان كلما جاء أهل البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش وأراد نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي طالب يا عم ان الله أبطل عهدهم وأكلته الارضة فخرج اليهم فظنوه انه أتاهم ليسلم لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرهم بالقصة فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل في السير وكان ذلك مما أطلعه الله تعالى عليه من غيبه وهذا يقتضي صحة ما قاله المصنف رحمه الله تعالى وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم نجد ما يشفي الصدور (ووصفه لكفار قريش) بعد الاسراء كما تقدم تفصيله (بيت المقدس) مفعول وصف وقوله (حين كذبوه في خبر الاسراء) أي في اخباره بانه أسري به لبيت المقدس (ونعته اياه) أي بيت المقدس (نعت من عرفه) بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصنف رحمه الله تعالى غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال في غير الله تعالى ولا يقال نعت الله كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها (واعلامهم) بالجر أي اعلام الكفار (بعيرهم) بكسر العين أي قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس بمراد هنا (التي مر عليها في طريقه) لما رجع من الاسراء (وانذارهم بوقت وصولها) لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا وأصله التخويف والاخبار بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعني قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل أورق كام (فكان ذلك كله) أي وجد ووقع (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما أخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته (الى ما أخبر به من الحوادث) أي ما تقدم ينتهي أو ينضم لغيره مما أخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور (التي تكون) في المستقبل (ولم تأت بعد)

(وانها) أي وبان الارضة (أبقيت فيها كل اسم لله) وقد روى ابن أبي الدنيا في سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسم الله الا لحسته وبقي فيها ما كان من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم وقد ذكر الروايتين أبو الفتح اليعمري في سيرته ولعل القضية متعددة أو وقع وهم لبعض في قلب الرواية والمذكور في الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت

الاسنى ثم رأيت الحلبي اختار ان كونها لحست اسم الله أقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والآخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع مهما أمكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة في الكعبة وأخرى عندهم والله تعالى أعلم (فوجدوها) أي الصحيفة (كما قال) أي من أكل بعض ما فيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه أي ونعته عليه الصلاة والسلام (لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء) أي في صبيحة ليلة أسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) أي بيت المقدس لهم على ما مر (نعت من عرفه) أي كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) أي واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين أي بقافلة ابلهم (التي مر عليها في طريقه) أي حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) أي مبني اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا أورق يقدمها في يوم كذا قبل ان تغيب الشمس في مغربها (فكان) أي فوقع ذلك (كله كما قال) أي كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) أي مع ما (أخبر به من الحوادث التي تكون) أي ستوجد ويأتي أمرها (ولم تأت بعد) بضم الدال أي ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتي بعد ازمان متباعدة عن آثاره

مبني على الضم أي لم يقع عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر فاذا جاء الابان تجئ فان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتخلف (و) الى ذلك أشار بقوله (منها ماظهرت مقدماته) بكسر الدال أي علاماته المتقدمة عليه (كقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود في سننه (عمران بيت المقدس) بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا بمافيه وهو مبتدأ خبره (خراب يثرب) بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابه السيف وليس المراد به التشبيه فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب ومابعده على طريق المجاز في النسبة الاسنادية بجعل مايقرب من الشئ وبلاصقه له كأنه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف أخبر به عنه (وخراب يثرب) الذي يعمر عنده بيت المقدس (خروج الملحمة) أي ظهورها والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في النهاية الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدا واللحمة أو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه أحكام النجوم وآثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في آخر الزمان (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) وفي نسخة قسطنطينية بغير ألف ولام وبعد النون الثانية ياء تشدد وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم أول ملك بناها وهو أول من أظهر دين النصرانية ودونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر ولها سبعة أسوار وسمك سورها الكبير احدى وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد ألبست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص ماعدا يده اليمين فانها مطلقة في الهوى لانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت وكني مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة وتشديدها وحذفها فهي ست ووقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول أبي تمام

حتى النوى من نفع قسطلها على * حيطان قسطنطينة الاعصار

وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه أم لا فقيل فتحت في زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح في آخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر في أخبار المهدي المنتظر والذي أوقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور في هذا الحديث كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا مامعه من الاشراط واليه أشار بقوله (ومن اشراط الساعة وآيات حلولها) معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي والآية بمعنى وقيل هي ماينكره الناس من صغار أمورها وعلامات

فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتانيث كذا في النسخ المصححة وفي رواية السجزي بزيادة مشددة وهي دار ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة مستعقبة للاحقة وفي حاشية الحجازي وقسطنطينية ويروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا هل افتتحت أم لا فقيل كان ذلك في زمن عمر أو عثمان وقيل لا بل انما ستفتح مع قيام الدجال والله تعالى أعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) أي والى ما أخبر به من علاماتها المتقدمة كما في الصحيحين ان من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء

حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) أي علاماته المؤذنة بوقوعها وحصولها لحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم

(وذكر النشر والحشر) أى ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما فى أشراط الساعة فالمراد بهما ما يقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووى عن العلماء من ان آخر اشراطها فى الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق أى الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما فى حديث مسلم يحشر الناس أى أحياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا وأما ما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأ كم تعودون هذا ووقع فى أصل الدلجى والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ما أفناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ما قدمناه فى الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر فى علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق أولا ثم يفرق بينهم كما أخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير (وأخبار الابرار) جمع بر أو بار أى وذكر أخبارهم بما يسرهم مجملا وتفصيلا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر وأخبارهم أى بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ان التجار يوم القيامة يبعثون فجارا الا من اتقى الله وصدق (والجنة والنار) أى ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) أى وذكر مواقفها من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكان الانسب تأخير الجنة والنار عن عرصات القيامة هذا وان أردت تفصيل ذلك فى الجملة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى المسمى بالبدور السافرة فى أحوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم أى حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله فى الفضل (أن يكون ديوانا مفردا) أى دفترا منفردا (يشتمل على اجزاء وحده) أى متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما أشرنا اليه من نكت الاحاديث التى ذكرناها كفاية) أى غنية لمن له دراية (وأكثرها فى الصحيح) أى رواية (وعند الائمة) أى من كتب أصحاب السنة (والله ولى التوفيق) أى بالهداية فى البداية والنهاية

القيامة التى تكون فى آخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره بما هو مشهور غنى عن البيان وهذا كله مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبى فى تذكرته (وذكر النشر والحشر) الذى هو آخر الاشراط وآخر الدنيا اذا نفخ فى الصور والنشر للميت ان يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب (واخبار الابرار) بالجر أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من أخباره عن صلحاء أمته وفجارهم أو اخبارهم بما يسرهم وتقر به أعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم ويبكيهم فأخبار بفتح الهمزة جمع خبر أو بكسرها مصدر أخبر والابرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب وهو التقى الصالح (والفجار) جمع فاجر وهو الفاسق المجاهر بالمعاصى والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم أمته بما سيكون فيهم وهو كثير فى الاحاديث (والجنة والنار) أى ذكر أحوالهما وأهلها وما سيكون فيهما (وعرصات القيامة) بفتحات جمع عرصة بسكونها وهى كل موضع واسع لا بناء فيه أى مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من بيان مواقف القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها (وبحسب هذا الفصل) الباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره (أن يكون ديوانا) أى كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة فى كثرته كما ذكره فى أوله وانه لو ألف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن أمرا غريبا (مفردا) عن غيره من المعجزات (يشتمل) ذلك الديوان المفرد له (على أجزاء) بتمييز أنواعه وافراد كل نوع بباب (وحده) منفردا من بينهما ثم اعتذر لعدم افراده بالتأليف بقوله (وفيما أشرنا اليه) أى ما ذكره فى هذا الفصل منه وهو خبر مقدم (نكت من نكت الاحاديث التى ذكرناها) أى لطائف ودقائق نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله (كفاية) مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان أحسن لانه اذا كان مبتدأ كان قوله كفاية مبتدأ آخر أو بدلا أو صفة بتأويله بكافية وكله تكلف أى المقدار الذى اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتأليف (وأكثرها) أى النكت المذكورة فى هذا الفصل منقول (فى الصحيح) من كتب الحديث المعتمدة (و) موجود (عند الائمة) من علماء الاثر ومشايخ المصنف وفى تعبيره بالاكثر اشارة الى ان

فيه ماهو ضعيف أولم يثبت كما بيناه لك في أثناء شرحه

(فصل في عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس) أصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك بالشئ واستعصم استمسك كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله الانبياء حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم و بحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعني ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ عن نيل المضرة من أعدائهم والمراد هنا المعنى الاخير كما أشار اليه بقوله (وكفايته من آذاه) أي كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد أذيته والمراد بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه في تفسير المعوذتين أو خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله تعالى عليه وسلم وقصدوا أذيته وقوله من أذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده له بقوله (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) يقتضي انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الآية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضري في الخصائص يرده ماروى عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج بعث معه أبو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له ياعم ان الله عصمني من الجن والانس فلا حاجة لي بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها أرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة أي عند مقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذي عن عائشة كما يأتي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الآية الى آخره أي فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها انزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول أهل مكة وعلى الثاني أعم خلاف الظاهر ثم قال أكثر المفسرين ان هذا الذي كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا للامة ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه كان لحكمة وهي كما ان يشارك المؤمنين في المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد أحبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى وأما العصمة عن الذنوب فسيأتي في محله والى ماقدمناه أشار في الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا محصل له وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله أكلة خيبر قطعت أبهري وقالوا حكمته ان ينال أجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ماقالوه وأجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين أكله فلم يؤثر فيه فلما قضي أجله أثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت انها انزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحي غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما في كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدوله مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يظهر له أثر حال أكله ولا بعده مما يطلع عليه أعداؤه وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أمره بالصبر على أعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ثم سلاه بان لا يخاف من أحد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ و جمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا أظهر مما في الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتأكيد قال الراغب يقال فلان بعيني أي أحفظه وأراعيه كقولهم هو مني بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا أي بحيث نرى و نحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله (وقال أليس الله بكاف عبده) فيه اثبات لكفاية الله له على أبلغ وجه لانه استفهام

(فصل) (في عصمة الله تعالى له) أي في وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) أي وكفاية الله اياه شر من آذاه ممن عاداه ويروى وكفايته من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أي يمنعك منهم ويكفيك عنهم (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أي بمرأى منا ومرعى في حفظنا وجمع العين مناسبة لضميرها أو مبالغة في تعبيرها (وقال أليس الله بكاف عبده) وفي انكار النفي مبالغة في اثبات الكفاية

انكارى وهى نفى معنى ونفى النفى اثبات يعنى ان عبادى يحفظون عبيدهم فكيف لا أحفظ عبدى ولما كان العبد غير معين هنا أشار بقوله نقلا عن السلف انه (قيل) ان معناه (بكاف محمدا) المراد بعبده لان الاضافة عهدية (اعداءه المشركين) وبهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أما تخاف ان تخبلك آلهتنا لكونك تعيبها أليس مطابقا لهذا المقام وقوله أعداءه المشركين يأباه (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده ويؤيده انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع (و) مما يدل على عصمة الله له قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون فى تفسير هذه الآية وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الآية وبيان هؤلاء المستهزئين وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الآيات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه ويذكر بعض افراده المثبت لمراده (وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد تقدمت هذه الآية وبيان معناها وانما أتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دأبه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهى اشارة الى ما كان منهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان * واعلم ان الشيخ الاكبر قال فى بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا فى حياته عصم رؤياه فى المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان التخيل وتمثله فى صورته فطيفه كذاته معصوم من ان تؤذيه الاحلام وعبارته كل من يرى فى المنام فتمثله فى خيال الرائى الملك أو النفس أو الشيطان الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا فى حياتهم معصومين فى البواطن من القائه فانسحبت عليهم حياة وموتا فى المحل الذين كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع فى ذكر الحديث الذى رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها فقال (أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) الاندلسى المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد فى وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفى بفتحتين نسبة لصدف قرية بقرب قيروان (بقراءتى عليه) لا بالاجازة (والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) هو القاضى أبو بكر بن العربى ويقال ابن عربى أيضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربى بدون أل هو الشيخ محيى الدين الصوفى نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وأبوه من كبار أصحاب ابن حزم الظاهرى وابنه ممن أخذ عن الغزالى وغيره ورحل لملاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفى بفاس فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ونسبته لمغافر بغين معجمة وفاء وراء مهملة وميمه مفتوحة وحكى فى اسم الحى الضم وأنكره ابن السكيت حى من همدان وبلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المغافرية (قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفى) المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما فى بعض النسخ الحسن مكبرا خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو يعلى) بفتح المثناة التحتية واللام وألف (البغدادى) نسبة للمدينة المعروفة قال (حدثنا أبو على السنجى) نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة

(قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين) فالمراد بعبده الفرد الاكمل أو المعهود الافضل ويؤيده ان المشركين كانوا يقولون له انا نخاف ان يعتريك آلهتنا بسوء لعيبك اياها وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها انى أحذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد اليها خالد فهشم أنفها فنزل أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه أى مما لا يقدر على نفع وضر فى نفسه (وقيل) أى فى معنى الآية (غير هذا) أى القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافى غيره فتكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى أليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بمبناهما وقد قال الله تعالى أيضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم أى بالاقوال والاحوال (أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقراءتى عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) بفتح الميم وتضم وكسر الفاء هو الاشبيلى وهو المعروف بابن العربى سمع نصر بن ابراهيم المقدسى وطبقته وروى عنه جماعة توفى بفاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سقى سما فمات شهيدا مظلوما (قالا) أى كلاهما (ثنا أبو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفى) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا أبو يعلى البغدادى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو على السنجى) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة

مكسورة ونون وجيم وهي قرية بمرو قال (حدثنا أبو العباس المروزي) وهو محمد بن أحمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) ابن سعد الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور وشهرته تغني عن ذكره قال (حدثنا عبد بن حميد) بلا اضافة العبد وقد تقدم قال (حدثنا مسلم بن ابراهيم) الازدي الفراهيدي أبو عمرو الامام الحافظ الذي أخرج له الستة توفي سنة مائتين واثنتين وعشرين قال (حدثنا الحارث بن عبيد) أبو قدامة الايادي البصري له ترجمة في الميزان (عن سعيد الجريري) بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير الضبي كما في الكاشف للذهبي عباد وترجمته في الميزان (عن عبد الله بن شقيق) التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة مائة أو ثمان ومائة (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أي يحرسه الصحابة رضي الله تعالى عنهم في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من آخر ما نزل وتقدم قول آخر بأنها مكية لكن الصحيح خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة انهم اختلفوا في صحة الدعاء بالعصمة لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والآية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح الارشاد اختلف في سؤال العصمة فقيل لا يجوز لقول مالك والشافعي في الرسالة نسألك العصمة وكذا قول الشاذلي نسألك العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سأل التوقي عن جميع المعاصي والرذائل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن عن أفعال السوء فلا بأس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة لها معنيان احدهما الحفظ من أذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن ارتكاب المعاصي وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمني من الكذب أو الزنا أو اللهم احفظني من أسر الكفار واعصمني من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه أيضا اذ لا مانع ان يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب أو من جميع الناس فانه أمر مطلوب وقوله انه طلب مقام النبوة كلام واه والذي اختصت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هؤلاء العصمتين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) بالضم وتشديد الموحدة وهي كل مرتفع من البناء أو الخيمة والخباء من وقب اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على شكل كرى كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التجاني في شرحه ولا يترتب عليه فائدة هنا فلذا تركناه (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) من حولي واتركوا حراستي (فقد عصمني) وحفظني (ربي عز وجل) فلا حاجة لي ان يحرسني الناس (وروي) بصيغة المجهول (انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا) أي أقام به زمانا (اختار له أصحابه شجرة يقيل

(ثنا أبو العباس المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ) أي الترمذي كما في نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتصغير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) أي الازدي سمع ابن المبارك وغيره روى عنه البخاري وأبو داود والدارمي (ثنا الحارث ابن عبيد) هو أبو قدامة الايادي البصري روى عن ثابت الجوني أخرج له مسلم واستشهد به البخاري (عن سعيد الجريري) بضم الجيم وفتح الراء روى عن أبي الطفيل ويزيد بن الشخير وعنه شعبة ويزيد بن هارون (عن عبد الله بن شقيق) هو العقيلي البصري يروي عن عمر وأبي ذر والكبار وعنه قتادة وأيوب قال أحمد ثقة تحمل عن علي رضي الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبي أخرجه الترمذي في التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أي يحفظ من الاعداء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) أي يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هي بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمني ربي عز وجل) أي فقد تكفل بعصمتي ومحافظتي من كيد اعدائي من غير واسطة لي (وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف أي يستريح

(تحتها) من القيلولة وهى نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى أوهم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة فى حديث الهجرة الى المدينة
جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد أى نزلا فيها عند القائلة وهى وقت الاستراحة من
الظهيرة (فأتاه اعرابى) أى بدوى (فاخترط سيفه) أى سله من غمده ومرجع الضمير اماهو عليه السلام واما الاعرابى (ثم قال من يمنعك منى فقال الله) أى الله يمنعنى منك (فارعدت) وفى نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفى نسخة فارتعدت ويروى فذعرت بذال معجمة من الذعر وهو الفزع لكن لايلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابى) أى أصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه) وفى اصل الدلجى وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) أى دما ونحوه (فنزلت الآية) أى آية والله يعصمك من الناس وما رواه من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة) أى مثلها (فى الصحيح) أى للبخارى وغيره (وان غورث بن الحارث) فوعل آخره مثلثة ويهمل أوله ويعجم مكبرا ومصغرا كما فى الرواية الأخرى وتقدم انه أسلم وصحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه دعثور فعلول كبهول وعينه مهملة ذكره التلمسانى
(صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس

تحتها) من قال يقيل قيلولة اذا نزل فى وقت القائلة وهى الظهيرة وماقرب منها للاستراحة سواء نام أم لا وان كثر فيها النوم (فأتاه اعرابى) هذه فاء فصيحة أى فاختار واله فى بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فأتاه الى آخره والاعرابى رجل من أهل البادية تقدم بيانه (فاخترط سيفه) أى سله وأخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابى فعناه سل سيفا كان معه أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابى أخذه وسله وهو صريح ماياتى فى لفظ رواية الصحيحين وأصل معنى الاختراط ازالة ماعلى القضيب من ورق أو قشر فشبه ازالة غمده بذلك أوهو من اخترطه اذا أخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة (ثم قال) الاعرابى بعد اختراطه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) الاستفهام انكارى بمعنى النفى أى لايمنعك منى أحد لانى دخلت على حين غفلة وليس معك أحد وعطف بثم والظاهر الفاء اذ لامهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر مايصنع أو كان أتاه من خلفه أو استعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير (فقال الله) أى يمنعنى الله أو الله منعنى وحمانى (فارتعدت يد الاعرابى) وقع فى بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبنى للمجهول أى أصابته رعدة بكسر الراء وفتحها وهى اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمسانى انه الصواب يعنى لارعدت الثلاثى وهو خطا منه فان الذى صححه البرهان انه رعدت ثلاثى مبنى للفعول وتبعه الشمنى وغيره وقالوا انه من الافعال التى لم يسمع فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية واللغة (وسقط سيفه) من يده لشدة ارتعاده من خوفه (وضرب) ذلك الاعرابى (برأسه الشجرة) لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها (حتى) تكسر عظم رأسه و(سال دماغه) لما كسر قحفه الذى كان فيه الدماغ (فنزلت الآية) المذكورة والله يعصمك من الناس الى آخره وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر رأسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن أى سال دما أو نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد فى الكتب المعتبرة عند أهل الاثر ولم يذكروه فى أسباب النزول واليه اشارة مابقوله (وقد رويت هذه القصة) يعنى قصة الاعرابى (فى الصحيح) أى فى الحديث الصحيح أوفى صحيح البخارى (وان غورث بن الحارث) وفى نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة فى المكبر ومثلثة (صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه) وهذا يخالف ماقبله فى تلك الرواية من انه ضرب برأسه الشجرة الى آخره اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافى العفو عنه (فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) لما رآه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا قائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابى فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله تعالى عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروى انه شام السيف أى أغمده وفى سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه ألا أقتل لكم محمدا اقتلك به فاقبل اليه وسيفه فى حجره فقال يا محمد اعطنى سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فمنعه الله تعالى فقال يا محمد أما تخافنى وفى يدى السيف قال لايمنعنى الله تعالى منك فرد السيف فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا

نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية وروى ان السيف سقط من يده فأخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال له كن خير آخذ واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس (وقد حكي مثل هذه الحكاية) وفي كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التأنيث لان المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدار أي حكاية مثل هذه الى آخره كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفي بعض النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى أظهر بحسب المعنى (وانها جرت له) صلى الله عليه وسلم أي وقعت (يوم بدر) أي في وقعة بدر يقال جرا النا كذا أي وقع وهو مجاز من الجري فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله (وقد انفرد من أصحابه) جملة حالية من ضميره له أي منفرد اعنهم (لقضاء حاجته) كناية عن البراز مشهورة (فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله) بالنصب مفعول ذكر ومماثلته له في سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج أيضا (وقد روى) رواه ابن اسحق في سيرته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (انه وقع له) صلى الله عليه وسلم (مثلها) أي مثل هذه الحكاية والواقعة (في غزوة غطفان) بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهي قبيلة مشهورة غزاها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سرية نحو أربع مائة وخمسين فارسا في ربيع الاول بعد خمسة أشهر من الهجرة (بذي أمر) بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذي أمر وانمار اسم ذلك المكان أيضا (مع رجل) متعلق بوقع (اسمه دعثور) بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير (ابن الحارث) وهو رجل من بني محارب وتقدم انه غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس في غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بني ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فهربوا في رؤس الجبال وكان قبل ذلك يدعي انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة (و) روى (ان الرجل أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه به) أي حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعصمه الله تعالى منه (وكان) ذلك الرجل (سيدهم وأشجعهم) جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك (قالوا له) جواب لما (أينما كنت تقول) انكار عليه لما هرب وقد كان يقول اني أقتل محمدا (وقد أمكنك) فاعله ضمير مستتر يرجع لما أو أمكنه الامر اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه من السياق أي تمكنت منه لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول في يده (فقال اني نظرت الى رجل أبيض طويل) حال بيني وبينه و(دفع في صدري فوقعت لظهري) أي وقعت على ظهري لشدة دفعه وقوته (وسقط السيف) الذي كان بيدي (من يدي فعرفت انه) أي الرجل الذي دفعني (ملك) لانه لم يكن ثمة أحد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته (وأسلمت) لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحق أصابه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا الدعثور انفرد محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتى قام على رأسه وقال من يمنعك اليوم مني فقال الله فتمثل له جبريل

ما حكي من انه اخترط سيفه الخ فرده الله خاسئا (وقد روى) أي كما في سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبد الله (انه وقع له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (مثلها في غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذي أمر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم ويقال لها غزوة نجد أيضا وولى المدينة حينئذ عبد الله بن أم مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها محاربا لهم (مع رجل اسمه دعثور) بالضم (ابن الحارث) أي الغطفاني والظاهر ان الخبرين واحد ويؤيده قول الذهبي في تجريده الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازي ويروى غورث (وان الرجل) أي المشار اليه (أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه) من الاغراء أي ألزموه وحثوه على فعله هذا وفي نسخة أغووه أي أضلوه (وكان) أي الرجل (سيدهم) أي

رئيسهم (وأشجعهم) جملة معترضة (قالوا له أين ما كنت تقول) أي من دعوى القدرة واظهار الشجاعة (وقد أمكنك) أي والحال انك قد تمكنت من الفتك فيه (فقال اني نظرت الى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري) وفي نسخة الى ظهري (وسقط السيف) أي من يدي (فعرفت انه ملك وأسلمت

قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم) أى قصدوا ان يمدوها فتكا واهلاكا (فكف أيديهم عنكم) أى فمنعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفى رواية ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا أكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم فعلا اذقاموا الى صلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل أتى صلى الله تعالى عليه وسلم بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن أمية خطأ ظنهما كافرين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فجلس فى صفة فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهم سالمين (وفى رواية الخطابى) ان غورث بن الحارث وفى نسخة غويرث مصغرا واختاره الحلبى وتبعه الحجازى وروى الخطابى ان غورث أو غويرث بن الحارث المحاربى على الشك أهو بالعين المهملة أو المعجمة ولم يشك فى التصغير والمشهور ماذكره الحافظ المزى ان غورث بالمعجمة غير مصغر كما أورده المصنف فيما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم (المحاربى) بضم الميم وكسر الراء والموحدة (أراد أن يفتك) بكسر التاء الفوقية وتضم وحكى الفتح أيضا أى يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بقتله فجأة (فلم يشعر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به (الا وهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة والتحتية أى سالا (سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) أى انقلب أو سقط ومن ابتدائية أو بمعنى على وفى أصل الدلجى فاكب لوجهه أى عليه (من زلخة) بضم زاى وتشديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة (زلخها) بضم أوله وكسر ثانيه مخففة أى من أجل زلخة (بين كتفيه وندر) أى خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة وجع الظهر) أى بحيث لا يتحرك من شدته ويروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل فى قصته) أى قصة غورث

عليه السلام ودفع فى صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال لا أحد وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام (قيل وفيه) أى فى هذا الرجل وقصته (نزلت) هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم الآية) وفى سبب نزولها أقوال أخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل فى بنى قريظة وقيل فى بنى النضير كما سيأتى (وفى رواية الخطابى) وهو حمد أو أحمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل فى العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب أخى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وتآليفه جليلة مشهورة ككتاب الآثار وشرح السنن وغيره (ان غورث بن الحارث المحاربى) منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفى نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقد مر ان ابن سيد الناس قال فى غزوة ذات الرقاع فى دعثور بن الحارث ان المذكور فى غزوة ذى أمر من الخبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخبرين واحد وقال الذهبى فى التجريد دعثور بن الحارث الغطفانى الاشبه انه غورث وقال البرهان انه ضبب عليه فهو عنده غلط وفى هامش نسخته من الشفاء عوض دعثور غويرث وعليها علامة نسخة وصححت أيضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير (أراد ان يفتك بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) يفتك مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على أمر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة (فلم يشعر به) أى لم يعلمه ويحس به فى حال من الاحوال (الا وهو قائم على رأسه) المراد بقيامه على رأسه وقوفه خلفه متصلا به (منتضيا) بضاد معجمة ومثناة تحتية أى مجردا وسالا (سيفه) ليضربه به فلما رآه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اكفنيه بما شئت) الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة عائدها مقدر أى بالامر والسبب الذى شئته وارادته والمراد تفويض أمر كفايته الى الله وتسليم أمره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت وهو أقرب الى الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه (ف) عقب قوله من غير مهملة (انكب لوجهه) اللام بمعنى على أى سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على كما فى قوله * فخر صريعا لليدين وللفم * وقوله (من زلخة) متعلق بانكب والزلخة بضم الزاى المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة وتاء كغيرة وروى بعضهم تخفيف لام زلخة (زلخها) بضم الزاى وتشديد اللام المكسورة وخاء مفتوحة معجمة وهاء ضمير للزلخة وقرأ بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابى وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطى وفاعله الله والمراد أوجدها الله حين سل السيف وقوله (بين كتفيه) لا ينافى تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من أعلى الظهر فهو تأسيس واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكفين ضعفت اليد عن حمله (وندر سيفه من يده) أى من داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة أى سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف أو من بين أشياء (والزلخة وجع) يأخذ فى (الظهر) فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل ويقال لزحلوفة تلعب بها الصبيان (وقيل) أى قال غير الخطابى (فى قصته)

(غيرهذا) أى ماذكر من نوع آخر وهو ماروى انه أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد بسيفه قال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد أرنى سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك منى يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول أى وذكر بعضهم وفى أصل الدلجى ذكر بصيغة الفاعل أى ذكر الخطابى (ان فيه) أى فى غورث (نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) أى كما سبقت (وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا) أى من ان يقتلوه أو يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) أى ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس وما

أى قصة غورث (غيرهذا) المذكور من ارادته الفتك فانه روى انه جمع ناسا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم هربوا فى رؤس الجبال كما مر (وان) الامر والشأن فضميره مقدر (فيه) أى فى غورث (نزلت) آية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه) وهى يا أيها الذين آمنوا الى آخره أو قوله يعصمك من الناس (استلقى) أى نام صلى الله تعالى عليه وسلم واضعا ظهره على الارض لامنه أعداءه واطمئنان قلبه (ثم قال من شاء فليخذلنى) بخاء وذال مضمومة معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشاء بمعنى الخبر أى انى غنى عن المعين والحرس لان الله حمانى وضمن لى ان لا يضرنى أحد يصل الى ولذا استلقى على ظهره وأظهر هيئة الامن والتبرى من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضى ان هذه الآية مكية لان خوفه من قريش انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم (وذكر عبد بن حميد) الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير فى تفسيره مرسلا (قال كانت حمالة الحطب) وهى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب زوجة أبى لهب وسميت حمالة لانها كانت (تضع الغضاة) بغين وضاد معجمتين واحدة الغضا وهو شجر له شوك اذا أوقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار الغضا للنار القوية وقوله (وهى جمر) يحتمل أن يكون تفسيرا للغضاة لانه يطلق على ناره كما يطلق على محله قال

فسقى الغضا والساكنيه وانهم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

وأن يكون حالا من الغضاة وجمر بمعنى متوقدة أى تضعه حالة كونه جمرا (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وممره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك أن يمشى عليه فيؤذيه ويؤثر فى قدمه وقد قيل فى تسميتها حمالة الحطب وجوه أخر مذكورة فى التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة فكأنما بزيادة ما (يطؤها) أى يضع قدمه على تلك الغضاة وهو حاف أو بنعل يؤثر مثلها فيه فيجدها (كثيبا) بالمثلثة ومثناة تحتية وحدة وهو ما اجتمع من الرمل (أهيل) مبنى للجهول يقال أهال الرمل اذا أساله ولم يجمعه كالربوة والمشى عليه حينئذ أسهل وألين أى يجده صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن نقيل

يمشين هيل النقا لانت جوانبه * ينهال حينا وينهال الثرى حينا

اخترنا من الجمع بينهما أولى مما قال الدلجى أى هذه الآية أو والله يعصمك (استلقى) جواب لما أى رقد على قفاه أو كناية عن استراح من أذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلنى) أو من شاء فلينصرنى فان ربى لا يخذلنى فالامر للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أو المعنى فليخذلنى أى فليقتلنى فانه لا يقدر على ذلك فالامر للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهى العوراء أخت أبى سفيان ابن حرب زوجة أبى لهب عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام أخت أبى جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفى آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا وهى أشجار عظام ذات شوك ولعل التقدير ترمى شوكها وقد تصحف على الحلبى حيث ضبط بفتح الغين والضاد المعجمتين وهو مخالف لما فى الاصول المعتمدة والحواشى المعتبرة (وهى جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال حدتها فان الجمرة هى النار المتوقدة ثم اعلم ان بعضهم ذكر فى معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال أهل التفسير انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على أحد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر أخرى أو كانت تجمع بينهما والله تعالى أعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى عليها (فكأنما يطأها كثيبا أهيل) بفتح فسكون فتحتية فلام وروى بميم وهما بمعنى أى رملا سائلا حيث لم يتضرر بها

(وذكر ابن اسحق عنها) أي عن حمالة الحطب ورواه أبو يعلى والبيهقي وابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما
(انها) أي حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب) وزيد في نسخة وتب (وذكرها) أي وبلغ ذكر الله اياها (بما ذكرها
الله مع زوجها من الذم) أي بقوله وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء بعدها راء حجر لمئ الكف (فلما
وقفت عليهما) أي قربيا من مكانهما (لم تر) جواب لما أي ما رأت (الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها) أي صرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني) أي يذمني (والله لو وجدته) أي حاضرا أو لو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) أي فمه فرجعت خائبة خاسئة (وعن الحكم ابن أبي العاص) والد مروان ابن الحكم عم عثمان بن عفان أسلم يوم الفتح وقد روى أبو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد عنه (قال تواعدنا) أي اجتمعنا وتمالأنا معشرا من الكفار (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على قتل النبي المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) أي في موضع (سمعنا صوتا خلفنا) أي صوتا
عظيما من ورائنا (ما ظننا انه بقي بتهامة) أي بأرضها والمراد بها هنا مكة (أحد) أي حيا هكذا في والمراد
الاصول بقي ووقع في أصل الدلجي لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان ألم به حرف النفي فليس بمنفي بل المنفي ظناه هو البقاء
أي ظننا انه لم يبق بتهامة أحد هذا وتهامة أولها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) أي سقطنا (مغشيا علينا) أي من فزع ما سمعنا وهول
ما ظننا (فما أفقنا) أي ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) أي فرغ عليه الصلاة والسلام منها (ورجع الى أهله) أي مضى كما في نسخة (ثم
تواعدنا ليلة أخرى فجئنا) أي قاصدين له (حتى اذا رأيناه) أي حضرنا وتصور شيء بصورتهما

(وذكر ابن اسحق) امام أهل السير وهو محمد بن اسحق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه
بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره (انها لما بلغها نزول) سورة (تبت يدا أبي لهب وذكرها) مصدر
مرفوع معطوف على نزول (بما ذكرها الله) به (مع زوجها من الذم) بيان لما وهو ما في السورة (أتت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وفي يدها
فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملء الكف أو هو الحجر مطلقا وهو في قوله يهود
خرجوا من فهرهم بيت دراستهم كلمة معربة أصلها بهر بالباء وقوله (من حجارة) بيان لفهر (فلما
وقفت عليهما) أي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر (لم تر الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها)
أي قبض وحبس نظرها (عن نبيه صلى الله عليه وسلم) أي عن رؤيته وهو جالس عندها فاخفاه الله
تعالى عصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم عن أذيتها وهذا يقتضي أن عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم
كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم (فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني) أي يذمني على ان
الهجو لا يختص بالشعر حقيقة أو مجازا أو هو منها التوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل في حقها
في سورة تبت (والله لو وجدته لضربت به بهذا الفهر فاه) خصته لانه محل النطق بذمها فرجعت خاسئة
وهذا رواه البيهقي وغيره عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن اسحق
(و) روى أبو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد (عن الحكم بن أبي العاص) والد مروان وهو ممن أسلم
عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم أبيه ولكن المشهور هو هذا فلذا لم
يميزه المصنف (تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم) أي تواعد هو وبعض الكفرة على قتله صلى الله
تعالى عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد فوقفنا نرقبه (حتى اذا رأيناه) أي لما قرب
منا وأبصرناه بحيث تمكنا منه (سمعنا صوتا) أي صيحة عظيمة (خلفنا) أي من خلفنا (ما ظننا انه لم
يبق بتهامة أحد) ما يحتمل أن تكون زائدة ان كان التقدير انه لم يبق أحد بتهامة الا وقد هلك بتلك
الصيحة وأن تكون نافية اذا أريد ان جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا
فالمعنى انا تيقنا وجودهم خلفنا والمعنيان متقاربان والمآل واحد ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة
بكسر التاء معناها أرض منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض أو شدة الحر والريح أو لتغير
هوائها يقال تهم الدهر اذا تغير وهي أرض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة
لا تهامية ولا نجدية (فوقعنا مغشيا علينا) من هول تلك الصعقة والغشي كالاغماء ذهاب العقل مع
سقوط القوى (فما أفقنا) من ذلك الغشي (حتى قضى صلاته) أي فرغ منها وأتمها (ومضى الى أهله)
أي رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشيء أردناه (ثم
تواعدنا) على ما قصدناه وان نعود لذلك (ليلة أخرى فجئنا حتى اذا رأيناه) بقربنا وهو مار للمسجد ليصلي
به كما في المرة الاولى (جاءت الصفا والمروة) هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان

(فخالتا بيننا و بينه وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم ابن حذيفة) بالرفع هو عبد الله بن حذيفة بن غانم العدوى أسلم عام الفتح وصحب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مقدما فى قريش معظما وكانت فيه وفى بنيه شدة وقد أدرك بنيان الكعبة حين بناها ابن
الزبير فعمل فيها ثم قال قد عملت فى الكعبة مرتين مرة فى الجاهلية بقوة غلام يافع وفى الاسلام بقوة شيخ
فان وهو صاحب
الانبجانيه (ليلة) أى
من الليالى حال غفلة
(قتل رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم)
بالنصب على نزع
الخافض وهو على كما فى
نسخة صحيحة (فجئنا
منزله) أى لنتفحص
حاله (فسمعنا له) أى
صوتا وفى نسخة
فتسمعناله أى اصوته
(فافتتح) أى ابتدأ
القراءة (وقرأ الحاقة)
أى الساعة الواجب
وقوعها الثابت مجيئها
وتحقق الامور فيها
وتعريف حقيتها (ما
الحاقة) خبر المبتدأ أى
أى شئ هى فوضع
المظهر موضع المضمر
تفخيما لشانها وتعظيما
لهولها (الى فهل ترى لهم
من باقية) أى ماترى لهم
من بقية أو بقاء أو نفس
باقية وما بينهما معلوم
من القرآن وتفسيره مما
لا يحتاج الى البيان
(فضرب أبو جهم على
عضد عمر وقال) عمر
(انج) أمر من نجا ينجو
(وفرا) وفى نسخة ففرا
أى ذهبا كلاهما (هاربين) أى شاردين وفيه مبالغة لاتخفى (فكانت) أى القضية وقال
الدلجى أى المواعدة أو قراءة الحاقة (من مقدمات اسلام عمر) أى مقتضياته وكذا من اسلام أبى جهم على ماتقدم (ومنه) أى ومن
قبيل أخذ بصر الاعداء محافظة لسيد الاحباء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهى ما يعتبر من القضية العامة

والمراد بمجيئهما تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم و بينه صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله
(فخالت) أى الصفا والمروة (بيننا و بينه) فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفا كالمروة
مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وأفرد ضميرهما وكان الظاهر فخالتا تأويله بحالت كل واحدة منهما وفى
هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (تواعدت
أنا) أكد ضميره ليعطف عليه قوله (وأبو جهم بن حذيفة) واسمه عامر أو عبيد بن حذيفة بن غانم بن
عامر العدوى أسلم عام الفتح وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معظما فى قريش توفى فى أيام معاوية
رضى الله تعالى عنه وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية (ليلة) منصوب على الظرفية منون (قتل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) منصوب على انه مفعول له أو بنزع الخافض أى على قتله أو لقتله أو
بتقدر رأى وأضمرنا قتله ونحوه (فجئنا منزله) ليلا خفية (فسمعنا اليه) وفى نسخة له وفى نسخة فتسمعنا
أى أطلنا السماع لا تكلفناه كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى أصغينا القراءته حتى نسمعها وهو
يقرؤ فى صلاة الليل (فافتتح) ابتدأ قراءته (وقرأ الحاقة ما الحاقة) حتى انتهى (الى) قوله (فهل ترى
لهم من باقية) يعنى قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا
بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز
نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد بالحاقة ما حق وقوعه بهم من الداهية أو الساعة التى وقعت فيها
من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وما أدراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة
الحد وهى الصيحة أو الرجفة وغايته شديدة العتو والطغيان والحسوم أيام نحسة من صبيحة يوم
الاربعاء الى أربعاء آخر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفى أى ماترى لهم بقية أو بقاء على
انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل فى كلامهم أو نفسا باقية (فضرب أبو جهم على عضد عمر رضى الله تعالى
عنه وقال) لعمر رضى الله تعالى عنه (أنج) أى قم لتنج من وقوع الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما
ماحل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب أولئك رسلهم (وفرا هاربين) أى قاما من محلهما
مسرعين جادين فى الهرب لخوفهما مما ذكر وهو كقوله تعالى فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى
الاول هو تجريد نحوى (فكان) أى ماذكر من هذه القضية (من مقدمات اسلام عمر رضى الله تعالى عنه)
لتأثيرها فى قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه فى مسند أحمد بما يقرب
منه وهو ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال خرجت ليلة لاتعرض رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجلست أعجب من
تأليف القرآن وقلت والله ماهو بشاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون فقلت هو كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخره
فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع وليس فيه انه صحب أبا جهم وفى التعبير بمن التبعيضة اشارة الى ان له
مقدمات أخر الى ان أسلم لما سمع سورة طه فى بيت أخته فى قصته المشهورة (ومنه) أى مما يشهد لان الله
تعالى عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من أعدائه (العبرة المشهورة) بكسر العين المهملة وسكون
الموحدة وهو الامر العجيب الذى يعتبر به و يتعظ من الاعتبار والعبرة هى الحالة التى يتوصل بها من

(والكفاية التامة عندما أخافته قريش) أي خوفوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفي نسخة واجمعت أي عزمت (على قتله و بيتوه) بتشديد التحتية أي دبروه ليلة ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقي عنه عليه السلام (فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على أبصارهم) أي حجبها عن رؤيته (وذرا التراب) بذال معجمة فراء مشددة أي نثره وفرقه (على رؤسهم) قال

الحلبي وكانوا مائة وفي نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف

(وخلاص منهم) أي نجا وتخلص من غير ان يصيبه شيء وفي رواية انه خرج من ظهر البيت طاطأت له جارية اسمها مارية اسمها خادمته عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدار الذي للبيت من ظهره (وحمايته) أي ومنه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) أي له ولابي بكر (في الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجي حال والتقدير وهما في الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله) أي قدره (له من الآيات) أي من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ما قبله (الذي نسج عليه) أي على باب الغار وهو غار ثور جبل بمنة مكة (حتى قال أمية بن خلف) وهو ممن مات كافرا (حين قالوا) أي أصحابه (ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى أدخل فعل

معرفة الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة وأشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين (والكفاية التامة) أي كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال الله تعالى عز وجل يا أيها النبي حسبك الله (عندما أخافته قريش) تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه وأخافه اذا فعل أو قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله (واجتمعت على قتله) أي اتفقوا على ذلك الا القليل منهم لقلتهم لم يعدوا (و بيتوه) أي قصدوا قتله وايقاعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا و يقال لكل فعل دبر بالليل بيت قال الله تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى و يقال هذا أمر بيت بليل أي دبر فعله ليلا ليوقع غيلة على غيره (فخرج عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم من بيته) وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحق والبيهقي (فقام على رؤسهم) أي وقف عندهم وهم نيام (وقد ضرب الله على أبصارهم) أي لم يحسوا به و بروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه عليه الصلاة والسلام (وذر) بذال معجمة وراء مهملة مشددة أي نثر (التراب على رؤسهم) اهانة لهم (وخلص منهم) أي نجا مما دبروه وهموا به وأصل ذلك كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا حين أسلم الانصار رضي الله عنهم خافوا ان يتفاقم أمره عليه الصلاة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله و بيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل في السير وذكر فيها هؤلاء اجتمعوا و بيتوا باسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطأطأت له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذي من ظهر البيت (وحمايته) أي حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من أعدائه ومنعهم (عن رؤيتهم) اياه وأبا بكر وهما (في الغار) أي غار ثور وثور اسم جبل بمنة مكة والغار كالمغار نقرة في الجبل كالبيت وسمي بثور بن عبد مناف لنزوله به و يقال له ثور اطحل وهو اسم جبل آخر خلف أحد (بما هيأ الله) أي بما أعده و يسره له والجار متعلق بحمايته والباء للسببية العادية (من الآيات) بيان لما أي المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته (ومن العنكبوت الذي نسج عليه) نسج سنين في طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث ونسجها خيوط دقيقة تمدها في الهواء لصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يمر به شيء (حتى قال أمية بن خلف) أحد صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا بسرف وهو اسم موضع معروف (حين قالوا) أي كفرة قريش لما قصدوا أثره صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار (ندخل الغار) لتفتيشه لاحتمال انه مختف به (ما أربكم) بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة و يجوز كسر الهمزة وتسكين الراء وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية أو نافية أي ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة (فيه) أي في الغار (وعليه) أي على فم الغار ومدخله وروى ما أرابكم من الريبة أي ما أوقعكم في الشك فيما لا شك فيه (من نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أي أظن واعتقد (انه) قديم (قبل ان يولد محمد) أي قبل

أمر أي رجاء ان يكون فيه مختفيا (ما أربكم فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول أمية أي أي شيء حاجتكم الداعية لدخولكم في الغار (وعليه من نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أي شيء أظن (انه قبل ان يوجد محمد) أي كائن أو موجود على باب الغار وفي نسخة انه الامن قبل ان يولد محمد وفي نسخة ما رابكم بدل ما أربكم أي أي شيء أوقعكم في الريبة وشبه المظنة انه في الغار والحال الخ

وجوده

وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا فى مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل

القنى فى لظى فان احرقتنى * فتيقن ان لست بالياقوت

جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيرى رحمه الله تعالى

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(ووقفت حمامتان) ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا فى محل خال من الناس ووقفت بالفاء وروى بالعين المهملة من وقوع الطائر وهو نزوله بمحل (على فم الغار) أى مدخله (فقال قريش لو كان فيه) أى فى الغار (أحد لما كان هنالك الحمام) لما عرفته آنفا وفى نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله أمر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من فراخهما وفى المواهب ان الحمامتين باضتا فى أسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخله لانكسر البيض وزال النسج وروى أيضا كما تقدم انه نبت فى فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراء وهى شجرة مقدار القامة لها زهر وشئ كالقطن يحشى به الوسائد كما أمرها الله بان تنبت لتسترهما لما أقبل فتيان قريش باسلحتهم حتى أتوا الغار فلما رأوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال أبو بكر لو نظر أحدهم الى قدمه رآنا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة أثرها فانتهى للغار فلما رآهم أبو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته لانه أحب اليه من نفسه وكل شئ واسع أبو بكر فى هذه الليلة غير مرة فزق ثوبه وجعله فى الشقوق التى فى الغار وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله (وقصته) صلى الله عليه وسلم أى ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم والشين وروى فتح شينه أيضا وفى بعض النسخ شجعم بتقديم الشين كما فى المقتفى وفيه نظر وقصته فى الصحيحين وهى مشهورة فانهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلا عظيما وهو ان لكل من قتله أو أتى به ديته فلما خرج من الغار رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوائم فرسه الى ابطها فى الارض لدعائه عليه كما يأتى بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم فى مرجع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين فهو صحابى مدلجى حجازى كنانى وهو الذى أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلبس سوارى كسرى لما رأى ذراعيه دقيقتين أشعرين فى حديثه المشهور المتقدم وقوله (حين الهجرة) أى فى وقت هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر الهاء وفتحها وقد تضم (وقد جعلت قريش) جملة حالية وجعلت من الجعل وهو ما يعطى فى مقابلة عمل ما (فيه) أى فى شان رسول الله والاخبار به (وفى أبى بكر) لانه كان رضى الله عنه معه كما علمت (الجعائل) جمع جعيلة وهى كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بزنة قمل ومعناه تقدم وثلث الجعالة كما قال السهيلى كانت مائة ناقة أى حمراء كما قاله الماوردى فى الاعلام (وانذر به) بالبناء للمجهول أى أعلم

(ووقفت) بالفاء وروى بالعين أى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش) أى كلهم أو بعضهم (لو كان فيه أحد لما كانت هنالك الحمام) أى لكمال نفرته عن الانام (وقصته) أى ومن ذلك قصته عليه السلام كما رواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) أى فى حق النبى (وفى أبى بكر) أى فى أخذهما (الجعائل) جمع جعيلة أو جعالة بالفتح وهى الاجرة على شئ فعلا أو قولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر فتدبر وقد عين السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذر به) على بناء المفعول أى فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة

(فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية أي تبعه رجاء ان يلحقه (حتى اذا قرب) بضم الراء أي دنا منه (دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لما رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضر (فساخت) بالخاء المعجمة أي غاصت وغابت في الارض وانخسفت (قوائم فرسه فخر عنها) أي فسقط أو فنزل عنها (واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين أو بضم ففتح وهي سهام لا ريش بها ولا نصل كان يكتب على أحدها أفعل وعلى الآخر لا تفعل وغيرهما غفل وكان محلها داخل الكعبة عند السدنة كما في تفسير قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام وكان بعضهم يضعها في متاعه وجعبته فاذا عرض له مهم أخرج منها سهما فان خرج له أفعل فعل أو لا تفعل انفعل وان خرج المغفل اعاد العمل وقيل كان المكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي والثالث غفل لا شئ عليه وقيل ان الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها الذلك والاول أعرف وأصل معنى استقسم ضرب بها الاخراج ما قسم الله له من أمره ونهيه طلب معرفة تمييزه بكونه ان خرج له ما يحب فعله أو خرج له ما يكره كف عنه وهذا كله بناء على زعمه (فخرج له ما يكره) أي من الفال وعلى كل قال مع هذا ما التفت عن تلك الحال (ثم ركب فرسه ودنا أو حتى سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) أي النبي (لا يلتفت) أي اليه أو مطلقا (وأبو بكر يلتفت) أي الى سراقة أو الى جوانبه أو الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

سراقة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقال أنذرته بكذا بنون ومعجمة وراء أي أعلمته ويكون الانذار بمعنى التخويف أيضا وكيفية الاعلام مشهورة في السير أيضا وحاصلها ان رجلا أتى سراقة وقال له اني رأيت اسودة بالساحل أظنهم محمدا وأصحابه فقال بعدما عرف انهم هم ليسوا هؤلاء ثم أخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه) أي غاصت في الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة في آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة أهل اللغة وفي القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشئ رسب والارض بهم سيوخا انتهى وثاخت في تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله وقد تحرف على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي ان يفسره بغاصت وهو غلط فاحش منه وقوائم الفرس رجلاها ويداها (فخر عنها) أي سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لما لحقه كما مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتؤنث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض أهل السير ان الصديق رضي الله تعالى عنه له قصيدة قص فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها * من مدلج قابس في منصب واري
يردى به مشرف الاقطار معتزم * كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري
فقال كروا فقلنا ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق الباري
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه * فانظر الى أربع في الارض غوار
فهيل لما رأى ارساخ مهرته * قد سخن في الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي * وتأخذوا موثقي في نصح أسراري

(واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهي قداح أي سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا في الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعضها لا تفعل ويضعونها في متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلما يتفاءلون به فيفعلون أو يتركون وهو معنى الاستقسام أي طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل أي خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل أعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام أخر أي سهام كانت في الكعبة مكتوب عليها النوازل وهي التي استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التي كانوا يقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفأل بها والصحيح الاول (فخرج له) أي لسراقة (ما يكره) أي ما لم يرده لانه أتى ليرده صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر ويأخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم ينته (ثم ركب) فرسه ثانيا بعدما سقط عنها وساخت قوائمها (ودنا) أي قرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سائر يقرؤ (حتى اذا سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت) له لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه (و) كان (أبو بكر يلتفت) وراءه لخوفه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(وقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتينا) بصيغة المجهول أي لحقنا من طلبنا أو لحقونا أو أتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لا تحزن ان الله معنا) أي ناصرنا ومعيننا أو معية خاصة من قرب الرب الينا وفيه ايماء الى ما ورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة (فساخت) أي قوائم فرسه (ثانية) أي مرة أخرى (الى ركبتها وخرج عنها فزجرها) صاح عليها ونهرها (فنهضت) أي فقامت ووثبت (ولقوائمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد أي من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) أي النبي والصديق وعامر

أو ليرى ما يصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له في الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر (فقال) أبو بكر (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (أتينا) بالبناء للمجهول أي أتانا العدو وأدركنا من يطلبنا منهم (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تحزن) وتخف من أتانا (ان الله معنا) أي مصاحبا لنا بتأييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعداء فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن أبي بكر رضي الله تعالى عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه أمر طبيعي ولا نسيانا لقوله له في الغار فان المحب ظنين وضنين بمحبوبه لاسيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بغير طائل (فساخت) قوائم فرس سراقة مرة (ثانية) بعد المرة الاولى (الى ركبتيها) تثنية ركبة هي ما بان من يديها ورجليها (وخر عنها) أي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها (وزجرها) أي صاح عليها (فنهضت) أي قامت وخلصت قوائمها من الارض (ولقوائمها مثل الدخان) أي غبار مرتفع في الجو كأنه دخان كما ورد التصريح به في السير قال ابن سيد الناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا أو يكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفي رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار (فناداهم) أي نادى سراقة رسول الله وأبا بكر الصديق وعامر بن فهيرة رفيقهما (بالامان) أي رفع صوته به قائلا لهم الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تأمينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعداء وطلب منهم والمراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد التصريح بالامانين في سيرة ابن اسحق والى الثاني أشار بقوله (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أي أمر بكتابته له فالاسناد مجازي لقوله (كتبه) أي كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفي رواية ابن اسحق فكتب لي كتابا في عظم أو رقعة أو خرقة ثم ألقاه الي فأخذته ثم جعلته في كنانتي ثم رجعت (ابن فهيرة) مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو من مولدي الازد مملوك للطفيل فاشتراه أبو بكر رضي الله تعالى عنه منه وأعتقه وأسلم وكان يرعى غنما لابي بكر رضي الله تعالى عنه ويجيء لهما كل ليلة في الغار باللبن يتغذيانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا وأحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملائكة دفنته وقيل رفعته الى السماء (وقيل) كتبه (أبو بكر رضي الله تعالى عنه) وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه أولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة أبي بكر رضي الله تعالى عنه لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب تزيد على الاربعين مذكورة في المفصلات وأفردهم ابن أبي الحديد بتأليف مستقل (وأخبرهم) أي أخبر سراقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر رضي الله تعالى عنه وابن فهيرة (بالاخبار) أي باخبار قريش وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعائل لمن أتى بهم أو قتلهم ديتهم كما مر

ابن فهيرة مولى أبي بكر (بالامان) أي بطلبه (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أي أمر بكتابته لقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب في الله قتل ببئر معونة والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام أسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم ابن أبي الارقم ثم ما تقدم هو في الصحيح قال التلمساني اشتراه أبو بكر من الطفيل بن عبد الله بعد ما أسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم في جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر في الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا وشهد بدرا وأحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من الطعنة (وقيل أبو بكر) أي ونقل في السيرة انه كتبه أبو بكر وجمع بان عامرا كتبه أولا فلم يرض سراقة الا بكتابة أبي بكر لسيادته المعروفة في قريش وان عامرا مولاه قال الحلبي وكتابه عليه الصلاة والسلام نيف وأربعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة وأكثرهم ملازمة لكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية ابن أبي سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحي وانما كتب غيره والله تعالى أعلم (وأخبرهم) أي سراقة (بالاخبار) أي أخبار الاغيار من كفار قريش وما جعلوه من

أي سراقة (يقول للناس) أي المقبلين لطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ماههنا) أي ما يتصور وجوده في جهتها أو المعنى ليس أحد ممن تطلبونه ههنا وأغرب التلمساني في قوله أمنتم من خوفكم وعصمتم مما ههنا (وقيل بل قال لهما) أي سراقة (أرا كما دعوتما على) أي بالمضرة (فادعوا الى) أي بالمنفعة (فنجا) أي بعد ما دعواله (ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فكان من مقدمات اسلامه (وفي خبر آخر) غير معروف عند أهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) أي من انهما توجها الى صوب المدينة ونحوها (فخرج) أي من مكانه (يشتد) أي يعدو عدوا سريعا (يعلم) أي حال كونه يريدان يعلم وفي نسخة ليعلم (قريشا) أي بأحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول أي ضرب بعض حجبه (على قلبه) وحبس على خاطره (فما يدري ما يصنع) أي من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسي ما خرج له) أي لاجله أي وفي نسخة اليه أي الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق) في المغازي (وغيره) كأبي نعيم في الدلائل عن ابن عباس انه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو جهل بصخرة وهو) أي والحال انه عليه الصلاة والسلام

(وأمره النبي صلى الله عليه وسلم) أي أمر سراقة (ان لا يترك أحدا) من قريش أي لا يدع أحدا ويمكنهم باخبارهم حتى (يلحق بهم) أي يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لم أرهم ونحوهم ولو كذبا اذ قد يجوز عند الضرورة والحاجة وقد يجب وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقعد مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا قال فكان أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له (فانصرف) أي رجع سراقة عنهم حال كونه (يقول للناس) جملة حالية مضارعية لا تقترن بواو في الفصيح أي قائلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله (كفيتم ماههنا) معناه ارجعوا كفيتم الطلب فاني لم أجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية أي ما هنا أحد وان كان المراد النبي ورفيقه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما ههنا من الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفي الشرح الجديد يدخلط هنا غني عن الرد وذكر ابن سعد رضي الله تعالى عنه انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصري بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا (وقيل بل قال لهما) أي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر رضي الله تعالى عنه ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاءهما لاعتقاده فيهما (أراكما دعوتما على) فلذا كادت الارض تبتلعني (فادعوا الى) بالسلامة فدعواله (فنجا) أي ذهب آمنا مما خافه (ووقع في نفسه) أي خطر بباله ووقر في قلبه واعتقد لما شاهده (ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ظهوره على أعدائه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحق وقال أبو جهل لما بلغه مالقي سراقة فلامه في تركهم فانشده

بني مدلج اني لاخشى سفيهكم * سراقة يستغني بنصر محمد
عليكم به ان لا يفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

فاجابه سراقة بقوله أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا * نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكف الناس عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

كذا في سيرة مغلطاي رحمه الله تعالى (وفي خبر آخر) يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه (ان راعيا) من رعاة الغنم في البرية (عرف خبرهما) أي خبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوقوفه على مكانهما في الغار (فخرج) الراعي من محله (يشتد) أي يسرع في مشيه قال الراغب اشتد اذا أسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما أسرع لاجل ان (يعلم قريشا) بخبرهما ومكانهما (فلما ورد الى مكة) أي جاءها من محله الذي رعى فيه الغنم وأصل الورود المجيء للماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه (ضرب) بالبناء للمجهول أي ضرب الله (على قلبه) أي منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى وضربنا على آذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض ليضرب أوتادها وأصله ايقاع شيء على شيء كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل (فما يدري) ويعرف (ما يصنع) ويقول (وأنسي) مجهول أيضا (ما خرج له) أي ما جاء له من مكانه الذي خرج منه (حتى رجع الى موضعه) الذي جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية (و) في دلائل أبي نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم (جاءه فيما ذكر ابن اسحق) في سيرته (وغيره أبو جهل) عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله تعالى وهو فاعل جاء وقوله (بصخرة) متعلق به أي حجر كبير (وهو)

(ساجدوقريش ينظرون) أى اليه كما فى نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (فلزقت) بكسر الزاى أى اصقت كما فى رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة أى جفت (يداه الى عنقه) أى مغلولتين اليه وممنوعتين من الحركة لديه فى طرحها عليه (وأقبل يرجع) أى وشرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو الرجوع الى الوراء فقوله (الى خلفه) تأكيد لما قبله أو تجريد لمعناه من أصله (ثم سأله) أى أبو جهل (ان يدعوله ففعل) أى دعا له ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولما كان بينهما قرابة ورحما يقتضى لطفا ورحما (فانطلقت يداه) أى عقب مادعا الله تعالى (وكان) أى أبو جهل (قدتواعدمع قريش بذلك) أى بطرح صخرة عليه (وحلف) أى عندهم (لئن رآه) أى ساجدا كما فى نسخة (ليدمغنه) أى ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شأنه) أى عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لى) وفى نسخة له أى ظهر (دونه) أى بين يديه أو حواليه (فحل) أى من الابل أو نحوه (مارأيت مثله) أى عظمة وهيبة (قط) أى أبدا (هم) وفى نسخة فهم (بى) أى قصدنى (ان يأكلنى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل) أى تمثل له بصورة الفحل (لودنا) أى قرب منى (لأخذه) أى أخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة) وهو أبو جهل ابن هشام بن المغيرة أو أحد أقاربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى محا قوة نظره (فلم يره) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (وسمع قوله فرجع الى أصحابه) أى وهو أعمى (فلم يرهم حتى نادوه) أى فعرف مكانهم ثم رآهم أو استمر على عماه

أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد (ساجدوقريش ينظرون) له مايصنع وكان ذهب (ليطرحها) أى ليرمى الصخرة (عليه) وفى نسخة هنا وقد كان حلف ان رآه ساجدا ليدمغنه أى ليضربه بها ضربة تكسر رأسه وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة أحد الشجاج التى ذكرها الفقهاء فى الجنايات (فلزقت) الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولزق بلام وزاى معجمة لغة فى لصق بالصاد بمعنى التصق (ويبست يداه الى عنقه) أى تشنجت بحيث لايمكنه تحريكها (وأقبل) اى انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه (يرجع) أى راجعا (القهقرى) ومعناه (الى خلفه) موليا عن وجهته وفى العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع (ثم سأله) أى سأل أبو جهل لعنه الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعوله ففعل) أى دعا له صلى الله تعالى عليه وسلم لكرمه وحلمه (فانطلقت يداه) أى عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان) أبو جهل (تواعدمع قريش بذلك) أى بطرح الصخرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رآه يصلى (وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه) أى ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه وهى أحد الشجاج يقال دمغه اذا أصاب دماغه فقتله وهذا مقدم فى بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح الياء وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول (فسألوه) أى سأل قريش أبا جهل (عن شأنه) أى أمره ومامنعه عما قصده (فذكر) لهم (انه) أى الشأن أو أبو جهل (عرض لى) أى له كما فى نسخة ففيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال (دونه) ظرف أى حال بينى وبينه (فحل) أى جمل عظيم هائج وهو مخصوص بالبعير الذكر (مارأيت مثله) فى عظمته وشدته (قط) أى فى جميع الزمان الماضى وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة (هم بى) أى عزم على الحملة على والهجوم وقوله (ان يأكلنى) بدل اشتمال من ضمير المتكلم أى هم بأكلى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لما سمع مقالته لهم (ذاك جبريل) تمثل له بصورة فحل (لودنا) أى قرب أبو جهل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالصخرة التى أراد طرحها (لأخذه) وأكله وأهلكه أخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما فى دلائل البيهقى والسير ان أبا جهل قال يامعشر قريش ان هذا الرجل قد أبى الاماترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وآلهتنا وتسفيه أحلامنا وانى أعاهد الله لاجلسن غدا عند الحجر بحجر ما أطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فامنعونى وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم فقالوا والله لانسلمك لاحد فامض لماتريد فلما أصبح جلس ينتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فعل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وله وقائع مثل هذه حماه الله منها وعصمه (وذكر السمرقندى) امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان رجلا من بنى المغيرة) بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد أبى جهل وهذا الرجل قال البرهان لاأعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه أبو جهل (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى غطاه وغشاه حتى لم يره لا انه أعماه وأذهبه بالكلية كما يدل عليه قوله (فلم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه)

(وذكر) أي السمرقندي (ان في هاتين القصتين) أي قصة أبي جهل والتي بعدها وروي القضيتين (نزلت انا جعلنا في أعناقهم اغلالا الآيتين) وفي نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا اليه ليأخذوه فاذا أيديهم مجموعة الى أعناقهم واذا هم عمي لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون (ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق) أي وغيره كما في نسخة صحيحة كالكلبي في تفسيره (في قصته اذ خرج الى بني قريظة) وقال الحجازي وغيره الذي ذكره ابن اسحق وغيره من أهل السير ان ذلك كان من بني النضير وهو سبب غزوهم لا من بني قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابنا الخزرج من ذرية هرون أخي موسى عليه السلام بالتصغير قال الحلبي والصواب أن يقول بني النضير كما في سيرة ابن سيد الناس (في أصحابه) وفي نسخة في نفر من أصحابه أي مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة فيهم (فجلس الى جدار بعض آطامهم) بمد الهمزة أي أبنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة من يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه ينقض ما بيننا وبينه من العهد وأما نقض بني قريظة فسببه غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونقضوا العهد وسيأتي من عند السمرقندي انه خرج الى بني النضير فذكر القصة فهذه هي الصواب (فانبعث) أي فقام وأسرع أشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء أو بكسر وتخفيف والشين معجمة قتل كافرا (أحدهم) وفي نسخة منهم أي أحدهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر ويمد (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بعد اخبار جبريل بذلك كما سيأتي (فانصرف الى المدينة) أي وتبعه أصحابه (وأعلمهم

باسمه فعرف مكانهم وأتاهم ثم رآهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمي وذهب بصره (وذكر) السمرقندي (ان في هاتين القصتين) أي قصة أبي جهل وقصة هذا الرجل (نزلت انا جعلنا في أعناقهم اغلالا الآيتين) يعني فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال البغوي في تفسير هذه الآية نزلت في أبي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف ان رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضخن رأسه وذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى غير قوله انه حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي فأعماه الله الى آخر ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى وفي تفسير القرطبي انها نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر قصة أبي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد بن المغيرة وانه الذي أعمى الله بصره ولم ير أصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن رأسه وانه رجع وقال بعدما خر مغشيا عليه وسئل عن أمره فقال حال بيني وبينه فحل لو دنوت منه أكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الآية فقيل انه معارض لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا أبو جهل وأما كونه من بني المغيرة أو مخزوميا فلا منافاة فيه لان كلا نسبه الى أحد جديه كما مر وأجيب بان قصة أبي جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة مع غيره أو اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الآية تعزير لتصميم أهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا علم ما في كلام البيضاوي من سؤال يجاب كما بيناه في حواشيه (ومن ذلك) أي حفظ الله وعصمته (ما ذكره ابن اسحق) امام أهل السير في سيرته (وغيره) كالكلبي في تفسيره (في قصته) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ خرج الى بني قريظة) بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة (في أصحابه) أي في جماعة منهم أبو بكر وغيره (فجلس) مستندا (الى جدار بعض آطامهم) بالمد والطاء المهملة جمع أطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر (فانبعث) مطاوع بعثه فانبعث أي توجه وقام وأصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا أسرع واندفع (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة وهو من بني قريظة قتل كافرا (أحدهم) أي بني قريظة (ليطرح) من فوق الجدار (عليه) صلى الله عليه وسلم (رحى) يقتله بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة أبدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك (فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة) وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم

(وأعلمهم بقصتهم) أى أخبر بنى قريظة فى نبذ عهدهم وأصحابه بعد انصرافه أو قبله وقد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه القصة ليست مع بنى قريظة كما فى السير وسيأتى أيضا فى هذا الكتاب وانما هو مع بنى النضير وهو سبب غزوة بنى النضير وأما سبب غزوة بنى قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بنى النضير ليستعين بهم فى دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى لحلف بينهم وبين بنى عامر فلما أتاهم قالوا نعينك يا أبا القاسم على ما جئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهم وابه كما مر وقال ابن الملقن انه روى ان بنى النضير لما تواموا والقوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى ما فيه (وقد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم فى هذه القصة نزلت) وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبى صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت فى الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيفه اذ وجده صلى الله عليه وسلم وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة فى بنى قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع ووقع فى بعض التفاسير فتأمله فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه (وحكى السمرقندى انه) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة اليه (خرج) من المدينة (الى بنى النضير) بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر (يستعين) بهم (فى عقل الكلابيين) مثنى كلابى رجل منسوب لبنى كلاب وهى قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير بعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة وأصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما أشار اليه القائل

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها بفناء أهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله تعالى عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه فى الدية لما سيأتى (اللذين قتلهما عمرو بن أمية) وفى نسخة الكلابى بالافراد وقتل مفرد أيضا وعمرو بن أمية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبعثه فى أموره وهو الذى ذهب للنجاشى بكتابه فاجابه وأسلم وزوجه أم حبيبة أسلم بعد أحد وشهد بئر معونة ومات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وهو الذى قتل الكلابى فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هى الموافقة لما فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدى أحد نقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه ونجا عمرو الضمرى وحده أو وصاحب له على اختلاف فى الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بينهم وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطأ فقدم قومهما على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبنى النضير هو وأبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يستعينهم فى العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة فى الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم أجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتى للشيء الذى سألت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما أشار الى

(وأعلمهم) أى بعد انصرافه أو قبله (بقصتهم) أى بما ئلهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفى نسخة ان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية) أى بتمامها (فى هذه القصة) أى قصة بنى النضير (نزلت وحكى السمرقندى انه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين) أى فى دية الاثنين من قبيلة بنى كلاب بكسر أوله (اللذين قتل) أى قتلهما كما فى رواية (عمرو بن أمية) أى الضمرى وفى نسخة الكلابى الذى قتله عمرو بن أمية فالمراد به الجنس اذ صرح أبو الفتح اليعمرى فى السيرة انهما من بنى عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل أصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عقيب العامر بن الطفيل العامرى وذلك للجوار الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقده اذ كان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن أمية

(فقال) أي له كما في نسخة صحيحة (حيي) بالتصغير (ابن أخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك) أي نضيفك مع أصحابك (ونعطيك ما سألتنا) أي من الاستعانة في الدية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر) بالواو والهمزة وهو أفصح أي تشاور (حيي معهم) أي مع يهود (على قتله فأعلمه جبريل بذلك فقام) أي وحده (كأنه يريد حاجته) أي قضاء

حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ثم سار إليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هي الاولى وكان هذه عند القاضي قضية أخرى والله تعالى أعلم بما هو أولى وأحرى هذا وحيي والد صفية أم المؤمنين يهودي قتل على كفره مع بني قريظة صبرا (وذكر أهل التفسير الحديث) السابق المروي (عن أبي هريرة) وفي نسخة ومعنى الحديث عن أبي هريرة وفي أصل الدلجي وعن أبي هريرة والحديث في صحيح مسلم وسنن النسائي (ان أبا جهل وعد قريشا) أي وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته) وفي نسخة على رقبته أي ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم (متقيا)
محذوف أي والله لا موطئة للقسم كما توهم الدلجي (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تلبس بالصلاة (اعلموه) أي أخبروا أبا جهل (فأقبل) أي على قصد أذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) أي أدبر (هاربا) أي فارا (ناكصا على عقبيه) أي راجعا إلى خلفه مخالفا لما

ذلك بقوله (فقال له) أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه (حيي) بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة (ابن أخطب) بزنة أفعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز في حاء حيي الكسر وهو من يهود بني النضير ومن رؤسائهم والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا) من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لأن الطعم بالضم في الاصل المأكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له أي عطية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر) وزاد أبو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحق في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ولا منافاة بين الروايات (وتوامر) بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر أي نظر كل أمر الآخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وآمره وقيل الواو لغة العامة (حيي معهم) أي مع بني النضير أي تشاوروا واتفقوا (على قتله) صلى الله تعالى عليه وسلم بالقاء الحجر عليه (فأعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) الذي أرادوه قبل وقوعه (فقام) من تحت الجدار بسرعة (كأنه يريد حاجة) أي أراهم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها كثيرا (حتى دخل المدينة) ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا ما لهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر وأخذ منهم صلى الله تعالى عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير أبي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما انهم ألقوه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذه جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول (وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة) كما رواه مسلم والنسائي أي رووه بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى أهل التفسير الحديث عن أبي هريرة وهما أحسن مما في بعض النسخ وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير أي وذكره أهل الحديث وعلى هذا فقوله عن أبي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو (ان أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا) جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله (يصلي) جملة حالية (ليطأن رقبته) أي يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمسجد الحرام (اعلموه) أي اعلمه قريش به (فأقبل) متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن أعزه الله (فلما قرب منه ولى) ورجع عن مقصده حال كونه (ناكصا على عقبيه) أي متأخرا راجعا الخلف والعقب مؤخر القدم

(متقيابيديه) أي مادايديه لكن يدفع أمرا يتقيه وفي بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه فهي حال متداخلة أو مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر يخاف عاقبته كما هنا الا انه قيل ان الثاني نادر وذهب الجوهري وصاحب النهاية الا انه يختص بالاول وفي القاموس نكص عن الامر نكاً كاً عنه واحجم وعلى عقبه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه أو هو في الشر نادر انتهى وفي نفود السهم فيما في الجوهري من الوهم كون النكوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت في اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر ليس رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقدم الكلام عليه أيضا في اعجاز القرآن فتأمله (فسئل) أي سأل قريش أباجهل (عن ذلك) أي عن رجوعه كذلك وما سببه (فقال) مجيبا لهم (لما دنوت منه أشرفت) أي اطلعت قريبا مني (على خندق) حفير (مملوءنارا كدت أهوى) أي أقع واسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) أي أمرا مخوفا عظيما لم أرمثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذي أراد اهلاكه (وخفق اجنحة) أي اجنحة يضرب بعضها بعضا لها أصوات هائلة (قدملأت الارض) الذي كان فيها وهي اجنحة الملائكة التي أرسلت لحمايته ونصره صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لودنا) أي قرب منه لايقاع ما قصده (لاختطفته) الملائكة (عضوا عضوا) أي مزقته وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتأويل ممزقا مفرقا كقرأت النحو بابا بابا كما فصله النحاة (ثم أنزل الله) وحيه (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في شان ذلك فقال (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة) يعني ان الى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخره ويناسب ما ذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله * سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان أبو جهل وطغيانه تجاوز حده قيل هذه القصة في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها منه دون التفاسير وهو أمر سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الآية في التفاسير فلا حاجة لذكره (وروى) الراوي له أبو نعيم في الدلائل (ان شيبة بن عثمان الحجبي) بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع برد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصاري أو لانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان ابن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد أولاده الى الآن أسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين وأخرج له البخاري وأحمد في مسنده وأبو داود وترجمته معروفة وما في بعض النسخ الجحمي بجيم غلط من الناسخ (ادركه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي لحق به ووصل اليه (يوم حنين) في غزوتها وهو واد قريب من الطائف معروف (وكان) قبل ذلك (حمزة) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيد الشهداء (قدقتل أباه) عثمان بن أبي طلحة (وعمه) طلحة بن أبي طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللواء أخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المروي في السير ان الذي قتل طلحة علي بن أبي طالب فلما أخذ اللواء أخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبي في تجريده ان الذي قتل أباشيبة علي أيضا وهو مخالف

(متقيابيديه) أي متحفظابهما الشيء ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) أي عن سبب رجوعه واتقائه (فقال لما دنوت منه) أي قربت (أشرفت) أي اطلعت (على خندق) أي واد أو حفير (مملوءنارا كدت) أي قاربت (أهوى) بكسر الواو أي أسقط (فيه وأبصرت هولا عظيما) أي أمرا شديدا يهول ويفزع (وخفق أجنحة) أي وأبصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قدملأت) أي الاجنحة لكثرتها (الارض) أي جميعها (فقال عليه السلام تلك) أي أصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) أي لا الطيور (لودنا) أي أبو جهل مني حينئذ (لاختطفته) أي أخذته الملائكة سرعة (عضوا عضوا) أي بان وقع كل عضو وجزء منه في يد ملك أو جمع منهم (ثم أنزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) أي حقا (ان الانسان ليطغى ان رآه) أي لاجل ان علم نفسه (استغنى) عن ربه (الى آخر السورة وروى) بصيغة المجهول وفي نسخة وروى والحديث لابي نعيم في الدلائل (ان شيبة) وفي نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبي) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة وفي نسخة الجحمي بالجيم المضمومة وفتح الميم خفاء وهي غلط كما صرح به الحلبي (ادركه) أي لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذي المجاز أو ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قدقتل أباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من أخذ الثار كما في عادة الجاهلية

(فقال) أي عثمان (اليوم أدرك ثأري) بمثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها أي دم حميمي من أبي وعمي بانتقامي فيه (من محمد) أي بان اقتله بدل حمزة فانه ابن أخيه وهذا يرد قول من قال انه أسلم يوم الفتح ولعله أظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ان التلمساني ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) أي اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (أتاه) أي عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصيبه عليه) أي فيقتله (قال

فلما دنوت منه ارتفع الي) أي لدي (شواظ) بضم أوله ويكسر أي لهب (من نار أسرع من البرق فوليت هاربا) أي حذرا منه (وأحس بي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاني) أي فجئته (فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي) جملة حالية (فما رفعها) أي يده (عني الا وهو أحبهم الي وقال لي ادن) أي أقرب الي العدو (فقاتل فتقدمت امامه أضرب) أي الناس (بسيفي وأقيه بنفسي) أي واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتقدية نفسي (ولو لقيت أبي) أي والدي فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) أي بأبي وقتلته (دونه) أي دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزا عنه أو مدافعا منه واعلم ان السيرة لابي الفتح اليعمري عن ابن سعد ان طلحة ابن أبي طلحة وهو كبش الكتيبة صاحب اللواء قتله علي ثم حمل اللواء عثمان ابن أبي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره أي رئته وفي التجريد والتهذيب للذهبي في عن ترجمة شيبة ابن أبي طلحة ان عليا قتل أباه يوم أحد ذكره الحلبي ففي نسبة قتلهما الى حمزة نوع مسامحة (وعن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء أي ابن الملوح الليثي وفي نسخة عمير بالتصغير وض عمرو بالواو وهو الموافق لما ذكره الذهبي في الصحابة على ما حرره الحلبي والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس

لما قاله المصنف رحمه الله تعالى كما قاله البرهان الحلبي وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب أباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بدا سحره أي رئته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المصنف رحمه الله تعالى وكلام غيره (فقال) أي شيبة لما ادركه (اليوم) المراد الوقت الحاضر (ادرك ثاري) بمثلثة وراء مهملة بينهما ألف وتهمز وهي الاصل وهو طلب الدم وأخذ حق من قتله (من محمد) لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه (فلما اختلط الناس) في القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم (أتاه من خلفه) بحيث لايراه (ورفع سيفه) بيده (ليصيبه عليه) أي ليضربه و يقتله و يأخذ ثاره و يشفي غليله ممن كان سببا لقتل أبيه وعمه وأصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالآلة كالسيف قال الله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب و يرشحه ان السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده (قال) شيبة (فلما دنوت منه) أي لما قصدت ذلك (ارتفع الي) أي علا وصعد الي من جانبه (شواظ) أي لهب (من نار) والشواظ اللهب مطلقا أو لهب لادخان له أو لايخالطه غيره أو يخالطه شيء آخر وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان مؤكد لان اللهب لايكون الامن النار (أسرع) في ارتفاعه (من البرق فوليت هاربا) خوفا من ان يحرقني (وأحس بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي علم رجوعي عنه (فدعاني) فجئته (فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي) لانه أسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل أبيه وعمه (فما رفعها) أي يده عن صدري (الا وهو أحب الخلق الي) فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد وأثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أحبه (وقال لي ادن) من العدو أومني (وقاتل) في سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله تعالى عليه وسلم له (فتقدمت امامه) بين يديه (أضرب بسيفي) كل من لقيته من الكفار (وأقيه بنفسي) أي اجعلها وقاية له صلى الله تعالى عليه وسلم مانعة عنه (ولو لقيت تلك الساعة) التي قاتلت فيها (أبي لاوقعت به) سيفي وقتلته وفي بعض النسخ (دونه) وانما خص للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى أعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل أبيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة وكان صالحا اذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار بحنين ليغتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزدد في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم أعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه حتى صار أحب اليه من نفسه وأهله وأبيه فلما رجع ودخل خباءه فدخلت عليه كغيري حبا لرؤيته وجهه فقال لي ياشيب الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم أذكره فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك (وعن فضالة بن عمرو)

عن ابن اسحق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام وأبوه عمرو ويقال عمير بالتصغير ابن الملوح الليثي والتصغير أصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس (قال أردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح) أي فتح مكة (وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) الهمزة للنداء وفي نسخة فضالة بدون همزة وحرف النداء مقدر فيه قيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدأ محذوف تقديره أنت فضالة فقال نعم تصديقاله والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما يختلج في صدره أو اجابة لندائه أو اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى (قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك) حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب (قلت لا شئ) أي لم يخطر بقلبي شئ مما ظننته (فضحك فاستغفر لي) أي دعا لي بان يغفر الله لي ما خطر بقلبي (ووضع يده على صدري) ليذهب الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام (فسكن قلبي) أي اطمأن وذهب ما فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة (فوالله ما رفعها) أي رفع يده عن صدره (حتى ما خلق الله شيأ أحب الي منه) وحديثه كما في سيرة ابن اسحق وابن سيد الناس انه أراد قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف عام الفتح وذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ثم قال فرجعت الى أهلي ومررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت أقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والاسلام
أو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
ورأيت دين الله أضحى بيننا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن بحرة بن يحيي بن مالك وليس هو الزهراني فانه تابعي غيره ومن ظنه هذا فقد أخطأ (ومن مشهور ذلك) أي عصمة الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وأبو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق (وأربد بن قيس) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو أخو لبيد بن ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا منافقا ومات على الكفر أيضا (حين وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك وأسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام أفواجا قدمت عليه وفود الناس أفواجا فوفد عليه أربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وغيرهما (وكان عامر قال له) أي لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أي ألهيه حتى تبطش به (فاضربه أنت) وخصه بسره لما بينهما من الصداقة فامتثل أمره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما أمره به (فلم يره) أي لم ير عامر أربد (فعل شيأ) مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويلهيه (فلما كلمه) أي كلم عامر أربد (في ذلك) أي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له مالك لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذر اليه (قال له والله ما هممت ان أضربه) أي أضرب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف (الا وجدتك بيني وبينه) أي أرى جسدك حائلا بيني وبين النبي صلى الله تعالى

(أردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) وفي رواية زاد رسول الله (قلت نعم قال ما كنت) وفي رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لا شئ) وفي رواية زاد كنت أذكر الله تعالى (فضحك واستغفر لي) أي قال غفر الله لك ما خطر ببالك أو أراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفي رواية فضحك النبي ثم قال أستغفر الله (ووضع يده على صدري فسكن قلبي) أي واطمأن بمعرفة ربي (فوالله ما رفعها) أي يده عن صدري (حتى ما خلق الله شيأ أحب الي منه ومن مشهور ذلك) أي مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وأبو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) أي ابن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية كذا قال الذهبي في تجريد الصحابة وقال روى عنه أبو ذبابة ذكره المستغفري واجمع أهل النقل على ان عامرا مات كافرا وقد أخذته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية قال الحلبي ولا شك فيما قاله الذهبي في قصته لما في صحيح البخاري بنحو من اللفظ الذي ذكره (وأربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد ابن ربيعة لامه ولبيد صحابي وكان أربد شاعرا أيضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا بالله سبحانه وتعالى وفيه نزل قوله تعالى فيرسل الصواعق الآية (وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي متفقين على قتله (وكان عامر قال له) أي لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أي بالكلام معه (فاضربه أنت) أي من خلفه (فلم يره فعل شيأ) أي مما قاله (فلما كلمه في ذلك) أي بالمعاتبة عن تقصيره هنالك (قال له والله ما هممت) أي ما عزمت (ان أضربه الا وجدتك بيني وبينه

أفاضر بك) الهمزة الاولى استفهام انكاري والثانية للمتكلم وهو أربد والمخاطب هو عامر قال البرقي في غريب الموطأ وفد عامر وأربد
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعوه ان يجعل الامر بعده الى عامر ويدخلان في دينه فأبى عليه الصلاة

عليه وسلم بحيث لو ضرب ضرب صاحبه (أفاضر بك) انكار له أي كيف أضربك وكان عامر شاعرا
ورئيسا مطاعا في قومه فقالوا له لما جاءت العرب أفواجا للاسلام ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال اني
آليت لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي أفاتبع فتى من قريش ثم قدم هو وأربد على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال له ما قصه المصنف رحمه الله تعالى فخرجا راجعين لبلادهم وفي الدلائل انه قال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خالني يا محمد فقال لا حتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه
بذلك فقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجلا تواعدا منه بان يغزو المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع أصابه طاعون في عنقه فمات في بيت امرأة من سلول فكان
يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية يعني أخس موته في أخس قبيلة فمات كافرا وواروا
جثته التراب ورجع أصحابه لقومهم فقالوا لأربد ما وراءك يا أربد فقال لا شئ لقد دعانا العبادة شئ ولقد
وددت انه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين ومعه جمل له
فاصابتهما صاعقة أحرقتهما فهلك كافرا كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عامرا قدم على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المسجد مع أصحابه وكان من أجمل الناس الا انه كان أعور
فجعل الناس ينظرون لجماله وأخبروا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان يرد الله تعالى به
خيرا يهده فقام وقال يا محمد ما لي ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أتجعل لي الامر من
بعدك قال ذلك ليس الي انما هو لله يجعله حيث شاء قال أتجعلني على الوبر وأنت على المدر أي حكم
البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل الغازية في سبيل الله قال أوليس لي
أعنة الخيل اليوم فقم معي أكلمك فقام صلى الله تعالى عليه وسلم معه وكان عامر وصى أربد اذا خلا به ان
يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروى ان الغدة كانت في ركبته ورويت القصة على وجوه أخر هذه
محصلها كما في السير وكتب التفسير غير ان البغوي والقرطبي في التفسير ذكرا ان أربد دار خلفه صلى
الله تعالى عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو
يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان أربد بن ربيعة والمصنف رحمه الله تعالى قال انه ابن
قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي أربد نزل قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما في التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري
سيد بني عامر في الجاهلية روى عنه أبو امامة كذا ذكره المستغفري ونقله البرهان الحلبي وفيه نظر (ومن
عصمته) أي حفظه الله تعالى له (ان كثيرا من اليهود والكهنة) جمع كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات
ومايقع في المستقبل بما يتلقاه أو يعرفه بفراسته ويسمى الثاني عرافا (انذروا به) أي أخبروا واعلموا
والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه (وعينوه لقريش) أي بينوا ذاته الشريفة لهم (وأخبروهم بسطوته
بهم) أي انه يغزوهم ويقتلهم (وحضوهم على قتله) أي حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا امنه
(فعصمه الله عز وجل) بان حفظه ومنعه من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم بمفرده
(حتى بلغ) الله تعالى بلطفه وحفظه له (فيه أمره) بان نصره وأظهر دينه على جميع الاديان ان الله
تعالى بالغ أمره وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى أقصى الامد والمنتهى مكانا
أو زمانا أو أمرا من الامور المقدرة انتهى (ومن ذلك) أي عصمة الله له صلى الله عليه وسلم وصيانته ما
رواه الشيخان وهو (نصره بالرعب) أي بالقاء الخوف منه في قلوب أعدائه ومن لم يتبعه (مسيرة شهر)
أي في مكان بعيد عنه أقل ما يقطع مسافته في شهر أي في ثلاثين يوما (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم)

والسلام فقال له أكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر فأبى عليه الصلاة والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى له) وفي نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من اليهود) أي من أحبارهم ورهبانهم (والكهنة) أي ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) أي الكهنة اعلموا الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) أي وبينوه لهم خصوصا من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (وأخبروهم بسطوته بهم) أي بغلبته عليهم وشوكته لديهم (وحضوهم) أي حثوهم وحرضوهم (على قتله) أي قبل ظهوره ونصره (فعصمه الله تعالى) أي من كيد كل عدو ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام أي وجدوتم (فيه أمره) وفي نسخة حتى بلغ عنه أمره بتشديد اللام ونصب أمره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين ويضم أي بالخوف في قلب أعدائه (مسيرة شهر) أي من كل جانب له (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما رواه الشيخان

أى انه ثابت بهذا اللفظ فى الحديث الصحيح كما تقدم وهو فى الصحيحين وفى مسند أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين أعدائه أكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله تعالى قال ان ذلك لامته من بعده أيضا ويؤيده ان فى مسند أحمد الرعب يسعى بين يدى أمتى شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر

(فصل) مما أكرمه الله تعالى به صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن معجزاته) أى أموره الخارقة للعادة التى عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتاء المعجزة للمبالغة كهاء علامة أو للتأنيث لان المراد الآية والعلامة أو الخصلة المعجزة (الباهرة) أى البالغة أو الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى أخفاها وهو تشبيه بليغ أو استعارة مصرحة (ماجمعه الله له من العلوم والمعارف) جمع معرفة لامعروف كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثانى بالامور الجزئية أو بما يسبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز أن تكون تبعيضية والاول أظهر (وخصه به) أى جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص أمته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التأليف والتصنيف الذى لم يكن لامة من الامم مع قصر أعمارهم وضعف أبدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفى أيهما الاصل كلام مفصل فى حواشى المطول لاحاجة لنا به هنا (من الاطلاع) أى الوقوف والعلم وهو بيان لما (على جميع مصالح الدنيا والدين) متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به أمر المعاش ومصالح الدين معرفة أحكامه المصلحة لهم فى الدارين ولا ينافى هذا أى اطلاعه على مصالحهم ما قصة بدر فى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم الفداء وكان الاولى به مارآه عمر رضى الله تعالى عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تأبير النخل فلم يثمر فى ذلك العام فقال أنتم أعلم بامور دنيا كم منى امالانه كما قيل كان له حالات وأطوار منها ما يغلب عليه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصر نظره على تفويض الامر لله والتوجه للعلم بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضى الله تعالى عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم بنى أمره فى ذلك على الظن دون الجزم والانبياء قد يظنون فى أمور الدنيا المجردة عن الآخرة ما الامر على خلافه ليس بشئ وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاهدة وتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقى الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد بقى والحكم بالدليل أقوى عنه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسى أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوائد فى ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولم يصبروا ولو صبروا كان خيرا لهم بان يمتثلوا ويصبروا سنين فاكثر فلو فعلوه كفوا ذلك لانه أعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو فى غاية الحسن لمن تأمله وسيأتى تتمته ان شاء الله تعالى (ومعرفته) صلى الله عليه وسلم (بامور شرائعه) التى شرعها الله تعالى له ولعباده على لسانه جمع شريعة وهى فى الاصل طريق مسلوكة ومورده ما يباح نقلت لوضع الهى موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة (وقوانين دينه) جمع قانون وهى لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها أحكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر فى محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع

(فصل) (ومن معجزاته الباهرة) أى آياته الظاهرة (ماجمعه الله له من المعارف) أى الجزئية (والعلوم) أى الكلية والمدركات الظنية واليقينية أى الاسرار الباطنية والانوار الظاهرية (وخصه) أى وما خصه به (من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين) أى ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيأ أو أخرج شيصا فقال أنتم أعلم بامر دنيا كم وأجيب بانه انما كان ظنا منه لاوحيا وقال الشيخ سيدى محمد السنوسى أراد أنه يحملهم على خرق العوائد فى ذلك الى باب التوكل وما هنا لك فلم يمتثلوا فقال أنتم أعرف بدنيا كم ولو امتثلوا وتحملوا فى سنة أو سنتين لكفوا أمر هذه المحنة انتهى وهو فى غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ما والاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بامور شرائعه) أى أحكامه المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) أى من القواعد الكلية المندرجة تحتها الفروع الجزئية

مصالح الدنيا والدين فقد خص مما يخص به بشر قبله فيكون الثانى غير الاول فما وقع قوله ومعرفته الى آخره لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه (وسياسة عباده) أى القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربى من ساسه يسوسه اذا دبر أمره ومن قال انه معرب من سهسا أى ثلاثة قوانين فقد أخطأ ولها معنى آخر عند الفقهاء وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفى القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا أمرتها ونهيتها (ومصالح أمته) المراد أمة الاجابة وأمة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن أمورهم وقضاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم (و) معرفة (ما كان فى الامم قبله) مما وقع لهم وجرى بينهم (من الاختلاف) أى مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التى لا يعلمها الا القليل من أهل الكتاب وعلمائهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أمى نشأ فى أمة أمية ولم يرتحل للبلاد النائية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه أحسن بيان وقرره أحسن تقرير (وقصص الانبياء والرسل) من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة أو بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه (والجبابرة) جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار فى صفة الانسان الذى يجبر نقصه بادعاء منزلة من التعالى لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم ما فيه الكفاية (والقرون الماضية) قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه وأصله الزمان ثم أطلق على أهله قيل يجوز ان يراد الامم التى هلكت ولم يبق منها أحد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه (من لدن آدم الى زمنه) لدن ظرف زمان مبنى ومعرب فى لغة قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة أى أحاط علمه بذلك وأخبر به أمته (وحفظ شرائعهم وكتبهم) ولم يقرأ ولم يكتب (ووعى سيرهم) الوعى الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهى حالة الانسان غريزية أو مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال الله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى أى الى حالتها الاولى أى حفظه وجمعه فى ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه (وسرد أنبائهم) أى سوق أخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها (وأيام الله فيهم) أى وقائعهم التى قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقائع والحروب كأيام العرب وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولا وجه له (وصفات أعيانهم) أى كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع فى الاسراء من ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصفات ذواتهم (واختلاف آرائهم) جمع رأى أى عقائدهم ونحوها (والمعرفة بمددهم) جمع مدة وهى مقدار من الزمن أى كم كانت مدة كل أمة ومدة ملكهم وملوكهم وأنبيائهم (وأعمارهم) جمع عمر بضم العين وفتحها وهى مدة الحياة (وحكم) جمع حكمة وهو قول الصواب المتضمن للنصيحة أى موعظة (حكمائهم) جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة فى عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم (ومحاجة كل أمة من الكفرة) أى ذكر حجته وبرهانه

(وسياسة عباده) أى الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح أمته) أى المتعلقة بأمر زادهم فى حق عبادهم وزهادهم (وما) أى ومعرفته بما (كان فى الامم قبله) أى من أحوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك فى مآلهم (وقصص الانبياء والرسل) أى من دعاة الخلق الى دين الحق (والجبابرة) أى من الكفرة والفجرة المتكبرة (والقرون الماضية) أى فى الازمنة الخالية (من لدن آدم) بضم الدال وسكون النون

وبسكون الدال وكسر النون ويروى من زمن أى من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) أى زمن الخاتم سيد العالم صلى الله عليه وسلم (وحفظ شرائعهم وكتبهم) أى مما قذفه الله فى قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين أى واحاطة أنواع سيرتهم وأصناف طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد أنبائهم) أى وذكر أخبارهم متتابعا (وأيام الله فيهم) أى وقائعه الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة (وصفات أعيانهم) أى أفاضلهم كذا قاله التلمسانى والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين كذى القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأى بمعنى أهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمددهم) بضم الميم جمع مدة أى أيام مكثهم فى الدنيا جملة (وأعمارهم) أى على اختلافها قلة وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف أى والمعرفة بما صدر من أنواع الحكمة عن أصناف حكمائهم (ومحاجة كل أمة) أى مجادلتهم ومغالبتهم (من الكفرة) أى بما يناسبهم فى الدعوة كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولا قدرة لها على مضرة وكمحاجته نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله فدعاهم الى المباهلة فابوا وبذلوا له الجزية وما

(ومعارضته كل فرقة من الكتابين) أي من أهل الكتابين وهما التوراة والانجيل (بما في كتبهم) كمارضة يهود في دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبية أي يسود وجوههما ويحملان على دابة مخالف بين وجوههما يجعل ظهر أحدهما الظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنشد كم الله ما تجدون في التوراة على من زنى قال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله تعالى عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار (واعلامهم باسرارها) أي واعلامه أهل الكتاب باسرار كتبهم (ومخبئات علومهم) أي مخفيات أخبارهم وفي نسخة علومها (وأخبارهم) أي واعلامه اياهم (بما كتموه من ذلك) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة والانجيل (وغيروه) أي بذكر اضداده

وبتصحيفه أو تحريفه لمبناه أو معناه (الى الاحتواء) أي مع احتوائه واشتمال علومه في بنائه (على لغات العرب) أي مع كثرتها واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها في تأديتها من متداولاتها (وغريب ألفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح الراء أي غرائب معاني طوائف العرب في شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) أي بانواع فصاحتها في مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كما في مخاطبته لاقيال حضرموت في محاوراتها (والحفظ لايامها) أي وقائع العرب في الحرب في أوقاتها (وأمثالها) أي كلماتها التي يضربون المثل بها كقولهم ضيعت اللبن في الصيف ونحوها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس أي اشتد حمى تنور الحرب (وحكمها) أي والحكميات الواردة في لسانها مع اللطافة في شان بيانها وسلطان برهانها (ومعاني أشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وكانشاده نحو قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأمثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) أي مما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت أربعين حديثا مما اشتمل كل على كلمتين فقط (الى المعرفة) أي منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) أي من الكلمات البديعة المشيرة الى المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) أي الخفي بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل) لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا المنزل

وما حاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه (ومعارضته) أي مخالفته ورده (كل فرقة) وطائفة (من الكتابيين) أي أهل الكتاب والمراد به التوراة والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابي بياء النسبة (بما في كتبهم) متعلق بمعارضة وجمعها لاشتمالها على ما في غيرهما ولان الجمع باعتبار المعنى كثير (واعلامهم باسرارها) أي دقائق معناها التي لم يطلعوا عليها (ومخبآت علومها وأخبارهم) بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها أي ما خفي عليهم منها (بما كتموه) أي أخفوه كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة رجم الزاني المشهورة (من ذلك) الاعلام وما معه (وغيروه) بتحريف لفظه وتأويله بغير معناه (الى الاحتواء) أي الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجمع السابق أول الفصل لتضمنه معنى ضم أو الى بمعنى مع (على لغات العرب) جميعها من غير قوده (وغريب الفاظ فرقها) جمع فرقة وهي الطائفة المتفرقة (والاحاطة بضروب فصاحتها) تركيبا وافرادا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم (وأمثالها) جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده (وحكمها) أي جوامع كلمها في النصائح فان العرب معروفة بذلك وحكماء العرب وحكمهم مشهورة (ومعاني أشعارها) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها (والتخصيص) أي تخصيص الله اياه بنطقه (بجوامع كلام العرب) أي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة وقد يراد به القرآن وليس بمراد ومفرده جامعة (الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة) الامثال المتقدمة أمثال صادرة ممن قبله وهذه أمثال ابتدعها صلى الله تعالى عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر أو بدل مما قبله أو متعلق به بعد تقييده والى فيها بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فاكثر الا على هذه الوجوه كما قرروه في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا طبعه وصاغه وانها صادرة كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعاني في النفوس وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه في الكشاف (والحكم البينة) أي الظاهرة في نفسها المظهرة لامور بديعة ومعان لطيفة (لتقريب التفهيم للغامض) أي المعنى الخفي الدقيق وهو في الاصل المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثاني بالتفهيم وقوله (والتبيين للمشكل) أي اظهار ما التبس وان كان غير غامض وأصل معنى الاشكال

كونه غير متميز عن اشكاله وأشباهه وهو متعلق وراجع للحكم البينة (الى تمهيد) أى بسطه بتوطئته له وبيان مقدمات (قواعد الشرع) أى أساسه وقضاياه وأصوله الكلية المحمدى الذى جاء بوحى من الله (الذى لا تناقض فيه) أى لا تخالف بين قضاياه وأحكامه لاحكامه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولا تخاذل) بخاء وذال معجمتين ولام تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو واستعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه متناسبة متعاضدة كما ان القرآن يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مشتملة على انه لا يخذل أخاه اذا ظلم لاقتضاء قواعد الشرع استواء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل فى جريان أحكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير لم يأت بشئ يعتد به (مع اشتمال شريعته) وتضمنها واحتوائها (على محاسن الاخلاق) أى على بيانها للناس وحث الناس على التحلى بها وقد ورد فى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغيير ولذا ورد فى الشرع النهى عن الاخلاق الرديئة والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد (ومحامد الآداب) جمع محمدة وهو ما يحمد فعله والآداب بالمد جمع أدب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تأديبى وهو من اضافة الصفة للموصوف أى الآداب المحمودة وفسر الادب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل (وكل شئ مستحسن) عند أرباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق (مفضل بزنة) اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة كما قاله أو مفضل على غيره أو فصله للناس تفصيلا (لم ينكر منه ملحد) أى عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل نخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ولا يبطله انتهى (ذو عقل سليم) مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه عن العدول عن الحق (شيأ) مفعول ينكر (الا من جهة الخذلان) تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله تعالى بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام يعنى لا ينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة أحواله ثم ترقى عما ذكره فاضرب اضرابا انتقاليا أو ابطاليا الانكاره باثبات ضده فقال (بل كل جاحد) أى منكر (له) أى لما ذكر مما قدمه (وكافر) بما جاء به (من الجاهلية) أى أهلها (به اذا سمع ما يدعو) صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق (اليه) من الحق المبين (صوبه) أى اعتقد أنه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تأباها العقول السليمة والطباع المستقيمة (واستحسنه) أى عرف حسنه واعترف به (دون طلب اقامة برهان) وحجة (عليه) أى على ما أتى به لظهور حقيقته كنار على علم كعبد الله ابن أبى سلول وغيره مما ذكر فى كتب الحديث والسير (ثم ما أحل لهم من الطيبات) أى اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما حرمه غيره كبنى اسرائيل الذين حرموا كل ذى ظفر من البقر والغنم لحومها الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعى الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة فى ذلك بالطباع السليمة (و) اشتمال شريعته على ما (صان به أنفسهم)

(الى) أى مع (تمهيد قواعد الشرع) أى مما شرع لنا من طريق الاصل والفرع (الذى لا تناقض فيه) أى فيما أرسل الينا وفى نسخة فيها أى فى قواعده لدينا (ولا تخاذل) أى ولا تعارض (فيما أنزل علينا) أى لا كثيرا ولا يسيرا كما قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال شريعته) أى المضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) أى فى طريقته (ومحامد الآداب) أى الموروثة لجامع الاحوال فى حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد أى مبين ومعين وفى نسخة بالمعجمة أى مفضل على غيره كما يشير الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) أى من شرعه ولو هو (ملحد) أى جائر لكنه (ذو عقل سليم) أى أو طبع قويم (شيا) أى أصلا (الا من جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) أى منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية اذا سمع ما يدعو اليه صوبه) أى فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) أى كما سبق من كلام المغيرة وأبى جهل وأبى طالب (ثم ما أحل لهم من الطيبات) أى مما حرم على من غيرهم منها كلحم كل ذى ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير مما أحل لغيرهم كالخمر (وصان) أى وما حفظ (به أنفسهم) أى دمائهم

من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو في العرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو المراد واختلف في معناه الحقيقي لغة فقيل هو ما يمدح به المرء أو يذم سواء وصف به دون اسلافه أم لا وفي الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفي حديث أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم ففسر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي يقال هو طيب العرض أي الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير (وأموالهم) فمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله (من المعاقبات) بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس (والحدود) كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر (عاجلا) أي في الدنيا وهو حال مقيد للعاقبات والحدود (والتخويف بالنار آجلا) في الآخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار أي نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة أم لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة أيضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من أصاب من ذلك شيأ فعوقب فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد في الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا أدري الحدود كفارة لاهلها أم لا فقيل الاول أصح وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ وقوله (مما لا يعلم) بالبناء للمجهول أي لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من أول الفصل الى هنا (ولا يقوم به جملة) أي بحفظه وتيقنه كما هو حقه وبه فسر القيوم بل (ولا ببعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) أي لازم دراسة الكتب واجتهد فيها (والعكوف على الكتب) السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشئ وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا تأييد لانه منحة الهية خصه الله تعالى بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه فاعرفه فانه في غاية الظهور (ومناقثة بعض هذا) الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما في القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما في بعض النسخ من انه بالفاء مفاعلة من النفث وهو تفل الريق من الساحر والراقي ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في الدقة وكأنه المراد أي والدقيق في بعض هذه الامور وقوله مما لا يعلم الى هنا ساقط من أكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح (الى الاحتواء) أي مع اشتمالها أو مضموما الى الاشتمال (على ضروب العلم) أي أنواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل أيضا (وفنون المعارف) أي أقسام المعرفة المتعلقة بأحوال الدنيا وأهلها كان ضروب العلم المراد بها ما يتعلق بالشرائع والآخرة فهو من عطف المتغايرين لا من غيره على انه تفنن والفرق بين العلم والمعرفة مشهور (كالطب) أي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الناس به كما في طب النبوي وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان في اللغة وهو مثلث الطاء مشدد الباء (والعبارة) بكسر العين المهملة أي تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف الباء والناس يشددونها وقد انكره بعض أهل اللغة الا انه سمع في بيت أنشده المبرد رحمه الله تعالى في الكامل وهو قوله

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم أقف عليه (والفرائض) جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرائض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم الفقه أفرد بالتأليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرائضي (والحساب) هو علم يتعلق بالعدد ولابتناء الفرائض عليه في

(واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض (وأموالهم من المعاقبات والحدود) أي المرتبة على أسبابها كالقصاص وحد القذف والسرقة (عاجلا) أي في الدنيا (والتخفيف) وفي أصل الدلجي والتحريق (بالنار عاجلا) أي في العقبى (مما لا يعلم ولا يقوم به) أي بعمل كله (ولا ببعضه الا من مارس الدرس) أي من درس الكتب الالهية (والعكوف على الكتب) أي القيام والاطلاع على كتب العلماء الربانية (ومثافنة بعض هذا) بالمثلثة والفاء والنون أي متابعة بعض ما ذكر (الى الاحتواء) أي مع اشتمال شريعته (على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب) بكسر الطاء وتثلث (والعبارة) بكسر العين أي التعبير للرؤيا (والفرائض) أي المتعلقة بالارث (والحساب) أي كمية الاعداد

(والنسب) بفتحتين أي معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) أي أنواعها الآتي بعضها (مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجي أي في شريعته والظاهر في هذه المعارف (قدوة) بضم القاف وكسرها وتفتح أي مقتدى (وأصولا) أي قواعد كلية (في علمهم) أي في أساس علومهم (كقوله عليه الصلاة والسلام) على ما رواه ابن ماجه عن أنس (الرؤيا لاول عابر) أي معبر ذي رأي ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة اذا أصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول انى اعتبرت الحديث والمعنى انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمرأة بالضلع أخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا (وهى) أي الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه أبو داود والترمذي وصححه أي قدر جار وقضاء ماض وحكم نافذ من خير أو شر أو نفع أو ضر وقال ابن قتيبة أراد انها غير مستقرة يقال للشئ اذا لم يستقر هو على رجل طائر وعلى قرن ظبي وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعني ان الرؤيا هي التي يعبرها المعبر الاول فكأنها سقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذي يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى   فقيل

والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشئ متعلق برجل طائر يسقط بادنى حركة فاذا عبرها أول عابر فكأنها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شئ فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه أي حركاته في عبادته ومعاملاته في ذمته غير منفكة عنه

الاكثر قرنه به (والنسب) أي معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغير ذلك من العلم) وانواعه (مما اتخذ أهل هذه المعارف) لو قال أهله كان أظهر وأشمل وأخصر (كلامه صلى الله عليه وسلم فيها) أي في هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير للشريعة أي في شريعته وهو خلاف الظاهر (قدوة وأصولا) أي ادلة مثبتة لها أو قواعد وضوابط يرجعون اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم (في علمهم) أي علومهم التي دونوها في هذه الفنون (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه ابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنه (الرؤيا) أي ما يرى في المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال في غيره رؤية بالتاء ورأيا (لاول عابر) متعلق بمقدر أي مصادفة وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر هو الذي يبين الرؤيا ويفسرها وأول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر أي فسروها بما يناسب ألفاظها كما اذا قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما في النهاية وهى عند أهل السنة أمر يلقيه الله تعالى في قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح في النوم تفارق البدن وتتصل بالملأ الاعلى فيلقى اليها ما يفيضه على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يأول بغيره ومنها أضغاث أحلام ودعابة الشيطان لا تأويل له ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيأ أسود وليس كل رؤيا كذلك كما توهمه كلام الاطباء وانكار هذا القسم لا وجه له أيضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها وأقسامها مبسوط في محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا الاكل عابر وظاهر كلام أهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا رأى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال ما قال لك قال قال أراه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضى الامر (و) قوله و(هى على رجل طائر) رواه أبو داود والترمذي عن أبي ذر رضى الله عنه وصححه يؤيده بل بعينه وأول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا أو لبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير أو شر قدر لصاحبها فكأنها بصدد وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطائر يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع في بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر اذا قص وقع ولا أدرى هل هى رواية بالمعنى تطرقا أو رواية وفيه تورية في القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا أي ذكرها للعابر فوقع محتمل لمعنيين أيضا من الوقوع والسقوط وقد نظمه بعض المتأخرين فقال

رؤيا اذا قصصتها * وافت كبدر قد طلع * على جناح الطائر * فهو اذا قص وقع

وهذا الحديث روى من طرق اختلف العدد فيها فروى سبعين وأربعة وعشرين وستة وأربعين جزأ والاخير من رواية البخاري وجعلها جزأ من النبوة لان رؤياهم وحي صادق

(وقوله) أي كما رواه الشيخان وغيرهما اهـ ذا وقد قيل الرؤيا أمثال يضربها ملك الرؤيا والله يعلم بها من يشاء روي ان امرأة أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت رأيت كأن جائزة بيتي قد انكسر فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل ذلك فأتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت أبا بكر رضي الله تعالى عنه فأخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصصتها على أحد قالت نعم قال هو كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) أي ثلاثة أنواع (رؤيا حق) بالاضافة أي ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء والاصفياء فانها تخرج على وجهها أو على نحو ما أول بها (ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه) فيراها في منامه فهي أضغاث أحلام وخيالات منام (ورؤيا تحزن) بالجزم وفي نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى في منامه ما يكون سببا لحزنه كما في حديث مسلم جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت في المنام كان رأسي قطع فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اذا ألم الشيطان باحدكم في منامه فلا يحدث به الناس وفي رواية اذا رأى في منامه ما يحبه فليحمد الله واذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره (وقوله) أي فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفي رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة ويؤيده حديث في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالي على الحقيقة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان أصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت ادراك الثمار حين يستوي الليل والنهار وفي بعض الاخبار أصدق الرؤيا بالاسحار رواه أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي عن أبي سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل ما يتعلق بعلم من العلوم المذكورة

فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوحي اليه احدى وعشرين سنة ستة منها مناما والباقي وحي يقظة على أنواع بينوها وجاءت امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت رأيت ان جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد أعور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم رأتها بعد ذلك فقصتها على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا الا انها في زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت فسقوطه مجيئه قال

فاسقط علينا كسقوط الندا * بالليل لا ناه ولا آمر

وأول العور بالبر لغض بصره عن المحرمات وفي وقت كلامها لأبي بكر رضي الله تعالى عنه كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشاءم به فالمنام واحد اختلف تأويله بحسب الحال وأمثاله كثيرة (وقوله) صلى الله عليه وسلم (الرؤيا ثلاث) أنواع (رؤيا حق) بالاضافة والتوصيف والظاهر الثاني وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية أي رؤيا هي حق فالمعنى واحد (ورؤيا يحدث بها المرء نفسه) المراد انها خواطر تخطر بالبال لامور مفاضة من عالم المثال والملك يشبه من يحاور غيره في خلوة لما يورده عليها من الاماني والاوهام وهو في معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعني انه رأى في منامه ما كان في فكره قبله وهو من أضغاث الاحلام (ورؤيا تحزين من الشيطان) بأن يلقي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله تعالى من شره ويتفل عن يساره أو يصلي ركعتين ان انتبه ولا يحدث به أحدا قال السيوطي رحمه الله في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن أبي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال وأحب القيد وأكره الغل والقيد ثبات في الدين فلا أدري أهو في الحديث أم قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا في ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الى آخره فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على أبي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطي اعتمده وكذا المصنف رحمه الله تعالى فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان وخامسا وهو ما يهم به المرء في يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشيء لأنه راجع لما ذكر أو ما في معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت (وقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة مسندا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب)

في العلل عن أنس وضعفه وابن السني وأبو نعيم في الطب عن علي وعن أبي سعيد وعن الزهري مرسلا (أصل كل داء البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء أي التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام في العادة وعلاجه أولا بالقيء وثانيا بالاسهال (وماروى عنه) أي عن النبي عليه الصلاة والسلام (في حديث أبي هريرة) كما رواه الطبراني في الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) لجمعها الطعام كجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) أي تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لابد ان الانام (وان) وصلية (كان هذا) أي الحديث (حديثا) وفي نسخة وان كان هذا الحديث (لا يصححه) أي لانحكم بصحته بل ولا بثبوته (لضعفه) أي لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) أي عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطني) أي مضعفا له والله سبحانه وتعالى أعلم (وقوله) كما

لتقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتنفتح الازهار وبرق النسيم فتعدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقي مايفاض عليها ولذا قال أهل التعبير أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا اقتربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة لما في الحديث في أيامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا السعتها عليهم أولغير ذلك وذهب كل الى ترجيح أحد الوجهين لورود مايؤيده وقوله لم تكد الى آخره نفي للكذب بابلغ وجه برهاني لان مالايقرب من الوقوع أبلغ مما لايقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والقرينة وأجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه أقوى وعقله أتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرات (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلاوجه لما قيل من انه لاصحة له (أصل كل داء) أي مرض وتغيير مزاج (البردة) بوحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهي التخمة الا كثار من الطعام حتى لاتقدر المعدة على هضمه سميت به البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية أخلاطه والمراد بكونه أصلا لذلك انه منشؤه ومبدؤه في الغالب

فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

(وماروى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط كما يأتي بيانه والمصنف لم يثبته (في حديث أبي هريرة من قوله) صلى الله عليه وسلم (المعدة) بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر (حوض البدن) تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقي منه وقيل شبهها به بعروق الشجر والبدن بفروعها وهو مكدر لما في الحوض من الصفاء والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله (والعروق اليها واردة) جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان للماء مفرد أو جمع وارد فشبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق تنقسم الى شريانات واردة كما ذكره أهل التشريح (فان كان هذا حديثا) خبر كان وقوله (لانصححه) أي لانحكم بصحته خبر ما الموصولة قبل وروي حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب أولى (لضعفه وكونه موضوعا) بالجر ترق من ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدأ خبره (تكلم عليه) الامام أبو الحسن (الدارقطني) نسبة لدار القطن محلة ببغداد ولايرد على المصنف رحمه الله تعالى انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك في ذكره مع بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري عن أبي هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري الازيد بن أبي أنيسة تفرد به الرهاوي وقوله تكلم الى آخره أي بحث في سنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه أبو قرة الراوي عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن أبي هريرة وكلا الروايتين عن أبي هريرة لم يصح ولايعرف من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أبجر وقيل انه من كلام الحارث بن كلدة وعن ابن منبه مايقرب منه وذكر ابن أبي الدنيا انه أجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية والحكماء على ان رأس الحكمة الصمت وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت الازمة دواء والمعدة داء وعودوا كل بدن مااعتاده (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (خير ماتداويتم به السعوط) بفتح السين وضم العين وواو وطاء مهملات وكذا كل مايداوى به فانه على فعول بالفتح وهو مايجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد

(واللدود) مايسقاه المريض فى أحد شقى فمه (والحجامة) بكسر أوله (والمشى) بفتح فكسر فشدة المسهل ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمى به لحمله صاحبه على كثرة المشى الى الخلاء (وخير الحجامة) أى وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) أى من كل شهر (وتسع عشرة) بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر أى يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل فى الوجود أيضا وفى قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه أصل هنالك وأبعد الدلجى فى قوله بحذفه المميز كما فى حديث من صام رمضان فاتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر وأما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفى العود) أى وفى قوله كما رواه البخارى عن أم قيس فى العود (الهندى) قيل هو القسط البحرى وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة أشفية) قيل المراد بها الكثير (منهاذات الجنب) كما فى حديث وخص بالذكر لانه أصعب داء قلما يحصل فيه شفاء (وقوله) أى كما رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب (ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لابد) أى بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس وفى أصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة

الدماغية ومنع النزلات (واللدود) بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو ما يجعل فى أحد شقى الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالبا وهما فى الاصل اسمان لمرضين فى الرأس وأعلى الحلق ويسمى الثانى نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وأمرهم بما ذكر وهو العود الهندى يحل فى الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو مأخوذ من اللديد وهو جانب الوادى كما قاله الاصمعى وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه مرض خفى لا يعرفه أكثر الاطباء قديما فضلا عن زماننا وفى الهدى النبوى لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء للصدور (والحجامة) وهى مص الدم بآلة معروفة فى الرأس وبين الكتفين وهى فى مؤخر الدماغ تورث النسيان وهى دواء للشقيقة فى الرأس مع انه مرض مزمن وورد فيها أحاديث منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما مر ليلة الاسراء بملأ من الملائكة الا قالوا له مر أمتك بالحجامة (والمشى) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا وسمى به لان صاحبه يكثر المشى للخلاء وفى الحديث لو كان شئ فيه شفاء من الموت لكان فى السنا ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه (وخير الحجامة) أى أنفعها بعد نصف الشهر (يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) فى الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما وصححه وأبو داود عن أبى هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر أو ذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة فى يوم الاربعاء والسبت والاحد وروى عن ابن حنبل انه كره الحجامة فى هذه الايام وانما كانت الحجامة فى النصف الاخير والربع الثالث من الشهر أنفع لان الاخلاط تهيج فى أوله وتسكن بعده لهبوط القمر فلا استفراغ فيه أقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغى أن يكون فى الساعة الثانية أو الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع ولا شبع ولا فى الصوم (وفى العود الهندى سبعة أشفية ٢) والمراد بالعود الهندى العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو مبين فى باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع أمراض الكبد والربع والسبعة علمت بالوحى وما عداها بالتجربة (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) شبه البطن بالوعاء الذى فيه الطعام وفى بعض النسخ من بطنه والشرية فى البطن محققة لانه يضر ويورث الكسل المانع من العبادة وفى المفضل عليه تقديرية (فان كان لابد) أى ان لزم وأصل معنى البد المفارقة يقال لا بد من كذا ولا محالة أى لا مفارقة ولا تحول فاريد به لازمه (فثلث) من البطن (للطعام وثلث للشراب وثلث) يكون خاليا (للنفس) أى لدخوله وخروجه وهذا ايماء الى انه لا ينبغى ملؤه بتمامه وأن يكون ما فيه أقل من ملء ثلثيه وهذا بعض حديث رواه ابن ماجه والترمذى وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث الى آخره وجعله من طبه لانه بين مبدأ الصحة والمرض ومقدار ما يكفى البدن وربما يتوهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض أهل الكتاب ليس فى كتابكم

٢ قوله منهاذات الجنب موجود بأصل الهامش فقط فليحرر اه

(وقواه) أى فى علم النسب كما رواه أحمد والترمذى (وقد سئل عن سبا) بكسر الهمزة وبفتحها وبابدالها ألفا كما قرئ بها فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية (أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رجل) أى هو أبو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) أى ولد له عشرة أولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) أى أخذوا نحو اليمن فتولدوا ونزلوا فيه وأكثر قبائله منهم وهم كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية لان الايمان بدأ من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشأم أربعة) أى أخذوا نحو الشام وهو من العريش الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) أى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) أى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل أو المفعول ورجحه التلمسانى أى اضطربت واختلفت والتجأت أو التجئت (على شغلها بالنسب) أى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب (الى سؤاله) أى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك ما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) أى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح ممنوعا قبيلة معروفة من اليمن (رأس العرب) أى أساسها وأصلها (ونابها) أى عمدة أهل كلامها الشرفهم فانهم ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن خليل الرحمن

الطب فقال له بعضهم قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب ولم يراع فى اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال (وقوله) عليه الصلاة والسلام فى حديث رواه الترمذى عن فروة وأحمد عن ابن عباس مسندا (وقد سئل عن سبأ) بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ألفا وعلى همزه يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفى مسماه (أهو رجل أم امرأة أم) هو اسم (أرض) كان يسكنها او ينزل بها (فقال) هو اسم (رجل) سمى باسمه أرض وهى مدينة بلقيس باليمن فلاخلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه أريد به قبيلته فان أريد به الارض فباعتبار البقعة (ولد عشرة) من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة (تيامن منهم ستة) أى سكن اليمن فتولد منه أكثرهم ونسبوا اله وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علماء النسب وأهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة (وتشأم أربعة) أى سكنوا الشأم بالهمزة وقد تمد وتبدل ألفا وهو من الفرات الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدى فى تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون وافخاذ ليس هذا محل تفصيلها (الحديث بطوله) بالنصب أى أذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر على بعض منه يكفى فيما أراده وترك الباقى لطوله والغنى عنه واختلف فى وجه تسمية الشأم شاما فقيل لانها فى جانب اليسار ويقال له شامى كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشأمة لسامات حمر وسود فيها (وكذلك) أى مثل ما تقدم من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب (جوابه) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة (فى نسب قضاعة) فى حديث رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة أبو حى من اليمن لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن أصل الحائط وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من أسماء الفهد أو كلب الماء (وغير ذلك) المذكور (مما اضطرت) بالبناء للمفعول وهو لغة القرآن الفصحى أو الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال الله تعالى *أمن يجيب المضطر اذا دعاه (العرب على) أى مع (شغلها) بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والاول هنا أولى أى اشتغالها وتقييدها (بالنسب) أى بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط أنسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا (الى سؤاله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عما اختلفوا فيه) لخفائه عليهم (من ذلك) أى معرفة ذلك أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم مما جل أمرهم ضبطه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعتنى به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته بالانساب وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم (و) قوله (قوله) مبتدأ وه أى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزاز (حمير) وهم قوم من العرب بوزن درهم بن سنان بن يشخب (رأس العرب) أى منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الرأس من الجسد (ونابها) وهو سن كبير خلف الرباعية أى هم عمدتهم ومن أشدهم وهم

من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل (ومذحج) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطي سميا باسم أكمة ولدتهما أمهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال الجوهري أصلية فوزنه فعلل ووهم فيه فإنه عمل في كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله (هامتها) أي رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء وهي لحمة بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن في التعبير فان الرأس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما في اساغة الطعام الذي هو سادة الحياة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة أشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان في حمير مع الشرف شدة وقهرا وفي مذحج لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ أو المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه في حديثه المشهور أمن هامها أم من لهازمها أي أشرافها أو أوساطها يدل على تفضيل حمير (والازد) بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين أفصح كما في القاموس أبو حي باليمن منه الانصار ويقال للازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث (كاهلها) بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من أعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل والحمل وقيل ما بين كتفيه أو موضع العنق في الصلب (وجمجمتها) بضم الجيمين وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي عظام الرأس وتطلق على الرأس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة أيضا اسم قدح ونقل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان أشرف كالمهاجرين والخلفاء فهم لهم الفضل بمعاونتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم (وهمدان) بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة (غاربها) هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف (وذروتها) بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة أي أعلاها وسنامها ففيه من المعرفة بانساب العرب ومنازلها في الشرف والاحاطة بأحوالها ما لا يهتدي له سواه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل أراد بالذروة أعلى السنام وان مخايل الضعف والنكارة لائحة على هذا الحديث لتكرر ذكر الرأس بألفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت أما انكاره من جهة الرواية فسلم وأما من جهة تكراره المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه للاستدلال به وهو عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أبي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظ قوله في جميع ما وقع هنا بالجر رواية عن المصنف وان جاز رفع بعضها (ان الزمان قد استدار) أي عاد لما كان عليه كالدائرة التي ترجع انتهاؤها الى ابتدائها (كهيئته يوم خلق الله السموات والارض) وتتمة الحديث السنة اثنى عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب منفرد بين جمادى وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا أهل حروب وغارات فربما أتاهم بعض الاشهر الحرم وهم يحاربون فيشق عليهم الترك فيجعلونه وينقلونه من شهر الى آخر ويستمر نقله من شهر لآخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر عامين فوافق حجة أبي بكر العام الثاني من حجة ذي القعدة فلما حج صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع وافق حجة شهر ذي الحجة المشروع فوقف كما هو الآن فخطب وأعلمهم ان حجه في هذا الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لدور الشهور في الجاهلية وانما هو أمر شرعه الله وقدره في الازل وأمر به نسخا لما كانوا يفعلونه وأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لا يبدل ويدور دور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما في علم الله وقضائه قديما وهو ومعنى قوله يوم خلق الله الخ فنسي النسيء

المهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهو وسط الرأس أي أشرفها أو رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتي في الحلق وهو اشارة الى تمكنهم في الشرف وعلوهم وأصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاي الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر ما بين كتفيه وهو محل الحمل أي عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ أي سادتها وقيل جماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة (غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها وبفتح وسكون الراء أي أعلاها والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين ما لهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) أي في علم الحساب كما رواه الشيخان عن أبي بكرة (ان الزمان قد استدار)

(٣٠ شفا ث) أي رجعت أشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسيء الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التي ذكر في خطبتها هذا الحديث في السنة التي استدار فيها (كهيئته) أي ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض

ونسخ وكانوا اذا أرادوا ذلك يقوم رجل من بني كنانة لانهم أهل غارات على جمل بالموسم و ينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم يحج صلى الله تعالى عليه وسلم قبله وأرسل أبا بكر رضى الله تعالى عنه بالعهد ليظهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس في الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل بشرف شمس النبوة وقال الصدر القونوي في شرح الاربعين حديثا له ان في هذا الحديث أسرارا الهية لايطلع عليها الا بعض الكمل ثم قال ان النوع الانساني أوجد بالامر الالهي في أول دورالسنبلة ومدته سبعة آلاف سنة بعث نبينا صلى الله عليه وسلم في الالف الاخير منها الجامع بين أحكام السنبلة والميزان المختص بالآخرة والبروج تتمازج بالقرب فامتزج في زمان بعثته الدنيا بالآخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لامساس له به ولا ينبغي ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه عليه الصلاة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (في الحوض) أي في شأن حوضه الذي يكون يوم القيامة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لانظمأ بعدها (زواياه سواء) جمع زاوية وهو ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وسواء بمعنى متساوية وهذا يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه لاتتساوى زواياه الا اذا استقامت اضلاعه وهذا أمر مبني على المساحة ودقائق الهندسة وذكر ابن أبي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب فقال انه ايماء الى انه ليس بظل لان المثلث لاظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال وهذا لاينافي ماورد فيه من ان مسافته ما بين ايلة وصنعاء ومسافة شهر وغير ذلك كما لا لانه أعلم باحواله شيأ بعد شئ كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما في المثل كالاجانبي مرسى الهطريق (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أبو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما (في حديث الذكر) وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال خصلتان لايحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز و جل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون فهي مائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان فاذا أوى الى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فايكم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة الى آخر الحديث (وان الحسنة بعشر أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان) أي اذا جرت على اللسان وذكرت في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها ثلاثون مضروبة في خمسمائة (وألف وخمسمائة في الميزان) التي توزن به الاعمال والوزن اما لصحفها أولها نفسها بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة أجرها فان الحسنة بعشر أمثالها كما ورد به النص وهو أقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال من المصنف رحمه الله تعالى على معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحده ذهنه أمر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وقال السيوطي في رسالة سماها المنحة في السبحة انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عند بعض الصحابيات نوى تعد به الذكر فاقرها عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه

وقوله) أي في معرفة المساحة كما رواه الشيخان عن ابن عمرو (في الحوض) أي الكوثر (زواياه سواء) أي مربع تربيعا مستويا لايزيد طوله على عرضه (وقوله) أي في معرفة جمع العدد كما رواه أبو داود (في حديث الذكر) أي الاذكار حيث قال تسبيح عشرا وتحميد عشرا وتكبير عشرا وتلك ثلاثون (وان الحسنة بعشر أمثالها فتلك) أي الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة مجموعها (مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله) أي فيما رواه الطبراني بسند ضعيف عن أبي رافع

(وهو بموضع) أي في موضع ليس به حمام وفي أصل التلمساني ومر بدل وهو وعلى كل فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة ومعرفة المساحة فكان أولى بعد ذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) أي لاهل المدينة ونحوهم ممن هو في جنوبه أو شماله قال التلمساني هذا في طيبة ولكل مدينة بين مشرقها ومغربها الا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع ما يقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بينهما وانما تفي جهتها فهو حجة العامة في عدم اشتراط اصابة عين الكعبة للنائي عنها وهذا من جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة وظاهره ان القبلة هي الجهة لا عين الكعبة والافلا وجه للخصوصية فهو حجة للحنفية على الشافعية (وقوله)

الطبراني عن أبي رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا (وهو في موضع) جملة حالية وفي نسخة ومر بموضع (نعم موضع الحمام هذا) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن في عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا تنبؤ لما لم يذكره فان فيه الاخبار بمحال البناء ومهاب الهوى ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله تعالى * نعم دار المتقين (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) القبلة تطلق على المسجد كما في قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة في احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة أهل المدينة لانهم المخاطبون أو على من هي في جنوبه أو شماله والتبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة أو جهتها فبحث طويل مفصل في التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام والشاهد في الحديث انه يدل على علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث ذكره ابن الاثير في النهاية ولم يخرجه السيوطي لانه لم يقف عليه (لعيينة) بن حصن الفزاري ويكنى أبا مالك وأسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذي قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين (أو الاقرع بن حابس) بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع في رأسه وهو من المؤلفة أيضا وكان شجاعا فارسا شريفا في قومه في الجاهلية والاسلام أسلم وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقصته مذكورة في السير والشك في المقول له من الراوي وقال ابن الاثير انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال انا أعلم بالخيل منك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انا افرس بالخيل منك) أي أبصر وأعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه باسلوب حكيم لم يقل له لست كذلك لما يعلمه من انه اعرابي جافي (وقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن زيد بن ثابت (لكاتبه) وكان له كتبة عديدة كما مر والمقول له منهم قيل انه معاوية رضي الله تعالى عنه وقد عدا لبرهان في حاشيته هنا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة وأربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقي وقال ان شيخه الجمال الانصاري أفردهم بتأليف قلت وقد وقفت انا أيضا على تأليف لابن أبي الحديد فيهم وكأنه لم يقف عليه ولم يفصلهم هنا لان له مقاما آخر وكان المداوم

أي في معرفة الفرس (لعيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزاري من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف قال الذهبي وكان أحمق مطاعا دخل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأساء الادب فصبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم أسر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان يتبعه عشرة آلاف قفاه انتهى وقال غيره أسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدي انه عمي في خلافة عثمان (أو للاقرع) أي ابن حابس التميمي وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان

وكان من المؤلفة (انا أفرس) ماخوذ من الفراسة أي انا أعرف (بالخيل منك) وفي نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا أعلم بالخيل منك فقال له وانا أفرس منك (وقوله) أي كما رواه الترمذي عن زيد بن ثابت (لكاتبه) أي لاحد من كتابه أو لكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفي أبي داود عن ابن عباس قال السجل كان كاتبا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق في كلام الحلبي ان كتابه بلغوا ثلاثا وأربعين الا ان ابن أبي سرح ارتد ثم رجع ومات ساجدا لله واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو في الجنة واختلف في قاتله

(ضع القلم) أى اذا فرغت (على اذنك) أى فوقها (فانه) أى وضعه هـذا (اذ كر) أى أ كثر تذ كرا قال الحلبى لانه يقتضى التؤده وعـدم العجـلة (للمل) بضم الميم الاول وكسر الثانى وتشـديد اللام أى للملى كما فى نسـخة من أملات وأمليت و بهما ورد القرآن وليملل الذى عليه الحق فهـى تملى عليه (هذا) أى ماذ كر مما جـمعاه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلى الله تعالى عليه وسـلم كان لا يكتب) والاطهر ان الاشارة الى ماسـبق من تعليم بعض كتابه ما يتعلق بعلم الخـط وآدابه واما عـدم كتابته فلحديث انا أمة لا نكتب ولا نحسب ذكره الدلجى وفيه ان نفى الشئ عن الجنس لا يوجب انتفاءه عن جميع أفـراده بدليل انه كان فيهـم من يكتب فالاولى هـو الاستدلال بقوله تعـالى وما كنت تتلو من قبله مـن كتاب ولا تخطـه بيـمينك اذا لارتاب المبطلون (ولـكنه) أى مع كونه أميا (أوتى عـلم كل شئ) أى لدنيا (حتى قـد وردت آثار) أى أخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها) أى من تطويلها وتدويرها (كقوله لا تمد) وفى نسخة لا تمـدوا أى لا تطولوا (بسم الله الرحمن الرحيم) أى سينه من غـير تبيين سنه مخـافة ان يظن باء ممدودة فيقرأ بالباء والميم من غير سين بينهـما لما روى الدارمى عن زيد ابن أنس اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (رواه ابن شعبان) وهو ابن اسحق المصرى المـالـكى له ترجمـة فى الميزان قال فيها وهاه ابن حزم ولا أدرى لماذا انتهى ومات سنة خمس وخمسين وثلاثمـائة (من طريق ابن عباس وقوله) أى كما فى مسند الفـردوس (فى الحديث الآخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له ألق الدواة) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من ألق الدواة اذا جعـل لهـا ليقة وأصلح لها مدادها وهو بمعنى مجرده لاق عـلى ما فى القاموس فقول الجوهرى والاق لغة أى قليلة لا ردية (وحرف القلم) بتشديد الراء المكسـورة أمر من التحريف أى اجعل طرف شقه الايمن أزيد من الطرف الآخر قليلا لانه أسرع فى الكتابة وأبدع فى اللطافة

عـلى الـكتابة له صلى الله تعالى عليه وسـلم زيد ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (ضع القلم على اذنك) لم يعينها والمراد اليمين (فانه) أى وضعه كذلك (اذ كر) أى أ كثر ذ كرا بكسر الذال وضمها وهو ضـد النسيان (للمل) اسم فاعل أصله الممل وجوز فيه ان يكون اسم مفعول أيضا أى ما يذ كر ويملى وأمل وأملى بمعنى وهو القاء ما يكتب على الـكاتب و بهما ورد القرآن قال الله تعالى فليملل الذى عليه الحق وقال الله تعالى فهى تملى عليه والاصل أملت فقلب تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى وأملى لهـم ان كيدى متين فمعناه أمهلهم (هذا) أى خذ هذا أو اذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقـدير والرسم يخالفـه وهى كلمة مستعملة فى الانتقال والتخلص من كلام لآخر أو ما يتممه وهى كذلك فى القرآن وكلام العرب أى معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالـكتابة وأحوالهـا (مع انه صـلى الله تعالى عليـه وسـلم) أمى من أمة أمية لا يكتب ولا يحسب فهو من معجزاته لانه كان لا يكتب كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك فى أول أمره وانه كتب بعد ذلك فى الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر فى تخريج احاديث الرافعى وقد تقدم بيانه فى غير ما موضع (ولـكنه) صلى الله تعالى عليه وسـلم (أوتى) بالبناء للمجهول للعلم بان المؤتى له هو الله تعـالى (عـلم كل شئ حتى قد وردت آثار) جمع أثر وهو ما يؤثر و يروى مطلقا وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة أو التابعين رضى الله تعالى عنهم (بمعرفته حروف الخط) أى كيفية رسمها (وحسن تصويرها) أى صورتها المستحسنة عند أهلها ومن مارسها (كقوله) صـلى الله تعالى عليه وسـلم لـكاتبه (لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم) أى لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لسناتها فانه يلبس صورتها وفى نسخة لا تمدوا (رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وابن شعبان هو محمـد بن القاسم بن شـعبان بن اسـحق المصرى المـالـكى توفى سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة فى المـيزان وقال السـيوطى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم لم أجده وللديلمى من حـديث أنس رضى الله تعالى عنه اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حـديث زيد بن ثابت رضى الله تعـالى عنه اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (وقوله) صلى الله عليـه وسـلم (فى الحديث الآخر الذى يروى) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله (عن معـاوية) بن أبى سـفيان رضى الله تعالى عنه أحد كتبته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم وفى نسخة الذى يروى معاوية أى يرويه عنه صلى الله عليه وسلم فيروى مبنى للفاعل على هذا (انه كان يكتب بين يديه) أى عنده وفى مجلسه (فقال له ألق الدواة) ألق أمر بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقاء الساكنين يقال لاق الدواة يليقها ليقة وليقا والاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى أى أصلح مـدادها من قولهـم لاق به اذا ألصقه ومنـه يليق بك كذا ولا يليق اى يناسب واشتهر استعمال ذلك فيما يجعل فى الدواة من حرير أو لبد أو نحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة أخذ المداد فى القلم الذى قد يفسد الخط (وحرف القلم) أى اجعل قطه محرفا فانه أعون على تصوير

(وأقم الباء) أي طولها (وفرق السين) أي اسنانها (ولا تعور الميم) أي لا تطمسها بل بين وسطها وهو بتشديد الواو وبعد العين المهملة راء اما في أصل الدلجي بالقاف بعد كونه عينا فاصلاح في نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه فخطأ فاحش وتصحيف وتحريف لما في القاموس قار الشيء قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره (وحسن الله) أي جميع حروفه (ومد الرحمن) أي أكثر حروفه من الحاء والميم والنون أو آخرها وهو الاولى (وجود الرحيم) أي حروفه لاسيما الميم وقد روى الديلمي عن أنس اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن أي مدا اليمد له الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يخص أصحاب التوحيد (وهذا) أي ماذكر مما شهد لان مما أوتيه من المعارف معرفة

حروف الخط (وان لم تصح الرواية) أي من أحد رواة الحديث وأصحاب الدراية (انه عليه الصلاة والسلام كتب) أي بيده (فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة) أي لحكمة تقتضي هنالك كما قدمنا ذلك قال الدلجي ولا يبعد أيضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقعا منه في وقت معجزة له وكرامة بشهادة ما في صحيح البخاري فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وفيه في عمرة القضاء انه قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحوك أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله انتهى ولا يخفى ان لفظ كتب وقع مجاز الاشك فيه على ما قال له الحلبي وقال أبو الوليد الباجي حقيقة وهو في هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسئلة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة المبنى وهي مجاز معنى لانها ليست بصحيحة أصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع في سيرة أبي الفتح اليعمري ما لفظه وقد روى البخاري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب ذلك بيده قال الحلبي قوله بيده لم أرها في صحيح البخاري والله سبحانه وتعالى أعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لا مطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة والقراءة من الكتابة وقد أبعد التلمساني في جعل القراءة معطوفة على العلم أي رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى وبعده لا يخفى في اعراب المبنى واغراب المعنى (واما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها) أي خصوصا

السنات ويكون تحريفه من جهة اليمين (وأقم الباء) أي اجعلها مستقيمة أو طولها قليلا لانها عوض عن ألف اسم (وفرق السين) أي اجعل اسنانها منفصلا بعضها من بعض (ولا تعور الميم) أي لا تجعل دائرتها مطموسة كالعين العوراء وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة (وحسن الله) أي كتابته وصورة لفظه تعظيم المسماه (ومد الرحمن) لم يبينوا معنى المد فيه فهو بمعنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا أو المراد رسم ألفا بعده ويبعده مخالفة رسم المصحف العثماني (وجود الرحيم) أي حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين ويختص في العرف بتحسين الخط وفي عرف القراء بتحسين التلفظ بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس (وهذا) أي معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدأ خبره قوله الآتي فلا يبعد والفاء زائدة أو هو خبر مقدر أي محقق ونحوه والفاء في جواب الشرط (وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب) بيده الشريفة اشارة الى ما قاله الباجي من انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده في الحديبية كما تقدم وانه لا يضر في كونه أميا لانه كان في بدء أمره لامر انقضى بانقضاء سببه فهو معجزة أخرى له صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا يبعد) عقلا (ان يرزق علم هذا) أي علم الخط من غير تعليم (ويمنع الكتابة والقراءة) من المصحف قيل ولا يبعدان يقع منه الكتابة والقراءة في وقت معجزة أخرى له بشهادة ما في البخاري رحمه الله تعالى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله في عمرة القضاء وانه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه امح رسول الله لما أباها بعض المشركين فقال والله لا أمحوها أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجي أنكرها عليه أهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجالس له فحاجه علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقرآن وكونه عد من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فاجاب بانه صرح به في حديث البخاري رحمه الله تعالى والتجوز خلاف الاصل وفي القرآن ما يشير اليه لان قوله تعالى ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافي كون أميته معجزة في أول أمره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخاري (واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب) جميعها قبائل وبطونا وكل أحد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق (وحفظ معاني أشعارها) وان كان لا يقول الشعر ولا ينشده وان أنشده

(فامر مشهور قد نبهنا على بعضه) أى بعض ماورد عنه فى لغات العرب لا فى اشعارها (أول الكتاب) وفى نسخة فى أول الكتاب أى على ماسبق من غرائب مباحثها وبيان معانيها ومنها قوله عليه الصلاة والسلام وقد أنشده كعب بن زهير فى لاميته قوله

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

فقال لاصحابه ما الحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند العرب الاول فى الحرتين ومنها ماأنشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

مجالدنا عن جزمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أحسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ماقاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكذلك حفظ كثير من لغات الامم) أى مما عدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه) بفتح السين وتخفيف النون وتشدد فهاء ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى أخرى سنا سنا بفتح مهملتها وكسرها رواية القابسى وشدد نونها وخففها أبو ذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الا عند أبى ذر فانه خفف النون والا القابسى فانه كسر السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى أخرى سناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الخميصة بيده ثم ألبسها أم خالد وقال لها أبلى واخلقى ثلاث مرات ثم نظر الى علم فيها أخضر وأصفر فجعل يقول يا أم خالد سنا سنا بالحبشية حسن من

وهى لغة انتهى وأم خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بأرض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وأبوها أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أبو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لا أعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهى) أى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) أى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولا يبعد ان تكون عربية وحذف الحاء للايماء الى قصد الرمزية وقال عكرمة ألسنا الحسن ولا يبعد ان يطلق ألسنا بمعنى النور ويراد ابن الحسن والظهور (وقوله) أى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق

نادرا غير وزنه فى أكثر أحواله الا انه كان ترد عليه شعراء العرب الملقون بمدائح يمدحونه بها وتنشد بين يديه فيصغى لها ويعلم منها مالم يعلمه غيره من فصحائهم ألا ترى كعبا لما أنشده قصيدته وقال فيها

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم الحريان العينان فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب ألا ترى قول علقمة

لهم حريان يعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظائر لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفى ذكره الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم أتم معرفة ولم يتلبس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه أمر مسنون كغيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطى فى شرح منظومة المعانى والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال بعض الشافعية بحرمتها هل كان يحسنهما أولا فقيل بكل من القولين كما فى الروضة والحفظ يتعلق بالمعانى والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال فهم معانى أشعارها كان أظهر (فامر مشهور قد نبهنا على بعضه فى أول الكتاب) فى فصل فصاحته كما تقدم (وكذلك) أى مثل معرفته للغات العرب (حفظه لكثير من لغات الامم) غير العرب وهذا ترق فى معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية (كقوله فى الحديث) الذى رواه البخارى عن أم خالد سنه سنه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لام خالد بن سعيد بن العاص أمها أمية بنت خلف تزوجها الزبير وهى صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهى صغيرة ولذا تلطف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقاله لها لانه أتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها وألبسها اياها وقال لها ذلك كما فصله البخارى وفيها لغات سنة سنة كما ذكر وسنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وأنكر بعضهم تخفيفها وروى كسر سين سنا فقول الكرمانى انها عربية وأصلها حسنة فخففت بحذف الحاء كقوله كفا بالسيف شا أى شاهدا تأباه هذه الروايات وان الحذف من الاسماء فى غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الاول (وهى) أى سنه بمعنى (حسنة) أنثها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنة لفظا (بالحبشية) أى بلغة الحبشة وهم جيل معروفون (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وغيرهما

(ويكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو القتل بها) أي بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من أئمة اللغة فهو من توافق اللغتين وأما قول ابن قرقول الهرج باسكان الراء فسره في الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة كما عرفت (وقوله في حديث أبي هريرة اشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون الشين وتفتح والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفي نسخة الاولى منهما معجمة وفي أخرى دردم بميم في آخره (أي وجع البطن بالفارسية) فان اشكنب هو البطن ودرد معناه الوجع ولعل أصلها أشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعده ميم وباتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم فيكون فيه نوع تقريب أو لفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفي سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال الذهبي في ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا أباهريرة اشكنب درد قلت لا الحديث أخرجه أحمد في مسنده والاصح ما رواه المحاربي عن ليث عن مجاهد مرسلا فقوله لا يدل على استفهام مقدر أو ملفوظ ان تمكن الشين مفتوحة فانه لغة ويدل أيضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهو انه لا يظهر وجه خطاب أبي هريرة بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة في المخاطبة ثم رأيت التلمساني ذكر الحديث ولفظه قال أبو هريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على بطنه فقلت له ما هذا يا رسول الله فقال اشكنب دردم ثم فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل سقم ونقل الانطاكي من اكمال ابن ماكولا عن أبي الدرداء قال رآني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا نائم مضطجع على بطني فضربني برجله فذكر الحديث قال وهو مخالف لما تقدم قلت ولا منع من الجمع والله تعالى أعلم هذا وحديث العنب دودو يعني ثنتين ثنتين والتمر يلا يعني واحدة مشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة

من طرق في حديث الفتن المقدم (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم (وهو القتل بها) أي بلغة الحبشة فعبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر في الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة وأصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيامة والعبارة في الهرج كهجر الي انتهى وهو رد لما قاله المصنف رحمه الله تعالى ولمن توهم ان تفسيره مروي في الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضي انه فارسي ولم يقله أحد وقيل انه من توافق اللغتين وهو أقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم في هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تظرف القائل

أتى زمن الربيع فهاج قوم * الى الصهباء في هرج ومرج

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث أبي هريرة) الذي رواه ابن ماجه عنه (اشكنب درد) وفي بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف رحمه الله تعالى بما يأتي وفي الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء فيقال شكنبة بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسيأتي ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجه وضبطت به الرواية عنه فانه قزويني أعلم بلغته وثقة في الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم ممن رواه كرواية الميم لانه لا يناسب قوله (أي وجع البطن) فانه لو صح ذلك قال أي وجع بطن وفسره غيره بوجع بطنك وهو أنسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذي رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو أصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفي سننه قال أبو هريرة هجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان في الصلاة شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطي وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بعصر واليه انتهى علم القراآت وله تآليف مشهورة رحمه الله تعالى وروي اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمساني ولم يذكر وجه تكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمي فلعله أراد ستره ولذا ورد انه قال ثم فسره لي وذكر البرهان بعض ما تقدم وقال انه في بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله (بالفارسية) أي باللغة الفارسية نسبة لفارس ابن كومرت وكومرت ابن سام أو يافث

(الى غيرذلك) أى مع غيرما ذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (ممالا يعلم بعض هذا ولا يقوم به) أى بكله (ولا ببعضه) أى عادة (الا من مارس الدرس) أى دوام المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) أى المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة أهلها) بالمثلثة والفاء والنون أى مجالسة أهل العلوم وفى نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب أى فى جميع أيام عمره من غير ضياع دهره (وهو) أى والحال أنه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) فى حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (أمى) أى منسوب الى أمه يعنى كما ولد بعينه (لم يكتب) أى بيده (ولم يقرأ) أى بنظره أو مطالعة قبل بعثه (ولا عرف) أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) أى بمصاحبة أهل الدراسة والقراءة والكتابة (ولا نشأ) أى ولا انتشأ ولا تربى (بين قوم لهم علم) أى دراية (ولا قراءة) أى رواية (بشئ من هذه الامور) أى التى يمكن بمدارستها الاتصاف بممارستها (ولا عرف هو قبل) أى قبل بعثته ودعوى نبوته (بشئ منها) أى من أمور القراءة والدراسة والكتابة ويروى ولا عرف هو قبل شيأ (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) أى قبل نزول القرآن (من كتاب) أى من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) أى ولا تكتبه من قبل أيضا وقوله بيمينك أى بيدك للتأكيد كما فى قولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى الآية تمامها اذا لارتاب المبطلون أى لو كنت قارئا كاتبا الشك أهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذ لا كل كاتب وقارئ قادر ان يأتى بهذا الكتاب الذى عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع أرباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يد الامى أظهر معجزة وأبهر كرامة وأبعد شبهة مما لو ظهر على يد القارئ الكاتب لا سيما وقد كان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل هذا والجمهور على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهو قول الباجى وصوبه بعضهم فانه لا يقدح فى المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل يكون معجزة ثانية قال القرطبى فى مختصره قوله فى البخارى

وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه آدم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم بالفارسية لفظ سور فى حديث جابر وهو الدعوة للطعام وبالعربية العرس (الى غير ذلك) أى مضموما لما ذكر من معرفته باللغات أو من معارفه التى لا تحصر (مما لا يعلم بعض هذا) وفى نسخة بعضه فضلا عن كله (ولا يقوم به) أى يوفى حقه كله (ولا ببعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) أى عالجه واجتهد فى حفظه ودراسته وتلقيه من أهله وفى نسخة الدروس (والعكوف على الكتب) أى ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروى فيه أحاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان أهل النار ويدل لعدم الكراهة أحاديث كحديث الفارسية الدرية لسان أهل الجنة فى الجنة (ومثافنة أهلها) مفاعلة من ثفن بمثلثة وفاء ونون أى جالسهم ولازمهم وهو أبلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ لطول مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعنى جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم فى أدبه وقال التلمسانى هى المثفنة من ثافنته أعنته وروى مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفى بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة أى مباحثة ونظر فى الدقائق التى كنفثات السحر وفيه نظر وفى بعض الشروح ما لا معنى له هنا (عمره) منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله أى فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يتركه طرفة عين (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى أمى) منسوب الى الام كأنه كما خرج من بطن أمه لم يتعلم وهو مبرأ من كل عيب أو الى أمة العرب لانهم معروفون بذلك كما قال الشاعر عمى خالى وأبى أمى فقوله (لم يكتب ولم يقرأ) صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى تأدبا يعنى لم أصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به بقوله ان أوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال انه ترك أدب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله در المصنف ما أبعد مرماه (ولا عرف بصحبة من هذه) أى الكتابة والقراءة (صفته) حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة فى حقه معجزة وفى حق غيره نقص كما قال

* كفاك بالعلم فى الامى معجزة * (ولا نشأ) أى لم يكن من أول نشأته وبدأ أمره الى بعثته (بين قوم لهم علم) أى معرفة بشئ من العلوم لانهم من الجاهلية (ولا قراءة لشئ من هذه الامور) أى الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا أهل كتاب (ولا عرف هو) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل) مبنى على الضم أى قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر (بشئ منها) أى بما ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله (قال الله) وفى نسخة عز وجل (وما كنت تتلو من قبله) أى القرآن وما علمك الله (من كتاب ولا تخطه بيمينك)

فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب ظاهر قوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد أنكره قوم تمسكا بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية ولا نكرة فيه فان الخط المنفى عنه الخط المكتسب من التعلم وهذا خط خارق للعادة أجراه الله تعالى على أنامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بقائه انه لا يحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة فى صحة نبوته انتهى ولا يخفى ان فى قوله وما كنت تتلو من قبله أى من قبل نزول القرآن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان ممنوعا من القراءة والكتابة وهو لا ينافى ان يعطيهما الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة فى الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب النسب) أى علم النسب لكل قبيلة الى حدها من أبيها وجدها (واخبار أوائلها) أى وقائع سلفها من هزلها وجدها وتنعمها وكدها (والشعر) أوزانها وقوافيها (والبيان) أى النثر فى الخطب وأمثالها أو ما يتعلق بما فيها حتى كادان يكون بيانهم فى شعرهم ونثرهم سحرا وشاع وذاع فيما بينهم ذكرا وفكرا وبلغوا غاية البلاغة ووصلوا نهاية الفصاحة نظما ونثرا (وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك) أى عمرا (والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه) أى عصرا (وهذا الفن) أى النوع من العلم بجميع افنانه وأغصانه فى جميع أحيانه وأزمانه (نقطة من بحر علمه) أى ونكتة من نهر فهمه وشكاة من شطر كامه (صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد) أى انكار المائل عن الحق والمعاند (بشئ مما ذكرناه) أى فى المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة حيلة) أى مكيدة يتشبثون بها فى عقيدة (فى دفع ماقصصناه) وفى نسخة مانصصناه أى حكيناه وبيناه (الا قولهم أساطير الاولين) أى هو يعنى القرآن أقاصيص السابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وقد تولى الله سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وانما يعلمه بشر) أى من الاعجام أو الاروام (فرد الله قولهم) أى مقولهم هذا الا كما قال الدلجى هو أساطير الاولين وانما يعلمه بشر (بقوله لسان الذى يلحدون) وفى قراءة بفتح الياء والحاء أى يميلون (اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ماقالوه مكابرة العيان) بكسر أى المعاينة والمشاهدة (فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) أى الفارسى كما فى نسخة صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير

أى بيدك اليمنى التى يكتب بها وهو تأكيد وتصوير وبين الله تعالى علة ذلك بقوله اذا لارتاب المبطلون أى شكوا وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه ثم بين حال قومه فى عدم ماذكر بقوله (انما كانت غاية معارف العرب) أى ما انتهى اليه علمهم (النسب) أى معرفة انساب قبائلهم الى أجدادهم (وأخبار أوائلها) أى ما وقع لآبائهم وأسلافهم من الحروب والوقائع (والشعر) أى حفظ شعر من قبلهم من القصائد والقطعات والابيات (والبيان) ليس المراد به علم البيان المعروف لانه أمر حدث كانوا فى غنى عنه بالسليقة ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم أيضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمائر وعنى به الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور الذى كانوا يذكرونه فى محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا (وانما حصل ذلك لهم) أى معرفة النسب وما بعده (بعد التفرغ لعلم ذلك) أى مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا بمزاولة واكتساب وصرف زمان لكسبه حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان رواية ونحوه (والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه) بالسؤال عنه والحفظ له ولم يعهد منه اعتناء بذلك فى أول أمره (وهذا الفن) أى النوع الذى كانت العرب تعرفه وتعتنى به (نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة أو كلجين الماء (ولا سبيل الى جحد الملحد) أى لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة لتفسير قوله تعالى اذا لارتاب المبطلون (لشئ مما ذكرناه) من معارفه متعلق بجحد واللام زائدة للتقوية (ولا وجد الكفرة حيله) يبدونها تلبيسا (فى دفع ماقصصناه) مما تقدم تفصيله (الا قولهم أساطير الاولين) استثناء متصل لانه مما احتالوا به على بعض ضعفاء العقول أو منقطع لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة أو جمع اسطار جمع سطر او أسطير أو أسطور أى هى أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب (و) قالوا (انما يعلمه بشر) أى هو مما تلقاه من غيره وتعلمه (فرد الله قولهم) المذكور وأبطله (بقوله لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) أى لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمى فكيف يمكن تعليمه أو التعلم منه ومعنى يلحدون يميلون عن الحق بمقالتهم هذه (ثم ماقالوه) من انه يعلمه رجل أعجمى وفى نسخة قالوه بهاء الضمير (مكابرة العيان) بكسر العين ولا تفتح فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير دليل وأصل معناه هجوم السارق نهارا أى معاندة فى المحسوس لا تفيد (فان الذى نسبوا تعليمه) له صلى الله تعالى عليه وسلم بزعمهم الباطل (اليه) متعلق بنسبوا أى أسندوه له (اما سلمان) الفارسى الصحابى المشهور

(أو العبد الرومى) وهو غلام خويطب بن عبد العزى أسلم وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور مالا ينعد من الآيات) أى القرآنية أو المعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (وأما الرومى فكان أسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى اسمه) أى كما سيأتى من انه يعيش أو بلعام أو جبر ويسار (وقيل بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) أى اليه ويقبل عليه لما كان يلمح قابلية الهداية لديه (عند المروة وكلاهما أعجمى اللسان) أى وضعيف البيان (وهم الفصحاء اللد) بضم اللام وتشديد الدال جمع الالد وهو شديد الخصومة (والخطباء اللسن) بضم فسكون جمع السن وقيل جمع لسن بفتح فكسر وهو المنطلق اللسان فى ميدان النطق والبيان (قد عجزوا) بفتح الجيم وتكسر (عن معارضة ما أتى به) أى أظهره (والاتيان بمثله) بل عن الاتيان باقصر سورة من نحوه (بل عن فهم وصفه) وفى نسخة رصفه بالراء والظاهر انه تصحيف وقيل معناها الاتقان (وصورة تاليفه) أى تركيبه (ونظمه) أى سلكه فهم اذا عجزوا عن هذا كله (فكيف باعجمى الكن) أفعل للمبالغة من اللكنة وهى بالضم المعجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وأبعد الدجى فى تعبيره أى أبكم

رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (أو العبد الرومى) وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومى وكان ممن قرأ الكتب ثم أسلم وسيأتى تفصيل قصته (و) قصة (سلمان انما) أسلم و (عرفه) بالمدينة (بعد الهجرة) وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه (و) بعد (نزول الكثير من القرآن) حتى هذه الآية (و) بعد (ظهور) وفى نسخة نزول (مالا ينعد) لكثرته (من الآيات) القرآنية أو العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم (وأما) العبد (الرومى فكان أسلم) قبل الهجرة (و) لكنه (كان يقرؤ على النبى صلى الله عليه وسلم) ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه (واختلف) بالبناء للمجهول أى اختلف المحدثون (فى اسمه) كما سيأتى فى كلامه فقيل انه بلعام أو يعيش أو جبر او يسار اما بلعام فبموحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة لا أصل له ولام ساكنة وعين مهملة وألف وميم ويعيش يأتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبى فى الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله تعالى انما يعلمه بشر وجبر يأتى أيضا انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم أقف عليه فى الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسيأتى تتمة لهذا فى محله (وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده) اضراب عن اسلامه وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف (عند المروة) مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول فى أيهما كان يجلس عند الآخر فالاضراب انتقالى أو ابطالى (وكلاهما) أى سلمان والغلام الرومى (أعجمى اللسان) أى لسان كل منهما فيه عجمة (وهم) أى الطاعنون فيه بما ذكر واسنادا التعلم له (الفصحاء اللد) جمع ألد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد أيضا من اللدد وهو العناد وفى الحديث أبغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم (و) هم (الخطباء) جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترك فيه ان يكون سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل (اللسن) بضم اللام وسكون السين جمع لسن كحذر وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل جمع السن فلا اسهاب فيه كما قيل (قد عجزوا) بفتح الجيم وكسرها (عن معارضة ما أتى به) أى مقابلته بكلام يحكيه (والاتيان بمثله) عطف تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم (بل) عجزوا كلهم (عن فهم وصفه) ومعرفة كنه بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحس يكذبهم والفصاحة تنادى على فصاحتهم (وصورة تأليفه) أى عجزوا عن فهم صورة تأليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام البشر والتأليف أخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفى أكثر النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين وهو فى الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفى بعض النسخ (ونظمه) وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول أقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التى هى كالجواهر وما بعد بل ترق فى العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند عدم الفهم (فكيف) هى للاستفهام عن الحال والوصف المبهم ويراد بها التعجب نحو قوله تعالى كيف تكفرون بالله وقوله (باعجمى) متعلق بمقدر أى كيف الظن باعجمى وهذا تركيب سائغ فى كلامهم تقول كيف بك اذا جاء الشتاء (الكن) من اللكنة وهى عدم افصاح اللسان وبيان النطق (نعم) بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام أيضا فى لغة وهى كلمة تقع فى جواب الكلام الموجب وقد تقع فى ابتداء الكلام كما هنا فكأنها جواب سؤال مقدر وفى غير

جواب

(وقد كان سلمان أو بلعام الرومى) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام ويقال بلعم (أو يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال الذهبى فى تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قال عكرمة هو الذى نزل فيه يقولون انما يعلمه بشر وقال فى الحلبى يعيش رأيتهم قد ذكروه فى الصحابة (أو جبر) بفتح جيم وسكون موحدة هو غلام للفاكه بن المغيرة أسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول له لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى قال الحلبى ما رأيت له ذكرا فى الصحابة وكذا فى قوله (أو يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم فى اسمه) أى اختلاف العلماء فى تعيينه أو اختلاف السفهاء فى نسبته من كمال تحيرهم فى تبيينه (بين أظهرهم) أى كانوا كلهم فيما بينهم عارفين باخبارهم (يكلمونهم) وفى نسخة يكلمونه (مدى أعمارهم) بفتح الميم والدال مقصور أى مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومى (شئ) أى صدور شئ ما (من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف واحد منهم) أى وهم عندهم (بمعرفة شئ من ذلك) أى مما جاء به عليه الصلاة والسلام (وما منع) أى وعلى الفرض والتقدير أى شئ منع (العدو) أى اعداءه من المنكرين وروى المغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين أى اعدادهم (ودؤب طلبه) بضم دال وهمزة فسكون واو فموحدة أى جده وتعبه فى كده (وقوة جسده ان يجلس الى هذا) أى من سلمان أو غيره واخطأ الدلجى بقوله أى ما جاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفى نسخة عليه (أيضا) أى على زعمه (ما يعارض به) أى ما جاء به عليه السلام (ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة وتفتح على لسان العامة أى على تهييج شره وخصامه كذا فى أصل الدلجى وهو ظاهر جدا وفى النسخ على شيعته فعلى للعلة أى لاجل مشايعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم بانه قتل كافرا

جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول جحدر
نعم وأرى الهلال كما تراه * كما سيأتى وقال بعضهم انها زائدة فى مثله وفيه كلام لم يحضرنى الآن (وقد كان سلمان) الفارسى رضى الله عنه (أو بلعام) وهو بفتح الباء الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم أيضا وهو اسم الغلام (الرومى أو يعيش) بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع (أو جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمى قيل ان سيده كان يضربه ويقول له أنت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى (أو يسار) بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبنى (على اختلافهم فى اسمه) كما تقدم (بين أظهرهم) خبر كان أى مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم ظهر وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع فى الاقامة بين قوم يخالطهم يكلمونهم مدى أعمارهم أى فى جميع مدة أعمارهم يخاطبهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم وأصل معنى المدى الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما فى النهاية وذكر الماوردى ان غلامين نصرانيين من عين النمر أحدهما يسار والآخر جبر كانوا يسندون لهما ماذكر وقيل غير ذلك (فهل حكى عن واحد منهم) أى من الكفرة (شئ من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضمير منهم لسلمان رضى الله تعالى عنه والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفى نسخة من مثل ما كان يجئ به صلى الله تعالى عليه وسلم (وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك) الذى جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذى قبله (وما منع العدو حينئذ) أى حين حضورهم معه (على كثرة عدده) بفتح العين أى أى مانع لهم مع كثرتهم وحرضهم على تكذيبه (ودؤب طلبه) بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من الدأب وهو الجد والتعب يقال أدأبه اذا أتعبه ثم صار بمعنى العادة المسببة عن ذلك وصار حقيقة فيه (وقوة حسده) بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على الطلب ويحثهم (ان يجلس الى هذا) الذى زعموا انه يعلمه (فيأخذ عنه) أى يتلقن بتعلمه منه (أيضا) أى كما تعلم منه النبى صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد (ما يعارض به) ما جاء به (ويتعلم منه ما يحتج به) أى يجعله حجة ودليلا (على شغبه) أى لحاجة فى خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما فى القاموس وغيره وتسكن أيضا وهى اللغة المشهورة فيه ومن أنكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريرى لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته (كفعل النضر بن الحارث) وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم أخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بن قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد أتيتكم باحسن مما جاء به محمد وهو الذى نزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله الآية ثم انه

(بما كان يخرق) من المخرقة بالخاء المعجمة وهي كلمة مولدة كما ذكره الجوهري ان يزخرف (به من أخبار كتبه) أي مما لا يجدي نفعا له ولغيره (ولا غاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) أي غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولا كثرت اختلافاته) ترداداته (الى بلاد أهل الكتاب) وفي

نسخة الكتب أي كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) بالنصب (انه استمد منهم) أي استفاد عنهم (بل لم يزل) أي من أول عمره الى آخر امره (بين أظهرهم) أي بينهم (يرعى) أي الغنم (في صغره وشبابه) وقال الدلجي يرعى من المراعاة وهي الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة انبيائهم) أي انبياء سلفهم وفي أصل الدلجي ابنائهم باصلاح انبيائهم وكذا في نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفي نسخة من (بلادهم الا في سفرة) أي واحدة (أو سفرتين) أي مرة مع عمه أبي طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا وأخرى في تجارته لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة أو لا فاندفع قول الحلبي وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغي ان يقول الا في سفرتين على انه قد يقال المعنى بل سفرتين (لم يطل فيها) ويروى فيهما (مكثه) بضم الميم وتفتح أي اقامته ولبثه (مدة لا يحتمل) بصيغة المعلوم أو المجهول (فيها تعليم القليل) أي اليسير (فكيف الكثير) أي فكيف يحتمل فيها تعليم الكثير والاستفهام للانكار (بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء

عشيرة

لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى أظفره الله عليه فقتله كما ذكر في السير (بما كان يخرق به) متعلق بفعل ويخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى به أخذوها من المخراق وهي خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية ميمها زائدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها كما في قولهم تمسكن ويخرق بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف (من أخبار كتبه) التي كان يأتي بها ويقصها عليهم (ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه) ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة أقام بها أقامة يحتمل انه لقي بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين (ولا كثرت اختلافاته) أي رواحه ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا أي يسافر ويذهب اليها الا انها مخالفة لمقره المعروف (الى بلاد أهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى ما يأتي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له ذلك مرة أو مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه ولم يقم عند غيرهم حين سافر الى الشام كما يأتي (فيقال انه استمد منهم) أي طلب المدد والاعانة من أهل الكتاب بتعليمه لشيء مما كان يتلوه على قريش (بل لم يزل) مقيما عندهم (بين أظهرهم) في وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال بين أظهرهم وظهرانيهم (يرعى) ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية أي يلاحظ ويحفظ فهو بمرأى منهم ومسمع لا يخفى أمره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي وهو المناسب لقوله (في صغره) أي وهو طفل (وشبابه) أي بعد ما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول أنف من جعله صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء عليه الصلاة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو أقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون في الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم (على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم) بعد ما شب وبلغ أو بعد ما وجد وعرف حاله (الا في سفرة) واحدة (أو سفرتين) الى بلاد الشام مرة مع أبي طالب ورده من الطريق باشارة بحيراء الراهب كما مر ومرة في تجارة لام المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن أهل بلدته أبدا سفرا واقامة ولم يتردد المصنف رحمه الله تعالى في السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين كما في السير فكان ينبغي ان يقول الا في سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه أبو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبني سعد فلا يعد مثله سفرا لا سيما والمراد سفر خاص لديار أهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف الى بني عبد ياليل فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة أهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وقوله (لم يطل فيها) أي في جنس السفرة (مكثه) أي اقامته وهو بفتح الميم وضمها (مدة يحتمل فيها) أي في المدة (تعليم القليل) وتعلمه من علم وغيره (فكيف الكثير) الذي كانوا يعرفونه منه وهو استفهام انكاري بنفيه بطريق برهاني ثم اكده وأثبت مدعاه بقوله (بل كان في سفره في صحبة قومه) لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين (ورفاقة) بفتح أوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والسفر من الرفق لان كلا منهما رفق بصاحبه (عشيرته) أي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط قال في القاموس

عشيرة الرجل بنو أبيه الادنون أو قبيلته (لم يغب عنهم) ويفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة أهل الكتاب وتعلمه منهم (ولا خالف حاله) التي نشأ عليها وعرف بها مدة مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة (بمكة) الى ان هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله تعالى عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله (من تعليم) بيان لما قدر في قوة المذكور لعلمه مما قبله أي ما خالفه لامر آخر من تعليم الى آخره وليست من زائدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل (واختلاف) أي مجيء وذهاب وأصله مجيء القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار (الى حبر) بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود (أو منجم) أي عالم بالنجوم وأحكامها (أو قس) بفتح القاف كما في القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علماء النصارى (أو كاهن) وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس ثم ترقى في ابطال ما قالوه فقال (بل لو كان هذا) أي لو فرض خلاف ما ذكر من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا للقسيسين والاحبار (بعد) مبني على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد مكثه بين أظهرهم برعي في صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تأمل كلامه (كله لكان مجيء ما أتى به) صلى الله تعالى عليه وسلم (في معجز القرآن) الذي لا يشبه شيأ من كلام البشر (قاطعا لكل عذر) اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا ايماء الى انهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال (ومدحضا) أي مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشيه في أوحال الشرك (لكل حجة) تشبثوا بها وهي أوهى من بيت العنكبوت وفي نسخة لكل شبهة (ومجليا) بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ما قدمناه أي موضحا وكاشفا ومزيلا ومبعدا (لكل أمر) غريب تخيلوه وتلبيس احتالوا به

(فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم) التي خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائر الخلق (وكراماته) التي أكرمه الله تعالى وشرفه بها (وباهر آياته) أي ظاهر آيات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتناء (و) قوله (انباؤه) بفتح الهمزة جمع نبأ وهو الخبر أي أخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم (مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة) بكسر الهمزة مصدر أمده امدادا من المد قال الراغب أمددت الجيش بمدد والانسان بطعام وأكثر ما جاء الامداد في المحبوب والمد في المكروه نحو وأمددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى أي ارسال الله الملائكة عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعانة كما سيأتي (وطاعة الجن له) بانقيادهم واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملائكة (ورؤية كثير من أصحابه لهم) أي للملائكة والجن كما سيأتي ولا وجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدأ بما يثبت ما قاله من القرآن فقال (قال الله تعالى وان تظاهرا) أي تتعاونا (عليه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما يسوءه

(لم يغب عنهم ولا خالف حاله) النصب أو الرفع والمعنى وما اختلف حاله (مدة مقامه بمكة من تعليم) أي من معلم على من بيان لحاله لا مزيدة كما قاله الدلجي وفي نسخة ومن تعلم وهو الاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وتكسر أي عالم يهودي وأغرب الدلجي بقوله بكسر المهملة أفصح من فتحها نعم كذلك في معنى المداد الا انه ليس ههنا المراد (وقس) بفتح القاف وبكسر وضمه خطأ فسين مشددة أي عالم نصراني وكذا القسيس (أو منجم) أي متعلق بعلم النجوم (أو كاهن) أي ممن يزعم انه يخبر عن كائن

(بل لو كان بعد) بضم الدال أي بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) اسم كان وفي أصل الدلجي بل لو كان هذا كله بعد وهو ظاهر جدا وفي نسخة صحيحة بل لو كان هذا بعد كله (لكان مجيء ما أتى به في) وفي نسخة من (معجز القرآن) بل من معجزاته (قاطعا لكل عذر ومدحضا) أي مزيلا ودافعا (لكل حجة) أي داحضة وفي نسخة صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام فتحتية مخففة وفي نسخة بفتح الميم وكسر اللام المشددة لا كما قال الحلبي باسكان الخاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل أمر) أي مما يلوح عليه مخايل ريبته

(فصل)

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) أي خصوصياته في حالاته (وكراماته وباهر آياته) أي غالب معجزاته (انباؤه) بفتح الهمزة أي اخباره الواقعة له (مع الملائكة والجن وامداد الله) أي اعانته (له بالملائكة) أي المقربين كما في وقعة بدر وحنين (وطاعة الجن له) كجن نصيبين (ورؤية كثير من أصحابه لهم) أي للملائكة والجن وهذا اجمالي يتبين لك بعد تفاصيل أحواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة أي وان تتعاونا (عليه) أي على النبي بما يسوؤه لديه من الافراط في الغيرة لكثرة ميلها اليه

(فان الله هو مولاه) أى ناصره (وجبريل) بكسر الجيم وفتحها (الآية) أى وصالح المؤمنين كأبى بكر وعمر والملائكة أى بقيتهم بعد ذلك أى بعد نصره سبحانه وتعالى ظهير أى مظاهرون له (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) أى بانى معكم معينا لهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) أى بمناجاتكم ومناداتكم يا غياث المستغيثين أغثنا أعنا على أعدائنا وعن عمران رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار ألفا وأصحابه ثلاثمائة أى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبى الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) أى ربكم (انى ممدكم) أى بانى معاونكم (الآيتين) أى بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال أى متتابعين وبفتحها أى يردف بعضهم ببعض وكان الظاهر ان يقول الآية ولعله أراد الاشارة بالآيتين من السورتين أى الانفال وآل عمران وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فيكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد فقد المدد والنصر ولا يبعد ان يراد الآيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون بل هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا) أى أملنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) أى جن نصيبين (يستمعون القرآن الآية) أى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا قراءته وأخرج واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فثابت أيضا كما بينته فى محله وسيأتى أيضا تقرير بعضه (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلا ياء فانه معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) أى فى حضورى لديه (حدثنا أبو الليث السمرقندى) أى من أئمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء ويسكن (حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) أى القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال أبو داود كان يحفظ عشرة آلاف حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا أبى) أبوه معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال أحمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) أخرج له الائمة الستة

(فان الله هو مولاه) أى ناصره ومعينه (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه (الآية) أى والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهر الحفصة وعائشة أمى المؤمنين والآية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط فى محله وقد تقدم فى أول الكتاب بعض منه (وقال الله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم) بنصرى وتأييدى (فثبتوا الذين آمنوا) بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر أعداؤه المشركون وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره (وقال) فى وقعة بدر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون غوثه واعانته (فاستجاب لكم) أجاب دعاءكم وانجز وعده لكم (انى ممدكم الآيتين) أى اقرأهما الى آخرهما أى انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين أى متتابعين (وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) أى أملناهم وأوصلناهم اليك والنفر ما دون العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم واسماءهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين بل أكثر وهو شاهد على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به (حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه بسماعى عليه) تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال (حدثنا أبو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال (حدثنا مسلم) القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبيد الله بن معاذ) أبو عمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة توفى سنة مائتين وسبع وثلاثين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا أبى) معاذ بن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة واليه انتهى علم الحديث توفى سنة مائة وستة وتسعين وأخرج له أصحاب السنن أيضا قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا سليمان الشيبانى) ابن أخى سليمان فيروز أو خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى الحافظ الثقة توفى سنة ثمان وثلاثين أو احدى أو اثنين وأربعين وقول الواقدى وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط

(سمع زر بن حبيش) بالتصغير وزر بكسر الزاي وتشديد الراء هو أبو مريم الاسدي عاش مائة وعشر ين سنة وكان من أكابر القراء المشهورين من أصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن أبي النجود وخلق (عن عبد الله) أي ابن مسعود (قال) أي الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أي ابن مسعود (رأى) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورته) أي أصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما يشير الى عزيته قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وهذا الموقوف أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي قال التلمساني قيل رآه في صورته مرتين خاصة وما عداهما لم يره هو وغيره من الملائكة الا في صورة الآدميين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشي عليه (والخبر) أي الحديث والاثر (في محادثته) أي مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم) بصيغة الجمع لتعظيمهما) أو لان أقل الجمع اثنان وفي نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرائيل وملك الجبال ومالك خازن النار (وما شاهده من كثرتهم) كحديث أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك اما راكع أو ساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرائيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) أي رواه الائمة كخبر يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمساني وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى رجالا على أفراس بلق شاكي السلاح طول كل واحد مسيرة ألف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين لا يرى أولهم ولا آخرهم فقال فقلت يا جبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ثم قال أنا أهبط وأصعد وأراهم هكذا يمرون لا أدري من أين يجيئون ولا أين يذهبون ذكره النسفي في زهر الرياض قاله الانطاكي

وأخرج له الائمة الستة (سمع زر) بكسر الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة (بن حبيش) بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو أبو مريم الاسدي أدرك وسمع عليا وعمر رضي الله تعالى عنهما وعاش مائة وعشرين سنة وتوفي سنة اثنين وثمانين وأخرج له الستة (عن عبد الله) بن مسعود الصحابي المشهور وهذا التفسير الآتي أخرجه مسلم والترمذي والنسائي موقوفا والذي ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذي انه حسن صحيح ولفظه (قال) أي الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع (رأى جبريل في صورته) الاصلية التي خلق عليها (له ستمائة جناح) اللام جواب قسم مقدر أي رأى الآية الكبرى من آيات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث أكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه رأى ربه وهو قول الاكثر فقد رآه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعري والنووي وما نقل عن عائشة رضي الله تعالى عنها من انكاره فقيل ان الذي قالته كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست وقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلي ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم أره على صورته غيرها تين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا اعظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفي رؤيته لربه وانه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه رأى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي أن تكون أجنحته تزيد على ذلك فان الملائكة أجسام مجردة قابلة للتشكل (والخبر) أي الحديث الصحيح المسند (في محادثته) صلى الله تعالى عليه وسلم (مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة) أعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة أو لتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده (وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور) وفي نسخة وصورة بعضهم وفي نسخة وعظم صورهن وحديث الاسراء ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والانبياء مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته للملائكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور رأيضا ومن أراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبائك في أخبار الملائك فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة أي الفقر وقالوا ما قصه الله من قوله تعالى مالهذا الرسول يأكل الطعام الآية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له رب العزة يقرؤك السلام ويقول لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام الى آخره فبينما جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه

(وقد رآهم) أي الملائكة وفي أصل الدلجي رآه أي جبريل (بحضرته) أي بحضوره عليه السلام وهي بفتح فسكون وقال التلمساني ان الحاء مثلثة ويقال أيضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من أصحابه) أي الكرام (في مواطن مختلفة) أي متفاوتة الايام (فرأى أصحابه) أي بعضهم (جبريل عليه السلام في صورة رجل يسئله عن الاسلام) وفي نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى في صور رجل غير معروف كما في أصل الحديث المذكور فقول الدلجي كدحية ليس في محله وان تبجح بتوشيخ شرحه (ورأى ابن عباس واسامة) أي ابن زيد كما في نسخة وهو ابن حارثة (وغيرهما عنده) أي بحضرته (جبريل في صورة دحية) بكسر الدال وتفتح وهو ابن خليفة الكلبي المشهور بالحسن الصوري وقد أسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأرسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل وأما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذي ولفظه ابن عباس رأى جبريل مرتين وأما رؤية اسامة له فرواها الشيخان عنه وفيهما ان أم سلمة رأته وأما غيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقي وقال التلمساني وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين وأقرأه جبريل عليه السلام و جرير بن عبد الله البجلي مسحه ملك وحنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت أيده الله بجبريل لمناضحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون ألف ملك ما نزلوا من قبل قط

وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهي العدسة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك يا جبريل فقال فتح باب من أبواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقرؤك السلام ومعه سفط من نور يتلألأ و يقول لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال أصبت أصاب الله بك ويرون ان هذه الآية أنزلها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا أقول ومن هذا علم انه لم ينزل بالقرآن الا جبريل غير هذه الآية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو ملك الجنان وتخييره دون بت باعطائها علم منه ان جبريل ان الله أراد له صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو أرقى من ذلك في الجنة وانه لم يرض بحوز الدنيا الفانية أن تكون له ولو أراد خلافه أتاه ملائكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يقول شيأ برأيه ولا يفعل الا ما يؤمر به فافهم (وقد رآهم) أي الملائكة (بحضرته) أي في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مثلث الحاء مصدر حضر يحضر اذا جاء وقدم وتجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تأدبا كذا كالمقام كما يكتبه أصحاب الترسل (جماعة من أصحابه في مواطن) جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا المطلق المكان مجازا مرسلا (مختلفة) أي متعددة وأصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة للملائكة عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ (فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان) والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في أول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه (ورأى ابن عباس واسامة) بن زيد (وغيرهما) من الصحابة كعائشة رضي الله تعالى عنها وأم سلمة وعمرو حارثة (عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورة دحية) بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما وكان من أجمل الناس وأجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته رضي الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة ليس بافناء بعض أجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم أنوار لطيفة قابلة للتشكل والتضام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول أيضا فلا ينقلب حقيقة اذا تمثل رجلا تأنيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة تقدر بها على التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة أرواحهم القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة وبعض أهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير مضاف أي في مثل صورة دحية وما قيل من انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشمول والاحاطة يعد ظرفا حقيقة في العرف ورؤية ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما

(ورأى سعد) أي ابن أبي وقاص كما في الصحيحين (على يمينه و يساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ماهو الظاهر المتبادر (في صورة رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف وتجوز الاضافة قال الحلبي في مسلم يعني جبريل وميكائيل ولم يسميا في البخاري فكونهما جبريل وميكائيل لم يقله سعد وانما الراوي عنه قاله عنه أو من دونه ذكر ذلك والله تعالى أعلم قلت ولفظ مسلم رأيت عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل (ومثله) أي ومثل ماروى سعد (عن غير واحد) أي صدر عن كثير من الصحابة

(وسمع بعضهم زجر الملائكة) بفتح الزاي وسكون الجيم أي حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) أي كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار) أي في بدر (ولا يرون الضارب) كما رواه البيهقي عن سهل ابن حنيف وأبي واقد الليثي وقال أبو داود المازني على ما في رواية ابن اسحق اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قتله غيري (ورأى أبو سفيان ابن الحارث) بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يومئذ) أي يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع أبيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون جمع أبلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين

عنهما له مرتين رواها الترمذي ورؤية اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد لم أقف عليها من قصور النظر (ورأى سعد) بن أبي وقاص في حديث رواه الشيخان (على يمينه و يساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب (في صورة رجلين عليهما ثياب) تسميتهما وقع في الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة أحد وقد قاتلا معه صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم هذا انما أكرمه الله به وفيه رد لمن قال ان الملائكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله المؤمنين باحد ان صبروا واتقوا ان يمدهم بالملائكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دائما وفي الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم والاولياء (ومثله عن غير واحد) أي روى مثل ما في هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة (وسمع بعضهم) أي بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين (زجر الملائكة) زجرها حسها (خيلها) على الجري بصوت (يوم بدر) أي وقعتها حين القتال وهذا رواه أبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس ان رجلا من غفار قال قدمت أنا وابن عم لي ونحن مشركان وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فمات ابن عمي من خوفه وكدت أهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم وروي حيزون بالنون والصحيح الاول (وبعضهم رأى تطاير الرؤس) أي سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وأبي واقد الليثي (من الكفار) في يوم بدر (ولا يرون الضارب) لانه ملك خفي عنهم وبعضهم رآه وعرفه وقد روى كلاهما في أحاديث ذكروها ويجوز ان يقال ان التطاير استعارة شبهت بطائر وحمام طار من برج بدنه بنفسه كأنه ليس جزء منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب قال أبو داود المازني اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي وكانوا يعرفون قتل الملائكة بان بهم سمة نار ونحوه (ورأى أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب قبل اسلامه (يومئذ) أي يوم بدر (رجالا بيضا) وجوههم وأبدانهم (على خيل بلق) أي فيها بياض ولون آخر (بين السماء والارض ما يقوم لها شئ) أي لا يمكن ان يقاوم شدتها وقتالها شئ غيرهم قل أو كثر لما رآه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائي لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي وهو مخالف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا وهو هكذا في تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد انه رواه ابن اسحق في سيرته ونقله في حديث طويل في مهلك أبي لهب والعهدة فيه عليه (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) باكفها والذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما فان المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام أمان والمصافحة تسليم بدله

السماء والارض) وفي نسخة لا يقوم لها شئ أي لا يطيق ولا يقاوم لتلك الرجال شئ أي مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف في اهلاك أهل الدنيا جميعا فقد أهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة من صياحه هذا وقد روى البيهقي عن سهيل بن عمرو انه هو الذي رآهم لكن لا منع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفي مسلم انها كانت تسلم عليه

فهو أمان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي الله تعالى عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا أفضل من نزل البصرة وتوفي في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة في الكتب المعتمدة وأما السلام ففي صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله تعالى عنه قال له كانت الملائكة تسلم علي حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام علي ثم تركت الكي فعادوا وقال له اكتمه مادمت حيا قال النووي رحمه الله تعالى كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفي العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكي ليس محرما وان قيل بكراهته اذا أمكن العلاج بغيره كما ورد في المثل آخر الدواء الكي وروى انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى أهل الدار المسلم كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة رضي الله تعالى عنهم لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بالطريق الاولى أو هو استطراد (وأرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه البيهقي مرسلا عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما ورأى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين أولهما (لحمزة) بن عبد المطلب عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة لحمزة رضي الله تعالى عنه باللام فهي زائدة كما في ردف لكم وثانيهما (جبريل عليه السلام في الكعبة) أي في داخلها وعندها فخر (مغشيا عليه) خوفا من مهابته لانه رآه على صورته ففي دلائل البيهقي رحمه الله تعالى وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله أرني جبريل عليه السلام على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له أقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه * واعلم ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب أعطى قال ابن مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدى فعل بحرفين بمعنى وان تعدى أحدهما لزم الترجيح بلا مرجح ان لم يتقدما أو أحدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

أحجاج لا يعطى العصاة مناهم * ولا الله يعطى للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه * واعلم ان الحافظ السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله تعالى عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الاعمى الا ان يكون نبيا لكن أسأل الله تعالى ان يجعل ذلك في آخر عمرك وله طرق من الاسانيد انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما وقد عمى ابن عباس في آخر عمره فقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
عقل صحيح ورأى غير ذي زلل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين مالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم انتهى * أقول ما ذكره من حديث عمى الرائي لجبريل اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على ما رآه وحده في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد

(وأرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر) أي سقط حمزة (مغشيا عليه) أي من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقي عن مسلم بن يسار مرسلا

قد يورث ضعف البصر المؤدي للعمى اذا حدق فيه الناظر واطال النظر في نوره الذي لم يتفرق وهو من الاسرار الالهية فتأمله * ثم ان المصنف رحمه الله تعالى قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر أمر الجن فقال (ورأى ابن مسعود) في حديث رواه البيهقي (الجن ليلة الجن) أي في ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجن وقد أمر بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم (وسمع كلامهم) قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس في سيرته ان حديث ابن مسعود في كونه حاضرا في ليلة الجن روى من طرق وفيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لا محصل له والحق ما قاله أبو البقاء الشبلي الحنفي في كتابه آكام المرجان في أحكام الجان من انه روى فيه احاديث متعددة منها ما رواه أبو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن أحد قال ما صحبه منا أحد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل حراء وقال أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثار نيرانهم وذكر انهم سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء بهما رواه أحمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها ابن مسعود وهي في دلائل البيهقي مسندة قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه بمكة من أحب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا أمرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال أرأيتم ان شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها والله فشهدت له فآمنوا به وجمع البيهقي بين الروايتين فقال قوله ما صحبه منا أحد أراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه أعلم أصحابه بخروجه ينافي فقدهم له حتى قالوا انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه ممن فقده والتمسه وفي هذا الحديث انه خرج معه وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله منشأه ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندا لابن مسعود وانه قيل له أكنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل أخذ كل رجل رجلا من أهل الصفة يعشيه ولم يأخذني أحد فمر بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما أخذك أحد يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي أجد لك ما يعشيك فانطلقت معه لحجرة أم سلمة فتركني ودخل ثم خرجت جارية فقالت لي لم يجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لك عشاء فرجعت الى المسجد والتفقت بثوبي فخرجت الجارية وقالت أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته أرجو العشاء فخرج وبيده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ماشاء الله وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى أتينا بقيع الفرقد فخط بعصاه خطا وقال أجلس فيه حتى آتيك ولا تبرح فانطلق وأنا أراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سوداء فخفت عليه وقلت الحق أو استغيث الناس لظن هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا وأتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال هم وفد نصيبين الى آخره فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل عنه أولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا أخر ذكرها في باب مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها وقيل

(ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه البيهقي عنه (ليلة الجن) أي ليلة أمر النبي عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) أي ابن مسعود (كلامهم

وشبههم) أي في الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاي وتشديد الطاء قوم من السودان أو الهنود طوال قال الحلبي وفي حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس في سيرته ما لفظه ان الحديث المشهور عن عبد الله بن مسعود من طرق متظاهرة يشهد بعضها لبعض ويشيد بعضها بعضا قال ولم تنفرد طريق ابن زيد الا بما فيها من التوضئ بنبيذ التمر انتهى وقد جاء الحديث الذي ذكره من غير طريق ابن زيد وهو في ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن في السند عبد الله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهو مرسل صحابي وفي العمل على قبوله خلافا لبعض الناس أي من الشافعي واتباعه هذا وقد ورد من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن في قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبد الله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولي خطا وقال لا تخرج عن هذا الخط فانك ان خرجت عنه لم تلقني الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرآن حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لي هل معك ماء أتوضأ به قلت لا الا نبيذ التمر في اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور وأخذه وتوضأ به وصلى الفجر وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني عن ابن مسعود نحوه وكذا الطحاوي وغيره وقد أثبت البخاري كون ابن مسعود مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باثني عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجي واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففي صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخاري أصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم عن النفي عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات أو المراد بنفي كونه معه انه لم يحضر مجلس المحاورات والله أعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهو مصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدي سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد) أي وكان صاحب الراية (أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) أي ظنا منه انه هو (تقدم) الى جهد العدو (يا مصعب فقال له الملك) أي مرة في جوابه (لست بمصعب فعلم) بصيغة الفاعل أو المفعول أي فعرف (انه ملك) لكن روى ابن أبي شيبة في مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى لكن قام مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من أول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف أو تنزيل المجهول منزلة المعلوم أو تسمية له باسمه أو على تقدير مضاف نحو نائبه والله تعالى أعلم

اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت بأعلى مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الفرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض اسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه (وشبههم) أي ابن مسعود لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا سوداء أقرعوه فقال أخرجوهم ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه رآهم (برجال الزط) متعلق بقوله شبههم والزط بالزاي المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي (وذكر ابن سعد) وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري (ان مصعب بن عمير) القرشي العبدري الصحابي البدري وهو ممن أسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه (لما قتل يوم أحد) أي في وقعته قتله ابن قيئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت رأسه فجعلوا على رجليه شيأ من الاذخر (أخذ الراية ملك على صورته) أي تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم ولتمام تلك الصورة فيه جعل كأنه عليها راكب لتمكنها فيه (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب) لنحو الاعداء في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتأمل حامل الراية (فقال له الملك لست بمصعب) كما ظننته (فعلم انه ملك) وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله

يا رسول الله ألم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته يكون علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعداء بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي أو ظن ان الله أحياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعدما علم انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد رأسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما م وكان مصعب رضي الله تعالى عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج حامله الحباب بن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد أسيد بن حضير وما روى من ان حامل رايته باحد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية كانت أولا بيد مصعب فلما استشهد أخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قميئة وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قد قتل أخذ علي الراية بعدما أمسكها الملك لحظة لئلا تسقط ويخذل المسلمون وتقر أعين الكفار وقول الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعدما تسمى مصعبا (وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ماكولا (عن عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه (انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا) كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر انه * ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من * حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله فالقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

(فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سلامه بان قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن أعطى شيأ فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه (نغمة الجن) وفي نسخة نغمة جني أي هذه أو نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدأ مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حسن الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع (من أنت) من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم (قال أنا هامة بن الهيم) بهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم (بن لاقس بن ابليس) في ضبط هذه الاسماء اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل لام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف ووعل وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان الياء سقطت سهوا من الكاتب (فذكر) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن بعده) من الرسل والانبياء (في حديث طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) سيأتي والحديث عن عمر رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله

(وقال نغمة الجن) بفتح النون أي هذه حركته وصوته وفي نسخة نغمة جني (من أنت) أي منهم (قال أنا هامة) بتخفيف الميم وفي بعض الروايات الهام (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفي نسخة صحيحة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة أو مخففة (ابن لاقس) بكسر القاف أو لاقيس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمساني وهو أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وقد ذكره البغوي في تفسيره عن مجاهد قال من ذرية ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقي نوحا ومن بعده) أي من الانبياء وغيرهم (في حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبي (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) قال الحلبي وفي الميزان في حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله أحد الحديث بطوله ذكر

الانطاكي وغيره انه قال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي في بعض جبال مكة أو عرفات اذ أقبل شيخ أعرج بيده عصا يتوكأ عليها فقال السلام عليك يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال نعم من أي الجن أنت قال أنا الهام ابن الهيم بن

لاتيس ... النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كم أتى عليك قال أنا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما أطوف في الآكام وأفسد أطايب
الطعام وأمنع من الاستعصام وآمر بقطيعة الارحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والشيخ المرجو قال مهلا
يا محمد دعني عنك من اللوم انما جئتك تائبا وكانت توبتي في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه في السفينة
وعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود
حين دعا على قومه فأهلكهم الله بالريح العقيم فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من
النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح في مسجده حين دعا على قومه فأخذتهم الصيحة فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف في النار وأسعى بين منجنيقه واطفاء نيرانهم حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران أوصاني ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم ان أقرئه منه السلام فلقيت عيسى فأقرأته السلام وقال لي عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلقى محمدا فأقرئه مني السلام فجئت أقرأ عليك السلام فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى السلام مادامت السموات والارض وعليك
يا هام فانك قد أديت الامانة فما حاجتك قال ان موسى علمني التوراة وعيسى علمني الانجيل وأحب ان تعلمني شيأ من القرآن فأقرأه في صلاتي فعلمه عشر سور من القرآن فلم ير بعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقاله ابن الجوزي أيضا وقال العقيلي لا أصل له والله تعالى أعلم (وذكر الواقدي) وكذا روى النسائي والبيهقي عن أبي الطفيل (قتل خالد) ابن الوليد (عند هدمه العزى) تأنيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التي خرجت له) أي لخالد من الشجرة بعد قطعها (ناشرة) أي مفرقة (شعرها عريانة) أي واضعة يدها على رأسها داعية يا ويلها
يدها

تعالى عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وله
نغمة الجن وهمتهم فقال له من أنت قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك وبين
ابليس الا أبوان قال نعم قال فكم لك من العمر قال أفنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع
من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وأبكاني فقال لاجرم اني على ذلك من
النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين وقلت له يا نوح اني ممن شارك في دم الشهيد هابيل فهل
تجد لي من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة اني قرأت فيما أنزل الله على انه ليس
من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتي
ما أمرني به فناداني ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت ساجدا لله وكنت مع هود في
مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وكنت مع يوسف
بالمكان المكين وكنت ألقى الياس بالاودية واني ألقاه الآن واني لقيت موسى بن عمران فعلمني من
التوراة وقال ان لقيت عيسى بن مريم فأقرأه مني السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فأقرأه مني السلام
فبكى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على عيسى السلام مادامت الدنيا وعليك يا هامة لادائك الامانة
فقال يا رسول الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه علمني من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبأ العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله أحد
والمعوذتين وقال له ارفع الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم ينعه لنا فلست أدري أحي هو أم ميت انتهى * واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن
الجوزي انه حديث موضوع لا أصل له وذكر له طرقا ذكر من في رواتها من الكذابين ومن لم تقبل
روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته
أكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما
(وذكر الواقدي) محمد بن عمر بن واقد المديني صاحب التآليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير
وطعن فيه آخرون توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح
رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في أكثر التفاسير (قتل خالد) بن الوليد وهو مصدر مضاف
لفاعله ومفعوله السوداء (عند هدمه العزى) وفي نسخة قطعه وهي أظهر لان العزى كانت شجرة أو
ثلاثة أشجار في مكان واحد بنوا عليها بناء وكانوا يعبدونها ويسمع منها أصوات فذكر الهدم باعتبار
ما حولها فهو بتقدير مضاف وهو مفعول هدم كقطع أي قطعها أو هدم بنائها وكانت لغطفان وهي سمرة
(للسوداء) مفعول قتل كما مر في نسخة للسوداء واللام للتقوية وهو شيطان في صورة امرأة سوداء
(التي خرجت له) أي لخالد رضي الله تعالى عنه لما باشر قطعها (ناشرة شعرها عريانة) واضعة

يدها على رأسها صائحة بالويل اهاوناشرة ومابعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها (فجزلها) بجيم وزاي معجمة مفتوحتين والزاي مشددة للمبالغة ومخففة أي جعلها جزلين أي قطعتين وروى جدلها بدال مهملة مشددة وروى عن خطه بخاء وذال معجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة وأشهرها أولهما والضمير للسوداء أي قطعها قطعا (بسيفه) وهو يقول ياعزى كفرانك لاغفرانك انى رأيت الله قد أهانك والعزى تأنيث الاعز (وأعلم) خالد بما فعله (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى) ان كانت الاشارة لما وقع به الفعل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسوداء فتسميتها عزى وهى اسم للشجر والبناء باعتبار انها هى التى عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من الغيبات ونحوها كما يقال الحج الثجة العج باطلاق الشئ على المقصود منه فهو مجاز وكانت بنخلة تعبدها قريش وكنانة وهى من أجل أصنامهم وقصة هدمها مفصلة فى السير وكان خرج خالد لها فى ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملائكة الا ان هذه اذ قتل ما تصور منها هلك لما قتله خالد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك العزى لن تعبد أبدا وقتل سادنها أى خادمها المتوكل بها وهو دبية بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن حرمى من بنى مرة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان شيطانا) هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد أو من شاط اذا احترق فنونه زائدة أو أصلية (تفلت) بتشديد اللام نفذ أى وثب بسرعة بغتة وأصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذ تخلصت من مربطها (البارحة) هى الليلة الماضية قبل وقتك التى تكلمت فيه يعنى فى ليلة يومه وقد ترد بمعنى اليوم الذى قبل يومك وفيه كلام فى شرحنا الدرة الغواص (ليقطع على) بتشديد الياء متعلق بيقطع بمعنى يبطل (صلاتى) التى كنت أصليها ويجوز ان ينازعه هو وتفلت (فامكننى الله منه) أى أقدرنى عليه وعلى أخذه وحبسه (فأخذته) أى أمسكته وعقته عن مضيه وهربه منى (فاردت ان أربطه) بكسر الباء وضمها أى أوثقه بوثاق يضمه (الى سارية) أى عمود أو اسطوانة من عمد المسجد (من سوارى) جمع سارية (المسجد) المدنى (حتى تنظروا اليه كلكم) لاجل ان تروه مربوطا (فذكرت دعوة أخى سليمان) بن داود نبى الله عليهما الصلاة والسلام وهى قوله فى دعائه (رب اغفر لى) كل ما صدر منى من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان كان معصوما (وهب لى ملكا) أى سلطانا عظيما (لا ينبغى لاحد من بعدى) أى لا يتيسر لاحد غيرى وهو أحد معانى الانبغاء مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته مقدرة له على تنفيذ أوامر ربه واظهار دينه وفى تقديم الدعاء بالمغفرة على حصول الملك ايماء الى ان السلطنة لا تخلو من أمور تحتاج لعفو الله تعالى أو وحيا من الله لطلبه أمرا لا يليق بغيره ولتركه مقام العبودية الذى ارتضاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الزمخشرى ان سليمان عليه الصلاة والسلام نشأ فى بيت ملك ونبوة فأراد أن يكون ما ورثه زائدا على غيره خارقا للعادة ليتم به أمره ويعلم انه باستحقاق للفيض الالهى لا بمجرد ميراث كأولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب قصر نعم الله عليه والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبى صلى الله عليه وسلم لان خصائص الانبياء وطلبها أمر آخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة ويأتى الكلام فى تعيينه ألقى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شعلة نار وهو يصلى ليقطع صلاته فأخذه هو بنفسه لا ملك منعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث زوائد لا طائل تحتها وقوله رب اغفر لى بدل مفسر لقوله دعوة أخى وتسخير الجن داخل فى

(فجزلها) بجيم وزاي مخففة وشدد للمبالغة أي قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول ياعزى كفرانك لاغفرانك انى رأيت الله قد أهانك وروى فجدلها بتشديد الدال أى فصرعها وفى رواية فخزلها بالخاء المعجمة والزى المخففة أى فقطعها (وأعلم) أى خالد (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أى له كما فى نسخة (تلك العزى) زيد فى رواية لن تعبد أبدا وفى رواية تلك شيطانة (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين عن أبى هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير أو من شاط اذا هلك لهلاكه فى الشر (تفلت) بتشديد اللام أى تخلص بغتة (البارحة) أى فى الليلة الماضية (ليقطع على صلاتى) والمعنى تعرض لى بغتة ليغلبنى فى اداء صلاتى غفلة (فامكننى الله منه) أى أقدرنى الله عليه (فأخذته فاردت ان أربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سوارى المسجد) أى منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى) أى ما صدر عنى فى أمر دينى وهو بدل من دعوة أخى (وهب لى) أى من الدنيا (ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) أى لا يتسهل لغيرى فى حياتى أو بعد مماتى مبالغة فى زيادة خارقة للعادة

هذه الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك تأدبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله تعالى وما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان للانسان ان يطلب من الملك شيأ يخصه به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز أن يكون هو ذلك الواحد وقوله (فرده الله) أي رد الله ذلك الشيطان باقداري عليه وتمكني منه (خاسئا) أي خائبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو واضح وقول البخاري قال روح فرده الله خاسئا بيان لانه وقع من روايته لانه روى فرددته وهي صريحة في ذلك وهذا الحديث روى من طرق وفيها زيادة اختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة هر وأخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وروى انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته أعوذ بالله منك وألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيأ فسألوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية المارة أخذته وخنقته يعلم منه ان قول المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه أوتي مثل كل معجزة لغيره كما يأتي وفي بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر وهو الذي يخالط الناس وأرواح وهم الذين يتعرضون للصبيان واجتماعها قيل وقرين الانبياء والعباد يقال له الابيض كما في تفسير القرطبي (وهذا) أي ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الملائكة والجن (باب واسع) اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي أكام المرجان ربطه الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم نبوي بالدعوة للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا وهو أفضل من الملك النبي ثم ان خنقه وفعله به ما فعله في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين والمسابقة في صلاة الخوف انتهى وفيه تأمل

(فصل ومن دلائل نبوته) * صلى الله تعالى عليه وسلم والدليل ما يعلم منه شئ آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذ والدي الشيخ أحمد بن قاسم في الآيات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل أن يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعائل قياسي والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشئ وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشئ بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولي في قوله دلائل الفقه صوابه أدلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يأت فعائل جمع اسم جنس على فعيل فيما أعلم لكنه بمقتضى القياس جائز في علم المؤنث كسعيد علم امرأة جمع على سعائد وذكر النحاة انه في غاية القلة ورد منه لفظان لا يقاس عليهما وهما صائد جمع وصيد وهو الباب وسلائل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهري تبايع جمع تبيع وافائل جمع أفيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بقلمه فقد يقال انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا خبط لا معنى له (وعلامات رسالته) العلامة الامارة وأكثر ما يستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى وأضاف الدلائل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة أصل والرسالة وصف زائد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلائل الدلائل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل

(فرده الله خاسئا) أي خائبا وهذا صريح في ان هذا الشيطان أحد الجن الموثقة بالقيود لدلالة تفلت عليه ولاشارة التنكير اليه فلا وجه لقول الحاكي هذا الشيطان يحتمل أن يكون ابليس وانه جاء ليلقي في وجهه عليه السلام شهابا من نار فاخذه ويحتمل أن يكون غيره والذي ظهر لي انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضي يفهم منه ان مثل هذا مما خص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته في ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من أخذه اما تواضعا أو تأدبا أو تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت وانسليم أولى وأسلم وأما ما نقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح في كفره وقال ابن عطية وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى أعلم بحاله ومآله (وهذا باب واسع) أي لا يمكن استقصاؤه ولا يتصور استيعابه

(فصل)

(ومن دلائل نبوته) أي دلالات بعثته من أول حالته (وعلامات رسالته) وبخط القاضي وعلامة رسالته

(ما ترادفت به الاخبار) أي تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) أي من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقوادهم كخبر الراهب بحيرا وكان في زمنه أعلم النصارى وقد سافر به عمه أبو طالب في أشياخ من قريش الى الشام فوافوا بصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بني عبد الاشهل من اليهود اذ أتى نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون بأعمالهم قال نعم ولوددت ان حظي من تلك النار ان توقدوا أعظم تنور ثم تقذفوني فيه وتطبقوه علي وأني أنجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبي يبعثه الله من هذه البلاد وأشار بيده الى مكة قالوا متى فرمى بطرفه الى أصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث آمنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له ألست الذي قلت ما قلت وأخبرتنا فقال ليس به (وعلماء أهل الكتب) أي من غيرهم وفي نسخة الكتاب على قصد الجنس وفي أصل الدلجي وعلماء أهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص (من صفته وصفة أمته) كخبر عبد الله بن سلام قال في التوراة صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الى ان قال

ما دل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد نبوته في قوله تعالى اني رسول الله اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فاعلامها (ما ترادفت به الاخبار) أي تتابعت خلفاء بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كأن بعضها ركب خلف الآخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر (عن الرهبان) وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيراء في قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل

يهودي غلاما من نصارى خاف * فاعجب له من راغب في راهب (والاحبار) جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من أهل الكتاب واشتهر في علماء اليهود وقوله (وعلماء أهل الكتب) من عطف العام على الخاص وأهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفي نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى (من صفته) صلى الله عليه وسلم (وصفة أمته واسمه وعلاماته) في التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدي المختار الى آخره وأمته الحمادون وفي الزبور عن وهب بن منبه سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا أمته مرحومة أعطيتهم مثل ما أعطيت الانبياء الى غير ذلك مما نقلها الثقاة كقوله في علامته في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين الى آخر ما ذكره من حليته فيه (وذكر الخاتم) بالفتح والكسر يعني خاتم النبوة (الذي بين كتفيه) وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة أو بيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور في كتب الله تعالى القديمة (وما وجد) بالبناء للمجهول (في ذلك) أي مما يدل على نبوته ورسالته (من أشعار الموحدين المتقدمين) من العرب المتألهين قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم العالمين بما في الكتب السماوية القديمة (من شعر تبع) بيان لما وجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمي به

مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون محمدون الله تعالى في السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) أي محمد في التوراة وأحمد في الانجيل وقال وهب ابن منبه في الزبور يا داود سيأتي من بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصيني أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم

الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وعلاماته) أي كما في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم الذي بين كتفيه) كما هو في كتب أهل الكتاب وقد بينت في شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد في ذلك من أشعار الموحدين) وفي أصل الدلجي وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين أي القائلين بالوحدة لالهية (المتقدمين) أي في زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة أحد ملوك اليمن وشعره هذا بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل أهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحيى فارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس أحيحة بن الجلاح من يهود بنيامين القرظي فقال له أحيحة أيها الملك نحن قومك وقال بنيامين أيها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبي يبعثه الله من قريش فانشده شعرا منه

ألقى الى نصيحة كي أزدجر * عن قرية محجورة بمحمد

قال التلمساني وهو أبو كريب الذي كسا البيت ولم يسبقه اليه أحد ومن شعره المتواتر عنه

لكثرة اتباعه المنقادين له وأصل معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر وهو الاول والثانى أبا كرب وتبع الثانى هو الذى أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود ولما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك أجل من ان يطر به فرق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من ان يضيق حلمه أو يخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السهيلى رحمه الله تعالى وهذا الرجل من اليهود وهو أحد الحبرين الذين كلما الملك سحيت ومنبه أو بنيامين ويأتى ان شامول كامه أيضا آمن به عليه الصلاة والسلام وكسى الكعبة وهو أول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على أحمد انه * نبى من الله بارئ النسم
فلومد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعدائه * وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور * وأمته هى خير الامم
(وقوله) ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمدا يا ليت انى * أعمر بعد مبعثه بعام

(والاوس بن حارثة) بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشخب بن يعرب بن قحطان والاوس فى اللغة الذئب أو العطية سمى به وله تنسب الانصار وكان أوس من عدة ناس فى الفترة هداهم الله تعالى للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يعاشرون أهل الكتاب فيخبرونهم بما فى كتبهم من ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيذكرونه فى خطبهم وأشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره أحد هنا فى الشراح وهو سيد جواد طائى كان صديقا لحاتم الطائى والاوس بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلى انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذئب لانه علم جنس كاسامة لا تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فبعده أولى وقال التلمسانى انه روى هنا بدون الالف واللام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلى (وكعب بن لؤى) هذا هو الصواب وفى بعض النسخ لوى بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤى يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاى بمعنى البطؤ وهو أول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة فى الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال فى خطبة له أما بعد فاسمعوا وتعلموا * وافهموا واعلموا * ليل ساج * ونهار ضاح * والارض مهاد * والسماء بناء والجبال أوتاد * والنجوم أعلام * الى قوله الدار أمامكم * والظن غير ما تقولون * حرمكم زينوه وعظموه * فسيأتى له نبأ عظيم * وسيخرج منه نبى كريم * وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
منونان بالاحداث حين تناوبا * وبالنعم الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

الى آخر ما رواه ابن الجوزى مسندا فى كتاب الوفاء (وسفيان بن مجاشع) التميمى الدارمى المجاشعى جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاذاهم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول * العزيز من والاه * والذليل من خالاه * والموفور من والاه * والموتور من عاداه * فقال سفيان من تذكرين الله أبوك فقالت * صاحب هدى وعلم * وبطش وحلم * وحرب وسلم * ورأس رؤس

قوله
شهدت على أحمد انه
رسول من الله بارئ النسم
فلومد عمرى الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وأبيات كتبها وأودعها الى أهله فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر الى ان هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فادوها اليه ويقال كان الكتاب والابيات عند أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه (والاوس بن حارثة) والحارثة بحاء مهملة ابن لام الطائى وهو ممن يوحد الله تعالى من أهل الفترة (وكعب بن لؤى) بضم لام ففتح همزة وتبدل وتشديد تحتية وهو سابع أجداده عليه الصلاة والسلام وأما ما فى نسخة لؤى بن كعب فخطأ (وسفيان بن مجاشع) أى وأشعارهم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لكنها غير مشهورة

* ورابض شموس * وماجن بؤس * وماهدز عوس * وناعس ومنعوس * فقال سفيان لله أبوك من هو قالت * نبي مؤيد قد أتى حين يوجد * ودنا أوان يولد * يبعث الى الاحمر والاسود * بكتاب لا يفند * اسمه محمد * قال سفيان لله أبوك أعربي هو أم أعجمي فقالت * أما والسماء ذات العنان * والشجر ذات الافنان * انه لمن معد بن عدنان * فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي المذكور وهو أحد من سمي باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وماذكر يكفي في المقصود (وقس بن ساعدة) الايادي قس بضم القاف وتشديد السين والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من الحكماء الزهاد كعمه وخاله منقطعا للعبادة في برية وآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه ورآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره في الصحابة رضي الله عنهم وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة أو سبعمائة سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وربما ضربها بعصاه وهو خطيب مغلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قدم الجارود على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت أقفو أثره كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له * ليبلغن الكتاب أجله * ويقول * هاج للقلب من جواه اذكار * وليال خلالهن نهار * في أبيات أخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما أحفظه فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كنت حاضرا وانا أحفظه سمعته يقول في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا * انه من عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * مطر ونبات * وارزاق وأقوات * وآباء وأمهات * وأحياء وأموات * وجمع واشتات * وآيات بعد آيات * ان في السماء لخبرا * وان في الارض لعبرا * ليل داج * وسماء ذات ابراج * وارض ذات رتاج * وبحار ذات أمواج * مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون * أرضوا بالمقام فاقاموا . أم تركوا هناك فناموا * أقسم قس قسما حاتما * لا حانثا فيه ولا آثما * ان لله دينا هو أحسن من دينكم الذي أنتم عليه * ونبيا قد حان حينه * واظلكم أوانه * فطوبى لمن آمن به فهداه * وويل لمن خالفه وعصاه * تبا لارباب الغفلة * من الامم الخالية والقرون الماضية * يا معشر أياد * أين الآباء والاجداد * وأين المريض والعواد * وأين الفراعنة الشداد * وأين من شيد وزخرف ونجد * وغره المال والولد * أين من بغى وطغى * وجمع فاوعى * وقال أنا ربكم الاعلى * ألم يكونوا أكثر منكم أموالا * واطول منكم آجالا * وأبعد منكم آمالا * طحنهم الثرى بكلاكله * ومزقهم بتطاوله * فتلك عظامهم بالية * وبيوتهم خاوية * عمرتها الذئاب العاوية * كلا بل هو الله أحد * الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود * وانشأ يقول في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر * ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر * لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر * أيقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر * انتهى وروى له أشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث * ولم يخلقنا سدى من بعد عيسى واكترث * ارسل فينا أحمدا خير نبي قد بعث * صلى الله عليه ما حج له ركب وحث * الى آخر ما ذكروه الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال

(وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين أسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره

الحمد لله الذي
لم يخلق الخلق عبث
لم يخلنا منه سدى
من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمدا
خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما
حج له ركب وحث

وقد رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره في الصحابة

(وماذكر) عطف على ما وجد أي وما نقل (عن سيف بن ذي يزن) بفتح الياء والزاي مصر وفاوينع وهو من ملوك حمير ومن كان شريفا من أهل اليمن يقال له ذو يزن وقد ذكره الذهبي في الصحابة وقال ما لفظه سيف بن ذي يزن أهدى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور انتهى وقال الدلجي خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنئوه بنصرته على الحبشة اني مفض اليك من سر علمي ما لو غيرك لم أبح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه أني أجد في علمنا الذي ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو وقال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال أيها الملك لقد أتيت بخبر ما آب به وافد ثم قال أيها الملك ابن لي ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن العرض ويفتح بهم كرائم أهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال أيها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل أحسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لي ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب فجاء بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسدوك أو ابناؤهم ولولا اني أعلم اني أموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكي فانها مهاجره وأهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفي عليه لاعلنت على حداثة سنه أمره ولاوطات على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير مني معك واذا حال الحول فائتني بخبره وما يكون من أمره * فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبي في الصحابة مع ايمانه به في حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى أعلم (وغيرهم) أي كالراهب الذي قال لسلمان الفارسي اذ قال له بمن توصيني أكون عنده بعدك أعبد الله أي بني والله ما أعلم أحدا على ما كنا عليه أوصيك ان تكون عنده ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين في ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة ياكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل

انه يجازف في الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره أيضا فالصحيح انه ليس بموضوع (وماذكر عن سيف ابن ذي يزن وغيرهم) ابن ذي يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزني وازني ويزاني وفيه وفي اشتقاقه كلام طويل للصاغاني وقال البرهان انه مصروف والذي في القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل وأصله يزان ورد الصاغاني في الذيل والصلة منع صرفه واطال فيه وقال مادة زان غير معروفة ولا تضاف ذو هنا الا الى أسماء الاجناس وفي شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين أحدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم أبدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف على هذا الثاني انه ماض أصله يزن قلبت الواو همزة كما في أحد ثم أبدلت ياء وسمي به فهو منصرف انتهى وهذا لا يرد عليه ما أورده الصاغاني وقوله لا تضاف ذو الا الاسماء الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كما هنا وهي لغة أهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمائهم وهو من اضافة المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الاذواء وقصة سيف مشهورة في التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد وغيرهم من وجوه قريش واستأذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابناء الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال * أيها الملك ان الله قد أحلك محلا رفيعا * شامخا منيعا * وانبتك منبتا طابت أرومته وعذبت جرثومته * وثبت أصله * وبسق فرعه في أطيب موطن * واكرم معدن * وأنت أبيت اللعن أيها الملك رأس العرب وربيعها التي تخصب به * ورأسهم الذي له ينقاد * وعمودها الذي عليه العماد * ومعقلها الذي اليه يلجأ العباد * وسلفك لنا خير سلف * وأنت لنا خير خلف ولن يخمل ذكر من أنت خلفه * ولن يهلك من أنت سلفه * ونحن أيها الملك أهل حرم الله وبيته أشخصنا اليك الذي أبهجنا بك لكشف الكرب الذي قد حنا * فنحن وفد التهنية * لا وفد الرزية * فقال له سيف وأيهم أنت أيها المتوكل قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فادناه وأقبل عليه وعلى القوم وقال * مرحبا وأهلا * وناقة ورحلا * ومستناخا سهلا * وملكا ربحلا * يعطي عطاء جزلا

قد

قدسمعت مقالتكم * وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم * وأنتم أهل الليل والنهار * لكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم * انهضوا الى دار الضيافة والوفود * وأمر لهم الانزال فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم فى الانصراف ثم ارسل الى عبد المطلب وقال له بعدما قرب مجلسه يا عبد المطلب انى مفض اليك بسر لو يكون غيرك لم أبح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره * انى أجد فى الكتاب المكنون * والسر المخزون * الذى اخترناه لانفسنا دون غيرنا * خبرا عظيما * وخطرا جسيما * فيه شرف الحياة * وفضيلة الوفاة * للناس كافة * ولرهطك عامة * ولك خاصة * فقال عبد المطلب فتلك أيها الملك من سر وبر * فما هو فداك أهل الوبر والمدر * زمرا بعد زمر * فقال له اذا ولد بتهامة * غلام به علامة * بين كتفيه شامة * كانت له الامامة * ولكم به الزعامة * الى يوم القيامة * فقال له عبد المطلب أبيت اللعن لولا هيبة الملك واجلاله سألته عما ازداد به سرورا فقال * هذا حين زمانه الذى يولد فيه أو قد ولد * واسمه محمد * يموت أبوه وأمه * ويكفله جده وعمه * قد ولدناه مرارا * والله باعثه جهارا * وجاعل له منا انصارا * يعز بهم أولياءه * ويذل بهم أعداءه * ويضرب بهم الناس عن عرض * ويستبيح بهم كرام الارض * يعبد الرحمن * ويدحر الشيطان * ويخمد النيران * ويكسر الاوثان * قوله فصل * وحكمه عدل * يأمر بالمعروف ويفعله * وينهى عن المنكر ويبطله * فقال عبد المطلب أيها الملك عز جارك * وسعد جدك * وعلا كعبك * ونما أمرك وطال عمرك * هل للملك ان يسرنى بافصاح * فقد أوضح لى بعض ايضاح * فقال والبيت ذى الحجب * والعلامات على النقب * انك لجده بلا كذب * فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك فقد ثلج صدرك * وعلا أمرك * فهل أحسست شيأ مما ذكرت فقال نعم أيها الملك انه كان لى ابن كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا ومات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كلما ذكرت من علاماته فقال الذى ذكرت كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين معك فانى لست آمن ان تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون أو أبناؤهم ولولا أعلم ان الموت مجتاحى قبل بعثه سرت بخيلى ورجلى حتى آتى يثرب وأصيرها دار ملكى فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام أمره وموضع قبره وأهل نصره ولولا انى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لاوطأت العرب كعبه وأعلنت على حداثة سنه ذكره ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الابل وعشرة أعبد وعشرة اماء وعشرة أرطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان رأس الحول فأتنى بخبره وما يكون من أمره فهلك قبل رأس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطنى أحد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لى شرفه وذكره فى العقبى فاذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبد المطلب أشهد ان فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما فى كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابى ولا تابعى فذكر الذهبى له فى الصحابة لا وجه له والعجب من بعض الشراح حيث نقل ما ذكرناه وقال انه تابعى فالحق انه ليس كذلك ولا مخضرم أيضا كما قيل ولعل الذى ذكره الذهبى اشارة الى ان مثله لا يقال بالرأى أيضا (وما عرف به من أمره) وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبنى للفاعل لا للمفعول وان صح بناء على انه عرفه به أهل الكتاب والفاعل أونائبه (زيد بن عمرو بن نفيل) قال الذهبى هو زيد بن عمرو بن نفيل

(وما عرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما وهم الدلجى أى وما أعلم (به من أمره) أى بعضه (زيد بن عمرو بن نفيل) بالتصغير قال الحلبى زيد هذا والد سعيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يتعبد فى الجاهلية قبل النبوة على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويتطلب أحكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الانصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان اذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم كما ذكره فى الاحاديث وتوفى قبل النبوة فرثاه ورقة بن نوفل بابيات معناها انه خلص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عن عبادة الاوثان وفى صحيح البخارى فى كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الدلجى ذكر زيد عن راهب بالجزيرة اذ قال له وقد سأله عن دين ابراهيم عليه السلام ان كل من رأيت يعنى من الاحبار والرهبان فى ضلال انك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج فى أرضك نبى أو هو خارج يدعو اليه ارجع اليه فصدقه فلقيه واتبعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث ببلدح فقال له أى عم مالى أرى قومك قد أنفوك قال أما والله ان ذلك لغير ثائرة منى اليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدين ثم أخبره بما عرف به راهب الجزيرة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم أختبر شيأ بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال أنا لا آكل مما لم يذكر

اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة أمة وحده كما رواه النسائى هذا وعدابن منده له واغيره ممن رآه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع فى الكلام اذلم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها مؤمنا (وورقة بن نوفل) أى وماعرف به من أمره ورقة بن نوفل بن أسد عن رهبان كثيرين وقد أخبرته خديجة بنت خويلد بن أسد بما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبى هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا

تبكر ام أنت العشية رائح * وفى الصدر من أضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كانك عنهم بعد يومين نازح
فاخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذى وجهت ياخير حرة * بغور و بالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى والركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص دوانح
يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظنى به ان سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
وتتبعها حباالؤى جماعة * شبابهموا والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح
والا فانى ياخديجة فاعلمى * عن أرضك فى الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ماذكر بعضهم بانه صحابى بل هو أول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة جئت اذصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتاه بعد مجئ جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة أوجبتان واما مانقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة فواه جدا ويرده مافى صحيح البخارى عنه صريحا (وعثكلان) بفتح العين والكاف وتضمان واقتصر عليه بعضهم (الحميرى) بكسر الحاء وفتح الياء نسبة الى حمير أى قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول أى وماعرف به من أمره من الرهبان لكنى لم أر من ذكره فى معرض البيان

ابن عبد العزى بن رباح العدوى الذى قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث أمة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك وأهله ويوحد الله ويقول لقريش ماقومكم على شئ قد أخطأوا دين ابراهيم باوثن لاتضر ولا تنفع بعدو كان يخالفهم ولايا كل ذبائحهم فاجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته وتوفى قبل مبعثه وقال شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال أراك تريد دين ابراهيم يا أخا أهل مكة انك لتطلب دينا لايوجد اليوم وهو دين أبيك ابراهيم فالحق لبلدك فان الله يبعث لك من ياتى بدين ابراهيم الحنفية وهو أكرم الخلق على الله تعالى انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره أيضا انه لقى راهبا بالجزيرة فساله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان فى ضلال وانك لتسال عن دين الله وقد خرج فى أرضك أوهو خارج نبى يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته ببلد حيد فقال ياعم مالى أرى قومك قد أبغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير نائرة منى اليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ما أشار اليه المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهودة تلوء بلخم (وورقة بن نوفل) أحد النفر الذين كانوا فى الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو معطوف على زيد أى وماعرف به ورقة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها كما ذكره البخارى وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه أول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرأ الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخبره بامره ابشر فانك الذى بشر به ابن مريم ورآه صلى الله عليه وسلم فى الجنة عليه ثياب خضر وقال لاتسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم (وعثكلان الحميرى) بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام وألف ونون والحميرى نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا أى ماعرف به من أمره صلى الله عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفى الخصائص ان ابن عساكر أخرج من طريق عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث عن أبيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميرى وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا

جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألنى عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم أحد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكانى فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لى انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة الا أبشرك ببشارة هى خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالمعجمة وأبشرك بالمرعبة ان الله قد بعث فى الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرف ولا تبالة هو من بنى هاشم وأنتم أخواله يا عبد الرحمن أحق الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذى المعالى * وفالق الليل والصباح
انك فى السر من قريش * يا ابن المفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين * ترشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعى الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله تعالى عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رآنى صلى الله تعالى عليه وسلم فضحك وقال لى أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته وأسلمت فقال أخا حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى أولئك من اخوانى حقا انتهى (وعلماء يهود) وفى نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه فى باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر

أولئك أولى من يهود بمدحة * اذا أنت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله شراحه أى ماعرف به من أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه فى كتبهم ورووه عن أسلافهم كابن صوريا وابن أخطب وأبى ياسر ووهب بن يهود وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من أسلم ومنهم من عاند حسدا فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال (وشامول عالمهم) بشين معجمة وميم ولام بينهما ألف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفى كتاب الوفاء لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال انى مخرب هذه البلدة حتى يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودى وهو يومئذ أعلم اليهود أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبى من بنى اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذى أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبى قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكن النصرة قال تكون له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم ساله عن صفته فأخبره بها كما مر فى حديث الحلية الشريفة وقوله (صاحب تبع) أى الذى كان معه ورهبان آخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله (من صفته وخبره) صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته آنفا بيان لما عرف به (وما ألفى من ذلك) أى من صفته وخبره

(وعلماء اليهود) وفى نسخة وعلماء يهود أى من كتبهم أو من أخبارهم عن أحبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر فى نادى من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله أكبر اما اذا أخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما أقول لكم ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسأل كل أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودى به فقال اذهبوا وانظروه فدخلوا به على أمه فرأى العلامة فخر مغشيا عليه ثم أفاق فقالوا ويلك ما دهاك فقال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل أفرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها فى المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمة ثم ميم وفى آخره لام لا كاف كما فى أصل الدلجى (عالمهم صاحب تبع) وهو الذى مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا له ان هذه مهاجر نبى آخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا بها فيقال الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيد ومن ذكر من بعده (وما ألفى) بضم همزة فكسر فاء وأما القاف كما فى نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجد (من ذلك) أى مما دل على ما ذكر من صفته وخبره.

(في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء) أي علماء هذه الأمة (و بينوه) ففي التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان
هاجر تلد و يكون من ولدها من يده فوق الجميع و يد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام اني مقيم لهم نبيا من بني
اخوتهم مثلك واجري قولي في فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه وفي الانجيل
قال عيسى عليه السلام اني أطلب الى ربي فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي
باسمي أي النبوة هو الذي يعلمكم و يعلمكم جميع الاشياء و يذكركم ما قلته واني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به
وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه أقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم أنطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان
انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء يفيد العالم و يؤنبهم و يوبخهم و يوقفهم على الخطيئة والبر والدين روح اليقين يرشدكم و يعلمكم
و يدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) أي عن التوراة والانجيل وفي أصل
الدلجي عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء لكنه لا يلائم قوله (ثقاة من أسلم) وفي نسخة ثقاة من أسلم بالاضافة (منهم) أي من علماء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود وأخباره شهيرة كثيرة (وابني سعية) بفتح فسكون فتحتية أو فنون والمعروف انهما اثنان فما في بعض النسخ و بني سعية من غير ألف لعله سهو او محمول على ان أقل الجمع اثنان وان قول الحلبي فيحتمل ان القاضي رأى معهما أسد ابن عبيد فظنه أخاهما
فهو من الظن السوء به نعم قوله و يحتمل انه وقف على انهم ثلاثة لم
ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفي دلائل النبوة للبيهقي وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال أسيد او ثعلبة ابني سعية وأسيد
ابن عبيد نفر من هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير يعني نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها
قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو اقدم علينا قبل البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام
عندنا فكنا نستسقي به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يامعشر يهود ما ترونه أخرجني من الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت اعلم قال انما
خرجت أتوقع مبعث نبي قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي
ذراريهم ثم مات فلما افتتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا اشبانا احداثا يامعشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان
قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
(و بنيامين) سمي أخي يوسف عليه السلام

(في التوراة والانجيل) والفي بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى
وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسيأتي طرف منها واعلم ان التبابعة أربعة وقد اختلفوا في
أيهم آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو الاكبر أو غيره كما قاله السهيلي وليس هذا محل تفصيله
وتقدم بيانه اجمالا وقوله (مما قد جمعه العلماء) في تآليفهم بيان لما الفي فيهما من صفته صلى الله تعالى
عليه وسلم وخبره (و بينوه) أي أظهروه ووضحوه للناس (ونقله عنهما ثقاة من أسلم منهم) أي من
أهل الكتاب (مثل) عالمهم وحبرهم عبد الله (ابن سلام) بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم
الكلام عليه وعلى اسلامه (و بني سعية) بني جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة
ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل النون أكثر وأشهر وهم ثعلبة وأسيد
بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة و زيد وقيل انهم سبعة لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن
اسحق ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من هذيل بنو عم قريظة والنضير
أسلموا في الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال البرهان وهذا
هو الذي أعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي رأى معهم أسد بن عبيد فظنه أخاهم
ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم رجل من أهل الشام يقال له
ابن الهيبان أقام عندهم وكان عالما يتبركون به و يستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يامعشر
يهود انما أقدمني هذه البلدة خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت أرجوا ان أدركه
فاتبعه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة قال لهم بنو سعية وهم
أحداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به فقالوا بل هو هو بصفته فنزلوا وأسلموا
وأحرزوا أهلهم وأموالهم ودماءهم كما في الاكتفاء ودلائل البيهقي (وابن يامين) بن عمير بن عمرو بن
كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه بنيامين و يقال بليامين باللام وهو أحد الحبرين اللذين قدما
من اليمن مع تبع واسم الآخر سخيت كأنه تصغير سخت كما قاله التلمساني وقال الشارح الجديد

لم أطلع عليه (ومخيريق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والياء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من أحبار اليهود كثير المال والخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كان يوم أحد يوم السبت قال يا معشر يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لاسبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم فموالى لمحمد يصنع بها ما أراه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما مر اسم هذه القبيلة ولاشك انه منها ومن خيرها فلا يقال كيف أضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل (وكعب) بن ماتع وهو كعب الاحبار كما تقدم التابعي المشهور أدرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص على ما روي عنه آثار كثيرة في صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة كما في الوفاء وكتاب الشرف لابي سعيد وفي خير البشر لابن ظفر وسأله عمر رضي الله تعالى عنه عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وأيامه بها ثم يقبض ويدفن بها الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة (وأشباههم) من علمائهم الذين كانوا يعرفون أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وأخباره من كتبهم (ممن أسلم) وآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه كمخيريق أو لم يره ككعب (من علماء يهود وبحيرا) عطفه على علماء اليهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة وألف مقصورة على المشهور الا ان البرهان قال ان راءه ممدودة بخط العلامة بن المرحل فلعله وقف على لغة فيه وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه ولا يلتفت لاحد منها فلما ذهب أبو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير ابن تسع سنين أو اثنتي عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما فاذهبوا معه وتركوه في رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقي أحد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى أتى فسألوه عن سبب هذا ولم يكن دأبه فقال اني رأيت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا النبي وانا لنجده في كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه من اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل أسرع في سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من أول من آمن به وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة (ونسطور الحبشة) احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء أهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشي (وصاحب بصرى) بضم الباء كحبلى بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام وقيل انها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها الذي أرسل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث ابن أبي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما أخبر

(ومخيريق) بالتصغير وخاؤه معجمة قال السهيلي انه أسلم وأوصى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف أوصى بسبعة حوائط
قال الحلبي قاتل يوم أحد حتى قتل وقال الواقدي كان حبرا عالما فآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو من بني النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بانه أسلم (وكعب) أي كعب الاحبار (وأشباههم ممن أسلم من علماء اليهود) أي ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام مثل كعب فانه تابعي مخضرم ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام وانما أسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا ومقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة ان لم يشترط الاجتماع بعد البعثة (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفي نسخة نصطور وفي نسخة بنون في آخره بدل الراء (الحبشة) قيده بهم احترازا من نسطور الشام وهو الذي جرى له ما جرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في متجره لخديجة في رحلته الثانية الى الشام (وضغاطر ٢) بفتح أوله وكسر الطاء وهو الاسقف الرومي أسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه فهو تابعي مخضرم وذكره الذهبي في تجريد
الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما في البخاري

٢ قوله وضغاطر موجودة بالصفحة الثانية لوجود تاخير وتقديم بالاصل اه فلتحرر

به عن أمره صلى الله تعالى عليه وسلم (وأسقف الشام) وفى نسخة أساقفة الشام و يعنى بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم وأسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الا أسرب وحكى ابن سيدة تأثاو هو الاسلاف للصالح وقال العينى فى شرح البخارى ولا يرد عليه الاترج لانه جمع والكلام فى المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر الفارسى فى كتاب منبع الرغائب والغرائب فى الحديث فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع أسقف من سقيفاه وجمعه أساقفة والسقفى مصدر والحليفى ومعناه لا يمنع أسقف من تسقفه ولا راهب من ترهبه والمسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفى خطبة الحجاج المعروفة ايا كم وهؤلاء السقفاء قال القتيبى أكثرت السؤال عنه فلم يعرفه أحد وقال بعض أهل اللغة انما هو الشفعاء أى الذين يشفعون عند السلطان فى المريب انتهى وفى القاموس وقول الحجاج ايا كم وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون فى المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشرى أثبته فى الفائق والاسقف عالم النصارى ورئيسهم (وضغاطر) بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما ألف وطاء وراء مهملتان ويقال ضغاطن بنون وبفاطر بوحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية رضى الله تعالى عنه لما أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه وأظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبى وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة وهو الذى أبهمه البخارى فى أوله فى قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره فى العلم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل أدخلنى عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فساله عن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فأصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره انى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وأنى قد آمنت به وصدقته وروى ابن اسحق ان هرقل أرسل دحية الى ضغاطر الرومى وقال انه فى الروم أنفذ قولا منى فاظهر اسلامه وألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان عندهم أعظم منى وحينئذ فضغاطر تابعى مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضى الله تعالى عنه وفد على هرقل مرتين (والجارود) ابن عمرو بن العلاء أو ابن العلاء ويكنى أبا غياث أو أبا عتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو وأصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا فى دينه وأدرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله أشعار رويت فى السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض

فابلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقيل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمى الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم قال العبدى

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

(وأسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) أى ابن العلاء وفد فى قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك فى الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه

(وسلمان) أى الفارسى (والنجاشى) وهو أصحمة (ونصارى الحبشة وأساقف نجران) بفتح الهمزة وكسر القاف وتخفيف الفاء جمع أسقف أى علمائهم ورؤسائهم ونجران بفتح نون وسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر كذا فى القاموس وقال الذهبى فى تجريد الصحابة ما لفظه أسقف نجران قال أبو موسى لا أدرى أسلم أم لا ولم يذكره غيره نقله الحلبى (وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) أى بصحة نبوته وعموم رسالته (هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وفى نسخة بسكون الراء وفتح القاف وفى أخرى بفتح الهاء والقاف (وصاحب رومة) كذا فى أكثر النسخ وقال الحلبى صوابه رومية بتخفيف الياء كما فى الصحيح وهى مدينة رياسة الروم وأعاهم

وقيل لانه فر بابله وبها داء الى اخواله بنى شيبان ففشا الداء فى ابلهم حتى أهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستئصال (وسلمان) الفارسى وقصة اسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبى صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها (وتميم) الدارى ينسب للدار وهم بطن باليمن من لخم هم ولد هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن ادد نهم تميم بن أوس بن خارجة بن سواد ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار ويكنى بابى رقية وأسلم تميم سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من أهل الكتاب عالما بكتبهم فقرأ فيها بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به واقطعه اراضى بالقدس وقصته مشهورة أفردها ابن حجر وكذا السيوطى بالتأليف (والنجاشى) بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه أصحمة وقيل غير ذلك كسلم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفى فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغائب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال للقسيسين أشهد انه رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك أتيته وكنت أحمل نعليه وكان من أعلم أهل عصره بالانجيل يقرأ صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام فى ترجمته (ونصارى الحبشة) هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل وأخبروا بها (واساقفة نجران) وفى نسخة اساقف بدون هاء جمع أسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا أى علماؤهم ورؤساهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة وألف ونون وهو موضع باليمن سمى بنجران ابن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمى أهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى ستون راكبا من أشرافهم وكان لهم علم بالكتاب وأشرفهم أبو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وتولوه وبنوا له كنائس واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أخوه كوز بضم الكاف وآخره زاى معجمة على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له لم يا أخى قال لم لم تؤمن بهذا النبى وانه الذى كنا ننتظره فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما أصنع هؤلاء القوم شرفونا وتولونا وقد أبوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها فى نفسه حتى أسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم الحبرات فى جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلون الى الشرق فقال دعوهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه منهم أبو حارثة والعاقب والايهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلموا قالوا أسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب وأكل الخنزير فانزل الله تعالى فيهم أول سورة آل عمران فلما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا واتفقوا انه ما لاعن نبى قوما الا استؤصلوا ثم نزلوا على أمره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقضى بينهم والقصة مفصلة فى كتب التفسير والسير (وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) أى ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به فى الكتب القديمة (هرقل) ملك الروم وقصته مذكورة فى أول البخارى وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف كخمر وحكى اسكان الراء وكسر القاف وكان يعرف أمره صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب الالهية ولكن أحب الملك فحكم بشقائه ما لك الملك وفى الاستيعاب انه آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بموتة ووعدهم ان يأتيهم فى العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخبر به دحية (وصاحب رومة) بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة

(عالما النصارى ورئيساهم) كما في البخاري ثم هرقل كتب الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه نبي ويروى النصرانية ورئيساها (ومقوقس) بضم الميم وكسر القاف الثانية (صاحب مصر) أي ملك القبط قال الذهبي في تجريد الصحابة المقوقس صاحب الاسكندرية أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ولا مدخل له في الصحابة ذكره ابن منده وأبو نعيم وما زال نصرانيا ومنه أخذت مصر واسمه جريج انتهى وسماه الدارقطني جريج ابن سينا انتهى وأثبته أبو عمرو في الصحابة ثم أمر بان نضرب عليه وقال يغلب على الظن انه لم يسلم وكانت شبهته في اثباته في الصحابة رواية رواها ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال أخبرني المقوقس انه أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه قال الحلبي فائدة لهم شخص آخر معدود في الصحابة يقال له المقوقس في معجم ابن قانع قال الذهبي لعله الاول (والشيخ صاحبه) وهذا لا يعرف اسمه (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء ممدودا ومقصورا قال الحلبي اسمه عبد الله ذكر السهيلي عن النقاش انه أسلم وقال الدلجي أسلم ثم ارتد الى دينه والله تعالى أعلم (وابن أخطب) هو حيي أبو صفية أم المؤمنين (وأخوه) هو أبو ياسر بن أخطب قتلا كافرين صبرا مع أسرى بني قريظة (وكعب بن أسعد) صاحب عقد بني قريظة وعهدهم موادعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم النبي عليه السلام فغلبهم فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب بن أسد وكانوا ستمائة أو سبعمائة أو ثمانمائة أو تسعمائة (والزبير) بفتح الزاي وكسر الباء (ابن

(باطيا

يليها هاء في أكثر النسخ وفي بعضها رومية بياء مخففة عند أهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد لحنا الا انه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو لفظ عجمي معناه حارس الكروم والعامة تقوله ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا وأعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم واعترض بانه أسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقاء على البقاء على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها سار باستهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحبه برومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على مزعمه (عالما النصارى) مثنى عالم (ورئيساهم) مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية أي حاكمها (ومقوقس صاحب مصر) أي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومي قيل معناه عندهم مطول البناء وهو الذي أهدى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اتخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما زال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس آخر عد في الصحابة قاله الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام (والشيخ صاحبه) أي صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الان المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجائب أحال عليها في مروج الذهب فان وقفنا عليها ألحقناها ههنا (وابن صوريا) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية وألف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه أعلم منه بالتوراة وقال النقاش انه أسلم وقيل أسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحق اسلامه وعده في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المصنف رحمه الله مبني على عدم اسلامه (وابن اخطب) بزنة أفعل من الخطبة وهو حيي أبو أم المؤمنين صفية رضي الله تعالى عنها (واخوه) أبو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا في اسراء بني قريظة وكانا يعلمان أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما في التوراة من ذكره بصفته ومع ذلك كانا أشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما أسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة غدا اليه أبي وعمي ثم جاآ بالعشي فسمعت عمي يقول لابي أهو هو قال نعم الحديث (وكعب بن أسد) من بني قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على نسائكم وأموالكم وأهلكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى آخر القصة وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كند بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة (والزبير بن

باطيا) بكسر الطاء قال الدلجي في نسخة باطا بلا تحتية وقال الحلبي وغيره ذا المؤلف باطا بلا مد ولا همزة وهو أي الزبير والد عبد الرحمن بن الزبير الذي تزوج امرأة رفاعة القرظي الحديث كما في البخاري وقال ابن منده وأبو نعيم هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد ابن أمية الاوسي (وغيرهم) أي وقد اعترف بثبوت نبوته وحقية رسالته هؤلاء وغيرهم (من علماء اليهود ممن حمله الحسد) وهو ارادة زوال نعمة الغير (والنفاسة) بفتح النون من نفست عليه الشئ نفاسة اذا لم تره يستأهله انفة (على البقاء) أي بقائه على الكفر في الدنيا (والشقاء) أي تعبه بالعذاب في العقبى وفي نسخة الشقاوة وفي أصل الدلجي وبعض النسخ على البقاء على الشقاء أي المداومة على الشقاوة (والاخبار في هذا) أي فيما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثيرة لا تنحصر) أي بحيث لا تحصى ولا تستقصى (وقد قرع) بفتح القاف وتشديد الراء أي ضرب عليه السلام بشدة وأبلغ بحدة (اسماع يهود) وفي نسخة اليهود (والنصارى بما ذكر) أي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام (انه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه) كقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية وفي الانجيل أيضا جد في أمري واسمع واطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل الى آخر ما تقدم وفي التوراة أيضا قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد الحديث وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ستا لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي اضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا وأصرف عنهم سوأ أو ادخره لهم في الآخرة

باطيا) الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة وهو من يهود بني قريظة أيضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة وكان من أعلم اليهود وروى عنه ابنه انه كان يقول اني وجدت سفرا كان أبي يختمه فيه ذكر أحمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة وألف تليها طاء مهملة ومثناة تحتية وألف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون ياء وكتب عليها صح وقال التلمساني انها رواية فيه (وغيرهم من علماء اليهود) الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم واحبارهم ولهم ذكر في مفصلات السير (ممن حمله الحسد) له صلى الله تعالى عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بني اسرائيل (والنفاسة) بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد وهي مغايرة له لانها المنازعة في الانفسية بان يدعي انه أنفس وأحق بما هو فيه وانه لا يستأهله ولا يستحقه وجعله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كأنه حمله حتى أوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر (على البقاء على الشقاء) أي اصراره على كفره أو ارتداده عنادا والشقاء ضد السعادة وبين الشقاء والبقاء تجنيس (والاخبار) الواردة (في هذا) الباب (كثيرة لا تنحصر) اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها أي الاحاطة بها (وقد قرع) بالبناء للفاعل والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة في الجهر حتى كأنه يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر (اسماع اليهود والنصارى) خصهم لانهم أهل الكتاب وقدم اليهود لانهم أشد عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم وأكثر انكارا وعنادا وفي بعض النسخ يهود والنصارى فعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل لان اليهود أشد عداة للمؤمنين وفيه نظر (بما ذكر انه في كتبهم) متعلق بقرع وفاعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أصحابه) وفي نسخة وصفة أمته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية ذكرهما خصوصا وعموما وما في التوراة انهم خير أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة أناجيلهم في

(واحتج) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث أنكروا نعته ونعت أمته (بما انطوت) أي اشتملت (عليه من ذلك) أي النوع (صحفهم) أي كتبهم (وذمهم) أي النبي عليه السلام (بتحريف ذلك) أي بتغيير مبناه أو تعبير معناه (وكتمانه) أي بعدم تبيانه (وليهم ألسنتهم) أي فتلها

وصرفها (ببيان أمره) أي وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالتاء وفي نسخة ودعواهم

صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر في كتابه خير البشر بخير البشر (واحتج) صلى الله تعالى عليه وسلم أي أقام الحجة (عليهم بما انطوت عليه صحفهم) أي بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها او كتمه لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر لما فيها او صحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهي الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا (من ذلك) أي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته (وذمهم بتحريف ذلك) المذكور في كتبهم بتغيير بعض ألفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الآية فبدلوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به في كتابنا (وكتمانه) أي اخفاء صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته كما قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (وليهم ألسنتهم ببيان أمره) أي صرفه لغيره حسدا او بغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره وأصل اللي فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال الله تعالى يلوون ألسنتهم بالكتاب انتهى (ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب) أي قرع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهي اللعنة بان يقول كل منهم لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضي عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد في الدعاء ويتعدى بعلى (فما) أحد (منهم) أي اليهود والنصارى (الا من نفر) أي أعرض وهرب (عن معارضته) فيما قرع به اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها (وأبدى) فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه في قوله (ما ألزمهم) نظرا للمعنى من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (من كتبهم) بيان لما أي مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة (اظهاره) مفعول الزم أي الزمهم اظهاره اذا كتموه (ولو وجدوا خلاف قوله) في كتبهم (لكان اظهاره) اسم كان وقوله (أهون عليهم) أي أسهل خبر كان (من بذل النفوس) جمع نفس وهي الذات (والاموال) التي غنمها وأخذها منهم قهرا (وتخريب الديار) كما وقع ليهود خيبر وبني النضير (ونبذ القتال) أي تركه وهو أشفى لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها (وقد قال لهم) جملة حالية أي لليهود لما قرع اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر فقالوا لسنا باول من حرمت عليه فقد حرم على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم يأتوا بها شفقة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما في قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه في التوراة فنحن نحرمها فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من أكلها لانه كان به عرق النساء وهي تضره (الى ما أنذر به الكهان) جمع كاهن وهو الذي كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعي الاطلاع

(المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما أمره ربه به من دعواهم الى المباهلة أي الملاعنة الكاملة (على الكاذب) أي في المعاملة فابوا حذرا من العقوبة وبذلوا له الجزية كما مرت القصة (فما منهم) أي من اليهود والنصارى (الا من فر) أي هرب وفي نسخة صحيحة نفر أي أعرض (عن معارضته وابداء) بكسر الهمزتين والمد وفي نسخة وأبدى بصيغة الماضي أي أظهر (ما ألزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولو وجدوا) أي في كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) أي المسارعة اليه في مقام الجدال (أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) أي طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) أي لليهود حين قالوا عند ما قرع سمعهم قوله تعالى فبظلم

من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية لسنا أول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولن يقدروا ان يأتوا فثبت انها لم تحرم الا عليهم بظلمهم وبغيهم وهو أمر له بمحاجتهم ومدافعتهم بما في كتابهم تبكيتا وتوبيخا لهم (الى ما أنذر به) أي مع ما علم بظهوره ووجود نوره (الكهان) أو بما خوفوه من حلول الباس والنقم بمن خالفه وما أسلم عليها

عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخويف والى غاية لما تقدم أى انتهى ماترادف من الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه أو الى بمعنى مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين (مثل شافع بن كليب) شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب أخبر تبعا بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبمهاجرته الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا أعرفه (وشق وسطيح) وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت العرب تأتيه فيخبرهم بما سيأتى وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة رأسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلثمائة سنة وقصتهما وذكرهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل كسرى عبد المسيح يسألهما عن رؤيا التى مذكورة فى السير مشهورة ولهما قصص كثيرة فى التواريخ وأدركا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وسواد بن قارب) بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسى الصحابى وكان كاهنا من كهان العرب له رئى من الجن يأتيه ويخبره بالغيبيات فبينما هو ذات ليلة اذ أتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى عز وجل والى عبادته ثم أتاه ليالى يقول له مثل مقالته فركب ناقته وأتى المدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وأخبره بخبر رؤيته وما قاله من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيله فى السير (وخنافر) بضم الخاء المعجمة ونون وألف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له رئى من الجن أخبره ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم على يد معاذ رضى الله تعالى عنه كما يأتى ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى وهو ابن التوأم الحميرى وله جنية تسمى شصارا وشاصرو كان عاتيا ذا مال وسعة فأسلم وحسن اسلامه وفى آل القالى عن الكلبى قال كان خنافر ابن التوأم الحميرى كاهنا وقد أتى بسطة فى الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبى صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام أغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشجر فخالف بها جودان وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئى فى الجاهلية لا يكاد يغيب عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبيناهو بذلك الوادى هوى عليه هوى العقاب وناداه خنافر فقال شصار قال أقول قال اسمع فقال ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذى أمد الى غاية قلت أجل قال كل ذى دولة الى أجل ثم يتاح له حول انتسجت النحل ورجعت الى حقائقها الملل انك بخير موصول والنصح لك مبذول انى لست بأرض الشام نفرا من آل العرام حكاما على الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فطلعت فقلت بم تهيمون والى م تقرؤن قالوا خطابا كبار جاء من عند الملك الجبار فاسمع ياشصار أصدق الاخبار واسلك أوضح الآثار تنج من أوار النار قلت وما هذا الكلام قال فرقان بين الكفر والايمان رسول من مضر من أهل المدر انبعث فظهر فجاء بقول قد بهر وأوضح نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذا لمن ازدجر الف بالآى الكبر قلت ومن هذا المبعوث من مضر قال أحمد خير البشر فان آمنت أعطيت البشر وان خالفت أصليت سقرفآمنت ياخنافر وأقبلت اليك أبادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والافهو الفراق عن لا تلاق قلت من أين أبغى هذا الدين قال من ذات الآخرين والنفر الميامين أهل

(مثل شافع بن كليب) بالتصغير وفى نسخة بسين مهملة وهو من كهان العرب الا انه غير معروف انتهى

(وشق) بكسر أوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكأنه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذويب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن فى بدنه عظم سوى رأسه بل جسد ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبى انه عاش ثلثمائة سنة وانه خرج مع الازد أيام سيل العرم ومات فى أيام شيرويه بن هرمز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وهو الذى أول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبى عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد ابن قارب) بكسر الراء أزدى كان كاهنهم فى الجاهلية أخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان رئيه أخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما سيأتى مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بنى حمير أسلم على يد معاذ ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى مخضرم

الماء والطين قلت أوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهنالك أهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم أماس عني فنمت مذعورا لداعي الصباح * فلما فرق لي النور امتطيت راحلتي وأذنت عبدي واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف فرددت الابل على أربابها بحولها واسقائها * وأقبلت أريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل أمير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سورا من القرآن فمن الله تعالى علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة فان أردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية (وافعي نجران) هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو الافعي بن الافعي الجرهمي فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أربعون رجلا يحفون به فقال يا رسول الله خرفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعري وثار عقلي ونبتت اسناني وهؤلاء ولدي اصلبي وخلفهم من نسلهم أضعافهم وقد سمعت أفعى نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث نبي من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة فبالذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعي نجران هذا هو الذي حكم بين أولاد نزار لما تشاحوا في ميراث أبيهم وهم مضر وربيعة وانمار واياد وقال يا مضر أنت أبو النبي التهامي فانا نجد في الآثار انه من ولد نزار بن معد بن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا وأجلسه على سرير ملكه وجلس تحته وهذا ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى والشراح كلهم لم يقفوا عليه (وجذل ابن جذل الكندي) قال الحافظ الحلبي لا أعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب أخبر ببعثه صلى الله تعالى عليه وسلم قديما ولم نر تفصيل قصته الا ان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولدته أمه التمست ذكره فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته وزوجها في سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث وبشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم أبيه فقامت وهي تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم أبيه (وابن خلصة الدوسي) بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكر واله ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصائص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرادس بن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم لي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المرأة فخبلت فلما دنت الولادة وضعت غلاما أعصف له أذنان كأذني الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيئا فلما كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ما هذا قال ما أدري كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كأنه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء فقلنا من أين قال بمكة وأنا ميت فادفنوني برأس جبل في ساحة طرم نارا فاذا رأيتم ذلك فاقذفوني بثلاثة أحجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني أهدي وأطفي ففعلنا ذلك وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح اعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكرا وانما هي كاهنة فاعرفه فان خلصة امرأة والكاهن ابنها (وسعدى بنت كريز) بضم الكاف العربية وبالراء المهملة وآخره زاي معجمة وفي النسخ هنا اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان أخت أمه كانت

(وافعي نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم في الجاهلية وهذا هو الظاهر المتبادر من السباق واللحاق وقال الحلبي ما أدري ما أراد القاضي أخيه أم شخص اسمه أفعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندي) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسي) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفي آخره زاي وفي نسخة صحيحة سعدا بن بنت كريز وفي أصل الدلجي سعد بن كرز

(وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاولى ولم نعرف لهم ترجمة (ومن لا ينعد كثرة) أي ممن أخبر بظهوره وسطوع نوره (الى) أي مع (ما ظهر على ألسنة الاصنام من نبوته) أي من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول باجر صنم مازن الطائي وهو مازن السادن وقد عترله عتيرة * يا مازن انهض واقبل * تسمع كلا ما تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب * ثم عترت له بعد أيام أخرى فقال * يا مازن استمع تسر * ظهر خير بطن شر * وهو نبي من مضر * يدين لله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * فقلت هذا والله لعجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول أجيبوا داعي الله اسمه أحمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة * يا عصام يا عصام جاء الاسلام * وذهب الاصنام * وقول صنم طارق من بني هند بن حرام * يا طارق يا طارق * بعث النبي الصادق (وسمع) بصيغة المجهول أي وما سمع (من هواتف الجن) كذا في أصل الدلجي وفي النسخ الجان وهو غير ظاهر فانه أبو الجن ولعله لغة والهاتف

هو الصائح بالشئ الداعي اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم * يا ذباب يا ذباب * اسمع العجب العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو بمكة فلا يجاب * وكسماع ابن مرة الغطفاني جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع * وكسماع خالد ابن بطينح * جاء الحق القائم * والخير الدائم * وكسماع سواد بن قارب من رئيه وهو نائم ليلا * قم فافهم واعقل ان كنت تعقل * قد بعث نبي من لؤي بن غالب ثم قال شعر

عجبت للجن وأجناسها * وشدها العيس باحلاسها

تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنو الجن كارجاسها

فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى رأسها

ثم نبهني وافزعني وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهني في الليلة الثانية وقال

عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس باقتابها * تهوي الى مكة تبغي الهدى

ليس قدماها كاذنابها * فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها

ثم نبهني في الثالثة وقال

عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس باكوارها

تهوي الى مكة تبغي الهدى * ليس ذووا الشر كاخيارها

فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها

فوقع في قلبي حب الاسلام فاتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه مني ثم اني أنشدت

أتاني رئيي ليلة بعد هجعة * ولم يك فيما قد تلوت بكاذب * ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك نبي من لؤي بن غالب

فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء عقد السباسب

في الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما أسلم كانت تنشد

هدى الله عثمانا بقولي الى التي * بها رشده والله يهدي الى الحق

وفي بعض النسخ سعد بن بنت كريز (وفاطمة بنت النعمان) قال التلمساني هي فاطمة بنت النعمان البخارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاء اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي يحرم الزناء كان ذلك أول ما سمع بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكانت في الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان ابن قراد وقيل هو علي بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمر وغيره فهو تابعي ونعمان اسم موضع واسم الدم أيضا (ومن لا يعد كثرة) وفي نسخة ينعد مطاوع يعد أي لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره مضموما أو منتهيا (الى ما ظهر على ألسنة الاصنام) الظاهر انه استعارة تمثيلية شبهها في ظهور صوت شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائي الذي يشترط الآلة المخصوصة للنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام أو نطق الاصنام الا ان يراد باللسان الكلام وليس بشئ لما علمت من انه استعارة وهو تغيير في وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من أجواف أصنامهم يقول ان أمرهم بطل بظهور الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد جاء الحق (من نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وحلول وقت رسالته) ومن بيانية لما كصنم كان لمازن الطائي قرب له يوما قربانا فسمعه يقول مازن اقبل الى اقبل * تسمع ما لا تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * الى آخر ما في السير من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ونظائره كثيرة وكانت الشياطين هي التي تسمعهم الكلام من غير ان يروهم (وسمع) مبني للمفعول معطوف على ظهر (من هواتف الجن) وفي نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان أبو الجن والجن الجنس كله

فاشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب * وانك أدنى المرسلين شفاعة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب * فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
فكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغنى عن سواد بن قارب قال فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالى مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرخ ولذا خص بالجن عند العرب وكانت عند مبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثر ذلك وللخرائطى كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه آية عظيمة من آياته وظهور بيناته كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب * اسمع العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو فلا يجاب * وسماع ابن قرة الغطفانى هاتفا يقول جاء حق فسطع * ودمر باطل فانقمع * وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم على أم معبد الى غير ذلك فكل الكون ألسنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والصوفية يسمعون الواردات الالهية هاتفا كما مر (ومن ذبائح النصب) أى ما سمع منها اذ قربت للذبح والذبائح جمع ذبيحة وهى ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا له ثم فقال يا آل ذريح * أمر نجيح * رجل فصيح * يقول لا اله الا الله الى آخر ما رووه (وأجواف الصور) أى ما سمع من الاصنام التى كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهى التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شئ (وما وجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا فى الحجارة والقبور) أى وعلى القبور (بالخط القديم) المتقادم عهد كتابته (والشهادة له بالرسالة) بذكر اسمه وانه نبى مرسل من الله تعالى (ما أكثره مشهور) بين الناس وما الثانية بدل من الاولى أو خبر والاولى مبتدأ وهما موصولتان وقد نقله ثقات المؤرخين فى قصص لا تحصى ومكتوب روى مرفوعا خبر مبتدأ محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجدوا والخبر مقدر أى ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبرانى على بعض الحجارة محمد تقى مصلح أمين وان فى تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالنار كيف ينصب وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية (واسلام من أسلم بسبب ذلك) أى بسبب ما رآه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسان العربى وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه (معلوم مذكور) فى السير والتواريخ

* (فصل ومن ذلك) * أى مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته (ما ظهر من الآيات) أى العلامات أو الادلة (عند مولده) أى ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمى (وما حكته أمه) آمنة بنت وهب وهى أشهر من ان تذكر (ومن حضره) ولادته (من العجائب) قيل لو أخر هذا الفصل وكان ينبغى تقديمه لانه أول أحواله لتقدم المعجزات بحسب الشرف ويأباه انه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهى متأخرة فهو ناظر لذلك أو لانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والفذلكة تؤخر والعجائب وما معها اشارة الى ما رواه أبو نعيم عن ابن عباس من ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حملت به أتاها آت فى منامها بعد ستة أشهر وقال لها يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك فلما أخذنى ما يأخذ النساء لم يعلم بى أحد وانى لوحيدة فى منزلى فى طرفه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالنى فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل ما أجد ثم التفت فاذا أنا بغالب ونسوة طوال حولى فقلت من أين علمن بى وفى رواية انهن قلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين فبينما أنا كذلك واذا أنا بديباج

حتى بدت نواجذه وقال أفلحت يا سواد (ومن ذبائح النصب) جمع نصب بمعنى منصوب للعبادة أى وما سمع منها كسماع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل رأى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح أمر نجيح رجل نصيح يقول لا اله الا الله (وأجواف الصور) أى وما سمع من أجوافها كما مر عن مازن السادن وغيره (وما وجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور) مفعول ثان لوجد أو حال من ضميره (بالخط القديم ما) أى الذى (أكثره مشهور) أى كما هو فى كتب السير وغيرها مسطور (واسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور) أى فى كتب العلماء الاخيار بنقل الثقة فى الاخبار

* (فصل) *

(ومن ذلك) أى مما يدل على نبوته ورسالته (ما ظهر من الآيات) أى خوارق العادات (عند مولده) أى قرب ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (وما حكته أمه) أى آمنة بنت وهب انها أتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) أى وما حكاه من حضر مولده (من العجائب) أى مما سيأتى قريبا

أبيض بين السماء والارض وقائل يقول خذاه عن أعين الناس ورجال في الهواء بأيديهم أباريق من فضة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغاربها فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فأخصبت الى غير ذلك مما ذكروه وقال ابن الجوزي في تنقيح الكفر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على أربعة أقوال فقيل لثنتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه ومات أبوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة أشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاول أصح (وكونه رافعا رأسه عندما وضعته) أي رفعه نحو السماء كما ذكره البيهقي (شاخصا ببصره الى السماء) قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمعه وبصره وأشخصه صاحبه وقوله شاخصة أبصارهم أي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السماء تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله تعالى عليه وسلم بالملأ الاعلى وتوجهه لذلك من أول أمره كما قال الابوصيري

رافعا رأسه وفي ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء

رافعا طرفه الى السماء ومرمى * عين من شأنه العلو العلاء

وروى انه خرج معه نور اضاءله المشرق والمغرب وروى انه ولد وأصابعه مقبوضة مشيرا بالسبابة كالمسبح (ومارأته) أمه كما رواه أحمد والبيهقي (من النور الذي خرج معه عند ولادته) وحديث النور الذي خرج معه اضاءله جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحق بن عبد الله ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاءله قصور الشام وتقدم في كلام المصنف عن أمه انها قالت فولدته نظيفا ما به قذر وقال أبو شامة كان أمر هذا النور اشتهر ذكره في قريش واليه أشار العباس كما مر بقوله   وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق الى آخره وقال حسان رضي الله تعالى عنه

نور اضاءله على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدي

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضاءله قصور الشام خصه لانه مشرق أنوار النبوة وهي دار ملكه (ومارأته اذ ذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان بن أبي العاص) أبو عبد الله بن بشير الثقفي وأمه اسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضاء البصرة وروى عنها ابنها انها شهدت مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ورأت مارأته (من تدلي النجوم) التدلي الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية في القرب (وظهور النور) الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها (عند ولادته حتى ماتنظر) أي أم عثمان المذكورة بتاء المضارعة ويجوز ان يقرأ بالنون للحاضرين أو الموجودين والاول أولى رواية ودراية (الا النور) أي لا ترى شيأ غير النور وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله تعالى   وتدلت زهر النجوم اليه * فأضاءت بضوئها الارجاء

وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغي من مثله (وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف) الشفاء بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة ومد كما قاله الدلجي والمعول عليه ماقاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم أبيه عوف بن الحارث وقال السهيلي ان اسمها مد أيضا وفي الاستيعاب انها أخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه

(وكونه) بالرفع أي وجوده (رافعا رأسه) أي للدعاء (عندما وضعته شاخصا ببصره الى السماء) كما رواه البيهقي عن الزهري مرسلا (ومارأته) أي أمه (من النور الذي خرج معه عند ولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه أحمد والبيهقي عن العرباض وأبي أمامة (ومارأته اذ ذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان ابن أبي العاص) أي الثقفي (من تدلي النجوم) أي نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) أي الذي سطع منه باشعته (عند ولادته حتى ماتنظر) أي أم عثمان (الا النور) وفي رواية الا النور كما رواه البيهقي والطبراني عن ابنها عنها (وقول الشفاء) بكسر أوله ممدودا ومقصورا والاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد أيضا في أسماء الاسانيد وقال الحلبي الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء مقصور فيما أعلمه انتهى والتحقيق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث وأما قول الدلجي بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (أم عبد الرحمن ابن عوف) قال الذهبي وهي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات

(الماسقط عليه الصلاة والسلام على يدى) بالتثنية وفى نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام أى رفع صوته بان عطس وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبى أى صاح وقال الدلجى عطس لاصاح من غير ان يذكر الحمد لله فالجمع أولى كمالايخفى والمناسب لعلو شانه وظهور برهانه أن لايكون أول كلامه عبثا فى مرامه بل يكون ذكرا ملائما لمقامه على طبق ماورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه الكرام (واضاء لى مابين المشرق والمغرب) أى مما يتنور بنوره من معمورة العالم وتحقيق هذا المبحث قد تقدم ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم) أى بارض الشام رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها (وما تعرفت به حليمة) أى السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه أسلم (ظئراه) بكسر أوله وسكون همزة تثنية الظئر وهى المرضعة وقد يطلق على أبى الرضاعة أيضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب (من بركته ودرو رلبنها) أى نزوله بكثرة (له) أى لاجله صلى الله عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء أى درو ر لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن حبان والطبرانى وأبو يعلى والحاكم والبيهقى بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت أخذته وتركته المراضع ليتمه فجئت به رحلى فاقبل عليه ثدياى فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى وقام زوجى الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله انى لاراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تر مابتنا به الليلة من الخير والبركة قالت وكأن أتانى قمراء قد أذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبى هذه أتانك التى خرجت عليها معنا فاقول والله انها هى فقلن والله ان لها شانا فقدمنا أرض بنى سعد به وما أعلم أرضا أجدب منها وان غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وماحولنا أرض تبض لها شاة بقطرة لبن وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابن أبى ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا مافيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه

عن

عن الزبير قال وقد قيل انها أمه (الماسقط) صلى الله تعالى عليه وسلم (على يدى) أى وضعته أمه فنزل على يديها (واستهل) أى عطس لاصاح وان كان يقال استهل الصبى اذا صاح بدليل قولها (سمعت قائلا) أى ملكا (يقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمك الله) أو رحمك ربك أو يرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال التلمسانى انه روى بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه أوله صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار النسمة وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجى ويشهد له قول الابوصيرى شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس أى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يجئ فى شئ من الاحاديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ولد عطس وفى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لا يقال الا عند العطاس وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه (واضاء لى مابين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم) ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيبت عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بالى منى حتى انبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكنت أول الناس اسلاما وفى الخوارق أمور غريبة من تنكيس أسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى كما تقدم فى كلامه انه ولد مختونا مسرورا أى مقطوع السرة كما تقدم الجزم به فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بل قال الحاكم فى مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبى لا أعلم صحته فضلا عن تواتره وأجاب بعضهم بانه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ بن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام (وما تعرفت به حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها مشهور (وزوجها) الحارث بن عبد العزى (ظئراه) عطف بيان أو بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة فى الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا والظئر مشترك معنوى لانه من ظأر اذا عطف فلا اشكال فى تثنيته فانه ليس نحو عينين مع انه مسموع أيضا (من بركته) صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخذته من أمه (ودرور لبنها له) أى زيادة خروجه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته (ولبن شارفها) أى ودرور لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر (وخصب غنمها) بكسر الخاء أى رعيها فى مكان مخصب فى سنة مجدبة أو هو مجاز

(وسرعة شبابه) أي وما تعرف ظئراه من سرعة شبابه بالنسبة الى جنابه (وحسن نشاته) أي نمائه وبهائه في كبر جثته وقبل تكامل هيئته قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أضن شئ به لما رأينا فيه من البركة بسببه ثم قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب)

وهي ما عظم وقوعه وخفي سببه

عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه عندها وأصل معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب وأول من أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثويبة جارية أبي لهب ثم حليمة رضي الله تعالى عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابن عبد البر انها أسلمت وأنكره الدمياطي وصنف فيه مغلطاي جزأ واه صلى الله تعالى عليه وسلم أخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما فصل فيها أحوال مرضعته وذهابها به صلى الله تعالى عليه وسلم الى أرض قومها (وسرعة شبابه وحسن نشأته) أي سرعة نمو خلقه وقامته ونشأته ابتداء أمره في صغره من نشأ ينشأ فهو ناشئ ان حليمة قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا (وما جرى) أي وقع وحدث (من العجائب) في (ليلة مولده) أي في ليلة ولادته مما رواه البيهقي وغيره وفي نسخة بميلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن رحمه الله تعالى في حديث نقلوه والذي في مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحصة قد تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى ان اليوم من طلوع الشمس والحاصل انه لا ينافي ما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن أم عثمان بن أبي العاص على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان يسقط النجوم نهارا أي فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر (من ارتجاج) أي تحرك واضطراب (ايوان كسرى) وهو قصره ومن الاولى بيان لما وثانية للعجائب وقيل بيان لما أيضا وفيه نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو أنوشروان ابن قباد وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبناء العالي العظيم وأصله أوان بتشديد الواو فابدلت الاولى ياء وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور (وسقوط شرفاته) جمع شرفة بضمتين كما في تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين أو بضم فسكون بوزن غرفة وفسرت بما عاليه وانما هي ما يبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها أربعة عشر بعدد من ملك من أولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم في زمان قليل واطلاق شرفات على ما ذكر لاستواء القلة والكثرة فيه لاضافته أولانه لا جمع له سواه أولانه يجوز استعمال كل من الجمعين في معنى الآخر (وغيض بحيرة طبرية) غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل أو ذهب يقال غاض الماء وغاضه الله واغاضه فيتعدى ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهي البركة الكبيرة التي كثر ماؤها ويطلق على الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين المقدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان أولهم يشربها ويجيء آخرهم فيقول كان ههنا ماء انتهى أقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات والعجب مما نابه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة أخرى بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة أميال وكذا

(ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن عن مخزوم ابن شاهين (من ارتجاج ايوان كسرى) أي اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع أحكام بنائه من غير خلل نشابه والايوان بالكسر الصفة العظيمة وأصله أووان فأعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر أوله ويفتح معرب خسرو ولقب ملوك الفرس كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشي لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح وحكي سكونها جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وضعت موضع كثرة لانها أربع عشرة ولعل الحكمة في عدولها عن الكثرة الى القلة تحقيرا لها لخراب ما لها هذا وقد ملك منهم ملوك بعددها عشرة في أربع سنين وأربعة الى خلافة عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة

طبرية) بفتحتين مدينة معروفة في الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهي من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع انها عظيمة وغيضها نقصها هذا والمعروف ان الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبي اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان أوائلهم يشرب ماءها ويجيء آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السياق من

السباق واللحاق لا يخفى وفي نسخة صحيحة بدل طبريه ساوة والله تعالى أعلم (وخمود نار فارس) أي انطفائها وقت غيض بحيرتها فكأنها طفئت بمائها (وكان لها ألف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فانه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه (كان اذا أكل مع عمه أبي طالب وآله) أي وأهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفي نسخة فاذا (غاب) أي عنهم (فأكلوا في غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد في نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل النسخة الاولى مبنية على الاكتفاء أو على تغليب شبع الطعام على ري الماء (وكان سائر والد أبي طالب) بفتحتين وبضم فسكون أي بقية أولاده أو جميعهم (يصبحون) أي يدخلون في الصباح (شعثا) بضم أوله جمع أشعث أي مغبرة شعورهم مغبرة وجوههم متغيرة ألوانهم بقرينة المقابلة بقوله (و يصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) أي صافي اللون (دهينا) أي مدهون الشعر بريق الوجه (كحيلا) أي كانه مكحول العينين هذا وأولاده عقيل وطالب و جعفر وعلي وأم هانئ وجمانة وأم طالب فاسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبي استعمل القاضي رحمه الله سائر بمعنى جميع والشيخ أبو عمرو بن الصلاح أنكر كون سائر بمعنى جميع وقال ان ذلك مردود عند أهل اللغة معدود في غلط العامة واشباههم من الخاصة قال الزهري في في تهذيبه أهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقي وقال الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص ومن أوهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة أنهم يستعملون
سائر بمعنى الجميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي واستدل بقصة غيلان لما أسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم امسك رابعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين أحدهما تفسير ذلك بالجميع وثانيهما انه ذكره في سير وحقه ان يذكر في سار وقال النووي وهي لغة صحيحة ذكرها غير الجوهري ولم ينفرد بها وافقه عليها الجواليقي في أول شرح أدب الكاتب الى آخر كلام النووي في تهذيبه انتهى كلام الحلبي وتبعه الدلجي في تفسيره السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له فقد ضاف اعرابي قوما فأمروا الجارية بتطييبه فقال بطني عطري وسائري ذري انتهى ولا يخفى انه يحتمل كلام الاعرابي ان يكون السائر بمعنى الباقي بل هو المتبادر على ما هو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقي حقيقة وبمعنى الجميع مجازا

عرضها وقد روى الحديث البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ماءها نقص نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل أو غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لمائها من العيون النابعة التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتاء زائدة كما قيل وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التاء مزيدة فيها بعد العلمية كذي الثدية لتأويلها بالبقعة وهي تكلف لا داعي له (وخمود نار فارس) بمنع الصرف لانه علم أعجمي وفارس اقليم معروف هو وأهله فكان ماغاض من الماء فاض على النار فاطفاها والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر (وكان لها) أي لتلك النار (ألف عام لم تخمد) لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانئ

سجدت الى النيران أعصرها ومذ * شعرت به سجدت له نيرانها

وقال آخر

وذلك دليل للنجاة من اللظا * به لانطفاء النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل في تاجج وان لم تمد وقصة النار ورؤيا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة في السير مشهورة (وانه) صلى الله عليه وسلم (كان) وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس (اذا أكل مع عمه أبي طالب وآله) أي أهل بيته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عنده في حضانته بعد عبد المطلب (وهو صغير) جملة حالية (شبعوا) من الطعام (ورووا) اذا شربوا اللبنا ونحوه لا ماء ولذا جعلهما كولا لانه غذاء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته (واذا غاب) أي عنهم فلم يكن معهم (فأكلوا) وحدهم (في غيبته) عنهم (لم يشبعوا) وباتوا جياعا (وكان سائر ولد أبي طالب) أي جميعهم أو بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وأنكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه في شرح الدرة (يصبحون) اذا قاموا من نومهم (شعثا) جمع أشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم في مضاجعهم (و يصبح صلى الله عليه وسلم) أي يدخل في وقت الصباح اذا قام من نومه (صقيلا) أي رائق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المرآة الصقيلة (دهينا) أي كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم (كحيلا) أي

وانه مأخوذ من السؤر مهموزا وهو البقية الملائمة لمعنى الباقي بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب لمعنى الجميع وبهذا يرتفع الخلاف لمن ينظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما في كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من المعارضة (قالت أم أيمن) هي بركة بنت محصن (حاضنته) أي مربيته ومرضعته أيضا على ما قيل وهي مولاة له

صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية أعتقها أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلمت قديما وابنها أيمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد ابن حارثة زارها أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما واختلف في زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى) أي بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) أي حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذ كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى يخلق قوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وأبو نعيم في الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء أي حفظها من بلوغ الجن اليها (بالشهب) أي بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوما (وقطع رصد الشياطين) أي ترصدهم وانتظارهم ظهور شيء اليهم ونزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) أي بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة السماء فيلقونه الى أوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من أنبائهم فمنعوا منه

مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة أو أحوال وكان أولاد أبي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلي كرم الله وجهه وأم هانئ وأم طالب وجمانة وكلهم أسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز أو حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصقول بالمسوي الشعر والكحيل بالذي لا رمص بعينيه ولا قذى وكان أبو طالب يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على أولاده فاذا أتي بطعام يقول لا تأكلوا حتى يأتي ابني وروي في بعض النسخ (قالت أم أيمن) هي بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حاضنته) أي التي كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد في حضنها وقيل انها أرضعته وهي حبشية وابنها أيمن بن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله أبيه صلى الله عليه وسلم وروي عنها في الصحيحين وأدركت خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه كما نقله الذهبي عن الواقدي وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر وهو الذي صححه النووي رحمه الله تعالى وخطأ الواقدي فيما قاله وانما حضنته لموت أمه آمنة (ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا) لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى وحاضنة اسم فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطأ فاحش على عادته (ومن ذلك) أي دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته (حراسة السماء بالشهب) وهي شعل النار المرئية في نجوم السماء جمع شهاب (وقطع رصد الشياطين) أي ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة وهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجماعة فلذا أطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن (ومنعهم) أي منع الله لهم (استراق السمع) وهو ان يختفي أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكأنه يسرق الكلام الذي سمعه واعلم ان رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان قبل ذلك أيضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رأت قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا قربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة أنظروا الى العيوق ان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآية وقد روي ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمى به قيل انه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمي الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في الجاهلية اذا رأوا شهابا سقط قالوا يموت أو يولد عظيم كما ورد في الحديث (و) من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم (ما نشأ عليه) أي خلقه الله عليه من ابتداء نشأته وطفوليته (من بغض الاصنام)

بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآيات (وما نشأ) بالهمز أي ومن ذلك ما تربى (عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما في حديث البيهقي عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم

ثم مسحت به فقيل لى لا تمسه ثم طفنا فقلت فى نفسى لامسنه حتى أنظر ما يقول فمسحته فقال ألم تنه قال زيد فوالذى أكرمه بالذى أكرمه
ما التمس صنما قط (والعفة) أى وما نشأ من النفرة (عن أمور الجاهلية) أى معايبها (وما خصه الله به من ذلك) أى من الاعمال
الرضية والاحوال الزكية (وحماه) أى وحفظه قبل بعثته من الصفات الرديئة والسمات الدنيئة (حتى فى ستره) بفتح السين أى
تستره من التعرى وهو كشف العورة (فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة كما رواه) الشيخان عن جابر والبيهقى
عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما (اذ) أى حين
(أخذ ازاره) أى بامر عمه
العباس (ليجعله على
عاتقه) وهو ما بين المنكب
والعنق (ليحمل عليه
الحجارة) أى ولم تظهر
عليه الامارة (وتعرى)
أى وانكشفت عورته
(فسقط الى الارض) أى
مائلا اليها وطمحت
عيناه الى السماء (حتى
رد) أى بنفسه (ازاره
عليه فقال له عمه ما بالك)
وفى نسخة ما لك أى
ما حالك (قال انى نهيت
عن التعرى) وفى رواية
وكنت وابن أخى نحمل
الحجارة على رقابنا وأزرنا
تحتها فاذا غشينا الناس
اتزرنا فبينا انا أمشى
ومحمد امامى خر لوجهه
وهو ينظر الى السماء
فقلت ما شانك فاخذ
ازاره وقال انى نهيت ان
أمشى عريانا قال فكنت
اكتمها الناس مخافة
ان يقولوا مجنون (ومن
ذلك اظلال الله تعالى له
بالغمام فى سفره) أى
على ما مر فى حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذى والبيهقى (وفى رواية)
أى لابن سعد عن نفيسة بنت منبه (ان خديجة رضى الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما) بتشديد الميم أى حين (قدم وملكان يظلانه
فذكرت) أى خديجة (ذلك) أى خبر الاظلال (لميسرة) أى غلامها قال الحلبى لا أعلم له ذكرا فى الصحابة وكان توفى قبل النبوة
والا فلو أدركها لاسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى أعلم

وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقى ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله تعالى عليه
وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام آزر عنها (والعفة عن
أمور الجاهلية) التى كانوا يرتكبونها لخلقه الله تعالى مستغفلا عنها لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره
والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب (وما خصه الله به من
ذلك) فجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا ازكية ونفسا قدسية فصانه (وحماه) قبل بعثته من الصفات
الردية (حتى فى ستره) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا أى ستر بدنه حتى لا يرى أحد
منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا ينبغى رؤيته كالعورة فكان لا يتعرى عند أحد وكانت الجاهلية تفعله
حتى كانوا يطوفون عراة أحيانا وفى نسخة حتى ستره مجرور بحتى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل
ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من
خصوصياته الدالة على نبوته أمر لا طائل تحته (فى الخبر المشهور) الذى رواه الشيخان عن جابر
والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (عند بناء الكعبة) أى لما بنتها قريش ونقلهم الحجارة
لبنائها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم (اذ أخذ ازاره) أى ملحفته التى كان مؤتزرا
بها (ليجعله على عاتقه) أى أخذ الازار ليجعله على كتفه الذى يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه (ليحمل
عليه) أى على عاتقه أو ازاره (الحجارة وتعرى) أى انكشف أسفله لنزع الازار عنه (فسقط الى
الارض) مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء (حتى رد ازاره عليه) وستر عورته (فقال له عمه) وهو
العباس كما صرح به (ما بالك) أى ما شانك وحالك الذى عرض لك حتى سقطت (قال انى نهيت)
بالبناء للمجهول (عن التعرى) وكشف العورة كغيرى وكانت قريش بنت الكعبة لسيل أتى من
فوق الردم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون
رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانوا يجعلون
ازارهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يستغيث رافعا بصره الى السماء فقال له ما بالك يا ابن أخى فقال نهيت ان أمشى عريانا فكتمها
حتى بعثه الله تعالى مخافة ان يقال انه مجنون وفى رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد ازارك وروى انه
لكمه لكمة شديدة قيل وهو أول ما نودى به (ومن ذلك) أى مما دل على نبوته فى أول أمره ما رواه
الترمذى والبيهقى رحمهما الله تعالى (اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره) أى كون غمامة تسير معه
صلى الله تعالى عليه وسلم أنى سار تقيه حر الشمس دون غيره من الركب كما رآه بحيرا لما سافر للشام مع
عمه ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التأثر من الشمس (وفى رواية)
لابن سعد (ان خديجة) أم المؤمنين (ونساءها) أى النساء التى كن معها عند الرؤية فالاضافة لادنى
ملابسة (رأينه لما قدم) لمكة من سفره للشام فى تجارتها (وملكان يظلانه) أى يمدان أجنحتهما عليه
ليكون ظلا له ووقاية من الشمس (فذكرت) خديجة (ذلك) أى ما رأته (لميسرة) غلامها الذى بعثته

معه

(فأخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره) أى من أول أمره الى آخره (وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها) كما رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (وروى ذلك) أى تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) وفى رواية عن أخته بالفوقية وهى أصح كما فى سيرة أبى الفتح اليعمرى من ان حليمة بعد رجوعها من مكة كانت لاتدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت فى هذا الحر فقالت أخته يا أمه ماوجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبى فهذا صريح ان يكون مافى الاصل غلط تصحف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان أخاه من الرضاعة رأى ذلك أيضا والله تعالى أعلم (ومن ذلك نزل فى بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشب ماحولها) أى كثر عشبه وهو الكلأ مادام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (وأينعت) بتقديم التحتية على النون (هى) أى الشجرة والمعنى أدرك ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه أى نضجه (فاشرقت) بالقاف أى أضاءت بحسن صفائها كاشراق الشمس بضيائها ويروى بالفاء أى علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفى أصل الدلجى بلامين أى استرسلت ونزلت (عليه أغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجى لم أدر من رواه (وميل فىء الشجرة) اى ظلها (اليه فى الخبر الآخر) أى المتقدم عن بحيرا الراهب

معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره وميسرة بفتح السين وضمها (فاخبرها) ميسرة (انه رأى ذلك) أى كونه مظللا من السماء بالملكين فلا ينافى ان خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة رأى تظليل الغمام أو ان الغمام كانت تسوقه ملائكة فجعلت مظللة له كحامل الظلة يسمى مظللا (منذ خرج معه فى سفره) الى الشام أى من أوله الى آخره وهذا الحديث رواه الواقدى عن نفيسة بنت منبه وهى احدى النساء اللاتى كن مع خديجة فى علية لها ينظرون الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر ميسرة فى الصحابة فكأنه مات قبل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رؤية خديجة الملائكة كرامة لها رضى الله تعالى عنها (وقد روى) بالبناء للمجهول والذى رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (ان حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية التى أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم (رأت غمامة تظله) وتقيه من حر الشمس (وهو) مقيم (عندها) لما أخذته صلى الله تعالى عليه وسلم لحيها لترضعه (وروى ذلك) أى تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) يعنى انه رآه فى صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذى ذكره لامه وانها لم تشاهده لان عبارة الواقدى عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته مع أخيه من الرضاعة وهو ولدها فقالت أفى حر الشمس بمكث شفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم منها فقال أخوه يا أماه ماوجد أخى حرا رأيت غمامة تظلله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس أمرا اتفاقيا وهل كان هذا دائما أو أحيانا لم ينقل فيه شئ ومافى المواهب نقلا عن الزركشى فى شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى ظل غمامة من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضى ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قلت ان أراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغنى عنه أو انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شئ فاعرفه فانه لايخفى مثله على مثله وقد علمت ان الذى فى نسخ الشفاء كما قاله البرهان عن أخيه مذكر بياء تحتية والذى فى سيرة ابن سيد الناس أخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف أو رواية رواها أيضا (ومن ذلك) أى مما يدل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يذكر وامن رواه من المحدثين (انه نزل) أى قعد فى محل نزل به (فى بعض أسفاره قبل مبعثه) مصدر ميمى بمعنى بعثته ونبوته (تحت شجرة يابسة) أى ليست مخضرة وليس لها ورق (فاعشوشب ماحولها) من الارض أى ظهر به عشب لم يكن قبله واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة أى كثر عشبه ونباته والعشب الكلأ مادام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة (وأينعت هى) أى الشجرة وأبرز الضمير لئلا يتوهم انه عائد على ماحولها باعتبار انه أرض وهى مؤنثة سماعية ومعنى أينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها أو ثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وأينعت ايناعا اذا نضجت وقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه وقرئ ويُنعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب (فاشرقت) أى تمت وعلت أغصانها (وتدلت عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم قضبانها التقيه وتظله (أغصانها) جمع غصن وهى أعلاها وفروعها (بمحضر من رآه) أى ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه مايدل على كرامته اسرعته (و) من ذلك (ميل فىء الشجرة اليه) الفئ هو الظل مطلقا أو بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل فى كتب اللغة وميل الفئ اما وحده أو مع ميل الشجرة نفسها (فى الخبر الآخر) الذى روى

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيراء الراهب كما تقدم (حتى أظلته) علة أو غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم سبقوه فجلسوا في الفيء فلما جلس في الجانب الآخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فرآه الراهب في قصته التي تقدمت وكان مع عمه أبي طالب وهو ابن عشر سنين (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ماذكر) بالبناء للمجهول والذي ذكره ابن سبع (من انه) بيان لما الموصولة (لاظل لشخصه) أي لجسده الشريف اللطيف اذا كان (في شمس ولاقمر) مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله (لانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان نورا) والانوار شفافة لطيفة لاتحجب غيرها من الانوار فلاظل لها كما هو مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الاغلب ضوءه ضوءها ولامع سراج الاغلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعيتنا فيه وهي

ماجر لظل أحمد أذيال ❊ في الارض كرامة كما قد قالوا
هذا عجب وكم به من عجب ❊ والناس بظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لاينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار للغزالي (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الذباب كان لايقع على) ماظهر (من جسده ولا) يقع على (ثيابه) هذا مما قاله ابن سبع أيضا الا أنهم قالوا لايعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به لانه كلما أذب آب أي كلما طرد رجع وهذا مما أكرمه الله تعالى به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجيء من مستقذر قيل وقد نقل مثله عن ولي الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلاني ولابعد فيه لان معجزات الانبياء قد تكون كرامة لاولياء أمته وفي رباعية لي

من أكرم مرسل عظيم حلا ❊ لم تدن ذبابة اذا ماحلا
هذا عجب ولم يذق ذو نظر ❊ في الموجودات من حلاه أحلا

وتظرف بعض علماء العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجود ان النقط تشبه الذباب فصين اسمه ونعته عنه كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو ❊ رسول الله محمود امجد
ونقط الحرف يحكيه بشكل ❊ لذاك الخط عنه قد تجرد

(ومن ذلك) أي من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم في أول أمره ومنتهاه كما رواه الشيخان (تحبيب) الله تعالى بجعله طبيعة له (الخلوة) أي الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة (اليه حتى أوحي اليه) أي انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري ثم حبب اليه الخلاء أي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن مألوفات النفس فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد في الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حراء كما قاله ابن أبي جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليد الغيره وانما هو جبلي بالهام الله تعالى له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحي وهو فيه (ثم اعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي اعلام الله تعالى له (ب) قرب (موته ودنو أجله) أي آخر عمره الذي أجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفي الصحيحين انه مر على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الى آخره وقوله في خطبة له ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء و بين

(حتى أظلته وماذكر) أي ومن ذلك ماذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لاظل لشخصه في شمس ولاقمر لانه كان نورا) أي بنفسه والنور لاظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما في النوادر ولفظها لم يكن له ظل في شمس ولاقمر ونقله الحلبي عن ابن سبع أيضا (وان الذباب) أي ومن ذلك ماذكر من ان الذباب (كان لايقع على جسده ولاثيابه) قال الدلجي لاعلم لي بمن رواه انتهى وقال الحلبي نقل أيضا بعض مشايخي فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لايخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى أوحي اليه) أي بنزول القرآن عليه كما في الصحيحين ولفظ البخاري ثم حبب اليه الخلاء أي العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو أجله) كما رواه الشيخان وغيرهم

(وان قبره بالمدينة) وفي نسخة في المدينة (وفي بيته) كما رواه أبو نعيم في الدلائل عن معقل بن يسار ولفظه المدينة مهاجري ومضجعي من الارض وروى البيهقي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ان قبره يكون في بيته (وان بين بيته ومنبره) وفي نسخة صحيحة وبين منبره (روضة من رياض الجنة) كما سيأتي ما فيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) أي بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقي في الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نتحدث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته في مرضه الذي مات فيه يقول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفي رواية قالت لما نزلت به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهي آخر كلمة تكلم بها وفي رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرؤك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت

شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربي يصنع بي ما يشاء (وما اشتمل) أي ومن ذلك ما احتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه الشافعي في سننه والعدني في مسنده والبيهقي في دلائله (من كراماته وتشريفه) أي بخدمة الملائكة له وعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقرؤك السلام ورحمة الله وفي رواية قال يا محمد ان الله أرسلني اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسئلك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدني مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) أي ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) أي بعد خروج روحه الشريفة (ما رويناه) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (في بعضها) أي في بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون قبلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بتحريم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه أصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى في الموطأ بلاغا قال أخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس افذاذ لا يؤمهم أحد ورواه الشافعي في الام بلفظ فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لا يؤمهم أحد وذلك لعظم أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم في ان لا ينوي الامامة في الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة أو لأن الاظهر انهم صلوا عليه في محله ولا كان يسع ذلك المحل اماما القومه كله فصلوا فرادى لادراك فضله وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة

ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده فكان الصديق أعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم وأسر بذلك لفاطمة كما تقدم في الحديث الى غير ذلك مما لا يحصى (و) اعلامه صلى الله عليه وسلم (ان قبره بالمدينة) كما رواه أبو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض (و) ان قبره (في بيته) فقبره صلى الله عليه وسلم في مسكنه وكذا كان لكثير من الانبياء عليهم السلام اشارة الى انهم أحياء عند ربهم يرزقون (فان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة) كما سيأتي يعني انها تنقل وتجعل روضة في الجنة أو ان العمل فيها موجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن أبي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لا بد من تاويله باعتبار القرب من أقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل الرحمات * وتلذذ بالمشاهدات * كما قال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة (وتخيير الله له عند موته) أي لما قرب موته خيره الله بين البقاء في الدنيا والرحيل للآخرة كما سمعته آنفا ورواه البيهقي في دلائله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله تعالى عليه وسلم غشي عليه فلما أفاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت ما فهم أبوها رضي الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده وغيره وقد صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وخيرت بين الخلد فيها ثم الجنة واخترت الى آخر مما يطول ذكره (وما اشتمل عليه حديث الوفاة) أي وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعي والبيهقي في سننه (من كراماته) التي اكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكاء الملائكة وسماع صوت من السماء ينادي وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يقرؤك السلام ويقول لك وهو أعلم كيف تجدك الى غير ذلك (وتشريفه) عام وغيره (وصلاة الملائكة على جسده) وفي نسخة عليه وكان اقحام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعاء وروحه صلى الله تعالى عليه وسلم غير محتاجة لذلك أو لنكتة أخرى قيل هي ان الصلاة على جسده وروحه مستمرة دائما لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون الآية (على ما رويناه في بعضها) أي في بعض

طرق حديث الوفاة وهو ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه لما جهز صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته فصلت عليه الملائكة فوجا فوجا ثم جاء الناس فوجا فوجا ثم نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم أحد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بذلك وذلك لعظم أمره ولئلا يتنافسون في الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يأت بشئ وكونه لم يؤمهم أحد ذكره الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه في الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر ولم يدع له صلى الله تعالى عليه وسلم بدعاء الجنازة المشهور كما ذكره السهيلي بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى آخر ما ذكره والحديث بطوله مذكور في كثير من كتب الحديث تركناه لطوله (واستئذان ملك الموت عليه) أي طلبه الاذن منه في قبض روحه الشريف ان أراد أو تركه حيا (ولم يستأذن على غيره) نبيا أو غيره (قبله) روى ان جبريل قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربي أمرني ان أطيعك فيما أمرتني به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما أمرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ من الارض (ونداؤهم) أي نداء الملائكة لهم (الذي سمعوه) ولم يروا من ينادي (ان لا) أي بان لا الى آخره فان مصدرية ولا نافية (تنزعوا القميص عنه) أي قميصه الذي عليه لما أرادوا نزعه (عند غسله) بضم الغين ويجوز فتحها اشارة لما في حديث أبي داود والبيهقي الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انهم لما أرادوا غسله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لا ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قائل من ناحية البيت لا يرونه أغسلوه في ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرائه على عادته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتجرد عند أحد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو اجراء لسنته وكفن في ثلاثة أثواب يمنية سحولية (وما روى من تعزية الخضر عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقي في دلائله يشير الى ما روى عن علي كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه انه قال لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة وان في الله عز وجل لعزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام كما رواه البيهقي وابن أبي حاتم وقال في مرآة الزمان ان المعزي هو جبريل لا الخضر ورواه العراقي في تخريج أحاديث الاحياء بلفظ ان في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا آخر بعده يقول ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال أبو بكر رضى الله عنه هذا الخضر واليسع ولم أجد في رواية ذكر اليسع وانما ذكر الخضر في التعزية فقد أنكر النووي وجوده في كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء قال لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى أخذ بعضادتي الباب وبكى ثم قال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا ولصرف الله البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا رواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن أبي الدنيا عن علي بسند واه أيضا وذكره الشافعي في الام من غير ذكر

(واستئذان ملك الموت عليه) أي ومن طلب اذن ملك الموت في الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) أي من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله أمرني ان أطيعك فيما أمرتني به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها (ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا) بكسر الزاي غيبا وخطابا أي لا تخلعوا (القميص عنه) أي عن بدنه (عند غسله) بضم الغين أو فتحه وذلك حين قالوا ما ندري أنجرده من ثيابه أم نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم سمعوا قائلا لا يدري من هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه أبو داود والبيهقي وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه أبي عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال أخذوا في غسله فاذاهم بمناد من داخل لا تخرجوا عنه قميصه (وما روى من تعزية الخضر

الخضر انتهى وانما قال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها أحد على رأس مائة سنة من تلك الليلة وأراد به انخرام كل أحد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله تعالى فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه كابن حجر ومنهم من شدد النكير على من أثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبي أو ملك أو عبد صالح من أولياء الله تعالى أطال الله تعالى عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه بما مر من انه لم ير شخصه يقتضي انه ملك وقوله (والملائكة) بالجر عطف على الخضر يشير لما قلناه (أهل بيته) مفعول التعزية وهي الارشاد للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الآن (الى ما ظهر على أصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذه متعلقة بقدر أي مضى وما ذكر من أول الفصل الى هنا أو منتهيا وهو كما يقوله المصنفون رحمه الله تعالى الى آخره اشارة الى انه ترك أمورا كثيرة من جنس ما ذكر والمراد بظهورها عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم أثر فيهم حتى ظهرت منهم أمور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (من كراماته وبركته) أي من مثل ذلك (في حياته وموته) أي وبعد موته (كاستسقاء عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (بعمه) العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب أي تقديمه في دعاء الاستسقاء كما رواه البخاري وتفسير عمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعباس وان كان له أعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله تعالى عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به في الحديث واعمامه أبو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والقدم وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو أكبرهم وقثم مات صغيرا وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب أو نوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثني عشر وأسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم أحد عشر وبعضهم عدهم سبعة وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وحاصل ما أشار اليه انه كان في زمن عمر رضي الله تعالى عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه فوقع قحط شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا أمير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صنو أبيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به فآتنا ك مستغفرين مستشفعين ثم أقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله أنهارا ثم قام العباس رضي الله تعالى عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل وصل به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا في أنفسنا وأهلينا وفيمن لا ينطق من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك نشكو جوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر

في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله ثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب رواه البيهقي في دلائل النبوة نقله الدلجي وقال الحلبي حديث تعزية الخضر رواه الشافعي من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه قال لما مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وفي آخره قال علي أتدرون من هذا هذا الخضر وهذا مرسل وقد رواه الشافعي أيضا في الام باسناد ضعيف الا انه لم يقل الخضر بل سمعوا قائلا يقول وانما ذكره أصحاب الشافعي قاله النووي وفي شرح المهذب وقال بعض مشايخي أخرجه الحاكم في المستدرك من رواية أنس وفيه فقال أبو بكر وعلي هذا الخضر لكن في اسناده عباد بن عبد الصمد وهو ضعيف وقد أخرجه الشافعي أيضا في غير الام وفيه فقال أتدرون من هذا هذا الخضر رواه الطحاوي عن المزني عنه في السنن المشهورة (الى ما ظهر

على أصحابه من كراماته) أي الظاهرة (وبركاته) أي الوافرة (في حياته وموته) أي بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) أي العباس كما

وصالحي أولادهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين

* (فصل) *

(قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد أتينا) أي أوردنا (في هذا الباب) أي الرابع من أبواب الكتاب (على نكت) بضم ففتح أي لطائف وشرائف (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجي حال عما قبله (وجمل من علامات نبوته مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجي حال من جمل أي تغني من عرف حقيقتها (في واحد) خبر مقدم (منها) أي من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون أي الاكتفاء والاغتناء في باب الاعتناء (وتركنا الكثير) أي من الانباء (سوى ماذكرنا) أي من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء أي الطويلة لاذيال (على عين الغرض) أي نفس المراد (وفص المقصد) أي زبدة المقصود والفص للخاتم بفتح الفاء ويثلث

والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبي بكسر الصاد وجد بخط النووي نقله

(ومن كثير الاحاديث) أي واقتصرنا وقد أبعد الحلبي في تقديره وأتينا (وغريبها) أي عما انفرد رواتها (على ماصح) أي سنده

وأخفى اللهم وأغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يستتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلامت ومشت وانتشرت ثم درت وأرخت عزاليها كأفواه القرب فسارحوا حتى علقوا الحدا وقاصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك يا ساقي الحرمين وفي ذلك يقول حسان رضي الله تعالى عنه

سأل الامام وقد تتابع جدبنا * سقى الغمام بغرة العباس

أحيى الاله به البلاد فاصبحت * مخضرة الارجاء بعد الياس

في أبيات أخر (وتبرك غير واحد) أي كثير من الناس (بذريته صلى الله تعالى عليه وسلم) من السادة الاشراف نفعنا الله تعالى بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد أفرده السيد السمهودي شكر الله تعالى سعيه بتأليف مستقل نافع

* (فصل) * فيه فذلكة هذا الباب (قال القاضي أبو الفضل قد أتينا) أي ذكرنا وجمعنا (في هذا الباب) الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وأصل الاتيان المجيء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال (على نكت من معجزاته واضحة) الا انه تجوز به عماذكر من الجمع عداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد أخذ شيء وجمعه ان يأتي اليه حتى يصل اليه ويقال أتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه من نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد أخطأ ولا وجه لماذكره البرهان هنا (وجمل) جمع جملة وهي الامر (المجمل من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مقنعة) أي كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون أي يستغني بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية (في واحد منها الكفاية) عن غيره كالقرآن أي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل (والغنية) بالضم والسكون في ثانيه أي لاستغناء عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية (وتركنا الكثير) منها (سوى ماذكرنا) اشارة الى ان ماذكره قليل بالنسبة لما تركه (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء جمع طويل (على عين الغرض) عين الشيء المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان أحد معانيها والغرض مايقصد منه وفائدته وأصل معناه الهدف كما مر فنقل لماذكر (وفص المقصد) أي الامر المقصود والفص مثلث الفاء بمعنى الاصل يقال أتى بالامر من فصه أي من أصله قال الشاعر

ورب امرء تزدريه العيون * ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم مايزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباته رحمه الله تعالى في قوله حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذي لم أحصه

لولاه ماعلم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوي العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كما مر فهو مصدر ميمي تجوز فيه (و) اقتصرنا (من كثير الاحاديث وغريبها) هو بمعناه اللغوي أي مابعد مستغربا غير معهود وغير مشهور والمراد به مااصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ماانفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجمعه أو بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف أي الاحاديث الكثيرة (على ماصح)

(واشتهر) أى نقله عند أهله (الا يسيرا) أى شيأ قليلا (من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة) أى من نقاد الامة وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد فى جمهورها) أى أكثرها (طلبا للاختصار) أى حذرا من الاكثار

نقله وروايته (واشتهر) بين المحدثين (الا يسيرا) أى قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته (من غريبه) أى غريب الحديث واغما اقتصر على المشهور والصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لاتخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده فى كتابه بقوله (مما ذكره مشاهير الائمة) لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يره لغيرهم (وحذفنا) أى تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره أو لجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف أخص من الترك (الاسناد) أراد به السند تسمحا شائعا وهم رواة الحديث أو هو بمعناه الحقيقى (فى جمهورها) أى معظم الاحاديث وأكثرها وقد يورد الحديث مسندا (طلبا للاختصار) وعدم التطويل وهو مفعول لاجله (وبحسب هذا الباب) المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كافى أو كفايته وهو مبتدأ مجرور بالباء الزائدة وخبره أن يكون الآتى أى يكفيه فى شرفه والعلم بكثرته اورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لاتخلو من الحزازة (لو تقصى) مبنى للمجهول بقاف وصاد مهملة أى استوفى وبلغ أقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التفصى التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص من مظانه تكلف لايخفى (أن يكون ديوانا) أى كتابا مستقلا مدونا (جامعا) لما فى غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها (يشتمل على مجلدات عدة) أى كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة (ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل) عليهم الصلاة والسلام أى من بقيتها أو جميعها (بوجهين أحدهما كثرتها) وشهرتها الا ان الكثرة تستلزم الشهرة * (تنبيه) * قال التلمسانى مجلدات جمع مجلدة وهى الكتب الكثيرة وهى عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه جلد كما فى القاموس وفى رسالة المجلد لابى العلاء المعرى المجلد لايزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل أنت كاسل المعتمل * مجلد يكشف عن مخض الابل

انتهى فقد أثبت ذلك وناهيك به من امام فى اللغة فان أراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد فى كلام العرب فهو مجاز لايتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف بعض المتاخرين فى قوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى القديمة جلده * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

(وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أى من نوعها مساو به لها أو مقاربة فى الاعجاز (أو ما هو أبلغ منها) أبلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم فانه أبلغ معجزة أوتيت فان معناها هنا أعظم وأقوى وليس مقيدا بالقرآن لان بلوغ الشئ وصوله لغايته ومنتهاه أو هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا فى سياق النفى فتعم وتقييد الكثرة والخارق للعادة اذ اعظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغى أن يقول أظهر وانه لايلزم مما ذكره الظهور الذى ادعاه (وقد نبه الناس على ذلك) أى نبه علماء الحديث والآثار وفصلوه فى كتبهم كابن المنير فى كتاب المقتفى (فان أردته) أى أردت معرفته والوقوف على

الممل للنظار (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء أى ويكفى هذا الباب الرابع الموضوع فى المعجزات (لو تقصى) بتاء وقاف مضمومة ثم بين فصاد مشددة مكسورة أى لو استقصى وضبطه الدلجى بالفاء أى لو تتبع (أن يكون ديوانا) أى دفترا أو مصنفا على حدة (جامعا) أى محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة) بكسر فتشديد أى كثيرة وقال الدلجى وحسب مبتدأ خبره أن يكون ديوانا وجواب لو محذوف أى لامكن (ومعجزات نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (أظهر) أى أكثر وأبهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل (بوجهين) أى نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (أحدهما كثرتها) أى مع شهرتها اذ الكثرة لاتستلزم الشهرة (وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها) أى شبيهها ونظيرها (أو ما هو أبلغ منها) أى دلالة كانشقاق القمر والاسراء ونحوهما وأما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجى فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك) أى على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها أنه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه فى المعراج دنو الدنيا وغير ذلك مما يطول بيانها وقد سبق بعضها وسيأتى شئ منها (فان أردت

فتأمل فصول هذا الباب) أي من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) أي وقابل بين واحدة مع ما يناسبها من الانبياء (تقف على ذلك) أي المعنى (ان شاء الله تعالى وأما كونها) أي معجزاته (كثيرة فهذا القرآن) أي ظاهر كثرته (وكله معجز) أي والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين) بل عند أكثر المدققين حيث قالوا اعجازه

بالفصاحة والبلاغة (سورة انا أعطيناك الكوثر) أي أقصر سورة ونحوها (أو آية قدرها) لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وفي حكم السورة قدرها لا أقلها (وذهب بعضهم) أي ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) أي من القرآن (كيف كانت) أي وجدت طويلة أو قصيرة (معجزة) خبر ان (وزاد آخرون) أي على ما ذكر (ان كل جملة متضمنة منه) أي من القرآن وفي أصل الدلجي منتظمة منه (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ولعل الاعجاز أولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كما هو أسلوب التدريج على وجه الترقي (والحق) أي الثابت عند الجمهور (ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله) وفي نسخة من مثله (فهو) أي اتيان نحو سورة (أقل ما تحداهم) أي طلب معارضتهم (به مع ما ينصر هذا) أي يؤيده ويقويه (من نظر) أي نظر اعتبار وتفكر واستبصار (وتحقيق) أي مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) أي والقصد وسطه (واذا كان هذا) أي أكثر ما تحداهم به أقل (ففي القرآن من الكلمات) أي الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) بتشديد التحتية وتخفيفها أي بعض زيادة وجمع بينه وبين نحو مبالغة في الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) أي ممن عد كلماته حرفا

ما بينهو (فتأمل فصول هذا الباب) أي أعد النظر فيه فتأمل وتدبر معانيه (ومعجزات من تقدم من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (تقف) مجزوم في جواب الامر (على ذلك ان شاء الله تعالى) والوقوف في الاصل القيام تجوزوا به عن المعرفة وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكر هنا أمورا شرفه الله بها الغير من الانبياء لا مساس لها بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها (وأما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز) وفي بعض النسخ وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القرآن موجود معروف وجميع أجزائه معجزة فناهيك به كثرة ثم شرع في بيان المقدار الذي يقع به الاعجاز فقال (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة انا أعطيناك الكوثر) وهي أقصر سورة في القرآن (أو آية بقدرها) أي مساوية لها في الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر أقل وفي نسخة بسورة بباء الجر (وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت) طويلة بمقدار سورة أم لا (معجزة وزاد بعضهم) وفي نسخة آخرون أي ترقى عن هذا المقدار الى (ان كل جملة منتظمة منه) أي مفيدة تامة (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهي كلمة قلت يكون فيها مقدر كدهامتان ونحوها فتأمل وليس هذا مبنيا على ان اعجازه بالصرفة كما قيل (والحق ما ذكرناه أولا) من ان المعجز أقصر سورة أو مقدارها (لقوله تعالى فأتوا بسورة) أي سورة كانت (من مثله) في الاعجاز والضمير للقرآن أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل على مدعاه (فهو) أي ما ذكر (أقل ما تحداهم) الله أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (به) أي طلب منهم معارضته (مع ما ينصر هذا) القول المذكور أولا أي يقويه ويؤيده (من نظر) أي فكر وتدبر (وتحقيق يطول بسطه) ببيان الحق بالادلة والبراهين القاطعة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم أولا بجملته فقال فأتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور فقال فأتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخاء عنان التكليف والحاصل ان الكلام اللفظي الذي وقع التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح اختلفوا في مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القرآن ورد بالآيتين المذكورتين وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة أو قصيرة لظاهر الآية وقال في موضع بها أو بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على العجز عن أقل من هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بآيات كثيرة وقيل قليله وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله (فاذا كان هذا) أي ثبت ان ما تحداهم به هذا المقدار الاقل (ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) أي وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف (على عدد بعضهم) أي هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله سبعة وتسعون بالتاء الفوقية ألفا وأربعمائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وقيل ثلثمائة ألف واحد وعشرون ألفا وخمسمائة وثلاثة وثلاثون

حرفا وقيل انه الصواب لا ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظه غير وارد عند من أنصف ولهم فى عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف لهما اطلاقات وقول السخاوى لافائدة فى عدد حروفه لانه لا يقبل زيادة ولا نقصا لاوجه له غير الكسل (وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيجزئ القرآن) بصيغة المصدر وفى نسخة فيتجزئ بالمضارع المجهول وآخره مهموز ويجوز ابداله ألفا أى بان تعد عشر آيات عشرة أجزاء (على نسبة انا أعطيناك الكوثر) أى على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل آية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقى لغة واصطلاحا مشهور (أزيد) بالرفع خبر تجزى المصدر وبالنصب ان كان فعلا أى تجزيه أزيد أو يكون أزيد (من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه) أى بقطع النظر عن غيره ففيه أزيد من سبع ألف معجزة وهذا مبنى على ماتقدم من العدد (ثم اعجازه) أى القرآن (كما تقدم) من ذكر الاختلاف فى مقداره (بوجهين) الاول (طريق بلاغته) أى مافيه من مراعاة الوجوه التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال (و) الثانى (طريق نظمه) أى أسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله وايتاء كل كلمة منه ماتستحقه وتنزيلها فى محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقارئه لا يمله وان كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ونظر فيه بنور الايمان (فصار فى كل جزء من هذا العدد) المذكور آنفا (معجزتان) من جهة بلاغته ومن جهة نظمه (فتضاعف العدد) أى عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل أو مضارع من المفاعلة (من هذا الوجه) أى من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات مالا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله تعالى الصحيح الذى عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه لانه عز وجل أحاط بكل شئ علما وبكل كلام فاتى فى كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا بطل القول بالصرفة (ثم فيه وجوه اعجاز أخر) غير ماذكر من الطريقين (من الاخبار بعلوم الغيب) بيان لوجوه أى الامور الغيبية بما وقع أو سيقع (فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة) أى الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتى الاعجاز (الخبر) أى الاخبار (عن أشياء من الغيب) أى الامور المغيبة عن علمنا (كل خبر منها بنفسه معجز) أى باعتبار أخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز (فتضاعف) بصيغة الماضى والمضارع كما مر (العدد) المذكور أى العدد المضاعف لقوله (كرة أخرى) أى بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفرار قال امرء القيس مكر مفر مقبل مدبر معا (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) وهى ذكر المغيبات (توجب التضعيف) والزيادة الى مالا يكاد يحصى كثرة (هذا فى حق القرآن) دون غيره من المعجزات التى تزيد على معجزات سائر الانبياء (فلا يكاد يأخذ العد معجزاته) وفى نسخة العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم أى لا يغلبه ذلك أى لا يحيط بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد ولم يقل لا يعد (ولا يحوى الحصر) أى الاحاطة (براهينه) أى براهين اعجازه

(وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر) أى الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرآن) بتشديد الزاى فهمز مبنيا للمفعول وفى نسخة فيتجزأ بالهمزة وفى أخرى بالالف وفى أصل الدلجى فتجزى القرآن بصيغة المصدر المضاف (على نسبة عدد انا أعطيناك الكوثر) أى كلماتها العشر (أزيد) بالنصب وعلى أصل الدلجى وبعض النسخ بالرفع أى أكثر (من سبعة آلاف جزء) أى حصة (كل واحد منها معجز فى نفسه) أى مع قطع النظر عما قبله ومابعده ومافيه من أخبار الله تعالى عن نبأ ماقبله ومابعده (ثم اعجازه كما تقدم) أى فى محله (بوجهين) أى من طرق الاعجاز (طريق بلاغته) أى باشتماله على لطائف الاعجاز (وطريق نظمه) أى بسلوكه بين الاطناب والايجاز (فصار فى كل جزء من هذا العدد) أى من السبعة آلاف (معجزتان) أى باعتبار الطريقين (فتضاعف العدد من هذا الوجه) أى الذى له جهتان فيصير أربعة عشر ألفا (ثم فيه) أى فى القرآن من حيث مجموعه (وجوه اعجاز أخر) بضم ففتح (من الاخبار بعلوم الغيب) أى مما تقدم أو تأخر (فقد يكون فى السورة الواحدة) أى حقيقة أو حكما (من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب) كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون (كل خبر منها بنفسه) أى بانفراده (معجز) أى مستقل فى بابه (فتضاعف العدد) أى فتزايد المبلغ المضاعف (كرة أخرى) أى فى الجملة لا فى نحو كل سورة فلا يصير ثمانية وعشرين ألفا على ماجزم به الدلجى (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) قال الدلجى وهى الغيبة وفيه انها مما سبق ذكره (توجب التضعيف) الى مالا يكاد يحصى ولا يستقصى (هذا) أى التضعيف الوافر (فى حق القرآن) هو الظاهر (فلا يكاد يأخذ العد) أى العدد كما فى نسخة (معجزاته) أى لكثرتها (ولا يحوى) أى ولا يكاد يشتمل (الحصر براهينه) لعظمتها

(ثم الاحاديث الواردة) أى الصريحة (والاخبار الصادرة) أى الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام فى هذه الابواب) أى المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن مادل على أمره) أى ظهور أمره وحكمه (مما أشرنا الى جمله) بضم ففتح أى الى جمل من مفصله (يبلغ ٢٩٠ نحوا من هذا) أى التضعيف (الوجه الثانى) أى من وجهى كون معجزاته أظهر من معجزات

لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية أردفها بالنقلية فقال (ثم الاحاديث) النبوية (الواردة) فى الروايات الصحيحة (والاخبار الصادرة عنه) عليه الصلاة والسلام (فى هذه الابواب) أى أبواب اعجاز القرآن والتحدى به وأبواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله (وعن مادل على أمره) أى نبوته وعلوشانه (مما أشرنا) فيما سبق من هذا الكتاب (الى جملة) منه وفى نسخة الى جمل (يبلغ نحوا) أى قريبا (من هذا) المقدار الكثير (الوجه الثانى) من وجهى ظهور معجزاته وشهرتها وانها أظهر من معجزات سائر الرسل قبله (وضوح معجزاته) أى شهرتها بحيث لاتجهل وهذا عين ظهورها أو مستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لا تخفى على أحد غير أعمى الفكر والنظر وانها لاارتياب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها فى كل عصر كالشمس فى رابعة النهار وهذا مما يدل على أظهريتها دلالة ظاهرة لاعينها فسقط ما قيل ان المدعى ان معجزاته أظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال على الشئ بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذى قبله الاان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد الزيادة فى الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لايخفى وقد أشار الى ماذكرناه المصنف بتفسيره بقوله (فان معجزات الرسل كانت بقدر هممم أهل زمانهم) أى هممهم فيما يهتمون به ويعتنون (وبحسب) بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار (الفن) أى النوع (الذى سما) أى اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنائهم به (فيه قرنه) بفتح القاف وسكون الراء أى عصره والمراد به أهله مجازا أو بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه أعمارهم وأحوالهم واختلف فى مقداره هل هو مائة سنة أو ثمانون أو أقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله (فلما كان زمان موسى) كليم الله عليه الصلاة والسلام أى زمن بعثته ونبوته (غاية علم أهله) أى أهمه وأعظمه عندهم (السحر) وهو معروف تقدم الكلام عليه (بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة (فجاءهم) على يد موسى عليه الصلاة والسلام (منها ماخرق عادتهم) أى خالف ما يعتادونه ويسهل عليهم فعله وأصل الخرق أبانة جسم من آخر فنقل لما ذكر كخرق الاجماع أى مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصاحية واليد البيضاء من غير سوء (ولم يكن) ماجاء به (فى قدرتهم) أى لايقدرون عليه فيدخل فى جملة مقدراتهم (وقد أبطل سحرهم) بما عارضهم به وهى جملة حالية يشير الى ماقصه الله فى كتابه العزيز وفى نسخة وأبطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم (وكذلك) أى كزمن موسى عليه الصلاة والسلام (زمن عيسى) ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم (أغنى ما كان الطب) أى أعظم ما كان فى عصره وعهد رسالته علمه والطب فى اللغة معناه العادة والسحر وفى العرف علم يعرف به أحوال الانسان من حيث الصحة والسقم وأغنى افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية أى أكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره فى كلامهم لتفسيره بانهى والطب مثلث الطاء مشدد الباء (واوفر ما كان أهله) أى أهل الطب وعلماؤه أى أكثر ما كان فى زمنهم (فجاءهم) على يد عيسى عليه الصلاة والسلام (أمر لايقدرون عليه) بواسطة

غيره (وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم) أى ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) أى واردة على أيديهم (بقدر هممم أهل زمانهم) أى حالا ومقدارا فى شانهم (وبحسب هذا الفن) بفتح السين (الذى قد سما فيه قرنه) أى علا وارتفع أهل عصره شهرة بمعرفة ذلك الفن فى دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) أى ومايزعمون مهارتهم لديه ويوجهون هممهم اليه (فجاءهم منها) أى على يد موسى (ماخرق عادتهم) أى من انقلاب العصاحية تسعى واليد السمراء بيضاء من غير سوء (ولم يكن) أى ذلك المعجز (فى قدرتهم) أى فى نطاق قواهم وقدرهم (وأبطل سحرهم) وما أظهره من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى) أفعل تفضيل من الغاية أنهى

(ما كان) أى علم أهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض الظاهرة وفى نسخة أعنى بالعين المهملة بمعنى أعجز وفى أخرى بالغين المعجمة والنون أى أوفى وفى أخرى بالمهملة والنون أى أقصد وكلها صحيحة على ما لايخفى (وأوفر ما كان أهله) أى أكثر ما كان أهل [illegible] تبعه (فجاءهم) أى على يد عيسى (أمر لايقدرون عليه

وأتاهم مالم يحتسبوه) أي شيئا لم يظنوا وجوده لديه وأمره مفوضا اليه (من احياء الميت) ويروى الموتى وفي نسخة الميتة (وابراء الأكمه) أي الذي ولد ممسوح العين ذكره الدلجي قال الحلبي الاكمه هو الذي يولد اعمى ويقال الاعشى ونحوه قال البخاري في الصحيح ان الاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وهو تفسير للاعشى على ما لا يخفى (والابرص) من في بدنه بياض من المرض المعروف (دون معالجة ولا طب) أي عداوة بل كان يأتيه من اطاق الاتيان لديه ومن لم يطق ذهب اليه عليه الصلاة والسلام فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى وذوي العاهات فيداويهم والآيات (وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) أي كانت بقدر علم أهل زمانهم من الانام (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها) أي من الجزئيات والكليات (أربعة) أي من أنواع المدركات وأصناف الملكات (البلاغة) أي المقرونة بالفصاحة (والشعر) أي النظم المقابل للنثر (والخبر) بفتحتين أي الاخبار بانساب العرب وأيامها من وقائعها ومعرفة تاريخها وتفصيل ما جرى فيها من ضروب خروجها وفنون رجوعها (والكهانة) بكسر الكاف وتفتح وهي منزلة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها (فانزل) بصيغة المجهول أي فانزل الله تعالى كما في نسخة وفي أخرى زيادة عليه (القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول) أي المتقدمة وهي البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من الفصاحة) أي من أجل فصاحة القرآن (والايجاز) أي وايجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم) بفتح النون والميم أي نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب

علمهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ الصحة وكم من مرض أعيى الطبيب المداويا (وأتاهم مالم يحتسبوه) أي مالم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم ومالم يترقبوه وجعل أمره مافاعلا ولم يقل أتاهم بامر وعادة وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة وفي نسخة يحسبوه أي يظنوه ويقدروه قيل ويجوز فيه ضم الياء اليه ينكرونه وهو بعيد لفظا لا معنى (من احياء الميت) بتخفيف الياء وتشديدها (وابراء الاكمه) أي الذي ولد اعمى مطموس العين أي فتح عينيه حتى يبصر (والابرص) وهو الذي فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا (من دون معالجة) المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها (وطب) المراد به هنا المعنى المصدري أي اعطاء الدواء وانما كان مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعاء والتوجه الى الله تعالى وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجيء اليه يذهب بنفسه اليه وكان اطباء عصره لا يقدرون على ماذكر فلذا كان معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم * (تنبيه) * قال البخاري في تفسير الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وقال السهيلي انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى (وهكذا) أي مثل ماذكر (سائر معجزات الانبياء) في انها كانت بمقدار علم أهل زمانهم وما يهتمون به من الاحوال والعلوم (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب) جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لا جمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل (وعلومها) أي ما يعلمونه من الجزئيات والكليات (أربعة) أنواع (البلاغة) أي الملكة والجبلة التي يعرفون بها تأدية الكلام حقه في كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها (والشعر) الكلام الموزون المقفى (والخبر) عمن سلف وما لهم من الوقائع والايام والانساب والمنازل (والكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهي معانات علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر (فانزل عليه القرآن) أي أنزل الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يناسب قرنه وأهل عصره أعني القرآن أي كلامه الموحى اليه (الخارق) أي المخالف (لهذه الاربعة فصول) أي الانواع المذكورة وهي البلاغة وما معها فهي جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره (من الفصاحة) وهي خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما يشينه من فصح بمعنى خلص ويشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ في علم المعاني ومعناهما عندهم غني عن البيان لشهرته (والايجاز) أي اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز أكثر وأعظم فهو أهم عندهم (والبلاغة) وقيدها بقوله (الخارجة لهذه عن نمط كلامهم) أي كلام العرب لدخولها في الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة أي لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه في مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد فاستعير لما ذكر أي نوعه وطريقته (ومن النظم) أي تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعرا (الغريب) أي الذي لم يعهده البلغاء في كلامهم (والاسلوب) أي الطريق (العجيب) أي الذي

الذي لم يهتدوا) أي فصحاؤهم وبلغاؤهم وخطباؤهم وشعراؤهم (في المنظوم) أي من كلامهم (الى طريقه) أي في مرامه (ولا علموا في أساليب الاوزان) أي نظما ونثرا

وفي أصل الدلجي في أساليب الكلام والافنان من النثر المسجع والنظم المرصع (منهجه) أي طريقته السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) أي الكائنات والمحدثات من الاعيان والاكوان (والاسرار) أي في البواطن (والمخبئات) أي في الظواهر والضمائر (فتوجد على ما كانت) أي ذاتا أو صفة (ويعترف المخبر) بفتح الباء أي من أخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) أي ولو كان ذلك المعترف المخبر (أعدى العدو) أي بكونه من أهل الكفر والنكر (فابطل) أي القرآن أو النبي أو الله سبحانه وتعالى (الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة أي اقتلعها (من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد أي جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لا نفسها لثبوتها في مقارها كقبس أخذ من نار وهي ثابتة لم تنقص مما لها من مقدار (وجاء) أي في القرآن (من الاخبار) بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) أي السابقة الامم (وانباء الانبياء والامم البائدة) أي الهالكة ومنه حديث الحور العين نحن الخالدات فلا نبيد أبدا (والحوادث الماضية) أي الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) أي شيء أو الذي (يعجز من تفرغ لهذا العلم) أي في صرف جميع عمره

يتعجب منه سامعه أو يعجبه ويستحسنه (الذي لم يهتدوا) أي لم يصلوا ويقدروا (في المنظوم) أي المؤلف من كلامهم (الى طريقه) فضلا عن الاهتداء اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذي هو ينسج وحده (ولا علموا في أساليب الكلام) مطلقا أو المنثور من خطبهم واسجاعهم (والاوزان) الشعرية الموزونة على بحوره (منهجه) أي طريقه (ومن الاخبار) بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر (عن الكوائن) أي عما سيكون في المستقبل من المغيبات جمع كائنة وهو معطوف على قوله من النظم واعاد من لانه نوع آخر من الاعجاز واطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (والحوادث) أي ما يحدث في المستقبل أيضا (والاسرار) أي ما أسروه في أنفسهم كقوله تعالى في قصة أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأظهره الله عليه (والمخبآت) أي ما أخفوه عنه فاطلعه الله عليه (والضمائر) أي ما أضمروه في أنفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله (فتوجد) تلك الامور المخبر عنها وما أسروا واخفي عنه (على ما كانت عليه) ذاتا وصفة مطابقة لما قاله (ويعترف) ويقر (المخبر) بفتح الباء اسم مفعول أي من أخبره الرسول بما أطلعه الله عليه (عنها بصحة ذلك) الخبر الذي أخبره به (وصدقه) بمطابقته للواقع (وان كان) المخبر بالفتح (أعدى العدو) أي أقوى أعدائه وأشدهم عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاعدى أفعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس والعدو بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من قوم عدو لكم أي مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور صدقه (فابطل) القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كما مر والرواية هنا الكسر لانه الانسب (التي تصدق مرة وتكذب عشرا) صفة الكهانة أي التي كذبها أكثر من صدقها كما ورد في الحديث انه تعالى كان اذا قضى أمرا في السماء سبحت حملة العرش ثم أهل كل سماء حتى ينتهي الى سماء الدنيا فتستخبر أهل كل سماء من فوقهم حتى ينتهي الخبر الى أهل هذه السماء فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون من أكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه مائة بدل قوله عشرا لانه ورد في الحديث تكذب مائة أو أكثر من مائة (ثم اجتثها) بجيم ومثناة فوقية ومثلثة والضمير للكهانة أي قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه أبلغ مما قبله وأبعد رتبة وأصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه وأصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ففيه استعارة مرشحة بقوله (من أصلها) وان كان المراد به ازالتها بالكلية (برمي الشهب) بضم الهاء وسكونها جمع شهاب أي رمي الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقى الكهنة والمراد زيادة الرمي وكثرته فانه كان قبل كما روي في نسخة رجم بدل رمي (ورصد النجوم) رصد بسكون الصاد المهملة مصدر رصده يرصده اذا ترقبه وأعد له ما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا أو جمع الراصد كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها أي النجوم المرصدة أي المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم أو شعل نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون فرصدها لانها مبدأ لما يمنعهم (وجاء) في القرآن (من الاخبار عن القرون) والامم (السالفة) أي الماضية قديما (وانباء) جمع نبأ وهو الخبر (الانبياء والامم البائدة) أي الهالكة الفانية في الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفي الحديث الجنة لا تبيد أبدا أي لا تهلك ولا يموت أهلها (والحوادث) أي الامور الواقعة من خير وشر في الازمان السالفة (الماضية) قبل ذلك (ما يعجز من تفرغ لهذا العلم) أي العلم بالاخبار وتواريخ

(عن بعضه) أي عن معرفة بعض أمره (على الوجوه التي بسطناها) أي أوضحناها (وبينا المعجز فيها) أي مع ما وشحناها وشرحناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) أي المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول الاخر) أي المتقدمة (التي ذكرناها في معجزات القرآن) أي فيما مضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) أي حال كونها مستمرة دائمة (بينة الحجة) أي ظاهرة الدلالة في الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل أمة تأتي) أي بعد جماعة تنقضي (لا تخفى وجوه ذلك) أي المعجز المتقدم (على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى) أي منضما الى (ما أخبر به من

الامم (عن بعضه) أي عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاء ومن فاعل تعجز (على الوجوه التي بسطناها) أي جاء مبينا على وجوه تقدمت مفصلة (وبينا المعجز فيها) أي أوضحنا المعجزات فيها بما أغنى عن اعادته (ثم بقيت هذه المعجزة) أي القرآن وفي نسخة المعجزات اعتبار وجوه اعجازه (الجامعة لهذه الوجوه) أي وجوه الاعجاز المذكورة آنفا (المضمومة الى الفصول الاخر) يعني الاربعة المتقدمة (التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة) لا تبدل ولا تغير ولا تذهب أبقاها الله (بينة الحجة) أي ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم (لكل أمة تأتي) بعد نزول القرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر (لا يخفى وجوه ذلك) الاعجاز الذي ذكر أولا (على من نظر فيه) أي من نظر في القرآن بتلاوته أو سماعه (وتامل وجوه اعجازه) أي أطال النظر فيها أو كرره وهو من الامل تفعل تجوز به عما ذكر لترقب الامل وامتداده (الى ما أخبر به من الغيوب) أي مع ما أخبر به من المغيبات (على هذا السبيل) والطريق المذكور (فلا يمر عصر وزمن) أي يجيء كالمار على أهله وليس المراد به ينقضي لقوله (الا ويظهر فيه صدقه) أي صدق القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم (بظهور مخبره) بفتح الباء أي ما أخبر به أو خبره (على ما أخبر) أي كائنا متحققا على وفق خبره أو باقيا على حاله في وجوه اعجازه السابقة أي أخبر به فهو مبني للفاعل (فيتجدد الايمان) به كل ما ظهر أمر جديد مصدق له بوقوع ما فيه (ويتظاهر البرهان) أي يقوى الدليل ويزيد قوة وأصل التظاهر المعاونة والمساعدة كأنه يستند لظهوره (وليس الخبر كالعيان) وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد في الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله فاذا شوهد معناه بان المراد واطمان الفؤاد ولذا قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبي كما قيل ولكن للعيان لطيف معنى * له سال المعاينة الكليم (وللشاهدة) بحس البصر (زيادة في اليقين) الذي كان البرهان القاطع (والنفس أشد طمأنينة) الطمأنينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج (الى عين اليقين) أي الى ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة (منها) أي من طمانينتها (الى علم اليقين) أي العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين (وان كان كل) من عين اليقين وعلم اليقين (عندها) أي عند النفس وفي علمها فان عند يكون بمعنى العلم كما فسر عند الله تعالى بعلمه تارة وحكمه أخرى (حقا) أي متحققا ثابتا بلا مرية لكن الاول أقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والاول ضروري وغيره نظري (وسائر معجزات الرسل) قدم وفصلناه في شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقي من السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من أنكر الثاني كالحريري وغيره لم يصب (انقرضت بانقراضهم) أي انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم (وعدمت) بعد وجودها وعدم مبني للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه

الغيوب) بضم الغين وكسرها أي المغيبات (على هذا) وفي نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلا يمر عصر ولا زمن) أي ولا ينقضي قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) أي زيادة صدقه أو موجب تصديقه بظهور مخبره بضم الميم وفتح الموحدة (على ما أخبر) أي على طبقه ووفقه وأغرب الدلجي بقوله على ما أخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويقوى العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر أوله اذ غايته افادة الخبر غالبا ظنية ونهايته افادة المعاينة يقينية (وللشاهدة زيادة في اليقين) أي المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا

(والنفس أشد طمانينة) أي سكونا (الى عين اليقين) أي الذي تفيده المعاينة (منها) أي من الطمانينة (الى علم اليقين) أي المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) أي من علم اليقين وعين اليقين (عندها) أي عند النفس (حقا) أي ثابتا وصدقا لكن عين اليقين أسكن لها على ازدياد طمانينتها وأعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل أولم تؤمن أي بعلم الوحي المقدر والاستدلال بالخبر المكرر قال بلى أي ربي ولكن ليطمئن قلبي بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد (وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما أشار اليه بقوله (وعدمت) بصيغة المجهول أي

وانعدمت (بعدم ذواتها) أي بعدم وجودها وتحقق صفاتها وفي أصل الدلجي بعدم ذواتهم أي وجودا في الدنيا والافثبت ان الانبياء في البرزخ أحياء فالجملة تاكيد لما قبلها وعلى الاول تاسيس وهو أولى في محلها (ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتبيد) أي لاتفنى أبدا (ولا تنقطع) أي ولا تنقضي سرمدا (وآياته) أي علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) أي يوما فيوما (ولا تضمحل) بتشديد اللام أي ولا تزول أصلا (ولهذا) أي المعنى الاعلى (أشار عليه الصلاة والسلام بقوله) أي الذي هو غاية المرام في هذا المقام المندوج (فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي) أي الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضي أبو الوليد) وهو الباجي (حدثنا أبو ذر) أي الهروي (ثنا أبو محمد) أي ابن حمويه السرخسي (وأبو اسحق) أي المستملي (وأبو الهيثم) أي الكشميهني (قالوا) أي كلهم (حدثنا الفربري) بكسر الفاء وتفتح (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز ابن عبد الله) أي العامري الاويسي الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) أي ابن سعد (عن سعيد عن أبيه) أي أبي سعيد المقبري روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمي به توفي سنة مائة (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخاري وقد أخرجه مسلم والنسائي أيضا (قال ما من الانبياء نبي) هو أعم من رسول (الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) أي ليس نبي منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيئا الجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما أثبت دعواه اذا من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمانه وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذي أوتيت) أي بخصوص ما أنعم علي (وحيا أوحاه الله الي) أي معجزا في أعلا طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) أي بسبب بقائه وظهور ضيائه (اني أكثرهم) وفي أصل الدلجي ان أكون أكثرهم (تابعا يوم القيامة)

بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم (بعدم) بفتحتين أو بضم فسكون (ذواتها) أي الرسل وفي نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفي ثبوتها في اللغة كلام تقدم وياتي والمعروف انه بمعنى صاحبة مؤنث ذو المشهور في العربية أي تلك المعجزات تعدم فتنقرض وان علم ثبوتها لكونها أمرا غير مؤبد وهو معنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس وان كانت باقية في البرزخ أحياء لايموتون كما في حديث الاسراء والاجتماع بالانبياء (ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني القرآن (لاتبيد) أي لاتفنى وتعدم (ولا تنقطع) أي تذهب بالكلية (وآياته) أي معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي تضمنها القرآن (تتجدد ولا تضمحل) بالضاد المعجمة والميم والحاء المهملة واللام المشددة أي لا تنحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع (ولهذا) المذكور من بقاء معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) في حديث صحيح رواه البخاري رحمه الله تعالى والاشارة هنا بمعنى التصريح أو عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحي الآتي أعم من القرآن فيحتمل ان المراد به أحكام شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه ما مر من القرآن فيه معجزات لاتحصى وليس بصريح الحديث كما ستبينه (فيما حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي) بن سكرة وقد مر ترجمته قال (حدثنا القاضي أبو الوليد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو ذر) الهروي وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد) بن حمويه السرخسي وقد تقدم (وأبو اسحق) المستملي كما تقدم (وأبو الهيثم) الكشميهني كما تقدم (وقالوا حدثنا الفربري) راوي صحيح البخاري وقد تقدم ضبط نسبته قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله) العامري الاوسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان قال (حدثنا الليث) تقدمت ترجمته (عن سعيد) المعروف بالمقبري (عن أبيه) كيسان أبو سعيد المقبري نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بني ليث روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائة في خلافة الوليد وهو ثقة (عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه وهو عبد الرحمن بن صخر وفي اسمه اختلاف كثير لاشهرته بكنيته كما مر (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخاري (قال ما من الانبياء) تقديره ما من نبي من الانبياء (الا أعطى) بالبناء للمجهول أي الا أعطاه الله تعالى (من الآيات) أي المعجزات الظاهرة (ما مثله) ما موصولة أو موصوفة (آمن) بالمد ماض أي صدق (عليه البشر) على تعليلية كما في قوله تعالى على ما هداكم أو تقديره مستقرا عليه البشر يعني أهل عصره (وانما كان الذي أوتيت) من الآيات والمعجزات (وحيا أوحاه الله تعالى عز وجل الي) يعني القرآن المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله (فارجو) من الله تعالى بما أكرمني به من المعجزة الشاملة على معجزات لاتتناهى الباقية الى يوم القيامة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها في كل امة ما لا يحصى فلذا رجوت (ان أكون) دونهم (أكثرهم تابعا) أي أمة (يوم القيامة)

هذامعنى الحديث) أى المذكور (عند بعضهم وهو) أى هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) أى المتبادر (والصحيح) أى الصريح (ان شاء الله تعالى) أى فلا يعدل عما قدمناه (وذهب غير واحد) أى كثيرون (من

العلماء فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا) أى وتأويل غلبة معجزة نبينا (عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر) أى غير ما أفاده منطوقا (من ظهورها بكونها) أى من قوة معجزة نبينا بسبب كونها (وحيا) أى خفيا (وكلاما) أى جليا (لايمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيلة (ولا التشبيه) أى من حيث انه لايتصور فيه التمويه (فان غيرها) أى غير معجزة نبينا (من معجزات الرسل قدرام المعاندون لها) أى قصدوا الابطالها (باشياء طمعوا فى التخييل بها) أى بتلك الاشياء (على الضعفاء) أى ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) أى فى معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشبه هذا) بالرفع أى وشبيه هذا الذى فعله سحرة فرعون (بما يخيله الساحر) أى جنسه على الضعيف فى دينه وأمر يقينه (أو يتخيل فيه) أى يطلب (الحيلة فى) دفعه انه صدق أو فى اثباته انه حق (والقرآن كلام) أى لله تعالى كما فى أصل الدلجى كلام الله تعالى والاظهر انه أريد به هنا انه مطلق كلام أى اعجاز القرآن واقع فى كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه) أى فى الكلام (عمل) أى مما يوجب التمويه (فكان) أى القرآن (من هذا الوجه عندهم) أى عند أرباب هذا المعنى (أظهر من غيره

اذا حشرت الامم مع أنبياءهم (هذا معنى) هذا (الحديث عند بعضهم ممن) فسره وبين المراد منه ففيه اشارة الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيامة لا يقبل نسخا ولا تبديلا ولا ينسى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله المتقدم المراد به نفسه كما فى قولهم مثلك لا يبخل وعليه للتعليل كما مر وعبر بها لما فيها من الدلالة على الاستعلاء بالقهر والغلبة الملزم لهم بالايمان به وقال الدماميني كثرة ماله من المعجزات اشارة الى انه أعظم معجزاته والعرب قد تحصر الشئ فى فرد كامل منه بادعاء ان ماعداه لا يعد معه لكفايته عن غيره وقد حقق الله تعالى رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو الظاهر) من معنى الحديث (والصحيح ان شاء الله) وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى ثم أشار الى ان فيه وجوها أخر بقوله (وذهب غير واحد) أى كثير (من العلماء) أى علماء الحديث (فى تأويل هذا الحديث) أى تفسيره وبيان ما يئول اليه وعبر بالتاويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ما صرح به (وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى بيان وجه ظهورها (الى معنى آخر) غير ما ارتضاه (من ظهورها) أى بيان ظهورها (بكونها) أى هذه المعجزة الباهرة (وحيا) أى كلاما موحى اليه من الله فقوله (وكلاما) عطف تفسير لان الوحى يحتمل المعنى المصدرى ثم بين وجه الظهور على هذا فقال (لايمكن) لاحد ممن ينكره (التخييل فيه) تفعل من الخيال بالخاء المعجمة وفى نسخة التخييل بالتفعيل منه والاول أنسب بقوله (ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة لانه كلام بليغ دال على معناه وما قصد به دلالته لايمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا أصل له ولا ان يعمل حيلة فى الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه (والتشبيه) به (فان غيرها) أى غير المعجزة القرآنية (من معجزات الرسل) كلها (قدرام) أى قصد وطلب (المعاندون) أى المنكرون (لها) عنادا (باشياء) متعلق برام (طمعوا) أى توهموا فجعل كالمتوهم لقربه منه معنى (فى التخييل) والتمويه (بها) باظهار ما لاحقيقة له (على الضعفاء) المراد بهم العامة الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم (كالقاء السحرة) عند فرعون جمع ساحر (حبالهم وعصيهم) جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصا موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى ما ألقوه وأبطلته علموا انها معجزة فآمنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيأ (وشبه هذا) المذكور فى قصة موسى (مما يخيله) بالمعجمة أى يلبس به ويموه (الساحر أو يتحيل فيه) بالحاء المهملة أى يأتى به حيلة منه غير واقعة ثم أشار الى ان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقبل ما ذكر بقوله (والقرآن كلام) من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله (ليس للحيلة) ممن لا يقدر عليه (ولا للسحر فى التخييل فيه) بان يعمل بقوة السحر ما يؤثر فى شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة أو شعرا (عمل) أى تاثير كما عرفته آنفا فان ساحرا لو أتى عاميا لاقدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع أنواع سحره لايمكنه ان يقوم فى ناد منشدا أو خطيبا فانه أمر جبلى لايمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجلف الاعرابى يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لايمكنه ان يأتى بشئ منه وبهذا علم ان الكلام لايكون بحيلة ولا سحر فما بالك بكلام أفحم جميع الفصحاء وأخرس ألسنة البلغاء وهو المراد بقوله (فكان) القرآن من حيث كونه كلاما (من هذا الوجه) أى من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز (عندهم) أى عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكر ثانيا (أظهر من غيره

من المعجزات كما لايتم لشاعر ولاخطيب أن يكون شاعرا أوخطيبا بضرب من الحيل (والتمويه) أى مما يكدر أمر المعجزة و ينافيه (والتاويل الاول) أى الذى هو المعول (أخلص) أى أطهر و أنص (وأرضى) عند النفوس الخلص (وفى هذا التاويل الثانى مايغمض) أى بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبى مشددا أى يغطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء أى غطاء العين (عليه) ويروى عنه (ويغضى) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفى أصل الدلجى بالفاء وهو تصحيف

من المعجزات) لعدم قبول التخييل والتمويه (كما لايتم) أى يحصل و يتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل الاعمال بخواتمها أى بأواخرها (لشاعر) يتكلم بالمنظوم (ولاخطيب) يتكلم بالمنثور (أن يكون شاعرا أوخطيبا بضرب) أى بشئ ونوع (من الحيل) جمع حيلة (والتمويه) أى التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب أوفضة لتوهم من رآه انه ذهب أوفضة وهو فى الاصل من الماء يذاب فيصير كالماء ثم يطلى به وتقول العامة لمذابه ماء الذهب وماء الفضة وصيغة فعل يكون للتشبيه كثيرا فانكار أهل المعانى لقوله أنف مسرج بمعنى كالسراج فى البريق واللمعان لاوجه له كما مر (والتاويل) أى التفسير (الاول) الذى قال انه الظاهر الصحيح (اخلص) أفعل تفضيل من خلص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة أى أصفا من الكدر أى الاشكال قال فى المغرب الخلوص الصفو و يستعار للوصول انتهى وهو بمعنى أجود أومن الخلاص بمعنى النجاة والسلامة (وأرضى) أفعل تفضيل من الرضى أى أكثر رضى وقبولا عند العقول السليمة (وفى هذا التاويل الثانى) الذى ذهب اليه غيره من علماء الحديث (مايغمض) بالبناء للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطاء العين ومعنى يغمض (عليه الجفن) انه يغض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه و يعتنى به أوهو كالقذاء فى العين الذى يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض (و يغضى) بغين وضاد معجمتين وألف مبنى للمجهول لاجل قافية السجع من أغضى الجفن اذا طبقه أو بمعنى سكت وهو قريب مما قبله قيل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه أخر (ووجه ثالث) فى اعجاز القرآن وانه أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (على مذهب من قال بالصرفة) على ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وعدم تمكنهم من معارضته مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولا ماذكر واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة (وان المعارضة) له والاتيان بمثله (كانت فى قدرة البشر فصرفوا عنها) اما بسلب قدرتهم ودواعيهم أو بسلب علمهم بتاليف كلام مثله وبمكنهم منه (أوعلى أحد مذهبى أهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) على الاتيان بكلام من جنسه أى بما هو فى قدرتهم متمكنون منه (ولكن لم يكن ذلك قبل) بالبناء على الضم أى قبل ظهوره (ولا يكون بعد) بالضم وقيل المراد قبل التحدى وبعده (لان الله تعالى لم يقدرهم) بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها أى لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله (ولا يقدرهم عليه) بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله أشار الى الفرق بينهما بقوله (وبين المذهبين) أى مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده (فرق بين) بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع انه من جنس مقدورهم ومثله فى الجملة وليس هذا نوع من الصرفة وذهب اليه بعض أهل السنة كما توهم وهو عجيب

وتحريف كما لايخفى والتحقيق انه لامنع من الجمع وان بناء الثانى على التدقيق والله ولى التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان فى ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) أى وهنا وجه آخر وفى نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث فى كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم عنه (وان المعارضة) أى بمثله فى الجملة (كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها) أى بسلب دواعيهم لابسلب قدرتهم كما ذكره الدلجى فانه مذهب آخر كما سياتى (أوعلى أحد مذهبى أهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) أى من جنس كلامهم الذى لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) أى الاتيان بمثله بعد من تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) أى قبل التحدى ولا بعده كما ذكره الدلجى والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق و بقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة و يؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) أى على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) أى بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المذكورة أى ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع كونه من جنس مقدورهم

(وعليهما) أى وعلى المذهبين (جميعا) أى جميعهما (فترك العرب) وفى نسخة بغير الفاء أى ترك معارضتهم الاتيان (بما فى مقدورهم) أى فى الجملة (أوساهو من جنس مقدورهم) أى فى الصورة (ورضاهم بالبلاء) أى العناء فى أبدانهم (والجلاء) أى عن أوطانهم وهو بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا أى والسبى كما فى نسخة أى أسر اطفالهم ونسائهم وأعيانهم (والاذلال) أى لانفسهم فى بعض الاحوال (وتغيير الحال) أى بمخالفتهم من الخير الى الشر (وسلب النفوس) أى فى حال القتال (والاموال) أى بذلها فى فك رقابهم من الاغلال (والتقريع) أى قهرا (والتوبيخ) أى زجرا (والتعجيز) أى بالاذلال

عجيب من قائله فتدبر (وعليهما جميعا) أى على هذين القولين (فترك العرب) الفصحاء على المذهب الاول (الاتيان بما فى مقدورهم) أى قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله أو مثل بعضه كاقصر سورة منه (أو) تركهم على الثانى (ما هو من جنس مقدورهم) أى من جنس كلامهم البليغ الذى يقدرون عليه (ورضاهم) أى اختيارهم (بالبلاء) أى بما ابتلوا به لعنادهم (والجلاء) بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلاء وهو اخراجهم من ديارهم وأوطانهم (والسباء) بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبى أولادهم وأهلهم واسترقاقهم (والاذلال) لانفسهم وأهليهم (وتغيير الحال) التى كانوا عليها من العزة والشهامة (وسلب النفوس) بالقتل والفتك فيهم (والاموال) باخذ الغنائم منهم (والتقريع) باللوم والزجر والتغيير (والتوبيخ) بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل (والتعجيز) باظهار عجزهم بالتحدى (والتهديد) لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والآخرة (والوعيد) بما يقع بهم ان لم يؤمنوا (أبين آية) أى أظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب (للعجز عن الاتيان بمثله) أى بمثل القرآن فى فصاحته واعجازه (والنكول) وهو النكوص أى الرجوع والاعراض (عن معارضته) أى الاتيان بمثله (وانهم منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) أى كلامهم الذى يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه (والى هذا) المذهب وهو انهم قادرون على شئ من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة وهذا هو الفرق بين القولين (ذهب) أى اختاره مذهبا (الامام أبو المعالى الجوينى) منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام أهل السنة عربا وعجما فرد الائمة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابورى الشافعى امام الحرمين اعلم أئمة الشافعية هو ووالده ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر (وغيره) من أهل السنة (قال) أبو المعالى (وهذا) الاعجاز (عندنا أبلغ) أى أقوى وأكثر مبالغة (فى خرق العادة بالافعال البديعة) أى المبتدعة الغريبة (فى أنفسها) أى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفى نسخة فى أنفسنا وهو متعلق بابلغ (كقلب العصاحية) لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت تثمر له وتضئ وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه (ونحوها) كاليد البيضاء وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى (فانه) أى الامر والشان أو كونه أبلغ (قد يسبق الى بال الناظر) فيها وفكره وخاطره (بدارا) أى مبادرا بسرعة فى أول نظره (ان ذلك) الامر البديع الخارق للعادة نشأ (من اختصاص صاحب ذلك) الامر الذى ظهر على يديه (بمزيد معرفة) أى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها (فى ذلك الفن) أى النوع الذى كان يعتنى به أهل زمانه (وفضل علم) به وأحواله (الى ان يرد ذلك) الخاطر الذى سبق لفهمه (صحيح النظر) بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين أبلغيته

(والتهديد) أى بعظام النكال (والوعيد) أى بوخائم الوبال (أبين آية) خبر لقوله ترك والمعنى أظهر علامة وأبهر دلالة (للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته) أى والاعراض والامتناع عن معارضة نحوه (وانهم) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) وفى نسخة مقدرتهم بضم الدال وتفتح أى قدرتهم (والى هذا) أى المذهب الثانى (ذهب الامام أبو المعالى) أى عبد الملك ابن أبى محمد (الجوينى) بالتصغير النيسابورى وهو الملقب بامام الحرمين الشافعية وله اليد الباسطة فى الطول من علمى الكلام والاصول توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (وغيره) أى من علماء

أهل السنة والجماعة (قال) أى أبو المعالى (وهذا عندنا أبلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى أنفسنا كقلب العصاحية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) أى قلب المتأمل (بدارا) بكسر الباء أى مبادرة ومسارعة من أول وهلة قبل التأمل فى حقيقة أمره وخفية سره (ان ذلك) أى ما ذكر من قلب العصاحية ونحوها (من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن وفضل علم) أى فى ذلك النوع كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر (الى ان يرد ذلك) أى السابق الى بال الناظر مما ذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) أى فيتحقق الفهم و يضمحل الوهم ويتبين للقلب الحى ان قلب العصاحية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل فاعل القوى والقدر

(وأما التحدي للخلائق) أي طلب المعارضة منهم باعتبار السابق اللاحق (المئين) وفي نسخة مئين جمع مائة وفي نسخة في المئين (من السنين بكلام ومن جنس كلامهم ليأتوا بمثله) أي على وفق مرامهم (فلم يأتوا) أي الخلائق بتمامهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها) أي بترك المناقضة (الا ان منع الله الخلق عنها) أي عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة في بيان المعجزة (بمثابة ما لو قال نبي) أي وقد طلب منه آية وعلامة دالة على صدق دعواه للنبوة (آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفي نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع الزمانة عنهم) أي عن بعضهم للاستواء في حال عجزهم ولا يبعد ان تكون الواو بمعنى أو التنويعية (فلو كان ذلك) أي الذي قال ذلك النبي (وعجزهم الله عن القيام) أي في ذلك المقام (لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة) أي في اقامة البرهان وابانة التحقيق (والله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب عن بعض العلماء) أي خفي عليه (وجه ظهور آيته) أي معجزته التي هي القرآن (على سائر آيات الانبياء) أي في باقي الازمان ولم يدر انها ببقائها معلومة لكل واحد في كل أوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أي الذي زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها) أي شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم معناها (ووفور عقولهم) أي وكثرة تعقلهم وتأملهم (وانهم أدركوا المعجزة فيه) أي في القرآن (بفطنتهم) أي مآل اجتهادهم الى الاعتراف بكونه من معجزاتهم (وجاءهم من ذلك) أي مما أدركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين أي بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ أي وغير العرب (من القبط) أي قوم فرعون (وبني اسرائيل) أي موسى (وغيرهم) أي ممن بعدهم ما عدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) أي بهذه الطريقة من دقة الفهم وذكاء الفطنة

وقوته بقوله (وأما التحدي) أي طلب معارضة الكلام أو تقدم انه مشتق من الحدا التقابل الحداة في حداتهم للابل (للخلائق) جمع خليقة بمعنى خلق (مئين) بكسر الميم جمع مائة (من السنين) في عصر النبوة و بعده الى غير النهاية (بكلام من جنس كلامهم) المقدور لهم (ليأتوا بمثله) علة للتحدي (فلم يأتوا) أي لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقدوة نحوا وعبروا على رؤس الاشهاد (ولم يبق بعد توفر الدواعي) أي كثرة ما يدعوهم لمعارضته و يحثهم عليها من الحمية الجاهلية (على المعارضة ثم عدمها) أي المعارضة مع كثرة دواعيها (الا ان منع الله الخلق عنها) بالصرفة أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين وفي نسخة الا منع الله الخ (بمثابة) أي هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان الذي يرجع الناس اليه أو يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما أشار اليه الراغب وقيل أصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو (ما لو قال نبي آيتي ومعجزتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم) بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم (فلو كان ذلك) أي عدم قيامهم (وعجزهم) بتشديد الجيم أي جعلهم الله عاجزين عنه (لكان ذلك من أبهر آية) أي أقوى معجزة (وأظهر دلالة) على نبوته (والله التوفيق) فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر (وقد غاب عن بعض العلماء) أي خفي عليهم لان من شان الغائب ان يخفى فاريد به لازمه (وجه ظهور آيته صلى الله تعالى عليه وسلم) ولتضمينه معنى العلو قال (على سائر آيات الانبياء) الذين سلفوا قبله (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أي عن كون معجزته أظهر من معجزات غيره مع ان أحياء الموتى ونحوه من آيات الانبياء قد يتوهم انه أقوى وأظهر (بدقة أفهام العرب) أصل معنى الدقة كون الشيء دقيقا ثم استعير للوقوف على ما خفي من الامور (وذكاء ألبابها) جمع لب وهو العقل الخالص والذكاء قوة للذهن تقتضي سرعة الانتقال (ووفور عقولها) الوفور من الوفرة وهي الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة يعني ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع انه لا يرد على المصنف رحمه الله تعالى لانه حكاه عن غيره (وانهم) لما خصوا به من الذكاء والفطنة (ادركوا المعجزة فيه) أي في القرآن لما علموه من خواص تراكيبه ووجازة معانيه وحسن نظمه واتساقه (بفطنتهم) أي قوة ذكائهم (وجاءهم من ذلك) أي حصل في نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره (بحسب ادراكهم) بفتح السين أي حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته (وغيرهم) من الامم (من القبط) القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر (وبني اسرائيل) أي أولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل لقب يعقوب (وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل) أصل

(بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهى عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) أى فى بعض القضية (بحيث جوز عليهم) أى على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه أنا ربكم الاعلى وقد قال عز وعلا فاستخف قومه فاطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى (وجوز عليهم السامرى) وكان من عظماء بنى اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) أى كون ظهور ربهم (فى العجل فعبدوه بعد ايمانهم) أى بموجبات ايقانهم (وعبدوا) أى طائفة من بنى اسرائيل (المسيح) أى عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه) أى اليهود (وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى كما أخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من ألقى عليه الشبه بعد قتله كما قال تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه (فجاءتهم) أى اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) أى الواضحة (للابصار) أى المنفتحة (بقدر غلاظ أفهامهم) أى وغلاظ أوهامهم (ما) فاعل جاء وفى نسخة مما (لا يشكون فيه ومع هذا) أى المجىء بالامور الظاهرة والاحوال الواضحة (قالوا) وفى نسخة فقالوا أى خطابا لنبيهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم ياموسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أى معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) أى على أكلهما وجعلوا الترنجبين من الحلوى والسمانى من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذى هو أدنى) أى أقرب الى الدناءة وأدون فى المقدار والمرتبة كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذى هو خير) أى فى المرتبة واللذة وعدم الحاجة الى الكد والمشقة وأقرب الى الحيلة (والعرب على جاهليتها) أى على حالتها التى كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة وأحوال الديانة (أكثرها يعترف بالصانع) بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاء النبى صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه أهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذ لم يقل به أحد منهم بل أرادوا به ان طول الزمان ودورة الدوران يقتضى ان يحيى بعضنا ويموت بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما قد يتفوهون به أهل العصر وقد قال الله تعالى أنا الدهر أى خالقه أو المتصرف فيه

معناه الطريق وهو هنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب ونفى سبيل الشئ أبلغ من نفيه (بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة) الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبى جاهل قال ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى (بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم) حيث ظرف مكان وهو خبر كان أى بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط (وجوز عليهم السامرى) وهو رجل من بنى اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر (ذلك فى العجل) أى انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر (بعد ايمانهم) بالله تعالى فاضلهم السامرى وكان من أهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلى وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من أثر فرس ركبه جبريل عليه الصلاة والسلام فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطأ الطريق اليه فجاء كى يكلمكم كما كلمه فاتبعوه اسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم (وعبدوا) أى بنو اسرائيل (المسيح) عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه) واذا كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى ألقى شبهه على رجل اسرائيلى فظن اليهود انه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم (فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار) أى لعدم دقة أفهامهم كانت آياتهم فى غاية الظهور وتدرك بالبصر (بقدر غلاظ أفهامهم ما لا يشكون فيه) فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ما جاءهم (ومع هذا) الظهور (فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أى معاينة بابصارنا لشكهم فيما أتاهم به وتفصيله فى التفاسير غنى عن البيان (ولم يصبروا) أى بنو اسرائيل (على المن) وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع ويؤكل (والسلوى) وهو طائر كالسمانى واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام أخرجتنا من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سألوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى فكانوا ياخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذى هو أدنى) أى طلبوا بدلا ادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل (بالذى هو خير) وهو المن والسلوى والباء داخلة على المتروك وفيها تفصيل أفردناه بتأليف (والعرب على جاهليتها) أى على حالها التى كانت عليه قبل الاسلام من الجهل وانها أمة أمية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل انها مستعارة لتمكنهم فى الجهل كقوله على هدى من ربهم (أكثرها يعترف بالصانع) أى بوجوده تعالى وليست معطلة كبعض الامم واطلاق الصانع على الله تعالى صحيح ثبت فى السنة كما ذكره السيوطى رحمه الله تعالى وليس مما أحدثوه وفى قوله أكثرها اشارة الى ان معهم فرقة دهرية قالوا

(وانما كانت) أي العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) أي تقربا كما قال الله تعالى حكاية عنهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) أي وسفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) أي آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه أدرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) أي العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) أي لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) أي بزيادة قابليتهم وأهليتهم (لاول وهلة معجزته فآمنوا به) أي بعضهم أولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) أي واكتسبوا بوما فيوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) أي تركوها (كلها) أي مالها وجمالها (في صحبته) أي وبيمن همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم وأموالهم) أي وفارقوهما باختيارهم (وقتلوا آباءهم وأبناءهم) أي وسائر أقاربهم وأحباءهم

(في نصرته) أي في نصرة دينه وقوة يقينه (وأتى) أي وأورد ذلك البعض من العلماء (في معنى هذا) أي المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) أي بما يلمع له ضياء ويلمح له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المفعول أي ويبرق من أثره وظهور أمره (زبرج) بكسر الزاي والراء بينهما موحدة ساكنة وفي آخره جيم أي زينة من ذهب أو جوهر أو وشي (لو احتيج اليه) أي الى كلامه (وحقق) أي أمره في مرامه (لكنا) يروى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) أي ووضوح أمرها (ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعاني بمحسوسات المباني وقصد الاستغناء عن هذا الاستعلاء * (القسم) ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع (ورضي الله تعالى عنهم اجمعين وبالله استعين) أي في كل وقت وحين (وهو حسبنا) أي كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) أي اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا وأولا وآخرا * والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى أتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذي هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله * اللهم أختم لنا بالخيرات أعمالنا وبالمبرات آجالنا وبالمسرات أحوالنا واغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين يارب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وقد تم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب ويليه القسم الثاني الذي ليس له ثاني في هذا الباب عند ارباب الالباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب حرره مصنفه الجاني في أوائل جمادى الثاني من شهور عام عشرة بعد الالف السابع من عالم المباني رحمه الله تعالى رحمة واسعة بمنه آمين

ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب (وانما كانت) عبدة الاصنام منهم (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) ولا تدعي انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه (ومنهم من آمن بالله وحده من قبل بعثة (الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وأمية بن أبي الصلت (بدليل عقله وصفاء لبه) الذي هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر في مصنوعاته

وفي كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(ولما جاءهم الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم أي بعثه الله تعالى ايهديهم الى الله تعالى (بكتاب الله تعالى) المنزل عليه (فهموا حكمته) أي ما فيه من الحكم والعلوم النافعة (وتبينوا الفضل ادراكهم) وزيادة عقلهم (لاول وهلة) أي في أول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته أول وهلة بسكون الهاء وفتحها أي أول شئ ولام لاول توقيتية أي عند أول وهلة (معجزته) يعني القرآن (فآمنوا) به (وازدادوا كل يوم ايمانا) وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر في علم الكلام (ورفضوا) أي تركوا (الدنيا كلها في صحبته) أي لاختيار صحبته على كل شئ (وهجروا ديارهم وأموالهم) طلبا لرضاء الله تعالى ورضاه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه (في نصرته) في هنا تعليلية (وأتى) هذا القائل الذي غاب عنه ما تقدم (في معنى هذا) وزعم ان ظهور آياته لما قاله (بما يلوح له رونق) أي يظهر له لفظ حسن (ويعجب منه زبرج) بكسر الزاي المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهي الزينة والوشي الذي هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال (لو احتيج اليه وحقق) أي بينت حقيقته (لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا) صلى الله عليه وسلم (وظهورها) من غير حاجة لما ذكره من ذكاء العرب وفهمهم (ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك) أي ادعاء مثل هذه الامور الخفية (وظهورها) أي ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر (وبالله استعين) والحمد لله وحده وصلى الله تعالى على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم كثيرا دائما

بسم الله الرحمن الرحيم ذي الجلال والاكرام الذي يجب ان يبدأ بذكره المرام ويختم بشكره الكلام * (القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) * أي القسم الثاني من كتاب الشفا في حقوق المصطفى في بيان ما يجب على المكلفين من حقوق خاتم النبيين وسيد المرسلين (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وهذا) أي القسم الثاني (قسم) أي عظيم (لخصنا فيه الكلام) أي اقتصرنا واختصرنا (في أربعة أبواب على ما ذكرناه) أي وفق ما قررناه وحررناه (في أول الكتاب ومجموعها) أي مجموع أبواب هذا القسم الاربعة (في وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام) أي الايمان به فيما جاء به عن ربه (واتباعه في سنته) أي في وجوب متابعته في شريعته وطريقته حقيقته (وطاعته) أي وفي وجوب امتثال أوامره واجتناب زواجره كما بينه في فصول الباب الاول (ومحبته) أي وفي وجوب محبته وجعل محبته تابعة لمحبته كما ورد لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لان محبته سبب لمتابعته ومتابعته علامة لمحبة الله تعالى ابتداء ومحبة الله تعالى اياه انتهاء كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله كما بينه في فصول الباب الثاني (ومناصحته) أي وفي وجوب قبول نصحه له في أمره ونهيه ونصحه لرسوله ودينه كما ورد الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وقد أوضحنا معنى هذا الحديث في شرح الاربعين والمناصحة مفاعلة للمبالغة قصد هنا منها المبالغة في النصح وهو الخلوص لغة والنصيحة في الشريعة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له (وتوقيره) أي وفي وجوب تعظيمه لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه كما بينه في فصول الباب الثالث (وبره) أي وفي وجوب الاحسان باهل وده والقيام بحكمه وأمره (وحكم الصلاة عليه والتسليم) أي وفي وجوب حكمهما من وجوب وغيره (وزيارة قبره) أي وفي بيان زيارة قبره وما يتعلق به كما حسنه في الباب الرابع وهذا الاجمالي سيرد عليك القدر التفصيلي في ضمن الابواب وفصولها بالوجه التكميلي

* (الباب الاول) * (في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم) أي في بيان فرضية تصديقه في المعتقدات وفي وجوب طاعته في الواجبات

---

* (القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) *

الوجوب الشرعي ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام (وهذا قسم) من الاقسام الاربعة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى (لخصنا الكلام فيه) أي اختصرناه من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه (في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب) في اجمال ما اشتمل عليه وفهرسته (مجموعها) أي محصلها واجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة (في وجوب تصديقه) عليه الصلاة والسلام في كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه أشرفهم وخاتمهم (واتباعه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه أي ان يجب اتباعه في وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغي تقييده بالواجب لا المسنون (وطاعته) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قاله الراغب الانقياد وضادها الكره قال الله تعالى ائتيا طوعا أو كرها وأكثر ما يقال لما أمر انتهى فلذا عطفها على الاتباع فانه قد يكون كرها فمن قال في الفرق ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفي الصحاح فلان مطيع لك أي منقاد لم يصب في مدعاه واستدلاله (ومحبته) بان يكون صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وأهله وماله والمحبة الميل النفساني وهي معروفة (ومناصحته) اه وهي لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسيأتي وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها أبلغ ولان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نصح الامة وبالغ في نصحهم (وتوقيره) أي تعظيمه والتأدب معه بما هو لائق به صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره) صلى الله تعالى عليه وسلم ببذل ما في وسعه له من المال وغيره من أمور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغي تركه لانه للطاعة لا وجه له (وحكم الصلاة عليه والتسليم) من الوجوب ومحله (وزيارة قبره) أي وحكم زيارة قبره الشريف (عليه الصلاة والسلام) وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستمر دونهما وتعبيره به لانه في بيته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا حكمة دفنه فيه دون المقابر

* (الباب الاول) *

تقدم وجه تقديمه (في فرض الايمان به) صلى الله تعالى عليه وسلم عبر فيه ما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد التصديق الايماني لا معناه اللغوي والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول (ووجوب طاعته) أتى بوجوب هنا لما ذكرناه وللاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغي تقديمه (واتباع سنته) أي طريقته التي سنها صلى الله تعالى عليه وسلم

واستحباب متابعته في المستحبات أو التقدير وفي وجوب اتباع شريعته التي تعم جميع الحالات وفي المغايرة بين الفرض والوجوه ايماء بان الاول ركن الدين ومهماته والاخيران من مكملاته ومتمماته ولا يلزم من عدمهما فقد الاول بخلاف العكس فتامل (اذا تقرر بما قدمناه) أي في ضمن ما تحرر (ثبوت نبوته) أي بظهور معجزاته (وصحة رسالته) أي بوضوح آياته (وجب الايمان به) لانه فرع ثبوتهما كتوقف المشروط على الشرط (وتصديقه فيما أتى به) أي من عند ربه تعالى من جهة الوحي الجلي أو من طريق الوحي الخفي والمعنى وجب تصديقه بجميع ما في الكتاب والسنة وان كان وجوب تصديقه من جهة السنة ثابتا بالكتاب أيضا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا أي من مخالفتهما فيما أمرا به ونهيا عنه وبما قررنا ظهرت المغايرة في العطف واما كونه عطف تفسير كما ذكره الدلجي رحمه الله تعالى عند من يقول الايمان هو التصديق فقط فلا وجه له لان المحققين على ان الايمان هو التصديق والاقرار شرط لاجراء أحكام الاسلام والاعمال شرط الكمال بخلاف المعتزلة والخوارج حيث ادخلوا الاعمال في اجزاء الايمان وعلى كل تقدير ففرق بين الايمان برسالته عليه الصلاة والسلام وتصديق ما جاء به من الاحكام حتى لا يحرم الحلال ولا يحلل الحرام (قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله) وهو الفرد الاكمل والنبي الافضل (والنور الذي أنزلنا) أي القرآن المشبه بالنور الفرقان بين الحق والباطل والبرهان المزيل لظلمات الشكوك والظنون والاوهام الحاصلة للجاهل والغافل الاعتراف

وسمي نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر ما فيه لغيره (وقال انا أرسلناك شاهدا) أي بتصديق من بعثت اليهم وخلاصهم وهدايتهم وبتكذيبهم وضلالتهم (ومبشرا) أي بالجنة ونعيمها للمؤمنين (ونذيرا) أي بالنار (وأليمها للكافرين لتؤمنوا) قرئ بالخطاب والغيبة في السبعة أي لتصدقوا (بالله ورسوله) قال الدلجي رحمه الله تعالى الخطاب له ولامته أي على سبيل التغليب أولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم انتهى والاظهر ان الضمير للامة على قراءة الخطاب والغيبة كما يدل عليه سياق الكلام والله أعلم بحقيقة المرام (وقال تعالى فآمنوا بالله) أي بذاته وصفاته (ورسوله) أي الثابت رسالته بمعجزاته (النبي) أي الجامع بين نعتي الرسالة والنبوة التي هي عبارة عن ولايته باخذها الفيض السبحاني وبقيد النوع الانساني (الامي) أي المنسوب الى أم القرى وهي مكة المكرمة كما قال تعالى لتنذر أم القرى ومن حولها أو المنسوب الى أمة العرب التي غالبها لم يقرأ ولم يكتب كما ورد انا امة أمية لا نكتب ولا نحسب الحديث أو المنسوب الى الام يعني على الوصف الذي خرج به من بطن أمه ما كتب شيأ من القراءة والكتابة ونحوهما وفيه ايماء الى انه على أصل الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وكما ورد كل مولود يولد على الفطرة (الآية) أي الى آخرها وهو قوله تعالى (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي بما أنزل عليه وعلى غيره من الرسل أو باسمائه وصفاته (واتبعوه) في مأموراته ومنهياته (لعلكم تهتدون) تفوزون بما تسعدون ببركاته (فالايمان بالنبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجب) أي امتثالا الامر به (متعين) أي لا يمكن التخلص

وشرعها فهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله أولا اتباعه ولم يعد في لانه غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغي ذلك (اذا تقرر) وثبت (بما قدمناه) في هذا الكتاب (ثبوت نبوته) بالوحي اليه (وصحة رسالته) لجميع الخلق وأخرها لانها أخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته (وجب الايمان به وتصديقه في) جميع (ما أتى به) وأخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب عليه طاعته بامتثال ما جاء به من الشرائع انتهى وفيه نظر (قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) يعني ما أوحى به اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القرآن اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكر أو لانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال بالآية ظاهر (وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا) على من صدق وكذب ليثاب أو يعاقب (ومبشرا) لمن آمن بسعادة الدارين وحذف المبشر به تفخيما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما في قوله تعالى (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا لمن عصاك (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب في انا أرسلناك له صلى الله عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كي وقيل تحتمل ان تكون لام أمر وهو بعيد وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه في حاشية القاضي والاستدلال بالآية على التعليل لان الانذار يقتضي وجوب اتباعه على انه في غنية عنه بما قبله وبعده من قوله (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية) أي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به في القرآن في آيات كثيرة (فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب) لامر الله به مرارا (متعين) أي فرض عين لا فرض كفاية فيجب

عن حكمه (لايتم) أي لانه لايتم لاحد (الايمان) أي الشرعي (الابه) أي الابالايمان به أوالا بسببه (ولا يصح الاسلام) أي استسلام الاحكام (الامعه) أي الامع الايمان به أومع موافقة انقياده في حكم به وفي نسخة ايمان واسلام بتنكيرهما ثم هذا بناء على تغايرهما حقيقة واتحادهما شريعة (قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) قيل وضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر وعندي ان الاظهر في المعنى ان يقال وأعتدنا لكافرين منهم ومن غيرهم فيكون المعنى الاعم هو الاتم أو المعنى أعتدنا لمن مات على كفره لتكون الآية جامعة بين النذارة والبشارة وهذا الملحظ أولى لانه يشتمل الكل كما لايخفى (حدثنا أبو محمد الخشني) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة الى قبيلة خشينة وقد تقدم وفي نسخة زيد الفقيه وقوله (بقراءتي عليه) أي لابجرد سماعي لديه (ثنا) أي قال حدثنا (الامام أبو علي الطبري) بفتح مهملة وموحدة

الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلابد منهما شرعا (اذلايتم) ولا يصح (ايمان) لاحد بالله (الابه) أي الابالايمان برسوله عليه الصلاة والسلام وبكل ماجاء به (ولا يصح اسلام الامعه) أي مع الايمان بالله والايمان بالرسول بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تأكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لايكون مؤمن الا وهو مسلم ولامسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) وفي الآية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفاء أحدهما التفريع قوله فانا أعتدنا الخ عليه (حدثنا أبو محمد الخشني بقراءتي عليه) وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني بضم الخاء والشين المعجمتين ونون وياء نسبة تقدمت ترجمته قال (حدثنا الامام أبو علي الطبري) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن عمرويه) الجلودي وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة تصغير عند أهل البصرة مولدة قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي مسلم قال (حدثنا أبو الحسين) هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا أمية بن بسطام) بكسر الباء الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو امام جليل أخرج له الشيخان والنسائي قال (حدثنا يزيد بن زريع) بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ أبو معاوية البصري كما تقدم قال (حدثنا روح) بفتح الراء المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة (عن العلاء) بفتح العين المهملة والمد (ابن عبد الرحمن بن يعقوب) عالم المدينة وهو أبو شبل مولى الحرقة أخرج له مسلم وأصحاب السنن (عن أبيه) عبد الرحمن (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) ببناء المجهول أي أمرني الله اذلا آمر له صلى الله تعالى عليه وسلم سواه (ان أقاتل الناس) أي بان أقاتلهم ومحله بعد حذف الجار نصب أو جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية (حتى يشهدوا أن لااله الاالله) غاية لقتالهم ينتهي به ويتخصص بالغاية (ويؤمنوا بي) أي بكوني نبيا رسولا (و) يؤمنوا (بما جئت به) من الله وأوحاه اليه من شريعته التي أمر بتبليغها وتكليفهم بها (فاذا فعلوا ذلك) المذكور

(ثنا) أي حدثنا (عبد الغافر الفارسي) بكسر الراء وسكن وفي نسخة القاري وهو تصحيف وقد تقدم أيضا (ثنا) أي حدثنا (ابن عمرويه) بفتح مهملة وسكون ميم وفتح راء وواو وسكون تحتية فكسرها وضبط أيضا بضم راء وسكون واو فتحتية وفوقية مفتوحتين وهو الجلودي وقد تقدم (ثنا) أي حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم ابن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين) رحمه الله تعالى عليه هذا هو مسلم صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (أمية) بالتصغير (ابن بسطام) بكسر الموحدة وفتحها ويصرف وقد يمنع (ثنا) أي حدثنا (يزيد بن زريع) بضم الزاي مصغرا أخرج له الائمة الستة (ثنا) أي حدثنا (روح) بفتح الراء أخرج له (الائمة) الستة ماعدا الترمذي رحمه الله (عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب) أحد علماء المدينة روى عنه شعبة ومالك وأخرج له مسلم والاربعة (عن أبيه) هو عبد الرحمن يعقوب الجهني أخرج له مسلم والاربعة (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) أي أمرني الله تعالى اذلا آمر له سواه (ان أقاتل الناس) أي بمقاتلة الكفار وهو عام خص منه من أقر بالجزية (حتى يشهدوا أن) أي انه (لااله الاالله) استثناء من الكثرة المفهومة من اله اذ مفهومه كل في الذهن يتوهم منه الكثرة في الخارج مع انه ليس هنالك الاواحد واجب الوجود الموصوف بنعوت الكرم والجود وفي رواية حتى يقولوا لااله الاالله (ويؤمنوا بي وبما جئت به) أي بما أمرني ربي أو ألهمني في قلبي (فاذا فعلوا ذلك) أي آمنوا بهما والتزموا أحكامهما أو اذا فعلوا ما أقاتلهم لاجله

(عصموا مني دماءهم) أي منعوها فلا يجوز سفك دمائهم وأخذ أموالهم بسبب من الاسباب (الا بحقها) أي الا بحق يتعلق بها كقتل
نفس بعدوان وزنى بعد احصان وكفر بعد ايمان كما ورد ويلحق بها ترك صلاة وزكاة بتأويل باطل فيهما (وحسابهم على الله) أي
فيما يسرونه من كفر ومعصية فالحكم بالايمان لظواهرهم والله متول لسرائرهم والحديث هذا قد أخرجه القاضي كما ترى من
عند مسلم وهو في الايمان ورواه البخاري رحمه الله تعالى أيضا وفي رواية أخرجها الستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
السيوطي وهو متواتر ولفظه أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفي رواية عن أنس رضي الله تعالى عنه قيل وما حقها قال زنى بعد احصان

من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام أحكام شريعته (عصموا) أي صانوا وحفظوا (مني دماءهم)
بعدم المقاتلة لهم (وأموالهم) فلا تؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الاسباب (الا بحقها) أي ان تستحق اباحة
دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه أو يستحق أموالهم بمنع زكاة أو ثبوت حق عليهم (وحسابهم على الله)
أي أمرهم بعد ذكر موكول الى الله تعالى اذا حاسبهم على ما أسروه في أنفسهم ومالم نقف عليه من الكفر
والمعاصي فيثيب من يشاء ويعاقب من يشاء والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي كفره ومثله
الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لا يقبل مطلقا وتوبته ان
خلصت نفعته في الآخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل لا تقبل ان دعى لزندقته وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤمنوا بي اشارة الى ان أهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لا اله
الا الله ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان
يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله تعالى
وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم (قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف رضي الله تعالى
عنه (والايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته) أي التصديق بها (ورسالة الله له) أي
ارساله ولاضافة اختصاصية لا بمعنى الباء كما توهم وان كان المعنى عليها (وتصديقه في جميع ما جاء به)
عن الله بالوحي بانواعه (وما قاله) أي في جميع أقواله لانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه
ما يخالف الواقع لا سيما ما أمر بتبليغه (ومطابقه) أي موافقة (تصديق القلب) أي اعتقاده والجزم به
وأصل المطابقة وضع شيء على شيء هو طبقه وقوله (بذلك) أي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جاء به
(شهادة اللسان) بنطقه واعترافه (بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله تعالى عليه وسلم
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك) المذكور من رسالته وما جاء به (باللسان تم الايمان) الحقيقي المنجي في
الدنيا والآخرة (والتصديق له) أي كيفيته ولفظه (كما ورد في هذا الحديث) الذي رواه المصنف رحمه
الله تعالى عن أبي هريرة (نفسه) بالجر تأكيد للحديث (من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وهذه رواية مسلم عن ابن عمرو
فيها ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا الى آخره وقوله تم الايمان أي تحقق وصح وليس مراده
انه اذا وجد أحدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما سنفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد من
اختلاف فيه هل هو شطر أو شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل في كتب
الاصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه (وقد زاده وضوحا) أي زاد صلى الله تعالى عليه وسلم

أو كفر بعد اسلام أو قتل نفس فيقتل بها (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (والايمان به) أي بالنبي عليه الصلاة والسلام (هو تصديق نبوته) أي انبائه عن الحق (ورسالة الله تعالى له) أي الى الخلق والاضافة فيهما بمعنى الباء أو في أي تصديقه بهما أو فيهما وهذا باعتبار ذاته وصفاته (وتصديقه فيما جاء به) أي من معتقداته (وما قاله) أي وفي جميع مقولاته من مأموراته ومنهياته (ومطابقة تصديق القلب بذلك) أي بما ذكر (شهادة اللسان) بالنصب وقيل بالرفع أي اقراره (بانه رسول الله) أي الى جميع افراد الانس والجن أو الى الخلق كافة (فاذا اجتمع)
أي في العبد (التصديق به بالقلب) وهو حقيقة الايمان (والنطق) أي معه (بالشهادة بذلك) ما
أي بما ذكر (باللسان) أي وبالاقرار الذي هو شطر أو شرط على خلاف بين الاعيان (تم) أي كمل (الايمان به) أي بالجنان
(والتصديق له) أي باللسان (كما ورد في هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (نفسه) أي بعينه الا انه (من رواية
ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما أي لا من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أمرت ان) أي بان (أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله) الحديث أخرجه الشيخان وقد سبق ان هذا اللفظ جاء من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضا وقد رواه
أصحاب الستة عنه الا انه بلفظ اني رسول الله (وقد زاده) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وضوحا)

فى حديث جبريل) عليه السلام أى سؤاله عنه (اذقال) أى حين قال جبريل عليه السلام (أخبرنى عن الاسلام فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة وفى نسخة قال (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وهو الاقرار فعده من الاسلام وهو الانقياد الظاهرى دال على ان الايمان هو التصديق القلبى والانقياد الباطنى (وذكر اركان الاسلام) أى بقية أركانه اذا الجملة نجمة كما ورد بنى الاسلام على خمس حيث قال ان تشهد بالله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (ثم سأله) أى سأله جبريل (عن الايمان فقال ان تؤمن بالله) أى ان تصدق بحقيقة ذاته وحقيقة صفاته (وملائكته) أى بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (وكتبه) أى بانها منزلة من عنده (ورسله) أى بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقين فيما جاؤا به (الحديث) تمامه واليوم الآخر أى وبه وما فيه كالبعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق وتؤمن بالقدر خيره وشره أى حلوه ومره والحديث بطوله مذكور فى الاربعين وقد شرحناه فى المبين المعين وهو حديث رواه الستة وغيرهم (فقد قرر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الايمان) أى بالله سبحانه وتعالى وبما يجب الايمان به من غيره (محتاج) وفى نسخة يحتاج (الى العقد بالجنان) بفتح الجيم أى الاعتقاد الجازم بالقلب (والاسلام) أى وان الاسلام (به) لانقياد الظاهرى اليه وهو الاقرار به (مضطر الى النطق باللسان) أى ليتم بالبيان فان اللسان ترجمان الجنان (وهذه الحال) وفى نسخة الحالة (المحمودة التامة) وفى نسخة هى المحمودة التامة أى عند الخاصة والعامة فانه حينئذ نور على نور وسرور على سرور وجمع بين الظاهر والباطن فيصدق عليه انه مؤمن مسلم اذ لا خلاف بين أهل السنة انه حينئذ مؤمن وان اختلفوا فى كون الاقرار شطرا للايمان أو شرطا لاجراء أحكام الاسلام فاندفع قول الدلجى رحمه الله تعالى هذا ذهاب منه الى ان الايمان اسم لفعل

ماذكر بيانا (فى حديث جبريل) عليه الصلاة والسلام الذى رواه الشيخان كما تقدم (اذقال) له جبريل لما جاءه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة انسان (أخبرنى عن الاسلام) أى حقيقته ومعناه شرعا وهو فى اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شرائطه وشروطه (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (أن تشهد أن لا اله الا الله) ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان يقول أشهد الى آخره وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة أو يكفى ما يؤدى معناه والصحيح عندنا الثانى معاشر الحنفية ولو بغير لفظ العربية لمن لا يقدر عليه (وان محمدا رسول الله) أرسله لجميع خلقه (وذكر اركان الاسلام) يعنى قوله ويقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا نظرا الى انه يكفى فى اجراء أحكام الاسلام الشهادتان وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لا كمله واقامة الصلاة أداؤها وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه (ثم سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الايمان) أى عما يجب التصديق به شرعا (فقال) مجيبا له (ان تؤمن بالله) أى تصدق بوجوده وانه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ولا شريك له فى ذلك وليس هذا تعريفا للشئ بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يأمن التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع فى التعريف هو الثانى بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التى يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كما مر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذى هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق وأصله الطاعات كما فصل فى علم الكلام (وملائكته) جمع ملك من الالوكة وهى الرسالة وأصله مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده وتاؤه لتأنيث الجمع أو المبالغة وتقدم الكلام على ذلك فى الخطبة وانهم أجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون لا يعلم عدتهم الا الله (وكتبه) التى هى كلامه تعالى المنزل على رسله الازلى فيصدق بحقيقتها وحقيقة ما تضمنته (ورسله) جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع وكتاب وأمره بتبليغه عباده (الحديث) بالنصب أى اذكره أو اقرأه واعرف ذلك الى آخره وهو واليوم الآخر والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على المقصود منه (فقد قرر) أى بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ان الايمان به) أى بالله أو بما ذكر فى الحديث (محتاج الى العقد) أى الاعتقاد الجازم (بالجنان) بفتح الجيم وهو القلب سمى به لاستتاره أو استتار ما فيه من جنه اذا ستره (والاسلام به) أى بالله أو بما ذكر (مضطر) أى محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما (الى النطق باللسان) ليعلم ما فى قلبه (وهذه الحالة) أى اعتقاد الجنان والنطق باللسان (هى المحمودة) عند الله والناس (التامة) بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتام

القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم وأما قوله ووصفها بكونها تامة مؤذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق باللسان فهو مع كونه مناقضا لما سبق له من البيان مدفوع بالفرق الظاهر بين التمام والكمال كما لا يخفى على أرباب الحال لان تمام الشئ يتوقف على حصول جميع أجزائه بخلاف كماله فانه يتوقف على وجود ضيائه و بهائه وهو ههنا بان يكتسب جميع الاوامر ويجتنب جميع الزواجر من الصغائر والكبائر والمعتزلة والخوارج جعلوا الاركان من أجزاء الايمان والله المستعان هذا وبدل على ما قررنا و يشهد لما حررنا قوله (وأما الحالة المذمومة) أي عند جميع الامة المسلمة (فالشهادة باللسان دون تصديق القلب) أي من غير اعتقاد الجنان (وهذا) أي الاعتقاد المشتمل على الشقاق (هو النفاق) أي الحقيقي وهو ابطال الكفر واظهار الايمان

وهذا كافر اذا علم حاله بالاتفاق (قال الله تعالى) حال لازمة أي متعاليا عما لا يليق بذاته وصفاته (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) أي توهيما منهم شهادة واطئة فيها قلوبهم ألسنتهم لازعامهم كما قاله الدلجي رحمه الله لانهم ما يزعمون ذلك حيث يعلمون حقيقة ما هنالك (والله يعلم انك لرسوله) أي كما اظهروه ولو كانوا مخالفا لما أبطنوه والجملة احتراز من نفي رسالته لما يتوهم من قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقون لكاذبون) ولذا فسره المصنف بقوله (أي كاذبون في قولهم) أي في دعواهم (ذلك) أي كونك رسول الله صادرا (عن اعتقادهم وتصديقهم وهم

اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء أحكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة عليه ودفنه في مقابر نافمن آمن بقلبه ولم يعلم به أحد نفعه ايمانه الاعلى وجه الاباء (وأما الحالة المذمومة) اضرها في الآخرة (فالشهادة باللسان) أي الاقرار والتلفظ بالشهادة به (دون تصديق القلب) بالاعتقاد الجازم (وهذا هو النفاق) الذي يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفي الكفر وهو لغة اظهار خلاف ما يضمر من نافقاء اليربوع وهو ما يخفيه من أبواب جحره ليخرج منه اذا أحس بصائده كما قال و يستخرج اليربوع من نافقائه قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نشهد انك لرسول الله) فاقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله (والله يعلم انك لرسوله) وهو توطئة لقوله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك) أي قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التاكيدات يقتضي انه ناشئ (عن اعتقادهم) الجازم (وتصديقهم) القلبي أو اللساني (وهم لا يعتقدونه) جملة حالية أي والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما أخبر الله تعالى به (فلما لم يصدق ذلك القول (ضمائرهم) أي ما أضمروه في قلوبهم أو قلوبهم لان الضمير يطلق عليه (لم ينفعهم ان يقولوا) أي قولهم لم ينقذهم في الآخرة لانهم في الدرك الاسفل من النار (بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه أهل المعاني وهذه الآية نزلت في ابن أبي بن سلول رأس المنافقين وأصحابه وقصته مشهورة في كتب الحديث فلا نطول بها (فخرجوا عن اسم الايمان) أي عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مؤمنين في الدنيا عند من عرفهم (ولم يكن لهم في الآخرة حكمه) وهو دخول الجنة فهم في الدرك الاسفل من النار مع الكفار كما يأتي وقوله في الآخرة اشارة الى انهم يجري عليهم في الدنيا حكمه نظر الظاهر حالهم كما بينه بقوله (اذلم يكن معهم ايمان) في الآخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذلم يكونوا مؤمنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن في قلوبهم فكأنه كان رفيقا لهم التلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم و بطل حكمه (ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار) الدرك بفتح الراء وسكونها ما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعني انهم في قعر جهنم وآخر طبقة منها وهي سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية و يطلق اسم كل طبقة منها على الجميع أيضا بالاشتراك اللفظي والمعنوي (و بقي) جار (عليهم حكم الاسلام) في الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم

لا يعتقدونه) أي والحال انهم لا يعتقدون قولهم انك لرسول الله (فلما لم يصدق) أي لم يوافق (ذلك) أي قولهم (باظهار وظواهرهم (ضميرهم) أي قلوبهم و بواطنهم وفي نسخة ضمائرهم وهو يحتمل الرفع والنصب (لم ينفعهم ان يقولوا) أي مجرد أقوالهم (بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) أي لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فخرجوا عن اسم الايمان) أي عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكونوا مؤمنين في الدنيا (ولم يكن لهم في الآخرة حكمه) أي حكم الايمان فلا يحشرون مع المؤمنين (اذلم يكن معهم) أي ايمان كما في نسخة (ولحقوا بالكافرين) وفي نسخة بالكفار (في الدرك الاسفل من النار) بفتح الراء وسكونها أي الطبقة السفلى من دركاتها كما ان المخلصين من المؤمنين في أعلى أماكن الجنة وارفع درجاتها (و بقي عليهم حكم الاسلام) أي بحسب ظواهر الاحكام فيعاملون كالمسلمين لهم مالهم وعليهم

(باظهار شهادة اللسان) أي بسبب اظهارها منهم وهذا (في أحكام الدنيا المتعلقة بالائمة) أي أئمة الدين من العلماء العاملين (وحكام المسلمين) أي من القضاة والسلاطين (الذين أحكامهم على الظواهر) أي جارية وسارية (بما أظهروه من علامة الاسلام) أي من الاذعان والانقياد وقبول الاحكام وهذا كله بحسب الظواهر (اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا أمروا) ى الائمة والحكام (بالبحث عنها) أي عن السرائر (بل نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك) أي التحكم هنالك (وقال) أي فيما رواه البخاري لاسامة بن زيد لما قتل من اضطره فلم أقتلته بعد ان أسلم فقال معتذرا انما أسلم مكرها فقال (هلا شققت عن قلبه) أي لم ما كشفت عن ضميره وهذا أمر تعجيز اذ لا اطلاع على قلب أحد الا لربه وقيل هلا اذا دخل على المضارع يفيد الامر كقولك هلا تضرب زيدا واذا دخل على الماضي يفيد التوبيخ كقولك هلا ضربت زيدا والحديث في صحيح مسلم عن أسامة ابن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي عليه الصلاة والسلام فقال أقال لا اله الا الله وقتلته قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا الحديث والمعنى أقالها عن قلبه أم لم يقل عن قلبه وأبعد الانطاكي حيث قال الفاعل في قوله أقالها هو القلب

(باظهار شهادة اللسان) أي بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد نحكم الاسلام كل ما كان داخلا (في أحكام الدنيا) أي ما يحكم به لهم وعليهم من أحكام الشرع (المتعلقة بالائمة) أي السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا مأمورين باجرائها (وحكام المسلمين) كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لايراده نقضا هنا كما توهم لذا لم يصل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ابن أبي بن سلول وان كنا نصلي عليهم وانما لم يقتله لمصلحة أشار اليها في الحديث الآتي بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه فكان هذا من خصائصه في ابتداء الاسلام ثم انتهى بانتهاء سببه ولذا رفع عمر رضي الله تعالى عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا بقوله (الذين أحكامهم) جارية وممضية (على الظواهر) من أحوال الناس كلهم (بما أظهروه من علامة الاسلام) أي ان أحكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهار الاسلام بانقيادهم له والتزامهم أحكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفي نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته (اذ لم يجعل) ببناء المجهول أي لم يجعل الله (للبشر) أي الناس كلهم (سبيل) أي طريق (الى السرائر) جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجراء حكمه (ولا أمروا) الضمير للبشر باعتبار المعنى (بالبحث) أي التفحص والتفتيش (عنها) أي عن السرائر ثم ترقى فقال (بل نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها) أي الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف أولانه ليس بحكم كما قال تحكم الرجل لمن لا حكم له (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاسامة بن زيد في حديث صحيح رواه البخاري لمن اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله أسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له أقتلته بعد ان أسلم (هلا شققت عن قلبه) وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل أفادت الامر واذا دخلت على الماضي أفادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش أي شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم أقال ما قاله خوفا أم لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لا يدري ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص أم لا لكن لما رآه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله فظنه ايمان يأس لا يفيده كحال الغرغرة فهو متأول لا متعمد للخطأ في قتله والحديث كما في الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقلت استغفر لي يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى آخره فلم يقبل عذره وفيه تنبيه وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزاري أو الفدكي وبما ذكرناه علم ان أسامة رضي الله تعالى عنه متأول في قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وانما كان يجب عليه ان يختبره فلا يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودي انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطأ وانما سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك أولانه كان قتل قبل نزول آية

(والفرق) وفي نسخة وللفرق (بين القول) أي اللسان (والعقد) أي بالجنان (ما جعل) بصيغة المفعول أو الفاعل وما مصدرية أي جعله أو موصولة أي الذي جعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث جبريل) عليه السلام أي المتقدم (الشهادة) بالرفع أو النصب أي الاقرار (من الاسلام) أي من أركانه حيث قال مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد (والتصديق من الايمان) أي وجعله فيه منه بقوله مجيبا له عن سؤاله عنه ان تؤمن (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أي الحالين وهما الحالة المحمودة لخاص المؤمنين والحالة المذمومة للمنافقين فيحتاج

الى بيانهما (احداهما أن يصدق) أي المكلف (بقلبه ثم يخترم) بالخاء المعجمة على صيغة المجهول أي يقتطع ويموت (قبل اتساع وقت الشهادة) أي قبل ان يأتي بها (بلسانه) أي لضيق زمانه (فاختلف فيه) أي في انه مؤمن أم لا (فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به) فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان بها وهذا قول ضعيف سواء قيل ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام لا لحقيقة الاسلام أو شطر لان قائله قائل بانه ركن قابل لسقوطه في بعض الانام كالاخرس وحال ضيق المقام (ورآه بعضهم) أي المصدق المذكور قبل تمكنه من الاقرار المسطور (مؤمنا) أي مصدقا ومسلما (مستوجبا للجنة) أي لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به وأيضا لو لم يعتبر ايمانه للزم أن يكون في النار مخلدا وهو غير واقع كما أشار اليه المصنف حيث قال (لقوله عليه الصلاة والسلام) أي فيما رواه الشيخان (يخرج) بصيغة المفعول أو الفاعل (من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان) وفيه تلويح الى انه وان صغر قدره فقد عظم عند الله تعالى أمره ولا يضيع أجره وقد قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهي كل جزء من أجزاء الهباء في الهواء والمراد بها غاية القلة التي قد يعبر عنها بالعدم أي لا يظلم أصلا (فلم يذكر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (سوى ما في القلب) أي لان غيره غير نافع عند الرب في العقبى لانقضاء أحكام ظاهر الاسلام في الدنيا (وهذا) أي المؤمن بالجنان العاجز عن إقرار اللسان (مؤمن بقلبه) أي فينفعه ايمانه عند ربه (غير عاص) أي حيث أطاع وآمن به (ولا مفرط (بترك

الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شئ لانه مأذون في أصل القتل فهو كالطبيب والخاتن أو لم يكن له وارث مسلم ولا ولي وأسامة رضي الله تعالى عنه أقر بذلك لا حاجة اليه *أقول اذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في الحديث لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنتفي له الدية لا يكون عفوا (والفرق بين القول) أي مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه (والعقد) أي التصديق بقلبه واعتقاد جنانه (ما جعل) ما مصدرية أي جعله (في حديث جبريل) الذي تقدم في سؤاله عن الاسلام والايمان (الشهادة) أي التلفظ بها ركنا (من الاسلام) لما قال في جوابه ان تشهد الى آخره (و) جعله (التصديق من الايمان) أي الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن في قوله ان تؤمن بالله تعالى عز وجل الى آخره (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أي الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه أي الجمع بينهما (احداهما أن يصدق) المكلف (بقلبه ثم يخترم) بخاء معجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبني للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا أتاه بغتة بسرعة وأصل معنى الخرم القطع وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما أشار اليه بقوله (قبل اتساع وقت الشهادة باللسان) أي التلفظ والنطق بها لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللساني والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه ما مر وهذه حالة بينهما (فاختلف فيه) أي فيمن هذه حاله أمؤمن هو أم لا (فشرط بعضهم) أي قال انه (من تمام الايمان القول والشهادة به) باللسان فلا يكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق (ورآه) ماض من الرأي (بعضهم مؤمنا) فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة (مستوجبا) أي مستحقا (للجنة) ودخولها لعذره بعدم تمكنه و (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان (يخرج) روي بالبناء للفاعل والمفعول (من النار من كان في قلبه) باعتقاده (مثقال ذرة من الايمان) أي وزنها ومقدارها في الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لان المراد به العصاة المعذبون بسبب آخر أو بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله (فلم يذكر) في الحديث شيأ (سوى ما في القلب) من ايمان بمقدار ذرة (وهذا) المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق (مؤمن بقلبه) فينفعه ايمانه عند الله تعالى لانه (غير عاص) أي تارك لما يلزمه (ولا مفرط) بتشديد الراء المهملة أي مقصر عمدا

بترك غيره) أي بترك غير أمره من اقراره لعدم ادراك وقته وفقد استقراره (وهذا) أي الرأي من هذا البعض (وهو الصحيح في هذا الوجه) أي لما بيناه من الوجه الذي عيناه (الثانية) أي الحالة الثانية (ان يصدق بقلبه) أي يكتفي بعلم ربه (و يطول مهله) بفتح الميم وسكون الهاء وتحرك أي زمانه (وعلم ما يلزمه من الشهادة) أي النطق بها (فلم ينطق بها جملة) أي مطلقا (ولا استشهد في عمره) أي ولا تشهد في عمره مرات كثيرة كما كان اللائق به ان يكررها ويتلذذ بذكرها ويقوم بشكرها (ولا مرة واحدة) أي بل ولا كرة (فهذا) أي المؤمن المذكور بالوصف المسطور (اختلف فيه أيضا) أي كما (اختلف فيما قبله فقيل هو مؤمن) أي لانه أتى بما يكفي من مقصود الايمان (لانه مصدق) أي بقلبه وهو من أحسن الاحوال (والشهادة من جملة الاعمال) أي أركان الاسلام الموجبة للكمال (وهو) في نسخة فهو (عاص بتركها) أي بترك الشهادة كما وترك الصلاة والزكاة (غير مخلد) أي في النار كما في نسخة والمعنى ان دخلها لا يخلد فيها كما هو شان المؤمن العاصي حيث يكون تحت المشيئة الا ان هذا القول لا يصح عند من يقول الاقرار شطر وكذا عند من يقول انه شرط حيث لا يوجد المشروط بدون الشرط حال امكان وجوده فبطل قول الدلجي وهذا كامر عند المحققين هو الحق ولا يعصى عند من يقول الايمان هو التصديق فقط انتهى ولا يخفى انه مخالف للاجماع لان تارك الشهادة مع القدرة عاص عند الكل من غير نزاع وانما الخلاف في انه مؤمن أو ليس بمؤمن والله سبحانه وتعالى أعلم (وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده) أي اعتقاده وتصديقه بالجنان (شهادة) أي اقرارا بالله وبرسوله وفي نسخة شهادة اللسان وهي بالنصب وقيل بالرفع وكلاهما جائز لان من قارن الشيء فقد قارنه ذلك الشيء وانما قيل ينافي ايمانه (اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان) أي قبول احكام اسلام (وهي) الشهادة (مرتبطة مع العقد) أي جزم القلب (ولا يتم التصديق مع المهلة) بضم فسكون أي مع الامهال زمانا يسعه القيام بشرطه أو شطره (الابها) أي بالشهادة سواء قلنا انها شرط أو شطر كما بينا (وهذا) أي القول الثاني (هو الصحيح) أي في انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقد جنانه باقرار لسانه مع تمكنه من بيانه في مهلة زمانه واما قول الدلجي ان هذا انما

(بترك غيره) وهو التلفظ بالشهادة (وهذا) الرأي الذي رآه بعضهم (هو الصحيح في هذا الوجه) أي الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الا انه قيل ان ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة أمته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في الصحيح عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن ففيه استعارة بالكناية (الثانية) أي الحالة الثانية من هاتين الحالتين (ان يصدق بقلبه) ويعتقد اعتقادا جازما (ويطول) بضم التحتية وفتح الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة (مهله) بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والتأني فاريد به لازمه وهو طول الزمان والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة (وعلم ما يلزمه من الشهادة) والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد أي سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه (فلم ينطق بها) أي بالشهادة (جملة) منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بان لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا أو اجمالا بان لا يفصل الملائكة والكتب ونحوها (ولا استشهد في عمره) ومدة حياته أي أتى بالشهادة وفي نسخة شهد (ولا مرة) أي مرة واحدة (فهذا اختلف فيه أيضا) كما اختلف في الذي قبله وهو في الاصل مصدر آض اذا رجع وشاع في التشبيه وفي نصبه كلام مشهور (فقيل هو مؤمن لانه مصدق) وحقيقة الايمان هو التصديق القلبي وقد اتصف به فيكفيه (والشهادة من جملة الاعمال) الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا (فهو عاص بتركها) كمرتكب الكبائر غير كافر فهو (غير مخلد) في النار عند أهل السنة القائلين بان أصحاب الكبائر غير مخلدين (وقيل ليس بمؤمن) لان الشهادة شرط فيه أو شطر (حتى يقارن عقده) أي اعتقاد قلبه وجزمه (شهادة اللسان) أي التلفظ بها مطابقة لما في قلبه (اذ الشهادة انشاء عقد) عند الاصوليين لانها عندهم انشاء يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزى الشاني انه خبر لابي حنيفة وأنكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشاء عندنا أيضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها أخبار بحق للغير على آخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا أريد به الانشاء كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاؤه بمعنى ابتداؤه (والتزام ايمان) أي التزام لاحكامه (وهي) أي الشهادة (مرتبطة) أي ملازمة متصلة (مع العقد) الجناني لا تفارقه فلا يكتفي باحدهما (ولا يتم التصديق) ويكتفي به (مع المهلة) أي تأخير النطق زمانا طويلا من غير مانع (الابها) أي بالشهادة والنطق بها (وهذا) القول (هو الصحيح) من انه ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن

يقول به من يجعل الاعمال جزأ منه فخطا ظاهر اذ اجمع أهل السنة على ان الاعمال ليست جزأ من حقيقة الايمان خلافا للخوارج والمعتزلة واما نسبة هذا القول الى الشافعي رحمه الله تعالى والمحدثين فمحمول على انها جزء من كمال الايمان وانما الخلاف لفظي في مراتب الايقان فبطل قول الدلجي ان الايمان قول وعمل واعتقاد كما هو مذهب الفقهاء والمحدثين أو قول واعتقاد كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى واشياعه انتهى ولا يخفى ان هذا غفلة منه عن تحقيق الاشعري واتباعه ثم هذا الخلاف فيما اذا لم يؤمر باداء الشهادة واذا أمر بها وامتنع ويابى عنها كان طالب فهو كافر بالاجماع (وهذا) أي ما ذكرنا في بحث الايمان وفي نسخة وهذه أي هذه المسائل أو الاقوال هي الوسائل التي كتب فيها الرسائل لينتفع بها كل طالب وسائل (نبذ) بنون مفتوحة وسكون موحدة فذال معجمة أي شيء قليل يسير على ما في القاموس وهو مطابق لما في النسخ المعتبرة وموافق لما في الشروح المعتمدة واما ما ذكره الدلجي من قوله بنون موحدة مفتوحتين وفي نسخة بضم النون وسكون الباء جمع النبذة فليس في النسخ وهو مخالف لما في كتب اللغة بل في القاموس ان النبذة بفتح النون وتضم الناحية ولا ريب ان هذا المعنى لا يناسب مقام المرام فهو خالف الرواية والدراية نعم في نسخة نبذ بضم ففتح جمع نبذة أي قطعة يسيرة والمعنى ان ما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما في هذا المكان شيء يسير يترتب عليه أمر كثير (يفضى) من الافضاء أي يوصل ويؤدي (الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وأبوابهما) أي مما يتعلق بهما من الاحكام (وفي الزيادة أي فيهما والنقصان) وفيه ان لا خلاف في زيادة مراتب الاسلام والمتعلقة بالاعمال ونقصانها وانما الخلاف في زيادة نفس الايمان ونقصانه ويتفرع عليه ما قواه (وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق) أي كما عليه أهل التحقيق (لا يصح) أي التجزي وهو قبول الزيادة والنقصان أصلا (فيه) أي في ايمان (جملة) أي اجمالا بل يحتاج الى بيانه تفصيلا كما أوضحه بقوله (وانما يرجع) أي التجزي (الى ما زاد عليه) أي على نفس الايمان (من عمل) أي واحسان قول (وقد يعرض فيه) بكسر الراء ويضم أي يحصل التجزي في التصديق (لاختلاف صفاته وتباين حالاته) أي وتغاير مقاماته وتفاوت درجاته (من قوة يقين) أي علمي (وتصميم اعتقاد) أي عن دليل قوي (ووضوح معرفة) أي بانضمام مشاهدة (ودوام حالة) أي من غير فتور فيها ولا قصور عنها

منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه أحكام الايمان في الدنيا فهو ينفعه في الآخرة والاصح انه لا بد منه في الاعتداد به في الدنيا والآخرة وهو شرط أو شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب أتى به فان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد (وهذا نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشيء اليسير وأصله الرمي والطرح فكأنه لقلته مما يطرح وفي نسخة هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ما قدمناه (تفضى الى متسع من الكلام) تفضى بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع أفضى بمعنى أوصل وأصل معناه الايصال الى الفضاء والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي أو اسم يعني انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه مما للعلماء فيه من القيل والقال (في الاسلام والايمان) أي فيما يتعلق بهما (وأبوابهما) المعقودة لتفصيلهما (وفي الزيادة فيهما والنقصان) فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور (وهذا التجزي) بالزيادة والنقص فيهما (ممتنع على مجرد التصديق) فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم اليه من الاقوال والاعمال لا يقبلهما فانه كما قيل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزي وقوله (لا يصح فيه) أي في التصديق تجزي بزيادة ونقص (جملة أي مجموعه أو الاجمالي منه لا يقبل التجزي (وانما يرجع) تجزيه والزيادة فيه (الى ما زاد عليه) أي ما زاد على التصديق (من عمل) ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد لا يكون كمن أسلم ثم مات فجأة فلم يأت بشيء من الاعمال الصالحة (وقد يعرض فيه) أي قد يطرأ على التصديق نفسه زيادة أو نقص وتجزفانه من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليس كايمان غيره وقال الشمني في الصحاح عرض له كذا يعرض أي ظهر وعرضت العود على الاناء تعرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول بالكسر الى آخره (لاختلاف صفاته) قوة وضعفا (وتباين) أي بعد وافتراق (حالاته) بعضها عن بعض (من قوة يقين) بيان للصفات والحالات (وتصميم اعتقاد) أي الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة أدلة (ووضوح معرفة) أي ظهورها كمن شاهده صلى الله تعالى عليه وسلم وعاين معجزاته (ودوام حاله)

(وحضور قلب) أي بالغيبة عن غير الرب وهو حال الاطمئنان ومقام الاحسان الذي بينه عليه الصلاة والسلام بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ولاشك ان مقام الاحسان وأحكام الاركان من أحكام الايمان وكمال الاتقان لان الايمان يقبل الزيادة والنقصان على هذا الوجه كما حققناه في شرح الاربعين ودققناه في شرح الفقه الاكبر بتوفيق المعين (وفي بسط هذا) أي المبحث الشريف (خروج عن غرض التأليف) لان المقصود منه اداء حقوق صاحب الاصطفاء بمتابعته على وجه الاستيفاء (وفيما ذكرنا غنية) أي استغناء عن تطويله (فيما قصدنا) أي أردنا (ان شاء الله تعالى) أي ان كان على وفق ارادته سبحانه *(فصل)* (واما وجوب طاعته) أي اطاعة النبي عليه الصلاة والسلام في حكومته واتباع شريعته (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) مجملا (وجبت طاعته) أي مطلقا وهو جواب الشرط (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) أي من جملة ما جاء به من الدين بالضرورة (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) ذكر الله تحسين وتزيين وتوطئة وتنبيه على ان طاعته في طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة افراد الضمير في قوله ولا تولوا عنه أي عن رسوله وبدليل قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أو يقال افراد الضمير ايماء الى ان طاعتين متلازمتان أو الضمير الى كل واحد منهما والاظهر ان المعنى أطيعوا الله تعالى فيما أنزل من كتابه والرسول فيما أوحى اليه من خطابه في مقام ايجابه (وقال قل أطيعوا الله والرسول) ولم يقل وأطيعوا الرسول لما سبق من تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين واما حيث قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما في نسخة صحيحة فللاشارة الى استقلاله بالطاعة فيما ثبت عنه بالسنة وضبط الشريعة (وقال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) أي باطاعتهما ومتابعة شريعتهما (وقال وان تطيعوه) أي نبي الخلق (تهتدوا) أي الى الحق (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه المبلغ والآمر في الحقيقة هو الله وقد نزلت الآية في المنافقين حين قال النبي عليه الصلاة والسلام من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى (وقال وما آتاكم الرسول فخذوه) أي أعطاكم من أمره وامتثاله فتمسكوا به (وما نهاكم عنه) أي عن اتيانه (فانتهوا) أي عنه لوجوب طاعته وامتثال متابعته

أي استمرار التصديق وامتداده فانه زيادة فيه (وحضور قلب) أي حضور التصديق به حتى لا يغفل عنه قلبه المطمئن (وفي بسط هذا) أي بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق أدلته مع ما لها وعليها (خروج عن غرض التأليف) أي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال (وفيما ذكرناه غنية) بضم الغين المعجمة ونون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة أي كفاية مغنية عن غيره (فيما قصدناه) في هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى) وهذا الذي ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولاشك في ان ايمان الصديقين أقوى من ايمان غيرهم

(فصل واما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) من الله وقد علم هذا مما تقدم في أول الباب (وجبت طاعته) لان من صدقه وأخبر بما يلزمه اتباع أمره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) عن الله بوحيه كما يدل عليه ما (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما شيء واحد ولذا أفرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما أتى به من عند الله وكل ما أتى به من عند الله يجب الايمان به فيجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر كما ذكرناه (وقال الله تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) قال القاضي أمره الله ان يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم يعني ان هذه الآية نزلت في بشر المنافق لما ادعى خصماله يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب (وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجاء والخوف (وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا) فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره أمر لازم لهم (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) فجعل طاعته هي طاعة الله لانه لا يأمر الا بأمره ولا ينهى الا بنهيه ولذا أردفه بقوله (وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذا محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لانه لا يأمر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت الآية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فلا يتوهم انها غير

(وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية) أى فالذين أطاعوهما يكونون (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) المبالغين فى التصديق والصدق والتحقيق من العلماء والاولياء (والشهداء والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه الجامعين بين تعظيم أمره والشفقة على عباده ومن بيانية حال منه أو من ضميره (وحسن أولئك رفيقا) أى لانهم فى أعلى عليين (ذلك الفضل من الله) أى لايجب عليه سبحانه وتعالى شئ (وكفى بالله عليما) أى بالمطيعين والعاصين (وقال وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) أى بامره وتيسيره (فجعل) أى الله (طاعة رسوله طاعته) أى طاعة نفسه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) أى فى كثير من آياته (ووعد على ذلك) أى ماذكر من الطاعة والاطاعة (بجزيل الثواب) بقوله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية (وأوعد على مخالفته بسوء العقاب) بقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه) بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (قال المفسرون والأئمة) أى المجتهدون (طاعة الرسول فى التزام سنته) أى طريقته ومواظبة متابعته (والتسليم) أى الاذعان والانقياد (لما جاء به) أى من شريعته (وقالوا) أى المفسرون (ما أرسل الله من رسول الا فرض طاعته على من أرسله اليهم) ونهاهم عن معصيته لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله أى الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه لهم فى طاعته أو بتوفيقه لمتابعته فمن لم يطعه فى شريعته ولم يرض برسالته فهو كافر فى ملته (وقالوا

مناسبة لما هو بصدده (وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك) المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم الآية) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسيأتى ان هذه الآية نزلت فى ابن عبد ربه الانصارى حين قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مت كنت فى عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعى الله ان يعمى بصره حتى لايرى غيره فعمى مكانه وهو الذى رأى واقعة الاذان وقيل نزلت فى ثوبان مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لايصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فساله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال مابى ضر غير انى لا أصبر عنك فذكرت الآخرة وانى لا أراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتى والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم فى الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها (وقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق أو هو نفس التسهيل والتوفيق أى الا ليطيعه من بعث اليه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى أمره وقال القاضى كأنه أى الله احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل فى توجيهه ان لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله تعالى ومن لم يرض بحكم الله فهو كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودى وطلب اليهودى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان محقا بعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وأبى اليهودى وأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فحكم بما حكم به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودى ماوقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينكره (فجعل طاعة رسوله طاعته) فهما شئ واحد لانه لايأمر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه بنص قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) فى القرآن كما فى قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته ما لايخفى (ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب) الجزيل بمعنى العظيم أو الكثير وعبر فى جانب الثواب بالوعد وفى جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما فى أصل الاستعمال كما قال الشاعر

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وقد يستعمل كل منهما فى مكان الآخر لنكتة وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا فى خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيء وهو ظاهر (واوجب) الله تعالى (امتثال أمره) بالاتيان بما أمر به (واجتناب نهيه) بتركه مانهاه عنه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه (وقال المفسرون) فى تفاسيرهم (والائمة) أى أئمة الدين من الفقهاء والمحدثين (طاعة الرسول) التى أمرنا الله تعالى عز وجل بها فى القرآن متحققة ومتبينة (فى التزام سنته) أى المداومة على سلوك طريقته فالسنة بمعناها اللغوى فيعمل ماعمله ويترك ماتركه (والتسليم) أى الانقياد والمتابعة له (لما جاء به) من شرعه الموحى اليه الذى أخبرنا به وتصديقه فيما أخبر به من غير تحكيم العقل (وقالوا) أيضا (ما أرسل الله من رسول) من زائدة فى النفى لتأكيد العموم (الا فرض طاعته) أى جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه (على من أرسله اليه) لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه (وقالوا) أى

من يطع الرسول فى سنته) الاولى سنته بصيغة الجمع ليـلائم قوله (يطع الله فى فرائضه) جواب الشرط والمعـنى من يطع الرسول فيما أمر به ونهى عنه مما لم يرد به القرآن الكريم يطع الله فى فرائضه الثابتة فى الفرقان العظيم لان أمره ونهيه من أمره ونهيـه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله عليه الصلاة والسلام لا ألفين أحدكم على أريكته يأتيه الامر مما أمرت أو نهيت فيقول لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به فهذا نهى مؤكد منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته اذ العمل بها كالعمل بكتاب الله وشريعته (سئل سهل بن عبد الله) أى التسترى (عن شرائع

الاسلام) أى جميعها (فقال وما آتاكم الرسول فخـذوه) أى

المفسرون والائمة (من يطع الرسول فى سنته) بنون مشددة وتاء مثناة فوقية أى فى طريقته وشريعته من أمر ونهى وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله (يطع الله فى فرائضه) جمع فريضـة بمعنى الفرض وفى بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة و يحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى ما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له فى فرائض الله بالطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صـلى الله تعـالى عليه وسـلم لا ينفصل أحدهما عن الآخر وفى الام للشافعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه ما أمرت أو نهيت فيقول لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به وسيأتى بيان ألفاظه عنـد ذكر المصـنف رحمه الله له قريبا مرتين لامر اقتضاه فهـذا بيان لان العمل بسنة رسول الله عمـل بكتاب الله وهو معـنى ما قالوه هنا (وسـئل سهل بن عبـد الله) التسترى الامام الزاهـد المشـهور (عن شرائع الاسـلام) أى ما المقصود منها والمراد (فقال) سهل فى الجواب (وما آتاكم الرسول فخذوه) أى تمسكوا به (وقال) الامام أبو الليث الفقيه المشهور (السمرقندى يقال) فى طاعة الله ورسوله ان معناه (أطيعوا الله فى فرائضه) أى فيما افترضـه عليكم فى كتابه الكريم (والرسول فى سنته) أى ما سنه وشرعه لنا (وقيـل) فى معـنى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (أطيعوا الله فيما حرم عليكم) باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما أوجبه وحرمه وغـيره كما عمم اتباع الرسول بقوله (والرسول) أى وأطيعوا الرسول (فيما بلغكم) عن الله من أوامره ونواهيه مخلصا فى ذلك فانه مأمور بتبليغه * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (و يقال) فى معناه (أطيعوا الله بالشهادة) أى الاقرار والاعتراف (له بالربوبية) أى انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية (والنبى) بالنصب أى وأطيعوا النبى عليه السلام (بالشهادة له بالنبوة) المراد بالنبى هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان قلنا النبى أعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغى له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة أفضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) وهو حـديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال (حـدثنا حاتم بن محمـد) المعروف بابن الطرابلسى كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن خلف) الحافظ القابسى كما تقدم قال (حدثنا محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزى كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى راوى صحيح البخارى كما تقدم قال (حدثنا البخارى) قال (حدثنا عبدان) يعنى عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن أبى رواد الحافظ المروزى الفقيه الثقة توفى سنة احـدى وعشرين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله) بن

تمسكوا به فى أمره ونهيـه (وقال السمرقندى) أى الفقيه أبو الليث رحمـه الله تعالى (يقال أطيعوا الله فى فرائضه والرسول فى سنته) أى شريعتـه الشاملة لفريضته وسنته المستفادة من أحاديثـه الواردة وفى طريقتـه (وقيل أطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم) والاول أبلغ لان الفرض يشمل فعل الواجب الحتم وترك الفعل المحرم (والرسول فيما بلغكم) أى أوصله لكم من أمره ونهيه ولو لم يسنده الى ربه (و يقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية) أى بوصف الوحـدة ونعت العبودية له وحده (والنـبى بالشهادة له بالنبوة) أى المقـترنة بالرسالة وفى نسـخة بالرسالة والاولى أشمل والثانيـة أكمل وكان الجمع بينهـما أفضـل

اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والمعنى ان هذه الاطاعـة أقل ما يطلق عليه اسم الطاعة (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بفتح فتشديد فوقية (بقراءتى عليه) أى لا بسماعى لديه (ثنا) أى قال حدثنا (حاتم بن محمد) أى ابن الطرابلسى (ثنا) أى حدثنا (أبو الحسن على بن محمد بن خلف) بفتحتين وهو القابسى (ثنا) أى حدثنا (محمد بن أحمـد) وهو أبو زيد المروزى (ثنا) أى حدثنا (محمد بن يوسف) أى الفربرى (ثنا) أى حدثنا (البخارى) وهو صاحب الصحيح (ثنا) أى حدثنا (عبدان) بفتح فسكون موحدة وهو بوزن التثنية غير مصروف وهو العتـكى المروزى يقال تصدق بالف ألف (أنا) أى أخـبرنا (عبد الله) أى ابن وهب فيما يغلب على الظن لان مسلما روى هذا عن اثنين عنه به

(أنا) أى أخبرنا (يونس) أى ابن يزيد الايلى أحد الاثبات روى عن القاسم وعكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وابن وهب أخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) تابعى جليل (قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (انه سمع أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعنى) أى فيما جئت به عن الله تعالى (فقد أطاع الله) لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ومن عصانى فقد عصى الله) وهو اللازم لجعل طاعته

طاعته والحاصل ان الاول معلوم الكتاب والثانى مفهوم الخطاب (ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى) أى بطريق القياس لان طاعته من طاعته لكن بشرط ان يامر بطاعته لا بمعصيته كما يستفاد من اطاعته فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والحديث الاول رواه الشيخان وان أسنده المصنف من طريق البخارى (وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله وطاعة له) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه فيما أمر ونهى ومن جملة ذلك تامير أميره هنالك (قد حكى الله تعالى عن الكفار فى دركات جهنم) أى طبقاتها السفلية بحسب مقامات أهلها فى المعاصى الجلية والخفية حيث قال (يوم تقلب وجوههم فى النار) أى تصرف من جهة الى جهة استيعابا لجميع أعضائهم واستيفاء لسائر أجزائهم كقطعة لحم تدور فى قدر غلت فترمى بها الغليان من ناحية الى أخرى والمراد من الوجوه ذواتهم أو أريد بها أشرف أعضائهم وألطف أجزائهم لاسيما وسائر البدن تابع لها فى اقبالها وادبارها (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) باثبات الالف رسما واختلفت القراءة وقفا ووصلا (فتمنوا طاعته) أى حين شاهدوا التعنى (حيث لا ينفعهم التمنى وقال) وفى نسخة وقد قال (عليه الصلاة والسلام) أى فيما رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بشئ) وفى نسخة بامر أى مأمور به ايجابا أو ندبا (فاتوا

المبارك المروزى قال (حدثنا يونس) بن يزيد الايلى الامام الثقة توفى سنة تسع وخمسين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى الامام المشهور كما تقدم مرارا (قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله أو اسمعيل (انه سمع أبا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله) لانه لا يأمر الا بما أمر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله تعالى عنه فمن امتثل أمره واجتنب نهيه امتثل أمر الله ونهيه أو ان الله عز وجل أمر بطاعة رسوله وأمره ونهيه فمن امتثل أمره ونهيه أطاع الله فى أمره ونهيه بطاعته كما تقدم (ومن أطاع أميرى) أى من جعله هو أو خلفاؤه حاكما على أمته (فقد أطاعنى) لان طاعته طاعة من أمره لانه مبلغ عنه (ومن عصى أميرى فقد عصانى) قيل ان قريشا وسائر العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام وولى عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الامراء أنكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام (وطاعة الرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من طاعة الله) المرسل له (اذ الله أمر بطاعته) أى لان الله أمر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله (فطاعته) أى الرسول ورسوله (امتثال لما أمر الله به) فى قوله أطيعوا الرسول (وطاعة له) أى لله لانه أمرهم اجمالا بطاعته فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا بطاعته فى أوامره ونواهيه وهو انما يأمرنا بما أمر الله تعالى بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه أمر بالاجتهاد على الاصح وهذا بسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل (و) قد (حكى الله عن الكفار) ماسيقولونه أى ذكر فى القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة مأثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد المغربى قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله فى كلامه عن كذا لان الحكاية متأخرة عن المحكى وانما يقال أخبر الله ونحوه انتهى وهذا مما لا وجه له لانه تعالى قال نحن نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق (فى دركات جهنم) أى محلهم الاسفل فيها (يوم تقلب وجوههم فى النار) أى تصرف من جهة الى أخرى لاضطرابهم فهى كقطع لحم يغلى فى قدر يفور أو تقلبها تغيرها عن حالها وهيآتها أو تبدل ألوانها وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء وأظهرها أو المراد به الجملة (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) انسلم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم (فتمنوا طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حيث لا ينفعهم التمنى) أى فى زمان أو مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمنى طلب ما لا يمكن حصوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ) محرم أو مكروه (فاجتنبوه) أى اتركوه كأنه طرح فى جانب منكم (واذا أمرتكم بامر) أى بمامور به ايجابا أو ندبا

(فأتوا منه ما استطعتم) أي قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه الى آخره وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وروى ذلك عن ابن عباس في التفسير وشئ عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الاكراه على المعصية يبيحها أو هي باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره مكلف أم لا ومعنى ائتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها يأتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المأمورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله أحمد بن حنبل * فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها * قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتناء بل هو جهة الكف وكل أحد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل أحد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم انه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال أمره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه (وفي حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الحاكم (كل أمتي) يعني أمة الاجابة (يدخلون الجنة) الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة أيضا وقيل انه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة (الا من أبى) أي امتنع ثم فسره بقوله (قالوا يا رسول الله ومن يأبى) فهموا منه انه أبى دخول الجنة ولا يأباها أحد لانه روي كما في النهاية وشرد (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مجيبا لهم (من أطاعني) وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي (دخل الجنة) وفاز بنعيمها المقيم (ومن عصاني) وخالفني (فقد أبى) أي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختياره كانه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان أريد بالعصاة المذنبون من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان أريد الكفار فهو استعارة أيضا والمراد خلودهم في النار قال التلمساني بعد قوله الا من أبى أي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيأ فالامة أمة الدعوة أي كلهم الا من أبى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد بالامة أمة الاجابة فأبى هو المعاصي من أمته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب فقد أبى توضيحا للبيان الصنفين والتقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى (وفي الحديث الآخر) عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله (الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به) ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام أمر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه مضربه بمورده وأكثر ما يكون بأمر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة أو صفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله وليس فيه به فقال ابن حجر

أمتي) أي جميعهم (يدخلون الجنة الا من أبى) أي امتنع عن دخول الجنة والظاهر انه استثناء منقطع والمراد بالامة أمة الاجابة ودخول الجنة أعم من أن يكون أولا أو آخرا ولا يبعد أن يكون الاستثناء متصلا على ان المراد بالامة أمة دعوة وان المعصية مختصة بالكفر (قالوا من أبى) وفي نسخة قالوا يا رسول الله ومن يأبى أي عن دخول الجنة مع ان فيها حصول النعمة ووصول المنة (قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) أي بتركه الطاعة التي هي سبب لدخولها وموجب لوصولها والحديث رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة الا من أبى الحديث كذا ذكره الدلجي وفي الجامع الصغير برواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (وفي الحديث الآخر الصحيح) أي الذي رواه البخاري في صحيحه (منه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله تعالى به) أي مما يورث الفوز بنصر الدنيا وذخر العقبى والمعنى حالتنا العجيبة الشان وصفتنا الغريبة البرهان

(كمثل رجل أتى قوما) أي جاءهم يحذرهم من عدوهم وراءهم (فقال يا قوم انى رأيت الجيش) أي عسكر العدو (بعينى) بصيغة التثنية للمبالغة فى التاكيد ودفع توهم المجاز فى الخبر الا كيد (وانى انا النذير العريان) أي المخوف الذى ليس له غرض فى التحذير بل هو عار عن تلبيس وتدليس فى وصف النذر وقيل هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبالغة فى صدق النذارة لانه اذا كان عريانا كان أبين وقيل بل كان يتجرد عن ثيابه ويلوح بها فى مقام خطابه ليجتمعوا اليه ويحققوا ما لديه وقيل هو الذى سلب العدو ما عليه من الثوب فاتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه

لما عليه من آثار الصدق (فالنجاء) بفتح النون قبل الجيم ممدودا وقد يقصر وهو منصوب على الاغراء أي الزموا النجاء وهو الاسراع الى المنجى والملجا فى حال البلاء لتسلموا من الاعداء وقيل انه منصوب على المصدر أي انجوا النجاء بمعنى أطلبوا النجاة وهو فى غالب النسخ مرة واحدة وفى بعضها النجاء النجاء مرتين للتاكيد أو احدهما اشارة الى أمر الدنيا والآخرة ايماء الى أمر العقبى (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) بتخفيف الدال وقطع الهمزة وفى بعض النسخ بتشديدها ووصل الهمزة فقيل هما لغتان تستعملان فى سير الليل كله وقال أكثرهم ادلج سار آخر الليل وادلج سار الليل كله وقيل ان ساروا من آخر الليل فادلجوا بالتشديد وان ساروا من أول الليل فادلجوا بالتخفيف والقول الاكثر هو الاوسط المعتبر لكن المراد فى الحديث هو المعنى الاعم فتدبر (فانطلقوا على مهلهم) بسكون الهاء وبفتح أي فذهبوا على مهلتهم بوصف تؤدتهم من غير عجلتهم (فنجوا) أي فتخلصوا من عدوهم ونهبتهم وفى حديث على اذا سرتم الى العدو فهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فهلا مهلا قال الازهرى الساكن الرفق والمتحرك التقدم أي اذا سرتم فتانوا واذا لقيتم فاحملوا أي وتعنوا (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم) أي دخلوا فى الصبح فى محلهم

(فصبحهم

انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يتحدا متعلقا فما مصدرية لا عائد لها أقول ماذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا الا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصنف رحمه الله تعالى له ان كان لرواية وقعت له فظاهر أو لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ماقاله ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى (كمثل رجل أتى قوما) ليحذرهم وينذرهم بعدوهم الذى قرب مجيئه لاهلاكهم (فقال يا قوم انى رأيت الجيش) هم جمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال (بعينى) هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة أو بفتحها وياء مشددة مفتوحة مثنى وهو لتاكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية (وانى انا النذير) المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه (العريان) أي المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل مثله به صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به المبالغة فى انذاره ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه وأصله ان الرجل كان اذا رأى العدو وقرب جدا وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته وخشى ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به أي ادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو ما لا تطيقونه وأصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امرأته فاتى قومه يحذرهم بفعل ذلك وقيل انما هى امرأة وقيل هو عوف بن عامر اليشكرى وامرأة من كنانة وقيل امرأة من بنى عامر وقيل ابرهة الحبشى وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ماقاله الامام السهيلى فى قوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه يقول له انا أرسلناك نذيرا والنذير يكون عريانا الا ملففا بثيابه وهى نكتة سرية (فالنجاء) بالنصب على المصدر بعامل محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار أي انجوا النجاء بسرعة من غير لبث فناب عن عامله وعرف وهو ممدود أو مقصور بنية الوقف ورواه البخارى النجاء النجاء بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثانى وهو منصوب على الاغراء أي أطلبوا النجاء الهرب ويجوز رفعه أي النجاء خير لكم (فاطاعه طائفة) أي جماعة وفرقة (من قومه) لما أتاهم وقال لهم ماقاله (فادلجوا) أي ساروا من أول الليل أو ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير أول الليل والمشدد سير آخره والاسم الدلجة بالضم والفتح (وانطلقوا) أي ساروا طالبين النجاة من عدوهم (على مهلهم) أي متمهلين بتؤدة وتان بعد ذلك أو فى سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها أو بضم الميم وسكون الهاء كما مر وفى مسلم مهلتهم بزيادة تاء والكل بمعنى واحد (فنجوا) بفتح النون مع الجيم أي سلموا من عدوهم (وكذبت طائفة منهم) النذير فى انذارهم بالعدو (فاصبحوا) أي مكثوا (مكانهم) أي فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصباح

(فصبحهم الجيش) بتشديد الموحدة أي نزلوا عليهم وقت صباحهم قبل رواحهم (فاهلكهم) أي الجيش (واجتاحهم) أي استأصلهم ولم يبق واحد منهم (فذلك) أي المثل المذكور مثل من أطاعني أي انقاد لي في الطاعة على وجه الصدق (واتبع ما جئت به) أي من الامر الحق فيه ايماء الى انه لا ينبغي لاحد ان يكتفي بظاهر الطاعة عن اتباع ما جاء به من العبادة (ومثل من عصاني) أي بالوجه المطلق (وكذب ما جئت به من الحق) فيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير مستأصل للانسان بل للعصيان مع

(فصبحهم الجيش) أي أتاهم في وقت الصباح (وأهلكهم واجتاحهم) بجيم ومثناة فوقية وألف وحاء مهملة أي أهلكهم جميعا واستأصلهم فلم يبق لهم باقية من الذراري والاموال والجائحة الآفة التي تصيب الثمار فتستأصلها أي تفنيها من أصلها وكل مصيبة عظيمة فهي جائحة (فذلك) المذكور والمثل المضروب لكم (مثل من أطاعني) فشبهوا ابن صدق النذير فنجا (واتبع ما جئت به) فصدقه وعمل بما أمره به مما أوحاه الله اليه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب ما نهاه عنه (ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق) فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفي شرح المشكاة للطيبي انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه نفسه وانذاره العذاب القريب بالرجل الذي أنذر قومه بالجيش المصبح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقبل عليه انما هو تشبيه تمثيلي شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لا تشبيه الاجزاء بالاجزاء فان الاول أبلغ وأحسن * أقول اعادة مثل في الحديث تقتضي ما قاله الطيبي والمآل واحد وأبلغية ما ذكره في هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل انه تشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه في شروح الكشاف (في الحديث الآخر) الذي رواه الشيخان (في مثله) أي تمثيل حاله وصفته صلى الله تعالى عليه وسلم مع أمته في دعوته لهم (كمثل) بفتحتين أي كصفة وقصة (من بنى دارا) عظيمة أنشأها وفرشها بفرش نفيسة (وجعل فيها مادبة) بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وباء موحدة وهاء وهي الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاحباب وفي القاموس انها طعام صنع لدعوة أو عرس والمشهور الاول فهي عامة لكل دعوة وفي فقه اللغة القرا بكسر القاف والقصر وفتحها والمدطعام الضيف الغريب وهو للزائر تحفة وللاملاك شنوخة وللعرس وليمة وللولادة خرس وحلاق شعر المولود عقيقة وهو في الاصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة وللعلل قبل الغداء سلفة وللمستعجل الغداء عجالة وللكرامة منزلة من النزل انتهى والمأدبة من الادبة بالضم وهي الطعام (وبعث داعيا) يدعو لمنزله وأكل طعامه (فمن أجاب الداعي) أي امتثل دعوته وذهب معه (دخل الدار) التي بناها (وأكل من) طعام (المأدبة) التي أكرمها (ومن لم يجب الداعي) لدعوته (لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة) التي حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذي خلق الجنة وهيأ أسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله (فالدار الجنة) التي أعدها الله لمن اختاره من عباده ومادبتها ما فيها من النعيم وما تشتهيه الانفس (والداعي لها محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم بما بلغهم عن الله وأمرهم به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم الخالد (فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله) تقدم بيانه (ومن عصى محمدا فقد عصى الله) لان مخالفه مخالف لامر الله كما مر (ومحمد فرق بين الناس) فرق بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين

التكذيب هو الموجب لاستئصال البنيان لكونه كمال العدوان (وفي الحديث الآخر) أي الذي رواه الشيخان (في مثله) بفتحتين أي في تمثيله صلى الله تعالى عليه وسلم (كمثل من بنى دارا) وأصل هذا المثل منسوب الى الملائكة حيث قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام اما في حال اليقظة واما في حال المنام مثله كمثل رجل بنى دارا (وجعل فيها مادبة) بضم الدال المهملة وقد تفتح أي أطعمة ملونة موضوعة للدعوة (وبعث داعيا) أي الى الناس ليحضروها ويأكلوا منها (فمن أجاب الداعي) أي بقبول الدعوة (دخل الدار) أي دار النعمة (وأكل من المادبة) أي على قدر الطاقة في الطاعة (ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار) أي دار القربة (ولم يأكل من المادبة) أي لان

نصيبه الفرقة والحرقة (فالدار الجنة) اعدت للمتقين الذين أجابوا دعوة سيد المرسلين (والداعي) أي الى الله تعالى ودار نعمته (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن أطاع محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد أطاع الله) لانه الداعي اليه بامره (ومن عصى محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد عصى الله تعالى) أي بخروجه عن حكمه (ومحمد فرق) بفتح فسكون أي فارق (بين الناس) أي من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه فهو مصدر وصف به للمبالغة كرجل عدل وفي نسخة بفتح الراء مشددة ومخففة القاف أي فصل بينهم باعزاز المطيعين واذلال العاصين

(فصل) (واما وجوب اتباعه) أى متابعته (وامتثال سنته) أى طريقته (والاقتداء بهديه) أى سمته وحالته وسيرته (فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أى تدعون محبته وتريدون مودته (فاتبعونى) أى فيما يظهر منى من شريعته وطريقته وحقيقته (يحببكم الله) جواب الامر وهو جواب الشرط أى يرض عنكم و يكشف حجب قلوبكم (و يغفر لكم ذنوبكم) أى جميع عيوبكم (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى) وفى وصفه به تلويح الى ان كمال علمه من معجزاته (الذى يؤمن بالله وكلماته) أى بكتبه وآياته (واتبعوه) أى فى أوامره وزواجره (لعلكم تهتدون) ببركات ظواهره وسرائره (وقال تعالى فلا وربك) زيدت لا للتأكيد معنى القسم كما قاله الدلجى تبعا لغيره لكن يأباه الجمع بين الفاء ولا فالاظهر ان تقديره فليس الامر كما يظنون من انهم يصلون الى الله تعالى من غير ان يتبعوا رسوله وربك (لا يؤمنون) أى بى ولا بك (حتى يحكموك) أى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) أى اختلفوا فى أمرهم ويرضوا بحكمك فى حقهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا (مما قضيت) أى حكمت به أو من حكمك (ويسلموا تسليما) مصدر بحذف
مؤكد لفعله بمنزلة تكريره (أى ينقادوا لحكمك) يعنى انقيادا كاملا يكون بجميع أحكامك شاملا ولظواهرهم وبواطنهم كافلا

باطاعته وعصيانه وروى فرق بصيغة الماضى مشدد الراء المهملة أى فرق بين مؤمنهم وكافرهم أو بين من دعى للجنة و بين من لم يدع لها وهذا أنسب بالسياق والمعنى واحد وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم لبعض ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا امثله كمثل رجل الى آخره وفيه فقالوا أولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة الى آخره فالممثل الملائكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف رحمه الله تعالى وفى رواية ان القائل جبريل وميكائيل ولا يخفى ان ظاهر الحديث انه تشبيه مركب فقول الكرمانى انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل مما لا وجه له

(فصل واما وجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وامتثال سنته) السنة هنا بمعناها اللغوى وهى والطريقة والسيرة بمعنى وهى أقواله وأفعاله و تقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه (والاقتداء بهديه) هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته أيضا وفى نسخة والاهتداء بهديه (فقد قال الله تعالى) هو جواب اما أى فقد ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) أى اقتدوا بسنتى واهتدوا بهديى (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية) فسر محبة الله و رسوله باتباعهما ومحبة الله بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالى ان العصيان يضاد أصل المحبة وقال البيضاوى يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم و يقربكم من جناب عزه و يبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة أى المشاكلة ولبعض الشراح من المتأخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى) والايمان به وتصديقه يقتضى اتباعه وطاعته (الذى يؤمن بالله وكلماته) التى نزل بها الوحى عليه وما أوحى الى من قبله من الرسل من الكتب والشرائع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شئ ولكلامه الذى يفنى مداد البحار فى دواة الامكان كالكلمات القليلة و جمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفى هنا أعنى الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بى لبلاغة الالتفات ولتجرى عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجاء فى قوله (واتبعوه لعلكم تهتدون) أى راجين الاهتداء باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايماء الى ان من آمن به ولم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال والرجاء بالنسبة للمخاطبين أو هو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة (وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون) لا مزيدة للتأكيد ونفى لما تقدمها أى ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما أنزل اليك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى (حتى يحكموك) أى يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم (فيما شجر بينهم) أى فيما وقع بينهم من المشاجرة وهى المخاصمة وأصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها (الى قوله تسليما) يعنى قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر أو الشك وهذه الآية نزلت فى بعض الانصار لما اختصم مع الزبير فى ماء سقى به أرضه وسيأتى تفصيله (أى ينقادون لحكمك) تفسير لقوله و يسلموا تسليما وأكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفى نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب

(يقال) أي في اللغة (سلم) بتشديد اللام (واستسلم وأسلم اذا انقاد) أي مطلقا (وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة بضم الهمزة وكسرها أي خصلة (حسنة) من حقها ان يؤتى ويقتدى بها (لمن كان يرجو الله) أي ثوابه أو لقاءه (واليوم الآخر)

أي نعيم الآخرة أو لمن كان يخاف عقابه أو حجابه واليوم الآخر أي حسابه وعذابه (وقال محمد بن علي الترمذي) أي الحكيم وهو ليس صاحب الجامع (الاسوة في الرسول) أي معناها في حقه (الاقتداء به) أي في أمر شريعته (والاتباع لسنته) أي طريقته (وترك مخالفته في قول أو فعل) وكذا في جميع ما علم من حالته (وقال غير واحد) أي كثير من المفسرين (بمعناه) أي بمعنى قول الحكيم وان اختلف عنهم مبناه (وقيل هو) أي قوله تعالى لقد كان لكم الآية (عتاب) أي ملامة من الله (للمتخلفين عنه) أي في غزواته وخصوص حالاته وعلو درجاته ورفعة مقاماته (وقال سهل) أي ابن عبد الله كما في نسخة وهو التستري من أكابر الصوفية (في قوله تعالى) أي في تفسيره (صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة) وفي نسخة سنته أي أنعمت عليهم بسبب اتباع طريقته (فأمرهم الله تعالى بذلك) أي باتباع شريعته (ووعدهم الاهتداء باتباعه) أي بمتابعته حيث قال واتبعوه لعلكم تهتدون (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أي بالهداية الموصلة الى المولى (ودين الحق) أي الملة الثابتة بمخالفة الهوى

بحذف النون لاسيما ان قيل ان أي عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها الا للمضارع وحده (يقال سلم) بالتشديد (واستسلم) أي طلب السلامة بانقياده (وأسلم اذا انقاد) هذا هو المصرح به في كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور في القاموس ان التسليم الرضاء والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم في الآية بالرضى الاخص كان أحسن ليس بشئ (وقال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة) بالكسر والضم أي قدوة يقال أسيته بمالي اسوة واسيته لغة قليلة وقيل هي الصواب فهي الخصلة التي يراد الاتصاف بها (حسنة) أي خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها أي يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التأسي به في أقواله وأفعاله وحسنة هنا على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فتكون صفة مقيدة (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم الآخرة أو أيامه الآخر خصوصا مع قوله لمن كان وفي الكشاف ان لمن بدل من لكم قبله والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة أو صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجاء لايذانها بملازمة الطاعة اذا المؤتسى من شانه ذلك (قال محمد بن علي الترمذي) هو المعروف بالحكيم الترمذي الصوفي صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته (الاسوة في الرسول) تعريفه للعهد الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو للعهد الذهني أو الاستغراق فهو أعم أي في حق رسول من الرسل أو لكل رسول (الاقتداء به) في أقواله وأفعاله كما في قوله تعالى فبهداهم اقتده (والاتباع لسنته) أي لطريقته وشريعته (وترك مخالفته في قول) قاله أمرا أو نهيا أو ارشادا (أو فعل) فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غير واحد) تقدم ان معناه ناس كثيرون (من المفسرين بمعناه) أي قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذي (وقيل) معنى الآية المذكورة (هو عتاب) من الله تعالى أي توبيخ ولوم (للمتخلفين عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة أعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به في جهاد أعداء الدين ومقاساة أهوال الحروب وكان ذلك في غزوة الاحزاب أو تبوك حبا للبقاء والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل أنفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة أفعاله وأقواله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام المظروف بظرفه فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تجريد جعل كأنه فيه مقتدى به منتزع كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار في نفسها تساوي كذا وفي البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد أشرنا الى ان الاقتداء انما يجب فيما ليس من خصائصه كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان تكون لغيره (وقال سهل) بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته (في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم) بين ما أنعم به على من سلك الطريق المستقيم (قال) سهل في تفسيره انه أنعم عليهم (بمتابعة السنة) أي اتباع طريقه الذي هو الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه (فأمرهم الله تعالى بذلك) أي باتباعه (ووعدهم) الجزاء عليه أعني (الاهتداء باتباعه) أي حصول الهداية التي طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان الترجي من الله تعالى وعد لمن لا يخلف الميعاد (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أي بما فيه هدايتهم (ودين الحق)

(ليزكيهم) أي يطهرهم من الشرك والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن الجامع لمكارم الاخلاق (والحكمة) أي السنة
أو الاحكام المحكمة والمعارف الصادرة عن أهل الحكمة ممن جمع بين ايقان العلم واتقان العمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) هو
الدين القويم بالطاعة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى (ووعده) أي على اتباعه (محبته تعالى في الآية الأخرى) وهي قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذا معنى قوله (مغفرته) أي ووعدهم غفران ذنوبهم (اذا اتبعوه)
أي في الايمان به وامتثال أمره ونهيه (وآثروه) بالف ممدودة أي قدموه على أنفسهم وآثروه (على اهوائهم) واختاروا هداه على آرائهم
وأحبوه أزيد من آبائهم وأبنائهم (وماتجنح) بفتح النون وتضم أي وعلى ماتميل (اليه نفوسهم) أي من محبة الجاه
والمال والجمال المتعلقة بالامور الدنيوية الشاغلة عن المراتب الدينية والمناقب الاخروية (وان صحة ايمانهم) أي وأخبر في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ان صحته (بانقيادهم له) أي لامره (ورضاهم بحكمه) أي فيما شجر بينهم (وترك الاعتراض عليه) أي فيما حكم لهم أو عليهم (وروى) كما في تفسير ابن المنذر (عن الحسن) أي البصري (ان أقواما) أي جمعا كثيرا (قالوا يارسول الله انا نحب الله) أي ونطلب رضاه (فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وروى) قال الدلجي لا أدري من رواه (ان الآية) أي هذه الآية (نزلت في كعب بن الاشرف) وهو يهودي قتل غيلة كافرا بالله
تعالى (وغيره) أي من اليهود (وانهم قالوا نحن أبناء الله)
زعما منهم انهم أشياع عزير (واحباؤه) يعنون به كما قال المصنف (ونحن أشد حبا لله) أي مقربون قرب الاولاد من آبائهم بل هم
مبعدون عنه بعد اعدى الاعداء من أعدائهم اذ لو كانوا أبناءه وأحباءه لم ياتوا اقبيحا من عيوبهم ولما عذبوا بذنوبهم مسخا في الدنيا
ومسا بالنار دائما في العقبى لا أياما معدودات كما زعموا وتمنوا من جهة النفس والهوى وقد أجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله قل فلم
يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء بالايمان ويعذب من يشاء بالكفران والله على كل شئ قدير من الاحسان والخذلان
(وهذا لاينافي قوله تعالى

أي الدين الحق أو دين الله (ليزكيهم) أي يطهرهم من الشرك والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) أي
القرآن (والحكمة) أي العلوم النافعة المحكمة والشريعة التي صيرتهم حكماء متقنون للعلم والعمل
(ويهديهم الى صراط مستقيم) بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم (ووعدهم محبته
تعالى) أي محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله (في الآية الاخرى) يعني قوله تعالى ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله (ومغفرته) بقوله ويغفر لكم ذنوبكم (اذا اتبعوه) لان جواب الامر في معنى جواب
الشرط (وآثروه) بالمد أي قدموه واختاروه من الاثرة (على اهوائهم) جمع هوى بالقصر وهو ماتميل
اليه النفس وتدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ماليس بمحمود من الشهوات (وماتجنح) بجيم ونون وحاء
مهملة ويجوز في نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل وأصله الميل على أحد شقيه ماخوذ من الجناح
(اليه نفوسهم) وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على
محبة أنفسهم وأموالهم وأولادهم والناس أجمعين كما ورد في الحديث (و) أخبرهم (بان صحة ايمانهم في
انقيادهم له) في جميع ما أمرهم به ونهاهم عنه (ورضاهم بحكمه) فيما تخاصموا فيه يعني قوله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما (وترك الاعتراض عليه) فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم في قصة
الانصاري مع الزبير (وروى عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى والراوي له ابن المنذر في تفسيره
ويحتمل انه الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما (ان قوما قالوا يارسول الله انا نحب الله) أي تميل اليه
أنفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه (فانزل الله) مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله (قل ان
كنتم تحبون الله الآية) أي فاتبعوني يحببكم الله يعني ان محبته انما تتحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحبه الله كما قيل ماجزى من يحب الا يحب (وروى) في
سبب نزول هذه الآية (ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف) وهو رجل من علماء اليهود من بني
النضير وأمه من طي وقتل كافرا بعد بدر بستة أشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة في السير (وغيره)
من اليهود أتباعه (وانهم) أي ابن الاشرف وأتباعه (قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله)
وهذا ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى الى آخره وكانوا أتوه صلى الله
تعالى عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله الى آخره فقال لهم
معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يامعشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله
وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ماقلنا هذا وما أنزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول

النصارى

فانزل الله الآية) أي آية قل ان كنتم تحبون الله حيث لا مانع من تعدد الجواب في مقام الخطاب والعتاب (وقال الزجاج معناه) أي معنى ماذكر من الآية أو معنى ان كنتم تحبون الله (ان تقصدوا طاعته) أي

تريدوها وتحبوا القيام بحقها (فافعلوا

النصارى نحن أبناء الله انهم أشياع عيسى صلى الله عليه وسلم لذي زعم وانه ابن الله ومعنى قالت اليهود ذلك انهم أشياع عزير الذي زعموا انه ابن الله وقيل تقدير رسول الله (فانزل الله تعالى الآية) جوابا لهم بقوله تعالى قل ولم يعذبكم الآية (وقال الزجاج) في تفسير هذه الآية (معناه ان كنتم تحبون الله أي اقصدوا طاعته) اذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما تعارفه الناس وفي نسخة ان تقصدوا هذا تفسير لمحبة العبد (فافعلوا ما أمركم) الله تعالى (به) الفاء فصيحة أي اتبعوني وافعلوا (اذ محبة العبد لله والرسول) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف (طاعته لهما) باتباع أمرهما ونهيهما (ورضاه بما أمرا) بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا (ومحبة الله لهم) أي لعباده ففسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما في الآية (عفوه عنهم) بغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله (وانعامه) أي الله (عليهم) أي على عباده (برحمته) اهتماما به والرحمة في حق الله بمعنى الانعام وارادته في حقه تعالى لان معناها الحقيقي لا يصح في حقه تعالى فالمراد بها هنا الصفة بعباده ورأفته بهم (ويقال) في تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى (الحب من الله عصمة) أي حفظ الله لعبده من مخالفة أمره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون لغيره ويجوز الدعاء بها لكل أحد كما تقدم والذي يختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر أحد على قتله ونحوه واليه أشار بقوله (وتوفيق) أي خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته في السر والعلانية حتى يمتنع من المقبحات ومبدؤه ميل نفساني بتعالى الله عنه (و) المحبة (من العباد) معناها (طاعة) وانقياد لله ورسوله (كما قال القائل) أي معنى ماذكر هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما في زهر الآداب للحصري محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ مفلق كان في أول الدولة العباسية وكان كثيرا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم فينظمها في شعره كقوله

اذا كان شكري نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * يضيق بها الاوهام والبر والبحر
تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وفي معناه قول منصور الفقيه أيضا

غلط فاحش وجهل مبين * وعمى لا يحول لا بل جنون
طمع العبد في كرامة مولاه * واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعي محبة الله وأنت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انهم في القسم التزموا الفتح بها الا الشذوذ وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي والقياس لغة تقدير الشيء بذراع ونحوه وفي الاصطلاح الحاق شيء بشيء لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعني ان المعاصي لا تضر المحب لان المتحابين لا يؤاخذ أحدهما الآخر وهو أمر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصي أمر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقي كما قيل وهو تكلف

ما أمركم به) أي رسولنا وهذا تفسير بالمعنى لقوله تعالى فاتبعوني أي اتبعوا أمري ونهيي (اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا) أي ونهيا (ومحبة الله لهم) أي لعباده (عفوه عنهم) أي برأفته (وانعامه عليهم برحمته) حتى يدخلهم في جنته (ويقال الحب من الله) أي للعبد (عصمة) أي حفظ له عن المعصية (وتوفيق) أي للعباد (ومن العباد) أي والحب من العباد لله (طاعة) له في أمره ونهيه ومتابعة رسوله (كما قال القائل) قيل القائل رابعة العدوية وفي الاحياء ان قائله عبد الله ابن المبارك (تعصي الاله وأنت تزعم حبه * هذا) أي الجمع بين اختيار المعصية واظهار المحبة (لعمري) بفتح العين اعتراض بين المبتدأ والخبر وما في حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به والتقدير والله لبقائي أو لعمري مما اقسم به ان هذا الامر (في القياس) وفي نسخة في الفعال وهو موافق لتفسيره أي

الليث واحياء الغزالي (بديع) أي عجيب وغريب بعيد عن القياس أو من فعال الناس لانه (لو كان حبك صادقا لاطعته) كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بدليل قوله (ان المحب لمن يحب مطيع) وفي رواية يطيع

(و يقال محبة العبد لله) أي غاية ميله اليه سبحانه وتعالى (تعظيم له) أي في شانه (وهيبة منه) أي في سلطانه (ومحبة الله له) أي للعبد (رحمته له) أي بانعامه فيكون من الصفات الافعالية (وارادته الجميل له) أي باكرامه فيكون من النعوت الذاتية والجميل منصوب على انه مفعول المصدر الذي هو ارادته (فتكون) أي وقد تكون المحبة (بمعنى مدحه وثنائه عليه) أي على العبد عند ملائكته وعلى ألسنة رسله أو على ألسنة الخلق فانها اقلام الحق (قال القشيري) وهو الامام أبو القاسم صاحب الرسالة والتفسير (فاذا كان) أي الحب (بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات) والاظهر ما قدمناه (وسيأتي بعد) أي بعد ذلك (في ذكر محبة العبد غير هذا) أي غير ما ذكر هنا (بحول الله تعالى) أي بتصرفه وقوته وهو متعلق بسيأتي (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا) أي حدثنا (أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفي آخره غين معجمة (عيسى بن سهل وثنا) أي وحدثنا وفي نسخة وأخبرنا (أبو الحسن يونس بن مغيث) اسم فاعل من الاغاثة (الفقيه) أي الكامل في الفقه (بقراءتي عليه) أي هذا الحديث (قالا) أي عيسى ويونس كلاهما (ثنا) أي حدثنا (محمد ابن حاتم) بكسر الفوقية (قال ثنا) أي حدثنا (أبو جعفر الجهني) بضم ففتح نسبة الى قبيلة جهينة بالتصغير (ثنا) أي حدثنا (أبو بكر الآجري) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وهو الامام الحافظ القدوة (ثنا) أي حدثنا (ابراهيم بن موسى الجوزي) بفتح الجيم وسكون الواو وكسر الزاي منسوب الى الجوز (ثنا) أي حدثنا (داود بن رشيد) بالتصغير خوارزمي روى عنه مسلم وأبو داود وابن ماجه والبغوي والسراج وخلق أخرج عنه الستة ماعدا الترمذي ووثقه غير واحد (ثنا) أي حدثنا (الوليد بن مسلم) هو الحافظ أبو العباس عالم أهل الشام روى عنه أحمد واسحق قال ابن المديني ما رأيت في الشاميين مثله أخرج له الجماعة وهو مدلس (عن ثور بن يزيد) هو الحافظ الحمصي روى عن خالد بن معدان وعن عطاء وعنه القطان وأبو عاصم وكان ثبتا قدريا أخرجوه من حمص واحرقوا داره أخرج له البخاري والاربعة

(و يقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه) أي خوفه اذا تأمل عظمته (ومحبة الله له) أي لعبده (رحمته له) أي احسانه واكرامه لان معناه الحقيقي لا يليق به فاريد به غايته (وارادته) الفعل (الجميل له وتكون) بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول أولى (بمعنى مدحه والثناء عليه) أي على العبد (قال القشيري) الامام الزاهد أبو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته (فاذا كان) أي المحبة وذكره لتاويله أو لان تأنيث المصدر غير معتبر لتأويله بان والفعل او الضمير للجميل (بمعنى الرحمة والارادة) عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال (والمدح) في كلامه الازلي كالثناء على المؤمنين في القرآن (كان من صفات الذات) أما الارادة فظاهر وأما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات الذات والافعال مفروغ منه في علم الكلام (وسيأتي بعد) مبني على الضم لقطعه عن الاضافة أي بعد هذا (في ذكر محبة العبد غير هذا) فاعل سيأتي أي غير ما ذكر هنا (بحول الله تعالى) أي باعانته وقوته لان الحول له معان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الآجري شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) بن أحمد شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا أبو الاصبغ عيسى بن سهل) أصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة (ح وحدثنا) تقدم ان ح بحاء مهملة يذكرها المحدثون اذا أرادوا التحول من رواية لرواية أخرى كما بينه ابن الصلاح (أبو الحسن يونس بن مغيث) بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة (الفقيه بقراءتي عليه) قال (حدثنا حاتم بن محمد) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو حفص الجهني) نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة قال (حدثنا أبو بكر الآجري) بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للآجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه قال (حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي) بفتح الجيم وسكون الواو وزاي معجمة مكسورة وياء نسبة وهو أبو اسحق الجوزي نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبي وقال التلمساني انه كذا في أصل المصنف رحمه الله تعالى ورواه العزفي خوزي بخاء مضمومة وواو ساكنة وزاي معجمة نسبة لخوز جيل من الناس أو قرية مشهورة قال (حدثنا داود بن رشيد) بالتصغير علم منقول وهو أبو الفضل الخوارزمي الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفي في شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين (قال حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ أبو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة روى له أصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وفي سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان (عن ثور بن يزيد) الحافظ الحمصي ثقة لكنه نسب الى القدر به حتى أخرج من حمص وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة

(عن خالد بن معدان) هو الكلاعي عن معاوية وثوبان وغيرهما يقال كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة وقيل غير ذلك أخرج له الجماعة (عن عبد الرحمن بن عمر السلمي) بضم ففتح هو الصواب كما في سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وفي بعض النسخ الاسلمي (وحجر) بضم مهملة وسكون جيم (الكلاعي) بفتح الكاف (عن العرباض) بكسر العين المهملة وفي آخره ضاد معجمة (ابن سارية) أي ابن نجيح السلمي من البكائين من أهل الصفة أخرج له أصحاب السنن الاربعة (في حديثه) أي في حديث رواه العرباض (في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) أي الخلفاء الاربعة ومن سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز والراشد اسم فاعل من الرشد وهو خلاف الغي والمهدي من هداه الله تعالى الى الحق (عضوا) بفتح فتشديد (عليها بالنواجذ) بالذال المعجمة أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع اضراسه (واياكم ومحدثات الامور) تحذير منها ومن الرضى بها جمع محدثة وهي ما لم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع أمة (فان كل محدثة بدعة وكل بدعة) بالنصب وفي نسخة بالرفع (ضلالة) وخص منها البدعة الحسنة بحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه في التراويح نعمت البدعة هذه والحديث في الاربعين للنووي وقد أوضحنا في شرحه المبين المعين بيان مبناه وعيان معناه وقد أخرجه أبو داود في السنة عن أحمد بن حنبل عن الوليد بن مسلم بالسند الذي ساقه القاضي والترمذي في العلم وقال حسن صحيح وابن ماجه في السنة والمصنف عدل عن السنن الثلاث وأخرجه من خارجها طلبا للعلي في الاسناد فان بينه وبين شيخ شيخ أبي داود في هذا الحديث وهو الوليد بن مسلم ستة أشخاص ولا يتفق له ذلك في رواية أبي داود

ومائة (عن خالد بن معدان) الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل أخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة أربع وثمانين ومائة قيل انه كان يسبح في كل يوم أربعين ألف تسبيحة (عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي) كذا في النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو ابن عنبسة وهو حافظ ثقة توفي سنة عشرة ومائة (وحجر الكلاعي) حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام وألف وعين مهملة نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسلمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له أصحاب السنن (عن) أبي نجيح (العرباض) بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة وضاد معجمة وأصله الطويل وتقدم الكلام عليه (ابن سارية) بسين مهملة وياء آخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل الصفة سكن حمص (في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) أي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه علي عن الوليد كذا قال الذهبي في تاريخه ومن خطه نقلت واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم أنفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة وما هم عليه والخلفاء جمع خليفة والراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وأئمة الاسلام المجتهدين في اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الى آخره فعل أمر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ أقصى الاضراس وهي أربعة أو الانياب أو التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز اهمال داله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير أي احذروا المحدثات والرضاء بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث مما خالف الكتاب والسنة والاجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم وهي كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط ٢ والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير

٢ قوله الربط بضمتين جمع رباط بالكسر ككتب وكتاب والمراد هنا اسم للمحل الذي يسكن فيه كالتكية والعمارة وغيرها على ما في كتب اللغة مصححه

زاد في حديث جابر) على ما رواه مسلم (بمعناه) أي زيادة أفادت عدم روايته بلفظه ومبناه (وكل ضلالة في النار) أي وكل محدثة فيهما بإسقاط المكرر (وفي حديث أبي رافع) كما رواه الشافعي في كتابه الام عن سفيان بن عيينة عن سالم أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عنه عليه الصلاة والسلام

(لا ألفين) بضم الهمزة وكسر الفاء ونون مشددة أي لا أجدن (أحدكم متكئا على أريكته) أي جالسا على سريره أو فراشه متمكنا على مقعده أو مائلا في قعوده معتمدا على أحد شقيه كما هو شان الجهلة من المتكبرين الراضين بالقعود مع المتخلفين كما قيل شعر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

(يأتيه الامر من أمري) أي يبلغه أمر من أموري أو من مأموري بدليل قوله (مما أمرت به) على ان من فيه بيانية وبدلالة رواية الاهل عني رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى (أو نهيت عنه فيقول لا أدري) أي غير القرآن ولا أتبع سوى الفرقان (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) أي وما وجدنا في غيره أو مخالفا فيه تركناه والحديث جاء محذرا من ترك امتثال

العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد العصر الاول وهو المقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة الخلفاء وقد خصها الشارع بما ه ومذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذي جعل ضلالة وفي عوارف المعارف واحياء الغزالي البدعة المذمومة ما زاحم السنة المأثورة أو كان يفضي الى تغييرها وفي كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف (وزاد) على ما رواه العرباض (في حديث جابر) بن عبد الله رضي الله عنهما الذي رواه مسلم (بمعناه) أي ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافق له وليس المراد انه رواية بالمعنى كما قيل (وكل ضلالة) أي ضلال بارتكاب البدع المذمومة (في النار) أي معذب بها أو مستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقي منتج لما ذكر أي كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الاليم (وفي حديث أبي رافع) الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو رافع هو الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبطيا واختلف في اسمه فقيل ابراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولهم أبو رافع غير راوي هذا الحديث معدود في الصحابة أيضا روى (عنه عليه الصلاة والسلام لا ألفين) نفي بمعنى النهي أي لا أجدن وألفى بمعنى وجد قال الله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب وروي لا ألفين كما تقدم عن الام للشافعي والصحيح رواية الاول وان صح هذا أيضا كانه لتحققه وجده هو وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية وتشديد النون أي لا يفعل (أحدكم) معاشر الامة أو الصحابة فلا يكون هذا من سببه وهو نهي في الحقيقة عن التكبر والبطر (متكئا) أي مائلا مستندا متمددا وهو بالهمزة والياء أيضا وقد تقدم ان العامة لا تعرف المتكئ الا من مال في قعوده معتمدا على أحد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من اوكاء (على أريكته) هي سرير مزين يتخذ في قبة أو بيت وليس مطلق السرير أريكة وقيل هو سرير في حجلة وقيل كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو مخدة مما يفعله المترفهون وجمعه أرائك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الاراك أو لانه محل الاقامة من أرك بالمكان أروكا اذا أقام به وأصله الاقامة لرعي الاراك ثم يتجوز به عن كل اقامة (يأتيه الامر من أمري) أي شئ مما أمرت به فقوله (مما أمرت به) تفسير لقوله من أمري بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفي أي به متعلقة بامري والامر الاول بمعنى الشأن شامل للنهي وغيره والثاني مقابل النهي لقوله (أو نهيت عنه فيقول لا أدري) هذا الامر الذي نقلتموه لنا ولا أتبع واعرف غير القرآن (ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه) دون غيره مما روي في الاحاديث ولم يعرف ان ما في الحديث عن الله تعالى أيضا وان الوحي وحيان متلو وغير متلو وان السنة لا تخالف الكتاب وقد قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وفيه تحذير عن ترك امتثال أمره واجتناب نهيه والعمل بهما وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت أم لا وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي الا اني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان

أوامره واجتناب زواجره لانه عليه الصلاة والسلام جاء مبينا لما في القرآن من الاحكام ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله وأطيعوا الله والرسول وقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وامثال ذلك مما يدل على انه لا يسوغ لمسلم ان يخالفه في أمر أو نهي هنالك ما

(وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ ترخص فيه) أى اختار الرخصة على العزيمة فى عمل ذلك الشئ عملا بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه والظاهر ان ماترخص فيه هو الافطار فى السفر أو القصر وهو الاظهر لقوله عليه الصلاة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ومن هنا قال أبو حنيفة ان القصر واجب واتمامه اساءة (فتنزه عنه) أى تبعد عن ذلك الشئ أو عن الترخص فيه (قوم) أى جماعة من الرجال مابلغوا مبلغ الكمال (فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله) أى شكره (وأثنى عليه) أى فيما أفاض اليه (ثم قال مابال قوم) أى ماحالهم وشأنهم (يتنزهون عن الشئ أصنعه) جملة وصفية أو حالية (فوالله انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية) اذ بقدر المعرفة بالله وصفاته تكون الخشية من عقوباته وحجاب حالاته ومقاماته كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وروى عنه عليه الصلاة والسلام) من حديث أبى الشيخ وأبى نعيم والديلمى (انه قال القرآن صعب) أى باعتبار مبناه (مستصعب) بكسر العين وتفتح أى باعتبار معناه (على من كرهه) أى ولم يتلذذ بمقتضاه ومفهومه انه سهل متيسر على من أحبه وارتضاه كما يشير اليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وشفاء للمؤمنين وشقاء للعاصين (وهو) أى القرآن (الحكم) بفتحتين الحاكم العدل والفاتح الفصل والجد الذى ليس فيه الهزل أو ذو الحكمة من كمال الفضل (فمن استمسك بحديثى) أى تعلق به من كمال رضاه (وفهمه) أى القرآن من جهة معناه (وحفظه) من جهة مبناه أى ضبط حكمه وراعاه (جاء) أى ورد (يوم القيامة مع القرآن) أى بعلمه وعمله بهما

ماحرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما حرم الله تعالى الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج (وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها) المروى فى الصحيحين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخارى (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ) يأتى بيانه (ترخص فيه) أى ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهو كقصر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصبح جنبا فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغضب فقال لارجوان أكون أخشاكم لله وأتقاكم وقيل هو ان بعض الصحابة سأل ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما أخبرها استقلها وقال انه غفر له ماتقدم وماتأخر فانا أصلى الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النساء ولاأتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا (فتنزه) أى تباعد (عنه قوم) عن العمل بما ترخص فيه (فبلغه ذلك) أى نقل له صلى الله تعالى عليه وسلم تنزه هؤلاء فخطبهم موعظة على عادته (فحمد الله) وأثنى عليه (ثم قال مابال قوم) أى ماشأنهم وحالهم وهو استفهام انكارى (يتنزهون عن الشئ) حال كونى (أصنعه) فتركهم له لانهم يظنون ان خوفهم من الله تعالى أشد من خوفى له لان الله تعالى غفر لى ماتقدم وماتأخر ولم يكلفنى ما كلفهم (فوالله) تأكيد وتقرير لقوله (انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية) أى خوفا وقدم أعلميته لان الخشية بمقدار العلم كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب مثلهم الرخص يفضى الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فانها صدقة تصدق الله بها عليهم ولايليق عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكر من الالحاح عليهم من علامات الانكار وليس بشئ (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الديلمى وأبو نعيم وأبو الشيخ مسندا (انه قال القرآن صعب) بسكون العين ضد السهل (مستصعب) بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب وبفتحها من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعبا أو صيرته صعبا أى هو فى نفسه عسر على من أراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله تعالى أيضا صعبا (على من كرهه) أى من لم يرد حفظه وتدبر آياته وأما من أحبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته وتأمله فيسهله الله تعالى عليه (وهو) أى القرآن (الحكم) بفتحتين أى الذى يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والموعظة وجعله حكما أى حاكما بنفسه مبالغة (فمن استمسك بحديثى) المروى عنى (وفهمه وحفظه) بتدبر معانيه وضبط الفاظه (جاء) يوم القيامة محشورا (مع القرآن) أى ذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشئ محكم وثيق لاينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه فى الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لايفارق القرآن

(ومن تهاون بالقرآن وحديثى) بان لم يعمل بهما ولو حفظهما وفهمهما (فقد خسر الدنيا والآخرة) أى وتلك الخسارة الظاهرة (أمرت أمتى) بصيغة المجهول للتأنيث وفى نسخة بصيغة الفاعل المتكلم والاول هو الظاهر أى أمرهم الله (ان يأخذوا بقولى) أى اعتقادا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويطيعوا أمرى) أى اعتمادا لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ويتبعوا سنتى) أى استنادا لقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون (فمن رضى بقولى) أى بحديثى (فقد رضى بالقرآن) وفى الكلام قلب للمبالغة أى فمن رضى بالقرآن فقد رضى بقولى ومن لم يرض بقولى فلم يرض بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بى فهو منى أى متصل بى ومعى أو من اشياعى وأتباعى وقد رواه عبد الرزاق فى مصنفه من مراسيل الحسن الا انه بلفظ من استن بسنتى أى اتبعها وعمل بها فهو منى (ومن رغب عن سنتى) يقال رغب فى فى الشئ اذا أراده ورغب عنه اذا لم يرده والمعنى ومن مال عنها كراهة لها (فليس منى) كما فى الصحيحين (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله تعالى) هذا مقتبس من قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) وهو بفتح الهاء وسكون الدال فيهما بمعنى السمت والطريقة وضبط فى بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال تقدم على انه ضد الضلالة لقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى والمعنى به سيرته السنية وطريقته الرضية وهيئته السوية (وشر الامور) بالوجهين (محدثاتها) جمع محدثة بالفتح وهى البدعة التى تخالف الكتاب والسنة واجماع الامة قال الدلجى لا أدرى من روى هذا الحديث ولعله أنكره من حيث اسناده الى أبى هريرة والا فقد ورد من حديث جابر كما رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه ولفظه اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وان أفضل الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وانهما كشئ واحد لان السنة تبين القرآن ومجيئه معه او مجيئه مع أهله أو مع نوره أو اعماله التى عمل بها منه أو هو على ظاهره بان يجئ تاليه فيشفع فيه ويقال له اقرأ وارق كما ورد فى الحديث والمراد بالقرآن ألفاظه لا الكلام النفسى الذى هو صفة ذاتية (ومن تهاون بالقرآن) أى أعرض عنه ولم يوجه اليه فكره لاهانته أو عده هينا (وحديثى) بعدم حفظه والعمل به (فقد خسر الدنيا) لانه يحيى جاهلا مهانا فقيرا (والآخرة) لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى الآية (أمرت) بالبناء للمجهول أى أمر الله تعالى (أمتى ان يأخذوا بقولى) أى يتمسكوا بحديثى ويعملوا به كما سيأتى (ويطيعوا أمرى) لقوله وأطيعوا الرسول (ويتبعوا سنتى) أى يقتدوا بى ويسلكوا طريقى وشريعتى السمحة كما قال الله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من قال لا أعمل الا بالقرآن ونهى عن ترك السنة وخبر الآحاد كما تقدم (فمن رضى بقولى) فاتبعه وعمل به (فقد رضى بالقرآن) لانه موافق له وغير مخالف له فهما كالشئ الواحد (قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته مبينة موضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل وكذا قالوا من أراد تفسير القرآن فليتأمله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجد فيه فعليه بالسنة فان لم يجد ما أراده فيها فعليه بأقوال الصحابة فانها فى حكم المرفوع لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرئهم القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتى أى تبعها وعمل بها والمصنف رحمه الله تعالى رواه بلفظ (من اقتدى بى) فى سنتى وشريعتى (فهو منى) أى من اتباعى واشياعى الذين يحشرون معى ويتصلون بى حتى كانهم بعض منى لا ينفصل عنى ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله عليه السلام لعلى أنت منى بمنزلة هارون من موسى (ومن رغب عن سنتى) أى تركها وأعرض عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته وأحاديثه المروية عنه الشاملة لاقواله وأفعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى (فليس منى) هذا تبرؤ منه كقوله * لست من قيس ولا قيس منى * وعجزه هذا مذكور فى الصحيحين أيضا ومعناه ليس مقربا منى أى فهو كافر وليس هو على ملتى لاهانته الحديث (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه ولم يخرجه السيوطى بهذا اللفظ (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله) كما قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث الآية (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى فى مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضى فى الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصور أو الهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة وهذه هى التى تضاف الى الله (وشر الامور محدثاتها) بفتح الدال

تقدم تفسيره (وعن عبدالله بن عمرو بن العاص) في حديث رواه أبو داود وابن ماجة (قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة) أقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها (فما سوى ذلك) وفي نسخة وماسوى ذلك (فضل) أي زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه ه تفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل في اللغة الزيادة كما علم (آية) من كتاب الله (محكمة) غير متشابهة لقوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات أو غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا أيضا أو المراد ما يشملهما الاحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة وأحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القرآن أيضا كما قال الله تعالى أحكمت آياته ويجوز ارادته أيضا (أوسنة قائمة) أي دائمة مستمرة يعني لم تنسخ لدوام العمل بها (أو فريضة عادلة) أي لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسامها أو لانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها بالنص أو المراد بها فريضة المواريث وقسمتها وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العائلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهي التفسير والحديث والفقه (وعن الحسن ابن أبي الحسن) هو الحسن بن يسار البصري وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمي متصلا عن ابن مسعود (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة قال (عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة) في هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا في أمم أي موافق للسنة ومصاحب لها وان قل (خير من عمل كثير في بدعة) وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفي اشارة الى انه يراعي السنة في جميع عدد وهيئة حتى يحيط السنة به وقيل انه لمصاحبته السنة وتمكنه فيها اشبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا ركعتين ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضي الخيرية في البدعة بحسب

وكل ضلالة في النار الحديث وروى البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني وأبو نصر السجزي في الابانة عن أبي الدرداء مرفوعا وابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفا بلفظ اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله تعالى وأحسن القصص هذا القرآن وخير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها وأحسن الهدى هدى الانبياء وأشرف الموت قتل الشهداء وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر والهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا وأعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ما وقر في القلب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثاء جهنم والكنز كي من النار والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه وانما يصير أحدكم الى موضع أربعة أذرع والامر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله تعالى وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله اللهم اغفر لي ولامتي اللهم اغفر لي ولامتي أستغفر الله لي ولكم كذا في الجامع الصغير وانما ذكرته لما فيه من النفع الكثير للصغير والكبير (وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة العاصي والاولى هي الاولى لما حققناه فيما سبق من أصل المبنى (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العلم) أي أصوله (ثلاثة) أي اقسام (وما سوى ذلك) يعني كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه (فهو فضل) أي زائد لا يفتقر الى علمه وان لم يسع المرء جهله (آية محكمة) أي أحكم بيانها فلم يحتج الى زيادة بيان في شأنها (وسنة قائمة) أي أحاديث ثابتة مستمرة العمل بها دائمة (وفريضة عادلة) أي في القسمة أو عادلة ومساوية في العمل بها الكتاب والسنة وهي الثابتة باجماع الامة أو قياس الائمة رواه أبو داود وابن ماجه (وعن الحسن ابن أبي الحسن رحمهما الله تعالى) أي البصري كما رواه عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن مرسلا والدارمي عن أبي مسعود موصولا (قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة) أي مصاحبا لها (خير من عمل كثير في بدعة) أي من أصلها الا ان ذلك وان قل كثر نفعه بل هو نفع كله وذا أكثر ضررا ونفعه قليل وان كثر عمله ففي بمعنى مع كما في قوله تعالى ادخلوا في أمم أي معهم والحاصل ان الاقتصاد في السنة أفضل من الاجتهاد في البدعة ولو كان مستحسنة

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله تعالى يدخل العبد الجنة) أي أعلى مراتبها (بالسنة) أي بسبب القيام بها (تمسك بها) أي أخذها وعمل بمقتضاها فاز بمقام القدس ومرام الانس وفي نسخة يتمسك بها فالاولى استئناف والثانية حال والحديث غير معروف المبنى لكنه صحيح المعنى (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الطبراني في الاوسط (قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي) أي حين يكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فإن قلت من يتمسك بالسنة إذا فسدت الامة أجيب بان المراد أكثر الامة ولا يبعد ان يراد بفسادهم سوء اعتقادهم بترك العمل بالاحاديث واعتمادهم على مجرد ما يفهمونه بعقولهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة كما هو طريق أهل البدعة بخلاف مذهب أهل السنة والجماعة حيث جمعوا بين الكتاب والسنة على ما ورد (له أجر مائة شهيد) أي حيث جاهد في طريق سديد (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي تفرقوا (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا ومشربا وفي نسخة فرقة أي جماعة (وان أمتي) أي أهل الدعوة والاجابة (تفترق) وفي رواية ستفترق (على ثلاث وسبعين) أي بزيادة ملة (كلها) أي جميع الملل السابقة والنحل اللاحقة (في النار) أي في طريقها فكأنهم فيها (الا واحدة) أي الا أهل ملة واحدة أو الا جماعة (قالوا) أي بعض الصحابة (ومن هم يا رسول الله قال الذي) أي الجمع والفوج الذي أو أهل الطريق الذي (أنا عليه اليوم وأصحابي) أي من متابعة الكتاب والسنة ومجانبة الامور المحدثة والبدعة (وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم من أحيي سنتي) أي أشاعها بعملها أو أذاعها بنقلها

اتباعها

ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها أصل في العبادة كوصال الصوم وما أشبهه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة) الواحدة وان قلت (تمسك بها) أي امتثلها وعمل بها مخلصا (وعن أبي هريرة) في حديث رواه الطبراني في الاوسط (المتمسك بسنتي) أي العامل بها والسالك طريقتي (عند فساد أمتي) أي تغير أحوالها وتركها أمور الدين واتباع البدع وذلك في آخر الزمان (له أجر مائة شهيد) فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وأمر غيره بالعمل أيضا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وأيضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما ألفه الناس ومثله مما رغب الناس عنه فيؤذيه أشد الاذاء فلذا أعطي ثواب الشهداء وجعل له أجر مائة للتكثير أو للاشارة الى ان أكثر ما قاومه عشرة والحسنة بعشر أمثالها وقيل ان الشهيد يرقى منزلته بترك الدنيا وبذل نفسه في نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله تعالى مع فساد عصره وأهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام بعزة البخل بين الكرام كما قيل

رأيت عبيد الله أكرم من مشى * وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد

أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا أو دينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله (وان أمتي تفترق على ثلاث وسبعين) فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروى فرقة مكان ملة وفي الحديث روايات مختلفة (كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله) هكذا روي ولو عطفه على مقدر أي ما عداهم ومن هم أو هي زائدة (قال هم الذين على الذي أنا عليه وأصحابي) وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره ولا عصر الخلفاء الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار أصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد ألف في بيانها تآليف أجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون في اعتقادهم ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث في الاعتقاد من غير اعتقاد ارتكاب تأويلات بعيدة وزعم الطوسي وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدواني في شرح العقائد كما بيناه في حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج لتأويل كما توهم (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الاصفهاني في ترغيبه وغيره (من أحيى سنتي) أي أظهرها بالعمل بها والحث على

اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحياء ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذي رواه أبو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها (فقد أحياني) أي أظهر ذكري ورفع أمري فجعله بمنزلة احيائه كما قيل
وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر
(ومن أحياني) ببقاء ذكري وشرعي (كان) أي تحقق ان جزاءه ان يكون (معي في الجنة) والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له لتذهب نفسه كل مذهب (وعن عمرو بن عوف) بن زيد بن مليحة (المزني) الصحابي وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث) بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن أبو عبد الرحمن المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة (من أحيى سنة من سنتي قد أميتت بعدي) أي تركت وترك العمل بها فأشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم وسنته طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحياء وتختص بالحيوان حقيقة (كان له من الاجر) أي الثواب (مثل من عمل بها) فيه مضاف مقدر أي أجر من عمل بها (من غير ان ينقص ذلك) أي الاجر الذي له (من أجورهم شيأ) دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص أجرهم (ومن ابتدع بدعة ضلالة) وفسرها بقوله (لا ترضى الله ورسوله) لانها بدعة غير مرضية (كان عليه مثل آثام) بالمد جمع اثم وهو الوزر (من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيأ) وهذا رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه وفي من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيأ وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لان هذا وزره وكسبه لانه بعلمه سنها لهم وأرشدهم لفعلها وحسنها لهم فكان في قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار مثل آثام العاملين بها من جهة انه كان طريقهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال عليه من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل فله ماله وعليه ما عليه أي مثله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بئرا فوقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور وهو لا ينافي الآية اما لان المراد بها ان وزر غيره لا ينتقل له أو لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة وأخذ من الخبر المذكور ان الداعي الى الاثم كفاعله وقد صرح به في بعض الروايات قال شيخ والدي الشهاب بن حجر في شرح المشكاة لكن لو تاب الداعي الى الاثم وبقي العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها أولا لان شرطها رد الظلامة والاقلاع وما دام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم أر في ذلك نقلا والذي ينقدح الآن الثاني انتهى وفيه نظر ظاهر
(فصل وأما ما ورد عن السلف) الصالحين يعني الصحابة والتابعين في أول القرون وأما الاشارة الى انه قسيم لما قبله مما في القرآن والحديث ولذا قال ورد (والائمة) يعني من بعدهم من العلماء والمجتهدين (من اتباع سنته) أي من طريقته وهو بيان لما وفي نسخة في اتباع متعلق بورد بمعنى جاء (والاقتداء بهديه وسيرته) عطف تفسير لما قبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة أيضا (حدثنا الشيخ) أصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة مفيد الطلبة العلم لانه في الغالب يكون مسنا وهذا مما

الترمذي وحسنه ابن ماجه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيى سنة) أي من سنتي (قد أميتت بعدي) بترك ذكرها أو العمل بها (فان له من الاجر مثل من) أي مثل أجر من (عمل بها من غير ان ينقص) أي ذلك الاجر الذي يكون له (من أجورهم) أي من أجور من عمل بها تبعا له (شيأ) مفعول ينقص وقد اعتبر في ضميرهم معنى من دون لفظها (ومن ابتدع بدعة ضلالة) بالاضافة أو بالوصف أي بدعة سيئة كالبناء على القبور وتجصيصها الابدعة مستحسنة كالمنارة وترصيصها (لا ترضى الله ورسوله) من الارضاء صفة كاشفة والمعنى لا تكون موافقة للكتاب والسنة ولا مأخوذة من القياس أو اجماع الامة (كان عليه) أي من الاثم (مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيأ) أي من آثام من عمل بها تبعا له (فصل وأما ما ورد عن

 السلف) أي الصالحين من الصحابة والتابعين (والائمة) أي العلماء العاملين المجتهدين في أمر الدين (من اتباع سنته) وفي نسخة في اتباع سنته فالجار متعلق بورد وعلى الاول بيانية (والاقتداء بهديه) أي طريقته (وسيرته) أي هيئته فالاول بيان الكمية والثاني بيان الكيفية أو هما ايماء الى قاله وحاله وهذا الامر التقريري أولى من القول بالعطف التفسيري حدثنا (الشيخ

أبو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن أبي تليد) بفتح فوقية وكسر لام التحتية (الفقيه) أي الكامل في الفقه (سماعا عليه) أي لا قراءة لديه ولا بواسطة اليه (قال ثنا) أي حدثنا (أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر (ثنا) أي حدثنا (سعيد بن نصر ثنا) أي حدثنا (قاسم بن أصبغ) بفتح همزة وموحدة وغين معجمة منونة كذا في نسخة مضبوطة والظاهر انه غير منصرف كاحمد وأسلم والله تعالى أعلم (ووهب بن مسرة) بفتح ميم وسين مهملة وتشديد راء (قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا) أي حدثنا (يحيى بن يحيى) الليثي

راوي الموطا وفي نسخة اقتصر على يحيى الاول لشهرته فتامل (ثنا) أي حدثنا (مالك) وهو الامام صاحب المذهب (عن ابن أبي شهاب) أي الزهري (عن رجل من آل خالد بن أسيد) بفتح فكسر وفي نسخة بالتصغير وخالد أخو عتاب أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم وأما الرجل فغير معروف (انه سال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا أبا عبد الرحمن) يكتب بلا ألف ويقرأ بها على الصحيح (انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن) أي في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية الى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (ولا نجد صلاة السفر) أي بوصف القصر في القرآن صريحا والا فصلاة الخوف متضمنة للقصر في الآية على ما ورد في السنة فقال

عمر

ابن عمر يا ابن أخي) أي في الاسلام جريا على عادة العرب في خطاب الاقوام وايماء الى الشفقة على الانام (ان الله بعث الينا محمدا عليه الصلاة والسلام ولا نعلم شيا) أي من حقيقة الاحكام (وانما نفعل كما رأيناه يفعل) أي فنتبعه ونقتدي به في جميع أموره وقد رأيناه يقصر في السفر فقصرنا معه بل وقد أمرنا بالقصر وأوجب علينا هذا الامر بقوله هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب ولذا قال أبو حنيفة بان الاتمام اساءة ومكروه كراهة تحريمية والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبين للشريعة بالكتاب والسنة فمن ترك شيا منهما فقد وقع في الضلالة والبدعة والحديث رواه مالك والنسائي وابن ماجه (وقال

استعمل قديما وأول من أطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضي الله عنه كما قاله السخاوي رحمه الله تعالى (أبو عمران موسى بن عبد الرحمن) الرعيني علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته (ابن أبي تليد) بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم (الفقيه سماعا عليه) وهذا الحديث من أحاديث الموطا ورواه النسائي وابن ماجة قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته قال (حدثنا قاسم بن أصبغ) بالغين المعجمة كما تقدم (ووهب بن ميسرة) كذا في بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمساني انه مسرة مفعلة من السرور ووهب يحرك ويسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرح بن بكر التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة انتهى (قالا) بالتثنية وهو الصحيح وروى قال أي كل واحد منهما أو اكتفاء باحدهما (حدثنا محمد بن وضاح) تقدم أيضا قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي راوي الموطأ قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة الغني عن البيان (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري وقد تقدم بيانه (عن رجل من آل خالد) أي أهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبي لا أعرفه وقال التلمساني هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين أو بضمها وفتح السين والاول أصح وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب أحد ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وأمية عبد الله بن أبي بكر وأمية هذا يروي عن ابن عمر توفي سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن أمية بن عبد الله الى آخره وهو خالد هو (ابن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر وياء ودال مهملة وهو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس أخو عتاب (انه سال عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر) بفتحتين أي الصلاة من غير قصر مذكورة (في القرآن ولا نجد صلاة السفر) المقصورة في القرآن (فقال ابن عمر) في جوابه (يا ابن أخي) هذا جار على عادة العرب في الشفقة بالصغير وقولهم له يا ابني ويا ابن أخي كما يقال للكبير يا أبي ويا عمي (ان الله بعث الينا محمدا) أي نبأه وأرسله صلى الله تعالى عليه وسلم (و) نحن (لا نعلم شيأ) من أمور الدين (فانما نفعل كما رأيناه يفعل) وروي ما رأيناه بدون كاف وما موصولة أو مصدرية أي نقتدي به في ما جاء به وهذا هو المقصود وهنا أما صلاة الخوف فقد ذكرت في القرآن وهي سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم وأما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت في القرآن في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الآية ولذا سألوا عنها الآن اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيأ مقيدا بشرط ويبينه على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها أحاديث أخر (وقال

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) أي ابن مروان بن الحكم الاموي القرشي وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو تابعي جليل وامام جميل وسادس الخلفاء على ماقيل روى عن عبد الله بن جعفر وأنس وابن المسيب وجماعة وعنه ابناه والزهري وعدة أخرجه أصحاب الكتب الستة مات بدير سمعان من أرض حمص سنة احدى ومائة وله من العمر أربعون ومدة ولايته سنتان وخمسة أشهر وأيام ومناقبه ظاهرة ومراتبه متواترة وهذا الحديث رواه عنه اللالكائي في السنة انه قال (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي شرع طريقة مرضية (وولاة الامر) أي وسن الخلفاء الراشدون (بعده سننا) أي موافقة لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر رضي الله تعالى عنه الناس على أبي بن كعب في صلاة التراويح وأمر عثمان رضي الله تعالى عنه بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الآفاق (الاخذ بها) أي العمل بسنته وسنة من بعده (تصديق لكتاب الله) أي حيث قال وما آتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) أي في طاعة رسوله لقوله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي والمراد الخلفاء الاربعة رضي الله تعالى عنهم وان عم كل من سار بسيرتهم من الائمة (وقوة على دين الله) أي واستعمال سنته وسنة من أتى على طريقته تقوية على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لاحد تغييرها) أي بزيادة ونقصان فيها (ولا تبديلها) أي بغيرها ظنا انه أحسن منها (ولا النظر) أي ولا يجوز لاحد النظر (في رأي

من خالفها) أي بلا دليل شرعي من اجماع أو قياس بل بمجرد رأيه واتباع عقله وقد تسفه الدجى هنا من قلة فهمه وكثرة جهله وسوء ظنه بالامام الاعظم والهمام الافخم الاقدم حيث قال وكفاك هذا حاكما بالغا قول من قال بنفوذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو أقام رجل شاهدي زور ان فلانة امرأته فشهدا بذلك جازله ان يطأها مع علمه بانها ليست زوجته

عمر بن عبد العزيز) الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله تعالى عنه (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أتى بأفعال وأقوال وطريقة شرعها هو (وولاة الامر بعده) بضم الواو جمع وال وهو من يتولى أمور الناس والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون (سننا) جمع سنة (الاخذ بها) أي العمل بها واتباعها (تصديق بكتاب الله) بالباء واللام لانه أمر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين (واستعمال لطاعة الله) لان طاعتهم طاعته في الحقيقة لانهم لا يقولون شيأ من عند أنفسهم وانما يقولون ما روه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أو ما استنبطوه من الكتاب والسنة (وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها) أي تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه (ولا تبديلها) ببدل لها مغاير لها وهو أخص من التغيير لشمول الزيادة والنقص ويجوز ان يكونا بمعنى (ولا النظر في رأي من خالفها) أي لا يلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها أصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده (من اقتدى بها) أي عمل بتلك السنن فهو (مهتد) لانهم على هدى من الله (ومن انتصر بها فهو منصور) على من خالفه (ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد أو عمل (ولاه الله ما تولى) أي جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة (وأصلاه جهنم) أي أدخله فيها (وساءت مصيرا) جهنم وفي ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع (وقال الحسن ابن أبي الحسن) هو

وهذا مما يرد به كتاب ولا سنة انتهى ولا يخفى ان الخلق عيال أبي حنيفة في الفقه كما صرح به الشافعي فهل يتصور لامام المجتهدين ان يتكلم برأيه المجرد في أمر الدين أو يتوهم أن يكون جاهلا بالكتاب والسنة وهو امام الائمة ومقتدى أكثر الامة فهذا ظن فاسد ووهم كاسد ولكنه خلف لسلفه كما بينته في تشييع الحنفية لتشنيع الشافعية مع ان المسئلة المذكورة هي الرواية المشهورة عن علي كرم الله وجهه حيث قال شاهداك زوجاك فبهذا علم ان هذا القائل لم يصل الى مقام الاجتهاد والتأييد بل هو واقع في حضيض التقليد بل حمله عليه التعصب الجاهلي والتكسب الغافلي حيث تكلم بهذا القيل ولم يعرف ان المجتهد أسير الدليل كما قال الشافعي بجواز نكاح الرجل وطئه بنته الحاصلة من الزنا ناظرا الى ما قام عنده من الدليل مع عدم التفات الى قبح صوري في هذا القيل والله سبحانه وتعالى يهدي سواء السبيل (من اقتدى بها) أي بسنته وسنتهم (مهتدي) أي مادام مقتديا بها وفي نسخة فهو مهتد (ومن استنصر بها) أي استعان بها واستوثق بسببها واستدل على مطلوبه بدلولها (منصور) أي فهو منصور كما في نسخة (ومن خالفها) أي فلم يتمسك بها وعمل بغيرها (واتبع غير سبيل المؤمنين) أي المجتمعين عليها (ولاه الله ما تولى) أي جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الوبال (وأصلاه جهنم) أي ادخله فيها واحرقه بها (وساءت) أي قبحت جهنم (مصيرا) أي مرجعا له ولمن تبعه والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقال الحسن ابن أبي الحسن) أي البصري رحمه الله تعالى

(عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) وقد سبق هذا الحديث مرفوعا فلعله جاء عنه موقوفا أيضا فلذا ذكره هنا مكررا ليكون لتأكيد الامر مقررا والمعنى ان الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة (وقال ابن شهاب) أى الزهرى كما أخرجه عنه اللالكائى فى السنة بلغنا (عن رجال من أهل العلم) أى من الصحابة والتابعين (قالوا الاعتصام بالسنة نجاة) أى الاستمساك بها سبب خلاص من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما فى سنن سعيد بن منصور عنه رضى الله تعالى عنه (الى عماله) أى بالامصار (بتعلم السنة) أى الاحاديث أو السنن وفى نسخة بتعليم السنة أى للناس (والفرائض) أى تفصيلها وتمييزها عما عداها أو اريد بها علم الفرائض وقسمة المواريث (واللحن أى اللغة) تفسير من أحد رواة الحديث أو من المصنف والمراد باللغة أصولها المفردة الشاملة لعلم الصرف وفروعها المركبة الكافلة لعلم النحو المتعلق بالمبانى وكذا علم البيان والمعانى (وقال) أى عمر رضى الله تعالى عنه أيضا على ما رواه الدارمى (ان اناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) تفسير فى الاصل أى بظواهر الآيات القرآنية ومجملات الدلالات الفرقانية (فخذوهم بالسنن) وفى نسخة بالسنة أى فغالبوهم بالاحاديث النبوية لانها مبينة للاحكام الدنيوية والاخروية وهذا معنى قوله (فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى) أى من غيرهم لانهم جامعون بينهما بخلاف من اقتصر على معرفة أحدهما فالمراد بأصحاب السنن العلماء بالحديث المبين للكتاب واما قول الدلجى كالبخارى ومسلم وأبى داود فخارج عن صوب الصواب (وفى خبره) أى خبر عمر الذى رواه مسلم عنه (حين صلى) أى عمر رضى الله تعالى عنه (بذى الحليفة) بالتصغير وهو مكان معروف قرب المدينة ميقات أهلها ومن مر بها من غيرها (ركعتين) أى سنة الاحرام ولبى فى ذلك المقام (فقال أصنع) أى أفعل أنا (كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) أى فى حجته محافظة على سلوك محجته واتباع سنته وطريقته وحجته والظاهر انه أراد القرآن كما يدل عليه قوله (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان

الحسن البصرى كما تقدم (عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) تقدم هذا وقد بينا معناه وقيل لاتكرار فيه لانه ذكره أولا خبرا وذكره هنا أثرا وفيه نظر (وقال ابن شهاب) الزهرى (بلغنا عن رجال من أهل العلم) انهم (قالوا الاعتصام بالسنة) أى التمسك بها (نجاة) مما يخافه المرء فى الدنيا والآخرة وفى القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية أو من تلبس بالسنة حفظ من ان يقع فى معاصى الله وفيه حث على حفظها والعمل بها (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى عماله) ونوابه وأمرهم (بتعليم السنة) أى ماروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله فى أسفاره واقامته (والفرائض) أى قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها من أشراط الساعة (واللحن) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله (أى اللغة) والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلمى البلاغة وقال الزهرى معناه تعلموا لغة العرب فى القرآن واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحاء كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول والخطأ فى الاعراب وقال الزمخشرى معنى اللحن فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع فى القرآن والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور فى سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابى ان اللحن بالسكون الفطنة والخطأ وقال غيره من أهل اللغة الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه فى أثر آخر رواه عن الدارمى (ان ناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) أى يخاصمونكم وينازعونكم فى بعض الاحكام التى قلتم بها فيقول القرآن فيه ما يخالف كم نظرا لظاهره مما بينته أو خصصته أو نسخته السنة (فخذوهم) أنتم حجوهم واغلبوهم (بالسنن) الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فان أصحاب السنن) أى علماء الحديث ونقاده (أعلم بكتاب الله) أى بمعانى القرآن ممن يتمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومأوله فان تفسير القرآن انما يعلم من السنة (وفى خبره) أى خبر عمر الذى رواه عنه مسلم (حين صلى) عمر رضى الله تعالى عنه (بذى الحليفة) بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة أو سبعة أو اربعة أميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات أهل المدينة والشام الذى يحرمون منه (ركعتين) اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن أراد ان يحرم بنسك مؤكدة عند أكثر الفقهاء فى تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصرى فانه استحب كونه أى الاحرام بعد صلاة فرض لانه روى انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسال عنها ولم يحتج لقوله (فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) فاقتدى بآثاره وكل ما صنعه (وعن على) بن أبى طالب كرم الله وجهه فى أثر رواه عنه البخارى والنسائى

(حين قرن) بين الحج والعمرة وقيل أي تمتع اذ القران قد يطلق على التمتع من حيث ان القارن متمتع أيضا بسقوط احدى السفرتين وحصول ثواب الهدي بالجمع بين العبادتين كما انه قد يطلق التمتع على القران بالمعنى اللغوي الشامل للمعنى الشرعي ولعل قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة من هذا القبيل (فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه) وهو الصواب بخلاف ما في نسخة فقال له (ترى) من الرأي لا من الرؤية أي تعلم (اني انهى الناس عنه) أي عن القران أو التمتع (وتفعله) أي أنت مخالفا لامري (قال) أي علي لعثمان (لم أكن أدع) أي وادعا وتاركا وروي لأدع (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول أحد من الناس) وفيه دليل صريح ونقل صحيح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا في حجة الاسلام ويدل عليه سكوت عثمان على وجه الالزام وكانه كان يظن ان أفضل أنواع الحج هو الافراد والتمتع مبنيا على ان أشهر الحج تكون مخصوصة بالحج وان العمرة تقع في غيرها قبلها أو بعدها كما كان عليه أهل الجاهلية قبل حجه عليه الصلاة والسلام من ان العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور ٣٣٣ ولدفع هذا الامر أمر صلى الله تعالى

والنسائي (حين قرن) بين الحج والعمرة في حجة حجها (فقال له) أي لعلي (عثمان) بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمرو والصحيح رواية ان القائل له عثمان رضي الله تعالى عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ (تراني) وفي نسخة ترى اني أي تعلم أو تشاهدني وانا (انهى الناس عنه) أي عن القرآن (وتفعله) أنت فانكر عليه عدم اتباعه له (قال) علي لعثمان رضي الله تعالى عنهما (لم أكن ادع) واترك (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الناس) أي لاجل أحد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتدي بغيره مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلي رضي الله تعالى عنه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والمتعة تستعمل بمعنيين أحدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمي متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلي رضي الله تعالى عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه للآفاقي أو لئلا يتوهم أحد انه ممتنع وكل منهما مجتهد مأجور وهذا مبني على مسئلة أصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم على أحد قولي الصحابة فذهب أحمد وأكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية وأكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع أم الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم أجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على ما روي من ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أجل ولكنا كنا خائفين يعني ان فعله ذلك لعارض لانه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قاله علي وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان

عليه وسلم بعض الصحابة بفسخ الحج للعمرة ولعله مابلغ عثمان هذا المعنى أو كان له تأويل في هذا المبنى وقد قيل وانما نهى عثمان عن المتعة لتكون أشهر الحج للحج لا لغير ولتكون العمرة في غيرها حتى يزار البيت في أشهر الحج وبعدها وقيل انما نهى عنها لمنفعة أهل مكة ليكون لهم موسمان في كل عام والله أعلم وحمل فعله صلى الله تعالى عليه وسلم على أحدهما الا على الجمع بينهما كما عليه المحققون الذين جمعوا بين الرواية والدراية هذا وقال الحلبي في النسخة التي وقفت عليها فقال له عمر وفي الهامش عثمان عوض عمرو عليه صح وفي صحيح البخاري وسنن النسائي كلاهما في الحج من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلما رأى علي نهيه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة وقال ما كنت لادع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول أحد وأخرج الشيخان والنسائي كلهم في الحج من حديث سعيد بن المسيب قال اجتمع علي وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي ما تريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنهى عنه دعنا منك فقال اني لا استطيع ان أدعك فلما رأى علي ذلك أهل بهما جميعا وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن شقيق كان عثمان ينهى عن المتعة وكان علي يأمر بها فقال عثمان لعلي كلمة فقال علي لقد علمت انا قد تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل ولكنا كنا خائفين انتهى ولا يظهر وجه الخوف فانه عليه الصلاة والسلام حج بيت الله الحرام بعد فتح مكة وغلبة أهل الاسلام ثم المراد بالتمتع التمتع اللغوي وهو القران فلا مخالفة بين الاحاديث المروية عن علي كرم الله تعالى وجهه والله أعلم

(وعنه) أي عن علي وهو غير معروف عنه (انى) وفي نسخة صحيحة لا انى أي انتبهوا فانى (لست بنبي) أي لا يوحى الى بوحي جلي (ولا يوحى الى) أي بوحي خفي أعمل به (ولكني أعمل بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة وسنة نبيه (ما استطعت) أي قدر ما قدرت بحسب الطاقة البشرية (وكان ابن مسعود يقول) كما رواه الدارمي والطبراني واللالكائي في السنة عنه وعن أبي الدرداء (القصد في السنة) أي التوسط في العمل بها بين الكثرة والقلة (خير من الاجتهاد في البدعة) أي أحسن من المبالغة في بذله الوسع والطاقة والكثرة من الطاعة في حال الاخذ بالبدعة ولو كانت مستحسنة واما تقييد الدلجي بالضلالة فنشأ من بعض الجهالة لانها قوبلت بالسنة الثابتة ولا شك انها خير من البدعة الحسنة ولا معنى لمقابلتها ببدعة

الضلالة اذ لا خير فيها في جميع الحالة لا محالة (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما كما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر ركعتان) أي لا زيادة عليهما كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا في الليالي والايام (من خالف السنة) أي لم يقبلها (كفر) أي قارب الكفر أو كفر بالنعمة فان القصر رخصة وهي منة ولذا سمي صدقة وقيل من خالفها عنادا أو مستحلا فقد كفر وخرج عن دائرة الاسلام بامتناع قبول أحكامه عليه الصلاة والسلام وهذا اذا كانت السنة متواترة معلومة من الدين بالضرورة وتركها من غير تأويل لها (وقال أبي بن كعب) كما رواه الاصفهاني في ترغيبه واللالكائي في سننه (عليكم بالسبيل) أي الزموا طريق الطاعة (والسنة) أي ومتابعة الشريعة (انه ما على الارض من عبد) أي من عبيده سبحانه وتعالى (على السبيل) أي سبيل الله تعالى (والسنة) أي سنة رسول الله والمعنى يكون ثابتا على طريق الكتاب والسنة (ذكر الله في نفسه) أي في باطنه والمعنى بحضور قلبه سواء كان الذكر بلسانه أو بمجرد ذكر جنانه ولا شك ان الجمع أولى لظهور برهانه فلا معنى لقول الدلجي أي بدون تلفظ لوضوح بطلانه (ففاضت عيناه) أي سالت دموعهما من أثر بكائه (من خشية الله) أي من خوف عقابه أو حجابه (فيعذبه) بالنصب أي الالم يعذبه (الله أبدا) أي لا في دنياه ولا في آخرته حيث طلب مرضاته مولاه وفي نسخة فيعذبه بالرفع

وهو اسم موضع معروف (وعنه) أي مما روى عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكروا من رواه عنه (الا انى لست بنبي ولا يوحى الى) بالبناء للمجهول (ولكني أعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت) أي ما لم أضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه (وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول) في أثر رواه الدارمي والطبراني عن أبي الدرداء (القصد) أصل معنى القصد التوجه الى جهة ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد (في السنة) أي في سلوك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خير من الاجتهاد) أي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله (في البدعة) وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر) أي المقصورة فيه وجوبا أو استحبابا (ركعتان من خالف السنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا (كفر) أي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله تعالى عليه وسلم عنادا أو أنكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليه من احسانه عليه بتسهيل أمره (وقال أبي بن كعب) رضي الله تعالى عنه فيما رواه الاصبهاني في ترغيبه وغيره وأبي هو المنذر النجاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان (عليكم) هو هنا اسم فعل بمعنى التزموا أو تمسكوا (بالسبيل) أي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله تعالى (والسنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم يقل ان العطف تفسيري وهو جائز (فانه) تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان (ما على الارض) الظاهر ان المراد بمن عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم أكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد (من عبد) من زائدة للاستغراق (على السبيل والسنة) متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليها فهو تمثيل (ذكر الله في نفسه) صفة مخصصة لعبد (ففاضت عيناه) أي فاض ماء عينيه ببكائه (من خشية الله تعالى) وخوفه وفي نسخة من خشية ربه (فيعذبه الله تعالى أبدا) أي الا لم يعذبه الله أبدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره أيضا ويعذبه بالنصب في جواب النفي المحض كقوله لا يقضى

عليهم فيموتوا (وماعلى الارض من عبد على السبيل والسنة) أي متق سلك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومصدقا به في أقواله وأفعاله (ذكر الله في نفسه) أي أحضره في قلبه وذهب لملاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور والمراد به المقارن للشكر لانه لا يفيض ماء عينيه الا التصور واحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور والمجرد والمقارن للذكر اللساني ولا يخفى ما فيه (فاقشعر جلده) اقشعر بالتشديد أي أخذته قشعريرة وهي الرعدة كما في القاموس (من خشية الله) أي من شدة خوفه قال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء انتهى (الا كان مثله) بفتحتين أي صفته وحاله العجيبة (كمثل) بفتحتين أي كهذه الصفة (شجرة) ذات أغصان وورق (قد يبس ورقها) صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطئة للتحات الآتي لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة (فهي كذلك) أي فهي دائمة قائمة على هذه الحالة من قدم أوراقها ويبسها وأصله فبينما هي كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) والريح مؤنثة (فتحات عنها ورقها) أي سقط وفي القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحت انتهى وفتحات بفتحات وتاء مشددة آخره مطاوع حته (الا حط الله خطاياه) المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهي الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تأكيدا لبعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استئناف جواب المقدر كأنه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه خطاياه (كما تحات) أصله تتحات مضارع بمعنى تسقط (عن الشجرة ورقها فان اقتصادا) أي اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ماقبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله أو تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما في نفسه (في سبيل الله وسنة) عبر به لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتداء محيط بعلمه احاطة الظرف بالمظروف (خير من اجتهاد) أي زيادة وبذل جهده وطاقته (في خلاف سبيل الله وسنة) أي بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم تفسيره (وانظروا) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل وهذا تتميم لما قبله وتأكيد له (ان يكون عملكم ان كان اقتصادا أو اجتهادا) أي تدبروا في جميع أعمالكم قليلة كانت أو كثيرة سواء بالغتم فيها أو لم تبالغوا (ان تكون) أعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله أو تأكيد له واعاده للفصل بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة هي المصدرية لا شرطية مكسورة (على منهاج الانبياء) أي على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح (وسنتهم) أي طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال الله فبهداهم اقتده وحريه باعتبار التوحيد والعقائد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا مأمورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة

(وماعلى الارض من عبد على السبيل) أي الطريقة المرضية (والسنة) أي الهيئة السنية (ذكر الله في نفسه) أي من غير ان يتعلق به الرياء والسمعة (فاقشعر جلده) أي انقبض واجتمع (من خشية الله) أي من عظمة مولاه (الا كان مثله) بفتحتين أي صفته العجيبة وحالته الغريبة (كمثل شجرة قد يبس ورقها) أي أوراقها وذهب رونقها ورواجها (فهي كذلك) أي فبينما هي في أوقات كونها كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) أي من جوانبها (فتحات) بتشديد الفوقية الثانية أي فتناثر (عنها ورقها) كرر بدلا أو تأكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل (الا حط عنه خطاياه) بصيغة المجهول أي وضع عنه ذنوبه ومحي عنه عيوبه (كما تحات عن الشجرة ورقها) أي تساقط (فان اقتصادا) أي توسطا (في سبيل) أي في طريق خير (وسنة) أي طريقة حسنة من كتاب وسنة (خير من اجتهاد) أي مبالغة في الطاعة وسع الطاقة (في خلاف سبيل وسنة) أي في مخالفتهما (وموافقة بدعة) أي ولو حسنة لا بدعة ضلالة كما قاله الدلجي هنا أيضا وهذا عطف تفسير ولم يوجد في بعض النسخ (وانظروا) أي وتأملوا حرصا منكم (ان يكون عملكم ان) كان (اجتهادا أو اقتصادا) أي مبالغة في الجد أو توسطا في الجهد (ان يكون) بدل من ان يكون الاول أو تأكيد له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط والمعنى ان يوجد (على منهاج الانبياء عليهم السلام) أي شريعتهم ويروى مناهج الانبياء أي شرائعهم (وسنتهم) أي طريقتهم لتصلوا الى مقام حقيقتهم (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) أي نوابه

(الى عمر) أى اليه حال كونه (يخبره بحال بلده) أى عما عليه أهله من فساده (وكثرة لصوصه) أى سراقه ونهابه (هل نأخذهم) بالنون وفى نسخة صحيحة بالياء التحتية (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أى التهمة والمعنى هل نؤاخذهم ونعاقبهم بمجرد العلامات الدالة على أخذ السرقة عملا بالسياسة (أو) وفى نسخة أم (نحملهم على البينة) أى عند انكارهم (وماجرت عليه) فيه (السنة) وفى نسخة صحيحة وماجرت به السنة أى من ان البينة على المدعى واليمين على من أنكر (فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وماجرت عليه السنة) أى وبما يترتب عليها من غرم وقتل وقطع ونحوها (فان لم يصلحهم الله تعالى) أى بذلك (فلا أصلحهم الله) تعالى أى أيضا بخلاف ماهنالك ولا يبعد ان تكون الجملة الثانية دعائية والاول أظهر والمعنى ان الله تعالى حكيم فى صنعه وعليم فى حكمه فلا تجوز الزيادة والنقصان فى حده وقد روى ان بعض الملوك كان يقتل اللصوص بالسياسة ومع هذا تكثر السرقة فذكر ذلك لبعض العلماء هنالك فقال له اعمل بالسنة تندفع بها الكثرة فسمع كلام ذلك الامام وعمل بالشريعة فى تلك الاحكام فقلت السرقة فسأله عن الحكمة فقال لما كثرت مشاهدة قطع الايدى اعتبر أهل الفساد وقل اللصوص فى العباد (وعن عطاء) أى ابن رباح أو عطاء الخراسانى (فى قوله) أى فى تفسير قوله تعالى (فان تنازعتم) أى اختلفتم أنتم وأولوا الامر منكم (فى شئ) أى من أمور الدين (فردوه) أى ارجعوا فيه (الى الله والرسول أى الى كتاب الله وسنة رسول الله) أى الى حكمهما فيكم وهذا يشمل حياته ومماته أى عليه الصلاة والسلام (وقال الشافعى رحمه الله تعالى) وهو الامام المجتهد روى عن مالك وروى عنه أحمد وأخرج له أصحاب السنن الاربعة وذكره البخارى فى موضعين من صحاحه فى الركاز والعرية ويقال انه غيره ومال الى كل قول بعض وولد سنة خمسين ومائة يوم مات أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومات سنة أربع ومائتين (ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها) أى اقتداؤها علما وعملا قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا قريب فى المعنى مما يحكى عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وقال عمر رضى الله عنه) فيما رواه الشيخان (ونظر الى الحجر الاسود) جملة معترضة حالية (انك) والله كما فى نسخة حجر (لا تنفع ولا تضر) أى

لعمله فى الاموال والمصالح (الى عمر يخبره بحال بلده) أى يخبره بحال بلده الذى ولاه عليها وهى حمص كما قالوه (وكثرة لصوصه) عطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين يأخذون أموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائى فى السنة كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (هل يأخذهم) أى يحبسهم ويعاقبهم (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أى بمجرد الظن بانهم لصوص (أو يحملهم) أى يطلب منهم ويكلفهم (على البينة) كما فى قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أى تكلفوا حملها كما قاله الراغب وضمير يأخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلى كما تقدم (وماجرت عليه السنة) أى ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم فى بعض الاحيان (فكتب اليه) أى الى عامله (عمر) بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه (خذهم) أى أحكم عليهم (بالبينة وماجرت عليه السنة) أى وردت واستقرت عليه (فان لم يصلحهم الحق) أى حكم الشريعة دون السياسة والعنف (فلا أصلحهم الله تعالى) أى ينتقم منهم اذ لم يوافقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فبادار الحول وفيها سارق (وعن عطاء فى) تفسير (قوله) تبارك وتعالى (فان تنازعتم) أى اختلفتم أيها الناس (فى شئ) من أمور الدين (فردوه) أى ارجعوا فيه (الى الله و) الى (الرسول) أى الى ما قالاه (أى الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا مؤيد لما قاله عمر رضى الله تعالى عنه ولذا ساقه عقبه وهذا لا ينافى ماذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وماقاله عمر رضى الله تعالى عنه شئ آخر وعطاء هو عطاء ابن أبى رباح المفسر كان من كبار التابعين وتوفى سنة خمس عشرة ومائة (وقال الشافعى) الامام المشهور وامام الائمة وسلطان الامة (ليس فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لم يثبت فى حديث فى شريعته (الا اتباعها) أى اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبى واذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط وهكذا تبعه أئمتنا الشافعية رضى الله تعالى عنهم (وقال عمر) ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه عنه الشيخان (و) قد (نظر الى الحجر الاسود) فى طوافه والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة مؤذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له (انك حجر لا تنفع ولا تضر)

في حد ذاتك وهو لا ينافي ما ورد من انه يشهد لمن استلمه يوم القيامة (ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله) وهذا يدل منه رضي الله تعالى عنه على كمال المتابعة للسنة وخبر لولا واجب الحذف عند النحاة لان طول الكلام سد مسد الخبر مع الجواب لكن المسئلة مفصلة فان خبر لولا منقسم الى أقسام ثلاثة قسم واجب الحذف وهو ما دل على كون مطلق كقولك لولا زيد لهلك عمرو وقسم واجب الاثبات وهو ما دل على كون مقيد اذ لو حذف لما فهم المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله تعالى عنها لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة و بنيتها على قواعد ابراهيم فلو حذف حديثو عهد لكان المعنى لولا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة ومن جملة أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل فكل ما لم يفهم عند الحذف يتعين الاتيان به ومنه قول الشافعي

ولولا الشعر بالعلماء يزري * لكنت اليوم أشعر من لبيد

وكذا قول الخنساء ترثي أخاها صخرا

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي

ومنه قول عمر هذا والتقدير لولا رؤيتي تقبيل النبي عليه الصلاة والسلام مستصحبة لما قبلتك وقسم ان شئت أثبته وان شئت حذفته كقولك لولا أخو زيد ينصره لغلب فمن راعى الكون المطلق حذف ومن راعى الكون المقيد أثبت (وروئي) وفي نسخة رئي بكسر الراء وسكون الياء فهمزة على بناء المجهول من رء ما مقلوب رأى (عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد والبزار بسند صحيح (يدير ناقته في مكان) أي يطيفها حوله حتى عاد الى موضع أوله (فسئل عنه) أي عن سبب فعله وان ارادته لاي شئ (فقال لا أدري) أي وجهه وحكمته (ألا اني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) أي مرة وفي نسخة يفعله (ففعلته) أي اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم في فعله وهذا يشير الى ان أكابر الصحابة كانوا يتبعونه في الامور العادية أيضا (وقال أبو عثمان الحيري) بمهملة مكسورة فمثناة تحتية بنيسابور كان يسكنها وهو شيخ الصوفية بها ذكره الذهبي في المشتبه وفي نسخة الجنيدي بالتصغير وهو تصحيف وتحريف على ما قاله أبو القاسم القشيري في رسالته من نسبة هذا القول اليه والثناء عليه بقوله ثم أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيري المقيم بنيسابور وكان قد صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي ثم ورد بنيسابور مع شاه الكرماني على أبي جعفر الحداد وأقام عنده وزوجه أبو جعفر بنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين

أي لا تقدر على ضر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعاء عنده وسنديه (ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) أي في طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان أبيض كاللبن فسودته خطايا بني آدم كما رووه (ثم قبله) عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضي الله تعالى عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر و ينفع فان الله لما أخذ الميثاق على بني آدم في عالم الذر كتب ذلك في رق وألقمه الحجر الاسود وسيأتي يوم القيامة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه العهد وروى ان ذلك ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم فاقره وقد قلنا ان عمر رضي الله تعالى عنه كان عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الاحجار فخشي ان يضلوا او يعتقدوا انفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله في أرضه أي وضعه في الارض ليقبل كما يقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها وان تقبيله يفيض الانعام والرضى كتقبيل يد العظماء فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصة في ذاته كخاصة المغناطيس لجذب الحديد وفي الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعي رضي الله تعالى عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه وانما أراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين (ورئي) مبني للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه ما فيه من اللغات وآخره همزة بالقلب المكاني وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فيها ونعمت والا فهو تكلف لا حاجة اليه (عبد الله بن عمر) الصحابي المشهور رواه عنه أحمد بن حنبل والبزار بسند صحيح (يدير ناقته في مكان) وهو راكبها أي بلغت وجهها أو يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول (فسئل) عن فعله ذلك لاي شئ هو (فقال لا أدري) وجه ما فعلته وحكمته (الا اني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله) أي يدير ناقته في هذا المكان (ففعلته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتداء بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه أمر محتمل انه اتفاقي بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله أم لا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا بأس به وهو الظاهر وأما غيره فيكره الاقتداء به في مثله كما يفعله بعض الصوفية في اتباع آثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه (وقال أبو عثمان الحيري) شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحاء والراء

(من أمر السنة) بتشديد الميم أي من جعل السنة أميراً وحاكماً (على نفسه قولاً وفعلاً) أي واعتقاداً (نطق بالحكمة) لانه تبع من لا ينطق عن الهوى واختار سبيل الهدى (ومن أمر الهوى على نفسه) بان تبع رأيه وهواه في فعله وقوله وأمور دنياه أخراه (نطق بالبدعة) أي بالامور الخارجة عن طريق السنة والمائلة عن السبيل المرضي لمولاه (وقال سهل التستري أصول مذهبنا) أي معاشر الصوفية لاجماعة المتصوفة بشهادة

أي الاحوال الباطنة (والافعال) أي الاعمال الظاهرة (والاكل من الحلال) أي الطيب الخارج عن الشبهة (واخلاص النية في جميع الاعمال) أي تخليصها من شوائب الرياء والسمعة اذ قد تصير العادات بها عبادات والكل ماخوذ من مكارم افعاله ومحاسن أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وزيد في نسخة وقد كان على خلق عظيم (وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت كان خلقه القرآن) أي يأتمر باوامره وينتهي بزواجره (وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه) اي العمل الصالح الذي يرفعه الله تعالى أو يرفع الكلم الطيب الى الله تعالى (هو الاقتداء به) أي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة أي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقد فسر الكلم الطيب بقوله (لا اله الا الله)

المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفي آخره ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو أبو عثمان سعيد بن اسمعيل توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب أبي حفص النيسابوري كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقال انه صاحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على أبي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل انه الحنيذي بحاء مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا في أصل أبي العباس العزفي وهو مخالف لما في أصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفي بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة وفي بعضها الحميدي مصغر الحاء ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه أولاً واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وأقربها الجنيدي فانه كان على طريقته في الزهد ولم يكن في عصره أعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله تعالى عنه الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعاء والرحمة لهم (من أمر السنة على نفسه) وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة أي جعل سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطريقته (قولاً وفعلاً) أي في أقواله وأفعاله فهو منصوب على الظرفية أو تمييز محول عن المفعول أي جعلها أميراً عليه وحاكماً وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة أي أجراها وشاها عليه وهو بعيد (نطق بالحكمة) أي القول الصواب النافع له في الدنيا والآخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة (ومن أمر الهوى) أمر كالذي قبله ففيه استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه (نطق بالبدعة) أي بما يخالف الحق مما يزينه له الشيطان من الضلالة (وقال سهل التستري) وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة (أصول مذهبنا) أي التصوف أي قواعده التي تدور عليها (ثلاثة) أولها وأعظمها (الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم) واتباعه (في الاخلاق والافعال و) الثاني (أكل الحلال و) الثالث (اخلاص النية في الاعمال) وهذه الاصول وان كانت أصول الصوفية فهي أصول للشريعة أيضاً وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر (وجاء) أي ورد عن السلف في التفاسير المأثورة (في تفسير قوله) تعالى اليه يصعد الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه انه) بفتح الهمزة فاعل جاء (الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فانه العمل لا يكون صالحاً مقبولاً الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتداء به قولاً وعملاً وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس أي يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثاني المراد بالكلم الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل في

وقيل هو ذكر من تسبيح وتهليل وقراءة قرآن وغير ذلك والهاء في قوله يرفعه راجع الى الكلم الطيب وعليه أكثر المفسرين فمن قال حسناً وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل كما جاء في الحديث لا يقبل الله قولاً الا بعمل ولا عملاً الا بنية ولا نية الا باصابة

(وحكي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى) هو امام المذهب أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني الزاهد الرباني روى عن البخاري وغيره وعنه ابناه وجمع وفي نسخة ان أحمد بن حنبل (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) أي عن ثيابهم (ودخلوا الماء) أي بلا سترة والظاهر ان الجملة حالية والمعنى انهم تجردوا عن ثيابهم بعد ان دخلوا وسط الماء على ان الواو لمطلق الجمع (فاستعملت الحديث) أي اطلاق الحديث الذي رواه مثله الترمذي أيضا (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام) بصيغة النهي وقيل بالنفي واريد النهي بل هو أبلغ (الا بمئزر) بكسر ميم وسكون همزة ويبدل وفتح زاي الازار تستر عورته (ولم اتجرد) أي انا من ثيابي احتياطا في ذلك المقام (فرأيت) أي في المنام (تلك الليلة) أي القابلة من يوم تجردهم (قائلا يقول لي يا أحمد ابشر) أي بكل خير وفي نسخة ابشر يا أحمد (فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما أي يقتدى بك (قلت من أنت قال جبريل) عليه الصلاة والسلام

في كتب التفسير (وحكي) بالبناء للمجهول أي نقل لنا (ان) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده فانه أحمد بن محمد بن حنبل كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي ابن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي لانه تربى بها ودفن فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتأليف (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) من ثيابهم عريانا (ودخلوا الماء) للاغتسال (فاستعملت الحديث) أي عملت به فالسين للتأكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسي وقلت لا توافقي هؤلاء وهذا الحديث رواه مسلم والترمذي وهو (من كان يؤمن بالله) أي يصدق ويعترف بالله (واليوم الآخر) أي يوم البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء (فلا يدخل الحمام) المراد به كل مكان فيه ما يغتسل به ثم غلب في العرف على محل مخصوص (الا بمئزر) المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل (ولم أتجرد) انا أي لم اخلع ثيابي وأتعرى منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث (فرأيت) في المنام (تلك الليلة) أي في تلك الليلة التي تلي يوم تجردهم (قائلا) أي شخصا يقول لي (يا أحمد أبشر) أي مبشرا من الله بما يسرك (فان الله قد غفر لك) أي عفا عنك وانعم عليك بقبول ما صدر منك (باستعمال السنة) اي بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والعمل بحديثه (وجعلك اماما) يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب (قلت) لمن رأيته في المنام (من انت) استفهاما يريد به تعيينه عنده (قال جبريل) أي انا جبريل رسول الله الى عباده

(فصل ومخالفة أمره) أي بترك ما أمر الامة به (وتبديل سنته) أي تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتأويله على خلاف مراده (ضلال) أي عدول عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته (وبدعة) أي أمر أحدثه في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي المرادة هنا (متوعد عليها) أي ورد الوعيد لفاعلها في أحاديث كثيرة تقدم بعضها وفي آيات قرآنية (من الله بالخذلان) متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا (والعذاب) الاليم في الآخرة (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير أمره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في الآية وهو الذي بنى المصنف رحمه الله تعالى عليه كلامه هنا وفيه وجه آخر انه لله لانه الآمر الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الاليم في الآخرة (وقال الله تعالى ومن يشاقق الرسول) أي يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق آخر (من بعد ما تبين له الهدى) أي ظهر له الحق وثبتت معانيه بمعجزاته صلى الله تعالى عليه

(فصل)

(ومخالفة أمره) وكذا مناقضة نهيه بعد الانقياد لحكمه (وتبديل سنته) أي بتغييرها مبنى أو بتفسيرها معنى على خلاف مراده وطريقته (ضلال) أي في الاعتقاد (وبدعة) أي في الاجتهاد لا تصلح للاعتماد (ومتوعد) بفتح العين المشددة أي موعود (من الله تعالى عليه) أي ماذكر من المخالفة والمبادلة (بالخذلان) أي بترك النصرة له وعدم التوفيق للطاعة وخلق المعصية فيه في الدنيا (والعذاب) أي وبالعقوبة في العقبى (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي معرضين عنه أو مانعين عن مقتضى حكمه (ان تصيبهم فتنة) أي كراهة ان يلحقهم محنة وبلية في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي مؤلم في العقبى والآية دالة على ان الامر للوجوب الاكيد حيث رتب على تركه الوعيد الشديد (وقال تعالى ومن يشاقق الرسول) أي يخالفه لان كلا من المتخالفين يكون في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أي ظهر له الحق ببيان المولى

(ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى غير ماهم عليه من اعتقاد علم أو اعتماد عمل (نوله ماتولى) أى نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدعة (ونصله جهنم) أى ندخله فيها ونحرقه بها (وساءت) أى جهنم (مصيرا) أى مرجعالهم والآية مؤذنة بحرمة مخالفة الاجماع (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب) بتشديد الفوقية وفى نسخة أبو محمد بلفظ التثنية فان كلاهما مكنى بأبى محمد (بقراءتى عليهما) قيل هو فوق السماع لانه ادل على القابلية الظاهرة فى الطباع (قالا) أى كلاهما (ثنا) أى حدثنا (أبو القاسم حاتم ابن محمد ثنا) أى حدثنا (أبو الحسن القابسى) بالقاف وكسر الموحدة (ثنا) أى حدثنا (الحسين) وفى نسخة صحيحة الحسن (ابن مسرور الدباغ) أى صانع الدبغ أو بائعه (ثنا) أى حدثنا (أحمد بن أبى سليمان ثنا) أى حدثنا (ابن سحنون) بفتح سين وضم نون (ابن سعيد) وهو عبد السلام (ثنا) أى حدثنا (ابن القاسم ثنا) أى حدثنا (مالك) وهو امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كذا رواه مسلم وأبو داود عنه والنسائى عنه واختار المصنف طريق مالك فان بينه وبين مالك سبعة أشخاص وبينه وبين مسلم ثمانية (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) بتثليث الباء والفتح أفصح والظاهر ان المراد به مقبرة البقيع فى المدينة (وذكر الحديث) أى بطوله (فى صفة أمته) أى نعتهم وفضلهم حيث قال لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء الحديث (وفيه) وفى جملته (فليذادن) بفتح اللام القسمة وضم الياء وذال معجمة فالف ودال مهملة وهلما فنون مشددة من الذود وهو الطرد والبعد أى فليصدن وليمنعن (رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال) أى عن مزاحمة بعير الرجال فى الشرب من حوض ماء الزلال (فاناديهم) أى ظنا انهم من أصحابى وأهل ناديهم (فاقول ألا) أى تنبهوا (هلم) أى تعالوا واقبلوا وهو بلغة قريش يستوى فيه الواحد والجمع بخلاف بنى تميم فانهم يقولون هلم هلما هلموا هلمى والاول أفصح وبه ورد التنزيل قال هلم شهداءكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الخليل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أى جمعه كأنه أراد لم نفسك الينا أى اقرب والهاء للتنبيه وحذف ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا فى الامر بالاقبال

وسلم وهداية الله تعالى له لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى يسلك طريقا غير طريقهم فى الاعتقاد والعمل (نوله ماتولى) أى نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع (الآية) أى اقرأها يعنى قوله تعالى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل بهذه الآية على حجية الاجماع كما بين فى كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبى جعفر) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى وقد تقدمت ترجمته (وعبد الله بن عتاب) تقدم أيضا (بقراءتى عليهما) بيان لطريق روايته ويسمى عرضا (قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) تقدم قريبا قال (حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ) بسين مهملة منقول من اسم المفعول وهو على بن محمد بن مسرور توفى فى منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال (حدثنا أحمد بن أبى سليمان) هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى أبا جعفر توفى سنة احدى وتسعين ومائتين وقد ناهز السبعين قال (حدثنا سحنون) عبد السلام (بن سعيد) وستأتى ترجمته مفصلة قال (حدثنا ابن القاسم) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن العلاء بن عبد الرحمن) تقدم أيضا (عن أبيه عن أبى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) مثلثة الباء والكسر لغة قليلة فيها (وذكر الحديث فى صفة أمته صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء (وفيه) أى فى الحديث المذكور (فليذادن رجال عن حوضى) اللام فى جواب قسم مقدر ويذادن مبنى للمجهول بذال معجمة وألف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية أو ناهية أى لا يفعل أحدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضى على معنى التحذر والاشفاق ورجحت الرواية التى اختارها المصنف رحمه الله تعالى (كما يذاد البعير الضال) أى كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه وأتى ليدخل فى ابل أخرى ليستقى فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها (فاناديهم) اذا طردوا (ألا هلم ألا هلم ألا هلم) كرره ثلاثا تأكيدا على العادة فى نداء من ضل وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهى اسم فعل بمعنى أقبل وأحضر ويتعدى بنفسها وبالى واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوى فيها المذكر وغيره وهى بسيطة فى الاصل أو مركبة من هالم أو من هل أم وهذه لغة أهل الحجاز وهى الفصحاء لانها لغة القرآن ولغة غيرهم هلم

(فيقال) أي فيقول المانعون والدافعون وهم الملائكة الجامعون (انهم قد بدلوا بعدك) أي دينهم كفرا بدليل قوله (فأقول فسحقا فسحقا فسحقا) أي ثلاث مرات وهو بسكون الحاء وضمها بمعنى بعدا وانتصب بتقدير ألزمهم الله سحقا أو أسحقهم الله سحقا أي فابعدهم الله بعدا أو فطردهم الله طردا أو بدليل حديث انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم قال النووي اختلف العلماء في المراد بهم على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للسيما التي عليهم فيقال ان هؤلاء بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ما ظهر من اسلامهم وثانيا ان المراد بهم من كان في زمنه عليه الصلاة والسلام من أهل الاسلام ثم ارتدوا بعده فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه في حياته من اسلامهم فيقال ارتدوا بعدك والثالث ان المراد أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع

فلا يقطع لهؤلاء بالنار بل يجوز ان يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ثم اعلم ان في بعض النسخ فلا يذادن بزيادة ألف بعد اللام فتصير لا نافية وأكثر الرواة عن مالك في الموطأ على الاول ورواه يحيى ومطرف وابن نافع على الثاني ورده ابن وضاح بناء على الرواية الاولى وكلاهما صحيح المبنى بل النافية أفصح في المعنى أي فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك هنالك ومنه حديث فلا ألفين أحدكم على رقبته بعير أي لا تفعلوا ما يوجب ذلك فما في بعض حواشي الشفاء من ان قوله فلا يذادن لا معنى له (وروى أنس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي في حديث طويل مما رواه الشيخان عنه آخره (فمن رغب) وفي نسخة صحيحة من رغب (عن سنتي) أي أعرض عنها وما مال اليها (فليس مني) أي بمتصل بي أو ليس من اتباعي وأشياعي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين (من أحدث في أمرنا) ولمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا وفي رواية من أدخل في ديننا وهو كذلك في نسخة وفي أخرى في أمرنا هذا على ما في رواية صحيحة أي هذا الامر الواضح الكامل الذي لا يحتاج الى زيادة احداث (ما ليس منه) أي شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهرا أو خفي ملفوظ أو مستنبط وفي نسخة ما ليس فيه (فهو) أي ذلك المحدث أو ذلك الشيء المحدث (رد) أي مردود غير مقبول وهذا الحديث أصل في الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الاهواء والبدعة (وروى ابن أبي رافع) كما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه واسمه عبيد الله (عن أبيه) أي أبي رافع مولى النبي عليه الصلاة والسلام

وهلما وهلموا وهلمن فهي عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم أظهروا الاسلام وتوضؤوا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم يدعوا فان كان المراد أهل البدع من المؤمنين وأصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال النووي اختلف في المراد به على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال أنهم بدلوا بعدك ولم يموتوا على الاسلام الثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد أصحاب الكبائر والمعاصي الموحدين وأصحاب البدع فينادون عقوبة لهم (فيقال) بالبناء للمجهول أي يقول الله تعالى أو الملائكة أو من عرفهم من الصحابة (انهم قد بدلوا بعدك) أي غيروا سنتك وارتكبوا ما لم تعهده منهم وفي نسخة أنهم قد تبدلوا بعدك (فأقول سحقا سحقا سحقا) وفي نسخة فسحقا باعادة الفاء للتأكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا أي جعلهم الله في مكان سحيق أي بعيد وأصله من سحقه اذا فتته والسحق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعاء عليهم تقديره ألزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية أو هو مفعول به واذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا وقيل هل هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه أو لغيره أي أسحقه على حذف الزوائد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره أبو علي * أقول بل له داع لان سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه يقال أبعده الله أو سحقه كما قاله الراغب (وروى أنس) ابن مالك في حديث رواه الشيخان (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رغب عن سنتي) أي تركها لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته (فليس مني) أي ليس من اتباعي وأشياعي ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبرئ منه ورد له فهو في معنى الحديث الذي قبله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (من أدخل في أمرنا) أي أحدث بدعة في الدين وروي من أحدث وهما بمعنى (هذا) عبر باسم الاشارة اشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد (ما ليس منه) أي أمر مخالف للكتاب والسنة (فهو رد) أي مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفي انه نصف الدين (وروى ابن أبي رافع عن أبيه) وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه كما

(عن النبي) وفي نسخة ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته) نهي لنفسه عليه الصلاة والسلام ان يراهم في ذلك المقام مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها وجدهم كذلك لديها (يأتيه) حال ثانية أو جملة استئنافية بيانية أي يجيئه (الامر من أمري) أي حكمي (مما أمرت به أو نهيت عنه) أي مما هو غير ظاهر في الكتاب فيقول (لا أدري) أي غير القرآن (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد) أي الراوي أبو داود والترمذي والحاكم (في حديث المقدام) بكسر الميم الاولى وهو ابن معدي كرب روى عنه صلى الله تعالى ٣٤٢ عليه وسلم (الا) للتنبيه (وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى) أي فيجب اجتناب ما حرمه لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فالكتاب وحي جلي والسنة وحي خفي (وقال عليه السلام) كما رواه أبو داود في مراسيله والدارمي والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة (وجيء بكتاب) جملة حالية معترضة مؤذنة بانه سبب للمقالة أي وقد جيء بمكتوب من التوراة (في كتف) أي من الشاة والجائي به عمر أو ابنته حفصة أو عائشة رضي الله تعالى عنهم أو غيرهم ولا مانع من الجمع كما يشير اليه قوله (كفى بقوم حمقا) بضم فسكون أي حماقة وجهالة (أو قال ضلالا) أي ضلالة وغواية والشك من الراوي والباء زائدة في فاعل كفى ونصب ما بعده على التمييز المحول عن الفاعل والمعنى كفى الحمق أو الضلال قوما (ان يرغبوا) أي يميلوا أو يعرضوا (عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم) أي ملتفتين ومقبلين الى ما جاء به غير نبيهم يعني ولو كان نبيا الى غيرهم كما يدل عليه قوله عليه السلام في رواية ولو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي (أو كتاب) أي أو الى كتاب (غير كتابهم) أي النازل اليهم ولو كان في كتب الله تعالى الى غيرهم هذا ولفظ ما رووه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بقوم حمقا أو ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم (فنزلت أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي دائما ما بقيت الدنيا

تقدم قريبا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم) بالبناء للمجهول نهي لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان يجده ويراه على هذه الحالة (متكئا على أريكته) أي مترفها جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة (يأتيه الامر) جملة حالية تقريرا لبطره وسوء أدبه (من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري) ما أتيت به لا أدري غير كتاب الله (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) وقد تقدم قريبا الكلام عليه (زاد المقدام) في هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدي كرب الكندي المكني بابي صالح ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة (الا) بفتح الهمزة كلمة استفتاح (وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) لانه مبلغ عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القائل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم في أقواله وأفعاله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وأبو داود مرسلا (وجيء) مجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة (بكتاب) أي مكتوب (في كتف) أي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود لعزة الورق اذ ذاك والجائي به عمر رضي الله تعالى عنه أو ابنته حفصة أو عائشة كما قيل وقيل انه شيء كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم القاه (قال كفى بقوم) متعلق بكفى أو الباء زائدة في المفعول (حمقا أو قال ضلالا) شك من الراوي ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم في أمور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معهم بين أظهرهم كما بينه بقوله (ان يرغبوا) هو فاعل كفى أي رغبتهم (عما جاءهم به نبيهم) معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم (الى) ما جاء به (غير نبيهم) أي ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته (أو) ناظرين الى (كتاب غير كتابهم) الذي أنزله الله تعالى على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتداء به والسماع منه اعتناء لما له وهو بين وفيه اشارة الى انه كان أمرا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير (فنزلت) آية (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب) أي القرآن الذي ما فرطنا فيه من شيء فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبله والهمزة مقدمة من تأخير أو على مقدر معلوم من الحال أي قالوا ذلك ونقلوه ولم يكتفوا الى آخره وهذا سبب نزول الآية كما نقله في أسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم بآية من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى عليه الصلاة والسلام وناقة صالح عليه السلام فقال لهم الله تعالى لهم أولم يكفهم معجزة القرآن التي هي أعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال (يتلى عليهم الآية) وعبر بالمضارع والضمير لليهود أو المسلمين أو المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهي عن قراءة

الكتب

(وقال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) ماخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا أي المتعمقون في كلامهم الغالون في أقوالهم وأفعالهم المتكلمون باقصى حلوقهم البالغون في خوضهم (وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) كما رواه أبو داود وغيره (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) أي في حال (الا عملت به) أي اقتفاء بسنته الحميدة واقتداء بسيرته المجيدة (اني أخشى) أي أخاف خوفا عظيما (ان تركت شيأ من أمره) أي الذي كان عليه في دينه (ان أزيغ) أي أميل عن الحق والهدى وأقبل على موافقة النفس وموافقة الهوى

الكتب المنسوخة الا اصلاحة ممن يعرف النسخ والتحريف (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) أي وقع في أمر يهلكه يؤدي الى غضب الله تعالى وعقابه من تنطع أي بالغ وغالى في الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفلك الاعلى من الفم استعير لكل متعمق في قول أو فعل غيرهم وأصله من يفتح فمه في تكلمه وقال الخطابي المتنطع المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب أهل الكلام الخائض فيما لم يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه صرح أول الحديث وهو تعلموا الفرائض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم (وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) وهذا رواه عنه أبو داود والبخاري وغيرهما (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) من سنته في أقواله وأفعاله وأحكامه وهديه (الا عملته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعا لآثاره الحميدة (اني أخشى) أي أخاف (ان تركت شيأ من أمره) أي شانه وحاله الذي كان عليه عليه الصلاة والسلام (ان أزيغ) بزاي وغين معجمتين أي أميل عن الحق والسنة وأصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال الله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أي لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك والله أعلم

(الباب الثاني)

من القسم الثاني من الكتاب (في) ذكر مايدل على (لزوم محبته) أي وجوبها عن كل مكلف من أمته وفي نسخة فصل والصحيح الاول وجوبها عقلا وشرعا لقوله (قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم) أي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة أيضا فرقا بين المذكر والمؤنث (وعشيرتكم) وهم أقرباء النسب (وأموال اقترفتموها) أي اكتسبتموها وملكتموها (الآية) أي اقرأ ما بعد ما ذكر وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا (فكفى بهذا) المذكور في الآية (حضا) أي حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك وأصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى (وتنبيها) أي ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين (ودلالة) لهم على ما يجب في محبته (وحجة) أي اثباتا الدليل وجوب محبته عليهم والآخران بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبله لغيره (على التزام محبته) أي لزومها عقلا (ووجوب فرضها) عليهم شرعا (وعظم خطرها) أي قدرها وفائدتها وأصله ما يعطى عند الرهان

(الباب الثاني) في لزوم محبته عليه الصلاة والسلام) أي في ذكر مايؤذن بوجوب لزوم محبته لكل مكلف من أمته في لوازم ملته (قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم) أي أصولكم وفروعكم (واخوانكم) أي أمثالكم وأقرانكم (وأزواجكم) أي أشباهكم من نسائكم ورجالكم (وعشيرتكم) وفي قراءة وعشيراتكم بصيغة الجمع أي جميع أقاربكم أو كل من تعاشرونه وتصاحبونه ماخوذ من العشرة (وأموال اقترفتموها) أي اكتسبتموها (من النقود والاجناس الآية) وهي (وتجارة تخشون كسادها) أي تخافون قلة رواجها ونقصان نفاقها او نفادها (ومساكن) من البيوت والبساتين (ترضونها) يعجبكم سكونها أحب اليكم) حبا اختياريا (من الله ورسوله وجهاد في سبيله) أي من حب الله ورسوله ومجاهدة في طاعته وعبادته (فتربصوا) أمر تهديد أي فانتظروا (حتى يأتي الله بامره) أي بمحنة عاجلة أو لقمة آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يرشد الخارجين عن محبة الله ومرضاته الى موافقات نفوسهم وهوى متابعتها (فكفى بهذا) أي التهديد والوعيد الشديد (حضا) أي تحريضا وحثا (وتنبيها) أي تنبيها (ودلالة) أي واضحة (وحجة) أي لائحة (على الزام محبته) أي اثبات مودته عليه الصلاة والسلام وفي نسخة على التزام محبته أي قبولها (ووجوب فرضها) أي ثبوت حتمها (وعظم خطرها) بكسر العين وفتح الظاء المعجمة أو بضم فسكون والخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أي القدر أي عظمة شانها او رفعة قدرها

(واستحقاقه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لها) أي للمحبة الكاملة (عليه الصلاة والسلام) أي الكامل التمام (أذقرع) بفتح قاف وتشديد راء أي لانه وبخ (الله تعالى) أي ارتفع شأنه وسطع برهانه (من كان ماله) أي من تجارة ومساكن وغيرها (وأهله) أي ماله من الاقارب عموما (وولده) أي واولاده خصوصا (أحب اليه) أي الى نفسه (من الله ورسوله) أومن رضاهما او اتباع أمرهما (وأوعدهم) أي خوفهم (بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره) أي بالذي أراد بكم من سوء في الدنيا او العقبى أو فيهما جميعا (ثم فسقهم) بتشديد السين أي نسبهم الى الفسق (بتمام الآية) أي بما تتم الآية به في الدلالة وهو آخرها حيث قال والله لا يهدي القوم الفاسقين (وأعلمهم) أي بطريق الكناية (انهم ممن ضل) أي بخذلانه سبحانه وتعالى (ولم يهده الله تعالى) أي الى برهانه

(واستحقاقه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لها) أي للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

اللهم املأ قلبي بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يكون فيه محلا لغيركما (اذقرع) بفتح القاف والراء المهملة المشددة والعين المهملة أي وبخ قيل وفي أصل المصنف رحمه الله تعالى تقرع والصواب الاول (تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله (وأوعدهم بقوله فتربصوا) أي انتظروا أمره وفيه من التوبيخ ما لا يخفى (وفسقهم) أي وصفهم ونسبهم للفسق (بتمام الآية) أي بما ذكر في آخرها حيث قال الله تعالى (والله لا يهدي القوم الفاسقين) فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليتها وهو معنى قوله (وأعلمهم انهم ممن أضل ولم يهده الله) تبارك وتعالى (حدثنا أبو علي الغساني) الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته (فيما أجازنيه) يعني انه رواه عنه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصر له (وهو) أي هذا الحديث الذي رواه البخاري وغيره (مما قرأته على غير واحد) من المشايخ غيره فله في روايته طرق كثيرة أقوى من هذه وانما اختارها العلو سنده وجلالته (قال) الغساني (حدثنا سراج بن عبد الله القاضي) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو محمد الاصيلي ٢) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف) هو الفربري راوي البخاري وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد ابن اسمعيل) هو امام أهل السنة صاحب صحيح البخاري قال (حدثنا يعقوب بن ابراهيم) ابن كثير البغدادي الدورقي صاحب المسند وامام الحديث توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة أو الى صنعة الدوارق وهي نوع من القلانس قال (حدثنا ابن علية) بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية أخرج له أصحاب السنن الستة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة في كتاب الميزان وعلية أمه (عن عبد العزيز بن صهيب) علم منقول من المصغر وهو البناني الاعمى الامام الثقة الحافظ أخرج له الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة (عن أنس) بن مالك الصحابي المشهور (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطاب الموجودين والحكم عام بشهادة انه روي بغير خطاب في مسلم لا يؤمن عبد وفي رواية غيره أحد أي لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان (حتى أكون) بالنصب وهو غاية لما قبله (أحب اليه من ولده ووالده والناس

وتحقيق ايمانه (حدثنا أبو علي الغساني) بفتح الغين المعجمة وتشديد المهملة (الحافظ) أي الجياني (فيما أجازنيه) أي من غير سماع منه ولا قراءة عليه (وهو) أي هذا المروي (مما قرأته على غير واحد) أي على كثير من المحدثين غيره ولعله خصه بالرواية عنه لعلو سنده أو صحة نسبه (قال) أي الغساني (ثنا) أي حدثنا (سراج بن عبد الله القاضي ثنا) أي قال حدثنا (أبو محمد الاصيلي) بفتح فكسر (ثنا) أي حدثنا (المروزي) بفتح الميم والواو (ثنا) أي حدثنا (أبو عبد الله محمد ابن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (محمد ابن اسمعيل) أي البخاري صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (يعقوب بن ابراهيم) أي الدورقي البغدادي روى عنه أصحاب الكتب الستة وله مسند توفي في سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ثنا) أي حدثنا (ابن علية) بالتصغير هو الامام أبو بشر اسمعيل بن ابراهيم بن القاسم المشهور بابن علية وهي أمه روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة امام حجة أخرج له الستة (عن عبد العزيز ابن صهيب) بالتصغير هو البناني الاعمى التابعي أخرج له الجماعة وقال أحمد ثقة (عن أنس رضي الله تعالى عنه) وكرواة مسلم والنسائي (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) الخطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفي رواية مسلم عبد وفي رواية غيرهما أحد أي لا يكمل ايمان أحد بدلالة رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان والمعنى لا يعتد بايمانه (حتى أكون أحب) أي أشد حبا (اليه من ولده ووالده) أي خصوصا

(٢) قوله سقط المروزي بأصل الصلب ولعل الصواب ثبوته

(والناس أجمعين) أى وسائر الخلق عموما حبا اختيارا بالوجوب أكراماله عليه الصلاة والسلام واجلالا فى مقام الاحترام واعلم ان المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعى التابع لهوى النفس فان محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلا مؤاخذة به لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلى الاختيارى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف الطبع الاترى ان المريض يكره الدواء المر بطبعه ومع ذلك يميل اليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم أو ظن ان صلاحه فيه وكذلك المؤمن اذا علم ان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن انه عليه الصلاة والسلام أشفق الناس عليه وألطفهم اليه وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على أمر غيره وهذا أول درجات الايمان وأما كماله فهو ان يصير طبعه تابعا لعقله فى حبه عليه الصلاة والسلام قيل ومحبته نصر سنته والذب عن شريعته والاقتداء بسيرته (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه نحوه) مبتدأ متقدم الخبر والمعنى انه

روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بمعناه وان اختلف مبناه (وعن أنس رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين (ثلاث) أى خصال ثلاث (من كن فيه) أى من وجدن واجتمعن فى حقه (وجد) أى أدرك بنفسه (حلاوة الايمان) أى فى قلبه والتذبه كما يجد حلاوة العسل من تناوله غير ان الالتذاذ الاول عقلى روحانى والثانى حسى نفسانى والجملة خبر أو صفة لثلاث (ان يكون الله تعالى ورسوله) بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثانى أو خبر مبتدأ محذوف وهو هى أوهن ان يكون الله تعالى ورسوله عنده (أحب اليه مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما العموم ما والمعنى من كل شئ مما عداهما وفى تثنية ضميرهما هنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب ثناهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اشارة الى ان المعتبر فى المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة بانفرادها ودلالة على ان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فانه فى تقدير التكرير وقيل ان الجامع هنا يجوز له ما يجوز لغيره وقيل انما أنكره عليه لوقوفه على يعصهما وردبقوله قل ومن يعص الله ورسوله ويمكن دفعه بان المراد بالامر والابتداء به حين وقف عليه (وان يحب المرء) أى الشخص أعم من الرجل والمرأة واغرب الانطاكى حيث توهم ان المرء مختص بالرجل وأتى بما لا يناسب المقام فى تحصيل المرام (لا يحبه) أى لشئ (الا الله تعالى) أى لا لامر آخر أى فى مبتغاه وفيه ايماء الى ان محبة رسول الله أيضا انما هو لمحبة الله تعالى ورضاه

والناس أجمعين) ايثاراله صلى الله تعالى عليه وسلم واكراماله واجلالا واحب بمعنى أكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها فى الناس وقوله اليه لا يقتضى خروجها المغايرتها له من جهة كونه محبا وهى محبوبة والام وسائر الاهل داخل فى الناس أيضا ولا حاجة لادخالها فى الوالد كما قيل وسيأتى معنى محبتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه (نحوه) أى روى عنه حديث بمعنى الحديث المذكور (و) روى (عن أنس) خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام ثلاث) أى ثلاث خصال أو خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة أى رجل ضعيف (من كن) أى الخصال (فيه وجد حلاوة الايمان) خبر المبتدأ أو صفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة أو هو مجاز مرسل الخصلة الاولى (ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) جمع الله وغيره فى ضمير وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز أو انه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية أو ان هذا كان فى ابتداء الاسلام ووجود المشركين بين ظهرهم لاسيما اذا قصد المبالغة فى تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا يفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظى وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل (و) الثانية (ان يحب المرء) بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من (لا يحبه الا الله) أى يخلص فى محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء كما قاله ابن معاذ

و ان يكره ان يعود في الكفر) اثبات ايمانه وكمال ايقانه (كما يكره ان يقذف في النار) بصيغة المجهول أي يرمى في النار في هذه الدار
وذلك لان المرء لا يكمل ايمانه ولا يتحقق ايقانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم على الاطلاق في تقسيم الارزاق والاخلاق لا مانع سواه
ولا مانع ماعداه وان النبي عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبينه في ايصال المرام ساعي بهدايته له في المرتبة والمقام لاصلاح شأنه
ورفعة مكانه وذلك مشعر بوجوب تصحيح محبتهما وترجيح مودتهما (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه)
كما رواه البخاري (انه قال
للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لانت) أي والله
لانت (أحب الى من كل
شئ الا من نفسي) أي
روحي (التي بين جنبي)
صفة كاشفة أي التي في
بدني وبها قوام أمري
ونظام قدري ولذة حياتي
الموجبة لكراهة مماتي
وهذا تحري منه بناء على
صدق مقامه وحسن
مرامه حيث ظن ان المراد
بمحبته عليه الصلاة
السلام هو الحب الطبيعي
في هذا المقام (فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لن يؤمن أحدكم)
أي ايمانا كاملا (حتى
أكون أحب اليه من
نفسه) أي حبا اختياريا
يوجب اختيار محبة
رسول الله ورضاه على
محبة المخلوقين مما سواه
لقوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها وقوله
تعالى وما جعل عليكم في
الدين من حرج فلما
تفطن لهذا المعنى من هذا
المبنى (قال عمر والذى
أنزل عليك الكتاب لانت أحب الى من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه
الآن يا عمر) أي في هذا الزمان قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا ولا يبعد ان يكون الاستفهام مقدرا ابطالهذا الامر الذي وجب
ان يكون من أول الوهلة مقررا (قال سهل) أي ابن عبد الله التستري رحمه الله تعالى (من لم ير ولاية الرسول) أي أمره وحكمه (عليه)
أي جاريا على نفسه (في جميع الاحوال) وفي نسخة صحيحة في جميع أحواله أي من أفعاله وأقواله

(و) الثالثة (ان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار) لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له
واطمئنان قلبه وفي رواية بعد اذا نقذه الله تعالى منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر في حق من تلبس
بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع امامن ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق
الاولى وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدى العود بفي وهو يتعدى بالى
لتضمنه معنى الاستقرار كما في قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه في حديث رواه البخاري عن عبد الله بن هشام (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت
أحب الى) خبر انت واللام في جواب قسم مقدر (من كل شئ) في الدنيا وغيرها (الا نفسي التي بين
جنبي) بتشديد الياء كياء الى (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب
اليه من نفسه) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وغيره (فقال عمر) مجيبا له صلى الله تعالى
عليه وسلم (والذى) أي الله الذي (أنزل عليك الكتاب) وأوحى اليك القرآن (لانت أحب الى من
نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الآن) نطقت بالحق أو ظهر اتصافك بكمال
الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر
(يا عمر) صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه أي لا يكفيك المرتبة
الاولى ولا يليق بعلوهمتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة المرء
لنفسه وترجيحها أمر طبيعي لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه أولا كان
بحسب ماطبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه منها لانه الذي
نجاه من الهلاك في الدنيا والآخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال له الآن تحققت ونطقت وقيل معناه لن
يؤمن أحدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضي عقله ترجيح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماسواه
وفيه سوء أدب ثم قال والحديث يومي الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر غير اعتقاد أعظميته كما
زعمه المصنف رحمه الله ورده القرطبي ولا وجه له فان عمر لا يشك انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من
نفسه ومن كل شئ ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلي الاختياري
الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض الدواء لا الطبيعي الذي لا يدخل تحت اختياره فان
الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها
وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتي بين جنبيه السر القائم به الحياة واضافه اليهما لجرى
العادة بسبب الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا
موضع الكلام على الروح انتهى وابر عمر رضى الله تعالى عنه القسم بعد ماقدره تحقيقا لخلوص
طويته في مقالته ولذا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم الآن لما علمه منه (وقال سهل) ابن عبد الله
التستري (من لم ير) أي يعلم ويتحقق يقينا (ولاية الرسول عليه في جميع أحواله) الولاية بكسر الواو
وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر
تولى الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهي مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولى الامر انتهى والمراد

(ويرى نفسه في ملكه) بكسر الميم أي في تصرف نفسه وتدبير أمره وأما ما في بعض النسخ من زيادة عليه الصلاة والسلام بعد قوله ملكه فلا يصح نعم لو وجد يرى مجزوما لكان له وجه (لا يذوق حلاوة سنته) أي طراوة سيرته (لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أي ايمانا كاملا (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) أي الى آخره فهو مجرور أو منصوب بتقدير أعني ونحوه أو مرفوع أي تمام الحديث سبق وهو قوله وماله وولده والناس أجمعين

(في ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بما يرجوه محبته في الدنيا ويأمله في دار العقبى (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بتشديد الفوقية (بقراءتي عليه ثنا) أي حدثنا (أبو القاسم حاتم) بكسر التاء (ابن محمد ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن خلف) بفتحتين وهو الحافظ القابسي (ثنا) أي حدثنا (أبو زيد المروزي) تقدم (ثنا) أي حدثنا (محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (محمد بن اسمعيل) أي الامام البخاري (ثنا) أي حدثنا (عبدان) هو عبد الله ابن عثمان (ثنا) أي حدثنا (أبي) أي أبوه عثمان بن جبلة بن أبي داود العتكي المروزي أخرج له الشيخان (ثنا) أي حدثنا (شعبة) وهو امام (جليل عن عمرو بن مرة) أحد الاعلام وكان من الأئمة العاملين الكرام روى عن ابن أبي أوفى وابن المسيب وجماعة وعنه سفيان وغيره قال ابن أبي حاتم ثقة يرى الارجاء أخرج له الستة (عن سالم ابن أبي الجعد) تابعي جليل (عن أنس رضي الله تعالى عنه) لا يخفى ان هذه الطريق التي أخرجها القاضي عن البخاري هي في الادب من جملة الصحيح وأخرجه من طريق أخرى في الاحكام أيضا وأخرجه مسلم في الادب وليس لسالم بن أبي الجعد في الكتب الستة عن أنس رضي الله تعالى عنه غير هذا الحديث (ان رجلا) قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقيل أبو موسى وأبو ذر وقيل غيرهم والله تعالى أعلم (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة) أي القيامة أو ساعة القيامة وحالة الندامة والملامة (يا رسول الله) كأنه أظهر الشوق اليها

انه لا يخالفه في أمر من أموره (ويرى نفسه في ملكه) بكسر الميم أي يملكه حتى كأنه عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يذوق حلاوة سنته) استعارة تصريحية أو مكنية وتخييلية والمراد انه اذا سلم ولايته رسوله بطيب قلب شرح الله تعالى صدره لاتباعه والاقتداء به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا مأخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه (لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أي لا يكمل ايمانه (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) منصوب بأعني ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما علل به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في أقواله وأفعاله تلذذ بالاقتداء به ولا يستلذ بذلك الا اذا أحبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله * ان المحب لمن يحب مطيع * مع الكلام عليه

(فصل في ثواب محبته) صلى الله تعالى عليه وسلم بما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الآخرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب والثواب الجزاء ثم أسند حديثا في ذلك رواه البخاري فقال (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه) تقدم بيانه وان القراءة والاجازة سواء عند المصنف رحمه الله تعالى وعند غيره القراءة أقوى وهو الظاهر قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا والكلام على التكني بأبي القاسم مشهور وسيأتي منه ما فيه الكفاية قال (حدثنا أبو الحسن محمد بن خلف) القابسي كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد المروزي) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) البخاري وقد تقدم قال (حدثنا عبدان) عبد الله بن عثمان وقد تقدم قال (حدثنا أبي) أبو عثمان بن جبلة ابن أبي رواد العتكي الثقة أخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن عمرو بن مرة) الجملي بفتحتين نسبة الى جمل أبو حي أحد الاعلام العاملين أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ستة عشر ومائة (عن سالم بن أبي الجعد) الاشجعي الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة وأخرج له الستة واسمه رافع (عن أنس ان رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه أبو موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه أو أبو ذر رضي الله تعالى عنه واحتج بحديثين لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل عمير بن قتادة وفي معلم الذهبي انه عمر بن الخطاب وابان قيل ولذلك أورد البخاري هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله تعالى عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر أو غيره من مشاهير الصحابة الا أن يكون الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي (فقال متى الساعة يا رسول الله) سأله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من أربعة وعشرين جزأ من اليوم والليلة ثم أطلق لغة على كل زمان قليل فيقول جلست

والذوق لديها (قال ما أعددت لها) أى ما أعددت لما يصيبك من أهوالها وشدائد أحوالها (قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة) من فيها زائدة للمبالغة والمراد بها العبادات النافلة (ولكنى أحب الله ورسوله) أى أطيعهما فيما اوجب رضاهما من الفرائض وهذا زبدة معنى قول صاحب البردة * ولم أصل سوى فرض ولم أصم * أى سوى فرض (قال أنت مع من أحببت) وفيه ايماء الى ان دعوى المحبة مع مجرد الاطاعة الواجبة كافية وللمعية فى الجملة دلالة صحيحة وافية وأما دعوى المحبة مع ارتكاب المعصية فمذمومة وأصحابها على هذا الادعاء مذمومة ثم لما كثرت المتابعة زادت المحبة وكملت المعية حتى وصلت الى هذه المرتبة العينية والحالة الجمعية (وعن صفوان بن قدامة رضى الله تعالى عنه) بضم القاف قال الذهبى روى عنه ابنه عبد الرحمن وله صحبة وقيل هو تابعى ولابيه صفوان صحبة (قال هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وهو فى المدينة السكينة (فاتيته فقلت يارسول الله ناولنى يدك أبايعك) بالجزم على جواب الامر ويجوز رفعه على الاستئناف (فناولنى يده) فبايعته (فقلت يارسول الله انى أحبك قال المرء مع من أحب) أجاب بحكم عام شامل تام وفيه اشارة الى ان المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة والحديث رواه الترمذى والنسائى عن صفوان بن قدامة (وروى هذا اللفظ) أى فى هذا الحديث (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس) رضى الله تعالى عنهم (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه بمعناه) أى بدون هذا اللفظ ومبناه وفى الجامع الصغير المرء مع من أحب رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى عن أنس رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن ابن مسعود وفى رواية الترمذى المرء مع من أحب وله ما اكتسب وفى هذه الزيادة اشارة الى ان قرب المعية على قدر كسب الجمعية كما يشير اليه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يومى اليه البيان بالانبياء وغيرهم فالناقص فى الصلاح مع محبة أكمل الصالحين يحشر معهم كما

عندك ساعة أى قليلة ثم شاع فى يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود أو بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة فى عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها القربها كأنها التحقق وقوعها تقع بعد ساعة أو لانها تأتى بغتة أو لان البعث من القبور يكون فى أسرع من لحة ولا يخفى ما فيه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما أعددت لها) أى ما هيأت وأحضرت لها من الاعمال الصالحة التى تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعين زمان وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله (قال ما) هى نافية (أعددت لها من كثير) بالمثلثة وفى بعض النسخ الموحدة التحتية وهو صحيح أيضا (صلاة ولا صيام ولا صدقة) من اضافة الصفة للموصوف أى لم أعدلها ما ينفعنى فيها (ولكنى أحب الله ورسوله) استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه أى ليس عندى ما ينفعنى ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما (قال أنت مع من أحببت) وفيه جواب له على أتم الوجوه وتبشير له ولمن أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى تتمة الحديث ان من حضر من الصحابة قالوا يارسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه مساوله فى منزلته وعلو مرتبته كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة فى زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح * اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبى خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

ومن شعر الصباقولى

وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

وتقدم ايضا (وعن صفوان بن قدامة) الصحابى التميمى المرادى كما قاله الذهبى وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال (هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى سافر ليلقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاتيته فقلت يارسول الله ناولنى يدك) أى أمددها لى كما كان عادته فى المبايعة (أبايعك) مجزوم فى جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لما ذكر (فناولنى يده فقلت يارسول الله انى أحبك قال المرء مع من أحب) تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكر الترمذى والنسائى (روى هذا اللفظ) يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مخاطبا له من ذكر محبته له (عبد الله بن مسعود وأبو موسى) الاشعرى (وأنس) رضى الله تعالى عنهم (وعن أبى ذر بمعناه) وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم فى تعيين الرجل الذى ورد بهما فى الحديث السابق

قيل شعر أحب الصالحين ولست منهم * لعلى أن أنال بهم شفاعة وأكره من بضاعة المعاصى * ولو كنا سواء فى البضاعة

وعلى هذا القياس فى الصديقين والشهداء واما العلماء فهم ورثة الانبياء (وعن على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما) الظاهر ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله (فقال من أحبنى) أى الله تعالى (وأحب هذين وأباهما وأمهما) أى لاجلى أو لذواتهم المشتملة على حسن صفاتهم (كان معى) أى مقربا عندى (فى درجتى) أى فى جوارى فى الجنة أو فى درجة أهل بيتى لما سبق من ان المرء مع من أحب (يوم القيامة) وكذا فيما بعده حال دخول الجنة (وروى) أى رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان رجلا) قال البغوى فى تفسيره ان الآية الآتية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن النقاش انها انزلت فى عبد الله بن زيد بن عبد ربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك فما أصبر) أى عنك رؤية (حتى أجىء) أى أحضر لديك (فانظر اليك) أى لتقر عينى ويسكن قلبى (وانى ذكرت موتى وموتك) أى لانه لا بد من وقوعهما معا أو متعاقبا (فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين) أى المرسلين (وان دخلتها) أى بالفرض والتقدير (لا أراك) أى لان أحدا لا يكون مع الانبياء سواك فاكون محروما عن رؤية طلعتك هنالك فتصير جنة النعيم فى نظرى حينئذ كنار الجحيم (فانزل الله تعالى) أى تسلية للعشاق عن حصول الفراق (ومن يطع الله والرسول) أى يحبهما ويتبع أمرهما (فاولئك) أى المحبون لاحبائى والمشتاقون لاوليائى (مع الذين أنعم الله عليهم) أى بنعمة المعية والقربة فى المرتبة الجمعية (من النبيين) أعم من المرسلين (والصديقين) أى المبالغين فى الصدق والتصديق والكاملين فى مقام اليقين والتحقيق (والشهداء) أى بسيف المجاهدة وسلاح المحاربة فى طريق العبادة (والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه (وحسن أولئك رفيقا) أى ما أحسنهم رفيقا وفقنا الله الى كمال متابعتهم وجمال محبتهم توفيقا (فدعا به) أى نادى الرجل الذى شكاه (فقرأها عليه) وشفاه مما كان خائفا انه على شفاه

السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه (وعن على) ابن أبى طالب فى حديث رواه عنه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين) ابنى على رضى الله تعالى عنهم أى أمسكها (فقال) وفى نسخة وقال (من أحبنى وأحب هذين) اشارة الى السبطين الحسن والحسين (وأباهما) عليا رضى الله تعالى عنه (وأمهما) فاطمة الزهراء أى مال اليهم ميلا اختياريا لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان معى فى درجتى) أى رتبتى ومنزلتى قال الراغب الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى (يوم القيامة) ان أريد بيوم القيامة فى الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم فى صعيد واحد لقربهم منه ويقدمهم على غيرهم من أمته وسائر الامم وان أريد به الآخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر (وروى) رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم (ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال البغوى فى تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان أى قيل هو عبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى الحارثى (فقال لانت) اللام جواب قسم مقدر (أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك) أى أتذكرك فى ذهنى وأتصورك أو أذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر أو الضم (فما أصبر عنك) أى عن رؤيتك لشدة محبتى لك (حتى أنظر اليك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) أى انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار أخرى (فعرفت) وتحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلى (مع النبيين) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وان دخلتها) أنا بضم التاء وعبر فى جانب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذا لتحقق دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفى جانبه هو بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (لا أراك) بعد الدخول لانك فى مقام أعلى لا يصل اليه غيرك (فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى امتثال أمره ونهيه ويلزمه محبته له أيضا ولم يذكر لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بخلوصه فيها (فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بنعيم الجنة وعالى مراتبها ففيه تبشير له بمرافقة أكرم خلق الله وأقربهم وأرفعهم منزلة (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما أخفى لهم من قرة الاعين (وحسن أولئك) تعجب أى ما أحسنهم (رفيقا) تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره أو لارادة كل واحد منهم (فدعا به صلى الله عليه وسلم) أى طلب حضور ذلك الرجل (فقرأها) أى هذه الآية (عليه) جوابا له وتبشيرا وفى

(وفي حديث آخر) لا يعرف مخرجه (كان رجل عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه) أي الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يطرق) بكسر الراء وفي نسخة ما يطرف أي لا يغض بصره لديه (فقال ما بالك) أي شأنك وحالك (قال) وفي نسخة فقال (بابي أنت وأمي) أي أفديك بهما (أتمتع من النظر) ويروى بالنظر (اليك) أي في الدنيا (فاذا كان يوم القيامة رفعك الله تعالى) في أعلى الدرجة (بتفضيلك) أي بسبب تفضيله سبحانه وتعالى اياك على من سواك فحينئذ بالضرورة لا أراك (فانزل الله الآية) أي الماضية تسلية لما سيأتي من الاحوال الآتية (وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه الاصفهاني في ترغيبه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أحبني كان معي في الجنة) أي وان تفاوتت الدرجة على تفاوت مراتب المحبة المقتضية لحسن الطاعة على وفق المتابعة

(فصل) فيما روي عن السلف) أي الصحابة والتابعين (والائمة) أي من الخلف في أمر الدين من المجتهدين (من محبتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) أي اشتياقهم الى رؤيته ووصولهم الى قرب درجته (حدثنا) وفي نسخة قال حدثنا (القاضي الشهيد) هو ابن سكرة (ثنا) أي حدثنا (العذري) بضم العين وسكون الذال المعجمة (حدثنا الرازي ثنا) أي قال حدثنا (الجلودي) بضم الجيم (ثنا) أي حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه (ثنا) أي حدثنا (مسلم) أي صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (قتيبة) بالتصغير لقبه وهو ابن سعيد واختلف في اسمه

تفسير القرطبي انه لما قرأها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى أحدا غيره في الدنيا فعمي مكانه وقسمهم كما قال البيضاوي أربعة أقسام باعتبار منازلهم في العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على مالم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا أنفسهم في اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته والمراد بالمعية ما تقدم (وفي حديث آخر) لم يعز لناقله (كان رجل) قيل هو ثوبان أو من تقدم ذكره قريبا (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ملازما لمجلسه (ينظر اليه) أي يديم النظر الى وجهه الكريم (لا يطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء أي لا يطبق أحد جفنيه على الآخر ويغض بصره أو يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وما طرف البصر أي تحرك وظاهر قول بعضهم أي لا يغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم أوله وقاف وهو صحيح أيضا لكني لا أعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح في تفسيره (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما بالك) أي ما شأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) أفديك (بابي أنت وأمي) جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه (أتمتع بالنظر اليك) أي أتلذذ بادامة نظري في وجهك مادام تمكنها في الدنيا لانتفع به وأتزود منه (فاذا كان يوم القيامة) وبعدها (رفعك الله) الى المنازل العالية في جواره (بتفضيلك) أي بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته (فانزل الله الآية) المذكورة يعني قوله ومن يطع الله والرسول الى آخره (وفي حديث أنس) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الاصفهاني في ترغيبه وسيأتي اخراج المصنف رحمه الله تعالى له بقوله بطوله في فصل علامة محبته (من أحبني كان معي في الجنة) أي قريبا مني متمكنا من رؤيتي وزيارتي وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم

(فصل فيما روي عن السلف) من العلماء والصلحاء (والائمة) وفي نسخة بعكسه الائمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يفسران بما يقتضي المغايرة ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والائمة باتباع التابعين ومن بعدهم (من محبتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) والمحبة الميل الروحاني طبيعيا كان أو مكتسبا اختياريا والمحبة تكون في الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس في الغيبة فهو أخص من المحبة وقال القيصري رحمه الله تعالى في شرح قول ابن الفارض قدس سره

وما بين شوق واشتياق فنيت في * تول بحظر أو تجل بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة أو دوامها انتهى والفرق المذكور اما من الفحوى أو هو اصطلاح للقوم (حدثنا القاضي الشهيد) ابن سكرة وقد تقدم قال (حدثنا العذري) نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال (حدثنا الرازي) تقدم وهو نسبة الى الري على خلاف القياس قال (حدثنا الجلودي) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال (حدثنا مسلم) امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال (حدثنا قتيبة) بن سعيد واختلف في اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل سيار

(ثنا) أي حدثنا (يعقوب بن عبد الرحمن) هذا هو القاري بتشديد الياء المدني نزيل الاسكندرية (عن سهيل) بالتصغير وفي نسخه سهل (عن أبيه) أبوه هو أبو صالح السمان واسمه ذكوان (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتي) وفي نسخة من أشد الناس (لي حبا ناس) أي جماعة وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور

المتقدم ونعته (يكونون بعدي) أي يولدون بعد حياتي و يوجدون بعد وفاتي (يود أحدهم) أي يتمنى (لو رآني) أي ان يبصرني (باهله وماله) أي بدلهما (وتقدم مثله عن أبي ذر) وفي نسخة وقد تقدم حديث عمر رضي الله تعالى عنه أي في هذا المعنى (وقوله) أي في آخر المبنى (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الي من نفسي) أي روحي (وما تقدم من الصحابة في مثله) أي في مثل هذا ورد كثيرا (وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه) وفي نسخة العاصي بالياء والاول هو الصواب كما ذكرنا تحقيقه فيما سبق من شرح الكتاب (ما كان أحد) أي من الخلق (أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان) المعروف عبدة بنت خالد بن صفوان روت عن أبيها ذكرها ابن حبان في ثقاته فالسهو امامن الكتاب

قال (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) القاري نزيل الاسكندرية الثقة أخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة (عن سهيل) تقدم بيانه (عن أبيه) هو صالح السمان المعروف بذكوان (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث صحيح رواه مسلم (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا) منصوب على التمييز ولم يقل أحب مع انه أخصر لان هذا أبلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى أشد قسوة دون أقسى وأتى بمن التبعيضية لانهم مثل من كان في عصره وهو أحب اليه من نفسه وأهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال الحب يتفاوت شدة وضعفا ويبقى مفهوم قوله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه ولا شيء فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهى والتفضيل تختلف جهاته فلشدة محبته من لم يره الداخلة في الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال (ناس يكونون بعدي) فبين أشديته بهذا وبقوله (يود أحدكم) أي يحب و يرغب في انه (لو رآني) يبصره وشاهدني ولو للتمني (باهله وماله) الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا أي يتمنى لو بذل أهله وماله لاجل رؤيته وفي لو في مثله أقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر أي يتمنى رؤيتي و يودها ببذل كل ما يعز عليه والتقدير ولو رآني بمقابلة كل شيء له فعل وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة (ومثله) أي بمعناه وقريب منه لفظا (عن أبي ذر) الغفاري الصحابي المشهور (وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الي من نفسي) وتقدم تفصيله في الفصل الذي قبل هذا (وما تقدم عن الصحابة) كثوبان وصفوان وغيرهما (في مثله) من كونه أحب اليهم من أنفسهم (وعن عمرو بن العاص) بحذف الياء واثباتها وقفا كلام (ما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعدما ذكر مبايعته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ماصدر منه وانه كان أبغض الناس له واحرصهم على قتله و بعدما بايعه وأسلم قال ما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق ان أملأ عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه ما استطعت ان أصفه الى آخره وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى له بسنده في فصل تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن عبدة بنت خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين وألف ونون تقدم الكلام واما بنته عبدة فبفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لا أعرفها وفي الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم (قالت ما كان خالد) يعني أباها (يأوي الى فراش) أي اذا أراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر

نهاري نهار الناس حتى اذا أتى * لي الليل هزتني اليك المضاجع

(الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من أعم الاحوال أي لم يكن له غير هذه الحال (والى أصحابه) الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو لخالد (من المهاجرين والانصار) وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين رجلا من الصحابة (يسميهم) أي يعدهم باسمائهم

والله أعلم بالصواب (قالت ما كان خالد يأوي الى فراش) أي مرقده (الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي الى رؤيته (والى أصحابه من المهاجرين والانصار) أي الذين سبقوه (يسميهم) أي يذكرهم باسمائهم واحدا بعد واحد

(ويقول هم) أي جميعهم ويروى منهم (أصلي) أي في أصول الدين (وفصلي) أي وفرعي في فروع المجتهدين أو معناهما حسبي ونسبي وقيل الاصل الوالد والفصل المولود والمعنى ان كبارهم وصغارهم بمنزلة آبائي وأولادي واما مانقله الحلبي عن الجوهري ان الكسائي قال قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل

الحسب والفصل اللسان فلا يظهر وجهه كما لا يخفى على أهل البيان (واليهم يحن

(ويقول هم أصلي وفصلي) يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون آبائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو اتباع وفي المجمل ماله أصل وفصل أي حسب ولسان وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ما ذكره أهل اللغة والظاهر ان المراد انهم عمدتي وبهم أفصل وأحكم فليحرر (واليهم) لا الى غيرهم (يحن قلبي) أي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين (طال شوقي اليهم) لبعد عهدي بهم وطول مفارقتي بموتهم (فعجل) يا (رب قبضي اليك) اي عجل موتي حتى ألقاهم ولا يزل يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) أي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان كذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان في الفصل الآتي عن الحكيم الترمذي (وعن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه وفي نسخة وروى (انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم) لما أسلم أبو قحافة والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (والذي بعثك بالحق) أي بالدين الحق وهو قسم (لاسلام أبي طالب) جواب القسم يعني عمه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) أي اسلامه (أقر لعيني) أي أسر وأحب عندي وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من القرار والثبات فان العين اذا رأت مايسرها سكنت ولم تلتفت لغيره (من اسلامه يعني أباه أبا قحافة) رضي الله تعالى عنه وأبو قحافة هو أبو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعد وفاة ابنه حتى توفي في سنة أربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه أبو قحافة غيره وغير أبي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ أباه (و) بيان (ذلك) المذكور من كون اسلام أبي طالب أقر لعينه من اسلام أبيه (ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك) أي أحب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه أحمد وابن اسحق وأبو حاتم وليس قول المصنف رحمه الله تعالى وروى كما في بعض النسخ تمريضا له كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بابيه يقوده وكان قد عمي فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا آتيه فقال أبو بكر يا رسول الله هو أحق ان يمشي اليك فاجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له أسلم فاسلم ورأسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيروا هذا يعني اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أبو بكر والذي بعثك بالحق الى آخره وفيه من محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالا يخفى حيث قدم مايسره على مايسره تقديما له على نفسه واعلم ان أبا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ماكان أحد يجترئ عليه فلو أسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم في الهدى النبوي وصاحب الامتاع (ونحوه) أي في معنى مارواه البيهقي والبزار عن ابن عمر (عن عمر)

قلبي) بكسر الحاء أي يميل (طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي) أي قبض روحي (اليك) أي الى رحمتك (حتى) أي بكر والجملة الاخيرة أو الجمل كلها حتى (يغلبه النوم) فوت الاقران موجب الاحزان (وعن أبا بكر رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة وروى عن أبي بكر كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عنه (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي بعثك بالحق) أي أي ارسلك الى الخلق (لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني) أي أشد سرورا عندي (من اسلامه يعني أباه) عثمان بن عامر رضي الله تعالى عنه (أبا قحافة) بضم القاف عاش بعد ابنه وخصه من تركة أبي بكر رضي الله تعالى عنه السدس فرده في أولاده وتوفي في سنة أربع عشرة (وذلك) أي قال وسبب ذلك (ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك) يعني والله غالب على امره

ولعله قال ذلك حين نزل قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أو حين أسلم أبوه عام الفتح وهناه النبي عليه الصلاة والسلام (ونحوه عن عمر رضي الله تعالى عنه) أي نظير حديث أبي بكر مارواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر رضي الله تعالى عنهما

ابن

(انه قال) أي قال نحو حديث الصديق (للعباس) أي تسلية وترغيبا له في الاسلام ان قاله قبل اسلامه أو تهنئة له وترحيبا به ان كان بعده (ان تسلم) بفتح الهمزة على ان ان مصدرية أي اسلامك (أحب الي) أي بالحب الشرعي (من اسلام الخطاب) أي لو وجد فرضا (لان ذلك) أي اسلامك (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بحسب الطبيعي ورجح الدلجي كون ان بكسر الهمزة شرطية وهو بعيد رواية ودراية (وعن ابن اسحق) أي امام المغازي وكذا عن البيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) أي من بني دينار كما في رواية ابن اسحق (قتل أبوها وأخوها وزوجها) أي

ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه (انه قال للعباس) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تسلم) بكسر همزة ان الشرطية ان كان قال له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح الثاني لما يأتي (أحب الي من اسلام الخطاب) يعني أباه (لان ذلك) أي اسلام العباس (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فقدم مايحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماتحبه نفسه وكان قوله ذلك له في فتح مكة لما أشرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم وأركب أباسفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها فرآه عمر فقال أبوسفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكنني منك فاشتد حرجه حتى دخل به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعني أضرب عنقه فقال العباس اني أجرته يارسول الله فلما أكثر عمر في شانه قال مهلا ياابن الخطاب لو كان من رجال بني عدي ماقلت مثل هذا فقال مهلا ياعباس لاسلامك يوم اسلامك أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم الى آخره (وعن ابن اسحق) صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه أيضا البيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) هي من بني دينار ولم يسمها (قتل أبوها وأخوها وزوجها) شهداء (يوم أحد) اسم جبل كانت عنده الغزوة المشهورة (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تادبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد بلازمه (قالوا خيرا) أي فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده (هو بحمد الله كما تحبين) أي سالم منصور مظفر (قالت) لمن سألته (أرنيه) أي دلني عليه (حتى أراه) وأتلذذ بمشاهدته وفي نسخة أرونيه (فلما رأته) بعد مادلها عليه (قالت كل مصيبة) تصيب المال والاهل (بعدك) أي بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام ثم لام أخرى بمعنى هين لا أبالي به ولا أحزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم أيضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس

يقتل بني أسد ربهم * ألا كل شئ خلافه جلل

والثاني قوله

فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على محبة غيره من الاهل (وسئل علي بن أبي طالب) كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه (كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مامقداره في شدته (قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة بمعنى أم لغة فيه الا انه يختص ببني آدم قال * أمهتي خندف والياس أبي * ويقال في البهائم أمات (و) أحب (من الماء البارد على الظمأ) بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح قصره وأعاد الجار

في سبيل الله تعالى (يوم أحد) أي زمن وقعته (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في قتال كفار قريش وكسر المسلمين وانهزام بعض المؤمنين واستشهاد طائفة من الموقنين واشاعة قتل سيد المرسلين على لسان المشركين والمنافقين (فقالت مافعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة الفاعل ويجوز كونه للمفعول أي ماجرى له وكيف حاله (قالوا خيرا) أي فعل خيرا وفي نسخة بخير أي هو بخير في بدنه وسالم من عدوه (هو) وفي نسخة وهو (بحمد الله كما تحبين) أي من الصحة والعافية (قالت) أي لبعض أصحابه (أرنيه حتى أنظر اليه) أي ليطمئن قلبي لديه وفي نسخة صحيحة أرونيه بصيغة الجمع فاروه (فلما رأته قالت كل مصيبة)

أي من قتل أب وأخ وزوج وغيرهم (بعدك) أي بعد سلامتك أو غير مصيبتك (جلل) بفتح الجيم واللام الاولى أي هين وجاء في رواية ابن اسحق مفسرا تريد صغيرة أي هينة حقيرة لاشاقة كبيرة (وسئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) لايدرى مخرجه (كيف كان حبكم) أي معشر الصحابة أو جماعة أهل البيت (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي علي رضي الله تعالى عنه (كان) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والله) قسم معترض (أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما) بفتحتين مقصورا ويجوز مده وهو شدة العطش وفي اعادة الجار اشعار بانه أشد نفعا لانه روح الروح وايماء الى انه

أحب اليهم من أرواحهم (وعن زيد بن أسلم رحمه الله) أي الفقيه العمري تابعي جليل روى عن ابن عمر وجابر وعنه مالك وغيره أخرج له أصحاب الكتب الستة والحديث رواه عنه ابن المبارك في الزهد (خرج عمر رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس) أي يحفظهم بمراعاته ويتخبر عن أحوالهم على عادته في أيام خلافته (فرأى مصباحا) أي سراجا (في بيت) أي فقصده (واذا عجوز تنفش) أي تندف (صوفا) وهو بضم الفاء والشين المعجمة من النفش وهو تفريق الشيء باصابعك حتى ينتشر كالتنفيش (وتقول) أي وهي تنشد رجزا (على محمد صلاة الابرار) جمع بر او بار والمراد بالصلاة هنا تعظيمهم له في الدنيا باعلاء ذكره واظهار أمره وفي الآخرة بتضعيف أجره ورفعة قدره (صلى عليه الطيبون الاخيار) جمع خير بالتشديد والتخفيف (قد كنت) أي أنت (قواما) أي كثير القيام للعبادة وفي رواية صواما وجعله الدلجي أصلا أي كثير الصيام للرياضة (بكا) بضم الموحدة مقصورا منونا لغة في الممدود أي ذو بكاء أو أريد به المبالغة كرجل عدل يعني لكثرة بكائه كأنه عين البكاء وهذا المعنى أنسب لمقابلة ما قبله وقد أغرب الدلجي بقوله قصر لضرورة الوزن وأصله بفتحها ممدودا مشددا الكاف مبالغة في كثرة البكاء ولا يخفى وجه غرابته في المبنى وقيل البكاء برفع الصوت ممدود والدمع بلا صوت مقصور وأما ما وقع في بعض النسخ المقرر وة بكاء بتشديد الكاف وبالمد والتنوين فهو مستقيم معنى ولكنه سقيم وزنا ومبنى وكذا ما في نسخة من ضبطه بالتشديد منونا بدون مد وهو الذي ذهب اليه الدلجي وقال الانطاكي وفي بعضها بكاء بالتخفيف فان المشدد قد يخفف للوزن انتهى والصواب ما قدمناه كما لا يخفى (بالاسحار) ايماء الى قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار واشارة الى وصية لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم أي غافل عن البكاء ومن والاستغفار (ياليت شعري) أي أتمنى علمي وشعوري بغيتي وحضوري (والمنايا أطوار) أي تارات جملة حالية بين المعمولين اعتراضية أفادت بها ان ما يحول بين المرء ومتمناه حالات شتى مختلفة بحسب تفاوتها في أطوار الموت وأسرار الفوت فان المنايا جمع منية وهي من منى الله عليك أي قدر ومن ثمة سمي منية لانه مقدر بوقت معين وقد ورد أن منشدا أنشد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعر

لا تأمنن وان أمسيت في حرم * حتى تلاقي ما يمني لك الماني فالخير والشر مقرونان في قرن * بكل ذلك ياتيك الجديدان

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو أدرك قائل هذا الاسلام لاسلم والمعنى حتى تلاقي ما قدر لك المقدر وهو الله سبحانه وتعالى وهي تريد والله أعلم لان المنية تارة تأخذ الكرام وأخرى تبيد اللئام والمعنى ليت علمي حاضر أعلم به (هل تجمعني) بفتح الميم وضم العين وتخفيف النون وفي نسخة بفتح العين وتشديد ما بعدها (وحبيبي) بفتح الياء لغة لا كما قال الانطاكي ضرورة (الدار) بمعنى أم يحولن بيني وبينه المزار

لانه نوع آخر مما يحب واشدة منفعته وخص الظما لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه (وعن زيد بن أسلم) الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال (خرج عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من بيته لازقة المدينة (ليلة يحرس الناس) على عادته في خلافته اذا كان يدور في الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا) موقدا (في بيت) فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه (فرأى عجوزا) أي امرأة مسنة ويقال عجوزة أيضا ولم أر من الشراح هنا من ترجم بشيء (تنفش صوفا) بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم (و) هي (تقول) أي تنشد شعرا من بحر السريع (على محمد صلاة الابرار) معنى الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة أو بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر وبار وهو كل مطيع لربه متق أي ادعوله بكل ما تدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون الاخيار) المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخفف أو جمع خير بمعنى أخير وأتقى (قد كنت قواما بكا بالاسحار) قواما أي متهجدا لان القيام يختص بصلاة الليل أي كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل أطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو آخر الليل والباء بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكاء ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى في تكلف وتعسف (ياليت شعري والمنايا اطوار) شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل وقوله (هل تجمعني وحبيبي الدار) قائم مقام معمول شعري علق عنه والمنايا جمع منية وهي الموت من منى بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال أي أمور شتى مختلفة ومراده بالحبيب كما قاله المصنف رحمه الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الآخرة أي هل أراه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الموت فانه مقرر وله أسباب مختلفة كما قيل

(تعنى) أى المرأة بقولها حبيبى (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) و بقولها الدار الجنة دار القرار (فجلس عمر رضى الله تعالى عنه يبكى) أى للاشتياق أو للفراق أو الافتراق (وفى الحكاية طول) أى ليس هذا مقام ايرادها (وروى) أى فى عمل اليوم والليلة لابن السنى (ان عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما خدرت رجله) بفتح معجمة وكسر مهملة أى فترت عن الحركة وضعفت باجتماع عصبها من جهة كسل وفتور أصابها كانها رجل ناعش ولم يذهب بها (فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك) بضم الزاى أى يزول عنك هذا الانقباض بسبب ما يترتب على ذكر المحبوب من الانبساط (فصاح) أى فنادى باعلى صوته (يا محمداه) بسكون الهاء للندبة وكأنه رضى الله تعالى عنه قصد به اظهار المحبة فى ضمن الاستغاثة (فانتشرت) أى رجله فى الفور (ولما احتضر بلال رضى الله عنه) بصيغة المفعول أى حضرته الوفاة وقاربه الممات (نادت امرأته) وهى صحابية على ما ذكره الذهبى فى آخر النساء من التجريد ما لفظه زوجة بلال أتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل عن بلال اثم بلال (واحزناه) بضم حاء فسكون زاى و يجوز فتحهما وتصحف على الدلجى وضبط بفتح الحاء والراء وبالموحدة بدل النون قال وهو فى الاصل النهب والسلب فكأنها فجعها وحزنها بموته (قد نهبت وسلبت فقال) أى بلال (واطرباه) أى فرحاه وهو يؤيد ما قدمناه معنى وان كان انسب لما قاله الدلجى مبنى وفى نسخة بل واطرباه بصريح الاضراب للابطال ثم رجز مناسبا للحال واستدلالا لذلك المقال (القى غدا) و يروى نلقى (الاحبه) بالهاء وقفا (محمدا وصحبه) وفى نسخة صحيحة وحزبه

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والداء واحد

وقيل المعنى هل تجمعنا الدار و يحول بينى و بينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك فى كتاب الزهد وفيها فما زال عمر رضى الله تعالى عنه يبكى وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالى ولعمر فى هذه الساعة فقال افتحى يرحمك الله فلا بأس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردى الكلمات التى قلتيها آنفا فردتها فقال ادخلينى معكما وقولى وعمر فاغفر له يا غفار (تعنى) تقصد بقولها حبيبى (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه مناسبة لما نحن فيه (فجلس عمر يبكى وفى الحكاية) التى نقلها ابن المبارك (طول) اقتصرنا منها على المراد منها (وروى ان ابن عمر) رضى الله عنهما رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (خدرت رجله) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين أى أصابها خدر وهو أمر يعترى الرجل لما يصيب العصب فيمنع عن تحريكها بسهولة و يزول سريعا لانه لو امتد كان فالجا أو من مقدماته (فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك) لان الناس جربوا فى الخدران من أصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتفش الحرارة الغريزية فتدفع الخدر (فصاح يا محمداه) يعنيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أحب الناس اليه والى كل مؤمن كامر و يا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول أو القول مقدر بعده كما هو مشهور فى أمثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كاو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز (فانتشرت) رجله أى امتدت لزوال خدرها وهذا يقتضى صحة ما جربوه وقد روى انه وقع مثله لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذكره النووى فى أذكاره وروى أيضا عن غيرهما وفيه يقول أبو العتاهية

وتخدر فى باب الحبيب رجله * فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وهذا مما تعاهده أهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وهاء للندبة فى النداء لمن يتوجع أو يتفجع كما قرره النحاة (ولما احتضر بلال) رضى الله عنه بالبناء للمجهول أى حضرته الملائكة لتقبض روحه (نادته امرأته) أى صاحت باعلى صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتين و باء موحدة وهو فى الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله وما يعيش به قيل فكأنها تفجعها لموته نهبت وسلبت وفى القاموس قيل ان أصله ان حرب بن أمية لما مات قيل فى نعيه واحرباه ثم نقل ذلك يعنى عم فى كل نعى وحرب كغارة وواحرف ندبة والمندوب امامية ينعى أو أمر يتفجع منه نحو ياحسرتا وقيل انه روى حزناه بفتح الحاء المهملة والزاى المعجمة أو بضم أوله وسكون ثانيه وروى أيضا حوباه بفتح الحاء وواو ساكنة تليها باء موحدة من الحوب وهو الاثم والمراد اثمها الشدة جزعها وقلقها فى المصيبة فهى تتفجع على نفسها أو هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى كما تقدم (فقال) بلال رضى الله تعالى عنه رد المقالته (واطرباه) الطرب خفة تعترى المرء لحزن أو سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثانى ووا هنا للنداء والالف والهاء مزيدة فى آخره كانه يستغيث بطربه و يدعوه فى سكرات الموت لما تيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى فى البرزخ كما أشار اليه بقوله (غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه) فمحمدا وحزبه بيان لمراده بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين أى المجتمعين والمراد بهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروى كما يأتى

وقد روى عن عمار أيضا انه قال بصفين الآن القى الاحبه محمدا وحزبه (ويروى ان امرأة) وفى نسخة ويروى عن امرأة وفى حاشية الحلبى ان امرأة هاشم وقال ولا أعرفها (قالت لعائشة رضى الله تعالى عنها اكشفى لى) أى بينى لى وأرينى (قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها) أى بكشف الستارة عنه لاجلها (فبكت حتى ماتت) أى حزنا على فراقه أوشوقا الى لقائه (ولما أخرج أهل مكة) أى كفارهم كما رواه البيهقى عن عروة (زيد بن الدثنة) بدال مهملة مفتوحة فثلثة مكسورة وتسكن فنون مفتوحة مخففة فهاء تأنيث بياضى خزرجى بدرى احدى (من الحرم) متعلق باخرج (ليقتلوه) أى صبرا وكان قد أسر مع حبيب يوم الرجيع فباعوهما بمكة (قال له) أى لزيد (أبو سفيان بن حرب) أى ابن أمية وهو أبو معاوية اسلم عام الفتح وهذا الكلام قبل الاسلام أنشدك الله تعالى بضم الشين أى أسئلك الله

واذكرك به أوأقسم عليك به وفى نسخة صحيحة أنشدك بالله (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك) أى يكون فى مكانك ومهانتك (يضرب عنقه) بصيغة المجهول والعنق بضمتين وبضم فسكون وكصرد الجيد ويؤنث (وانك) وفى نسخة وأنت (فى أهلك) أى والحال انك تكون فيما بين أهلك وطول أملك (فقال زيد والله ما أحب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه) أى مع كمال أمنه وعزته (تصيبه شوكة) أى فضلا عن ان يصيبه محنة فوقها (وانى) وفى نسخة وانا (جالس فى أهلى) ولعله ذكره لمقابلة كلام أبى سفيان لانه حال مقيدة فى هذا الشان بل الانسب للمبالغة أن يقول وانا فى هذه الحال فكيف اذا كنت فيما بين أهلى ومالى من المثال والمعنى ان ما أصابنى فى طريقه من المحنة لم ينقص لى شيأ فى حقه من المحبة (فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا) أى من الاتباع (يحب أحدا) أى من المتبوعين (كحب أصحاب محمد محمدا) اى احترامامؤكدا واحتشاما مؤبدا قال الحلبى ماذكره القاضى قاله ابن اسحق ونقل أبو الفتح اليعمرى فى سيرته الكبيرة ذلك عن ابن اسحق وذكر عن ابن عقبة ان الذى قيل له أتحب أن محمدا مكانك هو حبيب ابن عدى حين رفع على الخشبة فقال لا والله فضحكوا منه انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن جرير والبزار عنه (قال كانت المرأة اذا أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مهاجرة اليه فى المدينة السكينة (حلفها بالله ما خرجت) أى هى من أرضها اليه (من بغض زوج) أى من أجل كراهة زوج لها (ولا رغبة) بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور والمراد بها العلة وبالجر عطفا على المجرور أى ولا من أجل الميل (بارض) أى فى بلدة (عن أرض) أى

نلقى الاحبة محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزو بحر الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض (ذكر القشيرى) رحمه الله تعالى (ومثله) روى (عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهما وروى ان امرأة قالت لعائشة) رضى الله تعالى عنها (اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قالته لها لانه كان فى بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم (فكشفته لها) برفع الستارة عنه (فبكت حتى ماتت) لشدة محبتها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يخرجوه (و) روى البيهقى رحمه الله تعالى عن عروة انه (لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة) بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء تأنيث اسم والده من قولهم دثن الطائر اذا طال حول وكره ولم يسقط عليه أو من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجى الصحابى وكان أسر يوم الرجيع (من الحرم ليقتلوه) فقتل صبرا وانما أخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله فى السنة الثالثة من الهجرة (قال له) قبل قتله (أبو سفيان بن حرب) والد معاوية وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذى قيل له ذلك الآتى حبيب بن عدى حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس فى سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية ابن اسحق (انشدك الله تعالى) قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سألته وفى القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله أى سألتك بالله ونشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض أى أسألك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشى الصواب نشدتك فليحرر (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه) فيقتل حماه الله تعالى من ذلك (وانك) بفتح الهمزة سالما مقيما (فى أهلك فقال زيد رضى الله تعالى عنه والله ما أحب) وأرضى (ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه مقيم تصيبه شوكة) أى أقل شئ من الاذى فضلا عما قلتم (وانا جالس فى أهلى) سالم من الاذى وهو متاذ (فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس) ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة أصحاب محمد له (يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا) مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة فى السير لا نطيل بذكرها هنا (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار (كانت المرأة اذا أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مهاجرة الى المدينة (احلفها بالله) وفى نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى أى كلفها القسم بالله انها (ما خرجت) من أرضها وبلدها لشئ (من بغض زوج) لها ناشزة منه (ولا رغبة بارض) أى فى أرض (عن أرض) خرجت

منها (و) انها (ما خرجت) من أرضها بشئ (الا حبا لله ورسوله) فهي هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذي قصده المصنف رحمه الله تعالى هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرد عليهم كل من أتاه من أهل مكة ولو كان مسلما فرد أبا جندل رضي الله تعالى عنه ولم يرد النساء اما لعدم دخولهن في العهد أو لان الله نسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وأمره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن أعطى مهرهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية وبما ذكرنا سقط ما قيل في نظم هذا في هذا الفصل نوع نظر (ووقف ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن سعد (على) عبد الله (ابن الزبير بعد قتله) رضي الله تعالى عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاولى أو الآخرة كما فصل في التواريخ (فاستغفر له) أي دعا له ابن عمر بالمغفرة (وقال) ابن عمر مخاطبا له بعد موته (كنت والله فيما علمت) أي فيما ثبت وتحقق في علمي بك (صواما) أي مبالغة في الصوم وكثرته (قواما) أي كثير القيام والتهجد كما قيل انه كان رضي الله تعالى عنه قسم لياليه ثلاثة أقسام ليلة يصلي قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح (تحب الله ورسوله) أي مخلصا في محبتهما مؤثرا لهما على كل شئ حتى على نفسه وأهله اما عبادته رضي الله تعالى عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه أمور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كأنه جذع لا يحس بشئ ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمي بحجر من المنجنيق وهو يصلي في أيام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبه مغناطيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لما أنزلوه عن جذعه الذي صلب عليه غسلته أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته في دار صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وهذه الدار زيدت في المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأشرف السلام

(فصل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام) أي في ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم (اعلم) أمر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله (ان من أحب شيأ آثره) أي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله (وآثر موافقته) في أقواله وأفعاله (والا) أي وان لم يؤثره ويؤثر موافقته وأصله وان لا بان الشرطية ولا النافية (لم يكن صادقا) في دعوى المحبة كما قال (في حبه وكان مدعيا) أي كاذبا في دعواه لان المدعي هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعي النبوة لكن لا يقال مثله في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال

وكل يدعي وصلا لليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا

وقال

ولما ادعيت الحب قال كذبتني * فمالي أرى الاعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

(فالصادق في حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك) الحب الذي ادعاه بحيث لا يخفى (وأولها) أي أول تلك العلامات (الاقتداء به) صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع أقواله وأفعاله وآثاره (واستعمال سنته) أي العمل بها (واتباع أقواله وأفعاله) فلا يخالفها (وامتثال أوامره واجتناب نواهيه) بان يفعل ما أمر به ويترك ما نهي عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن

فيما رواه ابن سعد (على ابن الزبير) أي عند جذعه الذي صلبه عليه الحجاج بالمعلاة (بعد قتله) أي عند البيت (فاستغفر) أي ابن عمر رضي الله عنهما (له) أي لابن الزبير (وقال كنت والله) وفي نسخة والله كنت (فيما علمت) وفي نسخة ما علمت أي مدة علمي بك (صواما قواما) أي كثير الصيام والقيام (تحب الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فصل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام) وفي أصل الدلجي في علامة حبه على انه مصدر مضاف الى معموله أي أي يذكر فيه ما يؤذن بحب غيره له (اعلم انه) وفي نسخة ان (من أحب شيأ آثره) بالمد أي اختاره على نفسه (وآثر موافقته) على مخالفته (والا) أي وان لم يؤثرها (لم يكن صادقا في حبه) أي في مودته (وكان مدعيا) أي في محبته وكان كما قيل *(شعر)*

وكل يدعي وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

(فالصادق في حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه) أي دلالة الحب لديه (أولها) أي أول علاماته وأسبق دلالاته (الاقتداء به) أي في ملته (واستعمال سنته) أي طريقته (واتباع أقواله وأفعاله) أي في جميع أحواله (وامتثال أوامره) أي وجوبا وندبا (واجتناب نواهيه) أي حرمة وكراهة

(والتأدب بآدابه) أي في جميع أبوابه من مكارم شمائله ومحاسن فضائله (في عسره ويسره) أي في وقت ضره وشكره على صعوبة أمره وسهولته ومحنته ونعمته وجوعه وشبعه وبلائه ورخائه وقبضه وبسطه ومحوه وصحوه وفنائه وبقائه (ومنشطه ومكرهه) بفتح أولهما وثالثهما مصدران بمعنى النشاط والكراهة أو اسما زمان أي في حال سعته وضيقه أو حال رضاه وغضبه أو وقت فرحه وحزنه أو زمن انشراح صدره أو انقباض

أمره (وشاهد هذا) أي دليل ما ذكر كله (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أي تريدون طاعته أو تدعون محبته (فاتبعوني) أي في طريقته (يحببكم الله) يثبكم عليه ويقربكم اليه وتمامه قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم أي يتجاوز عما فرط من عيوبكم (وايثار ماشرعه) أي وشاهده أيضا تقديم ما أظهره واختيار ما بينه من وجوب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح ونحوه (وحض عليه) أي وايثار ماحث وحرض على فعله أو تركه (على هوى نفسه) أي على ما تميل اليه نفس المحب (وموافقة شهوته قال الله تعالى) أي في مدح الانصار من جهة الايثار الذي هو في الجملة من شيم الابرار وسمة الاحرار (والذين تبوأوا الدار والايمان) أي اتخذوا المدينة منزلا والايمان منزلة ومحلا والمعنى لزموهما ولم يفارقوهما (من قبلهم) أي من قبل نزول المهاجرين عليهم (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل به أحد من قريش ولا غيرهم عليهم (ولا يجدون في صدورهم) كذا في النسخ المصححة وفق الآية ووقع في أصل الدلجي في أنفسهم فقال صوابه في صدورهم (حاجة) أي حزازة (مما أوتوا) أي لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم الى ما أعطى المهاجرون وغيرهم من فيء وغيره (ويؤثرون) أي يقدمون المهاجرين وغيرهم (على أنفسهم) في محبة الله ورسوله (ولو كان بهم خصاصة) أي مجاعة وشدة حاجة حتى ان من كان عنده داران أو بستانان ترك أحسنهما للمهاجرين ومن كان عنده امرأتان نزل عن احدى زوجتيه التي كانت

خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل الشان على أمور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قول الجوهري غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم أو صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع أمر فكيف يخرج عليه كلامهم الثاني انه جمع آمرة وهي الصفة وفيه ما مر وقال ابن سيدة آمرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتأتى لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على أفعل وجمع أفعل على أفاعل ورد بان أوامر فواعل لا أفاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهاني في شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى (والتأدب بآدابه) الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب في العرف على هذا المعنى (في عسره ويسره) بضمتين فيهما وبسكون السين تخفيفا في الشدة والرخاء والضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو لصاحب الحالة المصدرية (ومنشطه) أي في نشاطه وخفته (ومكرهه) أي كراهته لامر يتحمله من غيره وميمهما مفتوحة (وشاهد هذا) المذكور كله أي ما يشهد له ويدل عليه حتى كأنه شهد به وأثبته (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحب رسوله فكأنه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الآية لما عقد له الفصل (وايثار ماشرعه) من أحكامه الواجبة وغيرها (وحض عليه) أي حث الناس على فعله وحرضهم عليه (على هوى نفسه) أي ما تهواه وتميل اليه (وموافقة شهوته) أي ما تشتهيه نفسه وتميل اليه طبعه لان الاشتهاء ميل طبيعي غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما في قوله أشتهي ان اشتهي (قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار) أي سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة (والايمان) أي وأخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله

* وزججن الحواجب والعيونا * أو جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف وشروحه (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم) من المؤمنين (ولا يجدون في صدورهم) أي في قلوبهم وأنفسهم وما وقع في بعض النسخ في أنفسهم سهو من الكاتب (حاجة مما أوتوا) أي لا يخطر ببالهم وتطمح أنفسهم الى ما أعطى المهاجرون من فيء وغيره حسدا وطمعا (ويؤثرون على أنفسهم) أي يقدمون المهاجرين على أنفسهم تكرما منهم (ولو كان بهم) أي فيهم (خصاصة) احتياج وفاقة لما آثروهم

أكرمهم الديه وزوجها باحدهم بين يديه هذا وسبب نزول الآية انه عليه الصلاة والسلام قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة محاويج أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لبقية الانصار ان شئتم شركتكم في هذا الفيء معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولا تاخذوا منه شيأ فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالفيء علينا ولا نشاركهم فيه أصلا (واسخاط العباد) أي وشاهده أيضا اسخاط العباد (في رضي الله تعالى) أي في تحصيل رضاه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضي عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم كما ورد به حديث هذا بمبناه أو معناه (حدثنا القاضي ابو علي الحافظ) وهو ابن سكرة (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين

الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون) بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة وراء مضمومة وهو غير منصرف في النسخ المصححة (قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (أبو يعلى البغدادي) ويقال له ابن زوج الحرة (ثنا) أي حدثنا (أبو علي السنجي) بكسر السين وسكون النون والجيم (ثنا) أي حدثنا (محمد ابن محبوب) ويروى أحمد ابن محبوب (ثنا) أي حدثنا (أبو عيسى) أي الترمذي الامام (ثنا) أي حدثنا (مسلم بن حاتم) أي الانصاري امام جامع البصرة وثقه الترمذي وغيره (ثنا) أي حدثنا (محمد بن عبد الله الانصاري) قاضي البصرة يروي عن حميد وابن عوف وطبقتهما وعنه

به وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم بين الصحابة غنائم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كان لكم أموالكم وديار كم ولا تاخذوا منه شيأ فقالوا بل نؤثرهم بالفيء ونقسمهم لهم من ديارنا وأموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما افتتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واسخاط العباد) أي اغضابهم عليهم بمخالفتهم (في رضي الله) أي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على الاقتداء وهذا كما قال الحريري

وابغ رضى الله فاغبى الورى * من اغضب المولى وارضى العبيد

(حدثنا القاضي أبو علي الحافظ) هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الحسن الصيرفي) تقدم أيضا وفي نسخة الحسين وهو سهو (وأبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي) الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا أبو علي السنجي) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد ابن محبوب) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عيسى) هو الامام الترمذي صاحب السنن وهو محمد بن عيسى ابن سورة كما تقدم قال (حدثنا مسلم بن حاتم) الانصاري امام جامع البصرة قال (حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري) هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام الثقة توفي في رجب سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة في الميزان (عن أبيه) هو عبد الله بن المثنى البصري وقد وثقوه وله ترجمة في الميزان (عن علي بن زيد) بن عبد الله بن أبي ملكية زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب الضرير أحد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت وأخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان توفي في سنة احدى وثلاثين أو تسعة وعشرين ومائة (عن سعيد بن المسيب) تقدم أيضا (قال قال أنس بن مالك) الصحابي المشهور (قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني) مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد أبا احد من رجالكم المنفي فيه أبوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الآية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في أول فصل واما حسن عشرته الخ (ان قدرت ان تمسي وتصبح) أي ان أمكنك ذلك

البخاري وأحمد وابن معين وخلائق أخرج له الائمة الستة (عن أبيه) أي عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصاري يروي عن عمومته والحسن وجماعة وعنه طائفة قال أبو حاتم صالح ووثقه غيره وقال النسائي ليس بالقوي وقال أبو داود لا اخرج حديثه لكن أخرج له البخاري والترمذي وابن ماجه (عن علي بن زيد) أي ابن جدعان التيمي البصري الضرير تابعي أحد الحفاظ وليس بالثبت وقال منصور بن زاذان لما مات الحسن قلنا لابن جدعان اجلس مجلسه أخرج له مسلم متابعة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ذكره (قال قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني) بكسر الياء المشددة وفتحها لغتان وقراءتان متواترتان وهو تصغير شفقة (ان قدرت ان تصبح وتمسي) أي تدخل في الصباح والمساء أو يمر عليك النهار والليل

(ليس فى قلبك غش) أى حقد وحسد (لاحد) أى من المسلمين جملة حالية معترضة (فافعل) أى كن ثابتا على هـذا العمل فان من غشنا فليس منا على ما ورد (ثم قال لى يا بنى وذلك) أى هـذا المقام (من سنتى) أى من طريقتى (ومن أحيى سنتى) أى بالعـمل بها أو بانتشارها فى تعليمها وتعلمها وروى ومن أحب سنتى (فقد أحبنى) أى بالغ فى حبى (ومن أحبنى) أى بالمبالغة (كان معى فى الجنة) أى فى درجة أرباب المحبة وأصحاب القربة (فمن اتصف بهذه الصفة) الظاهر بهذه الصفات التى هى علامات المحبة أو المراد بهذه الصـفة احياء السنة وامتثالها من أنواع الموافقة

والمتابعة الصادقة (فهو كامل المحبة لله تعالى) أى اصالة (ولرسوله) أى تبعا (ومن خالفـها) أى هذه الصفات (فى بعض هذه الامور) أى المذكورة (فهـو ناقـص المحبـة ولا يخـرج) أى ولكن لا يخرج مع هـذا (عن اسمها) أى عن اسم المحبة فيجوز اطلاق المحب عليه فى الجـملة (ودليـله) أى ودليل عدم خروج ناقص المحبة عن أصل المحبـة (قوله عليـه الصـلاة والسلام) أى كما فى حديث البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للـذى حده فى الخمر) أى لاجله وفى حقه وهو عبـد الله الملقب بالحمـار كذا وقع فى صحيح البخار وهـو صاحب مزاح كان يهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يضحكه (فلعنه بعضـهم) وفى صحيح البخارى فقـال بعـض القـوم اخزاك الله قال بعض الحفاظ القائل به هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رواه البيهقى

ولم يمنعك منه مانع أى على ان الخ لان حـذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصـباح والامساء جميـع زمانه لاخصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله (ليس فى قلبك غش لاحد) جمـلة حالية بدون تقدير قد لجمودفعلها أو هى خبر وهما ناقصان والغش بكسر الغـين المعجمة ضـد النصح والمراد به هنا مجازا غل وحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف أى نية غش والاول احسن واقرب (فافعل) أى فكن مداوما على ذلك (ثم قال) رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم (لى يا بنى وذلك) اى نزع الغش من القلب (من سنتى) أى طريقتى واخـلاقى (ومن أحيى سنتى) أى أظهرها وأتبعها (فقد أحبنى) أى علم حبه لى وهذه روايه والذى فى الترمذى فقد أحيانى وهو الظاهر (ومن أحبنى كان معى فى الجنة) لان المرء مع من أحب كما تقدم والمحب الصادق لا يخالف من أحبـه بل يقدم مراده على مراده لانه أحب اليه من نفسه (فمن اتصف بهذه الصـفة) أى باحياء السـنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون فى قلبه غش لاحد (فهو كامل المحبـة لله ورسوله ومن خالفها) أى خالف السنة (فى بعض هذه الامور) كترك بعض ما أمر به أو أتى بعض ما نهى عنـه أحيانا (فهو ناقص المحبـة) لا كاملها (ولا يخرج) بارتـكاب البعض (عن اسـمها) أى عن الاتصاف بها وتسـميته محبا فى الجـملة ولا ينـافى هـذا قوله المتقدم

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيـع

لان ذلك فى المحبة الـكاملة التى هى محبة الخواص على نهج قوله لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله (ودليله) أى دليل ان بعض المخالفة لا يخرجه عن اتصافه بالمحبة (قوله صلى الله عليه وسلم) فى حـديث رواه البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للذى حده فى الخمر) أى أقام عليه الحد لشربه الخمـر واللام كهى فى قوله تعـالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليـه أى قوله فى حقـه وشانه وهى فى الحقيقة لام تعليل والصحابى الذى حد فى الخمر فى هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب بحـمار باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان أو نعيمان نفسه ابن عمرو بن رفاعة البـدرى وهو الذى حد فى الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذى كان صلى الله تعالى عليـه وسـلم يضحك منه توفى فى زمن معاوية وصحح هذا وقصة حمـار أخرى كانت بخيبر وقيـل انه هو نفسه وقال الحافظ الدمياطى ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانما هو نعيمان وحمـار هذا معدود فى الصحابة ولم يذكروا نسبه (فلعنه بعضهم) أى قال اللهـم العنه وروى انه قال له اخزاك الله تعـالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقى (وقال ما اكثر ما يؤتى به) تعجب من كثرة ما تواتى به صـلى الله تعالى عليه وسـلم وهو سكران (فقال رسول الله صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم لا تلعنـه فانه يحب الله ورسوله) وفيه دليل على ان المسـلم وان ارتـكب الـكبائر لا يجوز لعنـه ومن كان كذلك لا يجوز لعنـه

وفى رواية له فقال رجل من القوم اللهم العنه (وقال) أى ذلك البعض تعليلا لطعنه ولعنه (ما أكثر ما يأتى به فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفى كلام الدمياطى فى حواشيه على البخارى ان هذا وهم منه فان صاحب القصة نعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار شـهد العقبة مع السبعين وبدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد وأتى به فى شرب الخمر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجلده أربعا أو خمسا فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يشرب وما اكثر ما يجلد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكان صاحب مزاح

انتهى وقال الواقدي بقي نعيمان حتى توفي أيام معاوية وكان كثير المزاح يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مزاحه انتهى
ومما يحكى عن نعيمان هذا انه كان لا يدخل في المدينة طرفة أو تحفة الا اشترى وجاء بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم و يقول أهديته
لك فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه جاء به الى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يا رسول الله اعط له ثمن متاعه فيقول النبي عليه الصلاة
والسلام أولم تهده فيقول يا رسول الله لم يكن والله عندي ثمنه وأحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله تعالى

وفيه ان محبة الله ورسوله من أعظم المنجيات وفيه رد على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار (ومن علامات محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه ومنه علم فضيلة الحديث وأهله لذكرهم له صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ومن أحب شيأ أكثر من ذكره) وهذا مثل مشهور وهو أمر طبيعي عادي (ومنها) أي علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثرة شوقه الى لقائه) اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق لقاءه في الآخرة و يشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك (فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه فان فعيل يأتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معادلا لقوله قبله من أحب شيأ الى آخره وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي والشيء بالشيء يذكر ما أحسن قول عروة بن حزام في قصيدة له

وانى لاهوى الحشر اذ قيل انني * وعفراء يوم الحشر تلتقيان

ومنه أخذ ابن رواحة قوله

ان كان يحلو لديك ظلمي * فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني * و بينك الله في الحساب

وقلت أنا في رباعية

كم قال لحبه الكثير الآفات * واطول وقوفنا بيوم العرصات
هيهات لئن بدا محياه له * يغفر ويهب له جميع الزلات

(وفي حديث الاشعريين) يعني أبا موسى الاشعري وأصحابه المنسوبون الى أشعر أبو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم أرق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا (عند قدومهم المدينة) منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا (انهم كانوا يرتجزون) أي ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو (غدا نلقى الاحبه * محمدا وصحبه) لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا أنشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعل ست مرات ومجزوه أربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب أجزائه وقلة حروفه ولعل العرف كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله تعالى والذي يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وهو يصيحون و يصوتون فانه أصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصنف يخفى عليه مثله سوء ظن به وفي نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم (وتقدم قول بلال مثله) يعني ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا القائل لقاء النبي وأصحابه في الحياة الدنيا وبلال رضي الله تعالى عنه أراد لقاءهم في الآخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم في هذا الكلام

عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وفي هذا الحديث بشارة عظيمة واشارة جسيمة لعصاة المؤمنين وحجة واضحة وبينة لائحة لاهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بكفر من فعل كبيرة أو هي مخرجة له من الايمان ولا تدخله في الكفر فيثبتون لصاحبها منزلة بين المنزلتين و يقولون بتخليده في النار (ومن علامات محبة النبي) أي محبته للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له) أي في الحالات والاوقات (فمن أحب شيأ أكثر من ذكره) أي وصرف اليه غالب فكره وقوله من أحب شيأ أكثر من ذكره حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (كثرة شوقه الى لقائه) أي الى مشاهدة طلعة ذاته في دار بقائه

 (فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه والجملة كالعلة لما قبلها (وفي حديث الاشعريين) أي أبي موسى وأصحابه (عند قدومهم المدينة) أي من اليمن أو الحبشة (انهم كانوا يرتجزون) أي يقولون هذا الرجز قبل حصول الصحبة ووصول القربة (غدا نلقى الاحبة) جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول (محمدا وصحبه) ويروى وحزبه والمراد بالرجز هنا الشعر الذي يشبه الرجز اذ ليس هذا من بحر الرجز المعروف فانه بفتحتين ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمي لتقارب أجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو انصاف من أبيات وأثلاث (وتقدم قول بلال) أي انشاده هذا الرجز وعنده وته شوقا الى لقائه

(ومثله قال عمار قبل قتله) وفى نسخة وكما قال عمار أى ابن ياسر أبو اليقظان العبسى من السابقين المعذبين فى الله البدريين وكان معذبا بالنار فى أيدى المشركين وكان عليه الصلاة والسلام يمر به فيمر يده عليه ويقول يانار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم روى عنه على وابن عباس وغيرهما قتل بصفين مع على عن ثلاث وتسعين من عمره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم له تقتلك الفئة الباغية وقتله أبو الغادية واسمه يسار بن سبع سكن الشام ونزل واسط وعداده فى الشاميين أدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان محبا لعثمان رضى الله تعالى عنه وكان اذا استأذن على معاوية يقول قاتل عمار بالباب أخرج له أحمد فى المسند (وماذكرناه) أى وتقدم أيضا ماذكرناه (من قصة خالد بن معدان) وفى نسخة فى قصة خالد بن معدان (ومن علاماته) أى ومن دلالة شوق المحب الى لقاء محبوبه (مع كثرة ذكره تعظيمه له) أى لذاته أو لامره (وتوقيره) أى له كما فى نسخة (عندذكره) أى تنويها لرفعة محله (واظهار الخضوع) وفى نسخة واظهاره الخضوع وفى نسخة الخشوع بدل الخضوع والمعنى بهما التواضع والتذلل ظاهرا وباطنا (والانكسار) أى بوصف الافتقار وفى نسخة الانكماش أى الانقباض والاجتماع (مع سماع اسمه) أى حين سماع اسمه أو وصفه (قال اسحق) وفى نسخة أبو اسحق (التجيبى) بضم التاء الفوقية وتفتح وقيل هو الاصح وبكسر الجيم نسبة الى تجيب بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبى قاتل عثمان رضى الله تعالى عنه وتجوب قبيلة من حمير منهم ابن ملجم قاتل على كرم الله تعالى وجهه

وانه تمثل به (ومثله) أى المذكور وان لم يساوه (ماقاله عمار) بن ياسر الصحابى (حين قتل) أى قتله أهل الشام الذين كانوا مع معاوية أى لما قتل بصفين مع على رضى الله تعالى عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كأنى أنظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امرأة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم ألقى الاحبة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الى ان آخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق (و) مثله أيضا (ماذكرناه من قصة خالد بن معدان) التى تقدمت من انه كان اذا أوى الى فراشه لا يزال يذكر شوقه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه فان من أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها الدس من هذا كما قال فى الفتوحات ومن هذا ماتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خير بين البقاء فى الدنيا والانتقال للآخرة قال اللهم الرفيق الاعلى * واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الحكيم الترمذى فى فروقه ان تمنى الموت على ثلاثة أقسام * الاول تمنى عبد اقترب الى ربه فى منازل القرب لما تطهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت * والثانى عبد رأى نعمة الله عليه فى دينه شاملة لكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألوه خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه فى لحده فهذان محمودان وردا عن الصحابة كسلمان رضى الله تعالى عنه اذ قال أحب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أحب الموت لانى لا أدرى ما ينزل بى فاخاف على دينى والاول قول صديق والثانى قول صادق والحظ لصاحبه فيهما * والثالث عبد تربى فى رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء فى الحديث لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به واما تمنى مريم رضى الله تعالى عنها الموت وقولها ياليتنى مت قبل هذا الخ فلخير مضى ولذا لم تقل الآن فهو لامر دينى رجاء أن لا يزول لما رأت فتنا تموج وذلك لما أتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوى كغيره تمنى الموت منهى عنه ولذا جاء فى الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كان الوفاة خيرا لى انتهى باطلاقه ليس كما ينبغى والتحقيق ماعرفت (ومن علاماته) أى علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتأويلها بالحب وليس راجعا للقاء المحب حبيبه وان كان أقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل (مع كثرة ذكره) له صلى الله تعالى عليه وسلم (تعظيمه له وتوقيره) حق توقيره (عندذكره) له (واظهار الخشوع) أى الخضوع (والانكسار) أى التذلل والتواضع (مع سماع اسمه) أى اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال اسحق التجيبى) هو امام المحدثين أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبى توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة اثنين وخمسين وثلثمائة وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف فى تائه هل هى أصلية أم زائدة وضمها المحدثون وكثير من الادباء وفتحها غيرهم قال فى القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبى وتجوب بالواو قبيلة من حمير بن ملجم التجوبى قاتل على رضى الله تعالى عنه وغلط الجوهرى وحرف بيت الوليد بن عقبة

الا

(كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده) أى بعد وفاته (لايذكرونه) أى فى حال من الاحوال (الاخشعوا) أى خضعوا وتذللوا (واقشعرت جلودهم) أى انقبضت لحسرتهم عليه (وبكوا) أى لفراقه شوقا اليه (كذلك) أى ومثل أصحابه فى ذلك (كثير من التابعين) منهم وفى نسخة كان منهم (من يفعل ذلك) أى يخشع ويقشعر ويبكى لمحبة له وشوقا اليه ومنهم) أى من التابعين أو من الصحابة والاتباع أجمعين (من يفعله) أى ماذكر من الخشوع والاقشعرار والبكاء ٣٦٣ (تهيبا) أى مهابة (وتوقيرا) أى اجلالا وعظمة والحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم وبعضهم كانت المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين من الصوفية السنية لكن مقام الرجاء والمحبة أفضل من مقام الخوف والهيبة بالنسبة الى المنتهين وعكسه بالاضافة الى المبتدئين ويسمى الاولون بالطيارين والآخرون بالسيارين ثم هذه الاوصاف المحمودة كلها مقتبسة من قوله تعالى فى مدح المؤمنين الموقنين حيث قال تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الى ان قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية فذكر الله وذكر رسوله متلازمان فى حصول كل واحد ووصوله (ومنها) أى ومن علامات محبة الانسان للنبى عليه الصلاة والسلام (محبته لمن أحب النبى) بالرفع أى أحبه النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويجوز ان ينصب كما فى نسخة وهو المعنى الاعم الاتم لكن الاول هو المناسب لسياق الكلام والله تعالى أعلم ولذا عطف عليه بقوله (ومن) أى ولمن (هو بنسبه) أى بسبب نسبه ونسبته وفى نسخة نسيبه أى منسوب به (من آل بيته) أهل بيته وفى أصل الحجازى بنون وشين معجمة وموحدة (وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم) أى تجاوز الحد الشرعى فى حقهم من الكفار

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

انتهى يعنى انه أنشده التجيبى وانما هو التجوبى كما فى كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاءه أصلية لانه فى العين ذكره فى فصل التاء وتبعه صاحب القاموس وهى زائدة كما قاله ابن السيد وجوز فى تائه الوجهين أى الفتح والضم وقال النووى فى شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من جاب يجوب (كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعده) أى بعد وفاته (لايذكرونه الاخشعوا) أى أظهروا الخشوع والتذلل (واقشعرت جلودهم) أى عرض لها اقشعريرة (وبكوا) حزنا لفراقه وشوقا للقائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك) أى ومثل الصحابة فيما ذكر (كثير من التابعين) لهم باحسان يفعلون كفعلهم (منهم من يفعل ذلك) أى من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين أو من التابعين من يبكى ويخشع ويقشعر جلده (محبة له وشوقا اليه) تمييزا ومفعول له أى من محبته وشوقه أولاجلهما (ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا) أى لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فى أنفسهم واجلاله وتكريمه (ومنها) أى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (محبته) أى محبة الانسان (لمن أحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع والعائد محذوف أى أحبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (و) محبة (من هو بسببه) الباء للملابسة أى تلبس بسبب من أسبابه وكان بينه وبينه علامة بقرابة أو صهارة وقال فى النهاية السبب الزواج وأصله الحبل الذى يتوصل به لسقى الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال الله تعالى وتقطعت بهم الاسباب أى الوصل والمودات * (نكتة) * انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص فى المستعار لانه يطلق على المنى كما فى الحديث انما الماء من الماء وفى قوله تقطعت فى الآية لطف خفى وقوله (من أهل بيته) الى آخره بيان لمن أحبه ومن هو بسببه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفى نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعى انهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف لابنى عبد شمس وبنى نوفل ابنى عبد مناف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرك الاولين فى خمس الخمس الذى هو سهم ذوى القربى دون هؤلاء وقال انهم والفونا فى الجاهلية والاسلام (وصحابته) بفتح الصاد جمع أو اسم جمع صحابى وهو فى الاصل مصدر وهو كل مسلم لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم تدم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبض عن مائة وأربعة وعشرين ألفا والله تعالى أعلم (والمهاجرين) هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم أفضل (والانصار) جمع ناصر أو نصير غلب على الاوس والخزرج وكذا نسب اليه وقيل أنصارى وهو تخصيص بعد تعميم لانهم أفضل من غيرهم وفى نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضى الله تعالى عنها وقيل انهم فى حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتأمله (وعداوة من عاداهم) أى من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما أو بغيا كالخوارج فلا يدخل

(وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم من الفجار (وسبهم) أي وبغض من شتمهم من كلاب أهل النار (فمن أحب شيأ) أي أحدا (أحب من يحب) وفي نسخة من يحبه أي ذلك المحبوب ويبغض من يبغضه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما في البخاري وغيره (في الحسن والحسين) أي في حقهما وشانهما (اللهم اني أحبهما فاحبهما) أي زدلهما الهدى والتوفيق في الدنيا وحسن المثوبة ورفعة الدرجة في العقبى (وقال) أي في رواية (من أحبهما فقد أحبني) أي فكأنه أحبني (ومن أحبني) حقيقة (فقد أحب الله تعالى ومن أبغضهما فقد أبغضني) أي فكأنه أبغضني (ومن أبغضني) حقيقة (فقد أبغض الله تعالى) أي ومن أبغض الله فقد كفر بالله (وفي رواية) أي أخرى (الحسن) أي قال في حق الحسن وحده (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) أي في رواية الترمذي (الله الله) بالنصب فيهما أي اتقوه واحذروه (في أصحابي) ولا تذكروهم بسوء فانهم أحبابي (لا تتخذوهم غرضا) بمعجمتين أي هدفا ترمونهم بما لا يليق من الكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفي نسخة عرضا بالعين المهملة والظاهر انه تصحيف (بعدي) أي في غيبتي أيام حياتي أو بعد مماتي (فمن أحبهم فبحبي) أي فبسبب حبه اياي أو حبي اياهم (أحبهم ومن بغضهم فببغضي) أي فبسبب بغضه اياي (أبغضهم) ومن هنا قول بعض المالكية من سبهم قتل (ومن آذاهم) أي بما يسوءهم (فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى) أي خالفه وكره الله فعله (ومن آذى الله يوشك) أي يقرب ويسرع (ان ياخذه) أي الله تعالى كما في نسخة ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي كما رواه البخاري وغيره (في فاطمة) أي في شانها (انها بضعة) بفتح الموحدة وتكسر أي جزء وقطعة (مني) أي من لحمي ودمي (يغضبني ما أغضبها) وفي نسخة ما يغضبها وقد ورد هذا الحديث حين خطب علي رضي الله تعالى عنه جويرية ابنة عدو الله أبي جهل على فاطمة رضي الله تعالى عنها قال مسور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استاذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني فمن أبغضها أبغضني فهذا من خصوصياتها

فاتت

فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا (وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم (وسبهم) وأظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله فان من أحب شيأ أحب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

اذا صافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام

(وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين) أي في حقهما وشانهما كما رواه البخاري (اللهم) أي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه (اني أحبهما فاحبهما) أي أعطهما كل خير دنيوي وأخروي كما سياتي في بيان محبة الله وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة وليس هذا محل تفصيلها واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وفي رواية في الحسن) وحده وليس المراد التخصيص (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى (من أحبهما) أي الحسن والحسين فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله لعلمه بالطريق الاولى (ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره (الله الله) بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه وفي تكريره تخفيف وتحذير على وجه المبالغة (في أصحابي) أي في شأنهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله (لا تتخذوهم غرضا بعدي) بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو استعارة أو تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني أي لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه (فمن أحبهم فبحبي أحبهم) أي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا بسوء (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتي الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن آذاهم) بذكر ما يسوءهم (فقد آذاني) لانه يسوءه ذلك (ومن آذاني فقد آذى الله) أي عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد باذية الله (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) أي يهلكه سريعا ولا يمهله فيأخذه أخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك ان يكون كذا أي يقرب ويسرع (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في فاطمة) رضي الله تعالى عنها أي في حقها وشانها وفي حديث رواه البخاري وغيره (انها بضعة) بفتح الباء وكسرها أي قطعة وجزء (مني) لان الولد حاصل من أبيه وقطعة من كبده (يغضبني ما أغضبها) أي يسوءني ويؤذيني كل ما آذاها لان ألم الجزء يتألم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله تعالى عنها

(وقال) أي في رواية (لعائشة رضي الله تعالى عنها في أسامة بن زيد) أي في حقه (أحبيه فاني أحبه) وقد ورد انه أراد عليه الصلاة والسلام ان ينحي مخاط أسامة فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها دعني حتى انا الذي أفعل قال يا عائشة أحبيه فاني أحبه (وقال) كما في الصحيحين (آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم) أي علامة كمال ايمان من آمن أو علامة نفس ايمانه حبهم ويؤيده ظاهر الحديث حديث لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق ولعل وجه تخصيصهم انهم كانوا مختلطين فيما بين المنافقين والمخلصين أو للاشعار بان حكم المهاجرين أولى بذلك كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ايماء الى جلالة رتبة الهجرة وانه عليه الصلاة والسلام نبي مهاجر من المهاجرين وقد جاء بطريق العموم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق كما رواه الحاكم في مستدركه عن أنس رضي الله تعالى عنه (وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) أي كما تقدم (من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم) ظاهر مبناه أخبار ولا يبعد ان يكون معناه انشاء أي من أحبهم فينبغي ان يكون بسبب حبي لهم أحبهم حيث يكونون صالحين وكذا البغض اذا كانوا طالحين لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل ايمانه وفي رواية حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب أي جنسهم والمراد مؤمنوهم أو متقوهم فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني رواه الطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله تعالى عنه وروى ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه يوم القيامة والاحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة فيجب على كل احد أن يحب أهل بيت النبوة وجميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه عليه الصلاة والسلام ولا يكون من الخوارج في بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض في بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا يكون من جملة الجهلاء العوام حيث يكرهون العرب بالطبع الملام ويذمونهم على الاطلاق بسوء الكلام فانه يخشى عليهم من سوء الختام (فبالحقيقة من أحب شيأ أحب كل شئ يحبه) أي يحب ذلك الشئ وهذا اظهر (وهذه) أي الطريقة الموافقة للحقيقة (سيرة السلف) أي سمة الصحابة والتابعين في حبهم ما أحبه عليه الصلاة والسلام في جميع الحالات

فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشهد وقال أما بعد فان فاطمة بضعة مني واني أكره ان يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي ذلك والحديث وتفسيره مفصل في كتب الحديث (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن عائشة وحسنه (لعائشة في أسامة بن زيد) في حقه وشأنه (أحبيه فاني أحبه) وقد قال صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد أحب الناس الي فاستوصوا به خيرا ولذا أمر عائشة ان تستوصي به خيرا بعده وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (آية الايمان) أي علامة تحققه وصدقه وكماله (حب الانصار) لمحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم (وآية النفاق) المنافي لتحقق الايمان (بغضهم) وصحف بعضهم الحديث فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر (وفي حديث ابن عمر) كما أخرجه البيهقي في دلائله (من أحب العرب) والمراد بهم هؤلاء الجيل المعروفون مطلقا (فبحبي) أي بسبب حبي (أحبهم ومن أبغضهم) من حيث ذواتهم لا لسبب آخر يكون لبغض منهم (فببغضي أبغضهم) وفي حديث رواه الترمذي عن سلمان انه صلى الله عليه وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني وفي شعب الايمان للحليمي (٢) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم فانا خيار من خيار فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في تأليف له مستقل سماه أنفع القرب في بيان فضل العرب (قال المؤلف رحمه الله تعالى فبالحقيقة) أي بسبب النظر للحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول السليمة (من احب شيأ) من الاشياء (أحب كل شئ يحبه) محبوبه (وهذه سيرة السلف) أي دأبهم وطريقتهم في محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى

(٢) قوله للحليمي هكذا وقع في أكثر النسخ والصواب للبيهقي اهـ مصححه

(حتى في المباحات وشهوات النفس) أي فيحبون ما اشتهاه ويتكلمون بمقتضاه ويكلفون أنفسهم بموافقته مايهم وامبالغة في طاعة مولاه (وقد قال أنس رضي الله تعالى عنه حين رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بالمد ويقصر أي يطلبه (من حوالي القصعة) بفتح اللام والقاف أي

من اطرافها لكمال محبته له (فما زلت) أي مادمت وعشت (أحب الدباء من يومئذ) بفتح الميم وكسرها أي من حين رأيته يتتبعه ويا كل حباله لحبه عليه الصلاة والسلام اياه وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه انه ماصنع لي طعام ويوجد الدباء الا وقد جعل فيه وقد روى في مجالس أبي يوسف انه عليه الصلاة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل أناما أحب الدباء فسل له السيف وقال جدد الاسلام والاقتلتك نظر الى ظاهر معارضته له عليه الصلاة والسلام (فهذا الحسن ابن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله تعالى عنهم) أي ابن أبي طالب (أتوا سلمى) أي خادمته صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاة له أو مولاة عمته صفية زوجة أبي رافع قابلة ابنه ابراهيم ودابة ابنته فاطمة وغاسلتها مع اسماء بنت عميس قال الحلبي في الصحابيات وسلمى غير هذه خمس عشرة امرأة وانما يدل على انها المراد هنا ما أخرجه الترمذي في الشمائل بسنده عنها انهم اتوها (وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يشتهيه ويستحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا فقامت وأخذت شيا من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته فقالت هذا مما كان يعجب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويستحسن أكله

الله تعالى عليه وسلم (حتى المباحات) أي كانوا يحبون ما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الامور المباحة (وشهوات النفس) أي فيتبعونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله (وقد قال أنس رضي الله تعالى عنه أنه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة في آخره للالحاق والواحدة دباءة وهي نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه ياخذ قطع القرع من أي محل وجدت فيه فان قلت أكل انسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ما يليك لمن رآه يجيل يده في الطعام الا في الفواكه فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان الاكل مما يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لاسيما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه برضاء صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يواكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدباء بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وأنكره القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين وهمزته زائدة ولذا ذكره في باب دبب وخطا صاحب القاموس الجوهري في ذكره في المعتل في مادة دب فقال هو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء * أقول اخطا من خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره في المعتل أيضا ووجهه الهمزة للالحاق كما ذكروه فهي في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق (من حوالي القصعة) بفتح القاف اناء معروف وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنيته ساكنة وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة (فما زلت) هذا مقول أنس فتاؤه مضمومة (أحب الدباء) أي أحب أكلها تبركا بها (من يومئذ) أي من يوم اذ رآه يتتبعها ويحبها الحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له في المباحات وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث أخرجه الشيخان وكان الذي دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدباء ودعاه له فذهب معه أنس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط (وهذا الحسن بن علي) بن أبي طالب وكان الظاهر ان يقول وأتى الحسن وابن عباس الى آخره فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد (وابن عباس وابن جعفر أتوا سلمى) بفتح السين وهي زوجة أبي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودابة فاطمة الزهراء وهي التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم ابن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امرأة (وسالوها ان تصنع لهم طعاما) أي تطبخه وتحضره لهم (مما كان يعجب صلى الله تعالى عليه وسلم) وانما سالوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعرف ماكوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذي

(وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) على ما في الصحيحين وأما ما وقع في أصل الدلجي من ابن عباس بدل ابن عمر فليس في محله
(يلبس) بفتح الموحدة (النعال السبتيه) بكسر السين نسبة الى السبت وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ وهو ورق السمر وقيل
صمغه يتخذ منه النعال سميت بذلك لان شعرها قد سبتت عنها أي أزيل وقيل منسوبة الى موضع يقال له سوق السبت بالكسر
(ويصبغ) بتثليث الموحدة وضمها أشهر (بالصفرة) أي بالحناء (اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك) أي مثل ما ذكر
من لبس النعال السبتية وصبغ اللحية بالصفرة لكمال المتابعة في هيئة الموافقة من الكمية والكيفية

في الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي ابن
الصحابي وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن أكله فقالت
انا لا نشتهيه اليوم فقال وابل اصنعيه لنا فقامت وطبخت شيأ من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيأ
من زيت وفلفل وتوابل وقربته اليهم (وكان ابن عمر) عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى
عنهما في حديث رواه الشيخان (يلبس النعال) جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مؤنثة
(السبتية) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وتاء مثناة فوقية وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ
وأزيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا أهل
السعة والجاه وهي منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح أوله أيضا
ويقال انها نعال سود (ويصبغ بالصفرة) وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم ويصبغ
مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ أصفر والمراد انه يصبغ ثيابه
بشئ أصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من النهي عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهي عنه
المحرم في الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روى عن ابن جعفر انه قال رأيت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا أحاديث
كثيرة صحيحة تدل على جوازه أيضا وقوله (اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك) تعليل
لفعله ومحبته لما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ أوله ولبس النعال
وهو أنسب باشارة البعيد وهذا استشهاد للاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم في المباحات بالنسبة اليه
وان اختلفت في الاقتداء به في مثله هل هو مباح في حق المقتدي به أم لا كذهابه في العيد من طريق
وعوده من أخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر (ومنها)
أي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم (بغض من أبغض الله ورسوله) بغض الرسول صلى الله عليه
وسلم ظاهر من مثل أبي جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله أو بكفره أو بانكاره كالمعطلة
والدهرية (ومعاداة من عاداه) أي من يتخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما
لان معاداة الله تعالى انما هي بمعاداة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور
(ومجانبة من خالف سنته) أي اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه (وابتدع في دينه) أي أظهر
البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيري لما قبله (واستثقال كل من يخالف شريعته) أي عده ثقيلا
منفورا عنه غير مقبول وأصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كل أمر ثم ذكر ما بينه من الكتاب
العزيز فقال (قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا
ينبغي ان يكون وهو مبالغة في النهي (يوادون) أي يكون بينهم وبينهم مودة (من حاد الله ورسوله) أي

(ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (بغض من أبغض الله ورسوله) بالنصب في النسخ المصححة أي من أبغضهما ووقع في أصل الدلجي بالرفع فقال أي من أبغضاه والاول أيضا قد نص عليه الحلبي وهو الاظهر فتدبر لان بغض الله تعالى للعبد ارادة عقابه وايقاع الهوان به وهذا غير معلوم لنا بخلاف من ظهر منه بغضهما كأبي لهب وأبي جهل ونحوهما واسم الله للتزيين وللاشعار بان من أبغض رسوله فقد أبغضه والا فلا يوجد في العالم من أبغض الله تعالى فكل يدعي محبته الا ان أكثرهم أخطأوا طريق ما يقتضي مودته ولذا اكتفى بضميره عليه الصلاة والسلام في قوله (ومعاداة من عاداه) أي من اتخذه عليه الصلاة
والسلام عدوا (ومجانبة من خالف سنته) أي طريقته أي عمل بغيرها (وابتدع في دينه) أي أظهر البدع في سبيله (واستثقاله) أي
عد المؤمن المحب ثقيلا (كل أمر) أي من قول أو فعل أو حال وروي واستثقال كل أمر (يخالف شريعته قال الله تعالى) أي اعلاما بما
ذكر من كمال محبته (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يكملون في الايمان بحسب الباطن والظاهر (يوادون من حاد الله
ورسوله) أي يحابون ويصادقون من خالفهما والمعنى انه لا ينبغي ان يكون هذا الامر بل حقه ان يمتنع مبالغة في النهي عنه بمجانبة
أعدائهما (ولو كانوا آباءهم) أي أصولهم (أو أبناءهم) أي فروعهم (أو اخوانهم) أي اقرانهم (أو عشيرتهم) أي أقاربهم وأهل
محبتهم وهو تعميم بعد تخصيص

(وهؤلاء) أي المؤمنون بالله واليوم الآخر حقا (أصحابه) أي عدلا وصدقا (قد قتلوا أحباءهم) أي أحبابهم وأصحابهم (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته) أي في سبيل رضاء الله ورسوله روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الآية عني بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد أبا عبيدة قتل أباه يوم أحد أو أبناءهم يريد أبا بكر رضي الله تعالى عنه دعا ابنه للبراز يوم بدر فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد أو اخوانهم يريد مصعب بن عمير لانه قتل أخاه يوم أحد او عشيرتهم يريد عليا ونحوه ممن قتلوا عشائرهم كذا في مبهمات القرآن لشيخ مشايخنا الجلال السيوطي وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام يوم بدر على ما نقله الدلجي (وقال له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (عبدالله بن عبدالله بن أبي) وكان أبوه علم النفاق ورأس الكفر ورئيس الشقاق وهو من أكابر أهل الوفاق (لو شئت) لو أردت وأمرت بقتله (لاتيتك برأسه يعني) أي يريد بضميره (أباه) أي عبدالله

يخالفونه ويعارضونه (وهؤلاء أصحابه رضي الله تعالى عنهم) أي مما علم من حال أصحابه حتى كأنهم يشاهدون متلبسين به (قد قتلوا أحباءهم) أي أصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا لكثير من الصحابة وروى قلوا أي أبغضوهم وأبعدوهم قال الله تعالى ما ودعك ربك وما قلى (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم) الذين بقوا على الكفر (في مرضاته) في تعليلية والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضاء كابي عبيدة بن الجراح قتل أباه ببدر وعمر رضي الله تعالى عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه قتل أخاه ونحوه مما هو مذكور في السير (وقال له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عبدالله) رضي الله تعالى عنه (ابن عبدالله بن أبي) ابن سلول رأس المنافقين وابنه عبدالله هذا كان من الصحابة المخلصين في محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لو شئت) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتيتك برأسه يعني أباه) عبدالله ابن سلول أي قتلته وأتيت برأسه لك وكان ابن سلول رئيس أهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظاهر النفاق وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين وأما ابنه عبدالله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلما ظهر من أبيه ما ظهر قال يارسول الله أسألك بالله الا ما أذنت لي في قتل أبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا ما رواه البخاري (ومنها) أي من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يحب القرآن الذي أتى به) للناس من عند ربه (عز وجل وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى) هو أي وصل الى الله به (وتخلق به) أي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه (حتى قالت عائشة) رضي الله تعالى عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خلقه القرآن) أي كان دأبه التمسك به والتادب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القرآن نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها فتخلق بمعنى أظهر الخلق كتجمل بمعنى أظهر الجمال كما في كامل المبرد رحمه الله تعالى وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله

يا أيها المتحلي غير شيمته * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وليس بمراد هنا (ومحبة القرآن تلاوته) أي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها عند أهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة (والعمل به) أي بما فيه من الاحكام والمواعظ (وتفهمه) أي التقييد بفهم معانيه

والحديث رواه البخاري وقال ذلك لما همّوا بابيه حين بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يارسول الله بلغني انك تريد قتل عبدالله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به وأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني واني أخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان أنظر الى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا استشهد عبدالله يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة روى عنه أبو هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما

(ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (ان يحب القرآن الذي أتى به عليه الصلاة والسلام وهدى به) أي بسببه الانام (واهتدى) أي في نفسه باخلاق الكرام (وتخلق به) أي اتخذه خلقا في جميع الاحكام (حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) أي في تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (كان خلقه القرآن) أي كان ممتثلا باوامره ومنتهيا عن زواجره ومتمسكا بآدابه وما اشتمل عليه من مكارم أخلاقه نحو قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وأمثاله (ومحبة القرآن) أي علامة حبه له (تلاوته) أي دوام قراءته (والعمل به) والانسب ما في نسخة من تاخيره عن قوله (وتفهمه) أي طلب فهمه في مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان أحوال أنبيائه وأوليائه وعاقبة أعدائه

(ويحب) أي وان يحب (سنته) أي احاديثه (ويقف عند حدودها) أي أوامرها ونواهيها (قال سهل بن عبد الله) التستري (علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه الصلاة والسلام حب السنة) أي احاديثه واخباره وأحواله وسيره وآثاره (وعلامة حب السنة) أي بعد علمها وفهمها (حب الآخرة) اذا قل العلم معرفة أن الدنيا فانية والآخرة باقية ونتيجته أن يعرض عن الدنيا ويقبل على العقبى وهذا معنى قوله (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) لانهما لا يجتمعان لقوله عليه الصلاة والسلام من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى

معانيه وجعل هذا عين الحب لتسببه عنه (و) من العلامات لمحبته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا أن (يحب سنته) أي طريقه وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز أن يريد بسنته احاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن وكثيرا ما تطلق عليه (ويقف عند حدودها) أي لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر فالوقوف فيه ترشيح مليح (قال سهل بن عبد الله) التستري وقد تقدم (علامة حب الله) أي امارته ودليله (حب القرآن) وقد تقدم بيانه (وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فان من أحب الله تعالى أحب حبيبه وكلامه (وعلامة حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة) فان من أحبه لا يخالفه ولا يعصيه (وعلامة حب السنة حب الآخرة) لان من أحبه وأتبعه أحب لقائه ورغب في الآخرة كما مر (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان في قلب مؤمن وبغضهما لا يقتضي التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر) ويقتني (منها الا زادا) أي مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يختزن منها ما لا حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تبتغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت

(وبلغة) بضم فسكون أي ما يبلغه به (الى الدار (الآخرة) كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر

وانا لفي الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسري

(وعن ابن مسعود) في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في فضائل القرآن وفي نسخة وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (لا يسأل أحد) من غيره (عن نفسه) أي عن أحوال نفسه في محبته الله ورسوله (الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله) فاذا أراد ان يعرف حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى كانه سأله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهي غاية مطلوبه كما قيل

ان كنت تزعم حبي * فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه * من لذيذ خطابي

(ومن علامات محبته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على أمته) بان يحبهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم (ونصحه لهم) ببيان ما يصلحهم من أمورهم (وسعيه في مصالحهم) بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم (ورفع المضار عنهم) بدفع المظالم وازالة مضايقتهم (كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين) منا ومن غيرنا لا بغيرهم (رؤفا) شفوقا (رحيما) منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله تعالى به في كتابه العزيز فعلينا الاقتداء به والتخلق باخلاقه (ومن تمام محبته) أي كمالها وأقصى مراتبها التي لا تتم

وقد شبهتا بالضرتين وبالكفتين (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها) أي لا يأخذ ولا يمسك منها (الا زادا) أي قدر ما يتزود به (وبلغة) بضم فسكون أي مقدار ما يبلغه (الى الآخرة) فان تحصيل الزيادة على قدر الضرورة وبال وحسرة فان حلالها حساب وحرامها عقاب والاشتغال بها حجاب وفي أصل الحجازي زاد وبلغة بالرفع فيقرأ لا يدخر مجهولا (وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يسئل أحد عن نفسه) أي عن طيب حالها وخبث مالها (الا القرآن) فانه ميزان الانسان للعدل والاحسان (فان كان يحب القرآن) أي تلاوته ومتابعته (فهو يحب الله ورسوله) أي ومن يحبهما فهما يحبانه أيضا والمعنى انه لا ينبغي لاحد أن يرضى بما في نفسه من

 الدعوى فانه كما قيل ما أيسر الدعوة وما عسر المعنى (ومن علامات حبه) أي أصل حب المؤمن المحب (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته) أي خوفه ومرحمته (على أمته ونصحه لهم) أي قيامه بنصيحتهم في أمرهم ونهيهم وموعظتهم (وسعيه في مصالحهم) أي الدينية والدنيوية الضرورية (ورفع المضار عنهم) أي بعد وقوعها ووصولها وفي نسخة ودفع المضار عنهم أي عند خوف حصولها (كما كان عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما) والرأفة شدة الرحمة ولعلها كانت مختصة بكمل المؤمنين وعموم الرحمة لعامة المؤمنين مع انه كان رحمة للعالمين وفيه اشارة الى حسن المتابعة وكمال الموافقة وايماء الى قوله عليه الصلاة والسلام تخلقوا باخلاق الله تعالى والمعنى أن التخلق يكون بقدر التعلق في باب التحقق (ومن علامة تمام محبته) أي وكمال متابعته

(زهدمدعيها) أى قلة رغبة مدعى محبته عليه الصلاة والسلام (فى الدنيا) أى التى هى دار الاكدار ومقام الآلام (وايثاره) أى اختياره (الفقر) أى قلة المال على كثرته (واتصافه) أى بالفقر حال ضرورته ويكون غنى القلب فى صورته وهذا انما يكون باعراضه عنها وتركه الالتفات اليها وعدم الاقبال عليها وسئل الزهرى عن الزهد فقال هو ان لايغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبنى منكم) أى حبا بالغا (أسرع من السيل) أى الواقع عند نزوله (من أعلى الوادى أو الجبل) شك من الراوى (الى أسفله) فان الله سبحانه وتعالى ربى أكثر الاصفياء والاولياء بوصف الفقر المؤدى الى المسكنة والفناء بخلاف الغنى فانه غالبا يؤدى الى العجب والغرور والجفاء ويشهد لذلك انه عليه الصلاة والسلام لما عرض عليه ملك الجبال بقوله ان شئت جعل الله لك الاخشبين ذهبا أبى وفى حديث آخر ان ربه عرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يارب ولكنى أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكانه عليه الصلاة والسلام اختار أن يكون تربيته تارة بوصف الجمال وتارة بنعت الجلال كما هو حال أرباب الكمال (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بتشديد الفاء المفتوحة مزنى من أصحاب الشجرة روى عنه الحسن البصرى وغيره وتوفى بالبصرة سنة ستين قال الحسن رحمه الله تعالى ما نزل البصرة أشرف منه (قال رجل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يارسول الله انى أحبك فقال انظر ماتقوله) أى تأمل فى قولك وتفكر فى أمرك فانك ادعيت دعوى فلابد من تحقيق مالها من المعنى ليكون مبنيا على اساس التقوى (قال انى والله) وفى ما

نسخة والله انى (لاحبك ثلاث مرات) أى ذكرها مكررا بالقسم مؤكدا مقررا (قال ان كنت تحبنى) أى حبا كاملا أو ان كنت صادقا فى دعوى محبتى اللازم منها كمال متابعتى (فاعد) بفتح همزة وكسر عين وتشديد دال مفتوحة ويجوز كسرها أى فهيئ (للفقر تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم أى اتخذ له عدة ووقاية تقتضى رعاية وتستوجب عناية وتستجلب هداية وأصل التجفاف لبسه للفرس تمنعه السلاح وتقيه الاذى من الجراح وقد يلبسه الانسان ويروى جلبابا وهو الازار وقال القتيبى معناه أن يرفض الدنيا ويزهد فيها ويصبر على الفقر والتقلل منها وكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن وقال ابن الاعرابى أى لفقر الآخرة يعنى يعمل عملا لايكون فى الآخرة فقيرا مفلسا حقيرا وعن على كرم الله تعالى وجهه من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلبابا أو قال تجفافا

الابها (زهدمدعيها) أى المحبة (فى الدنيا) وامورها وزخرفها (وايثاره الفقر) أى اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا (واتصافه به) أى جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته (ان الفقر الى من يحبنى منكم) معاشر المسلمين أو الصحابة (أسرع) أى يصل اليكم بسرعة أقوى (من) سرعة (السيل) اذا انحدر ونزل (من أعلى الوادى) وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء من ودى بمعنى سال ويسمى لفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال الله تعالى ألم تر انهم فى كل واد يهيمون (أو من الجبل الى اسفله) والماء النازل من علو لسفل فى غاية السرعة فضرب به مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادى أو الجبل وأفرد لانه بعد شيئين عطف باو هذا بعض من الحديث الذى بعده وقد رواه الترمذى وحسنه (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام وهو صحابى مزنى من أصحاب الشجرة أخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ستين (قال رجل) من الصحابة ولم يسموه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يارسول الله انى أحبك فقال انظر ماتقول) أى تفكر فيه وتامل فان محبتى أمر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغى ان لايحب أمرا من أمور الدنيا وهو أمر صعب (قال والله انى أحبك) اكده بالقسم لما رأى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره (ثلاث مرات) ليزيل الشبهة (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (ان كنت تحبنى) حبا خالصا صادقا لاتؤثر عليه شيأ (فاعد) أى احضر وهيئ (للفقر تجفافا) بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما ألف وتاؤه مزيدة من جف اذا يبس وهى شئ يوضع على الخيل ليقيها فى الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف أى أعد له عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لاتتحمله يعنى الصبر عليه ورياضة النفس فى تحمله فشبه الفقر بجواد محسن بما يقيه لا يصاله الى السعادة أو شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايماء الى ان من أحبه صلى الله تعالى عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختيارى بزهده فى الدنيا وقد اختلف فى الفقر والغنى وفى الفقير الصابر والغنى الشاكر أيهما أفضل وظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل فى كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه

(ثم ذكر) أي النبي عليه الصلاة والسلام قاله الدلجي والصواب أي ذكر عبد الله بن مغفل (نحو حديث أبي سعيد بمعناه) الذي تقدم قبله وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الفقر الى من يحبني الى آخره غير ان في حديث عبد الله بن مغفل للفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه

مافيه الكفاية وروى جلبابا بدل تجفافا (ثم ذكر) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله للرجل المذكور (نحو حديث أبي سعيد) الخدري أي مايشبهه (بمعناه) يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى مقره ومنتهاه تشبيه له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا حتى لايخلص منها فليستعد لها

(فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها) أي المعنى الذي وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه (اختلف الناس) المراد بهم علماء السلف والخلف وسبب اختلافهم أن المحبة التي تعارفها الناس كما ستبينه بحسب الظاهر لاتليق بالله ورسوله (في تفسير محبة الله ومحبة النبي) أي في بيان المراد بهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) التفسير (وليست ترجع بالحقيقة) أي ليس مالها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع (الى اختلاف مقال) أي اختلافا لفظيا والمعنى واحد (ولكنها اختلاف أحوال) أي سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من أحوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى أنكر بعضهم امكان محبة الله تعالى حقيقة كما في الاحياء وقال لامعنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان و بياضها الصفاء مورده وقيل من الحباب الذي يعلو الماء اذا انصب وتحرك لفورانها في القلب وقيل من أحب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رائق جمال أو فائق كمال أو فائض احسان وافضال (فقال سفيان) يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر أيضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في غيره (المحبة) يعني محبة الله تعالى بدليل الآية استدل بها (اتباع الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم في أقواله وأفعاله وكل ماجاء به عن الله لان من أحب الله لايعصيه فيما أمره به وانما يعلم أوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفاء قال (كأنه) أي سفيان (التفت) أي نظر في تفسيره هذا (الى قوله تعالى) واستنبط منه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فانه أقام اتباعه مقام محبته اذا لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهي لاتكون الا لمن أحبه والآية نزلت في اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فارشدهم الى مايحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شئ أدرك منه كمالا يحمله على مايقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فحبه يقتضي طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لاتقبل الا باتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) في معنى (محبة الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم انها (اعتقاد) لزوم (نصرته) بالمجاهدة لينصره ويعلي كلمته (والذب) بالمعجمة أي المنع والطرد (عن سنته) أي طريقته وشريعته برد مايخالفها ودفع الشبهة الموردة عليها وتصحيح أحاديثه وتفسيرها وبيانها (والانقياد لها) بان لايخالفها ويعمل بها (وهيبة مخالفته) أي الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها أي السنة

*اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي محبة العبد لهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) أي وتعددت اشاراتهم هنالك (وليست ترجع) أي مقالاتهم (بالحقيقة) أي في الحقيقة كما في نسخة (الى اختلاف مقال) أي لاتفاق مافيها في مآل (ولكنها اختلاف أحوال) كما قال قائل شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير

(فقال سفيان) أي الثوري أو ابن عيينة (المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام) أي علامة محبة العبد لله تعالى أو نتيجة محبة الله تعالى للعبد حسن المتابعة ومداومة الموافقة لصاحب الرسالة وهذا معنى قوله (كأنه) أي الشأن أو سفيان (التفت) أي في كلامه مشيرا (الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية) أي يحببكم الله (وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته) أي اعتقاد وجوب نصرة دينه وملته (والذب عن سنته) أي ودفعه عن اماتة سيرته (والانقياد لها) أي لشريعته وفي نسخة له أي لذاته وحقيقته (وهيبة مخالفته) أي خوف مخالفة طريقته بملاحظة عظمته وهذا الكلام أيضا ايماء الى علامة المحبة أو نتيجة المودة

(وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) وروى ذكر المحبوب أي لما ورد من ان من أحب شيأ أكثر من ذكره حيث لا يذهل المحبوب عن فكره في تمام أمره ودوام دهره (وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) وهذا أقرب في بيان المطلوب (وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب) أي موافقته (لمراد الرب بحب ما يحب) أي بحب المحب ما يحب المحبوب فالجملة استئنافية وفي نسخة صحيحة ما أحب وفي أخرى بحب بالجار والمجرور على ان الباء لبيان المواطاة وكذا قوله (ويكره ما يكره) وفي نسخة ما كره بصيغة الماضي

وفي النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) في تفسير مطلق (المحبة) ويحتمل انه بيان لمحبة الله تعالى (دوام الذكر للمحبوب) لان من أحب شيأ أكثر من ذكره كما (وقال آخر ايثار المحبوب) أي اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله كما تقدم (وقال بعضهم المحبة) معناها (الشوق الى المحبوب) بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية لا من المعاني اللغوية (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة وأصله ان يطأ الرجل برجله موطأ صاحبه قال الله تعالى ليواطؤا عدة ما حرم الله أي موافقة القلب (لمراد الرب) بان لا يريد الا ما أراده فيترك ما يريد الله ثم بينه بقوله (فيحب) مضارع أحب (ما أحب ويكره ما كره) وفي نسخة ما يكره والاولى أولى (وقال آخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله) أي المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام أهل الطريقة وله أمثال كثيرة كقول ذي النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله مقت (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أي موافق لما رضاه ويريده محبوبه وهي أقوال متقاربة (وأكثر العبارات المتقدمة) من أول الفصل الى هنا (اشارة الى ثمرات المحبة) انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها وأصل الثمرة نتاج الشجرة ثم قيل لكل نفع يصدر عن شيء ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية أو تخييلية ومكنية أو مجاز مرسل (دون حقيقتها) أي لا حقيقتها ودون ترد لمعان هذا منها وانما قال أكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه أو لانه احتراز عن الاخير لانه حقيقة لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله (وحقيقة المحبة) الموضوعة لها مطلقا (الميل) معناه حقيقة العدول عن الوسط الى أحد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه (الى ما يوافق الانسان) أي طبيعته قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله (وتكون موافقته له) أي لنفس المحب (اما لاستلذاذه) أي عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه (بادراكه) منه أمرا محققا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة وأشباهها) كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة (مما كل طبع سليم) من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا (مائل اليه لموافقته له) طبعا وفي نسخة موافقتها أي المذكورات (أو لاستلذاذه) أي وجود لذته واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهي لانه من الوجدانيات وهي ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والمراد بالملائم للشيء اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هي عليه بالقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشيء قد يكون ملائما من وجه دون آخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا بمجرد تخيله كما تقرر في كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه أشار بقوله أولا بادراكه الى آخره وهو القسم الاول والثاني بينه بقوله

وفي الكشاف محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أي لقلب المحب من الامور الحسية النفسية الدنيية أو الاحوال المعنوية الدينية وهذا قريب من المحبة الحقيقية (وأكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة) أي نتائجها (دون حقيقتها وحقيقة المحبة) أي من حيث هي (هو الميل) أي ميل الجنان (الى ما يوافق الانسان) أي بموجب الطبع أو بمقتضى الشرع (ويكون موافقته له) أي ويحصل موافقة القلب للانسان وميله له (اما لاستلذاذه) أي لتلذذ الانسان (بادراكه) أي بادراك ما يميل اليه مما يوافقه باحدى مشاعره الحسية

سواء كانت على وفق الشهوات النفسية أو على طبق اللذات الانسية (كحب الصور) ويروى الصورة (الجميلة) أي من (بادراكه) المبصرات أعم من ان تكون من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات حيث وقعت بالاشكال الموزونة (والاصوات الحسنة) أي من المسموعات الواردة على لسان الانسان أو الطير وسائر الحيوانات (والاطعمة) أي من الماكولات (والاشربة) أي من المذوقات (اللذيذة) قيد لهما (واشباهها) أي كحب الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللينة من الملموسات (مما كل طبع سليم) أي لا قلب سقيم (مائل اليها) أي ومقبل عليها (لموافقتها له) أي بمقتضى طبيعته مع قطع النظر عن موافقة شريعته (أو لاستلذاذه

(بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة) أي مبنية على مباني لطيفة (كحب الصالحين) أي من الانبياء والاولياء (والعلماء) وكذا الشهداء (وأهل المعروف) أي من الاصفياء (والمأثور عنهم السير الجميلة) أي الاحوال الجليلة (والافعال الحسنة) أي والاقوال المستحسنة وهذا تعميم بعد تخصيص ليشمل الملوك والامراء والفقراء والاغنياء (فان طبع الانسان) أي الكامل في هذا الشان (مائل الى الشغف) بالغين المعجمة وقيل بالمهملة وقرئ بهما قوله تعالى قد شغفها حبا يقال شغفه الحب أي بلغ شغافه وهو غلاف قلبه وهي جلدة رقيقة على القلب كالحجاب دونه والمعنى مائل الى الحب الذي يحرق شغاف القلب وحجابه حتى يبلغ الفؤاد الذي هو سويداء القلب ومحل المراد (بامثال هؤلاء) أي الموصوفين بمراتب الثناء (حتى يبلغ) أي الشغف (بقوم) أي من اتباع عالم أو شيخ أو كريم (التعصب لقوم) أي كانوا على ضدهم هو بالنصب على انه مفعول يبلغ وكذا قوله (والتشيع) أي كمال التتبع ومنه حديث القدرية شيعة الدجال وفي نسخة صحيحة حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع (من أمة) أي طائفة (في أخرى) أي في جماعة وفي نسخة في آخرين (ما يؤدي) أي ما ذكر من التعصب والتشيع (الى الجلاء) بالفتح والمد أي الخروج (عن الاوطان وهتك الحرم) بضم ففتح أي قطع ستارة حرمة الذرية والنسوان (واخترام النفوس) بالخاء المعجمة أي استئصالها باقتطاع الارواح من الاشباح (أو يكون حبه اياه) أي ميل الانسان الى موافقة هواه (لموافقته له من جهة احسانه له) وفي نسخة اليه (انعامه عليه فقد جبلت النفوس) أي خلقت مجبولة ومطبوعة (على حب من أحسن اليها) وفي نسخة من أحسن اليه وفي أخرى له فقد ورد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها رواه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وصححه وورد في الدعاء اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا يحبه قلبي

(بادراكه) بعد الوصول اليه لا قبله (بحاسة عقله وقلبه) فيه تسمح على رأي الحكماء لان المدرك عندهم القوى الناطقة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان أهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها (معاني باطنة) غير مدركة بالحواس الظاهرة (شريفة) أي نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كأنها في شرف أي مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة لامية أو المراد حاسية هي العقل فالاضافة بيانية (كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف) المراد بالمعروف كما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب والصغاني (و) حب (المأثور) أي المنقول (عنهم السير) المراد بها الاحوال والصفات (الجميلة) الحسنة المحمودة شرعا وعقلا (والافعال الحسنة) كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصري (فان طبع الانسان مائل الى الشغف) أي المحبة الزائدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه أي غلافه أو نياطه أو داخله وحبته وهذا أنسب بالمراد وروى بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثاني بمعنى الاحراق يقال شعفه الحب اذا أحرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتي بهذا مزيد بيان وقوله (بامثال هؤلاء) أي بهؤلاء وأمثالهم أنفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما تقرر في كتب المعاني والاشارة للصالحين ومن بعدهم (حتى يبلغ) الشغف بهؤلاء وفرط حبهم (التعصب) تفعل من العصبة وهي الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة في الصيانة حتى تفارقوا من خالفهم في محبتهم للحمية والغضب لمن أحبه (والتشيع) تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب أيضا وضمنه معنى الانفصال لقوله (من أمة) أي فارقوا أمة خالفوهم وصاروا (في آخرين) أي في قوم آخرين وفي نسخة أخرى أي أمة أخرى والشيعة من المشايعة وهي المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضي الله تعالى عنه كما مر ويأتي (ما يؤدي) أي يوصل يقال اداه الى كذا أي أوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ أي يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثاني أقرب (الى الجلاء) بفتح الجيم واللام والمد الخروج (عن الاوطان) أي المساكن والبلاد والاهل (وهتك الحرم) بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان ويمنع ولذا قيل للنساء حرم أي افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صيانته (واخترام) بخاء معجمة ومثناة وراء مهملة (النفوس) أي الذوات أو الارواح أي اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كأنها قطعت عمره وكل ما استأصل شيأ اخترمه وفي نسخة القلوب والاول أحسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة فقال (أو يكون حبه اياه) وميل نفسه وطبعه اليه (لموافقته له) أي لملائمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه اليه) أي انعامه وبذله وجوده وفي نسخة له أي لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت النفوس) بالبناء للمفعول أي جعلت مطبوعة ومخلوقة (على حب من أحسن اليها) كما جبلت على بغض من أساء اليها وقيل ان هذا من ألفاظ النبوة

(فاذا تقرر لك هذا) أي ثبت عندك هذا الكلام (نظرت) أي رأيت (هذه الاسباب) أي أسباب المحبة من الجمال الصوري والكمال المعنوي والاحسان الوفي (كلها) أي جميعها موجودة ثابتة (في حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة) أي ٣٧٤ على وجه التمام (اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منهما) أي من الشمائل الدالة عليهما والفضائل المشيرة اليهما (قبل) أي قبل هذا الباب فيما سبق من الكتاب (مالا يحتاج الى زيادة) أي وكثرة اطناب (واما احسانه) أي الدنيوي الصوري (وانعامه) أي الديني والاخروي (على أمته) أي اتباع ملته (فكذلك قدم) ويروى مضى (منه) أي بعضه (في أوصاف الله تعالى) أي فيما أعطاه الله تعالى (له) وأثنى عليه من الصفات الجميلة والنعوت الجليلة (من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته) أي وخوفه (عليهم واستنقاذهم) أي استخلاصهم (به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) أي بحسب مراتب ايمانهم ومناقب اذعانهم (ورحمة للعالمين) أي بجميع أعيانهم (ومبشرا) بالنصب على الحكاية أو التقدير كان مبشرا للمؤمنين المطيعين بالجنة (ونذيرا) أي مخوفا للعاصين بالعقوبة (وداعيا الى الله) أي الى محل قربه (باذنه) أي بتيسيره وتوفيقه (ويتلو عليهم آياته) أي آيات القرآن المشتملة على معجزاته (ويزكيهم) أي يطهرهم بنصائح بيناته (ويعلمهم الكتاب) أي أحكامه الخفية (والحكمة) أي السنة الجلية (ويهديهم الى صراط مستقيم) أي طريق قويم ودين قديم (فاي احسان أجل قدرا وأعظم خطرا) أي أمرا

فغاير

ولم أره بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه ففي الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي فاشار الى ان حب المحسن اضطراري وفي الاحياء ان المحبة قد تكون لغيره ذا من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه أيضا في ائتلاف القلوب أمر غامض لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشيء منجذب اليه وفي الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر على الطالع ومقابله لا أصل له وورد في حديث رواه في الفردوس لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاءه حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاءه حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف (فاذا تقرر) أي ثبت وتحقق (لك هذا) المذكور من أسباب المحبة (نظرت لهذه الاسباب كلها) أي عرفتها بنظر سديد وكلها تأكيد للاسباب أو مبتدأ خبره (في حقه) أي موجودة في حقه وشانه مقررة محققة (فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة) بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله (اما جمال الصورة) وهو السبب الاول وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه (والظاهر) عطف تفسير للصورة (وكمال الاخلاق) أي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن الظاهري بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله (والباطن) عطف تفسير له (فقد قررنا) أي بينا في هذا الكتاب سابقا (منها قبل) مبني على الضم (فيما مر أول الكتاب مالا يحتاج الى زيادة) فيه هنا (واما احسانه) صلى الله عليه وسلم وهذا هو السبب الثاني (وانعامه على أمته) يعني أمة الاجابة (فكذلك) أي مثل ما قبله في عدم احتياجه للبيان هنا لانه (قدم منه) اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاؤه   وعلى تفنن مادحيه ووصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف (في أوصاف الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة أو توصيف ثم بينه بقوله (من رأفته بهم) أي شفقته ولطفه بهم كما مر (ورحمته لهم) أي انعامه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته (اياهم) أي من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين وأي احسان أعظم من هذا (وشفقته) أي حنوه (عليهم) ومرحمته لهم (واستنقاذهم) أي تخليص الله هذه الامة (به) أي بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ بعثه اليهم (من النار) وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها (وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) كما في قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم كما مر مع تفسيره (و) انه (رحمة للعالمين) فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ منصوبا أي كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله (ومبشرا) بكل خير (ونذيرا) مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم (وداعيا الى الله) ودينه الحق (باذنه) في الدعوة أو بارادته كما مر (وسراجا منيرا) منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال (ويتلو عليهم آياته) المرشدة لهم فيقرأ عليهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن العظيم (والحكمة) وما يكملهم من المعارف والاحكام (ويهديهم الى صراط مستقيم) يدلهم على الطريق الموصل الى الله تعالى بلطفه وهذا مما وصفه الله به في كتابه العزيز (فاي احسان) أي للتعظيم والتفخيم كما يقال عندي رجل أي رجل أي كامل الرجولية (أجل قدرا) وارفع رتبة (وأعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أي قدرا أو شرفا

(من أحسانه) عليه الصلاة والسلام (الى جميع المؤمنين) أي خصوصا (وأي افضال) أي اكرام واقبال (أعم منفعة وأكثر فائدة) أي أتم نتيجة (من انعامه على كافة المسلمين) أي جميع المنقادين ولو من أهل الذمة والمنافقين (اذكان) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ذريعتهم) أي وسيلة أهل الاسلام (الى الهداية) أي هدايتهم الى سبل السلام ودلالتهم الى مقام الكرام (ومنقذهم من العماية) بفتح العين أي ومخلصهم من الغواية ومنجيهم من الضلالة الى الهداية (وداعيهم الى الفلاح) أي الفوز والنجاح (والكرامة) أي بحملهم على الصلاح (ووسيلتهم الى ربهم) أي الى تقربهم اليه (وشفيعهم) أي لديه (والمتكلم عنهم) أي في الزام الحجة بما يليق عليه (والشاهد لهم) أي مزكيهم بالخير (الموجب) أي الطالب وفي نسخة المحب (لهم البقاء

الدائم) أي الى الابد (والنعيم السرمد) أي المستمر الذي لانهاية له ولا غاية (فقد استبان) أي ظهر (لك انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أي مستحق (للمحبة الحقيقية) أي والمودة العرفية (شرعا وطبعا بما قدمناه) ويروى لما مر (من صحيح الآثار) أي وصريح الاخبار المنقولة عن المشايخ الاخيار والعلماء الاحبار (وعادة) أي رسوما عادية (وجبلة) أي خلقة طبيعية (بما ذكرناه) أي من ان جميع ما يصل الينا من نعم الدارين فهو من فيض انعامه علينا (آنفا) أي زمانا قريبا وهو بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما في السبعة (لافاضة الاحسان) أي على جميع افراد الانسان (وعمومه الاجمال) أي المعاملة بالجميل في جميع الاوقات والاحوال (فاذا كان الانسان) أي بطبعه (يحب من منحه) أي أعطاه عطية من ابن أوغيره من هدية

فغاير بينهما تفننا (من احسانه) أي احسان هذا النبي الكريم على أمته فكيف لا يحسن (الى جميع المؤمنين) خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام (وأي افضال) بمعنى احسان وتفضل (أعم منفعة وأكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين) أي جميعهم وقد قيل كما ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطأ وان وقع في عباراتهم كما في درة الغواص وقد أجبنا عنه في شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه (اذ) تعليلية أي لانه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان ذريعتهم) أي وسيلتهم وسبب موصل لهم (الى الهداية) أي ما يخلصهم وينجيهم وأصل الذريعة سترة يتخذها الصائد للفوز بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان (ومنقذهم) مخلصهم (من العماية) بفتح العين وهي الغواية والجهالة ٢ (وداعيهم الى الفلاح) أي الفوز والظفر بسعادة الدارين (و) الى (الكرامة) أي الاكرام بنيل الخير (ووسيلتهم الى ربهم) أي موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده (وشفيعهم) في الدنيا والآخرة (والمتكلم عنهم) عند الله ببيان اعذارهم وهم أحوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتكلم (والشاهد لهم) بانهم آمنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهدون للانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم قد بلغوا ومهم فيزكيهم كما تقدم (والموجب لهم) أي الذي يحقق لهم (البقاء الدائم) بالخلود في الجنة وليس المراد الوجوب الشرعي لانه لا يجب على الله شئ (والنعيم) في الجنة (السرمد) أي الدائم الذي لا ينقطع ولولاه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن شئ من ذلك (فقد استبان لك) بما ذكر أي ظهر واتضح (أنه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أي مستحق (للمحبة الحقيقية) لان أسبابها متوفرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم على أكمل وجه لا يتيسر لغيره (شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار) الموجبة له مزيد شرف وحسن ترف وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مأمورون بمحبته واتباعه بامر من الله له (وعادة) معطوف على قوله شرعا أي ما اعتاده الناس في كل عصر من محبة من حاز الكمال كله (وجبلة) لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله تعالى عليه وسلم والنفوس مجبولة على حب من أحسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين المجبولين الاولين (بما ذكرناه) متعلق باستبان (آنفا) بالمد أي قريبا وهو منصوب على الظرفية من أنف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة (لافاضته) أي اعطائه من بحر كرمه (الاحسان) بكل خير دنيوي وأخروي (وعموم الاجمال) أي تعميم الجميل منه لكل أحد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله (فاذا كان الانسان يحب من منحه) أي أعطاه والمنحة العطية

(٢) قوله لانها تطلق في مقابلتها كما قال تعالى وأما ثمود فهديناهم وسئل بعض الفضلاء عن وجه تخصيص ثمود بالهداية دون غيرهم فاجيب بانهم خصوا بذلك لانهم طلبوا آية يكون بها اهتداؤهم فهدوا بها فتعرضوا اليها بالاتلاف فاستحبوا بذلك العمى على الهدى المطلوب لهم واستحباب العمى لهم بالتقدير الالهي من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا نسخه

(في دنياه مرة أو مرتين) أي ولو على وصف القلة (معروفا) أي ما عرف حسنه شرعا وطبعا في الحديث أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في العقبى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيآته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان في الدنيا والآخرة (أو استنقذه) أي استخلصه وفي نسخة أنقذه أي أنجاه وأخلصه (من هلكة) بفتحتين كان الاولى ان يقال من مهلكة (أو مضرة) أي مما فيه هلاك نفس أو ضرر مال أو تلف حال أو نقصان جاه (مدة) أي من الزمان قليلة أو كثيرة (التأذي بها) أي بالمضرة وكذا بالهلكة (قليل) أي أيامه (منقطع) أي زائل دوامه (فمن منحه) أي أعطى الانسان (مالا يبيد) أي مالا ينفد ولا ينقص (من النعيم) أي المقيم بجنة طيبة وحالة حسنة ويروى من النعم (ووقاه) أي حفظه وحماه (من عذاب الجحيم) وكذا من الماء الحميم (أولى بالحب) أي بالمحبة من غيره وفي نسخة وهي أصل الدلجي فهو أي فهذا المانح الكامل والباعث الكافل أولى ما يحب بصيغة المجهول والظاهر انه تصحيف (واذا كان يحب) بصيغة المجهول (بالطبع) أي من غير اختيار الطبيعة بل بحكم أصل الجبلة (ملك) أي من الملوك ولو لم يره ولم يحصل له بره وهو نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) أي معاملته في رعيته (أو حاكم) أي أمير أو وزير يحب (لما يؤثر) أي يروى ويخبر (عنه من قوام طريقته) بكسر القاف أي من اعتدال سيرته ونظام عدله في حكومته (أو قاض) بمعجمة قال الدلجي أو مهملة أي مشددة أي واعظ ويروى يحب مبنيا للفاعل فتنصب الثلاثة بعده (بعيد الدار) أي عن من يحبه بالطبع (لما يشاد) بصيغة المجهول من اشاد البناء اذا رفعه أي يشاع ويذاع ويروى لما فشا أي ظهر وانتشر (من علمه) أي المقرون بعمله (أو كرم شيمته) أي حسن خلقه مع رعيته (فمن جمع هذه الخصال) أي وبل زاد من هذه الاحوال (على غاية مراتب الكمال) جملة في محل نصب على الحال أي مجموعة وليست في بعض النسخ موجودة والمعنى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم (أحق بالحب وأولى بالميل) أي اليه (وقد قال علي رضي الله تعالى عنه في صفته عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة) أي في أول وهلة (هابه) أي توقيرا وتعظيما

(في دنياه) أي في حياته في الدنيا (مرة أو مرتين معروفا) أي شيأ حسنا كما مر تفسيره (أو استنقذه) ونجاه (من هلكة) بفتح الهاء واللام أمر مهلك (أو مضرة) أمر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد (مدة التأذي بها) أي بالمضرة (قليل منقطع) أي زائل في زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان أو لانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة للتأذي أو منون منصوب والتأذي مبتدأ خبره قليل وعلى الاول المبتدأ مدة (فمن منحه مالا يبيد) بمثناة تحتية مفتوحة وموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة أي يذهب وينفد (من النعيم) المخلد في الجنة وهذه النسخة أولى مما وقع في بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع في الاولى (ووقاه) بالتشديد والتخفيف أي صانه وحماه (مالا يفنى من عذاب الجحيم) أي النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله (أولى ما يحب) بالبناء للمفعول وفي نسخة أولى بالحب وأولى أفعل تفضيل بمعنى أحق وهو خبر من أي أحق من كل شيء يحب من نفسه وماله وأهله (واذا كان يحب) مبني للمجهول أيضا (بالطبع) متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل والعادة لا تخالفها (ملك) بكسر اللام نائب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفي نسخة نصب الجميع ويحب مبني للفاعل (لحسن سيرته) بعدله في رعيته (أو حاكم) غير ملك كأمير (لما يؤثر) أي ينقل عنه وهو مجهول أيضا (من قوام طريقته) أي حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال قال تعالى وكان بين ذلك قواما أي معتدلا (أو قاض) بضاد معجمة أي حاكم الشرع اذا سمع بعدله وهو (بعيد الدار) عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسير له (لما يشاد) مبني للمجهول أي لاجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت علت وفي نسخة لما فشا بالفاء والشين المعجمة أي ظهر وانتشر (من علمه أو كرم شيمته) أي سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهمال قاص واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال (فمن جمع هذه الخصال) كلها وحواها وكل منها فيه مستقر (على غاية مراتب الكمال) بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيري

انما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

(أحق بالحب) مما عداه (وأولى بالميل) اليه واعلم انه انما ذكر من قوله فقد استبان لك الى آخره لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهي ان هذه الامور انما تتحقق فيه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من رآه وشاهده منه لانها المؤثرة في الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لتواترها وبقاء آثارها كالمحسوس المشاهد (وقد قال علي رضي الله عنه) في حديث الحلية السابق ذكره (من رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بديهة) أي أبصره في أول رؤيته (هابه) توقيرا واجلالا

(ومن خالطه معرفة) تمييز أى علما بكريم خصاله وعميم فعاله (أحبه) أى حبا عظيما بجماله وكماله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله

(فصل) (فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبول نصحه وخلوص النصح له (قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى ليس على الفقراء اثم فى ترك الغزا كمزينة وجهينة وبنى عذرة (اذا نصحوا لله ورسوله) أى اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما سرا وعلانية فى امرهما (ما على المحسنين من سبيل) أى طريق معاقبة ولا معاتبة لاحسانهم فى ايمانهم كما يشير اليه وضع الظاهر موضع المضمر والاظهر ان وجه العدول عن الضمير افادة المعنى الاعم والايماء

واجلالا لما يرى من نور نبوته (ومن خالطه) أى صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وعاشره (معرفة أحبه) أى بعدما عرف فضائله وفواضله وشاهد شمائله لابد ان يحبه (وذكرناه) فى فضل ثواب محبته (عن بعض الصحابة) وهو ثوبان كما تقدم (انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم)

(فصل فى وجوب مناصحته) النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر مقرر لكل احد فاذا نصحه أحد من أمته تحققت المناصحة من الجانبين وأخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتى ان أصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل فى ضد الغش والاخلاص أى التوبة النصوح (قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى اثم يضيق اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم (اذا نصحوا لله ورسوله) الى آخره أى اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا واخلصوا الهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فقال ان بالمدينة ناسا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم فى الاجر ففى الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين فى ذلك (والله غفور رحيم) لهم أو للمسىء فكيف المحسن (قال أهل التفسير) فى بيان معنى الآية اجمالا (اذا نصحوا لله ورسوله) معناه (اذا كانوا مخلصين) فى أقوالهم وافعالهم (مسلمين) منقادين مطيعين حال لازمة (فى السر) أى فيما فى باطنهم مما اسروه (والعلانية) ظاهر حالهم المطابق لما فى ضمائرهم والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه أبو داود كما رواه مسلم فقال (حدثنا أبو الوليد) شيخ المصنف رحمه الله تعالى (بقراءتى عليه) قال (حدثنا حسين بن محمد) هو أبو على الغسانى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا يوسف بن عبد الله) هو حافظ الاسلام ابن عبد البر وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو بكر بن التمار) قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن قال (حدثنا أحمد بن يونس) أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن المتفنن روى عنه الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين قال (حدثنا زهير) بن محمد المروزى نزيل الشام الثقة توفى سنة اثنين وستين ومائة أخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا سهيل ابن أبى صالح) تقدمت ترجمته (عن عطاء بن يزيد) الليثى الثقة التابعى توفى سنة سبع أو خمس ومائة وأخرج له الستة

الى ان هذا الحكم لمن دام على هذا الوصف واستحكم والله تعالى اعلم (والله غفور) لهم ولغيرهم (رحيم) بهم وبامثالهم (قال أهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله) أى معناه (اذا كانوا مخلصين) أى فى أفعالهم وأقوالهم (مسلمين فى السر والعلانية) أى منقادين فى جميع أحوالهم (حدثنا القاضى) وفى نسخة صحيحة الفقيه (أبو الوليد بقراءتى عليه ثنا) أى حدثنا (حسين بن محمد) الظاهر انه أبو على الغسانى على ما ذكره الحلبى (ثنا) أى حدثنا (يوسف بن عبد الله) وهو حافظ المغرب أبو عمر ابن عبد البر (ثنا عبد المؤمن) وفى نسخة ابن عبد المؤمن (ثنا أبو بكر التمارى) بتشديد الميم (ثنا أبو داود) أى صاحب السنن (ثنا

أحمد بن يونس) وهو أبو عبد الله اليربوعى الحافظ الكوفى يروى عن الثورى وجماعة وعنه الشيخان وطائفة قال أحمد بن حنبل لرجل أخرج الى أحمد بن يونس فانه شيخ الاسلام أخرج له أصحاب الكتب الستة قال أبو حاتم كان ثقة متقنا كذا حققه الحلبى وفى نسخة أحمد بن يوسف والظاهر انه تصحيف (ثنا زهير) بالتصغير وهو ابن محمد التيمى المروزى أخرج له الائمة الستة (ثنا سهيل ابن أبى صالح عن عطاء بن يزيد) أى الليثى أخرج له أصحاب الكتب الستة

(عن تميم الداري) نسبة الى جده الدار ويقال له الديري أيضا نسبة الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام أسلم سنة تسع من الهجرة وكان نصرانيا قبل ذلك وتوفي سنة أربعين ومن مناقبه الفخام انه عليه الصلاة والسلام روى عنه حديث الجساسة على المنبر كما في آخر صحيح مسلم وفيها رواية الفاضل عن المفضول والتابع عن المتبوع وقبول خبر الواحد وذكر الدارقطني انه روى عن الشيخين وروى أيضا عن محرز كما في الصحيح وعن امرأة لا استحضر الآن اسمها كما في المسند (قال) أي الداري (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) أي ثلاث مرات للمبالغة وقد ساق المصنف هذا الحديث بسند أبي داود وقد أخرجه أبو داود في الادب ولفظه الدين النصيحة من غير تكرار وأخرجه مسلم في الايمان بنحوه وليس فيه تكرار ان الدين النصيحة ثلاثا بل مرة ٣٧٨ واحدة ولفظه الدين النصيحة بغير ان وأخرجه النسائي في البيعة ولفظه في الطريق الاولى ان الدين النصيحة مرة وفي نسخة انما الدين النصيحة مرة (قالوا) أي بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم (لمن) أي النصيحة لمن (يا رسول الله قال لله ولكتابه) كما في الاصول (ولرسوله وائمة المسلمين) ويروى ولائمة المسلمين (وعامتهم) أي جميع افراد جماعتهم (قال أئمتنا) أي من المالكية ذكره الدلجي والظاهر أي علماؤنا ومشايخنا اذ لا اختلاف في هذه المسئلة وهي قوله (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أي فرض عين على كل احد وفي شرح مسلم للنووي عن بعضهم انها فرض كفاية يسقط بقيام بعض عن الباقين انتهى ولعله محمول على تفاصيل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله بان يقوموا بجميع الامور الشرعية والاحكام ما الفرعية ومن جملتها علم التفسير والحديث والفقه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيله وهذا لا ينافي قول الجمهور حيث أرادوا وجوب النصيحة الاجمالية الموجبة للطاعة التفصيلية هذا وليس قوله ولكتابه من عبارة المصنف ولعله سبق قلم (قال الامام أبو سليمان البستي) بضم موحدة وسكون سين ففوقية بلد بسجستان والمراد به الخطابي (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين بدون اضافة ذكره الدلجي ويجوز الاضافة كما في كثير من النسخ وعلى الاول تقديره هي (ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أي عن تلك الجملة بكلمة (واحدة) أي غيرها بصيغة (تحصرها) أي تجمع معناها وتحصرها

(عن تميم الداري) وهو تميم بن أوس بن خارجة اللخمي المكنى بابي رقية وهي ابنة له لم يولد له غيرها والداري نسبة لجده الدار بن هانئ أو لدارين اسم مكان ويقال الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا أسلم سنة تسع من الهجرة وتوفي سنة أربعين وروى عنه في السنن ومسند أحمد وقصته في الجساسة مشهورة (قال) تميم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض ولذا عدل المصنف رحمه الله تعالى عن رواية مسلم مع ان كتابه أصح الكتب عند علماء المغرب وما قيل انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه أمر سهل وسؤال ساقط والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر (قالوا) أي الصحابة الحاضرون عنده (لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه) بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه (ولرسوله) بالايمان به واتباعه وطاعته (ولائمة المسلمين) الخلفاء والسلاطين والحكام (وعامتهم) ان أريد العوام فظاهر وان أريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتي بيانه (قال أئمتنا) المراد بهم علماء الاسلام أو أئمة مذهبه (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان خشي اذى فهو في سعة من الترك (قال الامام أبو سليمان البستي) بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو أبو سليمان بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه فقيل أحمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين فقوله (ارادة الخير) بدل منه أو مرفوع أو منصوب على هذا ولا مانع من الاضافة (للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أي عن جملة (بكلمة واحدة تحصرها) أي تجمع جميع معانيها قيل تقديره غيرها أي غير هذه الكلمة وهي النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وأيضا في تركيبه شئ لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تأخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده ان هذه من أوجز الاسماء وأخصرها لدلالتها على معان بمفردها ولذا قيل في كلمة لفظ الفلاح انه ليس في كلام العرب كله اجمع لخيري الدنيا والآخرة منها ثم اشار الى أصل معناها لغة بعد

(ومعناها) أى النصيحة (فى اللغة) أى لسان العرب (الاخلاص) فعنى النصيحة الحالة الخالصة مأخوذة (من قولهم) أى استعمال العرب فى محاوراتهم (نصحت العسل اذا خلصته) بالخطاب وهو بتشديد اللام أى ميزته بنار لطيفة (من شمعه) بفتح الميم ويسكن أى مومه ففى القاموس الشمع محركة وتسكين الميم مولد وهو الذى يستصبح به أو موم العسل الواحدة بهاء (وقال أبو بكر بن اسحق الخفاف) بتشديد الفاء الاولى (النصح) بضم النون (فعل الشئ الذى به الصلاح والملاءمة) أى المناسبة والمرابطة

مابين حاصل معناها فى عرف اللغة والشرع بقوله (ومعناها فى اللغة) أى فى عرف أهل اللغة (الاخلاص) أى لنفسه وغيره (من قولهم نصحت العسل اذا خلصته) وصفيته (من شمعه) بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل فهى فعيلة بمعنى فاعلة أو مفعولة لانها اخلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه (وقال أبو بكر ابن أبى اسحق الخفاف) وهو امام من أئمة اللغة ترجمته مذكورة فى التاريخ وفى نسخة ابن اسحق وهو أبو بكر أحمد بن عمر بن يوسف الشافعى وهو صاحب كتاب الخصال فى مذهب الشافعية كما قاله الرافعى (النصح فعل الشئ الذى به الصلاح) لنفسه وغيره وأراد بالفعل مايشمل القول (والملاءمة) بضم الميم ومد الهمزة من لأمت بينهم اذا وفقت وتلاءموا والتأموا بمعنى وقد تبدل همزته ياء (مأخوذة) أى مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ أوسع من دائرة الاشتقاق (من النصاح) بكسر النون وتخفيف الصاد (وهو الخيط الذى يخاط به الثوب) فلتلتئم اجزاؤه فالنصيحة على هذا مأخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله من الخفاف فانه فى أكثر كتب اللغة (وقال أبو اسحق الزجاج) امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ أبو على الفارسى وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفى فى جمادى الآخرة من سنة احدى عشرة وثلثمائة وقد ناف على الثمانين (نحوه) أى قريب مما قاله الخطابى معنى ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال (فنصيحة الله) معناها والمراد بها (صحة الاعتقاد) أى اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام فى قوله (له) وذلك بتخصيصه (بالوحدانية) أى بانه واحد أحد لاشريك له فى الالوهية ولا يشاركه أحد فى ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون على خلاف القياس قال الكرمانى (ووصفه بما هو أهله) أى بما يستحقه ويليق به كما يقال هو أهل للحمد وهو أهله ومحله وهو مجاز مأثور مشهور (وتنزيهه عما لا يجوز عليه) فى كل ما يوهم نقصا (والرغبة فى محابه) بفتح الميم جمع محب اسم مفعول أحب بمعنى محبوب أى يرغب فى كل ما يحبه ويرضاه (والبعد عن مساخطه) بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول أى كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصى وقيل هما جمع محبوب ومسخوط والاصل محابيب ومساخيط (والاخلاص فى عبادته) فيعبده امتثالا لامره من غير رياء ولا ارادة أمر آخر ولا تضره العبادة رجاء جنته وخوف ناره وان قال الرازى انه الاخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه فى محل آخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور فى حقه فاذا حملت على هذا (والنصيحة لكتابه) معناها (الايمان به) أى بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصدق بذلك تصديقا لاريب فيه (والعمل بما فيه) باتباع أوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به (وتحسين تلاوته) بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من حاق مخرجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد وقد قال القراء ان تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا أو صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم (والتخشع عنده) أى عند تلاوته وسماعه فينبغى له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا

وقد تخفف الهمز ياء فيقال الملايمة وهى الموافقة بين الاشياء (مأخوذ من النصاح) بكسر النون (وهو الخيط الذى يخاط به الثوب) أى يلائم بين اجزائه ويصلح للمرء ان يلبسه على أعضائه (وقال أبو اسحق الزجاج نحوه) أى قريبا من معناه وفى الجملة من هذه المادة قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا أى خالصة صالحة بان تكون كاملة شاملة (فنصيحة الله تعالى) أى نصيحة العبد له سبحانه وتعالى (الاعتقاد له بالوحدانية) أى فى الالوهية والربوبية (ووصفه بما هو أهله) أى من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام ونحوها (وتنزيهه) أى تبعيده (عما لا يجوز) أى اطلاقه (عليه) من النعوت السلبية فانه ليس بجوهر ولا عرض ولا فى مكان وغيرها (والرغبة فى محابه) بتشديد الموحدة أى الميل فى كل ما يحبه الله ويرضاه (والبعد من) وفى نسخة عن (مساخطه) أى والتبعد عن جميع ما يكرهه وينهاه (والاخلاص فى عبادته) أى فيما يأمره الله من أمور دنياه وعقباه وما ذكر فهو فى الحقيقة راجع الى العبد فى نصحه لنفسه لانه تعالى غنى عنه وعن عمله (والنصيحة لكتابه الايمان به) أى أولا (والعمل بما فيه) ثانيا سواء كان عالما به أو جاهلا (وتحسين تلاوته) أى وتزيين قراءته (والتخشع عنده) أى اظهار الخشوع واكثار الخضوع فى حضرته

(والتعظيم له) أى لكتابه بادب يقتضى اجلاله (وبوصف يوجب اكماله والتفقه فيه) أى طلب الفهم لمبانيه والعلم بمعانيه (والذب عنه) أى الدفع عما لايليق به وينافيه (من تاويل الغالين) بالغين المعجمة من الغلو أى المجاوزين عن الحد كالمعتزلة واضرابهم (وطعن الملحدين) أى من الزنادقة وأصحابهم (والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته) أى أولا (وبذل الطاعة له) أى الانقياد لحكمه (فيما أمر به ونهى عنه قاله) أى جميع ماتعلق بالنصيحة أوماخص به الرسول وهو أقرب والى مابعده أنسب (أبو سليمان) وهو الخطابى (وقال أبو بكر) أى الخفاف وقيل المراد به ٣٨٠ أبو بكر الآجرى (موازرته) أى النصيحة لرسوله هى معاونته ومعاضدته

كبعض العوام كما قيل ان لم تكن باكيا فكن متباكى بضمير عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول أولى وأفيد وفى التخشع مايفيد انه لاينبغى الصياح واظهار الوجد مالم يكن عن حال سلب اختيار (والتعظيم له) بان لايقرأه محدثا وان لايمد رجليه حال تلاوته ولايجلس لها فى محل قذر ولذا كرهت القراءة فى الحمام وعلى الطرقات والاسواق (وتفهمه) أى تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر (والتفقه فيه) أى فهم معانيه أوالنظر فى أحكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وأمثاله (والذب عنه) بمعجمة وموحدة أى زجر من طعن فيه من الملحدين (من تاويل الغالين وطعن الملحدين) فى تاويله بمالايليق به من الغلو وهو تجاوز الحد ولتاليه ومستمعه آداب كثيرة بينها النووى فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن فعليك به (والنصيحة لرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (التصديق بنبوته) ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من الملائكة والجن (وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه) لان طاعته واجبة وهى طاعة الله كما مر (كما قاله أبو سليمان) هو الخطابى الذى تقدم بيانه (وقال أبو بكر) هو ابن أبى اسحق الخفاف الذى مر ذكره وهو الظاهر الذى ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الآجرى الآتى قريبا (وموازرته) بواو مفتوحة أوهمزة من الازر وهو القوة أومن الوزر وهو الملجأ أى معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر أوعلى ماقبله عطف تلقين (ونصرته) أى اعانته على أعدائه أونصرة دينه واعلاء كلمته (وحمايته) أى دفع السوء عنه (حيا) بالمجاهدة معه وخدمته (وميتا) بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ماقبله (واحياء سنته) أى هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية (بالطلب) لها بان يسئل عنها ويجتهد فى معرفتها (والذب عنها) أى دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة (ونشرها) أى اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع (والتخلق باخلاقه) أى الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح (الكريمة) أى المكرمة الممجدة (وآدابه الجميلة) التى فيها جمال ومدح لمن اتصف بها (وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبى) تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها وانه المعروف بالوراق (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) معناها (التصديق بما جاء به) أى الايمان بكل ماجاء به عن الله (والاعتصام بسنته) أى التمسك بها (ونشرها والحض عليها) أى حث الناس وتحريضهم على اتباعها (والدعوة الى الله) أى الى الايمان به وتوحيده (والى كتابه) القرآن بالايمان به والعمل بما فيه (والى رسوله) بالايمان به واتباعه (واليها) أى الدعوة الى سنته (والى العمل بها) كما مر (وقال أحمد بن محمد) هو الامام المشهور أحمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ماوعدناك به من نسبته الى أبيه محمد (من مفروضات القلوب) أى مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به (اعتقاد) وجوب (النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بالمعنى المتقدم (وقال أبو بكر الآجرى) الحافظ

فى دينه وملته (ونصرته) أى اعانته على أعدائه وأهل محاربته (وحمايته) أى المدافعة عنه وممانعة من أراد نوعا من اساءته (حيا وميتا) أى فى حال حياته ومماته (واحياء سنته بالطلب) أى بالعمل بها (والذب عنها) أى وبالدفع لمن يلحد أو يزيغ عنها (ونشرها) أى اظهارها للتمسك بها (والتخلق باخلاقه الكريمة) أى الاتصاف بمحاسن شمائله وميامن فضائله الجزيلة (وآدابه الجميلة وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبى) بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم فتحتية فموحدة فياء نسبة كما مر (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به) أى مجملا أو مفصلا (والاعتصام بسنته) أى باحاديثه علما وعملا (ونشرها) أى للخلق كملا (والحض) أى الحث والتحريض (عليها) أى لمن يعمل بها جملا (والدعوة) أى دعوة الخلق (الى الله) أى دينه مجملا (والى كتابه) أولا (والى رسوله) ثانيا (واليها) أى والى السنة (والى العمل بها) آخرا (وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب) أى من الواجبات المؤكدة عليها (اعتقاد النصيحة) وهى ارادة الخير (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لطريقته وأهل ملته (وقال أبو بكر الآجرى) بمد همزة وضم جيم وتشديد راء وهو صاحب كتاب الشريعة

وقد

(وغيره) أي من علماء الامة (النصح له يقتضى نصحين) أي باختـلاف حالاته (نصحا فى حياته ونصحا بعـد مماته ففى حياته نصح أصحابه له بالنصر) أي بالمعاونة (والمحاماة) أي بالمـدافعة (عنه) أي عن ذاته (ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له) أي بالقبول والانقياد لامره ونهيـه (وبذل النفوس والاموال دونه) أي عنـا ه جمـاية لجمـاله ورعاية لاحواله (كما قال تعالى) فى حقهـم (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي من الثبات معه حال بلائه ورخائه ووقت قتاله مع اعدائه (الآية) أي فمنهم من قضى نحبـه أي نذره وعهده ومنهم من ينتظر أي وعده وما بدلوا تبديلا أي غيروا تحويلا وهـم الانصار (وقال) أي فى حقهم أيضا (وينصرون الله) أي دينـه (ورسوله الآية) أي أولئك هـم الصادقون وهم المهاجرون (واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجـلال) أي ملازمة التعظـيم والتكريم (وشـدة المحبـة له) أي بكثـرة الرغبـة اليـه وانقياد الطاعـة لديه (والمثابرة) أي المواظبة والمداومـة (على تعـلم سـنته) وفى نسـخة على تعلـيم سنته (والتفقه) بالرفع أو الجر أي التفهم (فى شريعته ومحبـة آل بيته) أي أقاربه وعترته (وأصحابه) أي وجميع صحابته وأهـل عشرته (ومجانبة من رغب عن سنته) أي مباعدة من مال عن طريقتـه وأعرض عن متابعـة شريعتـه وحقيقته (وانحرف عنها) أي انصرف عن ملته بكليته وجملته (وبغضه) بالرفع أي عداوته (والتحذير منه) أي من صحبته والشفقة أي المرحمة (على أمته والبحث عن تعرف اخلاقه) أي تعلم شمائله وتفهم فضائله (وسيره وآدابه والصـبر على ذلك) أي ما ذكر من أقواله وأفعاله وأحواله (فعلى ما ذكره) أي الآجرى (تـكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قـدمناه) أي فى تحقيق المحبة بانها نتيجة الطاعة والمتابعة (وحكى الامام أبو القاسم القشيري) وهو الاستاذ صاحب الرسالة الصوفية

وقد تقدم بيانه (وغيره) من الائمة (النصح له) صلى الله تعالى عليه وسـلم (يقتضى نصحين) أي منقسم الى قسـمين (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته) أي النصح له وهو حى (نصح أصحابه) أي هو نصح أصحابه أو كنصح أصحابه (له بالنصر) له على أعدائه (والمحاماة عنه) بدفع السوء عنه وعن من يريده (ومعاداة من عاداه) ببغضـه وتنقيصه وعدم موالاته (والسـمع) أي امتثال ما يقوله وقبوله كما فى قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله (والطاعة له) أي الانقياد التام (وبذل النفوس) أي الذوات والارواح (والاموال دونه) أي صرفها والجود بها فى حمـايته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديمها دون ما يضره (كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهـدوا الله عليه الآية) أي عاهـدوا الله على بذل أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله ونصرة رسوله صـلى الله تعالى عليـه وسـلم فوفوا بعهـدهم وهـذه الآية كما فى الصحيحين نزلت فى أنس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال أول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غبت عنه لئن أرانى الله تعالى مشهدا بعـده ليرى الله ما أصنع فلما كان من العام المقبل وقعة أحد استقبله سعد بن مالك فقال له يا أبا محمد الى أين قال واها لريح الجنة أجـدها دون أحد فقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه ووجـد فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة وضربة (وقال الله تعالى وينصرون الله ورسوله الآية أولئك هم الصادقون وهـذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله (واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعـد وفاته فالتزام التوقير) أي الادب والتعظيم (والاجلال) لقدره برفع ذكره وتعظيمه (وشدة المحبة له) بكونه أحب عنده من نفسه وأهله وماله (والمثابرة) بمثلثة وموحدة وراء مهملة أي المداومة والمحافظة (على تعـلم سنته) وفى نسخة تعليم وسنته طريقته وهديه أو حديثه (والتفقه فى شريعته) بفهم معانيها والعلم باحكامها (ومحبة آل بيته) وهم أقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة وقـد تقدم بيانهم (وأصحابه) وهم كل من اجتمع به صـلى الله عليه وسـلم مؤمنا ومات على ذلك (ومجانبـة من رغب عن سنته) أي البعـد عن كل من تركها وعـدم الركون اليه (وانحرف عنها) أي مال عنها ورغب فى غيرها (وبغضـه) أي اظهار عداوته (والتحذير منـه) من لا يعرفه بان يعرفهـم حاله وينهاهم عن استماع كلامه (والشفقة على أمته) أي اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صـلى الله تعالى عليـه وسـلم لالامر آخر (والبحث) أي التفتيش (عن تعرف أحواله) صلى الله تعالى عليه وسـلم أي أحواله المعروفة وفى نسخة أخـلاقه (وسـيرته) قال المرزوقى معناها حالة من أحوال السير ثم أجرى مجرى الشيم والعادات انتهـى (وآدابه) ليقتدى بها (والصبر على ذلك) أي حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له (فعـلى ما ذكره) أي الخفاف أو الآجرى (تـكون النصيحة احدى ثمرات المحبة) لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تأمل (وعلامة من علاماتها كما قدمناه) فى فصل العلامات ولذا قـدم المصنف رحمـه الله تعالى أمر المحبة على النصيحة كما مر (وحكى الامام أبو القاسم القشيري) عبـد الملك بن هوازن بن عبـد الملك النيسابورى صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا وعمدة أهل السنة وفقهاء الشافعية الجامع بـين الشريعـة والحقيقة

(ان عمرو) بفتح أوله (بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار) هو بالثاء المثلثة المضمومة وتشديد الواو وفي آخره راء وهم الابطال الشجعان (المعروف بالصفار) بتشديد الفاء (رؤى) بضم الراء وكسر الهمزة على انه مجهول رأى ويروى بكسر الراء فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة على انه مجهول راء لغة في رأى على ما في القاموس (في النوم) أي بعد موته (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي) أي ذنوبي (فقيل له بماذا) أي بأي سبب غفر لك (فقال صعدت) بكسر عينه أي طلعت (ذروة الجبل) بكسر المعجمة وضمها ويحكى فتحها أي اعلاه (يوما) أي من الايام (فاشرفت على جنودي) أي اطلعت عليهم (فاعجبني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في بعض غزواته أو سراياه (فاعنته ونصرته) أي على أعداه (فشكر الله لي ذلك) أي جازاني بثوبته وأثنى علي وذكرني

عند ملائكته (وغفر لي) أي وسامحني فيما وقع مني وصدر عني لخلوص نيتي وصدق طويتي انتهى كلام القشيري (واما النصح لائمة المسلمين) أي من العلماء العاملين والامراء الكاملين (فطاعتهم في الحق) أي ثابتة على الخلق وواجبة الا انه عليه الصلاة والسلام قال لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق رواه أحمد والحاكم عن عمران رضي الله تعالى عنه وروى الشيخان وغيرهما عن علي كرم الله وجهه ولفظه لاطاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذ ولي الخلافة فقال أطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (ومعونتهم) أي ومعاونتهم قولا وفعلا في مؤنتهم (فيه) أي في أمر الحق وفعل العدل (وأمرهم) أي اياهم (به) أي بالحق اذا عدلوا عن العدل لكن بطريق اللطف والرفق كما هو شأن أهل الفضل وقد قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (وتذكيرهم اياه) أي اذا نسوه (على أحسن وجه) أي ألطف طريق (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) بان خفي عليهم شئ من الاحكام (وكتم عنهم) بصيغة المفعول أي ستر عنهم أمر (من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم) أي بالبغي ولو جاروا (وتضريب الناس) بالضاد المعجمة أي وترك اغراء العامة وتحريشهم

وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين وأربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة (ان عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان) أقليم معروف وعمرو هذا أخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال المسعودي في خلافة المعتضد بالله أحد الخلفاء العباسيين في صغره صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي في سنة خمس وستين ومائتين وخلف أموالا كثيرة خلفه عليها أخوه عمرو المذكور (ومشاهير) جمع مشهور (الثوار) بضم المثلثة وتشديد الواو والف تليها راء مهملة جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده (المعروف بالصفار) منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني وقدم وجه التسمية به (رئي) مبني للمجهول من الرؤيا وهو مهموز أي رآه بعضهم (في المنام) وفي نسخة في النوم (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي) ذنوبي ومحى سيئاتي (فقيل بماذا) أي بأي سبب هذا الذي نلته (فقال صعدت) بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل أي ارتقيت وعلوت (ذروة) بكسر الذال المعجمة وضمها وهي أعلى كل مرتفع من (جبل) ونحوه (يوما فاشرفت على جنودي) أي رأيتهم في مكان عال وأطلعت عليهم (فاعجبني كثرتهم) أي حسنت عندي فسرتني (فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كنت في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي (فاعنته ونصرته) على أعدائه بمعاداني أنا وجندي معه (فشكر الله لي ذلك) القول والتمني كما قال ورقة

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها واضع

ومعنى شكر الله ثوابه وانعامه (وغفر لي) بسبب قولي هذا وقال ابن قرقول شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه (واما النصح لائمة المسلمين) جمع امام وهو الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا (ف) معناه (طاعتهم في الحق) الموافق للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث ولقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (ومعونتهم فيه) أي في الحق لا في الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى (وأمرهم به) أي باتباعه (وتذكيرهم اياه) بان يذكرهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه (على أحسن وجه) برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعى للامتثال (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) لعدم العلم به لخفائه أو لعدم الوقوف عليه (وكتم عنهم) بان خفي عليهم فلم يبلغهم خبره (من أمور المسلمين) فيقصوه عليهم (وترك الخروج عليهم) بمخالفتهم وعصيان أمرائهم وهو معطوف على طاعتهم (وتضريب الناس) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر الراء

(وافساد قلوبهم عليهم) أى على الائمة (والنصح) كان الاولى أن يقال وأما النصح (لعامة المسلمين) أى لعوامهم فهو (ارشادهم) أى دلالتهم وهدايتهم (الى مصالحهم) أى الاخروية (ومعونتهم) أى مساعدتهم ومعاضدتهم (فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل) أى عما ينفعهم معاشا ومعادا (وتنبيه غافلهم) أى بتذكير ماغفل عنه (وتبصير جاهلهم) أى بتعريف ماجهله (ورفد محتاجهم) أى معاونة فقرائهم فى حال بلائهم وعنائهم (وستر عوراتهم) أى باللباس أو ستر عيوبهم عن الناس (ودفع المضار عنهم وجلب المنافع) أى ايصالها (اليهم) وهو بفتح الجيم وسكون اللام مصدر وان الجلب محركة فما جلب من خيل وغيرها على ما فى القاموس فقول الحلبى هنا هو بسكون اللام وفتحها ليس فى محله ثم هذا كله مستفاد من

قوله عزوجل وتعاونوا على البر

الراء المهملة ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور أى ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم يقال ضربه اذا أغراه (وافساد قلوبهم) أى ترك افساد قلوب الناس (عليهم) بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدى الى التجرى عليهم ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة (و) أما (النصح لعامة المسلمين) المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفى فمعناه (ارشادهم الى مصالحهم) أى دلالتهم على ما يوصلهم الى مافيه صلاح أمورهم (ومعونتهم) أى اعانتهم (فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم) لما غفل عنه من مصالحه (وتبصير جاهلهم) أى تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة فى أموره (ورفد محتاجهم) بفتح الراء المهملة أى اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطاء والصلة وكل شئ عمدته وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التى كانت لقريش فى الجاهلية (وستر عوراتهم) أى يستر عليهم بعض معاصيهم اذا رآها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا أرشده لتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملا تقريع (ودفع المضار عنهم) أى ما يضرهم فى دينهم ودنياهم (وجلب المنافع لهم) أى كل ما ينفعهم دينا ودنيا

(الباب الثالث فى تعظيم أمره)

أى شأنه وقدره والامور المتعلقة به (ووجوب توقيره) أى تبجيله وترجيح ما يتعلق به (وبره) وصلته بالدعاء له والصلاة عليه وزيارة مقامه وبر أهل بيته (قال الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) هكذا فى أكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة لان آية الاحزاب المصدرة بيا أيها النبى ليس فيها لتؤمنوا الى آخر والتى فى الفتح انا أرسلناك دون يا أيها النبى فقيل كأنه بدأ بآية الاحزاب وثنى بآية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا أو بيض له فوصله الناسخ وفى بعض النسخ انا أرسلناك فقط وشاهدا وما بعده أحوال مقدرة كجاء معه صقر صائدا به غدا والاستشهاد بالآية بناء على ماذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا لو وقف على قوله وتوقروه كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو وقف كاف وقال القرطبى انه تام وفيه نظر فقوله تعالى (وتسبحوه) ابتداء كلام فان ضميره لله (وقال) عزوجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) تقدموا بضم أوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراءة الاخرى بفتحها أو هو مضارع قدمه المتعدى حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب أو لتنزيله منزلة اللازم والمراد نفى التقديم رأسا وعلى كل حال فالشاهد فيها

والتقوى ومن حديثه عليه الصلاة والسلام ان الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه المسلم وان الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله

(الباب الثالث) (فى تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره) أى فى تعظيم أمره بقبوله وامتثاله والتوقير التعظيم ومحله فى ظاهره وباطنه وجميع أحواله والبر هو الاحسان أى ووجوب الاحسان الى ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام من أهل بيته وعلماء أمته (قال الله تعالى) أى تعظم شانه وظهر سلطانه وبرهانه (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) أحوال مقدرة وأوصاف مقررة أى شاهدا على من أرسلناك اليهم فانت مقبول عندنا لهم وعليهم ومبشرا لمن آمن منهم بالجنة والقربة ومخوفا لمن كفر بالحرقة والفرقة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية) أى بكمالها بالخطاب على الالتفات وفى قراءة بالغيبة أى تصدقوا وتقووا دينه وتعظموا أمره والظاهر ان الضمائر لله لقوله سبحانه وتعالى وتسبحوه ومن فرق فقد أبعد ثم اعلم ان قوله قال الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك الى قوله تعالى وتوقروه هكذا وقع فى أكثر الاصول وهذه الآية فى سورة الفتح وليس فيها يا أيها النبى وانما هو انا أرسلناك كما هو فى بعض النسخ نعم فى سورة الاحزاب وقعت الآية مصدرة بقوله سبحانه وتعالى يا أيها النبى انا أرسلناك الا انه ليس فيها لتؤمنوا بالله والحاصل انه وقع تركيب بينهما بالانتقال فى تصورهما (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) أى أمرا أو معناه لا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى (بين يدى الله ورسوله) أى قدامهما بمعنى قبل اذنهما وآخر الآية واتقوا الله ان الله سميع عليم

(ويا أيها) أي وبعدها يا أيها (الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجاوزوا بأصواتكم حدا يبلغ صوته فضلا عن ان يعلوه بل عليكم ان تغضوها حتى يكون صوته فوق أصواتكم لتكون مزيته عليكم لائحة ومنزلته عندكم واضحة بان يخفض الصوت بين يديه ويخافت المتكلم اليه تعظيما وتكريما له (الآيات الثلاث) أي اقرأ الآيات الثلاث وأكملها الان البقية لما دخل في تحقيق القضية وهي قوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول أي اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم أي مخافة حبوطها وأنتم لا تشعرون أي بحبوطها وبطلانها ان الذين يغضون أصواتهم أي يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب والاجلال أو مخافة مخالفة النهي في الاقوال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي جربها للتقوى ودربها بالمشقة وقرنها لكلفتها والمعنى علم سرها وعلانيتها لهم مغفرة أي كثيرة لسيآتهم وأجر عظيم على طاعاتهم واعلم انه تنبغي هذه المراعاة أيضا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في مسجده لاسيما عند مشهده وكذا عند قراءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما أشار

اليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي برفع الصوت فوق صوته أو بندائه باسمائه فلا تقولوا يا محمد يا أحمد بل قولوا يا نبي الله ويا رسول الله كما خاطبه به سبحانه وعظم شانه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين في الآية فالمعنى نادوه باوصافه الحميدة المذكورة في كلام الرب مع خفض صوت مراعاة للادب (فاوجب الله) أي تعالى على خلقه (تعزيره وتوقيره) أي تكريمه وتبجيله (والزم) أي اتباعه و(اكرامه وتعظيمه قال ابن (وقال
عباس رضي الله تعالى عنهما تعزروه تجلوه) من الاجلال (وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه) الظاهر تنصروه أي دينه أو رسوله وهذه المباني متقاربة المعاني واعلم ان من يقال له الاخفش ثلاثة أصغر وهو أبو الحسن علي ابن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الصغير النحوي كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريري وغيره وهو ثقة توفي في شعبان سنة خمس عشرة وثلثمائة فجأة ببغداد وأما الاوسط فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالاخفش النحوي أحد نحاة البصرة من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيأ الا وعرضه علي رحمه الله تعالى وكان يرى انه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه وهذا هو الذي زاد في العروض بحر المحتث وله تصانيف كثيرة منها الاوسط في النحو وتفسير معاني القرآن وغير ذلك توفي سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الاخفش الصغير فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالاخفش المتقدم صار هذا وسطا وأما الاكبر فهو أبو

ظاهر فلا يتوهم انه لا شاهد فيها على القراءة المشهورة (و) قال (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا أصواتكم في خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول واخفضوها تادبا وتكريما له فانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب والعياط على عادة جفاة الاعراب في ترك الادب (الآيات الثلاث) وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم واضافة ذي الالف واللام لمثله جائزة في الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه أمرهم اذا خاطبوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يجهروا ويخفضوا أصواتهم تادبا معه لما في الجهر من الاستخفاف المؤدي الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ثم أثنى على من غض صوته عنده بان الله تعالى بعد امتحانه وعده بان له مغفرة وأجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لا يغفر وان من ناداه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في حجراته مع أزواجه مسلوب العقل لعدم اذنه وأرشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير نداء له فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام على الآية مفصل في كتب التفاسير (وقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بان تنادونه باسمه يا محمد ونحوه كما سيأتي فلا تقيسوه بغيره (فأوجب الله تعالى) على المؤمنين (تعزيره) بزاي معجمة وراء مهملة أي اجلاله (وتوقيره) أي التأدب معه (وألزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس) معنى (تعزروه تجلوه) الاجلال افعال من الجلال وهو التناهي في عظم القدر ولذا خص بالله تعالى فقيل ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب (وقال المبرد) شيخ التفسير والعربية (تعزروه تبالغوا في تعظيمه) وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وليس أخص منه كما توهم (وقال الاخفش) الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير المسمى بالمعاني والاخافشة المشهورة ثلاثة ولقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو من يرى ليلا ولا يرى نهارا (تنصرونه) وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم

الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها وأخذ عن سيبويه وأبي عبيدة ومن في طبقتهما وهذا ملخص كلام ابن خلكان والاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ويبصر في الشيء في يوم غيم ولا يبصر في يوم صاح قاله الجوهري قال الحلبي والظاهر ان مراد القاضي هو الاوسط والله أعلم (وقال الطبري) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه وقرئ) أو شاذا (تعززوه بزائين) بيائين لا بهمز وياء كما يتوهم (من العز) أي مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد وتقل هنا الى التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) أي الله سبحانه وتعالى وفي نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب) أي بالفعل (بسبقه بالكلام) ويروى في الكلام (على قول ابن عباس وغيره رضي الله تعالى

عنهم وهو اختيار ثعلب) وهو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي المقدم في نحو الكوفيين مولده سنة مائتين (قال سهل بن عبد الله) أي التستري (لا تقولوا قبل أن يقول) أي لا تبدؤا بالكلام عنده (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) اسكتوا قال الحجازي يروى بعكسه قلت فيصير عكس الآية والمعنى انه يجب السماع عند كلامه الذي هو الوحي الخفي كما يجب سماع القرآن الذي هو الوحي الجلي وفيه ايماء الى رعاية هذا الادب عند سماع الحديث المروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف

(وقال الطبري) وهو محمد بن جرير كما تقدم (تعينونه) الاعانة أعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقائص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته وله معنى آخر وهو الوقوف على الاحكام (وقرئ) في الشواذ (تعززوه بزائين) معجمتين تفعيل (من العز) وهو التقوية والغلبة كما في قوله تعالى (فعززنا بثالث) والعزيز رفعة القدر وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة (ونهوا) أي نهاهم الله في الآية الثانية (عن التقدم بين يديه) أي بحضرته وعنده (بالقول) بان يسبقه بالكلام (وسوء الادب بسبقه بالكلام) في أمر ما (وهو قول ابن عباس وغيره واختيار ثعلب) في تفسير الآية وثعلب لقب امام العربية واللغة وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة احدى وتسعين ومائتين (وقال سهل بن عبد الله) التستري الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله (لا تقولوا قبل أن يقول) فتستفتحون الكلام عنده وهو ترك أدب (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) أي اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير قوله (ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه) أي في الامر (وان يفتاتوا) أي يستبدوا ويستقلوا (بشيء في ذلك) أي في قضاء أمر من الامور عنده يقال افتأت بفاء وهمزة أصلية عند أبي عمرو وغيره من أهل اللغة أو هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا في رثيت الميت رثأته فهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات بالف ويقال افتات الباطل اذا اختلقه (من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا) المذكور في تفسير الآية (يرجع قول الحسن) البصري (ومجاهد والضحاك والسدي و) سفيان (الثوري) يعني انهم فسروا الآية بما هذا حاصله وما آله اشارة الى ان أكثر المفسرين ارتضوه (ثم وعظهم الله) في الآية بعد ما ذكر (وحذرهم مخالفة ذلك) أي أمره في قضائه بعدما نهاهم عن سبقه بالقول (فقال واتقوا الله) فدل على ان مخالفه غير متق (ان الله سميع) لاقوالهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عليم) بافعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير ما لا يخفى (قال الماوردي) أبو الحسن وقد تقدم ذكره (اتقوه يعني) أي يريد الله به هنا (في التقدم) بقرينة أول الآية وان كان مطلقا (وقال السلمي) أبو عبد الرحمن كما تقدم (اتقوا الله في اهمال) أي (ترك حقه وتضييع حرمته) أي احترامه وتوقيره (انه سميع لقولكم

(ونهوا) أي أصحابه وأحزابه (عن التقدم) أي المبادرة (والتعجل) وفي نسخة والتعجيل (بقضاء أمر) أي بحكم شيء (قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا) افتعال من الفوت أي يسبقوه (بشيء) أي منفردين برأيهم دونه في تصرفهم (في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به) أي ولو في أمر دنياهم والمعنى أن يكونوا تابعين له في جميع قضاياهم من أمور دنياهم وأخراهم (والى هذا) أي المعنى المذكور (يرجع قول الحسن) أي البصري (ومجاهد والضحاك والسدي والثوري) أي يوافق قول هؤلاء ذلك المقال في المآل (ثم وعظهم) أي نصحهم الله (وحذرهم) بالتشديد أي وخوفهم (مخالفة ذلك) المنهي هنالك (فقال واتقوا الله) أي احذروا مخالفته واحترسوا من معاقبته (ان الله سميع) باقوالكم (عليم) باحوالكم (قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم) أي بشيء من القول والفعل بين يديه قبل أن يعرف منه ميل اليه (وقال السلمي) وهو أبو عبد الرحمن (اتقوا الله في اهمال حقه) أي في الاوامر (وتضييع حرمته) أي في الزواجر (انه) وفي نسخة صحيحة (ان الله سميع لقولكم

عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه (والجهر) أي ونهاهم عن الجهر (له بالقول) أي في محاوراتهم (كما يجهر بعضهم لبعض) في مخاطباتهم (و برفع) أي بعضهم (صوته) أي لبعض في مجلسه (وقيل) أي روي (كما ينادي بعضا بعضهم باسمه) كما هو أحد القولين في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما تقدم والله أعلم (وقال أبو محمد مكي أي لا تسابقوا بالكلام وتغالظوا) بضم التاء وكسر اللام أي ولا تغلظوا (له بالخطاب) أي بالقول

عليم بفعلكم) فسبقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول ترك أدب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو في معنى ما قبله (ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) في الآيات الاخيرة وأعاد النداء اهتماما به وتنبيها على انه أمر آخر مستقل بالنهي ورفع الصوت بشدة الجهر سوء الادب وغلظة يعتادها العوام (والجهر له) صلى الله تعالى عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت (بالقول كما يجهر بعضهم لبعض و برفع صوته) المراد النهي عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له في النداء (وقيل كما ينادي بعضهم بعضا) فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا (باسمه) فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) و بيانه ما (قال أبو محمد مكي) وهو مكي ابن أبي طالب القيرواني المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم لا سيما علوم القرآن متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية و كتب أحكام القرآن توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (أي لا تسابقوه بالكلام) هو معنى قوله لا تقدموا الى آخره (وتغالظوا له بالخطاب) أي تخاطبوه بغلظة وأصل الغلظة ضد الرقة في الاجسام ثم شاع في المعاني والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به (ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا) أي كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدر به وهو عطف تفسير (ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ينادى به يا نبي الله يا رسول الله) بدل من أشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب دأبهم فيما بينهم هذا (وهذا) أي ما قاله مكي (كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وجهه ان النهي عن الشئ أمر بضده أو بتضمنه وقد نهى الله تعالى عن هذه الامور التي تقتضي اهانته فكأنه أمر بتعظيمه وتوقيره (على أحد التأويلين) أي التفسيرين الذين ذكرا في التفاسير وهو أن يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية أي لا تنادوه باسمه رافعين أصواتكم بان تقولوا يا محمد يا أبا القاسم كما ينادي بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بالأدب فقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني أن يكون المراد بالدعاء الدعاء على أحد أي لا تظنوا أن دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير أو شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها وهو لا يخلف الميعاد وهذا غير مراد هنا كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو والذي قاله مكي (قال غيره) أي غير مكي معنى الآية أي لا تجهروا له بالقول الى آخره (لا تخاطبوه الا مستفهمين) وفي نسخة الا مشفقين من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الا سائلين له متعلمين منه بالادب (ثم خوفهم الله عز و جل) من (ان تحبط أعمالهم ان هم فعلوا ذلك) أي جهروا له بالقول ولم يتادبوا عنده (وحذرهم منه) أي من فعلهم هذا بقوله ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون فان تحبط في محل نصب بنزع الخافض أو بحذف المضاف أي لان لا تفعلوا ما يؤدي الى احباط أعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال في الامتاع من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد

(ولا تنادوه باسمه) أي العلم (نداء) كمناداة (بعضكم بعضا) أي باسمه الذي سماه به أبواه (ولكن عظموه) أي باطنا (ووقروه) أي ظاهرا (ونادوه باشرف ما يحب) أي ما يعجبه (أن ينادى به) أي من وصف رسالة أو نعت نبوة بان تقولوا (يا رسول الله يا نبي الله) أي وأمثالهما من نحو يا حبيب الله يا خليل الله وهذا في حياته و كذا بعد وفاته في جميع مخاطباته (وهذا) أي مقول مكي (كقوله) أي كقول الله سبحانه وتعالى (في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التأويلين) أي التفسيرين المشهورين في الآية وقد قدمناهما اذ التأويل عن مجاهد وقتادة في أول الباب والتأويل الآخر هو ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما احذروا دعاء الرسول عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره (وقال غيره) أي غير مكي (لا تخاطبوه الا مستفهمين) أي عن قول أو فعل تريدون صدوره منكم أيجوز هذا أم لا وفي رواية الا مشفقين أي وجلين خائفين (ثم خوفهم الله ان تحبط أعمالهم) بفتح الحاء وسكون الباء أي بحبوطها وابطالها (ان هم فعلوا ذلك) أي المنهي هنالك (وحذرهم منه) أي مما يتعلق به من المهالك

(قيل نزلت الآية) أي الآية التي بعد هذه الآيات وهي قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه) أي على عادة الاعراب فيما بينهم عند الوقوف على الابواب (يا محمد يا محمد) مرتين (أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) أي الغالب عليهم (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) أي آداب أولى الالباب وابعد الدحى حيث قال المراد بالآية قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول فانه يابى عنه قوله فذمهم الله الى آخره ومما يدل على ما اخترناه قوله (وقيل نزلت الآية الاولى) أي ماقبل هذه الآية وهو قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم (في محاورة) بحاء مهملة أي مكالمة ومجاوبة (كانت) أي وقعت (بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قدامه (واختلاف) ويروى لاختلاف (جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) أي امامه فنهيا عن ذلك وغيرهما كذلك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب روى انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أمر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر رضي الله تعالى عنه أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافي قال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت (وقيل نزلت) كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم وتخفف (خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم) فعن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب أخرج الينا يا محمد نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس قم فاجبه فقام فاجابه وكان أحسن قولا

ان يناديه باسمه وساورد في الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد أنا رسول لك الى آخره صدر منه قبل اسلامه أو قبل النهي أو قبل علمه به ثم انه لو ناداه أحد بكنيته فقال يا أبا القاسم هل يحرم أم لا انتهى و يأتي ما فيه وان هذا مخصوص بحياته ولا يخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته حال لم يحرم كما في حال الحرب والمجادلة (قيل نزلت الآية في وفد بني تميم) قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لامر ما وكان ذلك في سنة تسع وهو سنة الوفود وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل لهم سرية فهجموا عليهم واخذوا مواشيهم واسارى قدموا بها المدينة فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فارسلوا عدة من رؤسائهم فجاؤا بابه صلى الله تعالى عليه وسلم ونادوا يا محمد أخرج الينا كما فصل في السير (وقيل) نزلت الآية (في غيرهم) أي غير بني تميم من العرب (آتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه) من خلف داره (يا محمد أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) بمقام النبوة وترك الادب (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) بقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (وقيل نزلت الآية الاولى) أي قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (في محاورة) بميم مضمومة وحاء وراء مهملتين وهي المجادلة ومراجعة القول (بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مجلسه وحضوره (واختلاف جرى) أي وقع (بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) وهما كما في البخاري عن الزبير رضي الله عنه وهو ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال في أمر بني تميم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضي الله تعالى عنه بل الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت الآية فما كان عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص وقيل انه في أمر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الاول (وقيل نزلت الآية) كما روى عن ابن عباس (في ثابت) بن قيس (بن شماس) ابن مالك بن امرء القيس الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان أيضا (خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادة العرب اذا اجتمعوا المهم يقوم واحد منهم و يذكر كلاما بليغا مقدمة للامر الذي اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعدما تره فكان له صلى الله تعالى عليه وسلم خطباء عند الوفود وشعراء كحسان رضي الله عنه (في مفاخرة بني تميم) لما قدم وفدهم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخرج الينا يا محمد ورفعوا أصواتهم فاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وعدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل عددنا ولو شئنا لاكثرنا الكلام ولكنا نحيا من الاكثار فيما أعطانا وانا نعرف بذلك أقول هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال النبي

ان يكون حبط عمله ثم) أي بعد تفقده عليه الصلاة والسلام له واطلاعه على خبره وطلبه الى محضره (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي معتذرا (فقال يا نبي الله لقد خشيت) أي بعد نزول هذه الآية (ان أكون هلكت) أي بحبوط عملي وقنوط أملي (نهانا الله ان نجهر بالقول) أي مطلقا في الشرع (وأنا امرؤ جهير الصوت) بحسب الطبع (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تسلية له عما تقدم (يا ثابت ما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة) أي سعيدا (فقتل يوم اليمامة) في خلافة الصديق تحقيقا للكرامة (وروى) كما أخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب (ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية) أي لا ترفعوا أصواتكم (قال والله لا أكلمك بعدها) وفي نسخة صحيحة بعد هذا (الا كأخي السرار) بكسر السين المهملة أي الامشابها لصاحب النجوى والمسارة والمعنى لا اكلمك الاسرار (وان عمر رضي الله تعالى عنه) كما في البخاري (كان اذا حدثه) أي كلمه عليه الصلاة والسلام (حدثه

صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا واصدقه حديثا وأفضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين دعا الناس الى الايمان به فآمن برسوله المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا أول الخلق اجابة لله تعالى حين دعانا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط في السير فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبيهم ومالهم وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم (وكان في اذنيه) أي في اذني ثابت رضي الله تعالى عنه (صمم فكان يرفع صوته) أي كان هذا دأبه كما نراه فيمن به صمم وانما المحتاج لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه أو نسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح به (فلما نزلت هذه الآية) التي نهت عن رفع الاصوات عنده (أقام في منزله) يعني لم يأت مجالس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وخشي ان يحبط عمله) برفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعدما سأل عنه (فقال يا نبي الله لقد خشيت ان أكون هلكت) أي تحقق هلاكي لاني ان حضرت عندك بطل عملي وان تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده حتى كأنه وقع بقوله (نهانا الله تعالى ان نجهر بالقول) عندك (وأنا امرؤ جهير الصوت فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ثابت أما ترضى ان تعيش حميدا) أي محمودا عند الله تعالى والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لا يحبط فهو الجواب حقيقة (وتقتل شهيدا) فيكون لك خير الدنيا والآخرة (وتدخل الجنة) وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما أشار اليه بقوله (فقتل يوم اليمامة) أي في وقعة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكة وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا (وروى) رواه طارق بن شهاب (ان أبا بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه (لما نزلت هذه الآية) لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) أبو بكر رضي الله عنه امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا اكده بالقسم فقال (والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها) أي بعد نزول هذه الآية (الا كأخي السرار) أي الا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارا وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني وهذا مروي عن ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما أيضا كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وان عمر كان اذا حدثه) صلى الله تعالى عليه وسلم

(حدثه كأخي السرار) أي في خفض صوته كما بينه بقوله (ماكان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الياء وكسر (بعد الآية) وفي نسخة بعد هذه الآية أي بعد نزولها (حتى يستفهمه) أي النبي صلى الله عليه وسلم من عمر عما ساره به لكمال اخفائه (فانزل الله فيهم) أي في أبي بكر وعمر وأمثالهما رضي الله تعالى عنهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب أو محاذرة من مخالفة الرب (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي جربها لها ومرنها عليها حتى صاروا أقوياء على احتمال مشاقها من أنواع الابتلاء وقيل اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير وفد بني تميم) أي كما مر وهو صريح فيما قدمناه (نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال) بمهملتين وتشديد الثانية صحابي مشهور وقد أخرج عنه الترمذي والنسائي (انه قال بينا) بالف معوضة عن المضاف اليه أي بين أوقات كان ويروى بينما (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي) نسبة الى اعراب البادية من آثار الجهل عليهم بادية (بصوت له جهوري) بفتح الجيم والواو أي شديد عال والواو زائدة قال الجوهري جهر بالقول رفع صوته وجهو روهو رجل جهوري الصوت وجهير الصوت (أبا محمد أبا محمد) وفي نسخة صحيحة أبا محمد ثلاث مرات (فقلنا له أغضض) بضم غينه أي اخفض (من صوتك فانك) أي في ضمن غيرك (قد نهيت عن رفع الصوت) أي عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال الله تعالى) أي تعظيما له وتعليما لنا (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) أي لا تخاطبوه بها واختلف في سببه (قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار) بمعنى راقبنا وتأن علينا حتى نفهم كلامك الوارد الينا (نهوا عن قولها) أي هذه الكلمة تعظيما (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) و(تبجيلا له) أي تفخيما

(حدثه كأخي السرار) وهذه العبارة من كلامهم قديما (ماكان يسمع) بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير أبي بكر أو عمر (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد) نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كأخي السرار (فانزل الله تعالى فيهم) أي في حق أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ومن ضاهاهما كما ثبت مدحالهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفونها (عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المختبر ليظهر للناس أدبهم وتقواهم واستحقاقهم للاجر العظيم (وقيل نزلت) آية (ان الذين ينادونك) الى آخره (في غير بني تميم) من الاعراب (نادوه باسمه) لجهلهم بمقامه وعدم أدبهم (وروى) رواه الترمذي والنسائي (عن صفوان بن عسال) بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض بن زاهد المرادي الكوفي الصحابي المشهور روى عنه الستة (بينا) بالف كافة كبينما وفي نسخة بينما (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري) بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة أي صياح شديد يقال جهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت وجهيره أي رفيعه وبين ظرف مكان أو زمان تجاب بجملة وقد تقرن باذ واذا الفجائية والافصح تركها كقوله

فبينما نحن نرقبه أتانا * معلق وفضه وزناد راعي

وتقع بعدها الجملة اذا كفت بما أو ألف (أبا محمد أبا محمد) مرتين وفي نسخة ثلاثا وأيا ينادي بها البعيد (فقلنا له) أي قال له الصحابة تعليما له وتأديبا (اغضض من صوتك) أي لا ترفعه (فانك قد نهيت عن رفع الصوت) أي نهاك الله تعالى عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض المواضع كمجلس العلماء اذا تكلف ذلك من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كالاذان وكمجالس الوعظ والخطبة ولذا روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفخر بالصوت الجهير كما قيل

جهير الكلام جهير العطاس * جهير الرواء جهير النغم

فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهى عن الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم أمرا آخر فقال (وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تأن في خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانا السنا فهمام مثلك فانظر لحالنا فانتهز اليهود الفرصة وقالوه لانها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتي عن الكشاف (قال بعض المفسرين هي لغة في الانصار) كانوا يقولونها في محاوراتهم اذا أرادوا التفهم (نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لايهامها ولاعتياد خطاب الاقران (وتبجيلا له) أي تفخيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أبلغ من التعظيم لان معناه

أي يلاحظ ويحافظ (على كل حال) أي سواء رعاهم أم لا (وقيل بل كانت اليهود) أي حين سمعوا هذه الكلمة من الآية انتهزوا الفرصة بما عندهم من الغنيمة (تعرض بها) من التعريض بمعنى الكناية (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهي الحماقة والمعنى تلوح بهذه الكلمة المستعملة في مبناها مرادا بها غير مقتضاها من مبناها (فنهى المسلمون عن قولها) أي وأمروا ان يقولوا وانظرنا بدلها (قطعا للذريعة) أي الوسيلة الى مقاصدهم الشنيعة (ومنعا للتشبه) أي تشبه المؤمنين (بهم في قولها) أي في التفوه بها (لمشاركة اللفظة) أي اللفظة في المبنى ومخالفتها في المعنى (وقيل غير هذا) أي غير ما ذكر من التفسيرين في معنى الآية محله الكتب المطولة

(فصل)

(في عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) الاولى تاخير عليه الصلاة والسلام الى هذا المقام (حدثنا القاضي أبو علي الصدفي) بفتحتين وهو ابن سكرة

قال له بجل أي حسبك (لان معناها أرعنا نرعك) من المراعاة أي احفظنا نحفظك (فنهوا عن قولها) أي هذه الكلمة (اذ مقتضاها) على تفسيرها السابق (انهم لا يرعونه) ويراعون مقامه (الا برعايته لهم) لان المعنى أرعنا نرعك (بل حقه) اللائق به (ان يرعى على كل حال) راعاهم أم لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهي كل أدب فلذا أمر الله تعالى بان يقال له انظرنا دون راعنا (وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهي الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول البرهان انها انما تأتي على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشئ لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روى ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لا ضرب عنق من سمعته يقولها (فنهى المسلمون) مبني للمفعول أي نهاهم الله عز وجل (عن قولها قطعا للذريعة) الذريعة في اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان أصل معناها لغة جمل يترك هملا في فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحشية فتأنس بها الصيد وتدنو معه فاذا ذهبوا للصيد لم يهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه فيأخذون منه بسهولة ثم سمي به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذي معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهي فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين *واعلم ان الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهي اشارة الى قاعدة مشهورة في مذهب الامام مالك وهي وجوب سد الذريعة أي يجب دفع كل ما يؤدي الى فساد في أمر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسئلة مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافي حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة أقسام فمنها ما أجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر الآبار في طريق المسلمين والقاء السم في طعامهم ومنها ما أجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة أيضا فيقدم الارجح منهما كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم من علمائهم المتأخرين ان سد الذريعة في الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذا المفعول بها ليس فسادا في حد ذاته والفساد معها ظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسئلة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافي (ومنعا للتشبيه بهم) أي ان يتشبه المؤمنون باليهود (في قولها) أي في التكلم بهذه الكلمة (لمشاركة اللفظ) واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال الواحدي في الوسيط النهي عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهاني في تفسيره ويبقى الكلام في استحباب الترك (وقيل) في تفسير هذه الآية (غير هذا) المذكور في تفسيره ففي الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا خفي عليهم شئ من كلامه راعنا أي تأن حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية أو عبرانية يتسابون بها وهي راعنا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهى المسلمون عن قولها لما فيها من الايهام وأمروا ان يقولوا انظرنا من النظرة أي امهلنا *(فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله)* أي في نقل أخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا من حديث طويل رواه مسلم وأشار اليه بقوله (حدثنا القاضي أبو علي الصدفي) هو ابن سكرة وقد تقدم وان الصدفي

(وأبو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (الاسدي) بفتحتين نسبة الى قبيلة (بسماعي عليهما في آخرين) أي مع جماعة أخر من المشايخ أومن التلامذة ويؤيد الاول قوله (قالوا) بصيغة الجمع ويريد الثاني ما في نسخة قالا بصيغة التثنية (ثنا) أي حدثنا (أحمد بن عمر ثنا أحمد بن الحسن) وفي بعض النسخ بصيغة التصغير والصواب هو الاول (ثنا محمد بن عيسى) أي الجلودي (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) اسم مفعول من التثنية (وأبو معن) بفتح فسكون (الرقاشي) بفتح الراء وتخفيف القاف ثم شين معجمة بصري ثقة (واسحق ابن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ (قالوا) أي ثلاثتهم (ثنا الضحاك بن مخلد)

نسبة لصدف قرية بالمغرب (وأبو بحر الاسدي) نسبة لقبيلته (بسماعي عليهما في آخرين) مبتدأ وخبر اشارة الى انهما من مشايخه ولطريق روايته هذا الحديث عنهما (قالوا) أي شيخاه لاهما والآخرون لانه لم يرو عنهم وعبر بضمير الجمع تعظيما أولان الواحد وما فوقه جمع (حدثنا أحمد بن عمر) قال (حدثنا أحمد ابن الحسن) أبو العباس بن بندار الرازي المعروف بالرواية وفي بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال (حدثنا محمد بن عيسى) هو الجلودي كما تقدم قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) قدمنا ترجمته قال (حدثنا مسلم) صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن مثنى) تقدم تفصيل ترجمته (وأبو معن الرقاشي) وهو زيد بن يزيد البصري الثقة (واسحق بن منصور) الحافظ الثقة المعروف بالكوسج أخرج له الستة وتوفي في سنة احدى وخمسين ومائتين (قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد) أبو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا حياة بن شريح) تقدم أيضا وفي نسخة أنبأنا قال (حدثنا يزيد بن أبي حبيب) الازدي محدث مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفي في سنة ثمان وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن ابن شماس) بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة وألف وسين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهري) بميم مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع في بعض النسخ من انه الفهري بالفاء بدل الميم تحريف (قال حضرنا عمرو بن العاص) يرسم بياء وقد تحذف كما مر (فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا) أحد (أجل في عيني منه) تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد (وما كنت أطيق) أي أقدر (أن أملأ عيني منه) أي أطيل النظر اليه وملء العين تحقيق النظر وتطويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عين حبيبها بمعنى آخر بمعنى ما يعجبه ويحسن منظره (اجلالا له) أي لاجلاله ومهابته (ولو شئت أن أصفه) بحليته (ما أطقت) وقدرت لعدم احاطة علمي به (لاني لم أكن أملأ عيني منه) لو هنا التحقيق الجواب على كل حال كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أي لا أقدر أن أصفه على تقدير اني شئت فكيف اذا لم أشأ فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم في الايمان حضرنا عمرا في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه عبد الله يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان أفضل ما بعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله اني كنت على اطباق ثلاث الى آخره فذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه أمره في الولاية وخوفه من آثامها رضي الله تعالى عنه (وروى الترمذي عن أنس) رضي الله تعالى عنه (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج) من بيته (على أصحابه من المهاجرين والانصار) رضي الله تعالى عنهم وعداه

بسكون خاء معجمة بين فتحتين أبو عاصم الشيباني النبيل البصري روى عنه انه قال ما دلست قط ولا اغتبت أحدا منذ عقلت تحريم الغيبة روى عنه البخاري وغيره أخرج له الائمة الستة (أنا) أي أنبأنا وفي نسخة أخبرنا (حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال حدثني زيد بن أبي حبيب) عالم أهل مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء (عن ابن شماسة) بضم الشين المعجمة وفتحها فميم مخففة وبعد الالف سين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهري) بفتح ميم وسكون هاء فراء توفي أول خلافة يزيد بن عبد الملك (قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر) وفي نسخة فذكر لنا أي ابن شماسة (حديثا طويلا فيه عن عمر وقال) وفيه أيضا فحول وجهه الى الجدار فجعل يقول (وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أجل) أي أعظم (في عيني منه) وفي نسخة بصيغة التثنية وما كنت أطيق) بضم الهمزة أي أقدر (أن أملأ عيني منه اجلالا له) أي واكمالا له (ولو سئلت) وفي نسخة ولو شئت (أن أصفه) أي أذكر نعت ظاهر خلقه (ما أطقت) أي ما قدرت لعدم احاطتي باوصافه خبرا (لاني لم أكن أملأ عيني منه) أي نظرا (وروى الترمذي) أي صاحب السنن لا الحكيم الترمذي وكذا الحاكم (عن أنس رضي الله تعالى عنه كان) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار

وهم جلوس) حال (فيهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي من جملتهم أو فيما بينهم أبو بكر والجملة حال أيضا (فلا يرفع أحد منهم اليه بصره) أي نظره اجلالا لمحضره (الا أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران) أي يطلعان (اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه ويتبسم اليهما) أي لكمال فضلهما على غيرهما قال الحلبي أخرجه الترمذي في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال غريب لا نعرفه الا من حديث الحاكم وقد تكلم بعضهم فيه انتهى (روى اسامة بن شريك) بفتح فكسر ثعلبي كوفي صحابي وقد روى عنه أصحاب السنن

الاربعة وصححه الترمذي (قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) الجملة حال وفي نسخة حوله جلوس أي جالسون والمعنى انهم محيطون به متحلقون لديه متادبون بين يديه (كأنما على رؤسهم الطير) بالرفع أي بحيث لو فرض أن يكون طير على رؤسهم لا يتحرك لسكونهم حال جلوسهم (وفي حديث صفته) بكسر ففتح أي نعته ووصفه عليه الصلاة والسلام وتصحف على بعضهم بصفية أم المؤمنين وليس لها هذا الحديث (اذا تكلم أطرق جلساؤه) أي أرخوا رؤسهم (كأنما على رؤسهم الطير) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة رواه عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وقال عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه) أي الثقفي على ما رواه البخاري عن مسور بن

يعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينظره (وهم جلوس) في المسجد (فيهم أبو بكر وعمر) رضي الله تعالى عنهما (فلا يرفع أحدهم اليه بصره) بل يطرقون لهابته (الا أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) ويجوز الا أبا بكر وعمر نصبا (فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه ويتبسم اليهما) لما بينهما من الالفة وقدم الصحبة والصهارة ولتمكن مقامهما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى اسامة بن شريك) الصحابي الثعلبي من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن يشكر وقد أخرج له أصحاب السنن وأحمد في مسنده (قال) أي اسامة (أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) أي محيطون به في مجلسه (كأنما على رؤسهم الطير) هذا مثل تضرب به العرب لشدة الرزانة والسكون لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقد تقدم في مقصورتي النبوية

كأنما الطير على رؤسهم * من كل غصن في ربا المجد غنا

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي (وفي حديث صفته) بالتاء المثناة الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية اسم امرأة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن أبي هالة كما تقدم (اذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير) أي طأطؤا رؤسهم تأدبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم في الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو من أعدائه يهابه لانه أمر ذاتي له (وقال عروة بن مسعود) رضي الله تعالى عنه ابن معتب الثقفي (حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا (عام القضية) أراد بها قصة الحديبية وقيل أراد السنة التي قضى فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتاويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف أراد القضية اللغوية التي جرت في الحديبية من الصلح والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي أرادها أهل السير انتهى وهذا بناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم ففسدت لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا هدي وقيل لا يلزمه هدي ولا قضاء وقيل يلزمه الهدي والقضاء وقصة القضية مفصلة في السير وعروة هذا أسلم لما انصرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وأدركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين أرسلوه مشركا (ورأى) عروة (من تعظيم أصحابه له صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى) هذا فيه من المبالغة ما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم أي رأى من اكرامهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمهم له شيأ عظيما لا يمكن التعبير عنه لفواته الحصر ولذا أبهمه وان ذكر بعضا منه بقوله (وانه)

مخرمة ومروان بن الحكم ابن أبي العاص انه (حين وجهته قريش) أي أرسلته (عام القضية) أي قضية صلح الحديبية (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في طلب الصلح سنة ست من الهجرة النبوية سمي بها لانه كتب فيها هذا ما قاضي عليه الصلاة والسلام أي صالح وأما ما ذكره الانطاكي من ان القضية كانت في السنة السابعة بعد الحديبية فهو وهم لانها تسمى عام القضاء وقد تسمى عام القضية الا انها ليست هذه القضية (ورأى) أي عروة (من تعظيم أصحابه له ما رأى) أي مما لا يكاد يستقصى (وانه) بالفتح عطفا على ما رأى وبالكسر على الجملة الحالية

(لايتوضا) أى لايستعمل الوضوء (الاابتدروا وضوءه) بفتح الواو وقد يضم أى سارعوا الى بقية ماتوضابه من الماء أوالى ماتقاطر منه من الاعضاء (وكادوا يقتتلون عليه) أى لفرط حرصهم على التبرك بمالديه أو بما أصابه من يديه ولم يصب منه شيا يكون من نصيبه أخذ من بلل يد صاحبه (ولا يبصق) بضم الصاد (بصاقا) أى ولا يبزق بزاقا من الفم (ولا يتنخم نخامة) بضم النون مايخرج من أقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة (الا تلقوها) أى أخذوها من الهواء (باكفهم) أى من غاية الهوى ونهاية الهدى (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) أى فبالغوا فى مسح أعضائهم بها (ولا تسقط منه شعرة) بسكون العين وتفتح (الا ابتدروها) أى بادروا الى أخذها وحفظها سواء كانت من رأسه أو بقية مساسه (واذا أمرهم بامر) أى من أمر ونهى (ابتدروا أمره) أى امتثاله (واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده) أى ان طلب جوابا منهم والا سكتوا وسمعوا كلامه وفهموا مرامه (وما يحدون) بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد داله أى مايشخصون (اليه نظرا تعظيما له) أى وهيبة وتكريما له (فلما رجع) أى عروة (الى قريش قال يامعشر قريش انى جئت كسرى) بكسر الكاف ويفتح وفتح الراء وقد يقال هو لقب ملك فارس أى حضرته (فى ملكه) أى تحت سلطنته وتحت هيبته وعظمته (وقيصر) أى وجئت قيصر وهو لقب ملك الروم (فى ملكه) أى فى معظم ملكه (والنجاشى) بفتح النون ويكسر وبتشديد الياء ويخفف وهو لقب ملك الحبشة (فى ملكه) أى فى دياره وداره (وانى والله مارأيت ملكا) أى من الملوك المذكورة معظما ومكرما (فى قوم) أى فيما بين جنده (قط) أى أبدا (مثل محمد فى أصحابه وفى رواية) أى أخرى كما فى نسخة (ان) بكسر همز وسكون نون أى ما (رأيت) أى ما أبصرت أو ما علمت (ملكا) أى من الملوك (قد تعظمه أصحابه مايعظم) أى مثل مايعظم (محمدا أصحابه وقد رأيت) أى أبصرت أصحابه وعلمت أحبابه واحزابه (قوما لايسلمونه) بضم الياء وسكون السين وكسر اللام أى لايخذلونه (أبدا) من اسلمته الى شئ ثم خص بالالقاء فى المهلكة بدليل حديث انى وهبت لخالتى غلاما وقلت لها لاتسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا أى لاتعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع فكراهة القصاب والحجام لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز ولما فيه من لوازم القساوة وقلة المرحمة وأما الصائغ فلما يدخل صنعته من الغش والربا وخلف الوعد والايمان الكاذبة

صلى الله تعالى عليه وسلم (لايتوضا الا ابتدروا) أى أسرعوا وأخذوا (وضوءه) بفتح الواو أى بقية الماء الذى توضابه وماتساقط منه قبل وصوله الى الارض (وكادوا) أى قربوا الازدحام ... دفع بعضهم بعضا من (أن يقتتلوا عليه) أى على وضوئه وأخذه لحرصهم على التبرك بماسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (ولا بصق بصاقا) أى رمى شيأ من ريقه الشريف (ولا تنخم نخامة) بضم النون لان فعالة وضعها الكل قليل انفصل من شئ كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول مايخرج من الفم والثانى مايخرج من أقصى الحلق (الا تلقوها) أى النخامة (باكفهم) واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما أو جعلهما اشياء واحد الاتحادهما جنسا (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) تبركا بهما (ولا تسقط منه شعرة) بفتح العين وسكونها فى حلاقة رأس ونحوه (الا ابتدروها) وسارعوا الاخذها (واذا أمرهم بامر ابتدروا أمره) بالامتثال والامر مصدر أو بمعنى المأمور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشانه وتنويها لقدره (واذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (خفضوا أصواتهم عنده) لتبيين مايقول لهم (ولا يحدون اليه النظر) أى لاينظرون اليه صلى الله تعالى عليه وسلم نظرا حديدا أى قويا أو لايبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل ينظرون اليه من طرف خفى مطرقين رؤسهم تادبا لجلالته فى قلوبهم (تعظيما له) صلى الله تعالى عليه وسلم علة للنفى لا للمنفى أى يتركون كمال نظرهم لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رجع) عروة (الى قريش قال لهم (يامعشر قريش) المعشر والمعشرة بمعنى (انى جئت كسرى) بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم (فى ملكه) فى زمن سلطنته (وقيصر) ملك الروم (فى ملكه و) جئت (النجاشى) ملك الحبشة (فى ملكه) فرأيتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشى بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر (وانى والله مارأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه) أى لايعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (وفى رواية) لحديث عروة (ان) بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما (رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه) كمثل (مايعظم محمدا أصحابه) ففيه مضاف مقدر وما مصدرية أو موصولة أى كالتعظيم الذى يعظمه أصحابه فالعائد مقدر (وقد رأيت قوما) يعنى بهم الصحابة رضى الله عنهم (لايسلمونه) بضم اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع أسلمه يقال أسلمه لعدوه اذا أمكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال أسلمه اذا ألقاه فى هلكة فهو عام أريد به خاص (أبدا) ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضى يعنى ان ماشاهدته من أحوالهم فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم له يدل على انهم لايقصرون فى نصره ويبذلون أنفسهم دونه واياكم ان تطمعوا فى خلافه

(وعن أنس رضي الله تعالى عنه كما رواه مسلم لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه) أي يحلق شعر رأسه اما بعد عمرة أو بعد الحج اذ لم يحلق في غيرهما (وأطاف به أصحابه) أي داروا حوله ليأخذوا من شعره ويتبركوا بآثاره (فما يريدون) أي من كمال اتفاقهم (ان تقع شعرة) أي من شعراته (الا في يد رجل) أي من طلاب بركاته واختلف في اسم من حلق رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحيح المشهور انه معمر بن عبد العزيز العدوي كما ذكره النووي في شرح مسلم وفي صحيح البخاري زعم وانه معمر وعن ابن عبد البر ان خراشا حلقه يوم الحديبية انتهى وأما في عمرة الجعرانة فقيل حلقه أبو هند والله أعلم (ومن هذا) أي ومن جملة تعظيم أصحابه وتكريم أحبابه (لما أذنت قريش) أي مراعاة (لعثمان رضي الله عنه) أي حين قدومه مكة (في الطواف بالبيت) أي بعد منعه منه (حين وجهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم في القضية) أي في قضية صلح الحديبية (أبى) أي امتنع عثمان أن يطوف به (وقال ما كنت لأفعل) أي الطواف وحدي (حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكمال أدبه وجمال طلبه وكان ذلك حين انتهى اليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا مكة ليعتمر فصده المشركين فدخل عثمان الى مكة للصلح وتقدم بقية القضية في الفصل التاسع من أول الكتاب (وفي حديث طلحة رضي الله تعالى عنه) أي ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرة وسيأتي بعض منقبته قريبا وقد روى عنه الترمذي وحسنه (أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله) يعنون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) أي في قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أي وفى بنذره ومنهم من ينتظر أمر قضائه وقدره في تحقيق أمره روي أن رجالا من الصحابة منهم عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم نذروا أنهم اذا القوا حربا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم أحد وبذل جهده في القتال حتى شلت يده اذ وقى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر انه أصيب في جسده بضعا وثمانين من بين طعن وضرب

وهذا بعض من حديث طويل رواه البخاري (وعن أنس) في حديث رواه مسلم قال فيه (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق) بتشديد اللام وهو الذي يحلق شعر رأسه فقوله (يحلقه) بتقدير مضاف (وقد أطاف به أصحابه) أي جلسوا حلقة حوله صلى الله تعالى عليه وسلم وطاف بمعنى دار وأطاف بمعنى استدار من غير حركة (فما يريدون ان تقع شعرة) من شعر رأسه (الا في يد رجل) منهم حرصا على التبرك بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والذي حلق رأسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوي في حجة الوداع وقال ابن الاثير في الانساب انه خراش بن أمية الكلبي وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذي حلقه بالجعرانة أبو هند وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه الا في حج أو عمرة (ومن هذا) أي تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أذنت قريش لعثمان) ابن عفان رضي الله تعالى عنه حين أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم عن البيت وارسله لاعلامهم بانهم لم يتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم أذنوا لعثمان رضي الله تعالى عنه (في الطواف بالبيت) بعد منعهم منه له كغيره حين وجهه أي أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجهتهم (في القضية) أي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كما مر (أبى) الطواف وهو جواب لما (وقال ما كنت لافعل) الطواف وحدي ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلني لذلك فلا أطوف (حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ففيه من تعظيمه والوقوف عند أمره ما لا يخفى وهذه القصة مفصلة في السير وحاصل ذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وأرسلوا عروة لاعلامهم بذلك أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان لعظماء قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة أجاره أبان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له يا عثمان ان شئت وطف فقال ما كنت لافعل فاحتبس وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة رضي الله تعالى عنه وقال انه حسن غريب وقوله ما كنت لافعل أبلغ من لا أطوف (وفي حديث طلحة) الذي رواه الترمذي وحسنه (أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله) أي سل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) في قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه للزومه كأنه نذر في ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد في سبيل الله وقتال أعدائه والثبات في مواقفه حتى كأنه نذر عليه والمراد هنا الثاني فمن اقتصر على الاول فقد قصر أي

(وكانوا يهابونه ويوقرونه) أي يعظمونه ولهذا ما كانوا بأنفسهم يسألونه وكان عليه الصلاة والسلام يتحمل من الأعراب ما لا يتحمل من الأصحاب (فسأله) أي الأعرابي (فأعرض عنه) أي عن جوابه ولم يلتفت إلى ما يتعلق ببابه (إذ طلع طلحة رضي الله تعالى عنه) أي الراوي (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) فكأنه ألزم نفسه أن يصدق الله تعالى في قتل أعدائه في الحرب وقد وفى بعهده يوم أحد وقيل المراد بالنحب هو الموت فكأنه التزم أن يقاتل حتى يموت ففي الحديث إيماء إلى أنه سيموت شهيدا وفي الحلية أنه عليه الصلاة والسلام تلا على المنبر فمنهم من قضى نحبه فسأله

رجل منهم فأقبل على طلحة ابن عبيد الله وقال هذا منهم وفي تفسير ابن أبي حاتم ان عمارا منهم وهذا يحتمل التأويل بين المتقدمين وفي تفسير يحيى بن سلام المغربي هم حمزة وأصحابه والظاهر ان المراد بهم شهداء أحد ولا يبعد أن يقال المراد بهم الشهداء والسابقون لا مقابلة الأعداء واختار ابن الملقن المعنى الأول حيث قال والذي يظهر لي أنهم المقتولون معه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وما قلناه هو الأتم الأعم والله تعالى أعلم وقد قتل طلحة رضي الله تعالى عنه في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة قال الحلبي وفي الصحابة أربعة عشر غيره ممن يقال له طلحة (وفي حديث قيلة) بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية على ما رواه أبو داود في الأدب والترمذي في الشمائل (فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) بضم القاف والفاء أي جلسة المحتبي بيديه (أرعدت) أي اضطربت (من الفرق) بفتحتين أي الخوف والفزع وذلك هيبة له وتعظيما (وفي حديث المغيرة) الذي رآه الحاكم في علوم الحديث والبيهقي في المدخل (كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون) أي يضربون (بابه بالأظافير) وفي نسخة بالأظافر أي ضربا خفيفا ودقا لطيفا تعظيما وتكريما وتشريفا وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه أنه أخذ قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه أي ضربه والمعنى شربه جميعه

منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضي الله تعالى عنه (وكانوا) أي أصحابه (يهابونه ويوقرونه) فلا يكثرون سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم اجلالا له (فسأله) الأعرابي (فأعرض عنه) ولم يجبه (إذ طلع طلحة) أي كان إعراضه في وقت طلوعه أي مجيئه لمجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل إذ هنا فجائية كقوله * فبينما العسر إذ دارت مياسير * أي فاجأهم طلوعه عليهم بغتة (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمي أحد العشرة وفي الصحابة طلحة تيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية وروى أبو نعيم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا هذه الآية على المنبر فسأله رجل من هؤلاء فأقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا منهم وكذا في سنن ابن ماجة وفي تفسير ابن أبي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير يحيى بن سلام هم حمزة وأصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة ابن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم أنس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وعمار وحمزة وأصحابه الذين قتلوا معه بأحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وإنما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في حقه ذلك لأنه كان قد غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد أبلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو أحد العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لأنه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي الآية كلام طويل في التفاسير وأمالي ابن الحاجب ليس هذا محله (وفي حديث قيلة) الذي رواه أبو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل إنها تميمية كما تقدم وحديثها في الشمائل وفيه قالت (فلما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال في القاموس القرفصى مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بضم القاف والراء أن يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه ويضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه متكئا ببطنه بفخذيه انتهى (أرعدت) أي حصل لي رعدة واضطراب (من الفرق) بفتحتين أي شدة الخوف (وذلك) أي ما كان لي من الرعدة والخوف (هيبة له وتعظيما) لجلالته وعظمه في عين رائيه (وفي حديث المغيرة) ابن شعبة الذي رواه الحاكم والبيهقي (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذا أتوه لأمر وهو في منزله (يقرعون) القرع ضرب خفيف ومس له صوت (بابه بالأظافير) جمع ظفر على غير القياس أو جمع أظفور أو أظفار بمعنى ظفر فأظافير جمع الجمع فالأول أولى لأن جمع المفرد أقيس من جمع الجمع وهذا أي ذكر الباب والقرع يقتضي أن حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم كان لها باب من

(وقال البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه كما روى أبو يعلى لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فاؤخر) وفي نسخة فاؤخره أي فاؤخر سؤاله (سنتين) بصيغة التثنية وفي نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) أي من كمال هيبته وجلال عظمته صلى الله تعالى عليه وسلم

خشب ونحوه وقدور دانه كان عليه ستر او سجف و جم بابه كان من جلد يقرع فلا يحرر فان مثله لا يقال بالرأي واعلم ان مثله هذا هل يسمى حديثا أولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو مرفوع أم لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقي في ألفيته

لكن حديث كان باب المصطفى * يقـــرع بالاظفار مما وقفا

حكما لدى الحاكم والخطيب * والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى (وقال البراء بن عازب) بن حارث الخزرجي الانصاري توفي في أيام مصعب بن الزبير في حديث رواه أبو يعلى وصححه (لقد كنت) اللام جواب قسم مقدر أي والله (أريد ان أسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر) من الامور التي تهمني أو تخطر ببالي مما أحتاج لبيانه (فاؤخر) بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول (سنتين) مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) صلى الله تعالى عليه وسلم أي من مهابته في قلبي وعظمته في نفسي

(فصل واعلم) أمر من العلم معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله (ان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهي المهابة أي احترامه والتأدب معه (بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم) على كل أحد (كما كان) لازما في (حال حياته) لبقاء نبوته ورسالته (وذلك) أي ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم (عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله) تقدم بيان المراد بهم (وعترته) بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطأ من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم في أمور دينية أو دنيوية (وتعظيم أهل بيته) أي زوجاته وخدمه وأتباعه وليس المراد به آله وعترته حتى يكون اطنابا (وصحابته) رضي الله تعالى عنهم (قال أبو ابراهيم التجيبي) بضم التاء وفتحها كما تقدم (واجب على كل مؤمن) خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه أيضا بناء على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به في الآخرة وعقابه عليه (متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده) وسمعه (ان يخضع) أي يبدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح وخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال خضع الحديث أي لينه (ويخشع) الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع أعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) أي يظهر الوقار والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) أي يشرع (في هيبته) أي اظهار مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (واجلاله) بتعظيمه حق تعظيمه (بما كان يأخذ به نفسه) أي يكلفها ويلزمها (لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم) حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويتمثله فكأنه عنده (ويتأدب بما أدبنا الله به) مثل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الى آخره ولا ترفعوا أصواتكم وغيره كما تقدم آنفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقرآن أيضا لدخوله في عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه في النصوص القرآنية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف رحمه الله تعالى ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديثي يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته حيا كما هو دأبه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما ورد في حقهم

(فصل) (واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه) بنصبهما أي بعد وفاته (لازم) أي على كل مسلم (كما كان) أي ما ذكر واجبا (حال حياته) أي لانه الآن حي يرزق في علو درجاته ورفعة حالاته (وذلك) أي التعظيم والاكرام (عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه) أي كلامه (وسنته) أي وذكر طريقته (وسماع اسمه) وكذا نعته (وسيرته) أي في جميع هيئاته من حركاته وسكناته (ومعاملة آله) أي أهل بيته (وعترته) بكسر أوله أي ذريته وقرابته (وتعظيم أهل بيته) أي من أزواجه وخدمه ومواليه (وصحابته) أي أهل صحبته (قال أبو ابراهيم) زيد في نسخة اسحق (التجيبي) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (واجب على كل مؤمن متى ذكره) أي بنفسه (أو ذكر عنده) أي على لسان غيره (أن يخضع) أي ظاهرا (أو ليخشع) أي باطنا (ويتوقر) أي يتكلف الوقار والرزانة في هيئته (ويسكن من حركته ويأخذ) أي يشرع ويسرع (في هيبته واجلاله) أي في مقام تعظيمه واكرامه (بما كان يأخذ به نفسه) أي يطلب منها (لو كان) أي فرضا (بين يديه) أي أمام عينيه (ويتأدب) بالنصب أو الرفع (بما أدبنا الله به) أي من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه

(قال القاضي أبو الفضل) يعني المصنف (وهذه) أي الطريقة المرضية (كانت سيرة سلفنا الصالح) بزمي الصالحين أي المتقدمين من الصحابة والتابعين (وأئمتنا الماضين) أي العلماء العاملين (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الحاكم وغير واحد) أي وكثيرون (فيما اجازونيه هذا لغة في اجازوه لي قالوا) أي كلهم (أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر داله وسكون لامه

ومثلثة في آخره (قال ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن فهر) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) بفتح الفاء والراء فجيم (ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال ثنا يعقوب ابن اسحق بن أبي اسرائيل ثنا ابن حميد) بالتصغير (قال ناظر) أي جادل وباحث (أبو جعفر) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس (أمير المؤمنين) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مالكا) أي الامام (في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ورفع صوته في كلامه معه (فقال له) أي مالك كما في أصل صحيح (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) أي خصوصا لانه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فان الله تعالى) وفي نسخة عز وجل (ادب قوما) أي معظمين (فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية) أي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون (ومدح قوما) أي مكرمين (فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية) أي أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم (وذم قوما) أي من الاعراب (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية) أي اكثرهم لا يعقلون (وان حرمته ميتا) بالتشديد والتخفيف (كحرمته حيا

من المدح والتعظيم وقوله تعالى فبهداهم اقتده ولقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي تعظيمه ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الآتي رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي ولا يخفى ما فيه (قال القاضي) أبو الفضل عياض المؤلف (رحمه الله تعالى وهذه) الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا واتباعا وما ذكر لقوله (كانت سيرة سلفنا الصالح) أي دأب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ثم بين هذه السيرة بقوله (حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري) هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم (وأبو القاسم بن بقي) بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وياء مثناة تحتية (الحاكم) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن يزيد بن بقي (وغير واحد فيما اجازونيه) أي رويته عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره (قالوا) أي قال هؤلاء كلهم (أنبأنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء وألف يليها ثاء مثلثة بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال (حدثنا أبو الحسن علي بن فهر) بالكسر كاسم القبيلة قال (حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) قال (حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية وألف وباء موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن أيوب قاضي المدينة قال (حدثنا يعقوب ابن اسحق بن أبي اسرائيل) قال (حدثنا ابن حميد) بالتصغير ابن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك (قال ناظر) ماض من المناظرة وهي المباحثة في امر من الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله وفيه كلام في شرح آداب البحث ليس هذا محله (أبو جعفر أمير المؤمنين) ثاني خلفاء بني العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ (مالكا) امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله (في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فرفع صوته في مناظرته (فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) النبوي المحترم واول من سمي بامير المؤمنين على العموم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضي الله تعالى عنه قال للناس أنتم المؤمنون وانا أميركم فسمي بذلك وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترز بالعموم عن عبد الله بن جحش فانه سمي بها على الخصوص في ولايته على سرية اثني عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمي بامير المسلمين يوسف بن (٢) تاشف بن المشم (فان الله أدب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم) الخ وتقدم تفسيرها (ومدح قوما فقال الذين يغضون اصواتهم) الى آخره وتقدم بيانها أيضا (وذم قوما فقال ان الذين ينادونك) الى آخره كما تقدم (وان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا)

---

٢ قوله ابن تاشف وفي نسخة ابن تاشفين والتي بايدينا ابن سفيان المكتئم فلتحرر اه مصححه

فاستكان لها أبو جعفر) أى خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على أنه يجب التادب بين يدى العالم لما روى من ان الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته ٣٩٨ (وقال) أى أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا أبا عبد الله) بحذف الالف كتابة واثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير ءاستقبلها (وادعوا) أى الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أى مالك (ولم تصرف وجهك عنه) أى عن رسولك (فهو) وفى نسخة صحيحة وهو أى والحال انه (وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام) أى وسائر الانام (الى الله يوم القيامة) أى كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) أى اطلب شفاعته وسل وسيلته فى قضاء مراداتك واداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء أى يقبل الله به شفاعتك لامرك ولغيرك وفى نسخة فيشفعه أى فيقبل شفاعته فى حقه ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى) أى مصداقا لذلك فيما قرره مالك (ولوانهم اذ ظلموا انفسهم) بالمعصية (جاؤك) أى للمعذرة والتوبة (الآية) يعنى فاستغفروا الله أى بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل اليه تفخيما لشانه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله أى لعلموه توابا رحيما أى منعوتا بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعد المؤاخذة على ما صدر منهم اليه

أى ما يجب ان يراعى فى حقه فى حياته يراعى بعد مماته (فاستكان لها أبو جعفر) استكان افتعل من المسكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما فى القاموس وفيه كلام فى التصريف وضمير لها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا (وقال) أبو جعفر للامام مالك (يا أبا عبد الله) كناه تعظيما له بسؤاله بقوله (استقبل القبلة) أصله استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر ام بثمان

وهو من خصائص الهمزة (وادعوا) اذا أردت زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم (أم استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اجعل وجهى مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبرا القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة فى الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم (فقال) له مالك رحمه الله تعالى (ولم تصرف وجهك عنه) أى عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيامة) المراد بالوسيلة وهى السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعاء وكنى بذلك عن جميع الناس أى هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله يوم القيامة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعى اذا قال اللهم انى استشفع اليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له (بل استقبله) صلى الله تعالى عليه وسلم بوجهك فى دعائك بما تريد (واستشفع به) الى الله تعالى فى الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه (فيشفعه الله) فيك ويقبل دعاءك وفى نسخة فيشفعك الله وهى مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للفعول ولا يخفى ما فيه وفى هذا رد على ما قاله ابن تيمية من استقبال القبر الشريف فى الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به احد ولم يرو الا فى حكاية مفتراة على الامام مالك يعنى هذه القصة التى أوردها المصنف رحمه الله هنا ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو باطل فان مذهب مالك وأحمد والشافعى رضى الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف فى السلام والدعاء وهو مسطر فى كتبهم وصرح به النووى فى اذكاره وايضاحه وقال السبكى صرح أصحابنا بانه يستحب ان ياتى القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيدا من رأس القبر نحو أربع اذرع فيسلم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يتأخر ويسلم على أبى بكر رضى الله تعالى عنه ثم يتأخر ويسلم على عمر رضى الله تعالى عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما أراد وقد نقل عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه يستقبله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجى من أئمتنا وقيل فى قوله وسيلة أبيك آدم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ثم ندم قال يارب أسئلك بحق محمد الا غفرت لى فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لانى رأيت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا أحب الخلق اليك فقال صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم (قال الله تعالى ولوانهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية) استدل بهذه الآية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادى عليه لوجدوا الله توابا رحيما التعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم واستؤنس به لاستحباب استقباله أيضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيم الرجاء شفاعته له لا شك فى انه يتوجه

(وقال مالك رحمه الله وقد سئل عن أبي أيوب السختياني) أي عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وتضم وبسكون معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزي وقيل جهني مولاهم يروي عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه ألفي حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن أم خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها في البخاري وقال في أثره ولم أسمع أحدا يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي من غير ذكر واسطة سوى أم خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله (ما حدثتكم) أي ما رويت لكم حديثا (عن أحد) من اتباع التابعين (الا أبو أيوب أفضل منه وقال) أي مالك رحمه الله للدلالة على ذلك (وحج) أي أبو أيوب (حجتين) أي مرتين (فكنت أرمقه) بضم ميم أي انظر اليه وأتأمل لديه (ولا أسمع منه) أي كلاما يكون عليه أولا أسمع منه حديثا يحدثني به (غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) الظاهر يبكي (حتى أرحمه) أي من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رأيت منه ما رأيت) أي من حسن فعاله ما يقتضي بعض بعض كماله واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كتبت عنه) أي الحديث ورويت عنه العلم (وقال مصعب بن عبد الله) أي ابن مصعب ابن ثابت الزبيري يروي عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما (كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده ان في نسخة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يتغير لونه وينحني) أي يميل ظهره (حتى يصعب) بضم العين أي يشتد (ذلك على جلسائه) أي من أجل مشاهدة شدة عنائه (فقيل له يوما في ذلك) أي في تهوين الامر على نفسه هنالك (فقال لو رأيتم ما رأيت) أي لو عرفتم ما عرفت من جلال مقامه وجمال مرامه (لما أنكرتم على ما ترون) أي ما تبصرون من اضطراب حالي وتغير مقالي (ولا يبعد ان يكون المعنى) لو أبصرتم ما أبصرت من مشاهدة جماله ومطالعة جلاله في مقام مكاشفة كماله (لقد كنت أرى محمد بن المنكدر) أي التيمي المدني الحافظ يروي عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وهو مرسل قاله ابن معين وأبو زرعة وعن أبي قتادة قال العلائي والظاهر ان ذلك مرسل وعن أبي أيوب وجابر وعنه شعبة ومالك والسفيانان امام مسن له بكاء وتوفي سنة ثلاثين ومائة (وكان سيد القراء) جملة معترضة (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا) أي قط (الا يبكي) من لوعة الاحتراق بلذعة الافتراق (حتى نرحمه) من كثرة بكائه وشدة عنائه

اليه بقلبه وقالبه كما قاله ابن المقري رحمه الله تعالى

تخاطبه لما تناجيه مقبلا * على غيره فيها الا ى ضرورة

ولو ردمن ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر (وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني) وهو الامام أبو بكر البصري التابعي سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيره والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر أخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك (ما حدثتكم) أي رويت لكم (عن أحد) من مشايخه (الا وأيوب أفضل منه قال) مالك (وحج حجتين) وكنت حاجا اذ ذاك (فكنت أرمقه) أي أنظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه (ولا أسمع منه) شيأ يتكلم به لطول صمته كذا قيل والظاهر انه أراد لا أسمع منه الحديث فاروبه عنه لما سيأتي من قوله كتبت عنه (غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (بكى حتى أرحمه) أي يرق قلبي عليه رحمة له لما أراه منه (فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) واتباع سنته في جميع أحواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه ثقة ظاهر العدالة فسمعت منه و(كتبت عنه) الحديث وروايته عنه وهذا يدل على كمال ورعه في الرواية وانه لا يروي عن كل أحد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على انه لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم واشتياقه له أو لخوفه من تقصيره في اتباعه أو لاجلاله وتذكر مهابته حتى كأنه يراه وهذا أقرب للسياق (وقال مصعب) بصيغة المفعول علم منقول من الفحل الشديد (ابن عبد الله) بن مصعب ابن ثابت الزبيري الحافظ أحد رواة الامام مالك (كان مالك) بن أنس رضي الله تعالى عنه ورحمه (اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (يتغير لونه) بان يصفر كما يعتري من اشتد خوفه من شئ (وينحني) أي يتضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحني (حتى يصعب ذلك على جلسائه) وتلامذته لخوفهم عليه (فقيل له في ذلك) أي سئل عنه وما سببه (فقال لو رأيتم ما رأيت) من السلف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أنكرتم على ما ترون) مما شاهدتموه من حالتي (لقد رأيت محمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمي المدني الحافظ توفي في سنة خمس ومائتين أخرج له الستة (وكان سيد القراء) أي كان في عصره رئيس العلماء العارفين بالقرآن وتفسيره ووجوه قراءته وأحكامه (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا الا يبكي حتى نرحمه) شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة

(ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) أى الصادق كما فى نسخة وهو بالنصب لقب جعفر ولقب أبيه الباقر وهو ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال المهملة أى المزاح (والتبسم) يعنى لكمال خلقه وجمال خلقه والجملة معترضة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) بتشديد الراء أى تغير لونه وتحول كونه (ومارأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت) أى ترددت (اليه زمانا) أى كثيرا (فما كنت أراه) أى أشاهده (الا على ثلاث خصال) أى احدى حالات ثلاث (اما مصليا واما صامتا) أى ساكتا متفكرا (واما يقرأ القرآن) كان الاولى ان يقول واما قارئا للقرآن (ولا يتكلم الا فيما يعنيه) بفتح الياء وكسر النون أى ينفعه فى دينه عملا بقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (وكان) أى الامام جعفر الصادق (من العلماء والعباد) أى ممن جمع بين العلم والعمل وترك الهوى وطول الامل (الذين يخشون الله) أى يخافون عقوبته ويهابون عظمته (عز) أى شانه وسلطانه (وجل) أى برهانه سبحانه وتعالى (ولقد كان عبد الرحمن ابن القاسم) أى ابن محمد ابن أبى بكر الصديق التيمى ولد زمن عائشة رضى الله تعالى عنها وسمع أباه وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وابن عيينة ثقة ورع مكثر امام قال ابن عيينة كان أفضل زمانه وكذلك أبوه وقد توفى بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة أى (يذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه) بصيغة المفعول (كأنه نزف) بضم النون وكسر الزاى أى سال (منه الدم) ولم يبق منه شئ وهو كناية عن اصفرار وجهه وضعف بدنه (وقد جف لسانه) بفتح الجيم وتشديد الفاء أى يبس (فى فمه) أى فلم يطق على تمام كلامه من كمال اكرامه واحترامه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اعظاما لمقامه (ولقد كنت آتى) أى أجئ (عامر ابن عبد الله بن الزبير) أى ابن العوام العابد الكبير القدر سمع أباه وجماعة وعنه مالك وطائفة قال ابن عيينة اشترى نفسه من الله تعالى بست مرات توفى بعد عشرين ومائة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) أى كثيرا (حتى لا يبقى فى عينيه دموع)

مهابته لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم أو لشدة شوقه الى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم وكاد هنا زائدة لتأكيد الكلام وقد ورد فى كلامهم كثيرا كما فى القاموس وهو أحد الوجوه فى قوله تعالى لم يكد يراها أى لم يرها والمراد وأبد المطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهى هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع فى قوله هنا الا يبكى قال الامام مالك رحمه الله تعالى (ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) اللام فى جواب قسم مقدر ووقع فى بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه (الصادق) ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهى المزاح (والتبسم) وهو أقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومارأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا) وهو (على طهارة) أى بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفى الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه الحديث (ولقد اختلفت اليه زمانا) كثيرا أى ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب وأتى وقتا بعد وقت فى أوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور (وما كنت أراه الا) مستمرا (على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا) لا يتكلم (واما يقرؤ القرآن) فيناجى ربه (ولا يتكلم فيما لا يعنيه) بفتح أوله أى يهمه ويجديه نفعا صونا لسانه عن اللغو (وكان من العلماء) بالعلوم الشرعية (و) من (العباد الذين يخشون الله) وهذا حاله فى منزله وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان فى ملأ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا منافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله تعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن أبى بكر الصديق أحد فقهاء المدينة توفى رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومائة وأبوه أحد الفقهاء السبعة (يذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم) نزف مبنى للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح أو تقدير اذ اللون لا ينزف والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله (ولقد جف لسانه فى فمه) الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز (ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير) بن العوام العابد الجليل القدر أخرج له الستة وتوفى بعد عشرين ومائة وترجمته معروفة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع)

ولقد رأيت الزهري) وهو محمد بن شهاب (وكان من أهنأ الناس) بفتح همزة وسكون هاء فنون فهمزة أي ألطفهم في العشرة (وأقربهم) أي في المودة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) أي لتغير حاله واختلاف مقاله في مقام جلاله (ولقد كنت آتي صفوان بن سليم) بالتصغير وهو الامام القدوة المدني ممن يستشفى بذكره يروي عن ابن عمر وعبد الله ابن جعفر وابن المسيب وعنه مالك وغيره (وكان من المتعبدين المجتهدين) يقال انه لم يضع جنبه على الارض أربعين سنة (فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) فان البكاء هو الشفاء من العناء والشقاء والمعنى استمر على البكاء (حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) أي حذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة (ويروى عن قتادة رضي الله تعالى عنه انه كان اذا سمع الحديث) أي حديثه عليه الصلاة والسلام (أخذه العويل) بفتح المهملة وكسر الواو أي صوت الصدر بالبكاء (والزويل) بفتح الزاي وكسر الواو أي القلق وهو العناء وأصل الزويل عدم الاستقرار [illegible] زال عن مكانه يزول زوالا وزويلا (ولما كثر على مالك الناس) أي اجتمعوا عليه بكثرة بعدما كانوا بوصف قلة (قيل له لو جعلت مستمليا) أي مبلغا للناس (يسمعهم) من الاسماع أي ليسمع القوم كلهم لكثرتهم وبعد بعضهم وجواب لو مقدر أي لكان حسنا أو معناه التمني أي تمنينا جعلك أحد مستمليا (فقال قال الله تعالى يا أيها

الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي توقيرا له وتكريما وتعزيزا له وتعظيما (وحرمته حيا وميتا سواء) لان فناءه في الحقيقة بقاء فانه حي يرزق بدار اللقاء (وكان ابن سيرين) من اجلاء التابعين (ربما يضحك) أي يتبسم (فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي خاف وخضع وتواضع كذا في نسخة هنا والظاهر انه مكرر لما سيأتي في الفصل الذي يليه (وكان عبد الرحمن بن مهدي) وهو أحد الاعلام في الحديث روى عنه أحمد قال ابن المديني أعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدي وقال الزهري ما رأيت في يده كتابا يعني كان حافظا (اذا قرأ حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أي الناس أو

أي لبكائه بكاء شديدا المام (ولقد كنت آتي صفوان بن سليم) مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان أكثر أهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وبها توفي كما قال (وكان) صفوان المذكور (من المتعبدين) أي المكثرين للعبادة المداومين عليها (المجتهدين) في العبادة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل لمرتبة الاجتهاد في أحكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة (فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله (ولقد رأيت الزهري) الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب التابعي الامام الجليل المشهور توفي في رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم (وكان من أهنأ الناس) أي أسهلهم وأحسنهم خلقا وألينهم عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل (وأقربهم) الى الناس لحسن ترددهم لهم ومع ذلك (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله تعالى هؤلاء بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه (وروى عن قتادة) تقدم بيانه (أي كان اذا سمع الحديث) يقرؤ عنده (أخذه) أي عرض له واستولى عليه حتى كأنه أخذه (العويل) بعين مهملة هو صياح مع البكاء (والزويل) بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويله في الدعاء أي ذهب ذعره وهو مأخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه (ولما كثر على) الامام (مالك الناس) أي اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون كثرة وأتوه من كل فج (قيل له لو جعلت مستمليا) أي أحدا يجلس قريبا منك ويملي عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم و(يسمعهم) ما يعيده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في آخر الحلقة ولو للتمني للمناسبة بينهما في عدم الوقوع ولما الزمهم بما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة والاستملاء طلب الاملاء وهو القاء الكلام على الغير (فقال) مالك مجيبا ارشادا لهم وتأدبا مستدلا بقوله تعالى (قال الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الى آخره) فقاس منع رفع الصوت في مجلس قراءة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته وبينه بقوله (وحرمته) أي احترامه وتوقيره (حيا وميتا سواء) فكما لزم الاول لزم الثاني ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله (وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي) بن حسان أبو سعيد الحافظ الثقة البصري المعروف باللؤلؤي أحد أعلام الحديث وقال ابن المديني أعلم الناس بالحديث ابن المهدي توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (اذا قرأ حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أي أمر من حضر في

أصحابه (بالسكوت أي رعاية لحرمته وعناية لفهم مقولته) وقال أي عبد الرحمن مقتبسا من القرآن (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) يعني وكذا فوق صوت راوي حديثه (ويتأول انه يجب له) أي لاجله (عند قراءة حديثه) أي روايته بعد مماته (ما يجب له عند سماع قوله) أي كلام نفسه في حال حياته * (فصل) * (في سيرة السلف) أي طريقتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) ولعله أراد

بالحديث قوله وبالسنة فعله (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) أي ابن سكرة (ثنا أبو الفضل بن خيرون) بفتح أوله المعجم فسكون تحتية فضم راء يمنع وقد يصرف (ثنا أبو بكر البرقاني) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام أحد الاعلام أحمد بن محمد ابن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد صنف التصانيف وخرج على الصحيحين روى عنه البيهقي والخطيب وأبو اسحق الشيرازي قال الخطيب كتبنا عنه توفي ببغداد سنة خمس وعشرين وأربعمائة (وغيره) أي من المشايخ (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) بفتح الراء ويسكن وهو الحافظ الامام شيخ الاسلام المنسوب الى دارقطن محلة ببغداد (ثنا علي بن مبشر) بفتح ميم وسكون موحدة وكسر معجمة (ثنا أحمد ابن سنان) بكسر أوله وتنوين آخره (القطان) بفتح القاف وتشديد الطاء وهو الحافظ أبو جعفر الواسطي روى عنه الشيخان وغيرهما قال ابن أبي حاتم هو امام أهل زمانه (ثنا يزيد بن هارون) ابن وهو أبو خالد الواسطي السلمي أحد الاعلام قال أحمد حافظ متقن وقال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وقال العجلي ثبت متعبد حسن الصلاة جدا يصلي الضحى ست عشرة ركعة وقد عمي (ثنا المسعودي) أي عبد الرحمن بن عتبة الكوفي أحد الاعلام روى عنه ابن المبارك ووكيع ثقة كثير الحديث توفي في سنة ستين ومائة (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر المهملة أبو عبد الله مسلم بن عمران الكوفي يروي عن ابن وائل وعلي بن الحسين وأبي عبد الرحمن السلمي والاعمش وابن عون وثقه أحمد وغيره

مجالسه (بالسكوت) والانصات لاستماعه (وقال) مخاطبا لمن عنده (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول) الآية التي تلاها بجعل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على (انه يجب له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله) حقيقة في حياته لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل

حديثه أو حديث عنه يطربني * هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا

فان قلت ما نقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فرأى ان المستملي لا بد منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يضع مستمليا اذا سمعوه لان أعلى مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فان كثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلي رضي الله تعالى عنه يبلغ الناس فعلم ما تقرر انهم ان كثروا بحيث لا يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه أو قائما ان أمكنه

(فصل في سيرة السلف) وعادتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) عطف تفسير لشموله الاقواله وأفعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي أخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما أدرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث وأتى له بشاهد رواه مسندا فقال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) المعروف بابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال (حدثنا أبو بكر البرقاني) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخارزمي الشافعي شيخ بغداد وأحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وأبي اسحق الشيرازي وابن خيرون وتوفي ببغداد في أول رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف (وغيره) قال (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدارقطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال (حدثنا علي بن مبشر) ابن اسمعيل الكاتب الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال (حدثنا أحمد بن سنان القطان) أبو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام أهل زمانه توفي في سنة ثمان وخمسين ومائتين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا يزيد بن هارون) أبو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد أحد الاعلام قال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وعمي في آخر عمره وتوفي في سنة ست ومائتين وأخرج له الستة قال (حدثنا المسعودي) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة وهو مسلم

(عن عمرو بن ميمون) هو الازدى تروى عن عمر ومعاذ وطائفة وكان كثير الحج والعبادة (قال) أى عمرو بن ميمون كما فى رواية الدارمى (اختلفت الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) أى ترددت الى خدمته (سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بصريح اسمه وكانه كان يكتفى بضمير اسمه (الا انه حدث يوما) أى وقتا من زمانه (ثم جرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) بفتح وسكون أى غلبه غم يأخذ بالنفس (حتى رأيت العرق يتحدر) بتشديد الدال وفى نسخة ينحدر بالنون أى يسيل نازلا (عن جبهته) أى من جهة كثرته (ثم قال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حديثه الذى رويته لكم عنه عليه الصلاة والسلام (هكذا) أى بهذا اللفظ (ان شاء الله تعالى) أى لكمال احتياطه (أو فوق ذا) أى بقليل (أو مادون ذا) أى ببعض شئ (أو ما هو قريب من ذا) أى مما أقوله فى نقل هذا وهذا كله تفاديا من الدخول فى قوله عليه الصلاة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وكان أبو الدرداء أيضا اذا حدث قال مثله وكان أنس رضى الله تعالى عنه اذا حدث قال أو كما قال (وفى رواية فتربد وجهه) بتشديد الموحدة أى فتغير لون وجه ابن مسعود وزيد فى نسخة الى غبرة وهى سواد مشوب ببياض فان الربدة لون الى الغبرة قال الهروى يقال تربد لونه أى تلون وصار كلون الرماد (وفى رواية وقد) وفى نسخة فقد (تغرغرت عيناه) أى امتلأت عينا ابن مسعود دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهى فى الاصل ان يجعل المشروب فى الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلع ومنه حديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى ما لم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشئ الذى يتغرغر به المريض (وانتفخت أوداجه) جمع ودج وهو ما احاط بالعنق من عروق الحلق التى يقطعها الذابح (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) مصغر قرم بالقاف أى مقدام فى المعركة وعن على انا أبو الحسن القرم المقدام فى الرأى وهو فى الاصل فحل الابل والمعنى أنا فيهم بمنزلته (الانصارى قاضى المدينة) أخرج له الترمذى فقط (مر مالك بن أنس) وهو امام دار الهجرة (على أبى حازم) بكسر الزاى وحاؤه مهملة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام يروى عن سهل بن سعد وابن المسيب وعنه مالك وأبو ضمرة قال ابن خزيمة ثقة لم يكن فى زمانه مثله (وهو يحدث) أى والحال ان أبا حازم يحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فجازه) أى جاز الموضع أو الشيخ وهو بمعنى جاز به وجاوزه والمعنى لم يجلس اليه ليأخذ الحديث عنه (وقال) اعتذارا لمن أورد عليه السؤال بلسان القال أو ببيان الحال (انى لم أجد موضعا اجلس فيه) أى متأدبا (فكرهت ان آخذ) أى اسمع واتحمل (حديث رسول الله

ابن عمران أبو عبد الله الكوفى وثقه أحمد وأخرج له الستة (عن عمرو بن ميمون) العابد التابعى الازدى أدرك زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج مائة حجة وتوفى سنة اربع وسبعين ومائة (قال اختلفت الى ابن مسعود) أى ترددت عليه (سنة) تمييز (فما سمعته) اذا حدث (يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صونا لذكره وهيبة له واحتياطا فى النقل عنه (الا انه حدث يوما) بحديث نقله (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) أى ظهر عليه حزن وغم يؤدى لضيق نفس (فرأيت العرق يتحدر) أى ينزل سائلا منه منفصلا (عن جبهته ثم قال) ابن مسعود (هكذا) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رويته لكم مساوى له لفظا ومعنى (ان شاء الله) اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور وتفصيله فى كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول ما لم يقله (أو فوق ذا) أى يزيد عليه يسيرا (أو مادون ذا) أى ينقص عنه (أو ما هو قريب من ذا) بمخالفته بأمر قليل جدا وهو احتياط منه رضى الله عنه (وفى رواية فتربد وجهه) بباء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين أى تغير لونه لكموده عن شدة الكرب (وفى رواية وقد تغرغرت عيناه) أى امتلأتا بدمع متردد كالماء فى فم من يتغرغر به فهو مجاز كما فى حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه كماء الغرغرة (وانتفخت أوداجه) جمع ودج بفتحتين وهو عرق غليظ فى العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرهما بغليان الدم لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) بضم القاف وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم (الانصارى قاضى المدينة) ذكره فى التهذيب والميزان وأخرج له الترمذى فى علل جامعه ولم يترجموه وروى عن مالك كما قال (مر مالك بن أنس على أبى حازم) بحاء مهملة وزاى معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج أحد الاعلام الذى روى عنه مالك وغيره ثقة لم يكن فى زمانه مثله توفى سنة أربعين ومائة وأخرج له الستة (وهو يحدث) أى يروى الحديث لمن عنده (فجازه) أى تجاوز مجلسه ولم يقف (وقال) حين سئل عن سبب ذلك (انى لم أجد موضعا أجلس فيه) لكثرة الناس (فكرهت ان آخذ) أى اسمع لاروى (حديث رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) قال الدلجي والعجب منه رحمه الله تعالى انه كان مع مبالغته في تعظيم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقدم عليه عمل أهل المدينة وإن خالفه ويقول هذا ما يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يوافقه احد من علماء الامصار على ذلك قال الشافعي كنت اظن انه لم يخالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا في ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فمكثت سنة استخير الله تعالى في مخالفته ولما خالفه سعى به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له أجلني ثلاثة أيام فاجله فليلة الثالث مات السلطان فمكث الشافعي وألف كتبه الجديدة بها الى ان توفي بها تاسع عشرين من جمادي الآخرة سنة اربع ومائتين رحمه الله تعالى انتهى ولا يخفى ان المجتهد أسير الدليل واصول الفقهاء مختلفة في التعليل فذهب مالك ان عمل أهل المدينة بناء على انهم أخذوا عن آبائهم من المهاجرين والانصار التابعين لسيد الابرار مقدم على حديث بظاهره يخالفهم فكانه جعل عملهم بمنزلة اجماعهم وهذا يشبه اختلاف أصول علمائنا الحنفية وهو ان الراوي اذا عمل بخلاف روايته دل على ان حديثه منسوخ أو توهم في نقله ورجع عنه بفعله ونظير هذا عمل أهل مكة في الطواف بارسال اليد حيث يكون بمنزلة الاجماع المانع من ان يكون وضع اليد فيه مستحبا بل يحكم فيه بانه مكروه لكونه بدعة واما قول الشافعي في حقه مع قلة ادبه فمحمول على ظنه بانه كان يخالف ظاهر احاديث النبوة وهكذا شان كل مجتهد بالنسبة الى غيره من الائمة مع ان الفضل للمتقدم بلا شبهة وقوله فوجدته يعمل بالفرع دون الاصل هو الفعل الذي لا يليق ان يصدر مثله من ارباب الفضل (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب) بتشديد الياء المفتوحة وقد تكسر (فساله) أي الرجل (عن حديث وهو) أي والحال ان ابن المسيب (مضطجع) أي واضع جنبه على الارض (فجلس وحدثه) ولعله كان مريضا فتكلف في جلوسه (فقال الرجل وددت) بكسر الدال الاولى أي أحببت وتمنيت (انك ان تتعن) بالعين المهملة وتشديد النون أي لم تتعب ولم تتكلف العناء لنفسك بجلوسك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا مضطجع) جملة حالية (وروى) بصيغة المجهول أي نقل (عن محمد بن سيرين) بمنع صرفه للعلمية وزيادة الياء والنون على مذهب الفارسي وهو احد الاعلام يروي عن أبي هريرة وعمران بن حصين ولم يسمع منه قاله الدارقطني وروايته عنه في الصحيح وقد تعقب الدارقطني النووي في شرح مسلم فقال بل هو معدود فيمن سمع منه انتهى وكان ثقة حجة كثير العلم ورعا بعيد الصيت قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة أوراد في الليل وترجمته طويلة (انه قد يكون يضحك) أي مع اصحابه (فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي ظاهرا وباطنا (وقال أبو مصعب) هو أحمد بن أبي بكر بن القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف أبو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها سمع مالكا وطائفة وعنه جماعة وهو ثقة حجة ولا عبرة بقول أبي خيثمة لابنه أحمد لا تكتب عن أبي مصعب واكتب عمن شئت (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي طهارة (اجلالا له) أي لحديثه عليه الصلاة والسلام (وحكى مالك ذلك) أي مثل ذلك (عن جعفر بن محمد) وهو الصادق وقد تقدم (وقال مصعب بن عبد الله) أي ابن مصعب بن ثابت الزبيري (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا اراد تحديثه عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه وهكذا كان دأبه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لا ينافي ما نقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل أهل المدينة فانه لشدة احتياطه في احاديث الاحكام فلا وجه لايراده هاهنا وقيل التعظيم شيء آخر لا مساس له هنا (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع) أي واضع جنبه على الارض والجملة حالية (فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت) أي كان أحب الي (انك لم تتعن) أي لم تتعب وتترك راحتك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) تعظيما للحديث وتادبا معه (وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده) في حال ضحكه (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة (وقال أبو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي متوضأ متطهرا (اجلالا له) أي للحديث (وحكى مالك ذلك) أي الحديث على وضوء (عن جعفر ابن محمد) الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وقد تقدم قريبا (وقال مصعب بن عبد الله) وهو الزبيري كما تقدم (كان مالك بن أنس اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا أراد ان يحدث عنه

(وتوضا

(توضا وتهيا) أي بالمشط ونحوه (ولبس ثيابه) أي غير ثياب البذلة (ثم يحدث قال مصعب فسئل) أي مالك (عن ذلك) أي عن سبب ماذكره هنالك (فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المقام تحديثه عليه الصلاة والسلام فيجب التوقير على الانام (قال مطرف) بتشديد الراء المكسورة وهو ابن عبد الله مطرف بن سليمان بن يسار أبو مصعب اليساري المدني مولى ميمونة الهلالية وهو ابن أخت الامام مالك بن انس يروى عن خاله ونافع القارى وعنه البخاري وأبو زرعة (كان اذا أتى الناس مالكا) أي وقفوا على بابه (خرجت اليهم الجارية) أي الخادمة أولا باذنه ليعلم من هو فيعامله بما يليق بشانه من دخول أو خروج ونحوه (فتقول) أي الجارية (لهم يقول لكم الشيخ تريدون) أي أتريدون (الحديث) أي نقل الاحاديث النبوية (أو المسائل) أي رواية الفروع الفقهية والاستفهام للاستعلام لا للتقرير كما وهم الدلجي على مالا يخفى عند ذوي الافهام (فان قالوا المسائل) أي نريدها (خرج اليهم) أي على هيئته من غير تغير في حالته (وان قالوا الحديث) أي نطلبه (دخل مغتسله) أي موضع اغتساله (فاغتسل) أي غسلا كاملا أو توضا وضوأ كاملا أو معناه فتطهر (وتطيب) الواو للمعية فلا ينافي كونه قبل قوله (ولبس ثيابا جددا) بضمتين جمع جديد حقيقة أو حكما فيشمل النظيف المغسول (ولبس ساجه) بالاضافة الى ضميره أي طيلسانه وقيل الاخضر ههنا خاصة وفي القاموس هو الطيلسان الاخضر أو الاسود (وتعمم) أي لبس عمامته (ووضع على رأسه رداءه وتلقى) بصيغة المجهول أي توضع (له منصة) بكسر ميم وبفتح وبفتح نون وتشديد صاد مهملة سرير العروس وقيل مثل المخدة العالية وقيل المراد بها الكرسي (فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع) أي آثاره من الخضوع (ولا يزال) قيل أي الشان والظاهر ان الضمير لمالك (يبخر) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة ويروى يتبخر (بالعود) ويعاد بالعود (حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره) أي غير مطرف (ولم يكن) أي مالك رحمه الله (يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بخلاف سائر العلوم من التفسير والفقه ونحوهما (قال ابن أبي أويس) وهو اسمعيل بن عبد الله بن أويس الاصبحي ابن أخت مالك بن أنس يروى عن خاله مالك وأبيه وجماعة وعنه الشيخان وعلي البغوي وطائفة قال أبو حاتم محله الصدق وضعفه النسائي

(توضا وتهيا ولبس ثيابه) للحديث باصلاح هيئته في ثيابه وجلوسه (ثم يحدث) تعظيما لذلك (قال مصعب فسئل عن ذلك) أي عن الداعي له (فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة لانه وهو من بليغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فيقول انه فلان ولا تزيد أي حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتقديره وهو جدير بالتعظيم كما قيل (وقال مطرف) بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن أخت الامام مالك توفي سنة عشرين ومائتين وترجمته في الميزان (كان اذا أتى الناس مالكا) لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا خروجه لاقرائهم (خرجت اليهم الجارية) أي أرسل لهم جارية له فيه (فتقول لهم) لما تعلم من العادة (يقول لكم الشيخ) تعني مالكا (تريدون الحديث) بتقدير اداة الاستفهام أي أتريدون قراءة الحديث وسماعه (أو المسائل) تعريفه للعهد أي مسائل الفقه (فان قالوا) نريد (المسائل) أي قراءتها (خرج اليهم) بسرعة من غير تهيئ (وان قالوا) نريد (الحديث) أي قراءته (دخل مغتسله) أي موضعه المعد للغسل والطهارة في بيته (واغتسل وتطيب) وتضمخ بما تطيب رائحته (ولبس ثيابا جددا) بضم أوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر (ولبس ساجه) هو الطيلسان مطلقا أو الاخضر أو الاسود منه وهو شئ كالبرنس (وتعمم) أي وضع عمامته المعدة للتجمل على رأسه (ووضع على رأسه رداءه) على عادة أشراف العرب (وتلقى له منصة) في محله المعد له لاقرائه وهو بكسر الميم وفتحها شئ عال كالكرسي والسرير من نصصته اذا رفعته (فيخرج) من بيته للناس (ويجلس عليها وعليه الخشوع) أي السكينة والوقار (ولا يزال يبخر) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل بمعنى يامره (بالعود) الهندي المعروف فيوقد عنده ليعطر مجلسه به (حتى يفرغ من) قراءة (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم (قال غيره) أي غير مطرف (ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه (قال ابن أويس) هو اسمعيل بن عبد الله بن أويس بن أبي عامر وقيل اسمعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفي سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين في رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن أخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين سنة وأخرج له في الصحيحين والسنن وضعفه النسائي لانه كان مغفلا كما قاله أبو حاتم وترجمته في الميزان

(فقيل لمالك في ذلك) أي فسئل عن سبب ما فعله هنالك (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحدث) بالنصب ويرفع (به) أي بحديثه عليه الصلاة والسلام (الا على طهارة) أي كاملة (متمكنا) أي على حالة فاضلة لا متكئا ومعتمدا على شقه ما ثالثة (قال) أي ابن أبي أويس (وكان) أي خاله مالك (يكره أن يحدث) بكسر الدال المشددة أي يتكلم بالحديث النبوي (في الطريق) أي سائرا (وهو قائم أو مستعجل) خوفا من الخطأ أو الخلل ومن ثمة قيل (شعر)

قد يدرك المتأني بعض حاجته ❊ وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال) أي مالك في تعليل ذلك (أحب ان أفهم) بالتشديد أي الطالب (حديث

(فقيل لمالك في ذلك) أي سئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بما فعلته (ولا أحدث به) أي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا على طهارة) كاملة (متمكنا) أي جالسا في مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال وكان) مالك رحمه الله تعالى (يكره أن يحدث) أي ينقل الحديث وهو مار (في الطريق أو وهو قائم) على رجليه (أو مستعجل) أي على عجلة فيتأنى فان الخير كله في ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطئ فيما نقله (وقال) مالك (أحب ان أفهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلذا تأنى في نقله ليكون أعون على فهمه (وقال ضرار بن مرة) أبو سنان الشيباني الكوفي العابد الثقة أخرج له أصحاب السنن (كانوا) أي السلف ومن لقيهم من التابعين (يكرهون أن يحدثوا) أي ينقلوا (الحديث) النبوي (على غير وضوء) وطهارة (ونحوه) روي (عن قتادة) بن النعمان وقد تقدمت ترجمته وفي نسخة هنا (وكان الاعمش) سليمان بن مهران (اذا أحب أن يحدث وهو على غير وضوء) ولم يتمكن منه (تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة) ويأتي الكلام على ذلك آخر الفصل (وقال عبد الله بن المبارك) تقدمت ترجمته (كنت عند مالك) بن أنس (وهو يحدثنا) أي ينقل لنا الحديث (فلدغته عقرب) أي في حال قراءته والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها في رأس ذنبها فاذا ضربت به أحدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللذغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح ان داله مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربية اما لذع النار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله (ست عشر مرة) كذا في النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء في جزئه الثاني كذا قيل وفيه نظر (وهو يتغير لونه ويصفر) عطف تفسير (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) احتراما له واجلالا (فلما فرغ من المجلس) أي أتم نقل الحديث (وتفرق عنه الناس) المستمعون له (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا) أي أمرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحريكك (قال نعم) ما قلته صحيح (انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث (وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق) وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا

ميم وتشديد راء أي أبو سنان الشيباني الكوفي يروي عن سعيد بن جبير وعنه شعبة ونحوه وكان من العباد والثقاة (كانوا) أي السلف (يكرهون أن يحدثوا) أي الحديث كما في نسخة (على غير وضوء) أي طهارة (ونحوه عن قتادة رضي الله تعالى عنه) أي وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرؤه الا على وضوء (وكان الاعمش) أي سليمان بن مهران (اذا حدث) أي أراد أن يحدث (وهو على غير وضوء تيمم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك) أي يوما (وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة) كذا في النسخ المصححة ووقع في أصل الدلجي ستة عشر مرة فقال صوابه ست عشرة مرة ذ التاء انما تلحق في مثل هذا التركيب ثاني جزأيه (وهو) أي مالك (يتغير لونه) أي من شدة الالم (ويصفر) أي وينحل الى صفرة من أثر السم (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي محافظة على اكماله ومراعاة لاجلاله (فلما فرغ من المجلس) أي مجلس التحديث (وتفرق عنه الناس) أي العامة (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتني عقرب ست عشرة مرة وأنا صابر في جميع ذلك وانما صبرت) أي هنالك (اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق) قال الجوهري كل مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق وقال الحلبي العقيق واد عليه مال من أموال أهل المدينة وهو على ثلاثة أميال وقيل ميلين وقيل سبعة قال ابن وضاح وهما عقيقان أحدهما عقيق المدينة عق عن حرتها أي قطع وهو العقيق الاصغر وفيه بئر رومة والعقيق الآخر أكبر من هذا وفيه بئر على مقربة منه

موضع

وهو من بلاد مزينة وهو الذي أقطعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال بن الحارث ثم أقطعه عمر الناس فعلى هذا يحمل المسافتان لاعلى الخلاف والعقيق الذي جاء فيه انك بواد مبارك هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة وهو الاقرب منها والعقيق ميقات أهل العراق موضع قريب من ذات عرق قبلها بمرحلة أو مرحلتين والظاهر انه ليس أراده وانما المراد واحد من التي بالمدينة ولعله الاول وفي بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى العقيق والله ولي التوفيق (فسألته عن حديث فانتهرني) أي زجرني (وقال لي كنت في عيني أجل) أي أعظم من ان تسأل (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وساله) أي مالكا (جرير ابن عبد الحميد القاضي) أي الضبي يروي عنه أحمد واسحق وابن معين وله مصنفات (وهو قائم) حال من مالك أو من جرير (فامر) أي مالك (بحبسه فقيل له انه قاض فقال) أي مالك (القاضي أحق من أدب)

بصيغة المجهول أي هو أولى ليتادبه غيره أو ليتعلم الادب قال الدلجي ودب كذا بالواو والاصل الهمزة يعني فابدلت الهمزة واوا كما في وكدوأكدا انتهى لكن لاأصل له هنا فان الودب سوء الحال لاغير على ما في القاموس زيادة على الصحاح (وذكر) بصيغة المفعول أي وحكى (ان هشام بن الغازي) وفي نسخة الغاز بلا ياء قال الحلبي هذا هشام بن الغاز بن ربيعة الجوشي يروي عن مكحول وعطاء وقد توفي سنة ست وخمسين ومائة فهو معاصر لمالك وقد توفي قبل مالك والله تعالى أعلم بذلك وقال بعض الفضلاء لانعلم لهشام ابن الغازي رواية عن مالك رحمه الله تعالى وانما الحكاية عن هشام بن عمار الدمشقي ونقل ذلك عن الحافظ الرشيد العطار انتهى فاخطا الدلجي في جزمه بقوله وصوابه هشام بن عمار خطيب جامع دمشق ثم قوله وأما ابن الغاز فتابعي لم يروعن مالك لموته قبل مالك غير صحيح لما ثبت قبل ذلك انه كان معاصر المالك وهو لاينافي موته قبل مالك ثم لايبعد انه سمع مالكا ولم يروعنه ولعل هذه القضية سبب ذلك والحاصل انه أو غيره (سال مالكا عن حديث وهو واقف) أي قائم كما سبق (فضربه عشرين سوطا ثم أشفق عليه) أي حن عليه لما وقع له من الاهانة لديه (فحدثه عشرين حديثا) أي استمالة لخاطره اليه وأما قول الدلجي أي خاف عليه لضربه اياه بلا ذنب يوجب ذلك فغير مستقيم لانه يلزم من ذلك اسناد الذنب الى مالك مع ان للاستاذ تاديب الطالب بما يرى هنالك (قال) وفي نسخة فقال (هشام وددت) بكسر الدال أي تمنيت وأحببت

موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه أهل المدينة (فسألته) وأنا ماش معه في الطريق (عن حديث) من أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فانتهرني) أي زجرني والنهر الزجر كما قال الله تعالى وأما السائل فلا تنهر (وقال) بعد الزجر باسكت ونحوه مو بخالي (كنت في عيني) كناية عن اعتقاده فيه الناشئ عن رؤيته (أجل من ان تسألني) فيه توسع معروف كأكثر من ان يحصى أي أعظم من السائلين (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وسأله) يعني الامام مالك رحمه الله تعالى (جرير بن عبد الحميد القاضي) الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة روى عنه البخاري وغيره من أصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة (عن حديث وهو قائم) الضمير لجرير ويجوز أن يكون لمالك رحمه الله تعالى (فامر) مالك (بحبسه) قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره وأجيب بان الولاة كانوا يمتثلون أمره فالمعنى أرسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويقضي فان كان أذن له في القضاء في بعض الامور فهو على ظاهره (فقيل له انه قاض) لايليق حبسه (فقال القاضي أحق من أدب) بالهمزة المضمومة لابواو وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلماء والاشراف أولى برعاية الادب فاذا تركوه كانوا أحق بذلك من العوام (وذكر ان هشام بن الغازي) بغين وزاي معجمتين بزنة فاعل من الغز وقالوا وهذا ليس بصواب فان هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي مات قبل مالك ولم يروعنه والحكاية المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها تصحفت على الناسخ وصوابها القارئ بالقاف والراء المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي أسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت (سال مالكا عن حديث وهو) أي هشام أو مالك (واقف فضربه عشرين سوطا) وهذا دليل على انه كان ماذونا له في اجراء الاحكام على تلامذه أو كان يعلم برضاهم بحكمه فهو محكم فيهم (ثم أشفق عليه) أي حصل عنده رقة قلب وشفقة لضربه لالانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بناء على انه يجوز ان يزاد التعزير على عشرة أسواط في غير الحدود كما هو مذهب أبي حنيفة والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه اشفاقه عليه (فحدثه) أي أفاد مالك هشاما ماورى له (عشرين حديثا) تطييبا لخاطره (فقال هشام) بعد ذلك لاصحابه (وددت) أي أحببت يقال وددت كذا اذا رغبت

(لوزادنى سياطا) أى كثيرة (ويزيدنى حديثا) أى بدل كل سوط (قال عبد الله بن صالح) الظاهر انه أبو صالح الجهنى كاتب الليث روى عنه ابن معين والبخارى قال الفضل بن الشعرانى ما رأيته الا يحدث أو يسبح (كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران) صفة لهما والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون الا انها لما شابهت الحال توسطهما لتأكيد اصوقها بالموصوف كما فى قوله عز وجل وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (وكان قتادة يستحب) بصيغة الفاعل أى يستحسن (ان لا يقرأ) أى هو أو أحد ولا يبعد ان يضبط بصيغة المفعول (أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة) تأكيد لما قبله وضبط فى نسخة بصيغة المجهول فتحصل المغايرة بان يحمل الاول على فعله والثانى على غيره وأما قول الدلجى أى يغسل بقرينة ما قبله فلا يدفع الاشكال بل يقوى الاعضال والله تعالى أعلم بالحال والاظهر أن يراد بالطهارة المعنى الاعم الشامل للتيمم ويؤيده قوله (وكان الاعمش اذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء) جملة حالية اعتراضية بين الشرط وجزائه (تيمم) أى اعتناء بتعظيم حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تعظيمه وتكريمه (وبره) أى ومن طاعته فى أمره وزجره (برآله) أى احسان أهل بيته وعشيرته ولا وجه لتخصيص الدلجى هنا ببنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل وان خص الاولان بالخمس (وذريته) أى نسله وعترته الشاملة لبناته وللحسنين وأولادهما من الائمة وغيرهم (وأمهات المؤمنين أزواجه) أى زوجاته الطاهرات وهن عائشة الصديقة بنت الصديق وخديجة بنت خويلد وحفصة بنت الفاروق وأم حبيبة بنت أبى سفيان أخت معاوية وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت ضرار وصفية بنت حيى كذا ذكره الدلجى وكان الاولى أن يقدم خديجة الكبرى أم فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما (كما حض عليه) بتشديد الضاد المعجمة أى حث وحرض على برهم (عليه الصلاة والسلام) أى فى أحاديث كثيرة

فيه وأحببته (لو زادنى سياطا) أى ضربا بها (ويزيدنى حديثا) بعدد زيادة ضربه ولو مصدرية أو شرطية جوابها مقدر (وقال عبد الله بن صالح) الجهنى ويقال له الحربى العجلى وله ترجمة فى الميزان مطولة توفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة وأخرج له أصحاب السنن (كان مالك والليث) ابن سعد بن عبد الرحمن الفهرى المصرى الفقيه البارع الذى قيل فيه انه كان أفقه من مالك الا ان أصحابه أضاعوه وهو من تبع التابعين توفى سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك أخبرنى من أرضى به من أهل العلم فهو الليث (لا يكتبان العلم الا وهما طاهران) أى على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها الا صفة واوها للالصاق كما قيل وتحقيقه فى كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه لا الحديث (وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ أحاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء) أى متوضا تعظيما لحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يحدث) بتشديد الدال أى ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول ان يسمع من غيره حديثا (الا على طهارة) قيل المراد انه يغتسل بقرينة ما قبله (وكان الاعمش) سليمان بن مهران كما تقدم (اذا أراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة معترضة أو حالية (تيمم) ان لم يحضر عنده الماء بسهولة لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث أدب آخر ذكرها المحدثون كافتتاح أول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا يقوم من مجلسه لاحد من الناس

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تعظيمه وتبجيله (وبره) أى صلته ورعاية جنابه وللبر معان أخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (برآله) تقدم ان فى آله خلاف فقيل انهم ذو والقربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء وان أصله أول وقيل أهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم (وذريته) الذرية النسل من الاولاد وأولادهم وهو بضم الذال وكسرها وفى اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول أحوالهم وقيل من ذرأ بالهمزة بمعنى خلق والتزم ابدالها ياء بعد النقل (وأمهات المؤمنين) فسره بقوله (أزواجه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى أو زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف فى وجهه هل هو لتكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم أو انه حى ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن أمهات للمؤمنات أيضا فقيل لا والا حرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه وأسماء أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورة فى السير قدمناها أيضا (كما حض) أى حث وحرض بطلبه من كل أحد (عليه) أى على بر من ذكر (عليه الصلاة والسلام)

(وسلكه) أى مسلكه (السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم) أى بالقول والفعل كما وجب عليهم قال ابن القفاعى السلف الصالح هم الصدر الاول من التابعين (قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) استئناف تعليل لامرهن بالامر الاهم ونهيهن عن ان يقترفن المأثم صونا لاعراضهن عن ان تتدنس بالرجس واستعير الرجس للمعصية تنفيرا لهن عنها وترغيبا فيما أمرهن بخلافها ولعله سبحانه وتعالى خاطبهن بخطاب الذكور لانهن فى مقام الكمال كانهن فى حال الرجال كما قال تعالى فى حق مريم وكانت من القانتين وورد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبى موسى والاظهر ان فيه تغليبا ليشمل بقية آله وأهل بيته ولذا قال (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح (ويطهركم) عن الاخلاق الدنية والاحوال الرديئة (تطهيرا) أى بليغا كثيرا والرجس على ما قال الزهرى اسم لكل مستقذر من عمل وأراد باهل البيت نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وروى ذلك عن ابن عباس وعن أبى سعيد الخدرى وجماعة من التابعين انهم على وفاطمة والحسن والحسين أقول ولا منع من الجمع ٤٠٩ وأما تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما ورد انه عليه الصلاة والسلام خرج غداة يوم وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فمردود بان تخصيصهم بكونهم انهم أهل البيت يكذبه ما قبل الآية وما بعدها والحديث انما هو مؤذن بانهم من أهله لان غيرهم

ليس باهله (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن بدليل قوله تعالى ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ولم يتعد الى بناتهن فانهن فى غير ذلك كالاجنبيات ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها السنا أمهات النساء أرادت انهن انما كن أمهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم عليهم وهذا الحكم غير متحقق فى حق النساء لانهن لو كن أمهاتهن لما جوز زواج بناتهن (أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل) مبالغة العادل (من كتابه) متعلق باخبرنا (وكتبت من أصله) أى المروى عن مشايخه (ثنا) أى حدثنا (ابو الحسن المقرئ) بالهمزة فى آخره وقد يخفف أى معلم قراءة القرآن (الفرغانى) منسوب الى فرغانه بفتح الفاء وسكون الراء فغين معجمة ناحية من المشرق (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الفاء الاولى (قالت حدثنى أبى ثنا) أى قال ثنا (حاتم) بكسر الفوقية (هو ابن عقيل) بالتصغير (حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحمانى) بكسر المهملة وتشديد الميم ثم نون فياء نسبة (حدثنا وكيع) أى ابن الجراح أحد الاعلام يروى عن الاعمش وغيره وعنه أحمد ونحوه وقال احمد ما رأيت أوعى للعلم منه كان أحفظ من ابن مهدى وقال حماد بن زيد لو شئت لقلت انه أرجح من سفيان وقال أحمد لما ولى حفص بن غياث القضاء هجره وكيع

بما روى عنه من الاحاديث وسيأتى بعضها (وسلكه السلف الصالح) من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين والتقدير سلك طريقه أو شبه برهم بطريق مسلوك فهو استعارة مكنية مخيلة ثم أيده بدليل من القرآن فقال (قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أصل معناه القذر الحسى ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد (أهل البيت) نصب على النداء والمدح والاختصاص (ويطهركم تطهيرا) ترشيح الاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية على ان أهل بيته ذريته وأزواجه كما اختاره ابن عطية فى تفسيره وهو أحد الاقوال فيه وقيل لهم أهل الكساء الآتى بيانهم على وفاطمة وابناهما لما روى فى الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرجل فادخلهم فيه ثم تلى الآية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير يأباه ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الآثام أحبه الله ورسوله ومن أحباه لزمنا محبته وبره وصلته (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) ان كانت شاهد التسمية أمهات فهو ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها أمر معلوم مركوز فى الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن والحصر يقتضى ان اكرامهن أحق فى الامهات الحقيقية ثم أسند المصنف رحمه الله تعالى حديثا صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه فى غيره من السنن كمسلم والنسائى بسند أعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة ولانه أسلم من التدليس فقال (أخبرنا الشيخ أبو محمد) عبد الله (بن أحمد) التميمى (العدل من كتابه وكتبت من أصله) اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التى قرأ منها قال (حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى) بفاء وغين معجمتين نسبة لفرغانة اسم بلدة قال (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف قال حدثنى أبى قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحمانى قال حدثنا وكيع) هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدى

(عن أبيه) أي الجراح بن مليح بن عدي الرواسي وثقه أبو داود ولينه بعضهم (عن سعيد بن مسروق) أي الثوري يروي عن أبي وائل والشعبي وعنه ابناه سفيان ومبارك وأبو عوانة ثقة أخرج له الأئمة الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح حاء مهملة فتحتية مشددة تيمي ثقة أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي (عن زيد بن أرقم قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنشدكم الله) بفتح الهمزة وبضم الشين (أهل بيتي) بالنصب على نزع الخافض وفي نسخة طبق رواية أخرى في أهل بيتي أي أسئلكم الله في حق أهل بيتي بالاحسان اليهم والشفقة عليهم أو أقسم عليكم بالله أن تراعوني في أهل بيتي (ثلاثا) أي قالها ثلاث مرات مبالغة في الحث على احترامهم (قلنا لزيد) وهو ابن أرقم راوي الحديث لان صاحب البيت أدرى بما فيه (من أهل بيته) أي من المراد بهم في هذا الحديث (قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل) وهم أولاد أبي طالب (وآل عباس) وفي نسخة وآل العباس والمراد هم وآلهم ممن يرجع اليهم في النسب مآلهم وقد يفخم الآل كما في قوله تعالى آل موسى وآل هرون تفخيما لشانهما ثم اعلم ان هذا الحديث في مسلم أخرجه في الفضائل وأخرجه النسائي في المناقب ولو أخرجه القاضي من مسلم لوقع له أعلى من الطريق الذي ساقه وكذا لو أخرجه من النسائي الا انه أراد التنوع في الروايات لان من شان الحفاظ ان الحديث اذا كان في الكتب الستة أو أحدها يخرجونه من غيرها لكن في الغالب انما يصنعون هذا طلبا للعلو أو الزيادة فيه أو تصريح مدلس بالسماع أو الاخبار أو التحديث أو لكون الطريق أسلم أو لغير ذلك مما هو معروف عند أربابه والله أعلم (وقال عليه الصلاة والسلام) أي فيما رواه الترمذي عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (اني تارك فيكم ما) أي شيأ عظيما فما موصوفة صفتها (ان أخذتم به) أو موصولة والشرطية صلتها أي ان تمسكتم به وعملتم به ويروى ما ان تمسكتم به (لن تضلوا) أي عن الحق بعده أبدا (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) تفصيل بعد الاجمال وقع بدلا أو بيانا (فانظروا) أي فتاملوا وتفكروا (كيف تخلفوني) بتخفيف النون وتشدد أي كيف تعقبوني (فيهما) أي في حقهما ووقع في أصل الدلجي كتاب الله وعترتي بين الشرط والجزاء وهو مخالف للاصول المعتمدة ثم المراد بعترته أخص قرابته وقيل المراد علماء أمته فالتمسك بالقرآن التعلق باوامره ونهيه واعتقاد جميع ما فيسه وحقيقته والتمسك بعترته محبتهم ومتابعة سيرتهم

الروابيلي أحد الاعلام المشهورين توفي سنة سبع وتسعين ومائة أخرج له الأئمة الستة (عن أبيه) الجراح (عن سعيد بن مسروق) الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمي الثقة (عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله) أي أسألكم بالله وأقسم عليكم به يقال أنشدك الله وبالله أي أذكرك به ثم استعمل في القسم وصار حقيقة فيه وليس السؤال بمراد هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام (وأهل بيتي) معطوف على الله أي وأذكركم أهل بيتي فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لي وقيل انه منصوب بنزع الخافض أي في أهل بيتي كما روي في هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المزي ومن تبعه هنا العله في أهل بيتي (ثلاثا) كرره للاهتمام به والتشديد في رعايتهم (قلنا لزيد) بن أرقم راوي الحديث لما ذكره وما في بعض النسخ لزيد من غلط الكاتب (من أهل بيته) أي ما المراد بهم في هذا الحديث (قال آل علي) بن أبي طالب وهم أولاده وأهل بيته من أقاربه الادنون (وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس) وهم من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم في فضائل آل البيت في خطبة خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع في آخر عمره وقال فيها أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وأهل بيتي وفيه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تفسيره لاهل بيته بما ذكره والذي فهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي ما يكون بعده في أمر الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو أحد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته كما تقدم لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا (وقال صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (اني تارك فيكم) اشارة الى قرب أجله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه وصية لامته (ما ان أخذتم به) أي تمسكتم وعلمتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة أو موصولة وصلته (لن تضلوا) بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم (كتاب الله) بدل مفسر له (وعترتي) بمثناة فوقية ومعناه (أهل بيتي) السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروي لم تضلوا وما قيل ان قوله أخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الآية على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد منه هنا (فانظروا كيف تخلفوني فيهما) أي بعد وفاتي انظروا في عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتي ورعايتهم

وبرهم

(وقال عليه الصلاة والسلام) لا يعرف راويه (معرفة آل محمد براءة من النار) أي من ألم حرها وسقم بردها (وحب آل محمد جواز على الصراط) بفتح الجيم صك المسافر برخصة المرور والعبور أي سبب سهولة مجاوزته الصراط (والولاية) بفتح الواو أي النصرة والاعانة والمحبة (لآل محمد امان من العذاب) وبكسرها لغة أيضا كما قرئ بهما في السبعة قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ فقد قرأها حمزة بالكسر فقول الدلجي واما بكسرها فالولاية بمعنى الملك ليس في محله مع ان الولاية قد تاتي بمعنى تولي الامر وضد التبري وبمعنى المحبة ومنه ما ورد اللهم وال من والاهم (وقال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم) أي مكانتهم وقرب شانهم (من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي نسبا وحسبا (فاذا) وفي نسخة واذا (عرفهم بذلك) أي بما ذكر قربة ورتبة (عرف وجوب حقهم) في التكريم (وحرمتهم) في التعظيم (بسببه) أي بسبب نسبة النبي الكريم عليه التحية والتسليم (وعن عمر بن أبي سلمة) كما رواه الترمذي وهو ربيبه عليه الصلاة والسلام وابن أخيه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة عمه أبي لهب ولد بالحبشة (لما نزلت) أي هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك) أي نزولها كان (في بيت أم سلمة) أي زوجته عليه الصلاة والسلام الراوي وهي آخر امهات المؤمنين موتا توفيت في امارة يزيد والجملة معترضة (دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء) جواب لما أي غطاهم به قدام وجهه (وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد ابن أبي وقاص) كما رواه مسلم (لما نزلت آية المباهلة) أي الملاعنة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة فاذا اختلف قوم في شئ اجتمعوا فقالوا لعنة الله على الظالم منا والمراد من آية المباهلة قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل أي نتضرع الى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين

وبرهم بعدي فان ما يسرهم يسرني وما يسوؤهم يسوؤني (وقال عليه الصلاة والسلام) في حديث لم يخرجوه (معرفة آل محمد براءة من النار) أي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على خلوص محبته له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وحب آل محمد جواز على الصراط) أي مرور عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فان المرء مع من أحب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا غريبا (والولاية) بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترد بمعناها وان اشتهرت في الملك والحكومة أي الموالاة بالنصرة والمودة (لآل محمد أمان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم) أي معرفة الآل المذكورة (هي معرفة مكانهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهي قرب نسبهم ومراتبهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا علق به قوله منه (واذا عرفهم بذلك) أي بسبب علو مراتبهم لقربهم منه (عرف وجوب حقهم وحرمتهم) أي احترامهم واكرامهم (بسببه) صلى الله تعالى عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن أحبهم لحبه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد السمهودي الذي صنفه في فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا (وعن عمر بن أبي سلمة) في حديث رواه الترمذي وابن أبي سلمة هو الصحابي المخزومي ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن أخيه من الرضاع وترجمته مشهورة (لما نزلت) آية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية) وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا (وذلك) أي نزولها كان (في بيت أم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها (دعا) جواب لما أي طلب صلى الله عليه وسلم ونادى (فاطمة) الزهراء رضي الله عنها (وحسنا وحسينا) سبطاه وريحانتاه رضي الله تعالى عنهما (فجللهم) أي غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس (بكساء) وهو مرط من شعر كما ورد في رواية أخرى (وعلي) كرم الله وجهه (خلف ظهره) صلى الله تعالى عليه وسلم داخل الكساء أيضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء (ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي) ليس المراد الحصر أو هو مراد لارادته أقرب الناس اليه نسبا (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) أي جنبهم الآثام والمعاصي وما يشينهم ولذا سموا أهل الكساء وادخالهم في الكساء اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم وان الله سترهم كما سترهم الكساء وانه صانهم واحرزهم تفاؤلا بذلك كما حول صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه في الاستسقاء اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هي فيه وذلك سبب الدعاء وانما الهم بما ذكر بعد ما ذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تأكيدا أو تنويها بقدرهم ليعلم الناس به أو المراد دوام ذلك وثباته وزيادته (وعن سعد بن أبي وقاص) في حديث رواه مسلم في صحيحه (لما نزلت آية المباهلة) تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة أي الملاعنة وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والآية هي قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الى آخرها وذلك لما وفد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم نصارى نجران

(دعا) جواب لما أي طلب (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلي) أي الاقربون (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما مر (في علي) أي في حقه (من كنت مولاه) أي وليه وناصره (فعلي مولاه) أي يدفع عنه ما يكره قال الشافعي رحمه الله تعالى يعني به ولاء الاسلام قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم والاظهر الاستدلال بقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون لما روي انها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه وانما أتى بصيغة الجمع لتعظيمه أو المراد به هو وامثاله مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا وذهب اكثرهم الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الذمة ومنهم من ضعفه وقال أبو العباس ومعناه من أحبني وتولاني فليتوله وقال الحافظ أبو موسى أي من كنت أتولاه فعلي يتولاه قيل وكان سببه ان أسامة بن زيد قال لعلي لست مولى انما مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام الحديث (وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما روى أحمد عن أبي أيوب الانصاري انه عليه الصلاة والسلام قال في علي من كنت مولاه فعلي مولاه (اللهم وال من والاه) أي أحب من أحبه وراعاه (وعاد من عاداه) أي ابغض من أبغضه وما ارضاه قال في الكشاف الموالاة خلاف المعاداة مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة مفاعلة من العدو وهو البعد (وقال) كما رواه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فيه لا يحبك الا مؤمن) أي كامل الايمان (ولا يبغضك الا منافق) أي المثل ناقص الايقان وقد روى عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي رضي الله تعالى عنه قال عهد الي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وورد في بعض احاديث النظر الى وجه علي عبادة (وقال للعباس رضي الله تعالى عنه) كما روى ابن ماجه والترمذي وصححه (والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان) أي على وجه الاحسان (حتى يحبكم الله ورسوله) والخطاب لاهل بيت النبوة (ومن آذى عمي) أي العباس (فقد آذاني) أي فكأنه آذاني (وانما عم الرجل صنو ابيه) بكسر الصاد وقد تضم أي مثله في ان أصلهما واحد فهو كالعلة لكون حكمهما في الايذاء سواء وأصله النخلتان تخرجان من اصل واحد ومنه قوله تعالى ونخيل صنوان وغير صنوان فالاخ صنو لاخيه الشقيق

وذعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير (دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب لما أي احضر عنده (عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم) لانهم كانوا في المباهلة يحضرون أولادهم وأهلهم ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب وأهله جميعا ولذا قال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم هؤلاء أهلي) واقربائي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبي وانه ما باهل نبي قوما الا واهلكهم الله تعالى ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادي نارا وحكم المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك من باهله (وقال صلى الله عليه وسلم) في حديث تقدم (في علي) بن أبي طالب أي في حقه وشانه وسبب قوله هذا ان أسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا في سفره وهو وعند غديرهم وقد خطب الناس فقال (من كنت مولاه) أي لي عليه ولاء وحكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والمعسر الى غير ذلك من المعاني وقال الشافعي رحمه الله تعالى المراد ولاء الاسلام وقوله (فعلي مولاه) أي سيده وناصره واستدل به على الولاء بعض الفقهاء وغيرهم يقول المراد بره وصلته وهو الموافق لسياق المصنف رحمه الله واستدل به بعض الشيعة على تقدم علي كرم الله تعالى وجهه على غيره في الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معاني المولى وانما المراد من أحبني يحبه لقوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) أي من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجاز او مشاكلة (وقال فيه) أي في حق علي كرم الله وجهه كما في مسلم (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) لان من أحب أصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك ففي قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة في النهي عنه ولكون ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله في الخطابيات كثير (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للعباس) بن عبد المطلب عمه في حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجة (والذي نفسي) أي روحي وما به حياتي (بيده) أي في قبضة تصرفه لانه المحيي والمميت وهو قول للتأكيد والتحقيق (لا يدخل قلب رجل الايمان) أي لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا ففي الدخول استعارة ظاهرة (حتى يحبكم) يعني آله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرباءه فجعل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم (لله ورسوله) أي محبة خالصة من الاعراض الدنيوية والرياء فانما هي لمحبة الله ورسوله ورضاهما (ومن آذى عمي) بشيء يؤذيه (فقد آذاني) الا من يؤذي آل بيتي يؤذيني (وانما عم الرجل صنو أبيه) الصنو بكسر الصاد المهملة وضمها وهو هنا بمعنى

(وقال للعباس) كما روى البيهقي عن أبي أسيد الساعدي (أغد) بضم همزة وصل وضم الدال أمر من غدا يغدو أي ائتني غدوة وهي أول النهار (مع ولدك) بفتحتين وبضم فسكون أي أولادك من ذكور وأناث لشمول الولد لهما (فجمعهم) أي غدوة عليه (وجللهم) بالجيم وتشديد اللام الاولى أي غطاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بملاءته) بضم أوله وتخفيف اللام والمد أي ريطته أو كسائه (وقال اللهم هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء) أي أولاده (أهل بيتي فاسترهم من النار) أي في دار القرار (كستري اياهم) في هذه الدار (فامنت) بتشديد الميم أي قالت آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أي عتبته (وحوائط البيت) أي جدرانه المحيطة به من جميع جهاته (آمين آمين) أي مكررا وهو مقول على وجه التاكيد أو من طريق التجريد وهو بالمد أشهر من قصره ولا يجوز تشديد ميمه على الصحيح وهو اسم مبني على الفتح معناه استجب وفي الحديث آمين خاتم رب العالمين أي طابعه على العباد فكأنه خاتم الكتاب يصونه من الفساد (وكان) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في البخاري عن اسامة وغيره (ياخذ بيد اسامة ابن زيد) أي ابن حارثة مولاه (والحسن) أي وبيد الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما (ويقول اللهم اني أحبهما فاحبهما وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ارقبوا محمدا) بضم القاف أي راعوه واحترموه (في أهل بيته وقال) أي الصديق (أيضا) كما في الصحيحين (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الي ان أصل) أي صلتهم

المثل أي في المعنى أبوه والرجل يغار لابيه ويؤذيه ما يؤذيه وأصل معناه نخلتان فاكثر يخرج من أصل واحد فاستعير للاخ ولماذكر أي كأنه أبي يجب علي بره وكذا على غيري وروى العباس صنوي أي مثلي في النسب وسبب قوله صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له ما أغضبك قال يارسول الله مالنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى (وقال صلى الله عليه وسلم للعباس) أيضا في حديث رواه البيهقي (اغد علي يا عم) أي ائتني يقال غدا عليه اذا أتى وأصل معناه المجيء في وقت الغداة فاستعمل في مطلق المجيء (مع ولدك) أي مع أولادك وكان له رضي الله تعالى عنه اذا ركب عدة أولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث وأشهرهم عبد الله وهو الحبر وترجمان القرآن وأبو الخلفاء (فجمعهم) أي فجمع العباس رضي الله تعالى عنه أولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المراد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزي في الوفاء ان الذي جمعهم من أولاده سبعة (وجللهم) أي غطاهم وسترهم وألبسهم (بملاءته) بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو رداء أو ملحفة وقد يخص بما يكون من ثوبين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع علي وأهله فيما تقدم (هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي) أي من أقربائي (فاسترهم من النار كستري اياهم) اشارة الى وجه ادخاله في ملاءته كما تقدم (فامنت) بتشديد الميم أي قالت بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعائه هذا (أسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء بزنة طرطبة ويقال أسكوفة فابدل أحد حرفي التضعيف واوا وتخفيف فائه أيضا وفسر بالعتبة التي في أسفل الباب وتطلق على ما يقابلها من اعلاه أيضا (وحوائطه) جمع حائط وهو معروف (آمين آمين) بالمد ويقصر ويشدد وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول آمنت لانه تضمن معنى قالت أو مقدر قبله وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة لاهل البيت (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم كما في حديث رواه البخاري (ياخذ بيد اسامة بن زيد والحسن) أي يمسكهما بيده وسقط لفظ بيد من بعض النسخ فالمعنى يضمهما اليه (ويقول) داعيا لهما (اللهم اني أحبهما فاحبهما) بالادغام ويجوز فكه فيقال أحببهما والامر للدعاء ودعا بذلك لاعلامه بان من أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه الله وعكسه والقول بان أحبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايته وورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبه (وقال أبو بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه (ارقبوا محمدا) ارقب وراقب من المراقبة وهي ادامة النظر في مقابلة شيء ثم أريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا أي حقه عليكم (في أهل بيته) أي في رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته (وقال) أبو بكر رضي الله عنه (أيضا) أي كلمته المذكورة فيما رواه الشيخان عنه (و) الله (الذي نفسي) أي روحي وحياتي (بيده) بقبضة تصرفه (لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهي مصدر صارت اسم جمع لقريب النسب (أحب الي ان أصل) أي صلتهم بدل اشتمال من قرابة

(من قرابتى) أى من صلة أقاربى لقرب بمكانتهم عنده مع مراعاة قوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما روى الترمذى وحسنه وابن ماجه عن يعلى بن مرة (أحب الله من أحب حسنا) وفى رواية حسينا وفى نسخة وحسينا والجملة دعائية ولا يبعد ان تكون خبرية (وقال) كما تقدم مرارا (من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما) أى وأحب أباهما عليا المرتضى (وأمهما) فاطمة الزهراء (كان معى) أى مشاركالى (فى درجتى) أى جوارى (يوم القيامة) لان من أحب قوما حشر معهم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله) رواه الترمذى وحسنه عن سهل ابن أبى وقاص بلفظ من يرد هوان قريش أهانه الله لانهم أفضل بنى آدم اجمالا وهم ولد النضر ابن كنانة من بنى اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن (وقال) كما روى البزار عن على وابن أبى شيبة عن سهل ابن أبى خيثمة (قدموا قريشا) أى فى الخلافة ونحوها (ولا تقدموها) بحذف احدى التائين (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (لام سلمة لا تؤذينى فى عائشة) أى لفضلها نسبا وحسبا روى ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان نساء النبى عليه الصلاة والسلام كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نسائه عليه الصلاة والسلام فكلم حزب أم سلمة ان كلمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للناس من أراد أن يهدى الى النبى عليه الصلاة والسلام فليهده حيث كان فكلمته فقال لا تؤذينى فى عائشة فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عائشة وتمام الحديث فى المصابيح (وعن عقبة بن الحارث) كما فى البخارى (رأيت أبا بكر) أى الصديق رضى

(من قرابتى) فيه مضاف مقدر أى من صلة قرابتى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لما أرسلت اليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نورث ليس لآل محمد ان يزيدوا على المأكل لا أغير شيأ كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه (أحب الله من أحب حسنا) دعاء أو خبر فحب حسن حسن وبغضه قبيح وروى حسينا (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث تقدم (من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما) عليا رضى الله عنهم وهو معطوف على هذين (وأمهما) فاطمة الزهراء رضى الله عنها (كان معى فى درجتى) بدل من معى أى فى منزلتى ورتبتى فى الجنة (يوم القيامة) ان كان على ظاهره وانه معه فى المحشر فهو كناية عن سلامة من هوله فان أريد به الآخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله تعالى عليه وسلم فى درجته أحد كقوله المرء مع من أحب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من أهان قريشا أهانه الله) لانهم أكرم الناس فى الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفى الاسلام لان الامامة تحق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب أو التجمع لاجتماعهم فى الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة فى البحر لا تطلق كما قيل

وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن على وابن أبى شيبة عن سهل (قدموا قريشا) فى كل أمر من الامور ولا سيما فى الامارة والخلافة واقتدوا بآثارهم (ولا تقدموها) نهى عن تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة وأصله تتقدموا بتائين حذفت احداهما تخفيفا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لام سلمة) فى حديث رواه البخارى (لا تؤذينى فى عائشة) رضى الله تعالى عنها وسببه انه قيل لام سلمة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولى له صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر الناس بان يهدوا له حيث كان أو حيث يرى فذكرت ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان فى الثالثة قال لها يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فانه ما نزل على الوحى وانا فى لحاف امرأة منكن غيرها فبين صلى الله تعالى عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة رضى الله تعالى عنها على سائر أمهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكى الذى ندين الله به ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الرأى فى هذا التوقف لتقابل أحاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحى بلحافها وجهه بانها كانت تبالغ فى التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظها الاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشئ واحد رضى الله عنها (وعن عقبة بن الحارث) فى حديث رواه البخارى عنه (رأيت أبا بكر) الصديق

رضى الله عنه (و) قد (جعل الحسن على عنقه) أى حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز (وهو يقول) الجملتان حاليتان أى حاملا وقائلا الشعر امن مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مجزوم (بابى شبيه بالنبى) أى أفدى بابى من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده (ليس شبيها بعلى) أى ليس شبيها بابيه رضى الله تعالى عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والباء متعلقة بافدى فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهى عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم وأجيب بانه قبل النهى عنه وهو بعيد والظاهر ان النهى عن القسم الحقيقى لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله فى غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما أرادا ويقال بابى وأبى بى و بابا أ الرجل اذا قال بابى (وعلى يضحك) من فعل أبى بكر رضى الله تعالى عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل أحد يشابه أباه * ومن يشابه أبه فما ظلم * ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا سماه صلى الله تعالى عليه وسلم ابناله وجعل نسبه منه وهى خاصية لحكم ربانية وقد روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابى شبيه بالنبى الخ فيحتمل التوارد وان أبا بكر تمثل به بعدما سمعه ووقع فى البخارى ليس شبيه بعلى بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف أى ليس الشبيه غيره وقد يؤول بغير ذلك وهذا لا ينافى ما فى الشمائل لم أر قبله ولا بعده مثله لان المنفى المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل أخص من الشبيه ولا ينتفى الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان أعلاه أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين أسفله وجعفر بن أبى طالب وقثم بن عباس والسائب بن يزيد أحد أجداد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة الآتى فى كلام المصنف مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب وابنه القاسم رضى الله تعالى عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

بخمسة شبه المختار من مضر * يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن

بجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبى سفيان والحسن

وقال أبو محمد الآمدى وزاد اثنين وقيل انه للعراقى رحمه الله تعالى

وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما * لهم بذلك قدر قد زكى ونما

سبطا النبى أبو سفيان سائبهم * وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

قد أشبه المصطفى الهادى ثمانية * من صحبه فعلا فى الناس قدرهم

سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدى الحسن فقال

قد أشبه المصطفى المختار من مضر * جماعة عدهم يربو على العشرة

سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه هم سادة خيرة

وسائب مسلم وكابس قثم * وسبط نجد عقيل وابنه البررة

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن ونظموها نظما متكلفا ولذا لم نتعرض له فتابعهم ابن الشحنة فى نظمه لخمسة عشر فزاد ابن عقيل الثانى وزيد بن عبد الله ابن الحارث الملقب ميه وقدمات فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله تعالى

أى هو شبيه به فى كثير من الوجوه (ليس شبيها بعلى) أى فى بعض الوجوه (وعلى يضحك) أى فرحا بفعل الصديق وقوله الدال على انه الصديق فى مقام التحقيق وممن كان شبيها به عليه الصلاة والسلام من آله جعفر بن أبى طالب وقثم بن العباس والسائب ابن يزيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب جد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن غير آله كثيرون منهم شخص من أهل البصرة يقال له كابس من ربيعة بن مالك السامى بالسين المهملة قبله معاوية بين عينيه وأقطعه قطيعة وكان أنس اذا رآه بكى وسياتى قريبا ذكر كابس فى أصل الكتاب وقال الذهبى فى التهذيب فى ترجمة عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتاهم بعدما أخبرهم بقتل جعفر فقال لا تبكوا بعد اليوم وذلك بعد ثالثه ثم قال ائتونى ببنى أخى فجئ بنا كانا أفراخ فقال ادعوا الى الحلاق فامره فحلق رؤسنا ثم قال اما محمد فشبه عمنا أبى طالب وأما عبد الله فشبه خلقى وخلقى ثم أخذ بيدى فاشالها ثم قال اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله فى صفقته فجاءت أمنا فذكرت يتمنا فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة هذا والحسن بن على كان يشبهه

بنصفه الاعلى والحسين بنصفه الاسفل ولعل هذا هو السر في ان أكثر الذرية من الحسين رضي الله تعالى عنه (وروى عن عبد الله بن الحسن) أي ابن حسن كما في نسخة وهو ابن علي بن طالب يروي عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسن وعنه مالك وابن علية أخرج له أصحاب السنن الاربعة مات سنة خمس وأربعين ومائة (قال أتيت عمر بن عبد العزيز) أي ابن مروان بن الحكم (في حاجة فقال لي اذا كان لك حاجة فارسل لي) أي أحدا (واكتب) أي لي كتابا واذكر حاجتك ويروى أو اكتب الي (فاني أستحيي من الله ان يراك) وفي نسخة ان أراك (على بابي وعن شعبي) فيما رواه الحاكم وصححه البيهقي وغيره (قال صلى زيد بن ثابت) أي الانصاري (على جنازة أمه ثم قربت له بغلته) بصيغة المجهول (ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد) تكريما له وتعظيما (خل عنه) أي دع الركاب وتباعد منه (يا ابن عم رسول الله فقال) أي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (هكذا نفعل) وفي نسخة هكذا أمرنا ان نفعل (بالعلماء) أي اكراما واحتراما (فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا) بصيغة المفعول أي أمرنا الله ورسوله (ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد ابن أسامة) أي ابن زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ليت هذا عبدي) بفتح أوله وسكون الموحدة من العبودية بمعنى المملوكية وهي كما في المطالع رواية البيهقي ورواية الكافة بكسر أوله وسكون للاوزاع النون والاول أوجه انتهى وقال المزي بالنون هو المشهور وقال الحجازي وهو الصحيح في الشفاء قيل وكذا في البخاري الذي سمع على العراقي بالقلم (فقيل له) أي لابن عمر رضي الله تعالى عنهما (هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أي أطرقه (ونقر بيده الارض) أي حياء مما صدر عنه (وقال) أي ابن عمر في حقه (لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه) أي كحبه أباه اسامة (وقال الاوزاعي)

عليه وسلم قال انه أشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل أيضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم علي بن مجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوي ومنهم كما قيل المهدي الذي يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم تسمحوا في وجه الشبه في الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد أعطي صلى الله عليه وسلم الحسن كله وأعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(و) روى (عن عبد الله بن حسن بن حسين) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من ثقاة آل البيت وفضلائهم وله ترجمة وأخرج له أصحاب السنن (قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كان لك حاجة فارسل الي أو اكتب لي) كتابا تعلمني فيه بحاجتك (فاني أستحيي من الله تعالى ان يراك) واقفا (على بابي) كما هو المعتاد لمن أتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآله (وعن الشعبي) عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقي وصححه (قال صلى زيد بن ثابت) بن قيس بن شماس الانصاري الصحابي المشهور رضي الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكاتب (على جنازة أمه) أي أم زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت أو التابوت وأمه هي النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر الانصارية (ثم قربت له بغلته ليركبها) فلما ركبها (جاء ابن عباس رضي الله عنهما فاخذ بركابه) أي أمسكه ليركب أو مشى معه ماسكا ركابه (فقال زيد) لابن عباس (خل عنه) أي دع الركاب وتباعد عنه (يا ابن عم رسول الله) يعني انه لا يليق مثله بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل أحد (فقال) ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مجيبا له (هكذا نفعل بالعلماء) أي بمثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا (فقبل زيد يد ابن عباس) تعظيما له وجزاء لاكرامه (فقال هكذا أمرنا ان نفعل بآل بيت نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الصحابي أمرنا كما بين في مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبتهم (ورأى) عبد الله (ابن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أحد العبادلة المشهور (محمد بن اسامة بن زيد) بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث في صحيح البخاري (فقال ليت هذا عندي) بكسر العين وسكون النون أو بفتحها والباء الموحدة الساكنة وروي بالوجهين والذي رجحوه الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقي وعني ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن عرفه حين رآه (فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أي خفضها وأطرق حياء لما عرفه (ونقر بيده الارض) وهو يتفكر فيما قاله ندما عليه (وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) كما كان يحب أباه أسامة وانما فعل ذلك وقال ذلك تعظيما لموالي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاوزاعي) الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان عليه أهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب

كما حكى ابن عساكر في تاريخ دمشق (دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ومولاه واسمها فاطمة (على عمر بن عبد العزيز) أي حين كان أمير المدينة نيابة عن ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان أو في أيام خلافته (ومعها مولى لها يمسك بيدها) أي يقودها لكبرها وضعف بصرها (فقام لها عمر) أي ابن عبد العزيز (ومشى اليها) أي خطوات (حتى جعل يديها) وفي نسخة يدها (بين يديه ويداه في ثيابه) أي تأدبا معها (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) بفتح اللام وهو موضع التكرمة وهو الذي نهى الشارع عن الجلوس فيه بغير اذن بصاحبه

وبكسرها المحل الذي يجلس فيه كما يقال

للاوزاع بطن من حمير أو همدان أو قرية وقد تقدم (دخلت بنت أسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر (صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالجر صفة أسامة أو زيد فان كلا منهما صحابي مشهور (على عمر بن عبد العزيز) وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو أمير بالمدينة قبل خلافته في خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر في تاريخه وان أسامة توفي بقربة بوادي القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى أن ولي عمر بن عبد العزيز (فاتته ومعها مولى لها) أي عبد (يمسك بيدها) لكبرها وضعف بصرها (ف) لما رآها عمر (قام لها ومشى اليها) تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى جعل يدها بين يديه) بان أمسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها (ويداه في ثيابه) أي مغشاة بكمه حتى لا يمس بدنه بدن أجنبية لتقواه (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) أي على فراشه الذي كان جالسا عليه (وجلس بين يديها) كما يفعله الصغير مع الكبير تأدبا منه واكراما وتعظيما (وما ترك لها حاجة) ذكرتها له (الا قضاها) ونجزها وكان قال لها ما حاجتك يا فاطمة قالت تحملني الى أخي فجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله تعالى الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء الحوائج للناس والتواضع لهم (ولما فرض عمر) بن الخطاب رضي الله عنه في ديوانه الذي رتب فيه الوظائف للناس وهذا مما رواه الترمذي وحسنه فلما عين من بيت المال لهم فرض (لابنه عبد الله) وظيفة (في ثلاثة آلاف) أي في الطبقة التي واحدهم منها ثلاثة آلاف في السنة (و) فرض (لاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة) فجعل وظيفته من بيت المال في رتبة أعلى من ابنه عبد الله (قال) جواب لما (عبد الله) ابنه (لابيه) عمر رضي الله تعالى عنهما (لم فضلته) علي بزيادة عطائه (فوالله ما سبقني الى مشهد) أي محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها (فقال) عمر (له) أي لابنه مجيبا له (لان زيدا) أباه (كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) يعني نفسه (وأسامة أحب اليه منك) فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقة لك وهي أمر يقتضي التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لخدمته لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو أحب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يا رسول الله أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولك أن تقول الاحبية تختلف فأسامة رضي الله تعالى عنه أحبيته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر أحب اليه من غير ذلك الوجه فآثر القرب منه على غيره ثم ان ما ذكر من الفرض المذكور يخالفه ما في الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة آلاف ولابنه ثلاثة آلاف لكنه لا ينافي المقصود من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه (فآثرت) أي أجزت وقدمت (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

مسجد بالكسر للبيت الطاهر الذي يسجد فيه وبالفتح لموضع الجبهة في السجود (وجلس بين يديها) أي متوجها اليها (وما ترك لها حاجة الا قضاها) لكونها بنت حبه ومولاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) أي في ديوان الارزاق على ما رواه الترمذي وحسنه (لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف) أي من الدراهم (ولاسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة) أي زيادة على ما فرض لابنه مع ان كليهما صحابي ابن صحابي وجلالة عمر وفضيلة ابنه غير مخفية على أحد وكان التقسيم حينئذ بحسب المراتب في المناقب على عدد الرؤس كما في زمن الصديق رضي الله تعالى عنه (قال عبد الله لابيه لم فضلته) أي أسامة علي بما فضلته

(فوالله ما سبقني) أي أسامة (الى مشهد) أي من المشاهد (فقال) أي عمر (له) أي لابنه انما فضلته (لان زيدا كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) قاله تواضعا والا فهو كان أحب اليه من زيد لما في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولعل زيدا كان أحب الموالي اليه وفاطمة أحب بناته وعليا أحب أقاربه فلا تعارض (وأسامة أحب اليه منك) أي من حيثية كونه ابن مولاه (فآثرت) أي اخترت بالتقديم والتخصيص (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم على حب) بكسر الحاء فيهما بمعنى المحبوب ويجوز أن تكون مضمومة مصدر حب قال الحلبي الحديث في البخاري في الهجرة عن نافع مولى ابن عمر ان عمر كان فرض للمهاجرين الاولين أربعة آلاف وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من أربعة آلاف قال انما هاجر به أبواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه ولعل ما نقله القاضي كان أولا وما في الصحيح كان آخرا انتهى ولا يخفى انه لا مانع من الجمع في وقت واحد أيضا ثم قال وقوله هاجر به أبواه فيه نظر لان أمه زينب بنت مظعون ماتت بمكة ولم تهاجر وأجيب بان المراد

بالابوين هنا الاب وزوجة الاب (وبلغ معاوية) أي ابن أبي سفيان كما روى ابن عساكر (ان كابس ابن ربيعة) قد سبق ذكره (يشبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في الصورة فوجه معاوية (فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه) أي بالاقبال بين يديه والمثول لديه (وقبل بين عينيه) أي ما بينهما (وأقطعه المرغب) بميم مكسورة وقد تفتح فراء ساكنة فعجمة فموحدة موضع أي جعله له اقطاعا ينفرد به انتفاعا (لشبهه) بفتحتين أي لمشابهته (صورة رسول الله) بالاضافة (صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله تعالى) وهو ابن أنس صاحب المذهب (لما ضربه جعفر بن سليمان) أي ابن علي بن عبد الله بن عباس فهو ابن عم أبي جعفر المنصور بقوله بعضهم له انه لا يرى الايمان لبيعتكم شيئا لان يمين المكره لا تلزم فغضب جعفر ودعاه وجرده (ونال منه ما نال) أي من ضرب وغيره فانه مدت يده حتى انخلع كتفه أو أزيلت منه (وقيل (وحمل) الى بيته (مغشيا) أي عليه كما في نسخة (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) أي من غشيته (فقال) وفي نسخة وقال أي لمن في حضرته (أشهدكم اني جعلت ضاربي) أي الآمر بضربي ويروى صاحبي (في حل) أي في براءة من ضربه اياي (فسئل) أي مالك (بعد ذلك) أي بعد جعله في حل عن سببه هنالك ويروى فقيل له في ذلك (فقال خفت أن أموت فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيي منه أن يدخل بعض آله) أي من أن يدخل بعض أقاربه من بني عمه (النار بسببي

وسلم على حب) بضم الحاء فيهما أي محبته أو بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي (وبلغ معاوية) ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فيما رواه ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) بن مالك ابن لؤي السامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لوي وكابس بكاف وباء موحدة بعد ألف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صحح في نسخة العز في تلميذ المصنف تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه (يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنوع من الشبه وأين الثرى والثريا (فلما دخل عليه من باب الدار) الفاء دالة على مقدر أي وجه له من أحضره فلما دخل باب داره (قام عن سريره) فمشى له (وتلقاه وقبل بين عينيه) تذكرا بما المشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أنس بن مالك اذا رآه بكى لتذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وأقطعه المرغاب) اسم أرض بمرو الشاهجان أو قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة ترغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة وألف وباء موحدة قبلها راء مهملة والاقطاع أن يفوض اليه أرضا بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو أهل له وفي شرح أحكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله أهل اللغة كابي عبيد في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله (لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بما قبله جميعه أي كل ما فعله معاوية رضي الله تعالى عنه من تعظيمه لمشابهته له والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لما بعده مفعول أو منصوب بمنون تمييز للنسبة (وروى ان مالكا) هو ابن أنس الامام المعروف (لما ضربه جعفر بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجعفر هذا كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور (ونال منه ما نال) من تجريده من ثيابه واهانته وسبه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه ما لا خير فيه (وحمل) لمنزله (مغشيا عليه) من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) من غشيته (فقال أشهدكم اني جعلت ضاربي) أي الآمر بضربي ومن باشره (في حل) بكسر الحاء يقال هو في حل من كذا اذا برأت ذمته من عهدته (فسئل بعد ذلك) عن وجه ما قاله واسقاط حقه (فقال اني خفت ان أموت) مما فعله بي (فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في الدار الآخرة (فاستحيي منه) لما يلحقني من الخجل منه خوفا (ان يدخل بعض آله) من اقربائه (النار بسببي) جزاء له على ما فعله لان حق العبد لا يسقط الا برضاه واذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا قال حذرا من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضاء الله له وغيره أمر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل ولله در الامام النووي في قوله

ما نال مني أو علقت بذمته * ابرأته لله شاكر منته * والله ما طالبت عبدا بعده
ولئن طلبت رجوت واسع رحمته * أأرى معوق مؤمن يوم الجزى * أو ان أسوء محمدا في أمته

وقيل ان المنصور (اقاده من جعفر) أي طلب ان يقتص له منه و يقيده ففيه تجوز والمعنى اراد ان يؤدبه لقلة ادبه مع مالك (فقال له) أي مالك (اعوذ بالله) أي من ذلك (والله ما ارتفع منها) أي من اسواطه (سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يزل مالك في علو ورفعة بعد ذلك (وقال أبو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة هو ابن سالم الاسدي الحناط بالحاء المهملة والنون المشددة المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه على احد عشر قولا وصحح أبو زرعة ان اسمه شعبة ووافقه الشاطبي وصحح ابن الصلاح والمزي ان اسمه كنيته يروي عن حبيب ابن أبي ثابت وعاصم وابي اسحق وعنه أحمد وعلي واسحق وابن معين والعطاردي قال أحمد صدوق ثقة ربما غلط وقال أبو حاتم هو وشريك في الحفظ سواء وفي الميزان اثنان غيره يقال لكل منهما أبو بكر بن عياش قال الانطاكي مات في جمادي الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة اخرج له البخاري والاربعة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما) أي قبل الشيخين (لقرابته) أي القريبة ويروى لقرباه (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا وجه وجيه في الاقدمية من هذه الحيثية واما قوله (ولأن أخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة وتشديد راء أي لأن اسقط (من السماء الى الارض) أي من المقام الاعلى الى المكان الا... (احب الي من ان اقدمه عليهما) أي في الافضلية فدفع توهم التفضيل في القضية ثم فيه انه يجب على التابع ان يقدم من قدمه المتبوع ولذا اذن عمر رضي الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وأبي سفيان رضي الله تعالى عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال أبو سفيان للعباس أتريد ان يقدم علينا الموالي فقال العباس الذنب منا حيث تاخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذي اختاره ابن عباس رأي له والافالجمهور على ان الافضل يستحق التقديم في كل شئ فتامل (وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وسميت باسمها الا ان الراوي نسيها (فسجد) أي لعظم المصيبة وفقد الاعزة ولا يبعد ان يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) أي لابن عباس (أتسجد في هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) أي ابن عباس اليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية) أي علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) أي فصلوا (وأي آية أعظم) أي خطرا وافخم قدرا (من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدة بعد واحدة حيث انهن من أخص أصحابه وأقرب احزابه (وكان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي مع جلالتهما (يزوران أم أيمن) واسمها بركة

(وقيل ان المنصور) الخليفة العباسي المشهور (أقاده من جعفر) أي امر ان يقتص لمالك من جعفر فيضرب كما ضرب به وسياتي كلام في قصاص الضرب (فقال اعوذ بالله) والتجئ اليه في الاعانة على عدم ما اريد وهو عبارة في العرف عن عدم الرضاء (والله ما ارتفع سوط عن جسمي) في حال الضرب (الا وقد جعلته في حل) وابرأت ذمته منه (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) تكريما له لتعظيمه ومحبته (وقال أبو بكر بن عياش) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة ابن سالم الازدي المقري احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادي الاولى وعمره ستة وتسعون سنة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلي) في حاجة اقدر عليها (لبدأت بحاجة علي قبلهما) وقدمته عليهما وهما ما هما ايثارا عليهما (لقرابته) وفي نسخة لقرباه (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لشدة قربه وصهارته فتقدمه ذاتي وعرضي وقربهما منه لا يمنعه (ولان أخر من السماء الى الارض) هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده أشد عنده من انه يرفع الى السماء ويرمى به منها الى الارض فتنقطع وتتكسر جميع اعضائه وخر بمعنى سقط (أحب الي من ان اقدمه عليهما) يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي بافضليتهما عليه وانما قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
* ولاجل عين ألف عين تكرم * ففي الكلام تقدم كما أشرنا اليه (وقيل لابن عباس) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة) كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله (لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم) ولم يعينوها وقيل هي ميمونة وقيل هي زينب (فسجد فقيل له أتسجد في هذه الساعة) أي في مثل هذه الساعة التي أخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود يكون لشكر ونحوه (فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا) أي امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفي انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله على أهلها وفي السجود والصلاة تذلل برفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة (وأي آية أعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وغلق بابه فانه أمر عظيم يورث حزنا واسفا (وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن

(مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) أي فينبغي علينا زيارتها تبركا بها وتاسيا بزيارته اياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمر وبن سعد بن أبي وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) أي

أمه من الرضاعة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زائرة مسترفدة وفي سيرة الدمياطي ان الواردة عليه انما هي ابنتها الشيماء أخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) أي نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفي الحديث حسن العهد من الايمان (فلما توفي) أي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفي نسخة صحيحة وفدت أي أمه أو أخته من الرضاعة (على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك) أي مثل صنيعه عنه عليه الصلاة والسلام في الاكرام ومزيد الانعام مراعاة لحرمتها وتاسيا برعايتها ثم اعلم ان العلامة أبا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أنكر اسلام حليمة وقال ان هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما في القضية والله تعالى أعلم بالحقيقة الحقية

(فصل) (ومن توقيره) أي تعظيمه (وبره) أي ومن احسانه (عليه الصلاة والسلام في توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم) أي حقوقهم من فتح البلاد ودفع أهل الفساد وايصال انواع العلوم الى اصناف العباد (والاقتداء بهم) أي في افعالهم واقوالهم لقوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها) فاقتديا به واحباما أحب واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سليمان بن عمر بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت آلت اليه من أبيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هي أمي بعد أمي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وآمنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان أمه ذهبت به لاخواله بني النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون وينظرونه فسمعتهم أم ايمن يقولون هذا نبي هذه الامة فرقى ذلك في قلبها فهي أول من آمن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعت به فماتت أمه بالابواء وقبرها هنالك فحضنته أم ايمن (ولما وردت حليمة السعدية) من بني سعد وهي أمه من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد هجرته (بسط لها رداءه) لتجلس عليه اكراما لها وحق أمومة الرضاع (وقضى حاجتها) التي سالته قضاءها (فلما توفي) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفدت) أي جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد (على أبي بكر وعمر) في خلافتهما لحاجة لها (فصنعا بها مثل ذلك) أي بسطا رداءهما واكراماها وقضيا حاجتها تاسيا به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن أحب واعترض عليه البرهان وقال ان التي قدمت عليه بنت حليمة المسماة بالشيماء وهي التي اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسمية في اسلام حليمة والحاصل كما تقدم انهم اختلفوا في اسلامها وانها صحابية وانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشيماء فانها اسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روى عنها حديث ورد بانه لم يصح والتي أتته بنتها الشيماء بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي فاتته صلى الله عليه وسلم زمن خديجة فاعطاها أربعين شاة وجملا وانصرفت الى أهلها ولم يذكر اسلامها الا ابن عبد البر اثبته وعدها في الصحابة وقال هي أتته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر وذكر في الوفاء انها أسلمت هي وزوجها وبنتها وكفى بهذا مستندا للمصنف فالمخطئ له مخطئ والشاهد فيما ذكره لما نحن فيه ان أبا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن أحبه وهي في حكم آل بيته لانها أمه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره لم يفهمه من قال معترضا على المصنف رحمه الله تعالى ان هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل لانه معقود لتوقير آله وأصحابه تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره) توقيره بتعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته (توقير أصحابه وبرهم) أي تعظيمهم والاحسان اليهم بموالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من رآه صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصوليين (ومعرفة حقهم) أي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم في منزلته اللائقة به وليس المراد به مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف عليه قوله (والاقتداء بهم) أي اتباع أقوالهم وافعالهم فانهم على هدى اضاءت

(وحسن الثناء عليهم) أي اجمالا كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وكذا في مقام التفصيل اكمالا وتبجيلا له عليه الصلاة والسلام واجلالا (والاستغفار لهم) لقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (والامساك عما شجر) أي اختلف (بينهم) وما وقع لهم من التشاجر والاختلاف الصادر عنهم باجتهاد فلمصيبهم اجران ولمخطئهم أجر واحد كما ورد وكما قال الشاطبي رحمه الله تعالى وسلم لاحد الحسنيين اصابة * والاخرى اجتهاد رام صوبا فامحلا وفي الحديث اذا ذكر أصحابي فامسكوا وفي حديث آخر اياكم وما شجر بين أصحابي (ومعاداة من عاداهم) أي من الرافضة والناصبة لان الصحابة لاشك انهم أولياء الله وقد ورد من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب (والاضطراب) أي الاعراض (عن اخبار المؤرخين) بفتح الهمزة وكسرها أي عن أقوال أصحاب التواريخ فان غالبهم غير صحيح

بل كذب صريح (وجهلة الرواة) أي ممن نقلوا الحكايات عن غير الثقاة (كالرافضة) أي الطائفة التي رفضوا محبة الصحابة (وضلال الشيعة) أي ممن زعم مشايعة علي ومتابعته وهو بريء منهم ومتبعد عنهم وأصل الشيعة الفرقة المتفقة على ملة من الطريقة ومنه قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء الآية وتطلق على الفرقة الذين يفضلون عليا كرم الله تعالى وجهه ويزعمون انهم من شيعته أي من اتباع سيرته (والمبتدعين) أي في الدين كبعض المعتزلة (القادحة في أحدمنهم) أي الطاعنة في أحد من الصحابة وهم براء واتقياء فيجب ان يسكت عنهم (وان يلتمس لهم) بصيغة المفعول وكذا (فيما نقل عنهم) أي في حقهم (من مثل ذلك) أي من موجب طعنهم (فيما كان بينهم من الفتن) أي المؤدية الى المحن أي يطلب (أحسن التاويلات) اذ كلهم عدول بشهادة الله تعالى لهم حيث قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا (ويخرج لهم) بتشديد الراء المفتوحة أي يحمل لافعالهم (أصوب المخارج) أي المحامل (اذهم أهل لذلك) أي احقاء به هنالك (ولا يذكر أحد منهم بسوء) لان الله قد أثنى عليهم في مواطن كثيرة من كتابه ووصى النبي عليه الصلاة والسلام أمته في تعظيم أصحابه بنحو قوله لاتسبوا أصحابي مع تعميم قوله عليه الصلاة والسلام لاتذكروا موتاكم الا بخير ولانه من الفواحش المحرمة باجماع أهل السنة على خلاف انه يعزر فاعله أو يقتل (ولا يغمص) بصاد مهملة على صيغة المجهول أي لا يعاب (عليه) أي على أحد منهم (أمر) أي يطعن به فيه لحديث الله الله في أصحابي أي اتقوه فيهم فلا تنقصوهم ولا تحقروهم بل عظموهم ووقروهم وفي الحديث لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله الخلق أي صغرهم وحقرهم فنقصهم وطعن فيهم طولا وعرضا وقوة وقوتا وفي نسخة يغمض بضاد معجمة

في مشكاة الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم أفضل من مجموع من بعدهم وأما كون كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين أفضل من بعض الصحابة واستدل لحديث أمتي كالمطر لا يدري الخير في أوله أم آخره والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم (وحسن الثناء عليهم) اذا ذكروا مدحوا (والاستغفار لهم) أي الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضي عنهم (والامساك) أي السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه (عما) أي عن كل أمر (شجر بينهم) أي وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين أصحابي (ومعاداة من عاداهم) كالخوارج والرافضة (والاضراب) أي الترك والاعراض (عن اخبار المؤرخين) التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه (وجهلة الرواة) الذين رووا قصصا باطلة تؤدي لسوء ظن بهم (وضلال الشيعة) بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها أي الشيعة والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة وهي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه أعني قوله (والمبتدعين) فان البدعة على أقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقائد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله (القادحة) صفة اخبار والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يؤدي اليه (في أحد منهم) أي من الصحابة (وان يلتمس لهم) أي يطلب لهم وأصله ادراك ظاهر البشرة كالمس فعبر به عن مطلق الطلب (فيما نقل عنهم من مثل ذلك) الامر المنقول عنهم في الاخبار المروية (فيما كان بينهم من الفتن) كما وقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما (أحسن التاويلات والمحامل) لانها أمور وقعت باجتهاد منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة (ويخرج) بضم أوله مجهول كقوله يلتمس المتقدم أيضا (أصوب المخارج) بان يحمله على أمر محمود ويؤوله بما يخرجه عن عده من المعائب الى الحاقه بالمحاسن (اذهم أهل ذلك) أي مستحقون بان يحمل ما صدر منهم على أمور حسنة محمودة (ولا يذكر) مبني للمجهول (أحد منهم بسوء) أي بامر قبيح (ولا يغمص عليه أمر) بضم الياء التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبني للمجهول أي لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره يقال

والظاهر انه تصحيف وقيل فى معناه أى يصغر أو يحتقر واغمض نام وفى الامر والبيع استجاز مالا يستجاز أو حط من ثمنه (بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم و يسكت عما وراء ذلك) أى عن غيره مما لا يليق بهم هنالك (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابى فامسكوا) أى عن الطعن فيهم وذكرهم بما لا ينبغى فى حقهم قال الله تعالى (محمد رسول الله) هو خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة من مبتدأ وخبر (والذين معه) أى من الصحابة مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) أى بالنسبة الى الابرار وسائر المؤمنين ولو من الفجار لقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (الى آخر السورة) يعنى (تراهم ركعا سجدا) أى راكعين ساجدين فى غالب أوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) فى سائر حالاتهم وهو بكسر الراء وضمها (سيماهم) أى علامة أنوارهم لائحة (فى وجوههم من أثر السجود) أى من تاثير طاعاتهم واسرارهم (ذلك) أى الذى وصفوا به (مثلهم) أى صفتهم العجيبة وحالاتهم الغريبة المذكورة (فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع) تمثيل مستانف (أخرج شطاه) بسكون الطاء وفتحها أى فراخه من اشطا الزرع اذا أفرخ (فآزره) من الموازرة أى المعاونة وأصل معناه من جهة مبناه شد ازره وقواه (فاستغلظ) أى صار غليظا أى بعد ما كان دقيقا رقيقا (فاستوى

على سوقه) بالواو والهمز جمع ساق بالوجهين أى استقام على قصبه قيل فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع) بكثرته وقوته واستحكام حالته حتى أعجب الناس من الابرار (ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من بيانية عند أهل السنة (مغفرة وأجرا عظيما) هذا وقيل قوله تعالى (والذين معه) كناية عن الصديق (أشداء على الكفار) عبارة عن الفاروق (ورحماء بينهم) اشارة الى عثمان (تراهم ركعا سجدا) ايماء الى على (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) تعميم بعد تخصيص واستدل به على تكفير الروافض والخوارج الفجار حيث قال تعالى ليغيظ بهم الكفار (وقال) أى عز وجل (والسابقون) أى فى مناقب الايمان ومراتب الاحسان (الاولون من المهاجرين) وهم من أسلم قبل الهجرة أو من صلى الى القبلتين أو من شهد بدرا (والانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن آمن حين أقدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير (الآية) أى والذين اتبعوهم باحسان أى اللاحقون بهم الى يوم القيامة رضى الله تعالى عنهم بقبول طاعتهم المرضية ورضوا عنهم بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية وأعد لهم جنات تجرى به تحتها وفى قراءة المكى من تحتها الانهار خالدين فيها أى مقدرين الخلود فى تعظيمها ذلك الفوز العظيم (وقال) أى عز وعلا وفى نسخة وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) أى فى الحديبية (تحت الشجرة) وتسمى بيعة الرضوان وقد تقدمت القضية (وقال) أى الله سبحانه وتعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من قتالهم أعداء الله وثباتهم مع رسول الله وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ونحوهم (الآية) أى فمنهم من قضى نحبه أى نذره حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وأنس ابن النضر ومنهم من ينتظر ان يقضى نحبه أى نذره ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم تبديلا ولقد ثبت معه.

غمصه اذا احتقره وتهاون به و جوز فيه أيضا اعجام ضاده من أغمض الجفن اذا أطبق بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال الله تعالى الا ان تغمضوا فيه فالمعنى لا يحتقر والاول أولى رواية ودراية (بل يذكر حسناتهم) المروية من عباداتهم وزهدهم (وفضائلهم) الكثيرة من علمهم و كرمهم وحلمهم (وحميد سيرهم) من انصافهم وعدلهم واصابة رأيهم وعلو هممهم (و يسكت) مبنى للمجهول (عما وراء ذلك) أى عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود (اذا ذكر أصحابى) بذكر أحوالهم (فامسكوا) عن الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم (قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء الى آخره) فتضمن خاتمة سورة الفتح الثناء عليهم كلهم وان الله تعالى وعدهم بمغفرته وأجر عظيم منه وانهم من ابتداء امرهم الى آخره نفع وخير كزرع تكامل شيأ فشيأ حتى تمت سنابله وعم نفعه والآية وما فيها من التفاسير قد كفينا مؤنته هنا والذى يراد منها هنا ان من مدحه الله و بالغ فى مدحه فى كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه قادح لكنى أقول * أعمى البصائر بالتكحل يذهب (وقال) ان الله تعالى عز وجل فى حقهم أيضا (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية) وفى هذه الآية مدح عظيم أيضا لهم ووعد عظيم بما لهم فى العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا والذين أسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار أصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين اتبعوا هؤلاء باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من أهل القبلتين وشمل هؤلاء كلهم الثناء والوعد وقد قسموا اقساما أخر ليس هذا محل تفصيله (وقال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما تغنى شهرته عن ذكره (وقال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) هذه الآية قدمنا انها نزلت فى ناس من

طلحة يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه السلام أوجب طلحة (حدثنا القاضي أبو علي) أي ابن سكرة (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين) أي المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي (وأبو الفضل) أي ابن خيرون (قالا) أي كلاهما (ثنا أبو يعلى) أي البغدادي أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو علي السنجي) بكسر أوله (ثنا محمد بن محبوب) المشهور بالمحبوبي (ثنا الترمذي) وهو الحافظ أبو عيسى صاحب السنن (ثنا الحسن) وفي نسخة صحيحة الحسين بالتصغير (ابن الصباح) بتشديد الموحدة وهو البزار براء في آخره (ثنا سفيان بن عيينة) وهو الامام الجليل (عن زائدة) أي ابن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي ثقة حجة صاحب سنة توفي غازيا بالروم سنة ستين ومائة أخرج له أئمة الستة (عن عبد الملك) رأى عليا وسمع جريرا والمغيرة والنعمان بن بشير وعنه شعبة والسفيانان أخرج له الائمة الستة (ابن عمير) بالتصغير (عن ربعي) بكسر راء فسكون موحدة وكسر مهملة فتشديد تحتية (ابن خراش) بكسر مهملة وتخفيف راء وفي آخره معجمة هو أبو مريم العبسي سمع عمر وابن مسعود وعنه منصور وأبو مالك الاشجعي حجة قانت لله لم يكذب قط وحلف انه لا يضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك الا بعد موته توفي سنة أربع ومائة أخرج له الائمة الستة (عن حذيفة) هو ابن اليماني أبو عبد الله العبسي وفي الصحابة جماعة يقال لكل منهم حذيفة ومنهم من له رواية فلهذا ميزت هذا بأبيه واليماني اثبات الياء فيه أصح من تركها وهو صحابي أيضا رضي الله تعالى عنهما ثم اعلم ان هذا الحديث قد أخرجه المصنف من عند الترمذي كما رأيت وقد أخرجه الترمذي في المناقب به ورواه أيضا من طريق أخرى وأخرجه ابن ماجه في السنة من طريقين وقد أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث حذيفة ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وصحح اسناده (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) هذا أمر بطاعتهما متضمن لثنائه عليهما ومؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما ومشير الى انهما يكونان خليفتيه من بعده (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما روى عبد بن حميد عن ابن عمر (أصحابي كالنجوم) بجامع الاهتداء اذ بها يقتدى في غياهب الظلمة الشنيعة وبهم يهتدى الى محاسن مراتب أنوار الشريعة (بأيهم اقتديتم اهتديتم) ولعل الحديث مقتبس من قوله سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ويقويه قوله عليه الصلاة والسلام

الصحابة منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال أول مشهد لرسول الله غبت عنه والله لئن أراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما أصنع فلما كانت وقعة أحد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبد الله (حدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسين) تقدم أيضا (وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى) أحمد بن عبد الواحد البغدادي وقد تقدم (قال حدثنا أبو علي السنجي) قال (حدثنا محمد بن محبوب) المعروف بالمحبوبي كما تقدم قال (حدثنا الترمذي) الحافظ أبو عيسى صاحب السنن قال (حدثنا الحسن بن الصباح) هو البزار براء مهملة في آخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح أبو علي الزعفراني قال (حدثنا سفيان بن عيينة) كما تقدم أيضا (عن زائدة) بن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا بالروم سنة ستين أو احدى وستين ومائة وأخرج له الستة (عن عبد الملك بن عمير) الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة (عن ربعي) بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة (ابن حراش) بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخاء معجمة وهو أبو مريم العبسي (عن حذيفة) ابن اليماني باثبات الياء وهو الافصح وتحذف وهو الصحابي المشهور (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي وابن ماجه (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) أراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم أبو بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وبهذا الحديث أخرجه الحاكم وابن حبان أيضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها وأوله قال حذيفة كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار الى أبي بكر وعمر وأخرجه القصار بلفظ اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله تعالى الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتداء بهما اذا قاما مقامه في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بأبي بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق أسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي للمصنف رحمه الله ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المصنف رحمه الله ساقه في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال فضلا عن فضائل الرجال لا وجه له لان قوله (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضائل

العلماء ورثة الانبياء ثم اعلم ان قوله وقال أصحابي حديث آخر وقد أخرجه الدارقطني في الفضائل وابن عبد البر من طريقه من حديث جابر وقال هذا اسناد لا تقوم به حجة ورواه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال البزار منكر لا يصح ورواه ابن عدي في الكامل باسناده عن نافع عن ابن عمر بلفظ فايهم أخذتم بقوله بدل اقتديتم واسناده ضعيف ورواه البيهقي في المدخل من حديث عمر ومن حديث ابن عباس بنحوه ومن وجه آخر مرسلا وقال متنه مشهور وأسانيده ضعيفة قال الحلبي وكان ينبغي للقاضي ان لا يذكره بصيغة جزم لما عرف عند أهل الصناعة وقد سبق له مثله مرارا أقول يحتمل انه ثبت باسناد عنده أوحمل كثرة الطرق على ترقيه من الضعيف الى

الحسن بناء على حسن ظنه مع ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال التي يجوز العمل فيها بالضعيف فلو قال انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه بعده كالمتابعة له ولذا جزم به كان أقوى وأحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما * أراهم في الحادثات نجوم

منهم مصابيح الدجى ومعالم * فيها الهدى والاخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر مع العلو والشرف (وعن أنس) بن مالك فيما رواه البزار وأبو يعلى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي) زاد في المصابيح في أمتي (كمثل الملح في الطعام) أي فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح وأصلح قليله ولدفع توهم ضرر كثرتهم قال (لا يصلح الطعام) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا (الا به) أي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن أبي حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري وقد ذهب ملحنا فكيف نصلح واصلاحهم بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافتهم وبيان الشريعة وأمور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشراط الساعة فساد العلماء كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم أمة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان أظهر فتأمل (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم (الله الله في أصحابي) أي اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتأكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع قبحه (لا تتخذوهم غرضا بعدي) الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى به السهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد أمور قبيحة لهم (فمن أحبهم) وصان اعراضهم (فبحبي أحبهم) أي فانما يحبهم لاجل محبتي لهم فحبتهم عين محبتي وبرهم برى (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقي لا يتصور في حقه فهو ومشاكلة (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع (أن يأخذه) أي يهلكه ويستأصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية أو موصولة ورواه في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ أو هو مستأنف دليل على الجواب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي

والله أعلم بحقيقة الاحوال (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) في رواية البزار وأبي يعلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل أصحابي) زاد البغوي في المصابيح وشرح السنة في أمتي (كمثل الملح في الطعام) بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدنيا وفلاح العقبى (لا يصلح الطعام الا به) أي بالملح بحسب الحاجة الى القدر المصلح له قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح (وقال) عليه السلام (الله الله) بنصبهما أي اتقوه أو راعوه (في أصحابي) أي خاصة (لا تتخذوهم غرضا) أي هدفا للطعن (بعدي) أي بعد موتي أو بعد غيبتي لاني أقوم لهم بنصرتي في حياتي وحضرتي (فمن أحبهم فبحبي) أي اياهم أو فبحبهم لي (أحبهم) أو يؤيده قوله (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) فلو

وهذا بحسب الاعتقاد والاحوال وأما باعتبار الاقوال والافعال فكما بينه بقوله (ومن آذاهم) أي باللسان أو الاركان (فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أي فكأنه آذاه (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وتفتح أي يقرب (أن يأخذه) أي أخذ شديد ويؤاخذه بعذاب أكيد ولعل الحديث مقتبس من مجموع قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي) قال النووي هو من أكبر الفواحش وسيأتي عن المصنف انه عده من الكبائر ويعزر

عند الجمهور ويقتل عند بعض المالكية وكذا عند بعض الحنفية ففي بعض كتبهم ان سب الشيخين كفر (فلو انفق أحدكم) أي كل يوم كما رواه عبد بن حميد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا وقالوا انفق احدكم كل يوم (مثل احد) أي مالا قدره أو انفاقا مثله (ذهبا) تمييز (ما بلغ) أي جميعه (مد أحدهم) وفي نسخة صحيحة مد أصحابي وهو بضم ميم وتشديد دال وخص بالذكر لانه أقل ما كانوا يتصدقون به وأصله كان الرجل يمد كفيه فيملأ هما طعاما أي قدر مد طعام أحدهم مما انفقوا في محلهم (ولا نصيفه) لما قارنه من صدق نية وصفاء طوية مع شدة الحاجة وكمال القلة وقدورد سبق درهم مائة الف درهم والنصيف بفتح فكسر بمعنى النصف بتثليث النون كما يقال عشر وعشير وقال الارزنجاني في شرح المشارق النصيف مكيال معروف وهو دون المد والضمير في نصيفه راجع الى أحدهم لا الى المد والمعنى ان أحدكم لا يدرك بانفاق مثل أحد ذهبا من الفضيلة ما ادرك أحدهم بانفاق مد من الطعام أو نصيف منه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى لا يستوى منكم من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (وقال) أي فيما رواه الديلمي عن عويم ابن ساعدة وأبو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله تعالى عنه (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) تاكيد لمن ذكر أو للناس فقط أي كلهم أي الطرد والبعد عن الحق والسب والذم من الخلق (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا) بفتح

فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا) وفي بعض الروايات من طريق أبي بكر بن عياش زيادة كل يوم وأحد اسم جبل معروف أي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا (ما بلغ) أي ما وصل وساوى ثوابه ثواب (مد أحدهم ولا نصيفه) الذي يتصدق به من تمر أو شعير أو قمح ونحوه ففيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو أقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وروى مد بفتح الميم أي مداه وغايته كمدا لبصر ومداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيفه بزيادة تحتية لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد أي أعلى صدقتكم وانفاقكم لله لا يبلغ أجره وموقعه عند الله أقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون ريا منهم وقد انفقوا رضي الله تعالى عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما انفقوه في أول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع بذلهم مع مالهم أهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

رأيت عبيد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد

أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

جدت وقاراوالزمان هازلي * وجاد عفوا والزمان جامد ولمهيار

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل أو المراد بصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال الله لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة الآية فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله أو كفر فيقتل وسيأتي تفصيله آخر الكتاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي وأبو نعيم في الحلية عن جابر (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى لا يتجرأ عليه احد من الناس (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا ولا عدلا) في تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما تصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل المكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيامة من يفتدى به فان بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك

 الصاد المهملة وسكون الراء أي توبة أو نافلة (ولا عدلا) بفتح العين وسكون الدال أي فدية أو فريضة وقال المساوردي الجمهور على ان الصرف الفريضة والعدل النافلة وعكسه الحسن وقال الاصمعي ان الصرف التوبة والعدل الفدية ومعنى القبول تكفير الذنوب بهما قال النووي معنى الفدية هنا لا يجد في القيامة فداء يفتدى به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله تعالى على من يشاء منهم بان يفديه من النار بيهودي أو نصراني كما ثبت في الصحيح وفي الحديث ان العبد اذا لعن شيا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبوابها دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تاخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لها والا رجعت الى قائلها (وقال) كما رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي عن الطعن فيهم

ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه (وقال في حديث جابر) رضي الله عنه الذي رواه البزار والديلمي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين) أي فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا اتقياء كلهم (سوى الانبياء والمرسلين) فانهم أفضل منهم (واختار لي منهم) أي من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة (أربعة أبابكر وعمر وعثمان وعليا) وقد روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم رأى أبابكر وعمر فقال هذان السمع والبصر ثم فسر اختيارهم له بقوله (فجعلهم خير أصحابي) وافضلهم (وفي أصحابي كلهم خير) أي فضل وتقوى فكلهم علماء عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم وثم وهذا سبب ما حكاه امام الحرمين رحمه الله تعالى من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما أوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الأهل والاوطان وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين وقتل الآباء والابناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الطبراني في أوسط بسند حسن (من أحب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني) خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على أمور الدين التي قد تورث حزازة في بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على أبي بكر رضي الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه وقدمه وارتضاه فعدم ارتضائه يفضي الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل * عن المرء لا تسل وسل عن قرينه * نكتة من خصائص أبي بكر وعمر انهما جليساه وضجيعاه في حياته ومماته وقد ورد في حديث ان كل احد يدفن بتربته التي خلق منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف أعظم منها (وقال مالك بن أنس) شيخ السنة وامام دار الهجرة (وغيره) من الأئمة اشارة الى انه لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية في كتاب رد الروافض (من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق) الفيء ما اخذ من غنيمة الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على ما فعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب والفيء ههنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الآخر وان فرق بينهما الفقهاء وأهل اللغة وقد قال مشايخنا في هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادي (ونزع) بنون وزاي معجمة وعين مهملة مبني للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول أيضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر أو ضمير مالك وغيره وعلى الثاني نائب فاعله قوله (بآية) سورة (الحشر) وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الآية وسيأتي في آخر الكتاب قال مالك من انتقص احدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية الى آخره فمن انتقصهم فلا حق له في الاسلام وعطف سبهم على أبغض عطف تفسيري لان البغض أمر قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوى اماراته فلا يرد عليه ان تعليق الحكم بهما يقتضي انه لا يكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع يبعد عن الايمان بشهادة حديث الله الله في أصحابي الى آخره لم يصب وأصل معنى النزع القلع والخروج فيجوز به عما مر فليس من النزوع عن الاوطان والتقرب كما توهمه هذا القائل والآية المذكورة قوله تعالى ما أفاء الله على رسوله

أصحابي كلهم خير) لحديث خير كم قرني فهم خيرة الله من خلقه بفتح الياء وسكونها أي اختاره الله (وقال) كما روى الطبراني في الاوسط عن أبي سعيد الخدري بسند حسن (من أحب عمر فقد أحبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني) لما أوتيه من كرم الشيم وعلو الهمم (قال) وفي نسخة وقال (مالك ابن أنس رضي الله تعالى عنه وغيره) أي من العلماء (من ابغض الصحابة) أي بجنانه (وسبهم) أي بلسانه والواو بمعنى أي (فليس له في فيء المسلمين حق) أي فيما ينال من أهل الشرك بعد ما تضع الحرب أوزارها وحكمه ان يكون لكافة المسلمين فاراد مالك رحمه الله بنفي حق من ابغض الصحابة وسبهم من الفيء انه يخرج بذلك عن جماعة المسلمين (ونزع) بنون مفتوحة فزاي فمهملة بصيغة الفاعل وقيل بصيغة المفعول أي بعد عن الفيء فلا حق له فيه فهو تأكيد لما قبله فتكون الباء في قوله (بآية الحشر) سببية والاظهر انه بصيغة الفاعل وان ضميره الى مالك وغيره يقال نزع بآية من القرآن اذا تلاها محتجا بها أي واستدل كل منهم على قوله ذلك بآية الحشر وهي قوله تعالى

(والذين جاؤا) عطف على المهاجرين في قوله للفقراء والمهاجرين أي وللفقراء الذين جاؤا (من بعدهم) حين قوي شان الملة أوهم تابعوهم باحسان الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أي آمنوا قبلنا (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقدا وغشا (للذين آمنوا) أي من السابقين واللاحقين (ربنا انك رؤف رحيم) بالحسنين روى عن مالك رحمه الله انه قال من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم

غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ قوله تعالى وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ قوله رؤف رحيم أراد ان الله تعالى قد بين من له الحق في الفيء في هذه الآية ورتبهم على ثلاث منازل الفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار يعني المدينة وهم الانصار والذين جاؤا من بعدهم يعني التابعين الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا الى قوله تعالى ولا تجعل في قلوبنا غلا أي بغضا للذين آمنوا قال فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين (وقال) أي مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه (من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار) وعن مالك أيضا انه قال حين تلا قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان) أي صفتان كريمتان (من كانتا فيه نجا) من محن الدنيا والآخرة (الصدق) أي مع الحق والخلق (وحب أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيوب) وفي نسخة أبو أيوب وهي غير صحيحة (السختياني) بفتح أوله وضمه وسكون المعجمة وكسر التحتية سبق ذكره (من أحب أبا بكر) أي محبة كاملة (فقد أقام الدين) أي بقدم تقدم اليقين (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أي بين سبيل الله وهو الاسلام وعينه

رسوله الى قوله (والذين جاؤا من بعدهم) يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * ووجه الاستدلال بالآية انه جعل ما أفاء الله على رسوله حقا للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوؤا الدار والفقراء الذين جاؤا من بعدهم مهاجرين بعد ما قوي الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن آمن بعد المهاجرين والانصار الى آخر الزمان وجملة يقولون الى آخره حال أي القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهي حال مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لاغل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى في آخر الكتاب ثم انه بين ان هذا يقتضي كفرهم والكفار لا حق لهم في الفيء فلذا قال (وقال) مالك بن أنس (من غاظ) بظاء مشالة وقيل وبالضاد المعجمة أيضا وهو لغة فيه لا ابدال واختلف في الغيظ والغضب هل هما بمعنى أو الغيظ أشد الغضب أو الكمين في النفس أو الغضب للقادر والغيظ للعاجز أي من اغتاظ واحتد اذا ذكر (أصحاب محمد) عنده (فهو كافر) لان من أبغضهم فقد أبغضه صلى الله تعالى عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك بن أنس فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى آخره وقال من أصبح في قلبه غيظ على أصحاب محمد فقد أصابته هذه الآية لانها صدرت بلام التعليل وهي اما علة لما قبلها من تشبيههم بالذرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم (قال تعالى ليغيظ بهم الكفار) فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم أو علة لقوله بعده وعد الله الذين آمنوا منهم فانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم والحاصل انه لا يغيظ باصحابه مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما أداه اليه اجتهاده (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا) من كل أمر يشينه وينقصه عند الله الصدق بان يتحرى في الصدق في جميع اقواله حتى يكون عند الله صديقا (وحب أصحاب محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه وأهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد روي من طريق آخر بمعناه وترتب النجاة على ما ذكر سر من أسرار الله يطلع عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به (وقال أيوب السختياني) التابعي المشهور (من أحب أبا بكر فقد أقام الدين) لان الدين استقام به في صحبته لرسول الله في أول الاسلام وفي أول الهجرة وفي قيامه مقامه بعد وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وغاض النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها فحمل أعباء الخلافة حتى قر الدين وفاء من فاء ومن أحب أحدا كان معه وتخلق باخلاقه (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أي بين طريق الحق لمن أراد سلوك الطريق المستقيم لانه بعده صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر الدين وأنعم به على الاقطار وقضى لاهله الاوطار ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام أقصى

(ومن أحب عثمان فقد استغنى بنور الله) أي من الاستضاءة بما سواه (ومن أحب عليا فقد أخذ) وفي نسخة فقد استمسك (بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) أي كلهم (فقد برئ من النفاق) أي فهو مؤمن كامل صادق في الوفاق (ومن انتقص) وفي نسخة ومن أبغض (أحدا منهم فهو مبتدع) أي صاحب بدعة (مخالف للسنة والسلف الصالح) أي من أكابر الامة (وأخاف أن لا يصعد) بفتح أوله وبضمه أي لا يطلع (له عمل الى السماء) يعني لا تقبل منه طاعة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه) أي لهم كما في نسخة (سليما) أي من الغل والحقد وفي حديث خالد بن سعيد) أي ابن العاص ابن أمية بن عبد شمس كنيته أبو سعيد وخالد هو ابن عمر بن سعيد فسعيد جده قالت بنته أم خالد واسمها أمية كان أبي خامسا في الاسلام وقيل كان رابعا أو ثالثا قيل وأسلم قبل أبي بكر أو قبل علي رضي الله تعالى عنه والله أعلم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) قال الحلبي وهو صحابي مشهور لكن لا استحضر له شيئا في الكتب الستة ولا في مسند أحمد ولا في مسند بقي بن مخلد وان كان هذا من غيرهم فان كان تابعيا كان هذا الحديث مرسلا والا فمعضلا انتهى ووجدت بخط شيخ مشايخنا الحافظ السخاوي على هامش حاشية الحلبي ما صورته وجدت بخط الحافظ ايبك على بعض نسخ الشفاء ما صورته كذا فيه خالد بن سعيد وانما هو خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي والحديث ليس من روايته عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة وانما رواه خالد عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك بن أخي كعب بن مالك عن أبيه عن جده سهل قال لما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس اني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك

الارض كما في حديث الشيخين هنا بينا انا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت فيها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا أي دلوا كبيرا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر وفي رواية فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام (ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله) الذي أظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقي الله وهو عنه راض وكان أشد الناس حياء (ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى) أي تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقائما بالذب عن حوزة الدين لا يلحقه في الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم فمن أحبه فهو مستمسك بالعروة الوثقى أي بالحق والرأي القويم الذي هو عروة لا تنفصم وهو استعارة مصرحة من عروة الكلام وهو ماله أصل ثابت واطراف لا تنقص اذا سقطت الاوراق (ومن أحسن الثناء) بمدح ناشئ عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن (على أصحاب محمد) تعميم بعد التخصيص (فقد برئ) أي سلم وخلص (من النفاق) المراد به معناه العرفي وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا وأصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة (ومن انتقص) أي ابغض (أحدا منهم) بذمه وذكر ما يشينه (فهو مبتدع) لمخالفته السنة واتيانه ما نهى الله تعالى منه ورسوله وفي نسخة أبغض ثم فسر المبتدع بقوله (مخالف للسنة) أي لهديه وطريقته صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع اقواله وافعاله (والسلف الصالح) من الصحابة والتابعين (وأخاف) أي أظن أو أعلم (ان لا يصعد له عمل) من اعماله الصالحة أي لا يقبله الله تعالى منه ولا يثيبه عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف بمعناه الحقيقي وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع في مكروه عن امارة مظنونة أو معلومة وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما بعرفتم انتهى (الى السماء) لعدم تمسكه بالكتاب والسنة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما) من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح (وفي حديث خالد بن سعيد) بن العاص بن أمية بن عبد شمس الصحابي وهو ثالث أو رابع أو خامس من أسلم وسبق غيره ويقال أسلم قبل الصديق ويقال أسلم قبل علي وليس في الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يروعنه حديث في الكتب الستة ولا في مسند أحمد ولا في مسند بقي بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبراني وابن منده وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى نقله البرهان الحلبي وقال غيره انه خالد بن عمر بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكر سبب اسلامه في واقعة رآها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث مرسل والا فمعضل والظاهر هو المقدم وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس الخ (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس اني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك) أي رضاي عنه في صحبته له وانه لم يأل جهدا في خدمته ولم يفارقه في حياته ومماته ولم يرمنه الا ما يسره وفي تقديمه وافراده له بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله على سمعه وقلبه وسيأتي الكلام

أيها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان) وفي نسخة وعن عثمان وعن علي (وطلحة) وفي نسخة عن طلحة أي ابن عبيد الله
(والزبير) أي ابن العوام (وسعد) أي ابن أبي وقاص (وسعيد) أي ابن أبي زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) أي الزهري
(فاعرفوا ذلك لهم) ولم يذكر أبا عبيدة مع انه عاشرهم ولعله سقط من الراوي (أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية) بالتخفيف
وتشدد وهي قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بينها وبين مكة مرحلة وقد جاء في الحديث وهي بئر وقال أبو حنيفة
ومالك وهي من الحرم وخالفهما الشافعي رحمه الله تعالى وقال ابن القصار والواحدي بعضها من الحل وفي صحيح البخاري والحديبية خارج الحرم أي باعتبار بعضها فلا ينافي ما تقدم والله تعالى أعلم (احفظوني) أي راعوني (في أصحابي وأصهاري) أي خصوصا وهم آباء زوجاته أبو بكر وعمر وأبو سفيان رضي الله عنهم (واختاني) أي أزواج بناته عثمان وعلي وأبو العاص ابن ربيعة (لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة) بكسر اللام من الظلم وهو الجور وبالفتح اسم ما يأخذه الظالم وقيل كل منهما يطلق على الآخر والكسر أكثر وعليه الأكثر (فانها) أي مظلمتهم (مظلمة لا توهب في القيامة غدا) والحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير من رواية علي بن محمد بن يوسف بن مسمع ثنا
سهل بن يوسف بن سهل بن أخي كعب عن أبيه عن جده فذكره (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء (ابن عمران) وهو أبو مسعود الازدي
الموصلي أحد الاعلام يروي عنه بشر الحافي وغيره قال شيخه الثوري رحمه الله هو ياقوتة العلماء أخرج له البخاري وغيره (ابن عمر بن
عبد العزيز) أي مقامه في العدل والفضل (من معاوية فغضب) أي من قوله لما لاح له من اضمار أفضلية ابن عبد العزيز على معاوية (وقال
لا يقاس على أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحد) أي لانهم خير من بعدهم لما سبق من حديث الديلمي والبزار ان الله اختار
أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث الشيخين خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

ان من أنكر خلافة أبي بكر يبدع ولا يكفر ومن سب أحدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر
(أيها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير) بن العوام رضي الله عنهم
(وسعد) بن أبي وقاص (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) الزهري (فاعرفوا
لهم ذلك) أي كوني راض عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو لا تدل على
الترتيب وان كان أهل السنة على تقديم أبي بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا في عثمان وعلي أيهما
أفضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف في أيهما الافضل وان هذه المسئلة
غير قطعية عندهم لكن الذي عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ما ذكر وبقية الصحابة لم ينصوا
على شيء فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو أبو عبيدة بن الجراح لدخوله في الصحابة وشهرته (أيها الناس
ان الله قد غفر لاهل بدر) كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم أول مشهد أعز الله به الاسلام والمسلمين
وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بئرها كما تقدم (و) أهل (الحديبية) بتشديد الياء
وتخفيفها وهي اسم مكان قريب من مكة من الحرم أو خارجه أو بعضه منه أقوال وفيه الشجرة التي
كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة في السير وقد تقدم ذكرها (أيها الناس احفظوني) أي
احفظوا حقي وقدري برعاية ما يجب منه كما تقدم تفصيله (في أصحابي) أي وحفظ حقي يتم ويتحقق
بحفظ أصحابي ومحبتهم وتوقيرهم وان من أبغضهم يبغضني ولم يحفظني ثم خص بعد التعميم احتياطا
وحثا بقوله (وأصهاري واختاني) الاصهار جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهري هم أهل المرأة عن
الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان
كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شيء من قبل الزوج
فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة سببية بتزوجه أو
التزوج منه (لا يطالبنكم) معاشر الناس أجمعين (أحد منهم) أي من المذكورين من أصحابي واتباعي
أي لا يكون لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله (بمظلمة) بكسر
اللام وفتحها وهي ما يؤخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكى ممن أخذه والكسر فيها أكثر وأشهر
(فانها مظلمة) أي حق للعبد أخذ منه ظلما (لا توهب في القيامة غدا) أي لا يهبها الله لانها حق العبد
ما لم يرض صاحبها الا تبرعا وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذي يؤاخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا
(وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء والقصر (ابن عمران) أبو مسعود الازدي الموصلي أحد الاعلام المحدثين
كان يقال له ياقوتة العلماء توفي سنة خمس وثمانين ومائة وأخرج له البخاري وغيره والقائل له لا يعرف
(ابن عمر بن عبد العزيز) الخليفة العابد الزاهد العادل (من معاوية) بن أبي سفيان رضي الله عنه أي
أيهما أفضل وخصهما بالسؤال لانهما أمويان فاين تذهب أنت في الفرق بينهما (فغضب) على السائل
لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز نظر الظاهر الحال (وقال لا يقاس) أي لا يستوي فضلا عن
التفضيل (بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد) وفي نسخة على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقاس

ثم عد بعض مناقبه التى تقتضى علو مراتبه حتى بالنسبة الى بعض أصحابه فقال (معاويه صاحبه وصهره) أى أخو أم حبيبة من أمهات المؤمنين (وكاتبه) أى لمكاتبيه وغيرها (وأمينه على وحى الله عز وجل) أى حيث كان يكتب الوحى على خلاف فيه ولعل السائل ساله عن عمله وزهده وعدله لكن المسؤل عدل عن جوابه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا ذكر أصحابى فامسكوا وللايماء الى ان كل ما وقع منه يكون مكفرا ببركة صحبته ونتيجة خدمته ولذا لما سئل بعض العلماء مثل هذا السؤال قال فى الحال الغبار أنف فرس معاويه مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خير من ألف عمر بن عبد العزيز ويؤيده قوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومعاويه وان أسلم عام الفتح لكن له سبق ظاهر على من أسلم بعده سواء كان من الصحابة أو التابعين والحاصل انه لا أحد من علماء هذه الامة ومشايخ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة فان رؤيته عليه الصلاة والسلام كانت أكسيرا تؤثر تأثيرا كثيرا لمن رآه وآمن به صغيرا أو كبيرا (وأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جىء (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها (فلم يصل عليه وقال) أى جوابا للسؤال عن الاشكال وهو امتناعه عن تلك الحال مع انها من جملة الكمال (كان يبغض عثمان) أى بغير وجه شرعى (فانا أبغضه) رواه الترمذى عن جابر وضعفه وفسره (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه (فى الانصار) أى فى حقهم (اعفوا عن مسيئهم) أى عثراتهم (واقبلوا من محسنهم) أى كمالاتهم وللبخارى أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز

يتعدى بالباء وعلى وقد يعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبى

بمن تضرب الامثال أم من أقيسه * اليك وأهل الدهر دونك والدهر

ثم أشار لفضل معاويه على غيره لقوله (معاويه صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وصهره) لانه أخو زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين (وكاتبه) لما ثبت انه من أحد كتابه صلى الله عليه وسلم (وأمينه على وحيه) لانه بعد ان استكتبه كان يكتب ما ينزل عليه من الوحى ولو لم يستامنه ما استكتبه الوحى وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها عمر بن عبد العزيز واضرابه وابن المعافى رجل منصف ما صح عنه يرد ما قيل ان معاويه لم يكتب له شيا من الوحى وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف ولم يذكر فضل معاويه بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز يشاركه فى ذلك وروى ان عمر سمع مثله فقال الغبار بغزوة غزاها معاويه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وآل عمر وفى الطاعن فى معاويه ما قيل

ومن يكن يطعن فى معاويه * فذاك كلب من كلاب الهاويه

(و) روى الترمذى عن جابر وضعفه انه صلى الله عليه وسلم (أتى) بالبناء للمفعول النبى عليه السلام (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه أو فوق لفوق وتحت لتحت وقد يعكس (فلم يصل عليه وقال كان) هذا الميت (يبغض عثمان فانا أبغضه) فلذا لم يصل عليه لان صلاته على الميت دعاء له وشفاعة له فحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى وفى نسخة بدل ما ذكر (فابغضه الله) فهو خبر أو دعاء عليه وليس فى الحديث نهى عن الصلاة حتى يقتضى كفره كما توهم لجواز ان لا يصلى هو ويصلى غيره كما فى المديون والبغض لا يقتضى الكفر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (فى الانصار) أى فى حقهم والوصية بهم وقيل فى شأنهم وفضلهم (اعفوا عن مسيئهم) أى عمن وقع منه اساءة ما (واقبلوا من محسنهم) كل ما أحسنوه فحذف مفعوله تعميما وفى البخارى أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أى ما فرط منه من زلة والانصار اسم حدث لهم فى الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم فى غير الحدود وحقوق الناس وهو ما ذكر بعض من حديث رواه الشيخان ففى البخارى عن أنس بن مالك ان أبا بكر والعباس رضى الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم منا قد خلا عنه عليه السلام فدخلا عليه صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش تجمع الغذاء الذى به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منثورة أى عيال كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة ما يحرز فيه المتاع يريد صلى الله عليه وسلم بذلك انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد وهو من موجز الكلام الذى لم يسبق اليه وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع الثياب والاول أمر باطن والثانى ظاهر فضرب بهما مثلا لاختصاصهم باموره الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ أو استعارة وأراد عليه السلام بما عليهم نصرته وقضاء ما تابعوه عليه وما لهم الجزاء فى الدنيا والآخرة وقد علمت ان معنى وتجاوزوا عن مسيئهم أى فى غير الحدود وحقوق الآدميين وهذا أيضا محمل الخبر الصحيح أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد فى رواية الا فى الحدود

عن مسيئهم (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما روى أبو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع عن أنس رضي الله تعالى عنه (احفظوني) بفتح الفاء أي احفظوا وصيتي (في أصحابي) أي عموما (واصهاري) أي خصوصا ولعله تغليب يشتمل اختانه أيضا قال النووي في شرح مسلم عن أهل اللغة الاختان جمع ختن اقارب زوج الرجل والاحماء اقارب زوج المرأة والاصهار يعم الجميع (فانه) أي الشان (من حفظني فيهم) أي راقبني في حقهم (حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة) أي من الهوان والعقوبة (ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه) أي تبرأ منه وأعرض عنه (ومن تخلى الله عنه يوشك) بكسر الشين وتفتح أي يقرب ويسرع (ان يأخذه) أي يؤاخذه بما يستحقه من الوعيد ان أخذه أليم شديد (وعنه عليه الصلاة والسلام) فيما روى سعيد بن منصور عن عطاء بن أبي رباح مرسلا (من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة) أي من سوء العقوبة (وقال) كما رواه الطبراني بسند ضعيف (من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض) أي وسقيته منه مع أصحابي رعاية لحقوق صحبتهم وخدمتهم ومحبتهم (ومن لم يحفظني في أصحابي) أي من جهة حقوقهم (لم يرد علي الحوض) أي من قريب (ولم يرني الا من بعيد) وهذا أشد وعيد (قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به) أي أرشدنا به الى أمر الدين وعلم اليقين (وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع) بالموحدة في أوله أي مقبرة أهل المدينة (فيدعو لهم) أي بالرحمة (ويستغفر لهم) أي عما فرط لهم من الزلة (كالمودع لهم) كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يبالغ في الدعاء والاستغفار لهم كالمودع عند الوداع لا يترك شيئا مما يهم المودع الا ذكره وأوصى به (ولذلك أمر الله وأمر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (بحبهم) أي بمحبة الصحابة (وموالاتهم) أي موالاة من والاهم من أهل السنة والجماعة (ومعاداة من عاداهم) أي من الخوارج والروافض وسائر أهل البدعة

وفسره الشافعي بانهم الذين لا يعرفون بالشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر وقيل من اذا أذنب تاب (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع عن أنس (احفظوني في أصحابي واصهاري) تقدم بيانه (فانه) أي الشان (من حفظني فيهم) برعاية حقوقهم واكرامهم (حفظه الله في الدنيا والآخرة) حفظه في الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصي وفي الآخرة من العذاب والعقاب (ومن لم يحفظني فيهم) بترك ما مر (تخلى الله عنه) أي أعرض عنه وتركه في غيه استدراجا له (ومن تخلى الله عنه يوشك) يسرع ويقرب (ان يأخذه) أخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستأصله مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الله الخ اخبار عما يقع به وكونه انشاء للدعاء عليه يأباه السياق فما قيل انه أقرب ليس بشئ ولهذه الزيادة ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان تقدم (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه سعيد بن منصور عن عطاء مرسلا (من حفظني في أصحابي) برعاية حقي فيهم (كنت له حافظا يوم القيامة) أي مانعا من هول الحشر وما يسوءه فيه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الطبراني بسند ضعيف (من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض) أي وصل اليه وشرب منه حتى لا يظمأ بعده (ومن لم يحفظني في أصحابي) بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم (لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد) فلا يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان من أبغض الصحابة مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وتفوت بركته وعنايته في مثل ذلك اليوم الشديد الهول (قال مالك) امام دار الهجرة ونجم السنة رحمه الله (هذا النبي) صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة القريب لانه لحضوره في قلبه وذهنه قدر نفسه كأنه بين يديه عبر أي منه صلى الله عليه وسلم (مؤدب الخلق الذي هدانا الله به) لخيري الدنيا والآخرة والضمير للناس كلهم (وجعله رحمة) عامة (للعالمين) وجميع المخلوقين (يخرج في جوف الليل) أي في شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (الى البقيع) اسم موضع بظاهر المدينة وأصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاه كان به ثم زال وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان يخرج اليه ليناجي ربه متخليا عن أهله (فيدعو لهم) أي يدعو لمن بتلك المقبرة منهم (ويستغفر لهم) أي يدعو لامواتهم وأحيائهم بالمغفرة (كالمودع لهم) كأنه يودع من تلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه وسلم بقرب أجله ومفارقة زيارتهم (وبذلك أمره الله) أي أمره بان يدعو لامته أو لامواتهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه في ذلك (وأمر) بالبناء للمجهول (النبي) صلى الله عليه وسلم أي الله أمره (بحبهم) الله (وموالاتهم) أي معاونتهم ونصرتهم كما أمروا بذلك (ومعاداة من عاداهم) من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عائشة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج في ليلتها آخر الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان ذلك لما خرجت عائشة وراءه مستخفية منه فاحس صلى الله عليه وسلم بذلك وسألته عما صنع

(وروى عن كعب رضي الله تعالى عنه) أي كعب الاحبار كما ذكره الحلبي (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة) أي لمن بينه وبينه زيادة المودة وقال الدلجي وحديث كعب بن سعد ليس مؤمن من آل محمد الا له شفاعة (وطلب) أي كعب (من المغيرة بن نوفل) أي ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (أن يشفع له يوم القيامة) له رواية وكان

فقال ان جبريل أتاني وناداني ولم يدخل عليك ولم أوقظك خشية ان تستوحشي فقال ان ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف أقول فقال تقول السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المستقدمين منا والمستأخرين وانا بكم ان شاء الله لاحقون وهو ما أشار اليه مالك رحمه الله وقيل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا أمر بذلك فنحن أحق به والظاهر ما قدمناه (وقال كعب) الاحبار رضي الله عنه التابعي المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس مؤمن بدل قوله (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة) في غيره من المؤمنين (يوم القيامة) وهذا امام روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل أو هو مما قرأه في الكتب القديمة لانه كان عالما بها وفيه تكريم لهم وما يقتضي محبتهم رجاء شفاعتهم فيمن أحبهم (وطلب) أي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا لهم مترجيا الشفاعة رضي الله عنهم (من المغيرة بن نوفل) بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الصحابي ولد على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من أنصار علي رضي الله عنه وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ست سنين وكان قاضيا في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وعد من الصحابة وطلب كعب منه (ان يشفع له يوم القيامة) يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمساني نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدولي من كنانة سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومات في زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدي وقال البرهان الحلبي الحارث هو ابن عبد المطلب قال ابن عبد الغني المقدسي انه لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله ونوفل أسن اخوته واسن من أسلم من بني هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم أبي سفيان والصحيح خلافه وانه غيره ولم يتعقب أبا الفتح اليعمري حين ذكره وقال الذهبي في التجريد أبو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه (وقال سهل بن عبد الله التستري) تقدم ضبطه (لم يؤمن بالرسول) صلى الله عليه وسلم ايمانا كاملا (من لم يوقر أصحابه) بتعظيمهم ومحبتهم (ولم يعز) من أعزه اذا نصره وقواه وجعله عزيزا موقرا مبجلا معظما (أوامره) جمع أمر وقد تقدم الكلام عليه قبل وهذا يقتضي ان سب الصحابة وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشي وينبغي ان يقيد الخلاف بغير من فعل ذلك بهم لكونهم صحابة لالامر آخر وهو مقتضى مذهبنا أيضا وفي منظوم ابن وهبان رحمه الله تعالى أخاف على من قال أبغض عالما من الكفر اذ لا مقتضى الكفر يظهر وسيأتي تفصيله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى

(فصل ومن اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم) اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله وفي القاموس أعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما أي من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن (اعظام جميع أسبابه) قيل هو بالمعنى العرفي وهو كل ما ينسب اليه من فراشه ولباسه مما لا روح له أوله روح كعبده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذي يصعد به النخل قال الله تعالى فليرتقوا في الاسباب ويسمى كل ما يتوصل به سببا ويسمى العمامة والخمار والثوب الطويل

من أنصار علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وله جماعة اخوة و والده نوفل اسر يوم بدر ففداه عمه العباس رضي الله تعالى عنه وهو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأما جده الحارث بن عبد المطلب فهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى قال الحافظ عبد الغني المقدسي لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله وكان نوفل أسن اخوته وأسن من أسلم من بني هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم وقد ذكره الحافظ أبو عمر بن عبد البر في استيعابه فيكون خامسا غير انه يقال ومنهم من يجعل المغيرة اسم أبي سفيان والصحيح الاول يعني انه غيره انتهى ولم يتعقب هذا الحافظ أبو الفتح اليعمري حين ذكره وأما الذهبي فقد ذكره في كنى التجريد أبا سفيان فقال اسمه المغيرة قاله ابراهيم بن المنذر انتهى ولم يتعقبه

وقال في المغيرة بن الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد البر هذا أخو أبي سفيان فوهم بل هو أبو سفيان انتهى سببا

والله تعالى أعلم (قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول) أي حق ايمانه (من لم يوقر أصحابه ولم يعزز أوامره) أي ولم يترك زواجره

*(فصل * ومن اعظامه) أي تعظيم قدره فوق قدر غيره (واكباره) أي اعظام أمره زيادة على اعظام أمر غيره (اعظام جميع أسبابه) أي أسباب وصلته ومودته وفي حديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي والمراد جميع ما ينسب اليه ويعرف به صلى الله عليه وسلم

(واكرام مشاهده) أى مواضعه التى حضرها أونزل لها (وامكنته) أى مساجده (من مكة) كبيت خديجة رضى الله تعالى عنها مهبط الوحى ودار الارقم ابن أبى الارقم وغار حراء وثور ومولده (و) من (المدينة) كمسجده وبيوته ومواطنه (ومعاهده) أى واكرام معاهده التى يتعاهدها كقبا اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت راكبا أوماشيا (ومالمسه) أى مسه (عليه الصلاة والسلام أوعرف به) بصيغة المجهول أى مما يمكن اكرامه الآن واعظامه فى هذا الزمان (وروى عن صفية بنت نجدة) بفتح نون وسكون جيم فدال مهملة (قالت كان لابى محذورة) وهو مؤذنه عليه الصلاة والسلام بمكة ولم يزل مقيما بها يؤذن حتى مات سنة تسع وخمسين قال الواقدى وتوارث الاذان بعده بمكة ولده وولد ولده الى اليوم فى المسجد الحرام وقيل كان مؤذنه بقبا أيضا وهو قرشى جمحى روى عنه ابن أبى مليكة وغيره أخرج له مسلم والاربعة وأحمد فى المسند (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة ما أقبل على الجبهة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) سمى بذلك لانه يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى شعر الناصية (اذا قعد وارسلها) أى لم يقعدها (اصابت الارض) أى وصلت اليها (من طولها فقيل له) أى لابى محذورة (الا تحلقها) أى الا تقصرها بحلق أو بقص

سبيا تشبيها بالحبل فى الطول انتهى (واكرام مشاهده) جمع مشهد وهو محل الشهود أى الحضور من المشاهدة وهى الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهدة الحج مواضع المناسك (وأمكنته) جمع مكان عطف تفسير (من مكة والمدينة) بيان للامكنة فالمراد به ما سكنه ومحل اقامته لا مطلق المكان (ومعاهده) أى المحال التى عهد الفه صلى الله عليه وسلم لها كالاساطين التى كان يصلى عندها ومحل صلاته فى المساجد والاماكن المباركة ومنازله (ومالمسه) بيده أو بغيره من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليمانى واللمس والمس متقاربان (أوعرف به) كالاماكن التى جاهد فيها والغار الذى دخله صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم ان ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل وما روى عن مالك فما يخالف ذلك فهو جرى على عادته فى سد الذرائع وكذا ما جاء عن عمر انه رأى الناس فى الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض وكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا غير موفق لما مر عن مالك لا يقال يمكن حمل كلامه على اكرام ذلك بغير نحو الصلاة ليوافق ما مر عن امامه لانا نقول يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته و يؤيد ظاهرها ان محققهم الشيخ خليل لما قال يسن زيارة البقيع ومسجد قباء قيد ذلك بمن كثرت اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده صلى الله عليه وسلم احسن ليغتنم ثم نقل عن العارف ابن أبى جمرة انه من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة حتى رحل الركب ولم يخرج لبقيع ولا لغيره ولما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله (وروى عن صفية بنت نجدة) فى الحواشى التلمسانية ان هذه المرأة زوجة أبى محذورة الآتى ذكره وقد روى عنها أيوب بن ثابت وروت هى عن زوجها أبى محذورة واختلف فى ضبط اسم أبيها نجدة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل نجداه بدال مهملة تليها ألف وهاء وقيل نجراة براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب بحرة بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء (قالت كان لابى محذورة) بحاء مهملة وذال معجمة وبعدها راء مهملة وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بن معير بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القرشى مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفى عقبه واختلف فى اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل أويس وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحى صحابى توفى سنة تسع وخمسين أو سبعين وأخرج له مسلم وأحمد وأصحاب السنن (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهى خصلة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) مما يلى وجهه من الناصية سمت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى هو شعر الناصية وسبب توقيرها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسحها بيده وابقاها تبركا بما مسه وهو محل الشاهد وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة واذن له بها وهو مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤا به وجعل أبو محذورة يحاكى الاذان استهزاء فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبى يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وأمره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات (اذا قعد وارسلها) أى حل عقصها وسدل شعرها (أصابت الارض) أى أوصلت اليها طولها (فقيل له) أى قال الناس لابى محذورة (الا تحلقها) بكسر اللام مضارع حلق الشعر بفتحها والا للعرض أو الاستفتاح

فقال لم اكن بالذي احلقها) آثر التكلم رعاية للمعنى على الغيبة باعتبار المبنى مع انها هي القياس بدلالة اعادة الضمير الى الذي ولفظه
لفظ الغائب ايثارا لتغليب التكلم عليه الان الذي وان كان بلفظه هو الغائب الا انه في المعنى عبارة عن المتكلم (وقد مسها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بيده و روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) ماض مجهول من الرؤية ابصر حال كونه

(واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) و يمسح بها تبركا بموضع لمسه (وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد) بفتحتين فسكون فضم أي في قبعته أو كوفيته (شعرات) بفتحتين (من شعره) بفتح العين و يسكن ويروى من شعراته (عليه الصلاة والسلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة) بفتح الشين أي ربطة طالت فيها المدة (انكر) وفي نسخة حتى انكر (عليه أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بعضهم (لكثرة من قتل فيها) أي في مدة تلك الشدة وهي يحتمل ان يكون مفعولا به لانكر أو مفعولا له (فقال) أي خالد معتذرا (لم افعلها بسبب القلنسوة) أي ذاتها كما توهمتم لانكم شبهتها ما عرفتم (بل) أي فعلته (لما تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم

مقدما

لئلا اسلب) بصيغة المجهول أي لئلا انزع (بركتها) بالنصب على انه مفعول ثان (وتقع) ولئلا تقع (في ايدي المشركين) أي الانجاس الذين لم يعرفوا قدرها (ولهذا) أي ولتعظيم مشاهده وآثار معاهده (كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول) أي في وجهه أو في جواب سائله

(فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده) الشريفة فابقاها تبركا بما مسه
بيده و بهذا زالت الكراهة وان قيل بها في غيره (و) في حديث رواه أبو يعلى قال (كانت في قلنسوة
خالد بن الوليد) بن المغيرة الصحابي المخزومي المشهور والقلنسوة ما يوضع على الرأس تحت العمامة
وتسمى شاشيه وقبعا ويقال قلنسية وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها ففيه لغات
(شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم جعلها في داخله تبركا بها (فسقطت قلنسوته) عن رأسه
(في بعض حروبه) قيل هو في غزوة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (فشد عليها
شدة) أي كرة قوية أي رجع لاخذها وهو بعد وعدوا شديدا سريعا يقال شد اذا جرى جريا قويا أي كارا
عليها ليأخذها خوفا من ضياعها (انكر عليه أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) رجوعه لاجل
عمامته لظنهم انه حرص عليها لذاتها (لكثرة من قتل فيها) أي في شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو
بسببه و كثرة منصوب مفعول انكر او هو مفعول لاجله (فقال لم افعلها) أي هذه الشدة والكرة
(بسبب) أخذ هذه (القلنسوة) كما ظننتم (بل) فعلتها (لما تضمنته) أي لما في ضمنها وداخلها (من
شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتح العين وسكونها (لئلا تسلب) بالبناء للمجهول ونائب فاعله
(بركتها) وتسلب بمعنى تذهب بركتها مني وذلك أمر عظيم يخاطر بالارواح لاجله وفي نسخة اسلب
و يحتمل انه من السلب بفتحتين أي يأخذها العدو ويدل عليه قوله (وتقع في ايدي المشركين) الذين
لا يليق ان تكون عندهم آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ورئي) مبني للمجهول بهمزة قبل الياء
آخره (ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي موضع قعوده (من المنبر ثم
وضعها على وجهه) أي مسحه بها تبركا بمس ما مس جسده وثيابه وهذا رواه ابن سعد و يأتي الكلام
على ذلك عند اعادة المصنف رحمه الله تعالى وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء والصالحين وآثارهم
وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة أو فساد عقيدة وعلى هذا يحمل ما روي عن عمر رضي الله عنه من انه قطع
الشجرة التي وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية فلا منافاة بينهما ولا عبرة
بمن أنكره مثله من جهلة عصرنا (وفي معناه انشدوا) أي تمثلوا

أمر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

قيل الشغف باطن القلب وقيل شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى في
هذه الاقوال متقارب أي ما وصل حب الديار الى شغاف قلبي فغلب عليه قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك داخل * دخول الشغاف تبتغيه الاصابع

وروى الشعف بالعين المهملة ومعناه الاحراق وعلى الاول العمل قال الجوهري وشغفه
الحب احرق قلبه وقال أبو زيد امرضه وقد شغف بكذا فهو مشغوف وروي عن الشعبي انه
قال الشغف بالغين المعجمة حب وبالمهملة جنون وقيل الاول حجاب القلب والثاني سويداء
القلب ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة البيضاء وهذا المنشد وقع

مقدمافي بعض النسخ (ولهذا) أي للتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم (كان) الامام (مالك لا يركب بالمدينة دابة) فرسا ونحوها مما يركب رجاء لان يمس جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكره بقوله (وكان يقول) اذا سئل عن ذلك (استحيي من الله تعالى) أي أخشى وأهاب (ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة) أي أرضا ذات تراب ونسب الوطء له مع انه للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وروى عنه) أي عن الامام مالك (انه وهب) للامام (الشافعي) لما كان عنده بالمدينة وضمن وهب معنى أهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين بنفسه (كراعا) بوزن غراب وهو جمع من الخيل وله معان أخر فيطلق على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع (كثيرا كان عنده) أي في ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي (فقال له الشافعي) لما وهبه جميع دوابه (امسك منها دابة) أي ابقها عندك لتركبها (فاجابه بمثل هذا الجواب) الذي أجاب به من تقدم بانه يستحيي من الركوب بالمدينة (وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي) بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام القشيري صاحب الرسالة (عن أحمد بن فضلويه) بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو وسكون الياء ويجوز ضم اللام وهو طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل على مكروه كالويل وقال المعري انه كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله (الزاهد وكان من الرماة الغزاة) كان مكثر المجاهدة في سبيل الله مجيد الرمي السهام ملازما للمجاهدة بها (انه قال مامسست القوس بيدي) ولمسته بها حال الرمي وغيره (الا على طهارة) أي متوضأ (منذ بلغني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس بيده) أي أمسكها وهو كناية عن الرمي بها وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم حث على الرمي وأمر به فهو سنة ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمي وكررها ثلاثا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه والرامي به ومنبله أي من يناوله النبل ليرمي به وصح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رمى بالسهام في غزوة أحد وكان له قسي ست مذكورة في السير ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما سه وتعظيمه أزيد من غيره من آلات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب تسميها أي السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك في كل نوع من الآلات لا يساعده لفظه (وقد أفتى مالك فيمن قال ان تربة المدينة) أي أرضها (رديئة) لمن يحل فيها غير طيبة ذات وباء متعفنة الهوى ورديه مهموز وغير مهموز ماخوذة من الردى (يضرب ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهي آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر أي وقال انه يضرب أو يضرب بدل من أفتى (وأمر بحبسه) تعزيرا له (وكان) الذي حبسه (له قدر) عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عذر ففيه اشارة الى انه أذنب ذنبا عظيما اذلو كان أمراسهلا صدر من شريف لعذره باللسان والزجر والى هذا أشار بقوله (وقال) الامام مالك (ما أحوجه) تعجب من استحقاقه العقاب أشد مما فعله وفيه تجوز لانه

(كثيرا كان عنده فقال له الشافعي رحمه الله تعالى امسك منها دابة) أي واحدة تركبها عند الحاجة (فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح وهو الامام الجليل (عن أحمد بن فضلويه) بضم اللام وهو نظير نفطويه وعمرويه ونظائرهما في التلفظ بالوجهين على ما تقدم الزاهد وكان) أي أحمد (من الغزاة الرماة) بضم أوله جمع الغازي والرامي يعني ممن يحسنهما والجملة معترضة (انه قال مامسست) بكسر الاولى وتفتح أي ما لمست (القوس) أي قوسي أو قوس غيري (بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس) أي تناول قوسه أو قوس غيره (بيده وقد أفتى مالك رحمه الله تعالى فيمن قال تربة) ويروى ان تربة (المدينة رديئة) بالهمز وقد تشدد وهي فعيلة من الرداءة أي خبيثة غير طيبة

(يضرب) بصيغة المجهول وفي نسخة بضرب بالباء السببية والصيغة المصدرية المضافة الى (ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير ونصبها على التمييز (وأمر بحبسه) أي تغليظا لامره (وكان له) أي والحال انه كان لهذا المعذر (قدر) أي جاه وعظمة أم عنده ومنزلة عند غيره (وقال) أي مالك رحمه الله تعالى زيادة على ماهنالك (ما أحوجه) ما تعجبية

(الى ضرب عنقه) أي في جريمة ذلك (تربة دفن بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) أي مع انه عليه الصلاة والسلام سمى المدينة طابة وطيبة (وفي الصحيح) أي عند الشيخين عن علي وأنس رضي الله تعالى عنهما (انه قال عليه الصلاة والسلام في المدينة) أي في شأنها (من أحدث فيها حدثا) أي أمرا مبتدعا منكرا لا يعرف في السنة وقيل هو عام في الآثام (أو آوى) بالمد ويقصر أي ضم اليه أو اليها (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل أي جانيا بان اجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه أو بفتحها فيكون نفس الامر

المبتدع وايواؤه الرضا به والصبر عليه وافشاؤه فمن رضي ببدعة وأقر عليها محدثها ولم ينكرها مع القدرة على انكارها فقد آواها وقواها (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا) أي نافلة (ولا عدلا) أي فريضة (وحكي ان جهجاها) بفتح أوله وفي نسخة جهجاه بلا تنوين (الغفاري) بكسر أوله قال الحلبي وهذا هو ابن مسعود وقال أبو عمر هو ابن سعد بن حرام وقال الطبري المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا بدون هاء انتهى قال الذهبي جهجا بن قيس وقيل ابن سعد الغفاري مدني روى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وكان في غزوة المريسيع أجير العمر الى ان ذكر عن ابن عبد البر انه هو الذي تناول العصا من يد عثمان رضي الله تعالى عنه فذكر القصة ثم قال وتوفي بعد عثمان بسنة وسيأتي قريبا انه مات قبل الحول أي من كسر العصا وقد تقدم الكلام على حديث كسر العصا فيما مضى (أخذ قضيب النبي) أي عصاه (صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضي الله تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته) أي معتمدا عليها (فصاح به الناس) أي لمنعه عنه (فأخذته الآكلة) بمد وكسر كاف مرض معروف (في ركبته فقطعها) أي فقطع ركبته خوفا من سرايتها الى بقيته (ومات قبل الحول) أي الحول الذي وقع كسره فيه

كسرها

جعل استحقاقه يقتضي ما صدر عنه كأنه له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به يومئ الى عدم شعوره بمصالحه (الى ضرب عنقه) أي الى القتل (تربة) وأرض (دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) أي رديئة متغيرة الهواء ذات وباء وهي وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقل حماها وعفونة هوائها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم للاشارة الى انه قول باطل وان كان الزعم يجيء بمعنى القول ولذا قالوا زعم مطية الكذب وهذا مبالغة عن زجره تفاديا عن تنقيص ما هو من أفضل الاماكن عند الله وان أمكن حمله على محمل آخر من ان بعض أماكنها سباخ ولكونها كانت ذات وباء لما قدم الصحابة لها وأخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء من الجذام كما ورد في الآثار قال الابوصيري لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم (وفي الصحيح) أي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن أنس (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال في المدينة) أي في حقها وشأنها (من أحدث فيها حدثا) أي من فعل فيها أمرا قبيحا ابتدعه فيها كالمظالم وأصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعا كما في النهاية ومن موصولة أو شرطية (أو آوى) بالمد ويجوز قصره (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل من أحدث أي أدخله وضمه لاهلها يقال آوى اليه كذا اذا انضم اليه أي أدخلها جانيا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع وايواؤه الرضى به تكلف لا حاجة اليه (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ في الزجر أو مأول كما قدمناه وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسيأتي (وحكي) بالبناء للمفعول والذي حكاه ابن عبد البر رحمه الله كما تقدم (ان جهجاه الغفاري) بن سعد بن حرام قال الطبري كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا هاء وقال الذهبي هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد وهو مدني صحابي شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفي بعد عثمان بسنة وقد تقدم وسيأتي انه مات قبل الحول (أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله تعالى عنه وتناوله) منه (ليكسره على ركبته) كما هو معتاد في كسر ما يحتاج كسره لقوة والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله تعالى عليه وسلم في يده وكذا فعله الصحابة بعده رضي الله تعالى عنهم (فصاح به الناس) تحذيرا له وزجرا له يرتدع عما أراده (فاخذته الآكلة) أي اصابته وبدت به (في ركبته) لوضعه القضيب ليكسره عليها (فقطعها) لان العضو المتآكل ان لم يقطع سرت أكلته للبدن وأهلكته (ومات قبل الحول) الذي بعده أو قبل تمام الحول الذي فعله فيه وروي انه مات عقبه كما تقدم قال في القاموس الاكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد

حلف على منبري) أي فوقه أو عنده أو حوله (كاذبا) أي يمينا فاجرة (فليتبوأ مقعده من النار) تهديد شديد ووعيد أكيد (وحدثت) بضم الحاء وتشديد الدال أي حكي لي (ان أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة) أي السكينة (زائرا) أي مريدا للزيارة (وقرب من بيوتها) بضم الباء وكسرها (ترجل) بتشديد الجيم أي نزل عن دابته (ومشى باكيا منشدا) حالان متداخلان والانشاد قراءة شعر نفسه أو غيره والبيتان لابي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي وسيأتي ترجمة المتنبي ان شاء الله سبحانه وتعالى (ولما رأينا رسم من لم يدع لنا) رسم الدار أثرها (فؤادا) أي قلبا (لعرفان الرسوم ولا لبا) أي عقلا (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة) الكور بالضم رحل الناقة بآلته كالسرج بآلته للفرس وكرامة نصب على العلة (لمن بان) أي ظهر رسمه (عنه) بالاشباع (ان نلم) من الالمام أي ننزل (به ركبا) من اسماء الجمع كرهط أو جمع راكب

كسرها أيضا قال بعض الفقهاء٢ وما اشتهر من مدهمزته خطأ وفيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه ذكر الآكلة ولم ينكره وهو ما قيل في هجاء الاصمعي

ومن أنت هل أنت الا امرء * اذا صح نسلك من باهله
وللباهلي على خبزه * كتاب لآكله الآكله

والآكلة كالاكال مرض يفسد الاعضاء كالجذام معروف وليس في كلام القاضي هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر القضيب وروى الطبري في الرياض النضرة انه كسرها ورواية انها عصا ليست مخالفة لما ذكر لان القضيب يسمى عصا وكان هذا في الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر فلما نزل أخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قدم عليه في قصته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها في فضل الكرامات وانقلاب الاعيان له (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة (من حلف على منبري) المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز أن يؤمر بصعوده ولكن الاصح الاول وهذا بناء على اليمين تغلظ بالمكان والزمان فيذهب بالحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف أفضل بقعة بالمدينة بعد مرقده الشريف وما ضمه جسده العظيم المنيف (كاذبا فليتبوأ مقعده من النار) يتبوأ يعني يتخذه مباءة أي مقرا ومسكنا يقال بوأه اذا أسكنه وهو دعاء أو أمر أريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فامر بان يجعله مقراله على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة (وحدثت) بالبناء للمجهول (ان أبا الفضل الجوهري) ليس هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين وأربعمائة وكان من العلماء الصالحين يتبرك به ويقتدى به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الرندي الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وأدب عالم بالقرا آت والحديث والعربية وله شعر رائق ونثر فائق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر وأكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل السائر الى ان ردت منه الايام ما وهبت فانقضت أيامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت أمواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله تعالى (لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل) أي نزل عن دابته التي كان راكبها تأدبا (ومشى باكيا) خضوعا وخشية وعليه شوق أو مسرة فان من المسرة قد يحصل البكاء (منشدا) انشاد الشعر قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي أولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا * لانك كنت الشرق للشمس والغربا
(ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا)
ومنها (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا)

وغيره قليلا لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الى آخره والقصيدة في مدح سيف الدولة ولقد أجاد في تمثله به ونقله لمحل لائق به وقد ضمنه المصنف رحمه الله تعالى أيضا في قصيدة نبوية له فقال بعده

وتهنا باكناف الخيام تواجدا * نقبلها طورا ونرشفها حبا
ونبدي سرورا والفؤاد بحبها * تقطع والاكباد أورى بها الهبا
أقدم رجلا بعد رجل مهابة * واسحب خدي في مواطنها سحبا
واسكب دمعي في مناهل حبها * وارسل حبا في أماكنها النجبا
وأدعوا دعاء اليائس الواله الذي * براه الهوى حتى بدا شخصه سحبا

٢ كذا في عامة النسخ لكن الظاهر أهل اللغة اه

كصحب وصاحب فهو تمييز أو حال من ضمير نلم أي راكبين

والرسم آثار الديار الدارسة والمراد آثاره صلى الله عليه وسلم في معاهده ومساكنه والفؤاد القلب أو داخله والعرفان والمعرفة بمعنى واللب العقل الخالص من الشوائب سمي به لانه خالص ما في الانسان في قواه كاللباب من الشئ وأما تفسيره بمطلق العقل أخذا من القاموس ففيه نظر والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد أي لا يليق به الركوب لمن قرب من مقامه تادبا ولم نأتيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسر بان بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقديم وقد شرح البيت هنا بعضهم بما استحى من ايراده (وحكى عن بعض المريدين) والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادة ما عدا الحق عبثا (انه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قرب منها بحيث يراها وأصل الاشراف النظر من مكان عال أريد به لازمه (انشا) أي شرع والانشاء يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتداء (يقول متمثلا) التمثل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس ابن هانئ في مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسي من قصيدة قصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو أن يورد شعرا لغيره في مقام يكون أحق به من صاحبه ولم يتعرض له أصحاب البديع الا ان الامام محمد التوزري أورده في كتابه الغرة اللائحة وأورد منه ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

وأول هذه القصيدة المذكورة

يادار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تسام

والمراد برفع الحجاب في كلام أبي نواس ستائر أبواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيها وتقطع ماض أو مضارع حذف احدى تائيه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها بالتبين وناظر اسم فاعل من نظر أو ناظر العين وانسانها والمطي جمع مطية ناقة تمتطى أي تركب ولاح بمعنى بدا أو ظهر ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بناؤه للمجهول أيضا وقوله فظهورهن الى آخره جمع ظهر وهو معروف والرحال بحاء المهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل أو بجيم جمع رجل ذكر من بني آدم والمعنى تتقارب أي اذا أوصلتهم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها فلا يركبها بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة في مرعاها ومعناها ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانا والحرمة الحق الذي يلزمه احترامه والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه أو جمع ذمة وهي العهد وما يجب الوفاء به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم وما قاله أبو نواس من تحريم ركوبها كناية بديعة لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعدها لعدم حاجته لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو غاية ما يتمناه وقد كان ذلك كما قال عبد الله بن رواحة في قصيدة له

اذا أدنيتني وحملت رحلي * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلي ورائي

وفيه رد على الشماخ في قوله اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

أنشا) و يروى انشد جعل (يقول متمثلا) أي شاهدا أو واقفا فان حقيقة المثول هو الانتصاب على القدمين وقد يراد به القيام في الامر والنهوض فيه بالهمة ولعله المراد هنا (رفع الحجاب لنا) بصيغة المجهول أي كشف الذي كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وباب عزته (فلاح لناظر) أي لمع ولمع (قمر تقطع) بصيغة المضارع مجهولا أو بحذف احدى التائين أو بصيغة الماضي معلوما أي تضمحل (دونه) أي عنده (الأوهام) وتنقطع لديه الافهام بسطوع نوره بكمال ظهوره (واذا المطى بنا بلغن محمدا) جمع مطية وهي التي يركب مطاها أي ظهرها ويقال يمطى بها في السير أي يمد ومنه قوله تعالى يتمطى (فظهورهن على الرحال) بالمهملة جمع رحل البعير وفي نسخة بالجيم (حرام) مكافاة لهن على ايصالهن كما قال (قربننا من خير من وطئ الثرى) أي التراب أو الارض (فلها علينا حرمة وذمام) بكسر أوله أي عهد وأمان والابيات لابي نواس الحكمي يمدح بها الامين أي أمين الدولة كذا بخط السخاوي وقد ذكر السهيلي في روضه في غزوة مؤتة كقول أبي نواس

وقال

وقال المبرد بعدما أنشد قول ابن رواحة المذكور لقد أحسن كل الاحسان حيث قال لا أحتاج الى ان أرحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم للانصارية التى أتته على ناقة لها وقالت انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها بئس ما جزيتها وقال فى الموازنة ان الشماخ رأى ناقته شقها السير وهزلت ودبرت كما قال

اليك بعثت راحلتى لتشكى * كلوما بعد محفدها السمين

فقال اذا بلغتنى عرابة فلا أبالى ان تهلكى وليس دعاء عليها وانما أراد انه بلغ المنى وليس هذا مضاد القول أبى نواس وانما يضاده قول الانصارية وللشعراء والادباء هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام وقلت أنا فى معناه

اذا بلغتنا النوق حين تلفتت * قريرة عين فى أعز المسارح
وحق لها تحذى الخدود وتقتدى * بانفسنا من قادحات الطوائح
فياليتها تمشى لا كرام مثلها * جميع نياق الارض ناقة صالح

(وحكى عن بعض المشايخ) يعنى به كبار الصالحين والعلماء (انه حج ماشيا) تواضعا وقصد الزيادة فى الثواب وقد قال الفقهاء انه أفضل لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فمن دون الميقات فان لم يقدر فعند الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام حجا ماشيين وحج الحسين رضى الله عنه ماشيا ونجائبه تقادمه (فقيل له فى ذلك) أى سئل لم فعله (فقال العبد الآبق) أى الفار من سيده اذا رجع اليه (لا يأتى الى بيت مولاه) أى سيده (راكبا) وفى نسخة يأتى بدون لا وتقديرها أيأتى بتقدير الاستفهام الانكارى وأراد بالآبق المذنب المقصر فى خدمة مولاه مجازا أى أنا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل (لو قدرت ان أمشى على رأسى ما مشيت على قدمى) مشى قدم مضاف لياء المتكلم والمشى على الرأس عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل * سعيا على الرأس لا مشيا على القدم * (قال القاضى) يعنى المصنف عياض رحمه الله تعالى فى بيان ايضاح انه ينبغى للزائر المشى واظهار الخضوع والذلة (وجدير) أى خليق وحقيق وهو خبر مقدم (لمواطن) أى أماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة وأراد بها مكة والمدينة (عمرت) أى صارت معمورة (بالوحى والتنزيل) من عطف الخاص على العام والباء للسببية أوهى للتعدية بجعل الوحى بمنزلة ساكن عمرها (وتردد بها) التردد بمعنى المجىء والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك (جبريل وميكائيل) اما تردد جبريل عليه الصلاة والسلام فظاهر واما ميكائيل عليه الصلاة والسلام فكان ينزل عليه أحيانا (وعرجت) أى صعدت من عنده (منها) أى من المواطن (الملائكة والروح) هو جبريل عليه السلام عطف عليهم عطف الخاص على العام وقيل ملائكة كالحفظة على الملائكة لا نراهم الملائكة كما انا لا نراهم واما ان المراد به أرواح الناس فمما لا يليق ذكره هنا (وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح) هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله تعالى وذكره كقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة وأصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهى الارض والساحة المتسعة من غير بناء والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج للعرصات تجوز للمبالغة فى كثرة الذكر والدعاء والتلاوة (واشتملت تربتها) أى تضمنت وحوت أرضها (على جسد سيد البشر) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف المخلوقات فالمكان الذى حواه أفضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعى اليه ماشيا بالذلة والادب ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشأ منها وعرض منها فقال (وانتشر) أى شاع وتفرق واشتهر

الآبق) أى الهارب الشارد من سيده (يأتى) أى أيأتى (الى بيت مولاه راكبا) وفى نسخة الى باب مولاه وفى أخرى لا يأتى (لو قدرت ان أمشى على رأسى) بل على عينى (ما مشيت على قدمى) وهذا علامة الحب الصادق والادب الفائق وفى نسخة بتشديد الياء مثنى (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وجدير) خبر مقدم أى حقيق ولائق وخليق (لمواطن) أى بمكة والمدينة (عمرت) بصيغة المجهول مخففا ومشددا (بالوحى) أى بوحى النبوة (والتنزيل) أى وتنزيل القرآن (وتردد فيها) وفى نسخة بها أى فى الاتيان اليها (جبرائيل) أى دائما (وميكائيل عليهما السلام) أى أحيانا (وعرجت) أى صعدت (منها الملائكة) أى المقربون (والروح) أى وأرواح الانبياء والمرسلين أو الروح الامين (وضجت) بتشديد الجيم أى صوتت (عرصاتها) أى اما كنها وجهاتها والمعنى ارتفعت الاصوات فى عرصاتها وهى جمع عرصة وهى كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء (بالتقديس) أى التطهير عن التشبيه (والتسبيح) أى التنزيه (واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر

عنها) أى عن تلك الاماكن (من دين الله) أى الماخوذ من كتابه (وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات) جمع مدراس مفعال من الدرس وهو مكانه وفى الحديث تدارسوا القرآن أى تعاهدوه بتلاوته وهذا خبر مبتدأ محذوف أى وهذه مدارس آيات (بينات) أى واضحات أو مبينات (ومساجد وصلوات) أى دعوات أو عبادات (ومشاهد الفضائل) أى من مكارم الشمائل (والخيرات) أى الطاعات والمبرات (ومعاهد البراهين) أى الدلالات الواضحات (من الآيات) أى الخارقة للعادات (والمعجزات) أى على وفق الكرامات (ومناسك الدين) أى مذابحهم ومعابدهم (ومشاعر المسلمين) أى معالمهم ومعارفهم (ومواقف سيد المرسلين)

أى أماكن وقوفه ومواطن حضوره ومنابع نوره (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الواو وكسر تاء خاتم وفتحها ويروى مثواه بسكون المثلثة أى منزله وماواه من مكة (حيث انفجرت النبوة) أى ظهرت ظهور الماء النازل من السماء (وأين) أى من مكة وعينها (فاض عبابها) بضم أوله معظم السيل وارتفاعه وكثرة تموجه كذا فى القاموس أى سال عذبها الغمر بها (ومواطن مهبط الرسالة) بكسر الموحدة أى أماكن انزالها أو نزولها من مكة حين ايصالها أو وصولها وفى نسخة ومواطن طويت فيها الرسالة (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) بالرفع كذا فى بعض الاصول والاظهر نصبه والمراد به بعد الموت وفيه تلميح الى قول الشاعر بلادبها انيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها (وتتنسم (ان تعظم) بتشديد الظاء المفتوحة (عرصاتها) بفتحتين جمع عرصة بفتح فسكون وهى فى الاصل كل مكان واسع لا بناء فيه والتقدير تعظيم اما كنها وهو المبتدأ المقدم خبره وانما قدم عليه لمزيد تشويق السامع اليه ومن ثمة طول الكلام فى المسند ليحسن كل الحسن فى المرام اذ بازدياد طوله يزداد حسنه وطوله كما ان بازدياده عليه يزداد الشوق اليه ومنه قول الشاعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

فى الارض منتقلا (عنها) أى عن تلك المواطن وفى نسخة منها (من دين الله وسنة رسوله ما انتشر) أى أمر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بها المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة (مدارس آيات) عطف بيان أو بدل من مواطن أى محال يدرس فيها القرآن جمع مدرس من درس اذا قرأ أو تلى وقيل جمع مدراس ومفعال غريب فى اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه (ومساجد) جمع مسجد بالكسر موضع السجود وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان صحت ارادته (وصلوات) جمع صلاة وهى العبادة المعروفة وأصل معناها الدعاء ويجوز ارادته هنا وفى نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب (ومشاهد الفضائل والخيرات) المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الآداب وغيرها من الكمالات والخيرات هى خير الدنيا والآخرة (ومعاهد البراهين والمعجزات) أى عهد فيها ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين أعم من المعجزات (ومناسك الدين) جمع منسك وهو محل العبادة والنسك (ومشاعر المسلمين) أى محال معالمهم التى يجب القيام بها من الواجبات وغيرها (ومواقف سيد المرسلين) أى المحال التى قام فيها صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله واظهار دينه كمحاربيه ومحال صلاته (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الباء وكسرها أى مساكنه ومحال اقامته (حيث انفجرت النبوة) أى ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها وأشرق فى القلوب أنوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق فى ظهوره الماحى لظلمة الكفر أو بمنبع الماء المروى للناس بعد ظما الجهل فقوله (وأين فاض عبابها) بضم العين وهو الماء الكثير كالسيل والماء الكثير المتدفق الفائض وحيث يكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة وأين اسم يستفهم به عن المكان فجرد عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها باقية على أصلها أى هى جواب من سال وقال أين فاض عباب النبوة فيقال فى هذه الاماكن (ومواطن مهبط الرسالة) مهبط مصدر ميمى بمعنى الهبوط أى محال نزول الوحى برسالته وأمره بتبليغ الخلق ما أرسل به لهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن أولا ولذا قال (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) هو يكنى به عن مولد كل أحد لانه لو فرض انه سقط على أرضها كان كذلك كما قال

بلادبها انيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

ومنه أخذ المصنف رحمه الله كلامه ولمح به (ان تعظم عرصاتها) جمع عرصة وهى كما تقدم أرض لا بناء فيها فالمراد بها هنا مطلق الارض أو معناها الحقيقى فهو ساحة المدينة ومكة وفناء أرضها فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو المبتدأ الذى قدم خبره وطول ليتشوق سامعه اليه وينتظره

(وتشم) بالبناء للمفعول أى تستنشق وفى نسخة وتشم (نفحاتها) جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وفى رواية تعرضوا النفحات رحمة الله تعالى (وتقبل) بتشديد الموحدة المفتوحة (ربوعها) بضمتين جمع ربع بفتح فسكون موحدة وهو المنزل ودار الاقامة وفى حديث مكة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم حين قال اسامة بن زيد أين تنزل غدا يارسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع أيضا (وجدرانها) بضم الجيم وبالفوقية فى آخرها الا بالنون وان كان هو أيضا جمع جدار وهو ما يحاط به عليها المراعاة السجع (يادار خير المسلمين) ويروى زين المرسلين (ومن به) قال الحلبي الذى ظهر لى ان هذا الشعر من قول المصنف انتهى وناداها من لوعة الاختراق ولذعة الافتراق عن تلك البقعة المنيعة وسكان تلك الرقعة الرفيعة وقال يادار خير المرسلين لحديث البخارى انا سيد المرسلين والآخرين ثم قال ومن به أى

بسبب وجوده وكرمه وجوده (هدى الانام) أى هداية الخلق (وخص) أى هو (بالآيات) أى المنزلة والمعجزات المكملة (عندى لاجلك لوعة) أى شدة محبة وكثرة مودة موجبة لزيادة حرقة فى حالة فرقة (وصبابة وتشوق وتوقد الجمرات) الصبابة بفتح أولها أى رقة الشوق ودقة الذوق وعن النخعى كان يعجبهم أن يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب فربما كان ارعوا ؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على ما فرط من عمله فى سبق قدمه وأبعدله عن أن يعجب بحاله أو يتكل على كماله ولان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص (وعلى عهد) أى وعد وعقد (ان ملأت محاجرى)

(وتنسم نفحاتها) تفعل من النسيم مبنى للمجهول والمراد ما فى النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة فى الاصل دفعة من الريح يجوز بها عن الطيب الذى ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث (ان لربكم فى دهركم نفحات فتعرضوا لها) فشبه ما فيها من بركاته وطيب نسيم روائحه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية (وتقبل) أى تلثم وتباس بالشفاه (ربوعها) جمع ربع وهو المنزل فى الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا (وجدرانها) بضم الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين والف ونون جمع جدار وهو أصل الحائط ويطلق عليه أيضا ويجوز أن يكون بتاء التأنيث جمع الجمع ثم لما تزايد شوقه لمعاهده صلى الله تعالى عليه وسلم قال مخاطبا بها بتنزيلها منزلة العقلاء فى شعر له مروى عنه وهو قوله أعنى المؤلف

(يادار خير المرسلين ومن به * هدى الانام وخص بالآيات)

أراد بداره محل قره فيشمل مكة والمدينة وفى نسخة المسلمين والاولى أولى وهدى مبنى للمجهول أى هدى الله تعالى به والانام الخلق مطلقا أو كل ذى روح كما مر وقوله خص بالآيات المراد بها القرآن أو جميع المعجزات لان الله تعالى خصه منها بما لم يكن لغيره أو التعريف فيه للعهد

(عندى لاجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات)

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والتشوق زيادة الشوق وشبه ما فى القلب منه بجمرات متوقدة ومتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها أيضا كما فى المقتفى

(وعلى عهد ان ملأت محاجرى * من تلكم الجدران والعرصات)

وعلى عهد أى توثق التزمته وهو يمين كما يقال على عهد الله تعالى والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين وملؤها مجاز عن النظر اليها وابصارها والجدرات جمع مؤنث لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها (لاعفرن مصون شيبى بينها * من كثرة التقبيل والرشفات)

التعفير تمريغه فى التراب ويقال له عفار وأراد بشيبه لحيته المبيضة وبينها أى بين ترابها وأرضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلوثه ويشينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع رشفة وهى مص الريق ونحوه

بفتح الميم ما دار بالعين أى نواظرى (من تلكم الجدرات) بضمتين (والعرصات) بفتحتين (لاعفرن) بتشديد الفاء المكسورة أى لالوثن وأغبرن (مصون شيبى) أى شيبى المصون ووجهى المكنون بتقليبى لهما (بينها) أى بين المذكورات من الجدرات والعرصات (من كثرة التقبيل) أى تقبيل تلك الاماكن الشريفة (والرشفات) بفتحتين فقاف كذا فى الاصول ولعل معناها رمى سائر الاعضاء على تلك الاجزاء المنفية من الرشق وهو الرمى بالنبل ففيه تجريد وتشبيه وفى أصل الدلجى بالفاء وكذا فى بعض النسخ المصححة فقال جمع رشفة وهى المص المحب ريق محبوبه انتهى ولا يخفى انه مع عدم وجوده فى كتب اللغة غير موافق لكلام الشاعر ومطلوبه نعم لو صحت الرواية بالفاء لتعين أن يقال المراد بها رشفات المشتاق ريقه لكمال حرارة شوقه ومرارة ذوقه فى ذلك المكان الموصوف بحسنه وبريقه ففى القاموس رشفه مصه ورشف الماء قليلا قليلا أسكن للعطش

(لولا العوادي) جمع عادية وهي شغل يصرفك عن الشيء تريده والله تعالى أعلم ما يعتري الانسان من العوارض التي تكون عوائق (والاعادي) جمع عدو (زرتها) أي تلك المنازل بسير المراحل (أبدا) أي دائما (ولو) أي وان كانت زيارتي (سحبا) من قولك سحبت الشيء فانسحب أي جررته فانجر أي سيرا ومشيا (على الوجنات) بفتحتين جمع وجنة بفتح فسكون ويكسر أولها وبضم وهي أعلى الخد (لكن سأهدي) تكلم من الاهداء (من حفيل تحيتي) أي تحيتي الحافلة الكثيرة الكاملة (لقطين تلك الدار والحجرات) أي لمقيمها وخادمها من قطن بالمكان اذا لزمه وفي حديث الافاضة نحن قطين الله تعالى أي سكان حرمه بحذف

وقد مر هنا بالتقبيل أيضا وتفسيره بصريق المحبوب بغير مناسب هنا واللام جواب القسم الذي تضمنه قوله على عهد

(لولا العوادي والاعادي زرتها * أبدا ولو سحبا على الوجنات)

العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها والعوائق أو الظلمة بمعنى غائرة ظالمة والاعادي جمع عدو وهو جمع أعداء جمع الجمع والوجنات جمع وجنة وهي أعلى الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر أي أسحب وجهي على الارض بذلة وخضوع وضمير زرتها للدار وأبدا ظرف مستغرق لما يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوائق الدهر لم أفارقها ولم أتخلف عنها

(لكن سأهدي من حفيل تحيتي * لقطين تلك الدار والحجرات)

استدراك على ما أفاده ما قبله أي ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتضمخ بتربها تبركا فاني أهدي لمن سكن بها يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين دفنوا بها والاهداء الارسال والحفيل بحاء مهملة مكسورة وفاء وياء تحتية ساكنة ولام بمعنى كثير نفيس يحتفل به والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين بقاف مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت صغير من تلك الدار يفرز ويحجر اشارة الى حجراته التي كان بها أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين وكان سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما زاره ووقف تجاه مرقده وأنشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني فهي نائبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يديك لكي تحظى بها شفتي

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيئاله ثم هنيئا

(أزكى من المسك المفتق نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات)

أزكى بمعنى أكثر طيبا ورائحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد ونفحة تقدم تفسيره وهو منصوب بتمييز وروي بالرفع واضافته للهاء أي رائحته نائب فاعل المفتق وتغشاه تعرض له أو تغطيه وتجلله من الغشا والآصال جمع أصيل أو جمع أصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي أول النهار وخصهما الطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما

(وتخصه بزواكي الصلوات * ونوامي التسليم والبركات)

وتخصه بتاء التأنيث فاعله ضمير التحية أو بنون المتكلم مع الغير والزواكي جمع زاكية وهي الزائدة بمعنى النوامي جمع نامية وحركت ياءهما بالكسر للضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناهما ظاهر ويأتي قريبا ولقد أجاد في الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل انه

المضاف ومنه قول زياد ابن حارثة فاني قطين البيت عند المشاعر والحجرات بضمتين جمع حجرة بضم فسكون وهي بيت صغير من الدار منفرد عنها من الحجر وهو المنع أو من الحجر لكونها مبنية منه (أزكى) بمعجمة أي أهدى من كثير التحية والثناء ما هو أضوع (من المسك المفتق) بمثناة فوقية مشددة أي المشقق ويقال فتق المسك اذا خلط به ما يزكي رائحته وقيل معناه المستخرج الرائحة (نفحة) تمييز للنسبة في أزكى أزيل عن أصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون أوقع في نفس أرباب الاحوال (تغشاه) أي تحل بركاته وتغطيه (بالآصال) جمع أصيل من بعد العصر الى المغرب كذا قاله الدلجي تبعا للحلبي والاولى أن يقال من بعد الزوال (والبكرات) بضمتين جمع بكرة بضم فسكون أي أول النهار والمراد بهما الدوام في الايام والليالي تابعة لها كما لا يخفى على الانام وفي القاموس الاصيل العشي والعشاء أول الظلام أو من المغرب الى العتمة أو من زوال الشمس الى طلوع الفجر والعشي والعشية آخر النهار (وتخصه بزواكي الصلوات) بفتح الياء أي بطاهرها وكذا في قوله (ونوامي التسليم والبركات) أي بزواهرها ويروى بفضائل الصلوات ولطائف التسليم ولو روي بشرائف الصلوات ولطائف التسليم لكان ألطف

انه فاسد الوزن وصوابه ان يقول وتخصه ازكى صلاة دائما بنوامى التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على ما فاته كما وقع للعارف بالله تعالى أبى العباس بن العريف نفعنا الله به فقال متأسفا على فوات ذلك

سار الركاب وسوء الحظ اقعدنى * ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا
يا سائرين الى المختار من اضم * سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على عجز ومسكنة * ومن أقام على عجز كمن راحا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

(الباب الرابع)

من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) والصلاة أصل معناها الدعاء والعبادة المخصوصة لما فيهما من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمه تكليما اذا انقاد له وسلم أمره اليه (وفرض ذلك) أى وجوبها على أمته فى أى مقام (وفضيلته) أى فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم وليس الضمير للتسليم فقط والمراد بفضيلته ما هو أعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال أبو ذر رضى الله عنه ابتداء مشروعية الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتداء بمكة لانه ورد فى حديث الاسراء وما قاله أبو ذر رضى الله عنه هو ابتداء اظهاره للناس وهذا مما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الانبياء عليهم السلام كلهم فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كانت الصلاة والسلام عليهم مشروعة (قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) صدر بهذه الآية لاثبات مدعاه لان الامر محتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة لغة الدعاء ويطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هى منقولة من المعنى اللغوى لمعنى آخر وضعه الشارع له لمناسبته لمعناه الاصلى لاشتمالها على الدعاء ولما فيها من تحريك الصلوين وهما طرفا العجز أو هى مجاز الاشتمالها على الدعاء والظاهر الاول وقال ابن القيم و بعض المتأخرين انها باقية على معناها اللغوى ولا نقل فيها ولا تجوز لان المصلى فى جميع صلاته فى دعاء وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل وأهل الشرع اذا استعملوها لا يلاحظون معناها اللغوى ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلى ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمآل واحد والخلاف لفظى وهذه الآية مدنية أخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده وان الله وملائكته يثنون عليه فى الملأ الاعلى ثم امر أهل العالم السفلى بان يفعلوا كفعلهم وفى الكشاف لما نزلت هذه الآية قال جبريل ما خصك الله بشرف الأشر كنا فيه فنزل هو الذى يصلى عليكم وملائكته قال الحافظ السخاوى لم اقف على أصله الى الآن وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمى هو موافق لما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل فى ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فقال أكرم الله أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبياء فقال هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال لنبيه وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم أى سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهؤلاء الانبياء مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يدخل فى شئ الا دخل فيه أمته ثم تلى أن الله وملائكته الآية وقال هو الذى يصلى عليكم الخ واشار الى مزيد خصوصية على أمته باسناد الصلاة عليهم اليه والى ملائكته وصلاة الملائكة على الامة لا تكون الا بتبعيته وجمهور القراء على نصب الملائكة عطفا على اسم ان

(الباب الرابع) أى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) أى عليه أو لديه واختير التسليم على السلام مع ان كليهما مصدر سلم لافادة زيادة التوكيد ولتحقق مطابقة لفظ التنزيل صلوا عليه وسلموا تسليما (وفرض ذلك) أى فرضيته (وفضيلته) وفى نسخة وفضله أى وفضل ذلك والمعنى فى بيان الحكم فى كميتها او كيفيتها او اختلاف العلماء فى حقيقتها (قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى يعظمونه بالثناء عليه (الآية) تمامها يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أى ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم عليه والواو تفيد الجمعية لا المعية كما عليه الاصولية وارباب العربية فلا دلالة فى الآية على كراهية افراد الصلاة عن السلام وعكسه كما ذهب اليه النووى واتباعه من الشافعية وقد أوضحت المسألة فى رسالة مستقلة

و يصلون خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين
ورجح الاول أبو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملائكة استمرت
صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود الملائكة لآدم الذي وقع وانقطع وقال على
النبي دون محمد أو الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة أشرف من الرسالة لانها اتصال بالله
واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمؤمنين قيل لان الصلاة مؤكدة معنى
بصدورها من الله وملائكته فكيف لا تصلي عليه أمته أو لانها مؤكدة بان والجملة اسمية والسلام سواء
كان بمعنى الانقياد أو بمعنى السلامة من الايذاء لا يليق اسناده الى الله والملائكة ولذا استحق التأكيد
لصدوره خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب سلام عليكم كما أورده السخاوي لانه تحية واكرام وبقي هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في
بيان معنى الصلاة فقال (قال ابن عباس معناه) أي معنى الصلاة وذكره لتأويله بالدعاء أو لان تأنيث
المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (ان الله وملائكته يباركون على النبي صلى الله
عليه وسلم) أي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره وسيأتي فيه كلام وأصل معنى البركة
النمو وزيادة الخير اللازم (وقيل) في معناه انه بمعنى (ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم) أي
يدعوله بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه
لحن كما نقله الصاغاني ورد بانه ورد في الحديث وتأتي الاشارة اليه أيضا (وملائكته يدعون له) ولم يبين
الدعاء لتفسيره بقوله (قال المبرد وأصل) معنى (الصلاة الترحم) أي الانعام أو الدعاء لرحمة ومعنى الدعاء
من الله ارادته أو التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله تعالى فاريد به لازمه وغايته ولذا
فسره بقوله (فهي من الله رحمة) أي انعامه أو ارادته (ومن الملائكة رقة) أي شفقة عليه ومحبة
(واستدعاء للرحمة من الله) له أي طلبها والدعاء بها (وقد ورد في الحديث) الذي رواه الشيخان عن أبي
هريرة (صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة) في المسجد (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا
دعاء) لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا وفي قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقد بينا وجه
الدعاء بخصوص الاستغفار فيما يأتي في فصل المواطن ولفظ الحديث في مسلم لا يزال العبد في صلاة
ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث (وقال)
الامام (أبو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي) أي لمن منزلته دون منزلته من الامة (رحمة)
أي طلب ان يرحمه الله وأما النبي فمرحوم بأعلاء أنواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى
الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت أو ترحمت على ابراهيم قال الصفار انه مكروه في حق الانبياء
والرسل وحكي عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة الا من أتى
بما يلام عليه وقد أمرنا بتعظيم الانبياء وتوقيرهم فاذا ذكر النبي لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل
لا يقال للصحابة رحمه الله بل رضي الله عنهم وكذا قال خواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية وانا اقول
اللهم ارحم محمدا وآل محمد جائز متوارث وكان الشيخ الزاهد الرستغفني يقول معنى ارحم محمدا الرحم أمة
محمد والترحم لامته لا له كما يقال لمن يراد عقابه وله أب حاضر يتوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو
لم يجن ولم يؤاخذ كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي الصحيح انه لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من أشوق
الناس الى رحمة ربه انتهى (وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة) بميم في أوله وراء مضمومة وفي

نسخة

(قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي) أي ان الله يبارك له في أمره ويزيد في قدره وتدعو الملائكة ربه ان يرفع
ذكره ويظهر امره ففيه اشارة الى ان في قوله يصلون مجازا ارسالا جمعا بين الحقيقة والمجاز والاستعمال المشترك
في معنييه كما هو مبين في الاصول لاهل الوصول (وقيل ان الله يترحم على النبي) أي يبالغ في انزال الرحمة عليه فكأنه يطلب من نفسه الرأفة اليه (والملائكة يدعون له) أي ويتواضعون لديه (قال المبرد وأصل الصلاة والترحم وهي) وفي نسخة فهي (من الله رحمة) أي انزالها وايصالها (ومن الملائكة رقة) أي موجبة للرحمة (واستدعاء للرحمة من الله تعالى) أي على نبي الامة وكاشف الغمة (وقد ورد) ويروى وقد روي (في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس) أي في مسجد ونحوه (ينتظر الصلاة) أي الآتية أو أذانها واقامتها اللهم اغفر له (اللهم ارحمه فهذا دعاء) لكنه يليق بالامة ولا يبعد ان يكون دعاؤهم للنبي بان يقولوا اللهم عظم شانه وتمم برهانه واكثر أمته وأظهر ملته وارفع درجته (وقال بكر) وفي نسخة أبو بكر (القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي) أي لغيره (رحمة) أي عامة (وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف) وهو رحمة خاصة (وزيادة تكرمة

وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) أي المقربين (وصلاة الملائكة الدعاء) أي بزيادة الاكرام والانعام للنبي عليه الصلاة والسلام (وقال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وقد فرق) بتشديد الراء وتخفيفها وهو أولى أي فصل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة) أي في الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (فدل انهما) أي الصلاة والبركة (بمعنيين) أي متغايرين لان المراد بالصلاة الثناء وبالبركة كثرة الخير والنماء (وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده) أي بقوله وسلموا تسليما وهو يحتمل أن يكون بمعنى الانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ويحتمل ان يراد به التسليم الذي بمعنى التحية فان السلام تحية أهل الاسلام أو خصوص الدعاء بالسلامة من الآفة للنبي عليه الصلاة والسلام (فقال القاضي أبو بكر بن بكير) بضم موحدة فكاف مفتوحة فتحتية ساكنة (نزلت هذه الآية على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر الله تعالى أصحابه ان يسلموا عليه) وكذا أمرهم النبي ان يسلموا عليه (في الصلاة بان يقولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وكذلك من بعدهم) أي من التابعين وغيرهم (أمروا) أي تبعا لهم (ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره) أي خصوصا (وعند ذكره) أي عموما (وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك) أي حاصلة لك أو السلامة الكاملة من الآفات الشاملة خاصة لك (ومعك) أي مصحوبة معك لا تنفك عنك في جميع أحوالك (ويكون السلام مصدرا) أي كالسلامة (كاللذاذ واللذاذة) فانهما مصدران من لذيذ الا انهما من الثلاثي المجرد والاول من المزيد

نسخة تكرمة بتاء بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانما هي في حقه بمعنى التشريف والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعاء له بالرحمة ولكن استحبوا الدعاء له بلفظ الصلاة تأدبا وفرقا بينه وبين غيره (وقال أبو العالية صلاة الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته عنده (عند الملائكة) أي بحيث يطلعون على ذلك (وصلاة الملائكة الدعاء له) كما مر (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل) تفريقه بينهما بعطف أحدهما على الآخر على (انهما بمعنيين) متغايرين وحديث تعليمهم الصلاة سيأتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة البركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة كما تقدم معناه الرحمة والبركة كما قال الراغب أصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير اذا ألقى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمي مجلس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الشيء ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وأدم خيراتك التي لا تحصى عليه ثم ان اطلاق الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره فهي على أنبيائه ثناء وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شيء وقال الغزالي لفظ الصلاة مشترك في الاعتناء بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة وذكر الاقوال فيها ذكر تفسير السلام الذي هو قرينها فقال (وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده) في قوله وسلموا تسليما (فقال القاضي أبو بكر بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة صاحب التآليف الجليلة التي منها أحكام القرآن وهو عراقي من أقران ابن الجهم وقيل اسمه أحمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير فبكير أبوه أو جده (نزلت هذه الآية) يعني قوله ان الله وملائكته يصلون الخ (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ان يسلموا عليه) امتثالا لامر الله لهم (وكذلك من بعدهم أمروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره) في سائر مجالسهم كما سيأتي بيانه وهذا مبني على ان الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين أو يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل أو قياس جلي على شموله لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل (وفي معنى السلام عليه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أوجه) وفي نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جائز شائع في كلامهم (أحدها) انه بمعنى (السلامة) من النقائص والآفات ثابتة (لك ومعك) أي مصاحبة وملازمة لك (ويكون) على هذا التفسير (السلام مصدرا) بمعنى السلامة (كاللذاذ واللذاذة) بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بتاء ودونها ومثله كثير كالملام والملامة والمقال

(والثانى) أى من الوجوه (أى السلام) أى اسمه (على حفظك) أى محافظتك من موجبات قصورك (ورعايتك) أى مراعاة جميع أمورك (متول له) أى متصرف لما ذكر من حفظك ورعايتك أو متول عونه ونصره له (وكفيل به) أى ضمين بقيامه ومتكفل بنظام مرامه (ويكون لها) أى فى الوجه الوجه الثانى (السلام اسم الله) أى مصدر وصف به مبالغة ومعناه ذو السلامة من كل نقص وآفة (الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له) أى المصالحة والموافقة (والانقياد) أى بالاذعان وترك المخالفة (كما قال تعالى فلا) أى فليس الامر كما زعموا (وربك) وقيل التقدير فوربك بشهادة فوربك لنسئلنهم زيدت فيه لا لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى (لا يؤمنون) جواب القسم لان استواء النفى والاثبات فى زيادتها للتأكيد كما فى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يأبى ذلك (حتى يحكموك) أى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) أى فيما وقع لهم من التنازع والاختلاف (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا شرعا لا طبعا أو شكا (مما قضيت) أى حكمت به (ويسلموا) أى وينقادوا لما حكمت به (تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره أى وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريبة فيه

(فصل) (اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض) أى واجب مقطوع به (فى الجملة) وفى نسخة على الجملة أى اجمالا (غير محدد) وفى نسخة غير محدود أى غير مؤقت ومقدر (بوقت) أى بزمان معين (لامر الله بالصلاة عليه) والاصل فى الامر الوجوب كما عليه الجمهور. (وحمل الائمة) يحتمل ان يكون مصدرا أو ماضيا كما فى نسختين صحيحتين والمراد أئمة المجتهدين (والعلماء) أى من المفسرين والمحدثين (له) أى لامر الله (على الوجوب) بمعنى الفرض (وأجمعوا عليه) أى على الوجوب والمراد باجماعهم اتفاق أكثرهم لقوله (وحكى أبو جعفر) أى محمد بن جرير الشافعى (الطبرى ان محمل الآية) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية أى الآية محمولة باعتبار أمرها (عنده

أبى

والمقالة ولما فى السلام من الثناء عدى بعلى لا لانه بمعنى القضاء والمعنى قضى الله عليك السلام كما قيل لان القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لانه وجه آخر ذكره بقوله (الثانى أى السلام مداوم على حفظك ورعايتك) أى اكرامك وعنايته بك ومراقبتك (ومتول له) أى قائم به بحيث لا يكل أمرك لغيره (وكفيل به) أى متكفل ملتزم له (ويكون هنا) أى فى هذا الوجه (السلام اسم الله تعالى) ومعناه ذو السلامة وليس فى أسماء الله مصدر غيره (الثالث) من الاوجه (ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد) عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال الله تعالى (فلا وربك) قسم جوابه (لا يؤمنون) أى لا يظهر ايمانهم ولا يكمل (حتى يحكموك) أى يفوضون الحكم اليك (فيما شجر بينهم) أى وقع بينهم من المنازعات والدعاوى (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا لعدم رضاهم (مما قضيت) حكمت به عليهم (ويسلموا تسليما) أى يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من أسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الخطاب صيغته خبر معناها الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ للنية انتهى ومعناه من الله فى صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور فى حقه الطلب من غيره اذ المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتبارى ومثله يكفى فى هذا المقام وقد أفرد السلام بتأليف نفيس السيد السمهودى وقفت عليه وفيه أمور يضيق المقام عنها وفى الشرح الجديد هنا كلام غير محرر رأينا ترك التعرض له أولى وفى الاذكار للنووى انه يكره افراد الصلاة عن السلام فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى فيه كلام وهذه الآية الاخيرة نزلت فى حق من خاصم الزبير فى سقاية الماء وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى

*(فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض فى الجملة) أى اجمالا من غير تعيين زمان أو محل (غير محدد) بحاء ودال مشددة مهملتين أى غير معين وأصله ما له حدود فاستعمل فى لازم معناه (بوقت) من الاوقات المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله (لامر الله) وأصل الامر الوجوب (بالصلاة عليه) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وحمل الائمة) من السلف (والعلماء) من أهل التفسير (له على الوجوب) اى على انه أمر ايجاب لا ندب أى فسروه بان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به (وأجمعوا عليه) أى على انه للوجوب من غير تعيين محل أو زمان والآية تدل على ذلك عند الجمهور لانه الاصل فى الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره فى كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضدها من الاحاديث لا الآية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله (وحكى أبو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه (ان محمل الآية) أى المراد منها وما فيها من الامر (عنده) أى عند

(على الندب و ادعى فيه الاجماع) أي على الندب (ولعله أي الاجماع المذكور فيمازاد على مرة) أي لئلا يخالف الاجماع المذكور (والواجب منه) مبتدأ وهو اسم فاعل مشتق فلامه اسم موصول صلته (الذي يسقط به الحرج) بفتح الجيم وسكون الراء أي الطعن والقدح (ومأثم ترك الفرض) أي و يسقط به الاثم المترتب على تركه (مرة) خبر المبتدأ المقدم لانها أقل ما توجد فيها الماهية

أبي جعفر (على الندب) وفيه تقدير أي تبعا لغيره والافلا معنى لحكايته ماعنده و يدل على المقدر قوله (وادعى فيه) أي في ان الامر فيها للندب (الاجماع) وفي قوله ادعى اشارة الى ان ماقاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه و بين ماذكره قبله فقال (ولعله) أي ماادعاه (فيمازاد على مرة) واحدة في العمر فانه لاخلاف في عدم وجوبه على كل أحد (والواجب منه) مبتدأ خبره مرة الآتي (الذي يسقط به الحرج) أي التضييق على الناس لو وجب دائما أو كلماذكر أو الاثم فان الحرج ورد بهذين المعنيين كما صرحوا به (ومأثم ترك الفرض) أي يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والمأثم بالمثلثة مصدر ميمي بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب (مرة) مرفوع على الخبرية (كالشهادة له بالنبوة) والرسالة فانها واجبة في العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة يتحقق في ضمنها ماهية المأمور به فالصلاة بالطريق الاولى وهو أحد المذاهب والصلاة كما يأتي بيانه (وماعداذلك) أي المرة الواحدة في الصلاة والشهادة (فمندوب من مرغب فيه) بكثرة ثوابه وفوائده (من سنن الاسلام وشعائر أهله) أي دأبهم الذي هو علامتهم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان أخر وهو جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذي حكاه المصنف رحمه الله وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح ومانقله المصنف صرح به ابن عبد البر من غير عزوله لمذهب وهو ظاهر (وقال القاضي أبو الحسن بن القصار) بقاف وصاد مشددة وراء مهملتين وهو علي بن عمر بن أحمد الفقيه الثقة له كتاب في الخلاف كثير الفوائد لم يصنف في بابه أحسن منه وفي بعض النسخ الصفار بصاد مهملة بعدها فاء مشددة وألف وراء قال التلمساني والاول هو المعتمد وهو من أئمة المالكية منسوب لصنعة قصار الثياب وهي تبييضها والثاني لبيع الصفر وهو النحاس (المشهور عن أصحابنا) يعني المالكية (ان ذلك) أي الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واجب في الجملة) أي اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له (على الانسان وفرض عليه) اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية خلافا للحنفية (ان يأتي به مرة من دهره) أي في مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته (مع القدرة على ذلك) أي شرط في وجوبه مرة في عمره ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنده كسائر الواجبات لكن اخترمته المنية وقوله لاينافي ماتقدم من الاجماع لانه لامفهوم له وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الائمة أيضا أوهو اشارة لمانقله عن الطبري وان كان عنده لاينافي الاجماع لكونه واهيا أو مؤولا كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده ومانقله عن الحطاب من متأخري المالكية عن الرصاع ان الذي يظهر ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة عليه والزائد مستحب لقول ابن عباس رضي الله عنهما فريضة من الله علينا أن نصلي على نبينا ونسلم تسليما ومانقل عن مشايخ المغاربة من التوقف في وجوبه لا أصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى (وقال القاضي أبو بكر بن بكير) وتقدمت ترجمته (افترض الله تعالى عز وجل) افترض وفرض بمعنى وفيه زيادة تأكيد لزيادة بنيته (على خلقه) جميعا (أن يصلوا على نبيه و يسلموا تسليما) كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام و ينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للمأمور (ولم يجعل ذلك) الافتراض (لوقت معلوم) واللام فيه للتوقيت والظرفية كما يقال كتبته لستة عشر مثلا (فالواجب) على الخلق (أن يكثر المرء) أي الرجل والمراد به الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) أي من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (ولا يغفل)

المطلوبة فيحمل عليها (كالشهادة له بالنبوة) أي المقرونة بالرسالة لوجوبها مرة اجماعا (وما عداذلك) أي وأما مازاد على مرة فيها (فمندوب) أي مستحب ومطلوب (مرغب فيه) أي مرغوب (من سنن الاسلام وشعار أهله) أي علاماتهم في أحكام الاحكام (قال القاضي أبو الحسن بن القصار) من المالكية (المشهور عن أصحابنا) أي علمائنا (ان ذلك) أي ماذكر من ان الصلاة (واجب في الجملة) أي فرض غير مؤقت بوقت معين (على الانسان وفرض عليه) أي على كل فرد من افراد الانسان من المؤمنين (ان يأتي به) أي بهذا الفرض وفي نسخة بها أي بالصلاة (مرة من دهره) اذ به يخرج من عهدة أمره (مع القدرة على ذلك) أي على الاتيان بها اذهي شرط له ولهذا تسقط عن الابكم (وقال القاضي أبو بكر بن بكير) بضم موحدة وفتح كاف أحد المالكية (افترض الله على خلقه) أي من المؤمنين (أن يصلوا على نبيه) أي تعظيما وتكريما (ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك) أي الافتراض (لوقت معلوم) أي في وقت معين وزمان مبين (فالواجب) أي مروءة أواحتياطا أو المراد به الوجوب الذي دون الفرض (أن يكثر المرء منها) أي من الصلاة (ولا يغفل) بضم الفاء أي لايذهل

(عنها) والمعنى انه تعالى لم يوقت ذلك ليشمل سائر الاوقات هنالك كما قيل في الذكر انه سبحانه وتعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا فجعل لكل عبادة وقتا معينا الا ذكره عز وجل فانه لم يجعل له زمانا مبينا سواء يكون ذكرا لسانيا أو جنانيا وكذلك الصلاة عليه غير مؤقتة حيث قرن ذكره بذكره البتة (قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في الجملة) هذا قول مجمل وفي بيان تفصيله (قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم) أي من الامة المجتهدين (الى) وفي نسخة بدونها (ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان) أي بقيد الايمان المذكور في القرآن فلا تجب على أهل الكفر والكفران (لا تتعين في الصلاة) بمعنى انها لا تجب فيها أولا انها لا تصح الا بها كما قال الشافعي (وان) أي وذهبوا الى ان (من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي) أي تبعا له (الفرض منها) أي من الصلاة (الذي أمر الله) أي في قديم كلامه (به) أي باتيانه (ورسوله) أي وأمر به رسوله (عليه السلام) أي في حديثه (هو في الصلاة) أي منحصر فيها وهو عقب تشهدها قبل سلام تحللها واستدلوا بحديث صرح أبو مسعود البدري في صحيحي ابن حبان والحاكم أما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه أي علمناه من تشهد الصلاة وهو

(عنها) أي يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفي كلامه شئ لانه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف ما لاقتضائه مرات كثيرة فان أراد انه ان فعلها في وقت ما يكررها مرارا في ذلك الوقت فايجاب مثله غير ظاهر مما نقله قبله فان كان قولا آخر فسياقه لا يساعده وأما الاعتراض عليه بانه أمر مطلق لا تعرض فيه لعدم تعين ونحوها فلا معنى له وفي بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار منها مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن (وقال القاضي أبو محمد بن نصر المالكي) وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن أحمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن أحمد بن هارون بن مالك أدركه الشيرازي وسمع منه في النظر وكان فقيها شاعرا أديبا له شعر كثير وكتب كثيرة في كل فن وارتحل في آخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفي في سنة احدى وعشرين وأربعمائة (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة) أي من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره (قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد) قيل هو محمد بن سعيد بن بشر بن شراحيل الفقيه كتب في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقي مالكا رضي الله تعالى عنه فقرأ عليه ثم انصرف للاندلس والتزم ضيعة بباجة الى ان توفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما قاله القاضي في المدارك (ذهب مالك وأصحابه وغيرهم وأهل العلم الى ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة) أي اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت (بعقد الايمان) أصل معنى العقد ربط اطراف الشئ كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها يقينا فقوله بعقد الايمان وهو بكسر الهمزة والباء سببية أو بمعنى بعد أي هي أول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله (لا يتعين في الصلاة) أي ليس وجوبا بمخصوصا ومؤقتا بها (وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره) ومدة حياته الى موته (سقط الفرض عنه) لخروجه عن عهدته قيل حاصل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عنه غير ما نقله عن الطبري ولم يرتضه قولان الاول انها فرض في الجملة تسقط بمرة الثاني انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول بانها تجب في الجملة مطلقا انما زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا وعلى الثاني يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعي رحمه الله في مسح الرأس انه يجب مسحها مطلقا فلو مسح شعرة حصل الفرض ولو مسح الجميع وقع فرضا وبقي أقوال غير ما ذكره المصنف منها انها تجب في كل مجلس مرة في جلسته وهل هي فرض كفاية على أهل المجلس فلو صلى واحد كفى على الجميع أو فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر أو سمع ونقلا عن الطحاوي وبعض الحنفية والشافعية للحديث الآتي رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقيل انه مبني على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضي وجوب ذلك على المصلي وقارئ القرآن والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة والتابعين ولو كان كذلك وجب الثناء على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله أحد وأجيب بانه منقول عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها والحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على الله أيضا أو نقول بالفرق بينهما بانه تعالى غني مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله أيضا لامره به ناشئ من عدم فهم المراد بحق الله (وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله به) في الآية المذكورة أولا (و) أمر به (رسوله عليه الصلاة والسلام) كما سيأتي بيانه (هو في الصلاة) أي هو عقب التشهد قبل التحلل وسيأتي تفصيله وذكر الاحاديث التي استدل بها الشافعي وأصحابه كما

(السلام عليك أيها النبي و رحمة الله وبركاته) فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره زاد ابن ماجه وغيره والسلام على كما قد علمتم وفيه انه لادلالة على فرضيتها على وجه خصوصيتها وبحديث ابن مسعود فيما رواه ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل في الصلاة ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعوا لنفسه بعد وفيه ان هذا اخبار عن أقوال تقال في الصلاة ولادلالة على وجوب الصلاة بشهادة كون الدعاء مستحبا اجماعا وبحديث ابن عمر فيما رواه العميري بسند جيد لاتكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة على في الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد الخ وفيه انه يحتمل ان المراد لاتكون صلاة كاملة ومع وجود الاحتمال يمتنع الاستدلال وقال الشافعي قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وورد انه علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز أن نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلاة عليه انتهى ولا يخفى انه يجوز أن يقع الامران ويكون أحدهما للوجوب والآخر للندب على ان لفظ الحديث الصلاة المشتملة عليه وعلى آله والشافعي لم يقل بوجوب الجمع بينهما مع انه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالدعاء فيها أيضا وهو مندوب أيضا قال الدلجي وزعم القرافي في ذخيرته انه يستدل على وجوب الصلاة عليه عليه السلام فيه بالاجماع ولم يصب في زعمه اذلااجماع على وجوبها فيه أقوال ولعله أراد ان الاجماع على وجوب الصلاة في الجملة وتعين الوقت فيه بالسنة وهذا معنى قوله (وقالوا) أي أصحاب الشافعي رحمهم الله تعالى (واما في غيرها) أي غير الصلاة (فلاخلاف في أنها غير واجبة) أي فيتعين كونها في الصلاة واجبة اذلابد من وجوبها مرة كما مر فقول الدلجي الامرة واحدة كما مر غير مستقيم فتدبر (واما في الصلاة فحكى الامامان أبو جعفر) وفي نسخة أبو جعفر بلفظ التثنية فانه كنية لهما (الطبري) وهو محمد ابن جرير من أكابر الشافعية (والطحاوي) وهو محمد بن أحمد بن سلام من أكابر الحنفية (اجماع المتقدمين) أي من الصحابة والتابعين (والمتأخرين) أي من علماء الامة المجتهدين (على ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد غير واجبة) وعارضهما الدلجي بنقل النووي في شرح المذهب ومسلم وابن كثير وابن قيم الجوزية وكثيرين نقلوا وجوبها عليه فيه عن أئمة من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وأبي مسعود البدري وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم ومن التابعين محمد بن كعب القرظي والشعبي والباقر ومقاتل رحمهم الله تعالى ومن غيرهم أحمد بن حنبل كما قال أبو زرعة الدمشقي الآخر عملا حتى ان بعضهم أوجب أن يقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد ألزم من قال من الحنفية بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه وفيه أن لهم أن يلتزموه لذكره لا لصحتها والظاهر ان الصحابة المذكورين وغيرهم لم ينصوا بوجوبها اذ هذا اصطلاح حادث وانما كانوا يقولون بوقوعها من غير أن يتعرضوا لكونه واجبا أو مندوبا اللهم الا ان صرحوا بعدم صحة الصلاة بدونها أو بصحتها من غير وجودها فحينئذ يعرف الاجماع بثبوتها أو نفيها ولهذا قال ابن حجر العسقلاني لم أر من الصحابة أحد صرح بعدم الوجوب الا مانقل عن النخعي وبهذا الاعتبار قال المصنف (وشذ الشافعي) أي انفرد هو ومن تبعه (في ذلك) أي القول بوجوبها وعدم صحة الصلاة بدونها (فقال) أي الشافعي (من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير) وفي نسخة الآخر وهو وأشهد أن محمدا رسول الله (قبل السلام) أي سلام التحليل (فصلاته فاسدة) أي لانها ركن عنده تفسد بتركه

صرح به في الام وقول القرافي في الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولااجماع على وجوبها (وقالوا) أي أصحاب الشافعي (واما في غيرها) أي غير الصلاة وهو خارجها (فلاخلاف) في (انها غير واجبة) المراد انه لاخلاف عند الشافعي وأصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقدير الامرة واحدة كما مر لايجدي نفعا الا ان نفي الخلاف بناء على المشهورة عندهم وفي الشرح الجديد مانقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة في الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها فيهما ووافقه أحمد وهما اماما السنة وقال الشافعي أيضا بوجوبها في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية كما سيأتي ووافقه أحمد واتباعه أيضا وورد فيه أحاديث صححوها (وأما في الصلاة) أي حكمها فيها (فحكى الامامان أبو جعفر) يعني محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته (الطبري والطحاوي) أحمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة (وغيرهما) من الأئمة (اجماع) جميع (المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد) الاول والاخير منها (غير واجبة وشذ الشافعي) أي أتى بقول شاذ انفرد به عن جميع أئمة الدين ولم يقل به أحد قبله ولم يوافقه عليه أحد (في ذلك) أي بقوله بوجوبها في تشهد الصلاة الأخير (فقال من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير قبل السلام فصلاته فاسدة) لانها ركن من أركان الصلاة فتفسد بتركها في التشهد الاخير فقط

(وان صلى عليه قبل ذلك) أي قبل أشهد أن محمدا رسول الله على ما قاله الدلجي أو قبل ذلك التشهد بان يقول بعد التشهد الاول (لم تجزه) كان حقه أن يقول لم تجزئه كما في نسخة صحيحة لانه مهموز من أجزأه يجزئه اذا كفاه (ولا سلف) أي لا سابقة قدم (له) أي للشافعي والمعنى ان أحدا من السلف ما وافقه (في هذا القول) أي من الصحابة والتابعين وسائر المجتهدين (ولا سنة يتبعها) بتشديد التاء وتخفيفها أي من الاحاديث الدالة على وجوبها فيه ومن أعجب العجائب قول الدلجي وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على رأس المجتهدين الشافعي الى آخر ما ذكره فان الشافعي لم يكن رأس المجتهدين أصلا بل رأسهم وأساسهم أبو حنيفة ومالك وامثالهما قطعا فيما يتعلق بالاجتهاد فصلا فصلا فلهما على غيرهما في الفقه والحديث فضل واما قوله من أن موضوع هذا الكتاب يقتضي وجوب الصلاة عليه عليه السلام فامر خارج عن تحقيق المرام ثم قوله ان هذا من ورطة العصبية فالمصنف منزه عن حمية الجاهلية ثم أغرب في قوله لم أقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الامة اليه من طيب القول بل امتثالا

لقول عمر اذا رأيتم من يمزق أعراض الناس لا تقربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال ذلك أحرى أن لا تكونوا شهداء (وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه) أي على الشافعي (لمخالفته فيها من تقدمه) أي من السلف ممن لم يقل بوجوبها عليه (جماعة) أي من علماء الخلف (وشنعوا) بتشديد النون أي طعنوا (عليه الخلاف فيها) أي في هذه المسئلة (منهم الطبري) وهو محمد بن جرير من الشافعية (والقشيري) أي صاحب الرسالة منهم أبو بكر بن العلاء المالكي (وغير واحد) أي وكثيرون من غيرهم (وقال أبو بكر بن المنذر) هو الامام الاوحد محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري شيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة (يستحب عالم أن لا يصلي أحد صلاة) أي فرضا أو نافلة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عقب التشهد الذي بعده التحليل (فان ترك ذلك) أي الاستحباب (فصلاته مجزئة) أي كافية له (في مذهب مالك وأهل المدينة) أي من علمائها السبعة (وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي) أي أهل الرأي الثاقب الذي هو من أعلى المناقب وقد سماهم أئمة الحديث به لاخذهم فيما أشكل من الحديث أو فيما لم يرد به حديث بارائهم (وهو قول جل أهل العلم) بضم الجيم وتشديد اللام وفي نسخة جمل بضم جيم وفتح ميم وتخفيف لام أي أكثرهم وجمهورهم (وحكى عن مالك وسفيان) أي الثوري (انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد) أي الاخير (مسيء) أي ملام بترك السنة (وشذ الشافعي فاوجب على تاركها) أي عمدا أو سهوا (في الصلاة) فرضا أو نفلا (الاعادة) لانها عنده ركن من أركانها الثلاثة عشر التي لا تتم الصلاة الا بها ولا تجبر بسجود السهو (وأوجب اسحق) أي ابن ابراهيم بن راهويه المروزي عالم خراسان روى عنه الجماعة خلا ابن ماجه ثقة حجة توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين

(وان صلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ذلك) أي قبل التشهد الاخير وقوله فيه أشهد ان محمدا رسول الله (لم تجزه) صلاته أي لم تصح ولم يسقط عنه الفرض فتجب عليه اعادة صلاته (ولا سلف له في هذا القول) بوجوبها في التشهد الاخير أي لم يقل به أحد من السلف (ولا سنة يتبعها) أي لم يثبت في السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله الامام الشافعي (وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه) من الائمة والسلف (جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها) مفعول شنعوا بمعنى قبحوا أي عدوا ما قاله أمرا قبيحا وقولا مبتدعا منه (منهم) محمد بن جرير (الطبري و) الامام (القشيري) قيل المراد به أبو ناصر بن صاحب الرسالة أو أبو بكر بن العلاء القشيري المالكي واما الامام القشيري صاحب الرسالة فهو شافعي لم ينكر عليه شيئا مما ذكر (وغير واحد) أي ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء (وقال أبو بكر بن المنذر) بصيغة اسم الفاعل وهو الامام الاوحد أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الثقة الحجة امام عصره وشيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع أو عشرة وثلاثمائة (يستحب ان لا يصلي أحد صلاة) ما فرضا كانت أو نفلا أو جنازة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد التشهد و بعد التكبيرة الثانية (فان ترك ذلك تارك) أي واحد كان في أي صلاة كانت (فصلاته مجزئة) أي صحيحة وان كان الافضل عدم الترك (في مذهب مالك وأهل المدينة) أي علمائها وهو من عطف العام على الخاص (وسفيان الثوري) صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب (وأهل الكوفة) أي علمائها (من أصحاب الرأي) المراد بالرأي القياس في عرف الفقهاء والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع أبي حنيفة و يقابلهم أهل الحديث لاقتصارهم في العمل عليه (وغيرهم) من العلماء (وهو قول جل اهل العلم) الجل بضم الجيم المعظم والاكثر من كل شيء (وحكى عن مالك وسفيان) الثوري (انها في التشهد الاخير مستحبة) لا واجبة وخص الاخير لانه محل الخلاف (وان تاركها في التشهد) الاخير (مسيء) غير محسن لارتكابه أمرا مكروها قصده (وشذ الشافعي) أي انفرد بهذه المقالة المخالفة عن غيره من الائمة (فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة) لتركه ركنا به يتم سواء تركها عمدا أو سهوا (وأوجب اسحق) بن ابراهيم بن مخلد وهو الامام الجليل أبو يعقوب بن راهويه

(الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان) ووافقه الخرقى من الحنابلة (وحكى أبو محمد ابن أبى زيد عن محمد بن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) أى فى مذهب المالكية وهذا يحتمل أن يريد مرة أو كلما ذكر أو فى تشهد الصلاة (قال أبو محمد) هو ابن أبى زيد (يريد) يعنى ابن المواز (ليست) أى الصلاة عليه (من فرائض الصلاة) أى من اركانها (وقاله) أى وكذا قاله (محمد بن عبد الحكم وغيره) ومحمد بن عبد الحكم هذا هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى صاحب الشافعى يروى عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائى وابن خزيمة والاصم وآخرون قال ابن خزيمة ما رأيت فى الفقهاء أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين منه مات سنة ثمان وستين ومائتين (وحكى ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد (وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها أى يرى الصلاة (فريضة فى الصلاة كقول الشافعى) وصححه

ابن الحاجب فى مختصره وابن العربى فى سراج المريدين وقال عبد السلام المالكى وهو ظاهر كلام ابن المواز (وحكى أبو يعلى العبدى) بفتح مهملة وسكون موحدة (المالكى عن المذهب) أى مذهب مالك (فيها ثلاثة أقوال الوجوب) أى كما قال الشافعى واتباعه (والسنة) أى المؤكدة كما قال أبو حنيفة واتباعه (والندب) أى كما ذهب اليه مالك و بعضهم ولا فرق عند أكثر الشافعية بين السنة والندب وأما عند غيرهم فتغايرهما بان السنة ما واظب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية كالقاضى حسين (وقد خالف الخطابى من أصحاب الشافعى وغير) بالرفع أى وغيره الخطابى منهم الحافظ العراقى وأبو امامة ابن النقاش (الشافعى فى هذه المسئلة) أى حيث لم يروا له حجة واضحة من الادلة (قال الخطابى وليست) أى الصلاة عليه (بواجبة فى الصلاة وهو) اى عدم وجوبها (قول جماعة الفقهاء) أى من السلف والخلف (الا الشافعى) أى بالاصالة انما وافقه من وافقه من الخلف على سبيل التبعية (ولا أعلم له فيها) أى فى المسئلة (قدرة) بضم القاف وكسرها ويحكى فتحها أى مقتدى من السلف (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) وفى نسخة من فرائض الصلاة (عمل السلف الصالح) أى اقتداه قبل (الشافعى) أى وجوده وظهوره (واجماعهم عليه) أى على ان ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة (وقد شنع الناس) أى من المتأخرين (عليه) أى على الشافعى (هذه المسئلة) أى فيها (جدا) أى بطريق المبالغة أو مبالغين له فى التخطئة (وهذا تشهد ابن مسعود) الذى هو أصح ألفاظ التشهد حيث رواه أصحاب الكتب الستة ولهذا اختاره بعض العلماء والمشايخ من الشافعية أيضا وقد ذكر ابن الملقن التشهدات الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تخريج أحاديث الرافعى

عالم خراسان ومحدثها توفى وسنه سبع وتسعون سنة فى شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى) الشيخ (أبو محمد بن أبى زيد) هو صاحب الرسالة المشهورة وهو من أئمة المالكية (عن محمد بن المواز) بفتح الميم والواو المشددة وآخره زاى معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن أجل الائمة فى مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسكندرانى تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الآتى واعتمد على أصبغ وتوفى ببعض حصون الشام اختفى به وقد هرب فى فتنة ووفاته سنة احدى وثمانين ومائتين (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره (قال أبو محمد) هو ابن أبى زيد المار ذكره قريبا فى تفسير كلام ابن المواز (يريد ليست من فرائض الصلاة) بل انها فرض فى الجملة كما تقدم وسيأتى ما يخالفه (وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصرى صاحب الامام الشافعى لم يكن فى عصره أجل منه ولا أعرف بأقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومائة وتوفى لليلة خلت من ذى القعدة سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وأخرج له النسائى (وحكى ابن القصار وعبد الوهاب) من أئمة المالكية (ان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلاة كقول الشافعى) وقد نقل الاسنوى أيضا ان للشافعى قولا آخر غير ما اشتهر عنه أنها سنة فى الصلاة لا ركنا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكى هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب فى مختصره الفرعى وابن العربى فى سراج المريدين (وقد حكى أبو يعلى العبدى المالكى عن المذهب) أى مذهب الامام مالك رحمه الله (فيها) أى فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أقوال فى الصلاة) الاول (الوجوب و) الثانى (السنة و) الثالث (الندب) جريا على اصطلاحهم فى التفرد بين السنة والندب (وقد خالف) الامام (الخطابى من أصحاب الشافعى وغيره الشافعى فى هذه المسألة قال الخطابى وليست بواجبة فى الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى) فانه ذهب لوجوبها فيها (ولا أعلم له فيها قدرة) أى ما يقتدى به من الائمة والسلف وسيأتى رد هذا (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) كما قاله الشافعى (عمل السلف الصالح قبل الامام الشافعى) من الصحابة والتابعين وهذا الاوجه له كما سيأتى بيانه (واجماعهم عليه) سيأتى أيضا انه لا اجماع فيه (وقد شنع الناس عليه فى هذه المسئلة جدا) أى قبحوه وأنكروه أى تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله (وهذا تشهد ابن مسعود) جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه

قبلغت ثلاثة عشر تشهدا ثم أجمعوا على جواز جميع ألفاظ التشهد الوارد وانما الخلاف في الاختيار فاختار أبو حنيفة تشهد ابن مسعود لكونه أصح سندا واختار الشافعي تشهد ابن عباس واختار مالك تشهد عمر الذي قرأه فوق منبر النبي صلى الله عليه وسلم وأما قوله (الذي اختاره الشافعي) فغير مشهور عنه بل الثابت عنه في كتب أصحابه ان الذي اختاره تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة (وهو) أي تشهد ابن مسعود (الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه وكذلك) مثل

تشهد ابن مسعود (كل من روى التشهد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير) أي وغيرهم لما سبق (لم يذكروا فيه صلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ولو كانت الصلاة فرضا كالتشهد لما تركوا ذكرها وفيه بحث لا يخفى اذ كل واحد منهما فرض على حدة ولا يلزم من ذكر أحدهما ذكر الآخر لا سيما وقد اختلف مقام التعليم مع انه يمكن تأخير وجوب الصلاة بعد تقديم فرض التشهد (وقد قال ابن عباس) كما في مسلم (وجابر) كما رواه الحاكم والنسائي (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) أي ولهذا خص بالوجوب بخلاف الصلاة عليه فانه ما ورد فيها مثل هذا الاهتمام (ونحوه) أي ونحو ما ذكر عنهما روي (عن أبي سعيد) أي الخدري (وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) أي وهو فوقه (كما يعلمون) أي الفقهاء وفي نسخة بصيغة الخطاب أي كما تعلمون أنتم (الصبيان في الكتاب) بضم ففتح مشددا أي في المكتب وموضع تعليم الكتاب (وعلمه) أي التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه) أي ولم يرو عن أحد منهم ذكر الصلاة عليه في هذا الباب (وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي) رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبراني والدارقطني قال وليس عندهم بقوي والعمري والبيهقي بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار (قال ابن القصار معناه كاملة

(الذي اختاره الشافعي) رحمه الله تعالى أي رجحه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة (وهو الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وما قاله مردود أيضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذي فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته لقوله تعالى تحية من عند الله تعالى مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله البيهقي رحمه الله تعالى (وكذلك) أي مثله في عدم ذكر الصلاة عليه فيه (كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم) من الصحابة الذين علمهم التشهد (كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير) كلهم (لم يذكروا فيه) أي في تشهدهم الذي تعلموه (صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) هذا أعظم ما تمسك به المصنف في رده لما ذكر لما يلزم من عدم ذكرهم انه لم يأمرهم به وهو مردود أيضا لان تعليمهم ذلك كان في ابتداء الهجرة قبل نزول الآية والأمر بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه الآية فلذا لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت أمرهم وهذا مصرح به في الحديث وسيأتي نقله مفصلا بطرقه (وقد قال ابن عباس وجابر) في حديث رواه مسلم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) فيقرؤه عليهم ويأمرهم بتلقنه بألفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه (ونحوه) أي مثل ما ذكر (عن أبي سعيد) الخدري كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) وهو يخطب عليه في خلافته (كما تعلمون الصبيان في الكتاب) بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذي فيه الصبيان منقول من جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى في كلامهم كما ذكره الزمخشري في الأساس وغيره ولا عبرة بمن أنكره أو قال انه مولد والصواب المكتب (وعلمه) أي التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب) كما علمه عليه أبو بكر في خلافته يعني بذلك شهرته بحيث لا يخفى على أحد ولا يترك ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم ينقل ولم يذكر بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم أشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال (وفي الحديث) الذي رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض ألفاظه اختلاف ما (لا صلاة لمن لم يصل علي) بالتشديد وروي لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعي على ان الصلاة لا تصح بدونها (قال ابن القصار معناه) المراد منه (كاملة) الأجر وهو صرف للنفي عن المتبادر منه من نفي الصحة الى نفي الكمال فتصح وان لم تكمل وهذا مبني على قاعدة أصولية وهي ان النفي اذا دخل على شيء ليس بمنفي هل يقدر الصحة أو الكمال فقال الشافعي الأرجح تقدير الصحة لانه أقرب الى نفي ذات الشيء وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوي

أولمن لم يصل على مرة في عمره) وانما أوله بحديث البيهقي الدال على ان المراد به نفي الكمال اذ الاجماع منعقد على صحة صلاة من لا يحب الانصار والاتفاق على صحة من لم يذكر اسم الله على وضوئه خلافا لاحمد فاندفع قول الدلجي بانه تحكم وترجيح بلا مرجح وصرف للنفي عن المتبادر منه وضعا عن الحقيقة المجزئة الى ناقص لا غناء له ثم هذا كله لو ثبتت صحته (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) أي بجميع طرقه ويعمل بالحديث الضعيف ولا يستدل به قال السخاوي في القول البديع وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم وسنده ضعيف وفي بعض طرقه من الزيادة لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ومعناه لا وضوء كامل الفضيلة والتسمية عندنا من الفضائل ولا اعلم من قال بوجوبها الا ما جاء عن أحمد في احدى الروايتين عنه وبه قال اسحق بن راهويه وأهل الظاهر فيتعين حمل الحديث على ما تقدم وهو مثل قوله لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وما أشبه ذلك (وفي حديث أبي جعفر) الصادق محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم (عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة) أي فرضا أو نافلة (لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) أي قبولا كاملا وفي نسخة وقد روي موقوفا من قبل ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (قال الدارقطني الصواب انه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه) أي ابن علي ابن أبي طالب قال الحلبي وعلى كونه مرفوعا أيضا يكون منقطعا لان أبا جعفر لم يدرك ابن مسعود وابن أبو جعفر من ابن مسعود فانه على ما قيل ولد سنة عشر ومائة وابن مسعود توفي سنة اثنتين وثلاثين (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت) من الرأي أو معناه لظننت (انها لا تتم) أي لا تكمل وليس معناه انها لا تصح فبطل قول الدلجي قد حكم القاضي ولم يشعر على نفسه بان للشافعي فيما قاله سلفا هو أبو جعفر وقد انقلب عليه قوله الشاهد لديه

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

على ان الصلاة على أهل البيت ليست من فروض الصلاة اجماعا وعليه الشافعي وغيره فلو سلم ان مراد جعفر الصادق عدم صحة الصلاة بدونها فيكون ممن انفرد بها على انه لم يسنده الى نفسه بل يرويه غايته ان حديثه مسند متصل أو منقطع وقد حكم بانه حديث ضعيف لا يصح الاستدلال به وزيد في بعض النسخ (وراويه) أي ناقل هذا الحديث عن أبو جعفر (جابر الجعفي) بفتح الجيم وسكون العين (وهو ضعيف)

في شرح المصابيح في حديث انما الاعمال بالنيات (أولمن لم يصل علي مرة في عمره) وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسيأتي تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية بقوله (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) لانه كما قاله الامام الخيضري في كتاب اللواء المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن أبيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروي من طريق أخرى لم يثبت انتهى (وفي حديث أبي جعفر) محمد الباقر بن زين العابدين (عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي فيها وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) وهذا يفيد ان الصلاة على الآل في التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وفيها قولان للشافعي والصحيح في المذهب انها غير واجبة واما في التشهد الاول فمن قال انها واجبة في الاخير قال باستحبابها ومما ينسب للشافعي رضي الله عنه في ذلك

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن انزله

كفاكم من عظيم القدر انكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق أظهر قوليه (قال الدارقطني الصواب انه من قول أبي جعفر بن محمد) الباقر بن زين العابدين (ابن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت انها لا تتم) وهذا يوافق ما قاله الامام الشافعي ففيه تأييد له دون ما قاله المصنف * واعلم ان الامام الخيضري صنف في هذه المسألة كتابا اسماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض طالعته بتمامه وقد قال فيه ما قصدت به تنقيص مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال في الام فرض الله تعالى عز وجل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الآية فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ساق باسناده الى أبي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الى آخره وساق بسنده أيضا الى كعب ابن عجرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد الى آخره فلما روي انه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وانه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول التشهد واجب

والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرائض
ان يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى
ثم ذكر ماقاله المصنف رحمه الله وقال هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه
كيف اقدم على هذه المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهي قولة غير صحيحة
ينادي مدعيها على نفسه بفضيحة واي فضيحة وسترى حججا بالغة وسننا متنوعة وثمار براهين
لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها في التشهد الاخير الآية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر
المطلق يقتضي الوجوب مالم يقم الدليل على خلافه والله قد أمر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله
عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال قولوا
اللهم صل على محمد الى آخره والسلام الذي علموه هو السلام في الصلاة والتشهد فخرج الامرين
والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم
فيه فقالوا كيف الصلاة عليك المأمور بها فقال اللهم صل الى آخره وهما في الصلاة في ظاهر الحال
ويؤيده انه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول
انهم كانوا يقولون في تحية الصلاة السلام عليك يا رسول الله أو نبي الله صلى الله تعالى عليك وسلم ونحوه
فما تعلموه زائد على التحية في الصلاة فخرج هذا مخرج البيان لما في القرآن وظهر وجه دلالة الآية
عليه وأورد عليه ان قول الصحابة قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل انه يراد به السلام في
الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وان غاية ماذكرتم
دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب
السلام وهو غير مسلم وأجيب بان الاول فاسد برده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام فقط
حتى يكون المراد السلام من الصلاة والسائل لم يستدل باقترانه وانما استدل بالامر بها في الآية وبهذا
سقط ما بعده والدليل الثاني من السنة ما في البخاري مسندا قال عبد الرحمن ابن أبي ليلى لقيني كعب بن
عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمتنا
كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وأخرجه مسلم
وغيره من طرق ساقها أصحاب السنن * فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة لكنها مطلقة لم
تقيد بالصلاة * قلت علم هذا من اطباق العلماء والمحدثين من غير نكير على ان المراد بها في الصلاة ولذا
وردت مذكورة في التشهد في كتبهم دون باب الادعية ولا نكتفي بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك في
الحديث أيضا فيما رواه أحمد في مسنده من طريقين عن ابن اسحق قال حدث في الصلاة على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه في صلاته وساقه الى آخره والعجب من المصنف رحمه
الله تعالى انه قال في شرح مسلم في سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه في غير الصلاة وفي الصلاة والاظهر الثاني
لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله كيف ينكر بعد هذا على الشافعي وهذا من زيادة الثقة فهي
مقبولة وقد رواها الشافعي في مسنده فدعاه ذلك الى حمل الآية عليها * فان قلت بعد تخصيصه بالصلاة
ليس في الحديث مايدل على الوجوب * قلت الوجوب معلوم من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا كما
رأيتموني أصلي ولا يلزمه وجوب ما في صلاته من السنن لقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر
أحاديث أخر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صريحة فيما ذكروا ها بمعنى ما تقدم أي ماسبق ومن الادلة

الآتية

الآتية ما في مسند أحمد الآتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يحمد الله تعالى في صلاته ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميده والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعو بما شاء وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وقال انه على شرط الشيخين فان قلت ان هذا يدل على عدم الوجوب لانه لم يأمره باعادة الصلاة وقد يقال أيضا ان هذا الدعاء كان خارج الصلاة لان الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال له عجلت أيها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله تعالى بما هو أهله وصل علي ثم ادع وفي رواية بما تحب قلت انه كان غير عالم بوجوبها فلم يأمره بالاعادة ويحتمل انه اعادها أو انها نفل لا تجب اعادتها وما ذكر من الحديث رواية غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الآخر مع قوته وروانه على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده في الصلاة ثم أورد على قول المصنف انه أي الشافعي لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود روى حديث التشهد وروى عنه انه كان يراها واجبة في الصلاة وأبو مسعود البدري روى عنه مرفوعا وموقوفا ومنهم ابنه عبد الله بن عمر وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما نقله البيهقي ومقاتل بن حبان ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي واسحق بن راهويه كما نقله المصنف وأحمد بن حنبل في رواية عنه ومن العجائب ان المصنف انكر على الشافعي ما ذكر وقال في شرح مسلم ما نصه حكى بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسئلة ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله أيضا في كتابه هذا وعبارة ابن القصار في كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سيأتي من ادلة المخالفين في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القائلون بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه وان الصلاة لما تضمنت ذكر الله وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة فذكر وجهه يدل على انه مال اليه وقال ابن العربي في احكام القرآن ان الصحيح ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتا كما بيناه في مسائل الخلاف انتهى وهو امام مشهور من أئمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب في منهاجه وشارحه ابن عبد السلام فظهر منه انه قول راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف فنسبته الى الشذوذ خطأ ظاهر مع ما يناقضه من كلامه هنا واذا نقل هذا عن الصحابي ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول وعمل الناس على الصلاة عليه بعد التشهد وتعليمها للصبيان فكيف يدعى خلافه وأما ادلة المخالفين للشافعي كأبي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابي والقشيري والطبري كما نقله المصنف رحمه الله تعالى ولهم ادلة وحديث التشهد المروي عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس في رواية منه ذكر الصلاة ثم سردها ورواتها وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه ثم قال الجواب عنه من وجوه منها انه لم يقل انه جميع الواجب في الجلسة الاخيرة فايجاب الصلاة فيها بدليل آخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام ولم يأمرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد أوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل آخر وأيضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلاة كالسلام ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافي مستصحب

للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه رأسا وورد أيضا بان التشهد فرض حين فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت آية الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم ذكره في تلك الرواية فلذا قالوا له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا السلام فكيف نصلي عليك فان قلت فما تقول في الصحيح المروى الذى فيه انه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله أشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه يدل على الصلاة عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث وصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قالوه وأيضا انه يحتمل أيضا انه قبل ايجاب الصلاة عليه وأيضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولون السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا مع سائر ما علمتم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل بهذا أصحاب أبي حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فيطلب المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضرى مما يهمنا هنا وقد بالغ الشافعية في الرد على المصنف رحمه الله تعالى وتخطئته فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم هذا المشنع انما هو يشنع على نفسه لا على الشافعي اذ لم يخالف كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بادلة واضحة تامة وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقال شيخنا ابن قاسم قلت وأى محذور في تفرد ابن ادريس وأى حاجة له أى موافقة غيره له انتهى ولكن اذا أمعنت النظر علمت انه ناقل لما قاله الطحاوى ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ ففيما قالوه أيضا تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا من لباب الالباب الذى لا تجده في غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوى في التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستئذان أو بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند أبي حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل الى آخره بعد قولهم كيف نصلي عليك الا ان يقول استفيد الوجوب من امر خارجي فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية بيان واجب انتهى وفيه نظر

(فصل في المواطن) أى في الاماكن فهو من قبيل المستقر لان معناه مكان التوطن والاقامة (التى يستحب) ويسن (فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بالبناء للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوائد والثواب (من ذلك) المستحب المرغب فيه (في تشهد الصلاة) وهو الثناء على الله في الجلسة فيها وسمى تشهدا باسم جزئه وهو قوله تعالى فيها أشهد أن لا اله الا الله الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فان مستحب في الاول واجب في الاخير كما تقدم تفصيله (كما قدمناه) في الفصل الذى قبله (وذلك) أى موطنه ومحله المعلوم مما قبله (بعد التشهد) أى قوله أشهد أن محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) المأثور في كتب الفقه أو بما شاء (حدثنا القاضي أبو على) هو ابن سكرة شيخه كما تقدم (بقراءتي عليه) لا بغيره من طرق الاجازة قال (حدثنا الامام أبو القاسم البلخي) نسبة لبلخ مدينة معروفة قال (حدثنا الفارسى) تقدمت ترجمته (عن أبي القاسم الخزاعى عن أبي الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ) هو الترمذى

(فصل)(في المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام) وفى نسخة التسليم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بصيغة المجهول من الترغيب وهو ضد الترهيب وفى نسخة ويترغب (من ذلك) أى مما ذكر من المواضع وكان الاظهر ان يقول منها (في تشهد الصلاة كما قدمناه) أى من الادلة واقوال الائمة (وذلك) أى محلها (بعد التشهد) أى الاخيرة على ما عندنا (وقبل الدعاء) أى قبل الدعاء لحديث ثم ليتخير من الدعاء ما شاء (حدثنا أبو على القاضى) أى ابن سكرة (رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال ثنا) أى حدثنا (الامام أبو القاسم البلخى ثنا الفارسى) بكسر الراء (عن أبي القاسم الخزاعى) بضم أوله (عن الهيثم) بفتح الهاء وسكون التحتية وفتح المثلثة وهو ابن كليب وفى نسخة صحيحة عن أبي سعيد الهيثم بن كليب وعلى ابن سعيد ضبة وكنية الهيثم أبو سعيد فلعله اراد بالضبة ان الكنية ليست في الاصل والله أعلم (عن أبي عيسى الحافظ) أى الترمذى صاحب الجامع

(ثنا محمود بن غيلان) مروزي حافظ يروى عن ابن عيينة وغيره وعنه أصحاب الكتب الستة سوى أبي داود (ثنا عبد الله بن يزيد) وفى نسخة زيد والصواب الاول وهو ابن عبد الرحمن (المقرئ) اسم فاعل من الاقراء وهو تعليم القراءة بتجويد الاداء وهو القصير مولى آل عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرى نزل مكة روى عن أبى حنيفة وموسى بن على بن رباح بالموحدة وحرملة وحيوة بن شريح وغيرهم وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المدينى وخلق كثير وثقه النسائى وغيره توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا حيوة) وفى نسخة عن حيوة (ابن شريح) وحيوة بفتح حاء وسكون ياء وشريح بالتصغير (حدثنى) وفى نسخة حدثنا (أبو هانئ) بكسر نون فهمز (الخولانى) بفتح الخاء (ان عمرو بن مالك) وفى نسخة عمر والصواب بالواو (الجنبى) بفتح الجيم وسكون فوحدة فياء نسبة الى جنب بطن من مذحج البصرى وثقه ابن معين توفى سنة اثنتين وثلاثمائة أخرج له أصحاب السنن الاربعة (أخبره انه سمع فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) وفى نسخة ابن عبيد الله والصواب الاول وهو انصارى أوسى شهد أحدا والحديبية وولى قضاء دمشق لمعاوية (يقول سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته) أى فى آخرها (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبل الدعاء بها (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا) بكسر الجيم مخففة أى استعجل فى دعائه لنفسه قبل ثنائه على ربه الذى هو وسيلة لقبوله وفى نسخة عجل بتشديد الجيم المفتوحة أى عجل أمر الدعاء على الصلاة (ثم دعاه) أى طلبه (فقال له ولغيره) أى فخاطبه خطابا عاما

غير مختص به (اذا صلى أحدكم) أى وقعد فى التشهد الاخير (فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه) أى بقوله التحيات لله الخ (ثم ليصل على النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم أى كما مر (ثم ليدع بعد) أى بعد الصلاة عليه (بما شاء) أى بما احتاج اليه أى بما لا يسأل من الناس والحديث أخرجه الترمذى فى الدعوات وقال صحيح وأخرجه أبو داود ونحوه فى الصلاة وكذا النسائى (ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله) أى بتعظيمه وهو بتقديم الميم على الجيم بدل بتحميده بتقديم الحاء على الميم ومعناهما متقاربان (وهو) أى اللفظ الثانى أو سنده (أصح) أى مما قبله عند المصنف وفيه بحث اذ روى الاول أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم ثم دلالة فى الحديث على وجوب الصلاة كما توهمه الدلجى لان هذا أمر شفقة ونصيحة فى مراعاة السنة بدليل امره بالدعاء المجمع على انه للاستحباب بل فيه دليل على عدم الوجوب حيث انه لم يأمره باعادة الصلاة

صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم قال (حدثنا محمود بن غيلان) أبو احمد الحافظ المروزى أخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى) وفى نسخة زيد بدون ياء والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصرى نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن أبى حنيفة وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن حيوة بن شريح) تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس فى الاعلام وقياسه حية قال (حدثنى أبو هانئ الخولانى) اسمه حميد بن هانئ وهانئ بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ياء وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفى سنة اثنين واربعين ومائتين (ان عمر بن مالك الجنبى) وفى نسخة عمر وبواو وهى الصواب وهو أبو على الجنبى بفتح الجيم ثم نون ساكنة وباء موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصرى ثقة وذكره فى الميزان توفى سنة اثنين أو ثلاث ومائة (أخبره انه سمع فضالة) بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة ولام وهاء تأنيث (ابن عبيد) بالتصغير بن فاقد بن قيس الانصارى الاوسى أبو محمد الصحابى ولى قضاء دمشق وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وأخرج له أحمد وغيره (يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته) بعد التشهد فى الجلسة الاخيرة (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد تشهده (فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا) بفتح العين وكسر الجيم أى اسرع بدعاءه وأتى به فى غير محله قبل ان يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الدعاء معلق حتى يصلى عليه كما يأتى فان من سأل حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة توصل لقضاء حاجة (ثم دعاه) أى طلب ذلك الرجل وقربه اليه (فقال له أو لغيره) أو وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفى نسخة ولغيره بالواو (اذا صلى أحدكم فليبدأ) بالهمز أى يقدم على دعاءه ليقبل (بتحميد الله والثناء عليه) عطف تفسير لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثناء لا خصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفى كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل فى محله (ثم ليصل على ثم ليدع) بلام مكسورة أو ساكنة للامر (بعد بما شاء) من الخير والدعاء بالمأثور افضل (ويروى من غير هذا السند) الذى رواه المصنف عن الترمذى ورواه أبو داود (بتمجيد الله) بميم وجيم ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجة بسند آخر (وهو اصح) رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما يتم استدلال المصنف رحمه الله به ان كان فى الصلاة وقد استدل به الشافعى على وجوبها فيها كما مر وقد نوزع فيه فانه ورد من طريق آخر تقدمت

وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة) أي المكتوبة والنافلة (معلق) أي كل منهما (بين السماء والارض لا يصعد) بفتح أوله وضمه أي لا يطلع ولا يرفع (الى الله) أي محل قبوله أو مكان عرشه (منه) أي مما ذكر من الدعاء والصلاة (شئ) أي منهما (حتى يصلي) أي الداعي وفي نسخة بصيغة المجهول في صلاته (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل دعائه رواه الترمذي الا انه في الحصن الحصين بلفظ حتى يصل على نبيك وفيه تنبيه نبيه على أن منشأ الحكم المذكور هو وصف النبوة ونعت الوسيلة (وعن علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم بمعناه) رواه أبو الشيخ في الثواب عنه (وقال) أي علي في رواية زيادة (وعلى آل محمد) ولفظ البيهقي في شعب الايمان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته وفي رواية وآل محمد وهذا معنى قوله (وروى ان الدعاء محجوب) أي ممنوع عن كمال حصوله وجمال وصوله (حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي الاقتصار عليه مرة وضم آله اخرى اشعار بان ذكر أهل بيته انما هو لبيان الأحرى ثم أعلم ان حديث علي رواه الطبراني في الاوسط موقوفا وروى الحسن بن عرفة عن علي مرفوعا وسنده ضعيف والصحيح وقفه لكن قال المحققون من علماء الحديث ان مثل هذا لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع حكما (وعن ابن مسعود) كما روى عبد الرازق والطبراني بسند صحيح عنه (اذا اراد احد كم أن يسأل الله شيا)

قريبا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذا دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال صلى الله تعالى عليه وسلم له عجلت أيها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه * اقول قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصله انه ليس نصا فيما ذكرت لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد وقد ورد التصريح به في رواية أخرى فاندفع الايراد (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كما رواه الترمذي (قال الدعاء والصلاة) عطف تفسير والمراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان هذا اللفظ أي الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو المشهور (معلق) كل منهما أي موقوف قبوله فهو استعارة أو حقيقية لان الملائكة لا تصعد به (بين السماء والارض لا يصعد الى الله منه شئ) لعدم رضاه برفعه اليه (حتى يصلي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم) لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السماء اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذي هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولا مانع منه (وعن علي) ابن أبي طالب رواه عن البيهقي وابن عساكر وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) أي بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال وعلى آل محمد) فلا بد من الصلاة على الآل مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام عليه (وروى) رواه عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح (عن ابن مسعود ان الدعاء محجوب) عن السماء فلا تفتح له ويلزمه انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول (حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلاة اذا القبول ليس من شرائط الصحة ومن اعاده فقد تبرع بما لا يملكه ولا يقبل ولو عد المصنف هذا وطنا مستقلا كان أولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل الدعاء أيضا (وعن ابن مسعود) في حديث صحيح مسند (اذا اراد احدكم أن يسأل الله شيأ فليبدأ بمدحه والثناء عليه) كما أرشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل لك ان أحدا أحيى ميتا بقراءة الفاتحة فلا تنكره وليقرأها ملاحظا الثناء عليه وحمده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والأخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض أموره اليه لقوله اياك نستعين ثم يسأله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعاء (بما هو أهله) أي بما يستحقه ويليق به (ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليستشفع باقرب مخلوقاته وأحبهم اليه فانه الوسيلة العظمى (فانه) أي دعاءه بهذه الكيفية (اجدر) أي أحق وأليق (ان ينجح)

أي في الصلاة وغيرها (فليبدأ بمدحه) وفي نسخة بحمده (والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي) أي هو (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ويمكن ان يكون يصلي مجزوما وبقاء الياء على لغة نحو قوله تعالى انه من يتقي ويصبر على رواية قنبل عن ابن كثير وهو الملائم لما قبله وما بعده من قوله (ثم ليسأل) أي مطلوبه (فانه اجدر) أي أحق وأليق حينئذ (ان ينجح) بضم الياء وكسر الجيم أو بفتحهما من نجح ينجح وانجح اذا اصاب طلبته وتيسرت حاجته ونجحت وانجحت وأنجحه الله وفي الحديث دليل على استجاب الصلاة حيث علل بقوله فانه اجدر ان ينجح فتأمل فتدبر

(وعن جابر) في رواية البزار وأبي يعلى والبيهقي في شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني) أي مؤخرا مع كوني مقدما (كقدح الراكب) أي حيث يعلقه من ورائه ويلتفت اليه عند حاجته قال الهروي معناه لا تؤخروني في الذكر كتأخير الراكب تعليق قدحه في آخر رحله بعد فراغه من التعبية ويجعله خلفه قال حسان * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد * انتهى ونحوه لابن الاثير وقد أخذه منه أو التقدير لا تجعلوني مثل ماء قدح الراكب في الالتفات اليه عند الحاجة وتركه عند حال السعة قيل وما قدحه يارسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه) أي في رحله (ويرفع متاعه) أي على مركوبه أو يضع القدح

حيث وقع ويرفع متاعه حيث ارتفع (فان احتاج الى شراب) أي شربه (شربه أو الوضوء) أي أو احتاج اليه (توضأ والا) أي وان لم يحتج الى شربه ولا الى وضوئه (هراقه) أي صبه وفي نسخة اهراقه بسكون الهاء وقيل بفتحها والهاء في هراق بدل من همزة اراق يقال الماء يريقه وهراقه يهريقه هراقة ويقال فيه أهرقت الماء اهريقه اهراقا فتجمع بين البدل والمبدل قال الحجازي ولا تفتح الهاء مع الهمزة (ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره) أي اذكروني بالصلاة على في هذه المواطن خصوصا فانكم لن تستغنوا عني عموما (وقال ابن عطاء للدعاء أركان) أي يقوم بها كالاخلاص (وأجنحة) أي يطير بها ويصعد

بسببها ولا بد من وجودها كأكل الحلال (وأسباب) أي أحوال للاجابة كحالة السجود والقراءة (وأوقات) أي أزمنة خاصة لها كالسحر وساعة الجمعة وقد بيناها كلها في شرح الحصن الحصين (فان وافق) أي الدعاء (أركانه) بان قارنها (قوى) أي باسناده اليها (وان وافق أجنحته طار في السماء) أي صعد اليها (وان وافق مواقيته) أي أزمنته وأمكنته (فاز) أي نجح اجابته وقضيت حاجته واستجيب قوله (وان وافق أسبابه أنجح) أي ظفر بطلبته (فاركانه حضور القلب) أي لمشاهدة الرب (والرقة) أي الليونة من أثر الرحمة (والاستكانة) أي الخضوع والتضرع والمذلة (والخشوع) أي الانكسار والافتقار والخشية

بضم أوله مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبراني وابن أبي الدنيا باسناد صحيح فيقدم صلاته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويختم بها ويوسطها في دعائه كما قال الخيضري ويدل له ما يأتي فكلما أكثر من صلاته عليه صلى الله عليه وسلم تحقق الاجابة

(وعن جابر) بن عبد الله فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي في شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب) قيل وما قدحه يارسول الله قال (فان الراكب) أي من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه (يملأ قدحه) وهو اناء صغير من خشب يشرب به ونحوه (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) الذي يريد حمله على راحلته (فان احتاج الى شراب) أي شرب ماء (شربه) أي شرب ماء قدحه الذي وضعه فيه (أو الوضوء) من ماء قدحه (توضأ) بالهمزة ويجوز ابدالها الفا (والا) أي وان لم يكن محتاجا للشرب أو وضوء (هراقه) بتقدير مضاف أي هراق ماءه أي صبه على الارض لاستغنائه عنه وأصل هراقه أراقه فابدلت همزته هاء وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله في كتب العربية قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخروني في الذكر اذا صليتم على في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به كما أشار اليه بقوله (ولكن اجعلوني) أي اجعلوا ذكري في الصلاة على (في أول الدعاء وأوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتأخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لراحلته يبدأ بمتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر لقدحه فيأخذ ما فيه أو يريقه وهذا كقول حسان رضي الله عنه في هجائه

فانت هجين نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله أولا ووسطا وآخرا (وقال ابن عطاء) أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل الآدمي وهو من أجل مشايخ الصوفية توفي سنة تسع وثلاثمائة (للدعاء أركان) أي أمور مهمة لا بد منها شبهت باركان البناء ومنه أركان الصلاة عند الفقهاء (وأجنحة) جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة للطائر (وأسباب) أي وسائل للوصول للمطلوب والفوز به (وأوقات) مخصوصة يكون فيها أسرع اجابة كأوقات الصلاة (فان وافق أركانه) أي قارنها وكانت تامة (قوى) أي كمل وتم كما يتقوى البناء والبدن باركانه (وان وافق أجنحته) بان كان له أجنحة كاملة (طار في السماء) أي صعد اليها وقبل كما (وان وافق مواقيته) جمع ميقات بمعنى الوقت أي ان وقع في أوقاته (فاز) أي بالاجابة وحصلها (وان وافق أسبابه أنجح) أي تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك فقال (فاركانه حضور القلب) أي توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه (والرقة) أي رقة القلب وفسرها بقوله (والاستكانة) أي الخضوع والانقياد (والخشوع) بالمذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر

(وتعلق القلب بالله) أي بنفي ماسواه (وقطعه) أي الداعي (للاسباب) وفي نسخة عن الاسباب أي اعتمادا على رب الارباب (وأجنحته الصدق) بان لا يجري على لسانه الكذب ونحوه ويكون صادقا في قوله وفعله وبارا في عهده ووعده (ومواقيته الاسحار) أي ونحوها من مواقيت الاذكار وخصت بالاسحار لانها أوقات الخلو عن الاغيار والخلوص عن الاكدار (وأسباب الصلاة) أي أنواعها بجعلها في أول الدعاء وأوسطه وآخره (على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد) أي بلا اجابة بل يستجاب البتة وقد قال الشيخ أبو سليمان الداراني اذا سألت الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

(وتعلق القلب بالله) بقطع النظر عما سواه (وقطعه الاسباب) بان لا يرجو غيره كما في الدعاء المأثور اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عما سواك (وأجنحته الصدق) بان يوقن بانه لا معطي ولا مانع غيره وفي الحديث الصدق يهدي الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية (ومواقيته الاسحار) أي أواخر الليل لانها محل الاجابة وتجلي الرحمن وقرب عباده منه وهو أقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة ونسمات الخير كما قال الله تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) وقال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) (وأسبابه) المسرعة لحصول المراد (الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم) كما تقدم وقال أسبابه والمراد أسباب اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في الصحيحين وقد اختلفوا هل الدعاء أفضل لما فيه من التذلل والافتقار أو السكوت لما فيه من التسليم والرضا فذهب الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله (وفي الحديث) لم يذكروا من رواه (الدعاء) الواقع (بين الصلاتين على) بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده (لا يرد) أي فيستجاب ذلك الدعاء فان الصلاة عليه مقبولة ومن كرم الله اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسئل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو قطع بها المؤمن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذا دعى بها مع الصلاة وبين الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل أحد وأجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهي مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لا وثوق بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الآخرة بوجه ما ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر (وفي حديث كل دعاء محجوب دون السماء) كما مر في حديث الترمذي عن عمر (فاذا جاءت الصلاة على) أي ذكرت معه (صعد الدعاء) الى السماء أي قبل واستجيب وقد أخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال الدعاء محجوب حتى يصلي على محمد وأهل بيته (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن مهد أبو راشد التابعي الصنعاني أحد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن عباس وغيرهما الا ان هذا الحديث لم يرو عنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطه (فقال في آخره) أي آخر الدعاء (واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قبل ما تدعو به وتقول أسألك (أن تصلي على محمد عبدك ورسولك) صلاة من (أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين) أي استجب وهو اسم فعله * فان قلت هل يحسن أن يقال صلى

ثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبحانه بكرمه تقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع ما بينهما (وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء) وهو مضمون حديث الترمذي عن عمر (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح مهملة ونون فشين معجمة وهو ابن عبد الله شيباني صنعاني دمشقي نزل أفريقية روى عن علي وغيره وثقه أبو زرعة وغيره توفي سنة مائة (فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تصلي) أي بان تصلي وفي نسخة فتقول اللهم اني أسألك أن تصلي (على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين) تأكيد لما قبله (آمين) بالمد ويقصر قال الحلبي هذا الحديث الذي أشار اليه القاضي ليس هو في الكتب الستة والذي لحنش عن ابن عباس حديث يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الحديث أخرجه الترمذي في الزهد وحديث آخر عن ابن ماجه انه عليه السلام قال لابن مسعود ومعك ماء قال لا نبيذ في سطيحة الحديث أخرجه ابن ماجه في الطهارة وليس له عن ابن عباس شيء في بقية الكتب ولا فيها الا هذين لحنش هذا ترجمته في الميزان وصحح عليه انتهى والحاصل ان الحديث ليس له أصل صحيح لكن الضعيف يذكر في الفضائل والمصنف امام جليل في حسن الشمائل ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم والله أعلم

على سيدنا محمد قلت نعم ويجوز اتباع المأثور فيه ولكن اختلف في أيهما الافضل رعاية الادب أو امتثال الامر فذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله (ومن مواطن الصلاة عليه) واماكنها (عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته) وتقدم القول بان ذلك واجب كلما ذكر أو سمع وذكره أعم من أن يكون في الصلاة أو عند قراءة القرآن كما ذكره الخيضري في كتاب اللواء المعلم ورواه عن السلف قوله أو كتابته أي وعند كتابة اسمه وهل يكتفي بكتابة الصلاة عليه أو الافضل ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل أن يكتبه ويتلفظ به ليحصل له الثواب الآتي في حديث من صلى على في كتاب آه على ما يأتي فيه وقال بعض الحفاظ كنت أكتب الحديث فاكتب الصلاة فقط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي اما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت عليه وسلمت (أو عند الاذان) أي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم أنه عليه السلام قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث وهل يقتصر على الصلاة ويذكر معها السلام لما ذكر ه من كراهة الاقتصار عليها مطلقا للآية السالفة كما صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها الظاهر حديث مسلم قال الخيضري وتستحب الصلاة عليه أيضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن أبي الدرداء انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا سؤله يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب أن يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه ان الذي فيه انما هو استحباب الدعاء عندها الا الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعاء عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم برغم كسأل يسأل رغما وارغمه الله أذله وهو من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذي من أنف رفعه ويقال رفع أنفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ولفظه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم أيضا وقال هو صحيح الاسناد وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى برمته (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك ابن حبيب بن سليمان بن هرون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائتين (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما ذكره لئلا يكون مما أهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي فقال في الام وتسن التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا أكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل أحبه وقال المزني انها لا تستحب ولا تكره فهي مباحة وقال الاوزاعي تختص ذلك بما اذا كان قربة كالاضحية وقال الرافعي لا يجوز أن يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب بعضهم الى ان ماذبح باسم غير الله لا يحل أكله وكذا ماذبح للكعبة أو عند قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا يستحب عند العطاس كما يأتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطاب الذي تحصل من كلام المالكية ان في الصلاة على النبي عند الذبح والعطاس قولين ويكره عند الجماع والحاجة انتهى (وكره سحنون) الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام بن عبد السلام بن سعد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلا

(ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره أو سماع اسمه أو كتابته) وفي نسخة أو كتابه (أو عند الاذان) أي الاعلام الشامل للاقامة (وقد قال عليه السلام) كما في رواية مسلم عن أبي هريرة (رغم) بكسر الغين ويفتح أي لصق بالتراب وذل (أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) وفي حديث بعثت مرغمة للمشركين وفي هذا دعاء عليه أي لحقه هوان ومذلة مجازاة بترك تعظيمي بالصلاة على حين سمع اسمي (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك القرطبي أحد الائمة ومصنف الواضحة (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) ولعل وجه الكراهة توهم اشتراك اسمه باسم الله سبحانه بان يقول بسم الله وصلى الله تعالى عليه وسلم واما ان قال بسم الله والنبي ونحوه فلا شك انه حرام ولا يحل أكل تلك الذبيحة وربما يكفر قائله والحاصل ان أصحاب أبي حنيفة كرهوا الصلاة في هذا الموطن كما ذكره صاحب المحيط وعلله بان قال لان فيها ايهام الاهلال لغير الله تعالى (وكره سحنون) بفتح فسكون فضم وهو منصرف وهو أبو سعيد عبد السلام

(الصلاة عليه عند التعجب وقال) أي في تعليله (لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب) عطف تفسير لما قبله ويؤيده ما قال بعض أئمتنا من ذكر الله عند فتح سلعته أو نشر سلعته وارادة ترويجها واجتماع الناس عليها بكفر وفي تحفة الملوك ومنحة السلوك للعيني ويحرم التسبيح والتكبير والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند عمل محرم أو عرض سلعة أو فتح متاع انتهى فاذكره الانطاكي من قوله كذلك كره أصحابنا الحنفية للسوقي أن يصلي عليه عليه السلام عند فتح بضاعته وعرضها على المشتري لانه يقصد بذلك تحسين ٤٦٢ بضاعته وترغيب المشتري في تجارته لا الاحتساب وطلب الثواب ينبغي أن يحمل على الكراهة التحريمية واذا قصد المثوبة وغيرها فتكون الكراهة تنزيهية والله أعلم (قال) وفي نسخة وقال (أصبغ) بفتح فسكون فوحدة مفتوحة فغين معجمة وهو غير مصروف وهو ابن فرج ابن سعيد بن نافع أبو عبد الله الاموي مولى عمر ابن عبد العزيز المصري الفقيه روى عن ابن وهب والدراوردي وطائفة وعنه البخاري وجماعة قال ابن معين كان أعلم خلق الله برأي مالك صدوق عالم ورع (عن ابن القاسم) وهو أبو عبد الله المصري الفقيه صاحب مالك وثقه غير واحد ورع زاهد أخرج له البخاري والنسائي ود عنه قال خرجت الى مالك اثنتي عشرة مرة أنفقت كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما) بصيغة المفعول (الا الله الذبيحة والعطاس) بضم أوله وهو العطسة (فلا تقل) بصيغة الخطاب وفي نسخة بصيغة الغيبة مجهولا (فيهما) أي في وفيه الذبيحة والعطاس (بعد ذكر الله محمد رسول الله) أي لاختصاص ذكر الله تعالى بهما ويؤيده ما رواه أبو محمد الخلال بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال موطنان لا حظ لي فيهما عند العطاس والذبح وأخرج الديلمي في مسند الفردوس له من طريق الحاكم عن أنس وهو عند البيهقي في السنن الكبرى عن الحاكم من غير ذكر الصحابي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تذكروني في ثلاثة مواطن عند العطاس وعند الذبيحة وعند التعجب (ولو قال بعد ذكر الله صلى الله تعالى) وفي نسخة وصلى الله تعالى (على محمد لم يكن تسمية) وفي نسخة تسمية (له مع الله) لانها جملة منفصلة عما قبلها

وزهدا وسماحة ولد في رمضان سنة ستين أو احدى وستين ومائة وتوفي لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وعمره ثمانون سنة كما في الميزان وسنده مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه أيضا كما سيأتي (الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عند التعجب) لرؤية أمر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه أعظم المخلوقات وأعجبها والشيء بالشيء يذكر وقال قاضيخان لو رأى شيأ جيدا فقال اللهم صل على محمد لان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرفلة

أقبل يهتز في غلالته * من ليس يشفي لعاشق عمله
فقال كل امرئ تأمله * ألف صلاة على رسول الله

وقلت في مطلع قصيدة

ظبي على الصب حين سلم * صلى على المصطفى وسلم

(وقال) سحنون (لا يصلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الا على طريق الاحتساب) أي من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبة (وطلب الثواب) لا للتعجب وغيره كما أمرنا الله به تعظيما له وأما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العيني لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووي في اذكاره عن بعض الشافعية وأقره عليه (وقال أصبغ) هو أبو عبد الله بن أصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين في قول (عن ابن القاسم) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصري امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفي سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثني عشر مرة أنفق في كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما محمد رسول الله) أي لا تقول فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله لئلا يكون الاهلال في الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة لاذى البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال أصبغ (ولو قال بعد ذكر الله) فيهما وصلى الله على محمد (ولم يكن) ذلك (تسمية له مع الله) ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلاة عليه فلا يكره وعن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته أخرج الله عز وجل من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها أخرجه الديلمي في الفردوس بسند لا بأس به وعطس رجل عند ابن عمر فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه ولذا رجح البيهقي استحباب الصلاة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال الآخرون لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكروني في ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب وروي بعد تسمية الطعام بدل التعجب أخرجه الديلمي في مسنده

(وقال له) أي وذكره أيضا (أشهب) وهو ابن عبد العزيز بن داود أبو عمر القيسي المصري الفقيه يروي عن الليث ومالك وطائفة وعنه سحنون وجماعة توفي بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وله أربع وستون سنة أخرج له أبو داود والنسائي قال ابن يونس هو أحد فقهاء مصر وذوي رأيها وقال ابن عبد البر كان فقيها حسن الرأي والنظر فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم في الرأي (قال) أي أشهب (ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أي فيما ذكر أو في كل منهما (استنانا) وفي نسخة استئنافا أي سنة واستحسانا خلافا للشافعي حيث قال لا أكره مع التسمية على الذبيحة ان يقول صلى الله تعالى عليه وسلم على محمد بل

وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضري يستحب لمن تعجب ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره شيخنا وقال أخذته من نص الشافعي رحمه الله تعالى في قوله أحب ان تكثر الصلاة عليه في كل الحالات فدخل ذلك في عمومه وفيه نظر (وقاله أشهب) أي كما قال أصبغ وأشهب هو أبو عمر لقب بمسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسي ولد سنة أربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث أو أربع ومائتين بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وسنه أربع وستون وأخرج له أصحاب السنن وهو أحد فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم (قال) اشهب (ولا ينبغي ان يجعل الصلاة فيه) أي فيما ذكر من الذبيحة والعطاس (استنانا) أي سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى في غير طريق وهو خلاف الظاهر والذي عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة أو واجب مفصل في الفروع (وروى النسائي) وأبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس بن أوس) الثقفي الصحابي ويقال أوس بن أبي اويس كما في الاستيعاب (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) وليلتها لانه أفضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور طرف من حديث أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة واكثروا من الصلاة فيه على فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء وفيه أحاديث أخر بمعناه وهذا أحد موطن الصلاة عليه (ومن مواطن) استحباب (الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخول المسجد) أي عند ارادة دخوله والخروج منه كما سيصرح به لورود الامر به في الحديث (وقال أبو اسحق بن شعبان) هو محمد القاسم المصري وقد تقدم بيانه (وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له كما مر (وان يترحم عليه وعلى آله) أي فيقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد وقد تقدم الكلام في الدعاء له بالرحمة وما فيه (ويبارك عليه وعلى آله) أي يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد أي زد البركة وأدمها لهم كما تقدم شرحه (ويسلم تسليما) أي يقول صل عليه وسلم تسليما فيأتي بالسلام مؤكدا كما ورد الامر به في الآية الكريمة وتقدم ان النووي كره افراد الصلاة عن السلام (ويقول) بعد الصلاة والسلام وفي الاذكار تقول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) وروى النسائي وابن ماجة اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم اني أسئلك من فضلك وروى أجرني من الشيطان وما في معناه وفيما ذكره النووي زيادة وسيأتي للمصنف ذكرها في آداب

أحب ذلك (وروى النسائي) وكذا أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس ابن أوس) ثقفي صحابي سكن دمشق أخرج له أصحاب السنن الاربعة وأحمد في المسند قال الحلبي وفي الصحابة من اسمه أوس خمسة وأربعون (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) ولفظه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه الصعقة فاكثروا فيه من الصلاة على فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت أي بليت قال ان الله عزوجل حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء ورواه أيضا أحمد وابن أبي عاصم والبيهقي والطبراني وابن خزيمة وصححه النووي في الاذكار وجاء في هذا الباب أحاديث كثيرة وفي بعضها تعين عدد الصلاة بثمانين وفي بعضها بمائة وفي بعضها بالالف وكذا ورد أحاديث في الصلاة عليه ليلة الجمعة (ومن مواطن الصلاة عليه والسلام) أي الجمع بينهما (دخول المسجد) أي بعد تحققه وحصوله أو قصد دخوله ووصوله (قال أبو اسحق ابن شعبان) أي المصري المالكي (وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم) أي عليه وعلى آله كما في نسخة (تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك

وإذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي من الصلاة والدعاء ويروى يقول مثل ذلك (واجعل موضع رحمتك فضلك) وهذا مأخوذ من حديث أحمد وأبي يعلى والترمذي وحسنه عن فاطمة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وأصله في حديث مسلم وليس فيه ولا في غيره وترحم وبارك ثم لا يخفى مناسبة طلب الرحمة في دخول المسجد للطاعة وملاءمة طلب

الفضل وهو الرزق عند خروجه على وجه الاباحة كما يشير اليه قوله سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس مكي امام يروي عن ابن عباس وابن عمر وجابر وعنه شعبة وسفيانان وحمادان وهو عالم حجة أخرج له الائمة الستة (في قوله) أي الله سبحانه وتعالى (فاذا دخلتم بيوتا) بضم الباء وكسرها (فسلموا على أنفسكم) أي على أهليكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال) أي ابن دينار وهو من كبار التابعين المكيين وفقهائهم (ان) وفي نسخة فان (لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته) أي لان روحه عليه السلام حاضرة في بيوت أهل الاسلام (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) أي من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين (السلام على أهل البيت) لعله أراد بهم مؤمني الجن (ورحمة الله وبركاته) وظاهر القرآن عموم البيوت لان لاسيما وسابقه بيوتكم و بيوت آبائكم الآية ويؤيده حديث أنس متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (قال ابن عباس) أي في رواية ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا المساجد) ولعله أراد انها تشمل المساجد فانها أفضل البيوت كما يشير اليه قوله سبحانه في بيوت اذن الله ان ترفع الآية فالتنوين للتنكير أو أراد ان التنوين للتعظيم فيختص بالمساجد لانها أعلى المشاهد (وقال النخعي) وهو ابراهيم بن يزيد العالم الجليل

المسجد النبوي قيل وينبغي ذكر السلام أيضا وسيأتي ما يصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة أنواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح وابوابها المناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله (واذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي يقول ماقاله بعينه (وجعل موضع رحمتك فضلك) لان من خرج من المسجد يخرج بكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال الله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وسيأتي بسط الكلام على ذلك والحديث في مسلم الا قوله وترحم وبارك (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي في سنة ست وعشرين ومائة وله ترجمة في الميزان (في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم الآية) فهذا أحد المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله وفي هذه الآية أقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد كما يأتي وفي قوله على أنفسكم وجهان أيضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها بجعله كنفسه لاتحاد جنسه وأهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عنده انه أمر بها وكونها مباركة لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبها الذلك وأطيب الانفس بها * (فائدة) * قال الامام الخيضري في اللواء المعلم روى أبو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش أو المعاش فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه أحد أو لم يكن ثم سلم علي ثم اقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى أفاض عليه خيراته (قال) أي ابن دينار (ان لم يكن في البيت أحد) يسلم عليه (فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) من الملائكة وغيرهم (السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته) كلام المصنف هنا في استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا أو تتميما لكلام المفسرين فيها أو يقال انه اذا شرع التسليم على أهل كل بيت فبيت الله وأهله أولى ولكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك كذا قيل وهو تكلف لا داعي له (قال ابن عباس) رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا) أي في هذه الآية (المساجد) لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله (وقال النخعي) بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي في سنة خمس أو ست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفي كما قيل

(اذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ولا منع من الجمع فيهما (وعن علقمة) أي ابن قيس الفقيه النبيه (اذا دخلت المسجد) أي أنا (أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) أي أجمع بين الصلاة والسلام عليه (ونحوه عن كعب) أي كعب الاحبار (اذا دخل المسجد واذا خرج) أي في الوقتين (ولم يذكر الصلاة) أي كعب بخلاف علقمة (واحتج ابن شعبان لما ذكره) أي فيما مر من انه ينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي الخ ويروى لما ذكر (بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد) لكن سبق انها لم تذكر فيه ترحما ولا مباركة وحديثها أخرجه الترمذي في الصلاة وفيه ارسال فاطمة بنت الحسين ولم يذكر فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرجه ابن

ماجه في الصلاة أيضا (ومثله) أي ومثل حديثها أو مثل حديث علقمة (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) أي الانصاري قاضي المدينة وأميرها روى عن السائب بن يزيد وغيره وعنه الاوزاعي ونحوا أخرج له الائمة الستة (وذكر) وفي نسخة فذكر (السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث) أي حديثها (آخر القسم) أي الثاني وفي نسخة في آخر هذا القسم (والاختلاف في لفظه) أي من رواية عنها (ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز وذكر) أي وروى (عن أبي امامة انها من السنة) قال الحلبي أبو امامة هذا الظاهر انه سعد بن سهل ابن حنيف بن واهب بن الحكم بن ثعلبة أبو امامة

الانصاري ولد في زمان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه عليه السلام وكناه وبرك عليه وحديثه مرسل وروى عن عمر وعنه الزهري ويحيى بن سعد وخلق فان قيل لم قلت ان أبا امامة هذا الظاهر انه سعد فالجواب أن حديثه المشار اليه هو في مستدرك الحاكم رواه من طريق يونس عن الزهري أخبرني أبو امامة بن سهل انه أخبره رجال من الصحابة في الصلاة على الجنازة انه يكبر الامام ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخلص الصلاة في التكبيرات الثلاث ثم يسلم تسليما خفيفا حتى ينصرف والسنة أن يفعل من وراءه مثل ما فعل امامه قال الزهري حدثني بذلك أبو امامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر فذكرت الذي قال لمحمد بن سويد فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا به أبو امامة على شرطهما سكت عليه الذهبي ولم يتعقبه وله حديث في سنن النسائي السنة في الصلاة على الجنازة ان يقرأ في التكبيرة الاولى

لان الاول هو المتبادر لشهرته (اذا لم يكن في المسجد أحد) ودخله رجل (فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحية من عند الله مباركة عليه (واذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهذا يقتضي استحباب السلام عليه ولم يذكر معه الصلاة عليه وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلاة عليه دخول المنزل والمسجد كما علم (وعن علقمة) بن قيس أبو شبل الفقيه كما تقدم (اذا دخلت) أنا (المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) كما تقدم من انه يسن لداخل المسجد والخارج منه ان يصلي صلى الله عليه وسلم وفي هذا زيادة السلام عليه على الصلاة وتقديمه عليها (ونحوه) مروي (عن كعب) الاحبار وقد تقدم بيانه (اذا دخل) المسجد (واذا خرج) منه (ولم يذكر الصلاة) على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة أيضا (واحتج ابن شعبان لما ذكره) فيما تقدم من استحباب أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما (بحديث فاطمة) الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك (بنت النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله) أي مثل حديث فاطمة وبمعناه روي (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة وأميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فسماه صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وأبوه عامل عليها من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه أبو سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمره أن يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل وتوفي سنة عشرين ومائة وأخرج له الستة (وذكر) أي ابن حزم (السلام والرحمة) أي الدعاء بهما (وقد ذكرنا هذا الحديث) يعني حديث فاطمة الزهراء (في آخر القسم) الثاني من هذا الكتاب (و) ذكرنا (الاختلاف في) بعض (ألفاظه) لتعدد طرقه وتغاير بعض ألفاظه (ومن مواطنها أيضا) أي الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم التي تستحب فيها (الصلاة على الجنائز) وهي عند الشافعي من أركانها بعد التكبيرة الثانية ويقرؤ بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزي الفاتحة بعد غير الاولى (وعن أبي امامة) هو أسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري ولد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فكناه وبرك عليه ولم يسمع منه وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة وأخرج له الستة (انها من السنة) فتستحب في صلاة الجنازة عنده وليست من أركانها

بأم القرآن مخافتة ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخيرة ثم اعلم أن التكبيرات عندنا أركان وأما الثناء بعد الاولى والصلاة بعد الثانية والدعاء بعد الثالثة فسنن ولو قرأ الفاتحة بنية الثناء جاز وذكر الدلجي ان الصلاة على النبي عند الشافعي من أركانها ومحلها كما جزم به في المنهاج التكبيرة الثانية لحديث النسائي ومحمد بن نصر المروزي عن أبي امامة بن سهل الصحابي لا أبي امامة الباهلي قال السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر ثم يقرأ بأم القرآن ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في التكبيرة الاولى ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن مواطن الصلاة

وذهب الشافعي في أحد قوليه انها واجبة واستدل بقول أبي امامة لان مراده بالسنة طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا في الصلاة على الآل هنا أيضا فقيل واجبة وقيل سنة وروى المزني انه يحمد الله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات وقيل ان التحميد لا يعرف هنا ويصلي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ادخال الميت قبره أيضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذي وأبو داود وهذا الحديث رواه الشافعي في الام الا ان في سنده ضعفا كما قاله الخيضري ورواه الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا وجه عند أبي حنيفة وأحمد ومالك (ومن مواطنها) مواطن الصلاة التي يستحب فيها (الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (التي عليها عمل الامة ولم تنكرها) الامة (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له (في الرسائل) جمع رسالة كعصائب وعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذي يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الاخوان كما قيل (وما يكتب بعد البسملة) أي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة البسملة سنة في الكتب المقررة في القرآن والسنة لقوله تعالى (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان للكتاب لا محل له كما ذكره المفسرون (ولم يكن هذا) أي ابتداء الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (في الصدر الاول) أي في ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة ومفسرة له (وأحدث عند ولاية بني هاشم) يعني بني العباس واختلف في أول من كتبه فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقيل هرون الرشيد وأورد عليه ان الكلاعي قال في كتاب الاكتفاء عن الواقدي بسنده ان أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كتب في ردة بني سليم الى طريقة بن حاجر عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى طريقة بن حاجر سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأسأله ان يصلي على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الى آخره فهذا يدل على ان أول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك في زمن بني أمية وفي الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة عن رده عن قوله بعد البسملة فانهم أحدثوا أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى عليه وسلم فتصديره بذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم اختلفوا في الصلاة هل تعطف أو لا على قولين فمن عطف فظاهر ومن قطعه رآه انشاء وفي عطفه على الخبر كلام طويل في كتب النحو والمعاني (فمضى عليه عمل الناس في أقطار الارض) أي استمر فصار سنة أو بدعة حسنة مستحبة (ومنهم من يختم به أيضا الكتب) أي كما بدأ به فيجعل في الاول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه

التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها) أي علماؤها (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الرسائل) أي المكاتيب والوسائل (ويكتب بعد البسملة) أو الحمدلة لا قبلهما (ولم يكن هذا) أي ابتداء الرسائل بها (في الصدر الاول) أي في زمنه عليه السلام مطلقا أو في زمن أصحابه شائعا فلا ينافي ما ذكره الدلجي من انه أول من فعله من الخلفاء أبو بكر بشهادة ما في سيره الكلاعي أن بني سليم لما ارتدوا كتب الى عامله عليهم طريقة بن حاجر بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله الى طريقة بن حاجر سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأسئله أن يصلي على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الخ وفي أذكار النووي عن حماد بن سلمة أن مكاتبة المسلمين كانت من فلان الى فلان أما بعد سلام عليك الخ وأصله كتابه عليه السلام الى هرقل عظيم الروم ثم أحدث هذه الزنادقة هذه المكاتبات المبدوءة بالطليقة أي أطال الله بقاءك (وأحدث) بصيغة المجهول أي وابتدع ابتداء الرسائل بها (عند ولاية بني هاشم) أي بني عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وأولهم السفاح (فمضى به عمل الناس في اقطار الارض) أي نواحيها (ومنهم من يختم به) أي بما ذكر من الصلاة عليه عليه السلام (أيضا) مع الابتداء به أو بدونه (الكتب) أي المكاتب

(وقال

(وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب) رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن والخطيب في شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ في الثواب وغيرهم (ومن مواطن السلام) أي بانفراده (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة) أي في أثنائه (قال) كذا في نسخة أي المصنف (حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم المقري الخطيب رحمه الله تعالى وغيره) أي من مشايخه المعروفة عنده ولا يضره قول الحلبي لا أعرفه (قال) أي أبو القاسم (حدثتني كريمة) وفي نسخة صحيحة قالوا حدثتنا (بنت محمد) وفي نسخة بنت أحمد وقد تقدمت (قالت ثنا) أي حدثنا (أبو الهيثم) أي الكشميهني (ثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا محمد بن اسماعيل) أي الامام البخاري (ثنا أبو نعيم) بالتصغير هو الفضل بن دكين الحافظ يروي عن الاعمش وطائفة وعنه البخاري وجماعة (ثنا الاعمش) وهو سليمان ابن مهران (عن شقيق بن سلمة) أي الاسدي مخضرم سمع عمر ومعاذا وقال أدركت سبع سنين من سني الجاهلية وكان من العلماء العاملين أخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن مسعود) وقد رواه أصحاب الكتب الستة وعنه (وعن النبي صلى الله عليه وسلم) عتمد الدلجي على أصله السقيم قال ظاهره على انه موقوف عليه وهو في حكم المرفوع (قال اذا صلى أحدكم) أي فرضا أو نفلا (فليقل) أي في كل قعدة من صلاته وجوبا (التحيات لله والصلوات والطيبات) أي العبادات القولية والفعلية والمالية كلها لله تعالى السلام عليك أيها النبي

(وقال عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر الله له مادام اسمي) مكتوبا (في ذلك الكتاب) أي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب حدث بعد العصر الاول هو من المغيبات التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق في معنى ذلك يحتمل ان المراد كتب الصلاة وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلماء وقال السخاوي في كتابه القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط والخطيب في شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ والمستغفري وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروى من كتب في كتابه صلى الله تعالى على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له مادام في كتابه انتهى والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبني آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاستغفار وقال الله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب في طبيعة النوع الانساني من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية يقتضي الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يفعلون الا ما يؤمرون واشفقوا عليه ورأوا ان الله لا يؤاخذه بشيء من تبعاته فاعرفه فاني لم أر من نبه عليه وذكروا في ذلك آثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني وأكرمني لصلاة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في أول الرسالة وهي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه في الاولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلى عليه أحد من خلقه وقد روى هذا من طرق بألفاظ مختلفة (ومن مواطن السلام عليه صلى الله عليه وسلم) أي الاماكن التي يستحب فيها السلام عليه (تشهد الصلاة) الذي يذكر في آخرها وأطلقه ليشمل الاول والثاني كما مر وأورد في ذلك حديثا رواه البخاري وهو (حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم المقري الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد) وتقدمت ترجمتها (قالت حدثنا أبو الهيثم) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري كما تقدم قال (حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين عمرو بن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين أخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا الاعمش) سليمان بن مهران وقد تقدم (عن شقيق بن سلمة) الاسدي المخضرم توفي في سنة احدى وثمانين كما تقدم (عن عبد الله بن مسعود قال) أي ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع وفي نسخة (عن النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرفوع (قال اذا صلى أحدكم) صلاة ما فرضا أو نفلا (فليقل التحيات) الى آخره والتحية تفعلة من الحياة ومعناها الاحياء والابقاء والملك والبقاء وكل منها صحيح هنا أي كل تحية يحيى بها الملوك والعظماء ثابتة (لله) لا تليق بغيره (والصلوات) أي انواع الدعاء الذي يراد به الثناء وقيل الصلاة المعتادة يعني العبادة (والطيبات) أي جميع كلمات الثناء الطيب لله لا لغيره (السلام عليك أيها النبي) حكاية لما علمه لهم حال حياته ثم استمروا على ذلك تعبدا وعن ابن مسعود كنا نقوله وهو بين أظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبي

ورحمة الله وبركاته) قال الدلجي وانما قال عليك دون على النبي تبعا للفظه عليه السلام وقت علمهم وعدوله اليه ليخاطبوه اذا كان حيا فلما توفي ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخاري عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا ولما قبض قلنا السلام على النبي قلت ان ثبت عنه انه أراد بهذا في الصلاة فهذا مذهبه المختص به اذا جمع الاربعة على ان المصلي يقول أيها النبي وان هذا من خصوصياته عليه السلام اذ لو خاطب مصل أحدا غيره ويقول السلام عليك بطلت صلاته (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها) أي جملة السلام علينا الى آخرها (أصابت) أي السلامة أو كلمة السلام (كل عبد صالح في السماء) من الملائكة (والارض) من الانبياء والاولياء والصالح من يقول باداء حقوق الله وحقوق عباده (هذا) أي وقت اداء الصلاة أو تشهد الصلاة (أحد مواطن

التسليم عليه وسنته أول التشهد) أي بعد الثناء على الله سبحانه وقيل ان يقول أشهد

(وقد روى مالك) أي في الموطأ (عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد أن يسلم) أي ايخرج من صلاته (واستحب مالك في المبسوط) وفي نسخة في المبسوطة (انه يسلم بمثل ذلك) أي استحب فيها ان يقال مارواه ابن عمر (قبل السلام) أي من صلاته قال الدلجي وليس هذا من مشهور مذهبه (قال محمد بن سلمة أراد) أي مالك (ماجاء عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما

(ورحمة الله وبركاته) أي كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له في كل زمان (السلام علينا) معاشر الامة (وعلى عباد الله الصالحين) من جميع الامم السالفة وملائكة السماء والارض من الجن المؤمنين كما قال (فانكم اذا قلتموها) أي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ (أصابت) أي نالت رحمتها وبركتها (كل عبد) لله (صالح في السماء والارض) لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا علم ان المصلي محسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله قبل الفصل المعقود لمواطن الصلاة عليه وهو وان لم يقل بوجوبها لا ينكر كونها سنة وأجيب بانه لما ذكر الصلاة شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلاة لعلمها مما تقدم (هذا) أي التشهد في الصلاة (أحد مواطن التسليم عليه) اشارة الى ان له مواطن أخر (وسنته) أي استحبابه وفي نسخة سنيته بياء النسبة وهي أولى (أول التشهد) أي قبل ان يقول أشهد أن لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفي التشهد وفي كيفيته روايات مفصلة في كتب الفقه (وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم) سلام التحليل أي الخروج من الصلاة (واستحب مالك في المبسوط) اسم كتاب له وفي نسخة المبسوطة (أن يسلم بمثل ذلك) المذكور من السلام على النبي الى آخره (قبل السلام) من صلاته وهو فيما قيل خلاف المشهور من مذهبه (قال محمد بن مسلمة) بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام ابن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة ومائتين (أراد ماجاء) مرويا (عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما) أي قبل سلام الخروج (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) وهو خاتمة الصلاة (واستحب أهل العلم ان ينوي الانسان) المصلي اماما او مقتديا أو منفردا (حين سلامه) أي قوله السلام في صلاته (كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة) ونوع (بني آدم) ومؤمني (الجن) وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر أوغاب (قال مالك في المجموعة) قيل أراد بها المدونة (وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول) قبل أن يسلم هو (السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين علينا

السلام عليكم) أي ورحمة الله (واستحب العلماء ان ينوي الانسان) أي المصلي اماما أو مأموما أو منفردا (حين سلامه) أي من صلاته عن يمينه وفي نسخة عند سلامه (كل عبد) وفي نسخة على كل عبد (صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن) أي ممن حضره فان أصحاب أبي حنيفة على ان الامام ينوي بطرفيه من ثم من الملك والبشر وكذا المقتدي الا انه ينوي امامه أيضا في تسليمة واحدة اذا كان في أحد طرفيه وفيهما اذا كان محاذيا والمنفرد ينوي الملك فقط وذكر الدلجي ان أصحاب الشافعي على ان الامام ينوي بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه وغيره ينوي به من عن يمينه ويساره وهو الرد (وقال مالك رحمه الله في المجموعة وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

علينا وعلى عبادالله الصالحين السلام عليكم) قال الدلجى وهذا غريب ليس من مشهور مذهبه ثم اعلم ان مواطن الصلاة عليه تزيد على أربعين موضعا ولعله سبحانه وتعالى ان وفقني على جمعها اجعلها في رسالة مستقلة مع ماورد فيها من الادلة

(فصل) (في كيفية الصلاة عليه والتسليم) أى بالفاظ وردت عنه عليه الصلاة والسلام وثبتت عند العلماء الاعلام (قال) كذا في نسخة أى المصنف (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة فغين معجمة عيسى بن سهل (ثنا أبو عبدالله بن عتاب) بتشديد الفوقية (حدثنا أبو بكر بن واقد) بالقاف المكسورة (وغيره) أى من المشايخ (حدثنا أبو عيسى) المفهوم من كلام الدلجى انه الامام الترمذي وهو الظاهر عند اطلاقه وقال الحلبي هو يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى بن كثير (ووافقه الانطاكي ويؤيده قوله ثنا عبيدالله) قال الحلبي هذا

عم أبي عيسى الذي قبله وهو عبيدالله ابن يحيى الليثي (ثنا يحيي) هذا هو يحيي ابن يحيي الليثي أحد رواة الموطأ عن مالك (ثنا مالك) وهو الامام (عن عبدالله بن أبي بكر ابن حزم) وفي نسخة أبي بكر ابن عمرو بن حزم روى عنه السفيانان (عن أبيه عن عمرو بن سليم) بالتصغير (الزرقى) بضم الزاى وفتح الراء مخففة فقاف فياء نسبية أنصاري يروى عن أبي قتادة وأبي هريرة رضى الله تعالى عنهما وعنه الزهرى وطائفة (انه قال أخبرني أبو حميد) بالتصغير (الساعدى) منسوب الى بني ساعدة من الانصار خزرجي مدني له صحبة بقي الى حدود ستين (انهم) أى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك) وهو مطلق يشمل حال الصلاة وغيرها (قال قولوا) ربما يستدل به على فرضية الصلاة عليه في الصلاة لان الاصل في الامر الوجوب والاجماع على عدم وجوبها في غير الصلاة ولعل الجمهور حملوه على الاستحباب مطلقا الا انها في الصلاة آكد والله أعلم (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم) قيل الآل مقحمة وقيل المراد آل ابراهيم معه والتشبيه من باب الحاق مالم يشتهر بما اشتهر لا من الحاق الناقص بالكامل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل الخلق فالصلاة المطلوبة له من الحق محمولة على الافضل فالمعنى صل عليه صلاة مشهورة كشهرة صلاة الملائكة على ابراهيم لقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد وقد ورد في بعض طرق الحديث زيادة انك حميد مجيد

علينا وعلى عبادالله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) واعلم ان عقد الفصل الذى قبل هذا الوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد أفرد له الخيضرى كتابا مستقلا اسماه اللواء المعلم في المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أتم المصنف رحمه الله تعالى ماقصده شرع في بيان كيفيتها فقال

(فصل في كيفية) أى في بيان ألفاظ (الصلاة عليه) وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لانها من شانها ان يسأل بها عن مثله (والتسليم) عليه أى كيف يذكر السلام عليه والمراد بيان الهيئة الفاصلة اذ أصلها معلوم وبدأ بحديث رواه في الموطأ وهو قوله (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) وقد تقدم وقوله (بقراءتي عليه) هو أحد طرق الرواية قال (حدثنا القاضي أبو الاصبغ) عيسى ابن سهل صاحب كتاب الاعلام في نوازل الاحكام قال (حدثنا أبو عبدالله بن عتاب) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره) بالقاف وهو معروف قال (حدثنا أبو عيسى) هو عم يحيى بن كثير الذى تقدم بيانه قال (حدثنا عبيدالله حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي أحد رواة الموطأ عن مالك كما تقدم قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن عبدالله ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه) تقدم ترجمته (عن عمرو ابن سليم الزرقى) سليم بضم السين وفتح اللام والزرقى بضم الزاى المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف وهو الانصارى وترجمته في الميزان (قال أخبرني أبو حميد الساعدى) اسمه عبدالرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجي مدني له صحبة أخرج له الستة وأحمد في مسنده وتوفي في حدود الستين (انهم) أى الصحابة (قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك) سألوه عنه بعد ورود الامر به في الآية ان الله وملائكته الى آخره فقال صلى الله عليه وسلم (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) أزواجه أمهات المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيلة من ذرأ بمعنى خلق ترك الهمزة في الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل أولاد البنات كما ذكروه مفصلا في كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التي يعبر بها أو باى كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى مافيه فانهم لما سمعوا السلام عليه في التشهد وامروا بالصلاة سئلوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم مالا يخفى فانه أمرهم ان يطلبوا من الله ان يصلى هو عليه فكانهم قالوا لا نقدر على اداة الصلاة حق الاداء فافعل انت ما يليق به (كما صليت على آل ابراهيم) أى أزواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقررهم وفي الرواية الآتية المسلسلة اللهم صل على محمد وعلى

(وبارك) وفى رواية اللهم بارك (على محمد) أى أثبت وأدم ما منحته اليه وأنعمته عليه (وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم
انك حميد) أى محمود بذاتك وصفاتك سواء حمدت أو لم تحمد على لسان مخلوقاتك أو حامد بكلماتك على ما أظهرت من آلائك فى
مصنوعاتك فهو الحامد والمحمود سبحانه وتعالى لا تحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وأسنده اليه بنحو قوله فلله الحمد رب السموات
ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (مجيد) أى كريم كثير الاحسان عظيم كبير الامتنان
والحديث قد أخرجه القاضى من موطأ يحيى بن يحيى كما ترى وقد أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه كلهم عن مالك
به فان قيل لم عدل عن اخراجه من الكتب المذكورة فالجواب انه يقع له من الموطأ أعلى لان بينه وبين مالك فيه ستة أشخاص من غير
اجازة فى الطريق (وفى رواية مالك) أى فى الموطأ (عن أبى مسعود الانصارى رضى الله تعالى عنه) أى البدرى لنزوله بدرا وقيل
لحضوره اياه وأبو مسعود هذا هو عقبة بن عمرو وقد تقدم (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله) أى آل

محمد (كما صليت على آل
ابراهيم) وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم أيضا
من أشرف آله فتكون
الصلاة مضاعفة عليه فى
حاله واذا دخل فى الآل
يرتفع ما سبق فى التشبيه
من الاشكال والله أعلم
بالحال واعلم انه استشكل
هذا الحديث بناء على
القاعدة الاغلبية من ان
المشبه يكون أفضل من
المشبه به فقيل ان ذلك
كان قبل ان يعلم انه
أفضل من ابراهيم عليهما
السلام وقيل صدر عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم
تواضعا عند ربه أو هضما
لنفسه أو تأدبا مع جده
وقيل سأل صلاة يتخذه
بها خليلا كما اتخذ ابراهيم
خليلا وهذا لا يتم الا بما
قيل من انه أراد المشابهة فى أصل الصلاة لا قدرها كما فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وقيل التشبيه وقع فى الصلاة على الآل والكلام تم عند قوله صل على محمد وقوله وعلى آل محمد كلام مستأنف والمعنى وصل
على آل محمد كما صليت ويحكى هذا عن الشافعى لكن تكلفه لا يخفى وقيل هو على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلاة كصلاة
ابراهيم وآله فالمسؤل مقابلة الجملة بالجملة لان المختار من القول فى الآل انهم جميع الاتباع فيدخل فى آل ابراهيم خلائق لا يحصون
من الانبياء كذا ذكره الانطاكى ولا يحتاج الى تفسير الآل بالاتباع لان الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم كلهم من ذريته فانبياء بنى
اسرائيل من نسل اسحق ونبينا من نسل اسمعيل فهو صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة آله فالآله باعتبار هذا المعنى وما آله أعظم
والله أعلم (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد) أى فى جميع الاحوال (مجيد) أى كثير البر
والنوال (والسلام كما قد علمتم) بكسر لام مخففة مع فتح أوله أو مشددة مع ضم أوله أى كما عرفتم فى التشهد

فسكت

آل محمد كما صليت على ابراهيم الخ وآله فيهم أنبياء ورسل فشبه المجموع بالمجموع أو الآل بالآل فلا
يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو أفضل منه فى السؤال
المشهور وقد أجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدوانى رسالة فيه مشهورة شهرتها تغنى عن
ذكرها ويأتى الكلام عليه أيضا قريبا * فان قلت الذى فى الآية الامر بالصلاة عليه فقط من غير
تشبيه بابراهيم وآله * قلت لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه فى
الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة أهل ملته كما يقال لمن يراد
عقوبة ولده ارحم هذا الشيخ كما أشار اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا (وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم) أى أدم وكثر الخيرات
النازلة عليهم كما أدمت ذلك لابراهيم وآله (فى العالمين انك حميد مجيد) أى رحمة وبركة منتشرة فى
جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم
وفعيل فيهما بمعنى فاعل أو مفعول أى أنت فاعل الجميل وواهبه أو أنت المحمود المعظم فكل حمد
واكرام لرسلك واتباعهم عائد اليك فانه لاجلك وامتثال أمرك وهو تذييل فى موقع جليل ومما ذكرناه
علمت معنى قوله على آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق (وفى رواية مالك) فى الموطأ (عن
أبى مسعود الانصارى) الصحابى البدرى (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل
ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد) ذكره اشارة الى ان له
طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطأ لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لا فائدة فى ذكره وهو بعينه
ما قبله (والسلام) أى كيفيته ولفظه (كما قد علمتم) فى التشهد كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى سابقا
وسيأتى أيضا شرحه فى كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبنى للفاعل أو بضمها وتشديد
اللام مبنى للمجهول من العلم أو التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووى وقيل الاول
أصح ولفظ الموطأ عن أبى مسعود قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس سعد بن
عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله ان نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك

(وفي رواية كعب بن عجرة) بضم مهملة وسكون جيم وهو من أصحاب الشجرة روى عنه الشعبي وابن سيرين وغيرهما مات سنة احدى
وخمسين والحديث رواه الائمة الستة عنه مرفوعا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم) وفي نسخة على آل ابراهيم
(وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) أي مبالغ في المجد والشرف والكرم وعن علي كرم الله وجهه اما
نحن بنو هاشم فانجاد امجاد أي اشراف كرام (وعن عقبة بن عمرو) أي كما رواه مسلم وغيره عنه مرفوعا (في حديثه اللهم صل على محمد
النبي الامي) أي الذي على أصل خلقته لم يتعلم قراءة ولا كتابة بعد ولادته فيكون ظهور كمال علمه من خوارق عاداته

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما
صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم (وفي رواية كعب بن عجرة) في الترمذي بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو
أبو محمد أو أبو عبد الله أو أبو اسحق من بني سالم بن عوف أو من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي
سنة اثنتين أو احدى وخمسين وأخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه
وكيف الصلاة عليك قال قولوا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) قال الترمذي حديث كعب بن عجرة
حديث حسن صحيح وهذا الحديث أيضا رواه الشيخان عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن كعب بن
عجرة قال قلت يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل الخ
وهو متفق عليه الا ان لفظ البخاري على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الموضعين وسقط منه آل في
الموضعين ورواية المصنف رحمه الله تعالى تخالفه (وعن عقبة بن عمرو) عبد الله الانصاري الصحابي
توفي بالمدينة سنة احدى وأربعين في أيام علي أو معاوية رضي الله عنهما وكان علي كرم الله وجهه
استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين (في حديثه) الذي رواه (اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل
محمد) هم المؤمنون من أزواجه وذريته ومن يحرم عليه الصدقة من أقربائه على الراجح وفسر بجميع
أمته أيضا كما يأتي في كلام المصنف وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن حبان والدارقطني والبيهقي ومسلم
بدون لفظ النبي الامي (وفي رواية ابن سعيد الخدري) وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم (اللهم صل
على محمد عبدك ورسولك) أخرجه الحاكم بسند في بعض رجاله كلام (وذكر معناه) أي معنى الحديث
السابق من قوله كما صليت الى آخره ورواه البخاري أيضا ثم أورده من طريق آخر مسلسل فيه زيادة
والمسلسل ما وقع معه أمر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قول أو فعل ونحوه ووقع مثله قصدا من
جميع رواته تبركا بما كانه في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله (حدثنا القاضي أبو عبد الله التيمي)
تقدم بيانه (سماعا عليه) بقراءة غيره عليه (وأبو علي الحسن بن طريف النحوي) طريف بفتح الطاء
وكسر الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفاء أحد شيوخ المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكره في كتابه الا
في هذا الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة احدى وعشرين وخمسمائة وفيها توفي ابن رشد (بقراءتي عليه
قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه) يعرف به كما تقدم في ذكر الشوق اليه قال (حدثنا أبو بكر
المطوعي) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الواو المشددة بين وعين مهملة تليها ياء نسبة غلب على
المجاهد تطوعا بلا أجرة وهو محمد بن علي الغازي النيسابوري قال (حدثنا أبو عبد الله الحاكم) محمد بن

(وعلى آل محمد) قال الشافعي رحمه الله هم من حرمت عليهم الزكاة قال الدلجي ويؤيده قول الحسن بن علي انا آل محمد لا نأكل أو لا يحل لنا الصدقة والاظهر ان المراد جميع أقاربه وأهل بيته وقيل أزواجه وذريته أو جميع أمته ورجحه النووي في شرح المهذب وقيده القاضي حسين بالاتقياء منهم في حديث البخاري وربما يقال أمة الاجابة كلهم اتقياء فان أقل التقوى ترك الشرك وقد ورد كل تقي آلي نعم على قدر مراتب التقوى تحصل المشاركة في المقام الاعلى (وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه اللهم صل على محمد عبدك) أي الاكمل (ورسولك) أي الافضل فالاضافة للتعظيم والتكريم أو للعهد الخارج توهم
التعميم وفيه ايماء الى الاعتراف بالعبودية والتحدث بنعمة رسالة الربوبية (وذكر معناه) أي معنى الحديث ومبناه ويروى وذكر
بمعناه (وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف) بفتح مهملة (النحوي) أي المنسوب الى
النحو لمهارته في علمه وشهرته في فنه (بقراءتي عليه قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (أبو عبد الله بن سعدون) بفتح سين وضم دال
مهملتين ممنوع وقيل مصروف (الفقيه) أي العالم بالفقه (ثنا أبو بكر المطوعي بفتح الواو مشددة) قال ثنا أبو عبد الله الحاكم أي
النيسابوري شيخ أهل الحديث في عصره وصاحب التصانيف في دهره ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة في الربيع الاول وطلب
من صغره الحديث باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين وثلثمائة ورحل الى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جال في خراسان وما

وراءالهمز وسمع من ألفي شيخ تقريبا وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة أيضا لايخفى بطلانها على من له معرفة بها وقد وثق جماعة قد ضعفهم هو في مواضع أخر وذكر انه تبين جرحهم بالدليل توفي في صفر سنة خمس وأربعمائة (عن أبي بكر ابن أبي دارم) بكسر الراء (الحافظ) أي الشيعي التميمي محدث الكوفة سمع ابراهيم بن عبد الله بن القصار وأحمد بن موسى الحمار وغيرهما روى عنه الحاكم وتكلم فيه وأبو بكر بن مردويه وآخر وكان موصوفا بالحفظ لكن كان يترفض واتهم بالكذب توفي في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة (عن علي بن أحمد العجلي) بكسر مهملة وسكون جيم (عن حرب) بالموحدة وفي نسخة حارث بالمثلثة (ابن الحسن) وهو الطحان قال الازدي ليس حديثه بذاك قاله في الميزان قال الحلبي لكن ذكره ابن حبان في ثقاته (عن يحيى بن المساور) بضم الميم وكسر الواو قال الذهبي فيه عن جعفر الصادق قال الازدي كذاب عن (عن عمرو بن خالد) هو أبو خالد القرشي مولى بني

هاشم كوفي نزل واسط يروي عن حبيب بن ثابت وزيد بن علي وأبي جعفر الباقر وجماعة وعنه حجاج بن أرطاة واسرائيل واسمعيل ابن أبي عياش وخلق كذاب له ترجمة قبيحة في الميزان (عن زيد بن علي ابن الحسين) أي ابن علي ابن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو محمد الباقر وعبد الله وعمر وعلي وحسين روى عن أبيه وأبان بن عثمان وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه الزهري وزكريا ابن أبي زائدة وشعبة وعمرو بن خالد وخلق ذكره ابن حبان في الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة استشهد سنة اثنتين وعشرين ومائة (عن أبيه علي)

عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث في عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة وتوفي في صفر سنة خمس وأربعمائة وله ترجمة في الميزان وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه (عن أبي بكر ابن أبي دارم الحافظ) المسند السديعي الحاكم أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي محدث الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم سنة اثنتين أو ست وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان (عن علي بن أحمد العجلي) هو ممن روى عنه أبو بكر المذكور ولم يعرف (عن حرب بن الحسن) وفي نسخة ابن الحسين وهو الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات (عن يحيى بن المساور) بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب (عن عمرو بن خالد) أبو خالد القرشي مولى بني هاشم الكوفي روى عنه خلق الا أنه كذاب له قبائح مذكورة في الميزان (عن زيد بن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو محمد الباقر النسيب الامام الثقة رأى جماعة من الصحابة واستشهد رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين ومائة (عن أبيه) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه توفي سنة أربع وتسعين وهو امام ثقة جليل أخرج له الستة (عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال) علي رضي الله تعالى عنه (عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة لمقدر أي كلمات تذكر في التشهد أو صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حال ذكرها يعدها في يدي باشكالها يشير الى انه حديث مسلسل بالعد في اليد الى جبرائيل تنبيها على حفظها وان لا يترك واحدة منها (وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) أي بهذا العدد (نزلت من عند رب العزة) سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب حال يقتضي الامتناع من القهر والغلبة من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى من له العزة وهو مالكها كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله أو من يعطيها من يشاء كما قال الله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسوله (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) أي افض عليه وعلى آله رحمتك وانعامك (كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) جعله مشبها به لشهرته لا لانه أفضل وأعلى كما مر (انك حميد مجيد) أي محمود ممجد أو المستحق للثناء والشرف من أثنيت عليه وشرفته (اللهم بارك على محمد) أي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى (وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم

أبوه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين يروي عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهري وأبو الزناد وخلق قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه ثقة مأمون (عن أبيه الحسين عن أبيه علي ابن أبي طالب قال) أي علي (عدهن) أي الكلمات الآتية فالضمير مبهم مفسر بما بعده (في يدي) وفي نسخة بصيغة التثنية (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع على انه فاعل عد (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) أي الكلمات المعدودة (نزلت) بتسكين تاء التأنيث وفي نسخة نزلت بهن (من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) وفي نسخة ربنا أي يا ربنا (انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا المقدار تقدم انه صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم وترحم) بتشديد الحاء على صيغة الدعاء أي اظهر الرحمة الوافية والرأفة الكافية (على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وفيه انه يدل على جواز الدعاء للانبياء بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم (اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) تحنن تفعل من الحنين صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من أسماء الله بمعنى الرؤف المنعم (اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال السيوطي في الجامع الكبير قال الحاكم هكذا بلغناه هذا الحديث واسناده ضعيف وأخرجه الديلمي وابن منده والترمذي وقال العراقي ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن أورده الازدي في الضعفاء وقال حديثه ليس بذلك وقال ابن حجر في أماليه اعتقادي انه موضوع وفي سنده ثلاثة ضعفاء وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات تجبر وان لم يخل من الضعف ووجدت له طريقا آخر عن أنس في مسنده انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا أيضا فتعدد هذه الطرق يقتضي انه غير موضوع غاية ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد علمت ان الحديث مسلسل وتقدم ان المسلسل ما توارد رواته على حالة واحدة أو صفة في اسناده أو صيغ أدائه ومن قوله وترحم يرد قول ابن العربي ان زيادة الترحم في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة وقال الصيدلاني انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله ويأتي رده وفي الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لا أصل لها وقال ابن أبي زيد المالكي وبعض المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا في التشهد ويأتي نقله عنه في كلام المصنف مع رده وفي شرح مسلم الاختيار تركه ان لم يأت في خبر صحيح وقال السخاوي من زاده رآه من فضائل الاعمال ويكفي فيه الحديث الضعيف وقال أبو جعفر والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمة الله لا يستغني أحد عنها وذهب كثير الى انه لا يدعى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح البخاري لابن حجر انه غير مسلم لوروده في أحاديث كثيرة ففي التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس أسألك رحمة من عندك وفي الحديث عنه أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك ويا حي يا قيوم برحمتك أستغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه كغيره يدعى له بالرحمة أقول هذا كلام مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه لنفسه بالرحمة لا منع منه أصلا وأما دعاء غيره له فيما لم يؤثر فعلى الافراد مكروه وبالتبع للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي ثم ان الصاغاني نقل في العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت ترحيما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه السلام بالتشبيه قال البغوي عن مقاتل لانه أفضل الانبياء بعد نبينا ومكافأة له على دعائه لامة محمد بقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين أو للمشاركة له على دعائه لامة محمد في التأذين للحج والايمان أو أمر بذلك اجابة لدعائه بقوله اجعل لي لسان صدق في الآخرين ولانه أمر بالاقتداء وأما التشبيه له والمشبه دون المشبه به فقد أجيب عنه بانه قاله قبل أن يعلم انه أفضل منه أو لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو رتبته وقيل المشبه آل محمد وفيه تحقيقات في رسالة الجلال الدواني وفي الدر المنضود للشيخ مشايخنا ابن حجر ان التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبياء من آل ابراهيم كثيرون فاذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة التي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول ابن عساكر وابن عبد السلام ما حاصله ان الصلاة على النبي وآله شبهت بالصلاة على ابراهيم وآله فيحصل لنبينا وآله من آثار الرضوان ما يقارب الحاصلة لابراهيم وآله الذين هم معظم الانبياء ثم تقسم الجملة فلا يحصل لآله

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن) أي أظهر الحنان وهو على ما في القاموس كسحاب والرحمة الرزق والبركة والوقار والهيبة ورقة القلب والحنان كشداد من أسمائه سبحانه وتعالى ومعناه الذي يقبل على من أعرض عنه فلا يبعد أن يقال المعنى على قصد التجريد في المبنى اللهم وأقبل (على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال الحلبي هذا الحديث مسلسل وقد رويته عن غير واحد مسلسلا وقال الدلجي ما أورده المصنف هنا عن أبي عبد الله الحاكم فقد قال النميري اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطي وهو متروك لوضعه على أهل البيت وفيه حرب بن الحسين الطائي ويحيى بن المساور وهما مجهولان قلت غايته ان الحديث ضعيف وقد أجمع العلماء على انه يعمل به في فضائل الاعمال

(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي برواية أبي داود عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره) أي أعجبه (أما ان يكتال) بفتح الياء وروى بضمها أن يأخذ الاجر الاعلى (بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) بالنصب على المدح أو بتقدير يعني وفي نسخة بالجر على انه بدل من الضمير في علينا (فليقل) أي في صلاته أو في جميع حالاته (اللهم صل على محمد النبي) أي الموصوف بالرسالة (وأزواجه أمهات المؤمنين) ايماء الى قوله تعالى وأزواجه أمهاتهم (وذريته) أي أولاده وحفدته (وأهل بيته) أي أقاربه وهو تعميم بعد تخصيص مشيرا الى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (كما صليت على ابراهيم) أي بقولك رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ولهذا اختم بقوله (انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) وهو الخزرجي الحارثي المتكلم بعد ٤٧٤ الموت على الصحيح وقيل هو وأبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد وهذا تكلم في زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال ابن منده شهد بدرا والحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عنه (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا) أي الصلاة بشرائطها وأركانها وسننها (واجتهدوا في الدعاء) أي بعد التحريمة وفي الركوع والسجود وفي آخر الصلاة (ثم قولوا) أي وقولوا وعبر بثم للترقي أو للتراخي في الاخبار ولا يبعد ان يراد بالاجتهاد في الدعاء المبالغة في الثناء بالتحيات الواردة عن سيد الانبياء ثم قولوا بعد السلام المندرج في ضمن التحيات قبل السلام الصارف عن الصلاة (اللهم بارك) أي أكثر الصلاة والرحمة (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) لم

وفي الحديث دليل على انه يجوز الاكتفاء بهذا اللفظ الوارد وان كان ماسبق أفضل وأكمل فتأمل (وعن سلامة الكندي) بكسر الكاف ذكره ابن حبان في الثقاة (كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا) وفي رواية يعلم الناس (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لداخل الصلاة وخارجها وهو موقوف وقد صح سنده قال الدلجي لكن أعل وان صحح سنده بان روايته عنه مرسلة افلم يدركه انتهى وهو مردود بما ذكره ابن حبان انه روى عن علي وروى عنه نوح بن قيس الطاحي انتهى ومثل هذا لا يقال في الارسال ثم رأيت قال الشيخ ابن كثير في تفسيره روينا من طريق سعيد بن منصور وزيد بن الحباب ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس

منها ماحصل لآل ابراهيم اذ غير الانبياء لا يساويهم شيء ثم ما بقي من آثار الرضوان الشاملة لمحمد وآله على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يشعر بانه أفضل من ابراهيم انتهى واعترض بانه جاء في رواية مقابلة الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى (وعن أبي هريرة) في حديث رواه أبو داود وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) أي من أحب ان يأتي بأحسن صلاة وأعظمها أو من أراد ان ينال أجرا لا يساويه فيه غيره فالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة أو شبه الاجر بما يشترى من الحبوب والتمر وشبهه ذكره أو مثله له باكتياله له لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية والاجر لفظه وارادته في قوة المذكور ووجه الشبه انه به البقاء والمكيال بكسر الميم آلة الكيل والاوفى أفعل التفضيل من الوفاء وهو استيفاء الشيء وحيازته والمراد الترغيب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته بهذه العبارة المخصوصة (فليقل) اذا صلى عليهم (اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) ففضل هذه الصلاة لما فيها من شمول آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بما يحبه وذكر الصلاة على أبيه ابراهيم والايمان به وبغيره من الانبياء وهذا الحديث صحيح اخرجه أبو داود والطبراني وغيرهما كما علمت (وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعد موته وهذا أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وأبو نعيم والنسائي والطحاوي والبغوي (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك) هذه الجملة معمولة لسألت لتضمنه القول أو لقول مقدر (فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء) المراد به الصلاة وعبر به تفننا أو المراد الدعاء لانفسهم بما يريدون واجتهدوا بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم (ثم قولوا) بعد الصلاة عليه وعلى آله وأزواجه وذريته (اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم ما يغني عن اعادته (وعن سلامة الكندي) هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه (كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي رواية يعلم الناس ويقول قولوا وفي الدر المنضود ان ذلك جاء عن علي بسند ضعيف وله طرق أخر رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها

(اللهم داحي المدحوات) بتشديد الواو وفي رواية المدحيات بتشديد التحتية فيهما اسما مفعول من دحا يدحو ويدحى أي باسط المسوطات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها اى بسطها ومدها مد الاديم قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها والى الارض كيف سطحت وفي الآيتين رد على أهل الهيئة القائلة بغير هذه الكيفية من الكرة المخالفة للادلة النقلية بمجرد التوهمات العقلية (وبارئ المسموكات) من برأ الشئ أي خلقه بريئا من التفاوت قال تعالى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت وفي قراءة من تفوت أي نقصان و زيادة وقصور في مادة أي خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات فانها مرتفعة عن السفليات مسيرة خمسمائة عام كما ثبت في الروايات وروي بسامك المسموكات أي رافعها وما أحسن المناسبة بين الفقرتين فان معنى الاولى واضعها وخافضها كما قال تعالى والارض وضعها للانام وفي العبارة ترق في الكلام وفيه ايماء الى انه سبحانه وتعالى يرفع قوما ويضع آخرين كما تقتضيه اسماؤه الجمالية وصفاته الجلالية (اجعل شرائف صلواتك) أي خيارها وارفعها قدرا وأتمها نورا قيل للاعمش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال كان يحقرني كنت آتي مع ابراهيم النخعي فيرحب به ويقول لي اقعد ثمه أيها العبد ثم يقول

لا يرفع العبد فوق سنته * مادام فينا بارضنا شرف

ولعله كان يعمل بما روى نزل الناس على قدر منازلهم فلا يكون تحقيرا له (ونوامي بركاتك) أي الاضافة فيها وفيما قبلها من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف أي بركاتك النامية الزاكية الدائمة في الزيادة الكافية (الوافية ورأفة تحيتك) أي اجعل رأفة تنشأ من تحيتك والرأفة أشد الرحمة وفي نسخة تحننك بتاء فوقية فمهملة فنونين أي رحمتك ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا أي واجعل أشد تعطفك وترحمك (على محمد عبدك ورسولك) أي الجامع الوظيفة العبودية والقيام بحق الربوبية (الفاتح لما أغلق) بصيغة المجهول أي المبين لمشكلات الامور قال الله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم فهو فاتح لما عسر من أبواب كنوز المبرات واسباب رموز المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة واشاعة المحجة أبواب الهداية واسباب الرعاية المانعة عن الوقوع في الغواية وفي الحديث أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض وكأنه أراد ماسهله الله تعالى له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها للعباد وفي حديث آخر أوتيت مفاتيح الكلام أي مامنحه الله تعالى من البلاغة والبراعة والفصاحة والنصاحة بالوصول الى حقائق المباني ودقائق المعاني مما اغلق على غيره من الخلق أجمعين (والخاتم) بكسر التاء وفتحها (لما سبق) أي من النبيين والمرسلين وفيه تلويح الى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولا يبعد ان يراد بالفاتح الاسناد المجازي مشيرا الى انه الذي افتتح به الموجودات وابتدئ به الكائنات كما قال أول ماخلق روحي أو نوري أولانه كالعلة الغائية في ظهور المراتب الاسمائية كما ورد لولاك لما خلقت الافلاك وكما قال تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الاكمل في مقام العبادة وحالة العبودية

لم يدرك عليا (اللهم داحي المدحوات) وروي المدحيات ودحى بمعنى بسط قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أي مدها و بسطها لانها خلقت أولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضي السبع وفيه اطلاق الداحي على الله تعالى واستدل به من قال الاسماء ليست توقيفية وانه يكفي ورود مادتها كدحى (وبارئ) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال أي ميز وأبرز و (المسموكات) بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات وروي سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعد ولازم (اجعل شرائف صلواتك) أي أفضل صلواتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف وأصله ماعلا من الارض على غيره (ونوامي بركاتك) الى مازاد غير النهاية من خيراتك أي بركاتك النامية فهي من اضافة الصفة لموصوفها (ورأفة تحننك) أي لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها ابدا لانتهاء الى القرب (ورسولك) الذي ارسلته لجميع خلقك (الفاتح لما أغلق) بضم الهمزة وكسر اللام مبني لما لم يسم فاعله من أغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح هذا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لارساله بعد الفترة الجاهلية أو انه فتح الله به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادات الدنيوية والاخروية أو بين لامته ما أوحي اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك قيد اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسير دبابه أول الناس خلقا وآخرهم بعثا كما فسر به جعلتك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله عليه السلام أوتيت مفاتيح الكلام لما أوضحه ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به مافتح الله به عليه وعلى أمته من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض (والخاتم لما سبق) من النبوة

(والمعلن الحق) بالجر على الاضافة وبالنصب على المفعولية بنزع الخافض أي المظهر لامر الحق (بالحق) أي بطريق الصدق وليس المراد به ما معنى واحد حتى يصح للدلجي ان يقول وضعه موضع ضميره قصد الزادة تمكنه وتلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لا يعلن الا به نعم يمكن ان يراد بالحق اسمه تعالى فالمعنى انه مظهر للحق بمعاونة الحق ايماء الى مقام الجمع من ملاحظة فنائه وبقائه (والدامغ لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهي المرة من جاش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل على غير قياس وفي نسخة الاباطل بلا ياء وأصل الدمغ اصابة الدماغ وهو مقتل والمراد به هنا الدفع ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق اى القامع لظهورها والدافع لشرورها (كما حمل) بضم الحاء وتشديد الميم المكسورة وهو خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر من الكمال مثل حال وصفه بما حمله من اعباء الرسالة واثقال النبوة (فاضطلع) بالضاد المعجمة افتعال من الضلاعة وهي القوة ومنها الاضلاع أي فقوى على ما حمله ونهض (بامرك) أي باذنك وتيسيرك واعانتك اياه عليه وتوفيقك له أو فقام بأمورك الذى كلفته حمله (لطاعتك) أي لاجلها أو ممتثلا لها وفي نسخة صحيحة بطاعتك فالباء للسببية فتشارك اللام في معناها (مستوفزا) بكسر الفاء بعدها زاي أي منتصبا ناهضا أو قائما مستعجلا (في مرضاتك) أي اطلب ما فيه رضاك أو في تحصيل مرضاتك وزاد الدلجي في أصله بغير نكل في قدم بضم نون وسكون كاف وكسر قاف وسكون داله من نكل به اذا جعله عبرة لغيره ومنه قوله تعالى فجعلناها نكالا والمعنى بغير جبن في اقدام ولا وهن في عزم أي ولا ضعف في أمر حزم وحكم حتم وجزم وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لابي بكر متى توتر قال أول الليل وقال لعمر متى توتر قال آخر الليل فقال لابي بكر أخذت بالحزم ولعمر أخذت بالعزم ولا خير في عزم بلا حزم وأما قول المصنف (واعيا لوحيك) فهو من وعى يعي وعيا اذا حفظ وفهم ومنه قوله تعالى اذن واعية ويقال للاناء الوعاء لحفظه ما فيه من نحو الماء أي مراعيا لما أوحيته اليه وفاهما لما بينته لديه صلى الله تعالى عليه وسلم

والرسالة فانه لا نبي ولا رسول يرسل بعده ولا في عهده وعيسى اذا نزل كان على شريعته ومن أمته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من أمته أيضا ولا حاجة لتفسير ما سبق بالانبياء والرسل وجعل ما بمعنى من (والمعلن) اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو الجهر (الحق) بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع الخافض أي (بالحق) أي بالامر الحق لا بالقهر والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير أو الحق الثاني المراد به الله عز وجل فانه من اسمائه أي بمعونة الله وتأييده (والدامغ) أي الدافع والمزيل ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهي المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف القياس أو جمع مفرد مقدر أي الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا وألقى عليه صخرة رضته وألصقته تراب المذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغي وقيل الاباطيل جمع ابطولة أو ابطيلة أو ابطالة ولم يسمع (كما حمل) بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة مبنى للمجهول (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوى على حمله ونهض به لشدة تحمله عليه وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهي القوة وأصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه وجوز أن يكون للتعليل وان تكون بمعنى على والاول أولى واظهر فهو متعلق بما قبله أو خبر مبتدأ مقدر أي هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت له تحمله اثقال الرسالة واعباءها فقام بها أتم قيام أو صلى وسلم عليه لقيامه بذلك أو فعل به هذا جزاء له على ذلك (بامرك) أي قام بها بسبب أمرك امتثالا له لا لغرض آخر والمراد بامره تيسيره واعانته وقوله (بطاعتك) بدل مما قبله أو متعلق به لامره باطاعتك فامتثله وأدى ما كلفته به وفي نسخة لطاعتك باللام (مستوفزا) حال من الضمير في حمل أو اضطلع والاستيفاز الوثوب والانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال أي مسرعا مستعجلا في الاتيان بما أمرته به جادا غير متوان ومنه قولهم القيته على أوفاز أي على عجلة جمع وفز ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام وتأخر عنه جبريل وفيه خبط لا يخفى على عادته (في مرضاتك) مصدر ميمي بمعنى الرضى وفي ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما في حديث دخلت امرأة النار في هرة وفي بعض النسخ (بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم) أي لا جبن يطرء عليه في اقدامه ولا ضعف في عزيمته ويروى واهيا بالمثناة التحتية (واعيا) أي حافظا ضابطا (لوحيك) الذى أوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما لقيه من المشاق في تبليغه الرسالة ومنه اذن واعية وأصل

(حافظا العهدك) أي الذي عاهدك عليه من الايمان بالوهيتك والاقرار بوحدانيتك والاخلاص في عبوديتك والقيام بحق رسالتك وفي هذا تلويح الى قوله عليه الصلاة والسلام وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أي مقيم عليهما ومتمسك بهما مدة استطاعتي وحالتي وحالة طاقتي لعجزي عن بلوغ كنه ما أوجبته على من اطاعتي في عبادتي وطاعتي أو عن دفع ما قضيته على في سابق قضائك أي ان كنت قضيت على ان انقض العهد وقتا ما فاني أتنصل منه متعذرا اليك (ماضيا) أي جاريا ومستمرا أو مقدما (على نفاذ أمرك) بالذال المعجمة أي على امضائه ترغيبا اليك وترهيبا لما لديك (حتى أورى قبسا) من أوريت الزند اذا قدحته فاخرجت ناره والقبس بفتحتين ما اقتبس أي أخذ من النار فهو شعلة منها ومنه قوله تعالى بشهاب قبس واستعير النار هنا للنور

الوعي جعل الشيء في وعاء قال * والشر خبث ما أوعيت من زاد * وحفظه شامل للعمل به (حافظا لعهدك) أي متمسك ومداوم على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص في طاعتك وامتثال أمرك ونهيك كما قال صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت (ماضيا) أي مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهدته وأنزلته مداوما (على نفاذ أمرك) بذال معجمة من أنفذ كذا اذا أمضاه وبلغ أقصاه (حتى أورى قبسا القابس) الايراء قدح الزناد لخروج النار شررا تو قدمنه والقبس ما يتناول من الشعلة قال الله تعالى (أو آتيكم بشهاب قبس) والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يورى أي لم يزل صلى الله عليه وسلم مجاهدا قائما على الحق حتى أظهره أبلج نيرا فاهتدى بنوره من كان في ظلمات الجهالة وقوله لقابس أي لقابل وطالب نور الحق والهداية التي هي من (آلاء الله) بالمد جمع الى وفيه لغات بكسر الهمزة وبفتحها وبالتنوين فيهما والخامسة الى بكسر فسكون فتنوين ومعناها النعم الالهية والسعادة الابدية في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم (تصل باهله أسبابه) الجملة صفة قبس أي ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من أهله الذين أهلهم الله تعالى له ووفقهم لقبوله ونور بصائرهم بانواره والسبب تقدم ان معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة ووصلة (به) أي بذلك القبس الذي أوراه فرآه من رآه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم (هديت) بالبناء للفاعل والمفعول (القلوب) الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل (بعد خوضات الفتن والاثم) جمع خوضة بمعجمتين وهي المرة من الخوض وهو الدخول في الماء ويستعار للشروع والدخول في كل أمر يذم والاسم الذنب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن به المرء ويطلق على الكفر وبه فسر قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) وهو المراد هنا بعد كفرهم وارتكابهم الآثام (وانهج موضحات الاعلام) وقع في النسخ هنا اختلاف فسقط من أكثرها لفظ انهج فوضحات بفتح الضاد اسم مفعول لهديت بنزع الخافض أي الى موضحات الاعلام وهو حال من القلوب والاعلام جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وهو ضمير القلوب أي هي ظاهرة أدلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف والبيان أي صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام أو ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر ومن أثبت انهج ماض فهو بالنون من النهج بمعنى أوضح وبين وسهل وقوم كما ذكره ابن القوطية كما في بعض الشروح وفي بعضها ابهج بالباء الموحدة من البهجة أي انار واشرق وهذا ساقط من خط المصنف كما

والجملة غاية لما قبلها أي لم يزل مجاهدا في ابلاغ ما أمر به مرغبا في موافقته مرهبا من مخالفته حتى أظهر دينا بينا كالقبس نورا نيرا (لقابس) أي لطالب النور الموجب للحضور والسرور (آلاء الله) بالرفع مبتدأ أي نعمه (تصل باهله أسبابه) بالنصب أي وسائله التي قدرها وذرائعه التي قررها في اللوح المحفوظ حررها وفي أصل الدلجي لقابس آلاء الله بالاضافة أي لمبتغي سوابغ نعمه ومواهب كرمه تصل باهله أي باهل القبس يعني بالمبتغين له أسبابه بالرفع أي وسائله الموصلة اليه من العناية وتوفيق الهداية من البداية الى النهاية مما به الفوز أبدا معاشا ومعادا

(به) أي به عليه الصلاة والسلام (هدية القلوب) بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة الفاعل أي قلوب أهل السلام من بين الانام فانقادت مذعنة لقبول الاحكام (بعد خوضات الفتن والآثام) أي بعد دخول القلوب في ميدان فتن الايام وشروعها في مهاوي المعاصي والآثام (وانهج) أي عين وبين (موضحات الاعلام) وسقط في أصل الدلجي لفظ وانهج فقال موضحات متعلق بهديت والاصل الى موضحات بحذف الجار وأوصل الفعل أقول وعلى تقدير صحة تركه وانهج لا يبعد أن يقال المعنى حال كون تلك القلوب مبينات أعلام الغيوب وقال الانطاكي هو بفتح الضاد على بناء المفعول أي فاصبحت القلوب بما رزقت من الهداية به عليه الصلاة والسلام منشورات الاعلام انتهى ولا يخفى ان ما قدمنا أولى وأنسب بقوله

(وناثرات الاحكام) من نار لازما بمعنى ظهر أي واضحاتها وبيناتها وقول الحلبي ناثرات بالنون أوله ومثناة تحتية بعد الالف محمول على ماقبل الاعلال والافيقر أبالهمزة فلا اشكال (ومنيرات الاسلام) من أنار متعديا أي ومظهرات أحكامه ورافعات أعلامه (فهو) بضم الهاء واسكانها لغتان مشهورتان وقراءتان متواترتان والضمير راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك المأمون) أي حافظ دينك وعهدك الذي ائتمنته عليه وفوضت أمر بيانه اليه (وخازن علمك المخزون) أي وسائر مااستودعته من اسرار الربوبية التي تعجز عن ادراكها عامة أرباب العبودية كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار (وشهيدك) أي الشاهد عندك للانبياء والاصفياء وعلى أممهم الاشقياء (يوم الدين) أي يوم

الجزاء وفصل القضاء قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقيل المراد بالاشارة الى هؤلاء أمته من العلماء والاولياء وهم شهداء على أمم سائر الانبياء ويدل عليه قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولامنع من الجمع بين الشهادة للاصل والفرع (وبعيثك) أي مبعوثك الذي بعثته أي أرسلته (نعمة) أي للمؤمنين أي هداية ودلالة للكافرين (ورسولك بالحق) أي الى الخلق (رحمة) أي للعالمين لمن آمن في الدنيا والاخرى ولمن كفر في الدنيا الا في العقبى (اللهم افسح له) أي وسع لاجله المقام الاعلى (في عدنك) أي في جنة عدنك ودار كرامتك فعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة من عدن بالمكان اذا أقام به ولم يبرح منه سمي بها جنته العلاقة الظرفية قيل عدن اسم جنة من جملة الجنان فهو في الجنان كآدم في نوع الانسان والصحيح انه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن قال تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب وقال جنات عدن يدخلونها وقال ومساكن طيبة في جنات عدن وجنان عدن التي وعدتهم والاشتقاق أيضا يدل على انه أعم والله أعلم ويروى في عدنك ولعله بكسر العين وتخفيف الدال بمعنى وعدك أي في موضعه ومحله (واجزه) بهمزة وصل فسكون جيم فزاي مكسورة ومنه قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وهذا هو الاصل المطابق للرواية الموافق للدراية وكأنه تصحف عن الدلجي حيث لم يذكر هذا

قاله التلمساني * فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ انهج فالمعنى ظاهر لان ما له الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ماهداهم الله له من أحكام الشريعة الظاهرة ولما يظهر الاسلام ويؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التي فيها انهج بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان مآلها اظهار الظاهر والمظهر * قلت على هذه الرواية انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم واظهاره اشاعته وانتشاره الى أن يصل الى أقصى الارض فتدين له الجبابرة والملوك (وناثرات الاحكام) جمع نائرة اسم فاعل من النور والضياء من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام أحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفي القاموس نار نورا وأنار واستنار ونور وتنور وانتهى (ومنيرات الاسلام) من أنار المتعدي والاسلام بمعنى الدين أو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك) على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التي أطلعته عليها (المأمون) الذي ارتضيته لحفظ اسرارك أو خلقته حفيظا عليها كما أشار اليه بقوله (وخازن علمك المخزون) في خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى أنزلته له وأئمنته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق له الاطلاع عليه (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه للشهادة على الانبياء وأممهم أي تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم (يوم الدين) أي القيامة والجزاء بما يعلمه الله (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول أي مبعوثك ورسولك الذي بعثته وأرسلته لتبليغ أوامرك ونواهيك (نعمة) مفعول لاجله أي بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين (ورسولك) الذي أرسلته للناس كافة خاتما للنبوة والرسالة (بالحق) متعلق برسول أي أرسلته بالدين الحق الثابت في نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك وهو منصوب بمفعول له أيضا فهو رحمة في الدنيا والآخرة لمن آمن به وفي الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة في الآخرة بتخفيف عذابه أيضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ماحصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال لئلا يكون تكرارا (وأفسح له في عدنك) الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار للاقامة والخلود من عدن بمعنى أقام وهو اسم للجنة مطلقا ولها أسماء أخر ويكون اسما لجنة مخصوصة أيضا عرفها لهم والمراد بالدعاء له بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل أمر مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل ماسافر فيه النظر والافسعة الجنة معلومة قيل روى عدلك باللام أي معدلتك وجزائك له بما يليق به (واجزه

مضاعفات

الوجه الوجيه وقال يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاى من أجازه اذا أعطاه انتهى ولا يوجد فى القاموس هذا المعنى ثم قال ويجوز ان يكون بوصل وجيم مضمومة وراء اى اعطه أجره وفيه انه لا يتعدى الى مفعولين ويجوز فى مضارعه الكسر والضم ويجوز قطع همزه ممدودا مع كسر جيمه يقال آجره يأجره ويأجره جراء كآجره فيرجع الى المعنى الاول فتأمل ثم رأيت الحلبي قال فى النسخة المذكورة بفتح الهمزة ثم جيم ساكنة ثم بالزاى المكسورة والصواب بوصل الهمزة انتهى وبه تبين خطأ الانطاكى حيث قال هو بهمزة مفتوحة مقطوعة وقوله (مضاعفات الخير) أى أنواع الخير المضاعفة اضعافا كثيرة (من فضلك) اذ لا يجب عليك شئ من عندك (مهنئات) بكسر النون المشددة وفى نسخة بفتحها وهو حال من مضاعفات من هنأنى الطعام يهنأنى اذا ساغ بلا تنقيص وكل ما أتاك بلا تعب كذا ذكره الدلجي وهو توهم انه من الثلاثي المجرد وليس كذلك بل هو من باب التفعل (غير مكدرات)

مضاعفات الخير من فضلك) المعنى اعطه من انعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات الاخر وبه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وهو ظاهر الا انه اختلف فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاى معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزاء فانه ثلاثى وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاى ساكنة من الجائزة وهى العطية وقال السخاوى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاى مكسورة من الجزاء كما ضبط فى بعض نسخ الشفاء والصواب كما وجد فى بعض الاصول المعتمد بها وصل الهمزة لان فعله ثلاثى كما قال الله تعالى وجزاهم بما صبروا انتهى أقول ان صحت الرواية بما ذكره أولا فتوجيهه انه من الاجزاء بمعنى الكفاية أبدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كادم والمعنى اكفه عن سؤالك لما كلفته به من القيام بأعباء رسالتك والضعف المثل فما زاد وليس بمحصور كما حققه أهل اللغة وقوله من فضلك اشارة الى ان الثواب تفضل من الله تعالى لانه لا يجب عليه شئ خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون (مهنئات له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع مهنأة بتشديد النون والهمزة اسم مفعول من الهنء وهو السائغ وكل ما أتى من غير تنغيص وتعب وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) أى منغصات وهو حال أيضا أو صفة لمهنئات مؤكدة (من فوز) بفاء وزاى معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنؤ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (ثوابك) الثواب العطاء فى مقابلة عمل (المحلول) بحاء مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا نزل أى الكائن فى الجنة أو الذى أوصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم أى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفى رواية المضنون بدل المحلول أى الذى يضن به لنفاسته (وجزيل) اى كثير عظيم (عطائك) أى احسانك وانعامك (المعلول) أى المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى ويقابله النهل وهو الشرب مرة قال كعب * كأنه منهل بالراح معلول * فشبه عطاءه بمنهل عذب يرده العطاش كما تريد مرارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع (اللهم اعل) بقطع الهمزة (على بناء الناس) بموحدة ونون وروى بدل الناس البانين جمع بان (بناءه) بموحدة ونون أى اجعله عاليا رفيعا أى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام أو اجعل مقداره أرفع من كل مقدار

بكسر الدال المشددة وفتحها صفة لمهنئات أى غير منقصات (من فوز ثوابك) بالزاى أى من أجل الظفر بأجرك (المحلول) أى الذى يحل فيه وفسر بالمنزول وتصحف الفوز على الدلجي فقال من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة أى من سريع فضلك الذى لا بطؤ فيه (وجزيل عطائك) أى كثيره (المعلول) مأخوذ من العلل بفتحتين وهو الشرب ثانيا بعد النهل بفتحتين وهو الشرب أولا وقد وهم الدلجي حيث قال فى الاول بفتحات ثلاث وفى الثانى بثلاث فتحات والمعنى عطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد أخرى فشبه وافر عطائه بمنهل عذب يرده العطاش ومنه قول كعب بن زهير رضى الله عنه * كانه منهل بالراح معلول (اللهم اعل) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من الاعلاء وفى نسخة عل بفتح العين وتشديد اللام المكسورة أمر من التعلية أى ارفع (على بناء الناس) وفى رواية على بناء البانين جمع بان اسم فاعل من بنى يبنى بناء بالكسر (بناءه) والمعنى ارفع على عمل العاملين عمله أو على منازلهم فى الجنة منزله أو أعل بناء دينه على بناء أديان سائر الناس فيكون ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله أى ليعليه ويغلبه وفى نسخة بالمثلثة المفتوحة فى الموضعين بدل الموحدة المكسورة وقال الدلجي أو أطل على ذواتهم ذاته حتى لا يطوله أحد بشهادة قول سليمان عليه السلام من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعنى من قتل انسانا ظلما من حيث ان أصل البناء ضم شئ الى شئ وهو اجزاء خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبه بالبناء لذلك انتهى ولا يخفى ان هذا الدعاء انما يناسب فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان لا يكتنفه طويل الا طاله مع انه كان ربعة الى طول أقرب فى سائر أحواله المناسب الى التوسط فى اعتداله اللهم الا ان

يقال المراد باطالة ذاته بقاء جسده الشريف بعد مماته على ما كان عليه مدة حياته فان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد
الانبياء عليهم السلام ويلائمه قوله (وأكرم مثواه لديك) أي منزله ومأواه عندك (ونزله) بضمتين ويسكن الزاي أي أجره وثوابه
وجزاءه وهو في الاصل الطعام المهيأ للضيف (وأتم) بتشديد الميم المفتوحة وفي نسخة واتمم (له نوره) أي الذي سألك ان تجعله
في قلبه وبصره وسمعه وعن يمينه وعن شماله ليتجلى بانوار المعارف ويتجلى باسرار العوارف وفي الحديث تلميح الى قوله
تعالى ربنا اتمم لنا نورنا (وأجره) بفتح الهمزة وسكون الجيم فراء أي جزاءه الذي يوجب سروره قال الحلبي الاجر معروف وهو
منصوب معطوف على ما قبله من قوله نوره والمفهوم من قول الدلجي واجزه الجزاء الاوفى انه تصحف عليه الراء بالزاي وانه جعله
أمرا معطوفا على أكرم أو أتم وكأنه تبع الحجازي في قوله ويروى واجزه بهمزة وصل من الجزاء (من انبعاثك) مصدر من
باب الانفعال من البعث أي من بعثك اياه وفي نسخة من الافتعال والجار متعلق باكرم وهو انسب
أو باتم وهو أقرب والمعنى لاجل اقامتك اياه من قبره (له مقبول الشهادة) أي تزكية لامته اذا شهدوا للانبياء انهم قد بلغوا أممهم الرسالة بعدما جحدوا تبليغهم أي اياهم يوم القيامة ونصبه على الحال من ضميره له أو على المفعولية وكذا قوله (مرضى المقالة) أي مقبول الشفاعة (ذا منطق عدل) فصدر سمى به فوضع موضع عادل مبالغة في جعل منطقه عدلا أي ذا منطق مستقيم وذا كلام قويم ووهم الدلجي حيث قال مبالغة في جعل نفسه عدلا فانه لو أريد به هذا المعنى لنصب لامر
عدل في المبنى كما لا يخفى (وخطة فصل) أي وذا خطة فصل والخطة بضم المعجمة وتشديد المهملة الامر والحال والقصة والفصل
القطع أو الفرق أو بمعنى الفاصل أي ذا حالة رشد وهداية واستقامة والمعنى اذا ألم به خطب عظيم وأمر مشكل جسيم فصله برأي
قويم وفي حديث الحديبية لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها (وبرهان عظيم) أي وذا دليل واضح
وبيان قاطع عظيم في ميدان البيان بحيث يصير الشيء الغائب كالامر العيان (وعنه) أي وعن علي كرم الله وجهه (أيضا في الصلاة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في جملة ألفاظها الواردة عنه كرم الله وجهه (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أي فنحن
أولى بذلك (الآية) يعني يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما يعني لا سيما وقد أمرنا بذلك تصريحا بعدما أشير اليه تلويحا
فيجب علينا اداء اجابته والقيام بحق اطاعته بان نقول

أو ذاته أشرف من جميع الذوات لان الذوات بنساء الله كما ورد في الحديث وصحح في بعض النسخ ثناء
الناس وثناه بمثلثة أي اجعل مدحه والثناء عليه فوق ما يثني به الناس عليه فانهم لا يقدرون على ادائه
حق الاداء (وأكرم مثواه لديك) أي اجعل مقامه عندك كريما أي حسنا مرضيا من ثوى بالمكان
اذا أقام به (ونزله) بضم النون وسكون الزاي المعجمة ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل
والمراد به ثوابه وأجره وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم (وأتم له
نوره) أي اجعل النور الذي أودعته فيه تاما كاملا فيكون في سائر جهاته وحواسه وقلبه كما ورد في
دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي سائر جهاتي نورا
(واجزه) فيه ما تقدم من الضبط قريبا (من انبعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة أي بعثك له
بالنبوة والرسالة فقوله (له) متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل أي كافئه على ما قام به
من أمور الرسالة (مقبول الشهادة) أي شهادته في المحشر للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم
(ومرضى المقالة) أي ما يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول (ذا منطق عدل)
مصدر ميمي بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال أيضا والمراد به ما يقول بعد الشفاعة من
حمده تعالى بمحامد لا تضاهى (وخطة فصل) بتقدير مضاف أي وذا خطة وهي بضم الخاء المعجمة
وتشديد الطاء المهملة وهي الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيامة
(وبرهان عظيم) أي دليل نبوته ورسالته القوي القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب
القاموس في كتابه المسمى بالصلات والبشر في الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات
واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد وزاد أبو بكر بن أبي شيبة في روايته فيها مجهول
اللهم اجعلنا سامعين مطيعين وأولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد عليه منا
السلام (وعنه) أي عن علي كرم الله وجهه (أيضا في) كيفية (الصلاة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم) لكن قال الحافظ السخاوي انه لم يقف على أصله انه صلى الله عليه وسلم قال (ان الله
وملائكته يصلون على النبي الآية) أي وتلا الآية الآمرة بذلك الى آخرها لتقع صلاته بعدها امتثالا

(لبيك) أى أقنا مرة بعد أخرى بخدمتك ودمنا بحضرتك (اللهم) أى يا الله أمنا برحمتك واقصدنا بمنتك ونعمتك (ربى) أى يا ربى (وسعديك) أى نساعد عبادتك مساعدة بعد مساعدة فى طاعتك (صلوات الله البر) بفتح الموحدة وتشديد الراء وهو أبلغ من البار ولذا لم يرد فى أسمائه ومعناه كثير البر بعباده المؤمنين من أولى البر وفى الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة أى عليكم مشفقة كالوالدة البرة بولدها البار يعنى ان منها خلقكم وفيها معاشكم ومنها بعد الموت معاد كم وقد قيل البرار بأهله وقال تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما البحر فانه يغرق أهله ولا يفرق حزنه وسهله وقد ورد البحر من جهنم رواه الحاكم والبيهقى عن يعلى بن أمية (الرحيم) أى كثير الرحمة بالمؤمنين وكبير العناية بالمحسنين (والملائكة المقربين) أى

وصلواتهم (والنبيين) وهم اعم من المرسلين (والصديقين) أى العلماء العاملين (والشهداء والصالحين) أى القائمين بحقوق الله تعالى وبحقوق الخلق أجمعين (وما سبح لك من شئ) أى وصلوات جميع الاشياء فهذا تعميم بعد تخصيص كقوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فما موصولة معطوفة على ما قبلها ومن بيانية لها وفى نسخة بدون العاطفة فما مصدرية ومن زائدة أى صلواتهم دائمة مستمرة مدة تسبيح شئ لك أى مادام يسبحك شئ (يارب العالمين) أى مربيهم ومدبر أمورهم (على محمد بن عبد الله خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها (وسيد المرسلين) لكونهم تحت لوائه يوم الدين (وامام المتقين) أى من أرباب اليقين

لامر الله فى قوله عقبها (لبيك اللهم ربى وسعديك) أى اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد فى طاعتك وامتثال أوامرك والتثنية فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل فى كتب النحو (صلوات الله البر الرحيم) أى المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو من أسمائه تعالى ولم يسمع بار لان البر أبلغ منه وصلوات (والملائكة المقربين) كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم (والنبيين والصديقين) المبالغين فى الصدق والاخلاص من أشراف المؤمنين الصالحين (والشهداء والصالحين) لكل خير القائمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وهو من قتل مجاهدا فى سبيل الله لاعلاء كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمى به لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة أولانه حى فكأنه شاهد حاضر اولان ملائكة الرحمة تشهده أولقيامه بشهادة الحق أولشهوده ما أعدله من الكرامة حين قتل (ما سبح لك من شئ) ما مصدرية ومن زائدة وهو للتأبيد أى صلوات هؤلاء دائمة مستمرة مدة تسبيح الاشياء لك وان من شئ الا يسبح بحمده وهذا على ما رقع بدون واو وفى قوله تعالى ما سبح الى آخره وفى نسخة وما سبح فما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية أى وصلوات الله وصلوات كل شئ سبحك (يارب العالمين) أى جميع المخلوقات فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا كما حقق فى كتب التفسير (على محمد بن عبد الله) متعلق بمقدر خبر لصلوات الله (خاتم النبيين) أى آخرهم بعثة (وسيد المرسلين) أى أفضلهم وأشرفهم وأضاف خاتم للنبيين متابعة لما فى القرآن وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأما قوله لا تسمونى سيدا فأول بلا تصفونى بسيادة كسيادتكم أو هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله أيضا بمعنى المالك كما فصلناه فى غير هذا المحل (وامام المتقين) الذين يقتدون به فى العلم والعمل (ورسول رب العالمين) الى الخلق أجمعين (الشاهد) على الانبياء بأنهم بلغوا أممهم وعلى أممهم بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم تحقيقه (البشير) للمؤمنين بسعادة الدارين (الداعى اليك) أى الذى دعا الخلق الى طاعة الله تعالى وتوحيده (باذنك) أى بأمرك له بدعوتهم أو بتيسيرك وتسهيلك (السراج المنير) شبهه بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المؤمنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل كما مر (وعليه السلام) أى السلامة من كل وصمة ونقص (وعن ابن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقى فى كيفية أخرى للصلاة عليه (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك) المراد بجعلها انزالها ولذا عداه

(ورسول رب العالمين) أى الى كافة الخلق أجمعين (الشاهد) أى للانبياء (البشير) للاولياء (الداعى اليك باذنك) أى بأمرك وتيسيرك (السراج المنير) أى من أبصر بنوره ذو العماية واستبصر بظهوره ذو الغواية (وعليه السلام) أى مما يغشى غيره من الملام وسوء المقام ومن دعائه عليه الصلاة والسلام اذا دخل رمضان اللهم سلمنى من رمضان وسلمه لى وسلمنى منه أى لا يغشانى فيه ما يحول بينى وبين صومه وسلمه لى أى حذرا من ان يغم على الهلال أوله وآخره فيلتبس على صوما وفطرا وسلمنى منه أى بعصمتى فيه (وعن عبد الله بن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان (اللهم اجعل صلواتك) أى أجناسها (وبركاتك) أى أنواعها (ورحمتك) أى الخاصة

(على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أى الكثير على الامة (ورسول الرحمة) أى على الكافة (اللهم ابعثه مقاما) نصبه على الظرفية أى مقاما عظيما وهو المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون بالشفاعة الكبرى والصغرى لقوله عليه الصلاة والسلام هو المقام الذى أشفع فيه لامتى ولا يبعد ان يراد بأمته جماعته المحتاجة الى شفاعته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر

ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لاملجأ ولامنجئ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (يغبطه) بكسر الموحدة أى يتمنى مثل مقامه (فيه الاولون والآخرون) وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط أى بخبط ورقها دون قطعها والمقصود ان الغابط كالخابط ينتفع بالمغبوط والمخبوط منى غير ان يحصل هناك ضرر لاحدهما (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) أى من الانبياء من ذريته (انك حميد مجيد) وقد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه (وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد أن يشرب بالكأس الاوفى) أى بالحظ الاعلى (من حوض المصطفى) أى من بحر شرعه المرتضى فى الدنيا ومن نهر كوثره فى العقبى (فليقل) أى دائما أو كثيرا بالقلب الاصفى (اللهم صل على محمد وعلى آله) أى من يؤل اليه أمره ويعظم لديه قدره وهو يحتمل التعميم والتخصيص ويروى وعلى آل محمد (وأصحابه) أى من أدرك جمال صحبته وتشرف برؤية طلعته (وأولاده) أى الشاملة لبناته واحفاده (وأزواجه) أى زوجاته وسرياته (وذريته) ولو كان بواسطة كثيرة فى نسبته (وأهل بيته) أى المتناول لمواليه وخدمه (واصهاره) أى من بينه وبينه مصاهرة كالشيخين والختنين (وانصاره) أى من المهاجرين والانصار (واشياعه) أى اتباعه من أهل القرى والامصار

بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك) قدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها (امام الخير) أى امام الاخيار أو المقتدى به فى كل خير (ورسول الرحمة) أى الذى أرسل رحمة للعالمين وقد ورد فى حديث مسلم أنا نبى الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الانبياء وسائر الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى أقمه وفسر بعضهم البعث بالاحياء والتنكير للتعظيم (يغبطه فيه الاولون والآخرون) أى يتمنون نيل مثله من غير زوال له وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور بما رأوه فقط وهو اللائق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذى خصه الله تعالى به كأنه يقول هلا ساويته فى مقامه وفيه اعتراض خفى ولذا لما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فأشار الى انه فيه ضرر اليس كضرر تمنى الزوال فان الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم بيانه (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد ان يشرب بالكأس الاوفى) أراد به اناء فيه ما يرويه ويزيد من الوفاء وهو الكثرة وفى القاموس وفى واوفى نمى وكثر فهو وفى ووافى وهو المراد وورده الزبيدى فى لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان يزيد فى وزنه وقال أبو بكر الوافى الذى لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذى وفى بزنته انتهى (من حوض المصطفى) الذى يسقى منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر أو غيره فيه ما فيه (فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته) بضم المعجمة وقد تكسر كما نسل الانسان من ذكر وأنثى وقد يخص بالنساء والاطفال ومنه ذرارى المشركين من الذرء وهو الخلق ولكثرتها أسقط الهمزة وقيل من ذر فرق أو من الذر لانهم خلقوا أولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا أصل له فى الهمز ويدخل فيهم أولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب أبى حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن أحمد نعم أجمعوا على دخول أولاد بنات فاطمة فى ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمجد الكريم وبين الازواج والآل عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والآل عموم وخصوص مطلق (وأهل بيته واصهاره وانصاره وأشياعه) أى اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد المذكر وغيره وغلب بعد ذلك على طائفة ادعت

تفضيل

تفضيل علي كرم الله وجهه على غيره كما سيأتي بيانهم في محاله (ومحبيه) المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله (وأمته) من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة (وعلينا) يعني المتكلم ومن يختص به (معهم أجمعين يا أرحم الراحمين) وتعميمه في هذا الدعاء وتفصيله تفصيلا لما كان جزاء من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له بهذا الدعاء من جنس عمله بان يكون مشربه أوفى (وعن طاوس) هو الامام أبي عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم (عن ابن عباس انه كان يقول) اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم شفاعات ثمة بلغها النووي خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضاء لا لاخراج عصاة المؤمنين من النار كما قيل * فان قلت شفاعته مقبولة فما فائدة الدعاء له بهذا * قلت هذا أمرنا به تعبدا لننيل الثواب وان كان أمرا محققا كما في قوله (وارفع درجته العليا) ومرتبته في جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه (وآته) أي اعطه وأنعم عليه (سؤله) فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز أي مسؤله ومطلوبه وما يحبه ويبتغيه (في الآخرة والاولى) أي الدنيا سميت أولى لتقدمها على الآخرة ومطلوبه في الآخرة درجات قربه ونجاة أمته وفي الدعاء اعلاء كلمة الله ونصره ونصر أمته وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم أعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد في الحديث (كما آتيت ابراهيم وموسى) فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس في هذا ذكرها *قلت المراد بالصلاة الدعاء له وهو دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به (وعن وهيب) بالتصغير (ابن الورد) ويقال ابن أبي الورد المخزومي المكي الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته أبو عثمان روى عن عطاء مرسلا وغيره وروى عنه كثير وأخرج له مسلم وأصحاب السنن وله أحاديث ومواعظ توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وفي بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول (انه كان يقول في دعائه) له صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه) أي أجب دعاءه بما أحبه لنفسه (وأعط محمدا أفضل ما سألك له) أي لاجله (أحد من خلقك) واستجب دعاءهم له (واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤل له الى يوم القيامة) تعميم بعد تعميم (وعن ابن مسعود) رواه عن ابن ماجه والبيهقي والديلمي والدارقطني وتمام في فوائده (انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه) أي اقصدوا أحسنها وقوله (فانكم لا تدرون) انها تبلغه أم لا (لعل ذلك) الدعاء والصلاة (يعرض عليه) وتبلغه صلاتكم عليه فينبغي ان يتحرى الاحسن حتى يسره صلى الله عليه وسلم ما يبلغه منه وقيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وسيأتي وسئل ابن حجر هل الافضل والاحسن في الصلاة عليه ان يقول صلى الله على محمد أو على سيدنا محمد بصفة السيادة فاجاب بان اتباع الآثار الواردة أرجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جاء عن الصحابة والتابعين ولم يروعنهم الا في حديث ضعيف في الشفاء عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف أحد أن يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل صلاة فبر بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووي رحمه الله أفضله ما في التشهد والحاصل انه لم يرو ذكر سيدنا عن أحد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفي عليهم والخير كله في الاتباع انتهى وهذا يقرب من مسئلة أصولية وهي ان سلوك الادب أحسن أو الاتباع والامتثال ورجح الثاني وقيل انه

(ومحبيه) أي من العلماء الاخيار والصلحاء الابرار (وأمته) أي الداخل فيهم المؤمنون المذنبون (وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس) في رواية عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد واسمعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابن عباس (انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) أي العظمى وهي التي يفصل القضاء بين أهل الموقف بما يستحقون من الجزاء (وارفع درجته العليا) أي مرتبته العالية ومنزلته الغالية (وآته سؤله) أي اعطه مسؤاه (في الآخرة والاولى) أي الدنيا وسميت أولى لتقدمها على الاخرى (وعن وهيب) بالتصغير وفي نسخة وهب (ابن الورد) وهو عبد الوهاب المكي الزاهد روى عن حميد بن قيس وجماعة وعنه عبد الرزاق وطائفة ثقة حجة (انه قال يقول في دعائه اللهم اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه) أي من الخيرات (واعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك) أي من المقامات (واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤل له الى يوم القيامة) أي من الكرامات (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) أي في رواية ابن ماجه والبيهقي والديلمي والدارقطني وتمام في فوائده انه كان يقول اذا صليتم على النبي عليه الصلاة والسلام فاحسنوا الصلاة عليه) أي في المبنى والمعنى (فانكم لا تدرون) أي ما يترتب عليه من المآل (لعل ذلك) أي اذا قبل (يعرض عليه) أي يبلغ اليه

(وقولوا) أي مثلا (اللهم اجعل صلواتك) أي انواع دعواتك العامة (ورحمتك وبركاتك) أي الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أي لنفسه (وقائد الخير) أي لغيره (ورسول الرحمة) أي لجميع الامة فانه كاشف الغمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما

باركت على ابراهيم) زيد في نسخة في العالمين (انك حميد مجيد) وقد سبق ان هذه الجملة الاخيرة من أصح أنواع الصلوات مما ورد فيه الروايات (وما يؤثر) أي ما يروى (من تطويل الصلاة) وفي نسخة في تطويل الصلاة (وتكثير الثناء على أهل البيت) قال الحجازي ويروى عن أهل البيت وهو الملائم لقوله (وغيرهم) أي من اصحابه وأزواجه وأتباعه واشياعه (كثير) أي يطول ذكره ويحتاج الى مؤلف مستقل حصره (وقوله) أي وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفا أو مرفوعا (والسلام كما قد علمتم) أي بالوجهين المتقدمين (هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد على رضي الله تعالى عنه) هذا غير معروف سنده (السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله) تعميم بعد تخصيص (السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم) أي بالموت (وغيره ومن شهد) أي حضر عنده (اللهم اغفر لمحمد) وسيأتي الكلام على غفرانه عليه الصلاة والسلام (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته) أي من أزواجه وذريته (واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما) سيأتي تحقيقه (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام

هو الادب كما مر ٢ وقوله (وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك) الى قوله (انك حميد مجيد) تقدم بيانه بما يغني عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذي ذكره ابن مسعود وارشاد لما أمر به من الاحسان في الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو أحسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر (وما يؤثر) بالبناء للمجهول أي ينقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدأ خبره كثير الآتي (من تطويل الصلاة وتكثير الثناء على أهل البيت وغيرهم) من الصحابة وتفضيلهم كما مر (كثير) في الآثار المروية عن السلف حتى أفردت بتآليف من أحسنها القول البديع للسخاوي المتقدم ذكره (وقوله) في الحديث المتقدم في التشهد (والسلام كما علمتم) يعني في تشهد الصلاة في قوله السلام عليك أيها النبي الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق في رواية مالك عن ابن مسعود لما سألوه كيف نصلي عليك آخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وقوله علمتم بالبناء للمجهول وبتشديد اللام أو بالبناء للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا الكن ما بعده يقتضي الاول أعني قوله (هو ما علمهم في التشهد من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) تقدم تفسيره (وفي تشهد على) رضي الله عنه وتقدم ان التشهد روي عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا المرمن رواه عن على (السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله) قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم (السلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم قيل أخر وصفه بالرسالة اشارة الى تاخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام (السلام على محمد بن عبد الله) كرر السلام عليه باسمه ونسبه تأكيدا (السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد) أي حضر (اللهم اغفر لمحمد) سيأتي بيان الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي) بالتشديد مضاف لياء المتكلم (وما ولدا) زاده ليشمل اقرباءه المسلمين وحواشي نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا هو الذي قاله فكيف يدعو لوالديه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قميصه واضطجع في قبرها وقال جزاك الله من أم خير الانهار بته صلى الله عليه وسلم وأحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبري في الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به في الحديث وأبو طالب مات كافرا وادعاء بعض الشيعة انه أسلم لا أصل له وقد نهى عن الاستغفار للمشركين كما في الآية الكريمة انتهى وأجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه آدم وحوى ولا يخفى بعده وقيل المراد تعليم من يدعو من المؤمنين ان يقوله وهو أقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه ألفا وانما هو ولدي يعني الحسن والحسين وأولادهما ليس بشئ وكذا ان كان من كلامه صلى الله عليه وسلم أو هو بناء على اسلام أبويه على ما ارتضاه السهيلي وسيأتي بيانه (وارحمهما) فيه ما تقدم (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

٢ وقيل لعل هنا الجزم فانه ورد انها تعرض عليه وسيأتي نسخه

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وفيه اشكال حيث دعا بالمغفرة لوالديه وما ولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت أبيه وبعض اخوته كافرين قال الدلجي ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعاء بهما لوالديه الحسنين ومن ولداه انتهى والاظهر انه قال ذلك لتعلم غيره لا للدعاء لنفسه وفيه اشكال آخر وهو ما بينه المصنف بقوله (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة) بالاضافة أي الذي سنده (أيضا) ويروى في حديث الصلاة عليه والضمير له عليه الصلاة والسلام ويروى عنه أي عن علي قبل ذلك وهو المذكور في أوائل هذا الفصل (قبل) أي من طريق الحافظ أبي عبد الله الحاكم فقبل مبني على الضم وقوله (الدعاء له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (بالرحمة) خبر أي الدعاء له بالرحمة في حديث الصلاة على النبي المروي عن علي (ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة) فهل يجوز الدعاء له بهما أولا والظاهر انه يجوز اما الرحمة فظاهر فانها أحد معاني الصلاة وقد قال تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت مراد به ابراهيم عليه السلام وآله واما المغفرة فحيث وقع له عليه الصلاة والسلام طلب المغفرة لنفسه سبعين مرة وفي رواية مائة مرة امتثالا لقوله تعالى واستغفر لذنبك جاز لغيره غايته ان ذنبه المترتب عليه الغفران مأول بالغفلة عن المولى وارتكاب خلاف الاولى أو الاشتغال بالامور المباحة أو رؤية التقصير في مقام الطاعة وامثال ذلك مما يليق بشأنه وعلو مكانه فحسنات الابرار سيئات المقربين مع انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه فهو من باب التأكيد في القضية أو من قبيل التلذذ بذكر العطية نحو الدعاء بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فمعنى اغفر له وارحمه أي أدم له المغفرة الشاملة والرحمة الكاملة (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) وهو من أكابر علماء المالكية (وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به) وفي كون البركة تختص به نظر ظاهر (ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة) ويروى بالغفران نعم هذا هو الاولى ولكن لاجل النهي يحتاج الى دليل مثبت للدعوى وقد أغرب الدلجي حيث قال لافتقارهم اليهما دونه ووجه غرابته ان كل أحد محتاج الى غفران الله تعالى ورحمته وكم ورد من دعائه له عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم اغفر لي وارحمني وانما الكلام في دعاء غيره له بهما الا انه كان في مقام التواضع والادب كما يقتضي استغناء الرب ثم رأيت في شمائل الترمذي ان واحدا من الصحابة قال له عليه الصلاة والسلام غفر الله لك فقال ولك وهذا تقرير منه عليه الصلاة والسلام على جواز مثل هذا الكلام (وقد ذكر أبو محمد ابن أبي زيد) أي المالكي في رسالته زيادة الترحم (في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بقوله (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت) بتشديد الحاء وفي نسخة تراحمت (على ابراهيم وآل ابراهيم

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) تقدم بيانها (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران) وهي المغفرة وهي كما قال الراغب الباس الشيء ما يصونه فهي من الله صون عبده عن مس العذاب والدعاء بها له صلى الله تعالى عليه وسلم من أمته لا ينبغي لايهامه القصور من المدعو له كالدعاء له بالرحمة واما قول الله له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ودعاؤه لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه (وفي حديث الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عنه أيضا) أي عن علي مثله (قبل) بالبناء على الضم أي قبل هذا تقدم من طريق الحاكم (الدعاء له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالرحمة) وانما يدعى له بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم (ولم يأت في غيره) أي في غير هذا الحديث (من الاحاديث المرفوعة المعروفة) المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) الامام الجليل القدر كما تقدم (وغيره) من علماء المالكية والحديث (الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة) فهو مكروه عندهم لايهامه التقصير (وانما يدعى له بالصلاة) أي بهذا اللفظ المأمور به في القرآن (والبركة التي تختص به) يعني التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات الالهية وفيض المواهب اللدنية (ويدعى لغيره) من المؤمنين (بالرحمة والمغفرة) لانه غير معصوم ولا يخاف من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته أشد لا كالرسول المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما تأخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم من أمته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك أيضا وكذلك الصحابة ينبغي ان يقال فيهم رضي الله تعالى عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل في محله مع انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم استعمالها في حق غيره وليس كذلك (وقد ذكر) الامام (أبو محمد بن أبي زيد) في مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم (في الصلاة على النبي) صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم) ورده المصنف بقوله

ولم يأت هذا) أي الدعاء له عليه الصلاة والسلام بالمغفرة والرحمة ويروى ولم تأت هذه الرواية (في حديث صحيح) قال الدلجي اذ ما وردبزيادتهما كله ضعيف وفيه انه يعمل بالضعيف في فضائل الاعمال وانما يحتاج الى الحديث الصحيح أو الحسن في الاحكام من الاقوال واما قول النووي في شرح مسلم المختار ان الرحمة لا تذكر فسلم لانه خلاف الاولى واما ما جزم به في الاذكار بأن ذكرها بدعة ففيه بحث لانه قد ورد في بعض الطرق ولو كان ضعيفا فلا يعد بدعة لاسيما وهي لا تنافي سنة وعلى تقدير التسليم فليكن بدعة حسنة ويقويه ما ذكره المصنف بقوله (وحجته) أي دليل ابن أبي زيد الذي أخذ به استحباب طلب الرحمة (قوله) أي قول النبي عليه الصلاة والسلام حال تعليم أمته (في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) ومما يؤيده قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت وينصره ان رحمته عامة للخواص والعوام ولا يستغني أحد عن هذا الانعام العام ثم اعلم ان الرافعي ذكر في شرح الكبير عن الصيدلاني انه قال ومن الناس من يزيد وارحم محمدا كما رحمت على آل ابراهيم وربما يقولون ترحمت وهذا لم يرد في الخبر وانه غير فصيح فانه لا يقال رحمت عليه وانما يقال رحمته واما الترحم ففيه معنى التكلف فلا يحسن اطلاقه في حق الله سبحانه وتعالى انتهى ولا يخفى ان نفي الصيدلاني ورود الخبر بلفظ ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم غلط نشأ من جهله بطريق الحديث فمن حفظ حجة على من لم يحفظ فهذه الرواية في مستدرك الحاكم من رواية ابن مسعود باسناد صححه وقال في موضع آخر

بل قد ورد به خبر صحيح قال الحلبي وقد راجعت تلخيص المستدرك للذهبي فرأيت ما لفظه بعد انهائه سنده الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك

حميد مجيد انتهى وقد جاء في جملة حديث وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل براءة ابراهيم انك حميد مجيد وكذا جاء في رواية علي وابن عباس وجابر وجاء أيضا في حديث مسلسل وترحم محمدا الى آخره وقد ذكر القاضي مثل هذا فيما تقدم ومما يؤيد جواز الرحمة ما في النسائي الصغير باسناده عن عكرمة قال ظاهر رجل امرأته واصابها قبل ان يكفر فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ما حملك على ذلك فقال رحمك الله يا رسول الله رأيت خلخالها وساقها الحديث وقد جاء مرسلا ومسندا ففي تقريره عليه الصلاة والسلام دليل على جوازه ورد على من عده بدعة أو حكم عليه بالكراهة واما قوله ان الترحم فيه معنى التكلف فممنوع بل يراد به المبالغة في انزال الرحمة فاندفع به قول الغزالي انه لا يجوز ترحم وقول الرافعي انه لا يحسن ولعلهما ما بلغهما الرواية فبنيا الحكم على ظاهر الرواية والعجب من النووي انه قال واما ما قاله بعض أصحابنا وابن أبي زيد المالكي من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد فهذه بدعة لا أصل لها وكأنه غفل عما ورد وذهل عن قول الشافعي في الرسالة وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته الى ان قال محمد عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورحم وكرم انتهى فقد قال رحم في حقه فهذا رد على مقلده هذا وقد قال شمس الأئمة السرخسي وأصحابنا الحنفية لا بأس بقوله وارحم محمدا لان الاثر ورد به ولا عتب على من اتبع الاثر ولان أحدا لا يستغني عن رحمة الله تعالى

(ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته) في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة الذي منعه غيره (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روي عنه (في السلام) المروي في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فاطلاق الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما وقال الرافعي في الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما يقولون وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد في خبر صحيح وانه لا يقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفي الترحم تكلف لا يحسن اطلاقه على الله وقال الاسنوي فيه أقوال وقد أسقطها النووي من الروضة وقول الرافعي انه لا يقال رحمت عليه غير مستقيم فان الصغاني قال يقال ترحمت عليه وقال الغزالي لا يجوز ترحم بالتاء وهو مراد الرافعي بقوله انه لا يحسن وقال النووي انه بدعة وتابع ابن العربي في انكاره وتخطئة ابن أبي زيد وفي الاذكار ما قاله بعض أصحابنا وابن أبي زيد من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد بدعة لا أصل لها وقد جهل ابن العربي في شرح الترمذي قائله لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبي وقد قاله الشافعي في رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه كما قاله البرهان الحلبي في حواشيه * أقول محصل ما قالوه باسرهم انهم اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث والذي صححه أكثر الفقهاء والحفاظ ثبوته وجوازه ومنشأ الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا وذنبا حماه الله تعالى منه واعطاه

(فصل) (في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له) أي وفي فضيلتهما (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا) أي حدثنا (القاضي يونس بن مغيث) بضم فكسر (ثنا أبو بكر بن معاوية) أي ابن الاحمر الاندلسي وقد روى النسائي الكبير بعضه سماعا وبعضه اجازة (ثنا النسائي) أي صاحب الجامع (انا) بالموحدة أو النون أي أخبرنا أو انبأنا (سويد) بالتصغير (ابن نصر) بالمهملة وهو المروزي يروي عن ابن المبارك وابن عيينة وعنه الترمذي والنسائي ثقة (انا) أي اخبرنا أو انبأنا (عبد الله) أي ابن المبارك ابن واضح الحنظلي التميمي مولاهم المروزي أبو عبد الرحمن شيخ خراسان يروي عن سليمان التيمي وعاصم الاحوال والربيع بن انس وعن ابن مهدي وابن معين وأبوه تركي مولى تاجر وامه خوارزمية وقبره بهيت يزار ويتبرك به أخرج له الأئمة الستة (عن حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال أخبرني كعب بن علقمة) أي التنوخي المصري تابعي يروي عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة ذكره ابن حبان في الثقات وأخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (انه سمع عبد الرحمن ابن جبير) بالتصغير مولى نافع قرشي مصري مؤذن ثقة فقيه مقرئ توفي سنة سبع وتسعين أخرج له مسلم وغيره (انه سمع عبد الله بن عمرو) بالواو وفي نسخة بدونه والحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي أيضا عنه (يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) أي أذانه (فقولوا مثل ما يقول) أي جوابا له واختلف في الحيعلتين والاصح انه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وقيل يجمع بينهما (وصلوا علي) أي بعد اجابة المؤذن

براءة منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتأخر في عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه ذنب أمته كما تقدم فينبغي ان يقال بجوازه مقرونا بغيره غير منفرد تعبدا وطلبا للثواب والمغفور له ليس ذنبا كذنوبنا بل أمور تقتضيها الجبلة البشرية وتأباه العادة الملكية من الاشغال الدنيوية وان كانت مباحة أو لازمة لمقامه صلى الله عليه وسلم ولذا قال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وسيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى

(فصل في فضيلة الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي ثوابها وفوائدها لمن قالها (والتسليم عليه) أي قوله السلام عليك أيها النبي ونحوه (والدعاء له) المأثور نحو اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم واظهار محبته بطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل ولا الاحتياج له صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم حديثا مسندا بروايته تبركا به رواه النسائي ومسلم عن ابن عمر (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه) قالوا من روى عنه المصنف رحمه الله تعالى من مشايخه واسمه أحمد بن محمد عدة ناس منهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولاني وأحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو ابن الرضي أبو جعفر وأحمد بن محمد ابن عبد الله الشارقي والمراد الاول لانه أشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكأنه اعتمد على شهرته قال (حدثنا القاضي يونس بن مغيث) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو بكر بن معاوية) بن الاحمر الاندلسي وهو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن عبد الله بن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكر القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومائتين وسمع من النسائي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قال (حدثنا النسائي) امام الحديث صاحب السنن المشهور واسمه أحمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا من هنا الخ (سويد بن نصر) أبو الفضل المروزي المعروف بالشاه الامام الثقة روى عن ابن المبارك وغيره وأخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة أربعين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله عن حياة بن شريح) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وأبوه تركي تاجر وأمه خوارزمية ولد سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وقبره بهيت يزار وأخرج له الستة كما تقدم وحياة بن شريح تقدمت ترجمته وما فيه (قال أخبرني كعب بن علقمة) بن كعب بن عدي التنوخي المصري التابعي الثقة توفي سنة ثلاثين ومائة وأخرج له أصحاب السنن وفي بعض النسخ كعب عن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث (انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع) الامام الجليل الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة سبع وتسعين (انه سمع عبد الله بن عمر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنهما (يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) وهو يؤذن للصلاة أو غيرها مما يشرع (فقولوا مثل ما يقول) من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا وهو سنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه (وصلوا علي) وفي مسلم ثم صلوا علي والمعنى واحد وقد علمت ان هذا أحد المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه كما تقدم وانه يقرن فيه الصلاة

(فانه) أى الشان (من صلى على مرة) أى واحدة كما فى نسخة (صلى الله عليه عشرا) أى لوعده سبحانه وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل مراتب أضعاف أعمالها وهو لا ينافى ماورد فى مسند أحمد بسند حسن موقوفا على عبد الله بن عمرو وهو مرفوع اذ لا مجال للاجتهاد فيه من صلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة صلى الله تعالى عليه بها سبعين مرة نعم لا يبعد ان هذا المضاعفة تكون بخصوص يوم الجمعة اذورد ان الاعمال كلها فيه بسبعين ضعفا وهو يؤيد ماورد انه اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كان حجه بسبعين حجة (ثم سلوا) أى الله تعالى كما فى نسخة (لى الوسيلة) وهى المرتبة الجليلة (فانها منزلة) أى درجة جليلة (فى الجنة لا تنبغى) أى لا تليق أولا تحصل (الا لعبد) أى عظيم (من عباد الله) أى الصالحين (وأرجو ان أكون أنا هو) أى ذلك العبد فقوله هو خبر كان ووضع موضع اياه وانا تأكيد لاسمها أو مبتدأ خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة أى ان أكون انا ذلك العبد كما أشرنا اليه (فمن سأل لى الوسيلة) أى وهى نهاية مراتب الفضيلة (حلت عليه الشفاعة) ويروى شفاعتى أى غشيته ونزلت به وفى نسخة حلت له الشفاعة أى ثبتت وفى رواية وجبت له شفاعتى أى حقت (وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه) كما فى شعب الايمان (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) أى واحدة (صلى الله عليه عشر صلوات) أى قياما بشكر عبده (وحط) أى وضع (عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفى رواية) أى لابى يعلى رواها

بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج لتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها فى التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونا بالسلام فى مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطنى فى الدعاء مرفوعا وكذا فى غيره وانما حذف فى بعض المواضع اختصارا وكذا يستحب الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاقامة كما ذكره الخيضرى فيما تقدم (فانه من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا) فان الحسنة بعشرة أمثالها وكون الله عز وجل يصلى عليه فيه من الرحمة له واعلاء قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى أنه يقوله من غير تأخر لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه فى الحيعلتين وهو قول فيه وفى قول معتمد أنه يقول عندهما الاحول ولاقوة الا بالله أى لا قدرة للعبد على طاعته التى دعى اليها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا وأطعنا ويسن أنه لا يرفع المجيب صوته فى الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه (ثم سلوا الله لى الوسيلة) بان يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتى يوم القيامة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت فى الحديث بقوله (فانها منزلة فى الجنة) من أعلى منازلها وقد يرد هذا لمعناها اللغوى فانها تقرب به الى الله (لا تنبغى لاحد من عباد الله الا لعبد) أى لا تليق بكل أحد فانها أعلى المنازل فلا تليق الا باقرب البشر وقد فسرت الوسيلة أيضا بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى أيضا (وأرجو أن أكون أنا هو) عبر بالرجاء وان كان الله تعالى أعطاه ذلك لوعده من لا يخلف الميعاد تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا الامر فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجاء دائما لا سيما فى أمور الآخرة وانا تأكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدأ وخبر والجملة خبر أكون وما قيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة أى ان أكون ذلك العبد كما فى قول رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

لا وجه له فان مثله انما ذكروه فى وضع الضمير المفرد موضع غيره لا فى وضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة (فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) أى استحقت ووجبت له بفضل الله تعالى عز وجل من حل بمعنى نزل وفى البخارى حلت له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خلصته شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم من العذاب والا شفع له باعلاء درجته أو بادخاله الجنة من غير حساب وفى شرح مسلم للمصنف ان هذا مختص بمن قال مخلصا قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضى ولو أخرج الغافل كان أشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفيه الحث على الدعاء فى أوقات الصلاة لانه محل الاجابة كما قالوه (وروى انس بن مالك) كما فى شعب الايمان للبيهقى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) واحدة فى وقت ما (صلى الله عليه عشر صلوات) أى رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جاء بحسنة له عشر أمثالها (وحط عنه عشر خطيئات) ان كان ارتكب خطيئة (ورفع له عشر درجات) باعلاء مقاماته فى جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله (وفى رواية) أخرى

رواها أبو يعلى (وكتب له عشر حسنات) فان الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوكله للملائكة الكتبة فيدل على انها أعظم من سائر الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمة رحمة خاصة به فهي على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل (وعن أنس) بن مالك أنه روى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده أنه قال (ان جبريل) عليه الصلاة والسلام (ناداني) أي قال لي ويحتمل انه رآه في الافق فناداه بصوت عال قال فيه له من صلى الى آخره ويؤيد الاول قوله في بعض النسخ (فقال من صلى عليك صلاة) باخلاص يقصد بها تعظيمك كما مر (صلى الله تعالى عليه عشرا ورفعه عشر درجات) فوق مقامه الذي يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في أحاديث كثيرة مسندة صحيحة وفي بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفي الاكثر (وفي رواية عبد الرحمن بن عوف) التي رواها الحاكم والبيهقي وصححها (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقيت جبريل فقال لي أبشرك) أي أخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر في وجهك وبشرتك وهو أصل معناه (ان الله) أي بان الله (يقول من سلم عليك) أي قال السلام عليك أيها النبي داعيا لك بالسلامة من كل نقص وسوء وملقيا اليك عنان تسليمه (سلمت عليه) أي سلمته من كل سوء وحفته عنايتي وعبر بهذا مشاكلة (ومن صلى عليك صليت عليه) ليس في هذه الرواية عدد ولا غيره فهو محمولة على ما مر والحديث صحيح روي من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاءني جبريل وأخبرني بان الله يقول لي من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى (ونحوه) أي مثل هذا الحديث لفظا ومعنى (من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان) بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والالف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازني مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وأخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابي رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة أو تابعي روايته مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي في سنة اثنين وتسعين وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بطهرة فوجده ساجدا في شربة فتنحى عنه حتى رفع رأسه فقال له احسنت يا عمر لتنحيته عنه تأدبا ثم قال لي ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات أخرجه البخاري في الادب وغيره (وعبيد الله بن أبي طلحة) الانصاري وعبيد الله بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري أخو أنس لامه وولد اسحق واخوته وهو صحابي له رواية توفي في زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه وحديثه رواه أحمد والحاكم وابن حبان والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءني جبريل فقال لي أما يرضيك يا محمد ان لا يصلي عليك أحد من أمتك

ومن رواية عبد الرحمن ابن عوف) كما رواها الحاكم وصححها والبيهقي في شعبه (عنه عليه الصلاة والسلام لقيت جبريل فقال لي اني أبشرك) أي أخبرك بما يسرك (ان الله تعالى) بكسر ان وفتحها (يقول من سلم عليك سلمت عليه) أي عشرا أو أكثر (ومن صلى عليك صليت عليه) وفي الحديث ايماء الى جواز انفراد كل منهما عن الآخر فتدبر (ونحوه) أي نحو مروي ابن عوف (من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس) بفتح فسكون (ابن الحدثان) بفتحهما أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى أبا بكر وسمع عمر وعثمان وبقية العشرة رضي الله تعالى عنهم وعنه الزهري وابن المنكدر وقال أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عنه انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من ترك الكذب بنى له في ربض الجنة وأحمد بن صالح صحح هذا الحديث

والاصح عند الذهبي انه عنده تابعي وحديثه مرسل (وعبد الله ابن أبي طلحة) أي زيد بن سهل الانصاري وفي بعض النسخ عبيد الله مصغرا والصواب الاول ولد في حياته عليه الصلاة والسلام وهو أخو أنس لامه حنكه عليه السلام وسماه توفي في زمن الوليد فهو تابعي له رواية روى عن أبيه ثقة أخرج له مسلم والنسائي ولد له عشرة بنين كلهم قرأوا القرآن

(وعن زيد بن الحباب) بضم المهملة وبالموحدتين (سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله
المنزل) وفي رواية المقعد (المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي) وهذا الحديث سقط منه رجال فان زيد بن الحباب ليس من
الصحابة ولا من التابعين ولا من اتباعهم وانما روى عن مالك بن انس والضحاك بن عثمان ومالك بن مغول وعبد الله بن لهيعة
وعنه أحمد بن حنبل نعم
هذا الحديث محفوظ
من رواية رويفع بن
ثابت الانصارى مرفوعا
وقد رواه زيد بن الحباب
هذا عن ابن لهيعة بفتح
اللام وكسر الهاء عن
بكر بن سوادة عن زياد
ابن نعيم عن وفاء بن
شريح الحضرمى قيل
واعل المصنف أورده
في أصله عن زيد بن
الحباب عن رويفع ابن
ثابت على جهة الارسال
وسقط ذكر رويفع
من بعض نسخ الكتاب
والله تعالى أعلم بالصواب
(وعن ابن مسعود) أى
مرفوعا (أولى الناس بي)
أى أقرب الناس منى
وأحقهم بشفاعتى (يوم
القيامة أكثرهم على
صلاة) رواه الترمذى
وابن حبان (وعن أبى
هريرة رضى الله تعالى
عنه عنه عليه الصلاة
والسلام قال من صلى
على في كتاب) أى بان
كتب فيه الصلاة (لم
تزل الملائكة تستغفر له
مابقى اسمى) يروى ما
دام اسمى (في ذلك
الكتاب) رواه الطبرانى
في الاوسط وأبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف لكنه يعتبر في هذا الباب وربما يقال يكتب له الثواب مانقل أيضا من ذلك الكتاب
والله أعلم بالصواب (وعن عامر بن

واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وأخرجه ابن الجوزى
في الوفاء بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال صلوا على قائلها كما صلى النبي
صلى الله عليه وسلم (وعن زيد بن الحباب) بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما ألف (قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول) الظاهر من السياق أنه صحابى سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر
النسخ وهو كما قالوه وهم أو بيض له أو سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابى ولا تابعى وأين
هو وأين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به بأس ورحل
في طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف رحمه الله تعالى لما أراد كتابة
الحديث سقط أول سنده ولذا قال يحيى بن على القرشى المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعى ولا من
اتباعه وانما روى عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه واسم أبيه من الصحابة وهذا الحديث رواه
ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمى عن رويفع بن ثابت
الصحابى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفى سنة ثلاث ومائتين
وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار أعظم من الذنب فانه ليس بمعضل أيضا لان المعضل اذا
قيل سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب الشمنى عنه بان المصنف رحمه الله تعالى أسقط ماعدا
زيدا لانه لاغرض له في ذكر رواته لاوجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيده ذا هو أبو الحسين الحافظ
الخراسانى والذى يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من قول زيد
وانما هو قول أبى هريرة وهو المقصود بالرواية ومابعده تابع له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية مايمكن
في توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر لزيادة قوله وعن (من قال) في صلاته على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم صل على محمد وأنزله) أى أعطه (المنزل المقرب) بصيغة المفعول ويجوز
كسر رائه (يوم القيامة) هو على ظاهره أو المراد في الآخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه تعظيم
الثواب وفيض المواهب الربانية لا قرب مكانى لان الله تعالى منزه عنه (وجبت له شفاعتى) أى تعينت
وتحققت بلا تردد لان الله تعالى لايجب عليه شئ عندنا (وروى ابن مسعود) في حديث صحيح رواه
الترمذى وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود (أولى الناس يوم القيامة) أى أحقهم بشفاعتى
وعنايتى أو أقربهم منى منزلة (أكثرهم صلاة على) فان ذلك يدل على محبته والمرء مع من أحب (وعن
أبى هريرة عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم من (صلى على في كتاب) كتبه من تأليف ورسالة وغيره كما مر
بيانه (لم تزل الملائكة تستغفر له) أى تدعو له بالمغفرة (مابقى اسمى) أى مدة بقائه مكتوبا (في ذلك
الكتاب) والمراد التأبيد كقوله تعالى مادامت السموات والارض قال الطبرانى في الاوسط رواه أبو
الشيخ في الثواب والمستغفرى وقال العراقى في تخريج أحاديث الاحياء رووه بسند فيه ضعف ومثله
يعمل به في فضائل الاعمال وقال خاتمة العلماء المالكية الحطاب في معنى ذلك يحتمل ان المراد انه
كتب الصلاة عليه في كتابه ويحتمل انه قرأ الصلاة عليه المكتوبة وهو اوسع وأرجى والاول أظهر
وأقوى انتهى وتقدم نقله عن شيخ زروق * قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة
لما كتبه وكان سببا لقراءته فله أجره وأجر من قرأه أجرا غير مقطوع ولا ممنون (وعن عامر بن
ربيعة

ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة) أي واحدة واكثر (صلت عليه الملائكة ما صلى على) أي مدة صلاته على (فليقال) أمر من التقليل أو من الاقلال (من ذلك) أي من قول الصلاة أي عبد كما في نسخة (أو ليكثر) أمر من التكثير أو الاكثار والمراد به الاخبار واختيار ماهو المختار رواه أحمد وابن ماجه والطبراني في الاوسط بسند حسن (وعن أبي بن كعب) على مار واه الترمذي وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) بضمهما ويسكن الثاني وفي رواية المصابيح اذا ذهب ثلثا الليل (قام) أي من نومه أو فراشه (فقال يا أيها الناس) كأنه ينادي أهل بيته أو خواص أمته (اذكروا الله) أي في حال الانتباه واتركوا ما عداه (جاءت الراجفة) أي النفخة الاولى التي ترجف الارض باهلها والمعنى قرب مجيئها او يموت كل احد عندها (تتبعها الرادفة) أي تعقبها النفخة الثانية ويبعث الخلق كلهم بعدها وثبت ان ما بين النفختين أربعون سنة يقول الله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم ويجيب بذاته عز شانه لله الواحد القهار أو يقول الخلق بلسان الحال في جواب ذلك السؤال لله الواحد القهار واليوم كذلك في نظر ارباب الاسرار وأصحاب الانوار لا ملك الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث (جاء الموت بما فيه) أي من سكراته ومنكراته أو بما فيما بعده ولا منع من الجمع من البعث والحساب والميزان والكتاب وما يترتب عليها من الثواب والعقاب ويحتاج كل احد الى شفاعته عليه الصلاة والسلام في ذلك الباب (فقال) الظاهر وقال انلا يظهر وجه الرابطة بالفاء (أبي بن كعب) وهو اقرأ الصحابة (يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك) أي لكثرة محبتي اليك رجاء حصول الشفاعة لي لديك وير وى اني اكثر من الصلاة عليك (فكم اجعل لك من صلاتي) أي من زمان دعائي لنفسي أو من أوقات عبادتي النافلة (قال ماشئت) أي قدر ما اردت من تقربك بي (قال) أي أبي (الربع) بالنصب أي اجعل لك من صلاتي ربع أوقاتي (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ماشئت) أي اخترت قليلا أو كثيرا (وان زدت) أي على الربع (فهو خير) أي لك كما في نسخة صحيحة (قال الثلث) بضمتين وبسكن الثاني وهو بالنصب كما مر (قال ماشئت وان زدت فهو خير) قال الحجازي وذكر بعد الربع النصف الى آخره وفي غالب نسخ الشفاء ذكر الربع ثم الثلث ثم النصف الى آخره وهذا الحديث في الترمذي ولم يذكر فيه الثلث (قال النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ماشئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

ربيعة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقال من ذلك عبد او ليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة أي اذا عرفت بقاء هذا ودوامه ونفعه لك فان شئت اكثرت من كتابته كما استفيد من الاول أو التلفظ به كما استفيد من هذا التر جي ربحا كثيرا دائما وان لم تشأ فاقتصر على قليل منه نافع لك وهذا في الحقيقة حث له على الاكثار في الحقيقة فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير اكثر تحذيرا من التفريط في تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى (وعن أبي بن كعب) في حديث رواه الترمذي وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) أي الاول وكان فعل ماض لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو كان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جني في الخصائص (قام) من نومه وانتبه بعد استراحته (فقال) لمن عنده من زوجاته وأهل بيته (يا أيها الناس اذكروا الله) بتمجيده وتحميده باسمائه الحسنى ثم ذكرهم ووعظهم وقيامه ليتهجد وخص هذا الوقت بما ذكر لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) والراجفة من الرجفة وهي الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصري في قوله في وصف من حدثت له رعشة في كفه

ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من اسمائه الرجاف

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة أو الصيحة أو النفخة أو زلزلة أخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها (جاء الموت بما فيه) من سكراته وأهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نوم الغفلة (فقال ابن أبي بن كعب) لما سمع ما قاله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله انا اكثر الصلاة عليك) واشغل بها أوقاتي بعد اداء الفرض ونحوها (فكم اجعل لك من صلاتي) أي ما مقدار الوقت الذي اصلي عليك فيه (قال ماشئت) أي أي قدر تريده ويتيسر لك (قال الربع) أي اصرف ربع أوقاتي لها (قال ماشئت وان زدت) على الربع (فهو خير لك) نافع في الدنيا والآخرة (قال الثلث) أي اصرف لها ثلث وقتي (قال ماشئت) أي يكفي هذا (وان زدت فهو خير) واحسن لك (قال النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ماشئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

فاجعل صلاتي) أي أوقات دعائي (كلها لك) أي لذكرك وبما يتعلق به من الصلاة عليك (قال اذا) بالتنوين أي حينئذ (تكفي) بصيغة المفعول المخاطب وفي رواية همك أي ما يهمك من امر دينك ودنياك وهو بالنصب على انه مفعول ثان لتكفي وفي نسخة يكفي بصيغة المجهول الغائب وهمك بالرفع على نيابة الفاعل ويلائمه قوله (ويغفر ذنبك) بصيغة المجهول منصوبا وذنبك مرفوعا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم ير ان يعين له حدا

مقدارا من الليالي والايام لئلا يغلق عليه باب المزيد في مقام المراد أو لانه به يحصل كفاية المهمات الدينية والدنيوية والاخروية على وجه النظام ونظيره قوله عليه السلام عن الله من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وكان الحديث السابق مستند الطائفة السنية الاويسية حيث يداومون على الصلاة المصطفوية (وعن أبي طلحة) وهو زيد بن سهل وحديثه هذا رواه النسائي وابن حبان والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح انه قال (دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت من بشره) بكسر الموحدة أي بشاشة بشرته (وطلاقته) أي بساطته ولطافته (مالم اره قط) أي ابدا قبل ذلك (فسألته) أي عن سبب ما هنالك (فقال وما يمنعني) أي عن هذا السرور (وقد خرج جبريل عليه السلام) أي ظهر (آنفا) بالمد والقصر وقد قرئ بهما في السبعة أي هذه الساعة فكأنها قدام الانف من كمال قربها (فاتاني بشارة من ربي حين

اجعل صلاتي كلها لك قال اذن تكفى) أي تغنيك عما عداها لان فيها خير الدنيا والآخرة وزيادة الرزق ببركتها (ويغفر ذنبك) لانها مكفرة لسائر الذنوب * اقول الصلاة في هذا الحديث بمعنى الدعاء كما ذكره في كتاب الصلاة والبشر ومعناه انه في مواطن الدعاء كعقب الصلاة ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يزيد في دعائه لنفسه على الصلاة عليه أو يسوي بينهما أو يزيد في الصلاة عليه أو يجعل دعاءه كله ويترك دعاءه لنفسه فانه اذا فعل ذلك كفاه عن الدعاء لنفسه فان الله يصلي عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله تعالى من غير طلب وهذا أولى وأحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا من ان هذا الحديث يقتضي ان الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه أفضل من غيرها كاذكار الركوع والسجود فانها أفضل من غيرها وان كان غيرها في نفسه أفضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعاء أفضل من قول لا اله الا الله وان ورد في الحديث أفضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقد سئل شيخ الاسلام السراج البلقيني عن قراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها أفضل فاجاب بان كلا منها أفضل في محله فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في وقت الدعاء وهي في الصلاة واجبة فهي أفضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاءه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يكفي عما اهمه وهي أفضل من الاستغفار وغيره من الدعاء وهذا لا وجه له ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم تغني عن دعائه لنفسه ولا يقتضي انها أفضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القائل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مساس له بهذا المقام وهذا الحديث في المعنى كالحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين (وعن أبي طلحة) زيد بن سهل الصحابي وفي الصحابة أبو طلحة آخر وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف في الصحابة من اسمه أبو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا أخرجه النسائي (دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت) في وجهه (من) آثار (بشره) أي مسرته وانشراحه (وطلاقته) الطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو في الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور (مالم أره قط) فيه لان دأبه الخشوع والسكون (فسألته) عن سبب ذلك (فقال وما يمنعني) من المسرة وانشراح الصدر (وقد خرج جبريل) من عندي (آنفا) أي قريبا من مجيئك (فاتاني ببشارة من ربي) الظاهر ان فيه قلبا أي أتاني ببشارة ثم خرج ومثله في كلامهم والحديث صحيح أخرجه أحمد وأصحاب السنن (أن الله) بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهي الخبر السار (بعثني) أي أرسلني (اليك ابشرك انه ليس احد من أمتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) أي بصلاته التي صلاها (عشرا) وقد تقدم هذا وتفسيره (عن جابر بن عبد الله) في حديث رواه البخاري (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

أن) بفتح الهمزة أي هي ان أو بان (الله بعثني اليك ابشرك انه) بالكسر والفتح (ليس احد من أمتك) أي أمة الاجابة (يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) أي بدلها أو بسببها (عشرا) فهذا الذي يوجب بشرا ويفيد بشرى ويقتضي نشرا (وعن جابر بن عبد الله) على ما رواه البخاري (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

حين يسمع النداء) أي الاذان أو الاقامة أو الاعلام باحدهما (اللهم رب هذه الدعوة) أي الدعاء الى العبادة (التامة) أي الكاملة
الشاملة (والصلاة القائمة) أي الدائمة الفاضلة لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة (آت محمدا الوسيلة) أي الزريعة المنيعة وفي نسخة
والدرجة الرفيعة وفي نسخة بزيادة الفضيلة وقد ورد ان الوسيلة منزلة في الجنة فالفضيلة أعم من الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) وفي نسخة
المقام المحمود وقد ورد هو المقام الذي أشفع فيه لامتي أي خصوصا بعد ان أشفع للخلق عموما (الذي وعدته) أي في الآخرة الذي
بدل من مقاما محمودا وقوله وعدته أي في القرآن قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (حلت له الشفاعة)

حين يسمع النداء) أي الاذان فتعريفه للعهد (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة) أي الدائمة
أو التي تقوم لها الناس فهو كعيشة راضية (آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له شفاعتي) أي تحققت (يوم القيامة) وظاهره انه يقول وهو يسمع الاذان من غير اجابة وبه استدل
الطحاوي على انه لا يتعين الاجابة أو المراد انه يقول حين يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة
والرواية بتنكير مقاما حكاية لما في القرآن وهو منصوب بمفعول آت والذي بدل أو عطف بيان أو هو
منصوب على الظرفية والذي مفعول وروي المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووي ولا وجه لانكاره وقد
تقدم بيانه (وعن سعد بن أبي وقاص) في حديث صحيح رواه مسلم (من قال حين يسمع المؤذن) أي أذانه
(وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا
وبالاسلام دينا غفر له) أي جميع ذنوبه وذكره استطراد لمناسبته لما قبله لانه ليس فيه شيء مما نحن
فيه من فضيلة الصلاة عليه وما قيل انه يعلم منه التزاما لان مجرد الرضاء به اذا كان سببا للمغفرة فكيف
اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه (وروى ابن
وهب) هو الامام أبو محمد عبد الله الفهري كما تقدم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم علي
عشرا) أي قال السلام عليك يا رسول الله عشر مرات (فكأنما أعتق رقبة) أي عبدا عبر بالجزء عن
الكل أي كان ثوابها مثل ثواب ذلك (وفي بعض الآثار) جمع اثر بمعنى الخبر الذي يؤثر أي ينقل
والمراد به هنا الحديث (ليردن علي أقوام) أي يأتون علي الحوض (لا أعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي)
وفي نسخة ما يدل لا يعني انه صلى الله عليه وسلم يرى في وجوههم نوع علامة من آثار الصلاة عليه
(وفي) حديث (آخر ان أنجاكم) أي أسرعكم نجاة وخلاصة (يوم القيامة من أهوالها) أي شدائدها
وخوفها (ومواطنها) الضمير للاول أو للقيامة التي تخوفونها (أكثركم علي صلاة) يعني ان بركتها تسهل
عليه شدائدها وهذا الحديث رواه الاصفهاني في ترغيبه عن أنس رضي الله عنه وفيه أيضا (وعن أبي
بكر الصديق الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمحق للذنوب) أي أشد ابطالا واذهابا من محق
الشيء اذا أبطله (من الماء البارد للنار) فانه اذا صب عليها أطفأها وأذهب ضررها ففيه تشبيه الصلاة
بذلك (والسلام عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من عتق الرقاب) انما خص السلام بحصول ثوابه
كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من سائر النقائص ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو
منها عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه في الآخرة فلذا جعل السلام عليه وأجره كالاعتاق وأجره وشبهه
به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافي ما مر لان وجه الشبه قد يكون أقوى في المشبه وفي الدر المنضود
بعد كلام الصديق هذا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الانفس أو قال من ضرب
بالسيف في سبيل الله وله حكم المرفوع اذ مثله لا يقال من قبل الرأي وأخرجه التيمي وعنه أبو القاسم

أي الخاصة (يوم القيامة وعن سعد بن أبي وقاص) كما رواه مسلم (من قال) يروى انه قال من قال (حين يسمع المؤذن) أي صوته (يتشهد وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له) مقول (وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا) نصبه وما قبله من الاسمين على التمييز (غفر له) أي ذنبه (وروى ابن وهب) أي بسند منقطع (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة) أي في الاجر والمثوبة (وفي بعض الآثار ليردن) من الورود بمعنى ليأتين (على اقوام ما أعرفهم) يروى لا أعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي) رواه الاصبهاني في ترغيبه عن
أنس (وفي آخر) أي وفي اثر آخر (ان) بكسر الهمزة وفتحها (أنجاكم) أي أسبقكم نجاة (يوم القيامة من أهوالها ومواطنها) أي مواقفها
(أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر) أي الصديق كما في نسخة (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمحق للذنوب) أي أطفأ (من
الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب) رواه الاصبهاني في ترغيبه بلفظ الصلاة عليه أفضل من عتق الرقاب وحبه عليه
الصلاة والسلام أفضل من مهج الانفس أو من ضرب السيف في سبيل الله وفي الجامع الصغير الصلاة علي نور على الصراط فمن صلى
علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما على ما رواه الطبراني والدارقطني في الافراد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

(فصل) (في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) أي واثم من لم يصل عليه وفي معناه من لم يسلم عليه لانه ثبت في الآية الشريفة وجوبهما في الجملة الا انه ليس فيها ما يدل على لزوم الاتيان بهما على وجه المعية (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي) أي ابن سكرة (رحمه الله ثنا) أي حدثنا

(أبو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف وهو البغدادي (وأبو الحسين الصيرفي) وفي نسخة أبو الحسن والصواب بالتصغير (قالا) أي كلاهما (ثنا أبو يعلى) أي ابن زوج الحرة (ثنا السنجي) بكسر السين ثنا محمد بن محبوب (ثنا أبو عيسى) أي الامام الترمذي صاحب الجامع (ثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي) أي البغدادي والدورقي نسبة الى نوع من القلانس ووهم من اعترض على المزي بانه منسوب لبلد فقد صرح أبو أحمد الحاكم في الكنى في ترجمة يعقوب بما قاله المزي وله تصانيف قال أبو حاتم صدوق اخرج له مسلم وغيره (ثنا ربعي) بكسر الراء وسكون الموحدة (ابن ابراهيم) أي ابن مقسم الاسدي روى عنه أحمد والزعفراني (عن عبد الرحمن بن اسحق) أي ابن عبد الله ابن الحارث بن كنانة القرشي العامري مولاهم المدني يروي عن المقبري والزهري وعنه يزيد بن زريع وابن علية قال أبو داود قد روى ثقة وضعفه بعضهم وقال البخاري ليس ممن يعتمد على حفظه (عن سعيد بن أبي سعد) أي المقبري (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) وكذا رواه مسلم عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم) بكسر الغين وفتحها (أنف رجل) أي ذل والصق بالتراب (ذكرت عنده) بصيغة المفعول (فلم يصل علي) أي اعراضا أو تهاونا لا كسلا أو نسيانا ورغم انف رجل (دخل رمضان) أي عليه (ثم انسلخ) أي خرج عنه (قبل ان يغفر له) أي بان لم يفعل فيه ما يستحق به غفران ذنوبه كانت

ابن عساكر ومن طريقه اليمن بن عساكر بلفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب أو قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وسنده ضعيف قيل وانما كان السلام عليه أفضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق انما علم من جهته ولان العتق يقابله العتق من النار لما في الحديث الصحيح من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على المصلي عشرا وسلام الله عز وجل أفضل من مائة ألف ألف ألف جنة فناهيك به من منعة انتهى وفي بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه

(فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) لتركه الواجب عليه وذمه بترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا أخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه الترمذي كما هو دأبه في كتابه هذا فقال (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله) هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) هو أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي الحافظ الناقد وقد تقدم أيضا (وأبو الحسن الصيرفي) كذا في النسخ والصواب أبو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى) هو أحمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا النسجي) تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها قال (حدثنا محمد بن محبوب) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو عيسى) محمد بن عيسى بن سورة الامام الترمذي المشهور وقد تقدم بيانه قال (حدثنا أحمد ابن ابراهيم الدورقي) هو أحمد بن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي بفتح الدال والراء المهملتين بينهما واو يليها قاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم اناء للماء كالجرة ولنوع من القلانس شبهت بالاواني لطولها ووهم من غلط المزي في قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم في كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطي وقد رده البرهان الحلبي في المقتفى والدورقي كان امام الحديث في عصره أخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين قال (حدثنا ربعي بن ابراهيم) هو ربعي بن مقسم الاسدي الثقة الحافظ توفي سنة سبع وتسعين ومائة (عن عبد الرحمن بن اسحق) بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشي العامري المدني ويقال له عباد بن اسحق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان (عن سعيد بن أبي سعيد) هو المقبري وقد تقدم (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم أنف رجل) أي أذله الله وأخزاه وحقيقته ألصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكنى به عما ذكر وأضيف للانف لتقدمه (ذكرت عنده فلم يصل علي) لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقائله وعزة له باعزاز نبيه فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه (ورغم أنف رجل دخل رمضان) أي جاء زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفا أي في عرف اللغة (ثم انسلخ) أي تم ومضى وأصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه أي نزعته ومنه سلخ الشهر لآخره قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ومما قلته ادهم الليل حين كان حرونا * سلخت بذي الاهلة سلخا
(قبل ان يغفر له) أي ولم يغفر له وفي التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل المغفرة

(ورغم أنف رجل أدرك) أى بلغ (عنده أبواه الكبر) بالنصب على المفعول من أدرك والفاعل أبواه وانما خص حال الكبر لانه أحوج حال الانسان الى الخدمة والاحسان (فلم يدخلاه الجنة) بضم الياء وكسر الخاء أى بان لم يبرهما حتى يكونا سببا لدخوله الجنة والمعنى ان برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة سبب لدخول الجنة (قال عبد الرحمن) أى راوى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (واظنه) أى أبا هريرة (قال أو أحدهما) أى بطريق الشك أو على سبيل التنويع ويؤيده قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وأبعد الدلجى فى جعل ضمير أظنه راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى حديث آخر) كما رواه الطبرانى عن ابن عباس وأنس وعبد الله ابن الحارث بن جزء وكعب ابن عجرة ومالك بن الحويرث ورواه البزار عن جابر بن سمرة وأبى هريرة وعمار بن ياسر (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) بكسر العين أى طلع عليه (فقال) أى عقب صعوده (آمين) بالمد ويجوز قصره قيل معناه اللهم استجب وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين (ثم صعد درجة فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك) أى عن قوله آمين وسبب تكراره هنالك (فقال ان جبرائيل أتانى فقال يا محمد من سميت) بضم السين وتشديد الميم المكسورة على لفظ الخطاب أى ذكرت (بين يديه) أى عنده والمعنى من ذكر اسمك له وهو حاضر بسمعه (فلم يصل عليك) أى عقيب ذكر اسمك (فمات) أى تاركا الصلاة عليك غير تائب مما وقع له من التقصير بالنسبة اليك (فدخل النار) أى بسبب ترك صلاته لاستهانة أو عدم مبالاة أو لغيره من خطيئاته مع حرمان شفاعته فى شدة حالته (فابعده الله تعالى) أى عن ساحة رحمته وميدان مغفرته والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى ولذا قال جبريل للنبى عليه الصلاة والسلام (قل آمين فقلت آمين) وهذا فى الدرجة الاولى من المنبر وانما قدم هذه الحالة على البقية لانها كالمقدمة فى القضية (وقال) أى جبرائيل فى الدرجة الثانية (فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه) أى صيامه وقيامه

كانت كالموجودة فذهب قبلها (ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر) أى أدرك الشيخوخة وعمرا وهو معهما الا انه لم يبرهما و يعاملهما بما يرضيهما (لم يدخلاه الجنة) لانه لو فعل ذلك أثابه الله وأدخله الجنة فان الجنة تحت أقدام الوالدين كما ورد فى الحديث (قال عبد الرحمن) بن اسحق الذى تقدم قريبا (وأظنه) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أو أحدهما) أى أحد أبويه ويجوز عود الضمير لابى هريرة ففيه شك من الراوى وستأتى تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذين ان فى صوم رمضان رضى ربه وخالقه وفى رضى الوالدين برمن هو سبب لوجوده وفى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رضى من هو سبب لبقائه فى النعيم المخلد والصوم رضى للرب بأمر ليس عليه فيه كلفة كالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبر الوالدين فقد أحرم نفسه من فائدة عظيمة بترك أمر لا مشقة فيه ورواه مسلم بثم بدل الفاء لاستبعاده ممن له عقل والفاء نظر الكون ذلك واقعا عقبه لان الفاء بمعنى ثم كما توهم وقيد بر الوالدين بحال الكبر لانها حالة العجز ورحمتهما والاسناد فى قوله يدخلاه اسناد مجازى للسبب (وفى حديث آخر) رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق أطول من هذا (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) صعد بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل كما قاله البرهان الحلبى والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب عليه (فقال آمين) اذ صعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله آمين يقتضى انه سمع داعيا يدعو ولم يكن معه أحد فلذا سألوه عن سبب قوله هذا كما سيأتى (ثم صعد) درجة أخرى من درجات المنبر (فقال آمين ثم صعد) درجة (فقال آمين فسأله معاذ) راوى الحديث (عن ذلك) أى عن قوله آمين ثلاثا وما سببه (فقال) مجيبا لسائل عن سؤاله (ان جبريل أتانى) لما صعدت المنبر وروى أنه أتاه قبله (فقال يا محمد) وروى انه قال له لبيك وسعديك (من سميت) بالبناء للمجهول وتاء الخطاب المفتوحة نائب الفاعل أى ذكر اسمك (بين يديه) أى عنده وهو حاضر يسمع (فلم يصل عليك فمات) تاركا للصلاة عليك والتعقيب عرفى كتزوج فولد له (فدخل النار) عقوبة له على تركه الصلاة وقد قدمنا انه يقتضى وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه (فابعده الله) عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل (قل آمين) طلب منه التأمين على دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له لا يخفى (فقلت آمين) امتثالا لامره الذى بلغه عن ربه قال ابن حجر فى الزواجر ولهذا الوعيد بتكرر الدعاء عليه بالبعد والسحق وعده أبخل الناس عدوا ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكبائر بناء على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب اليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلا منافاة بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا أمر مهم لم ار من نبه عليه انتهى (وقال فيمن أدرك رمضان) وصومه (فلم يقبل منه) مبنى

(فمات مثل ذلك) بالرفع ويجوز نصبه بدله والاظهر فهو برأى دخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وهذا في حق من حقوق
الله سبحانه (ومن أدرك) وفي نسخة وقال أي جبريل من أدرك (أبويه أو أحدهما فلم يبرهما) بفتح الياء والباء والراء المشددة أي لم
يقم بواجبهما (فمات مثل ذلك) وفي نسخة مثله وهذا مما يتعلق بحقوق العباد (وعن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه)
كما رواه الترمذي وصححه والبيهقي في شعب الايمان والنسائي من حديث ابنه الحسين عن أبيه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أنه قال البخيل) أي كل البخيل كما في رواية (الذي) أي هو الذي (ذكرت عنده فلم يصل علي) أي حيث

للمجهول أي لم يقبله الله منه بان أبطله وأحبط عمله (فمات مثل ذلك) أي فدخل النار فابعده الله قل
آمين فقلت آمين (ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما) أي لم يقم بواجب حقوقهما وما يستحقانه
يقال بره بفتح عين الماضي يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا افعالا قليلة جاء فيها الضم
والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل في كتب التصريف (فمات مثله) بالنصب أي وذكر مثله
أي فدخل النار فابعده الله الخ وعدم قبول رمضان اما لانه لم يأت به على وفق أمر الله به بان أخل به أو اما
لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح روي من طرق كثيرة باسانيد متعددة (وعن علي) ابن أبي
طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذي وصححه والبيهقي والنسائي رحمهم الله (عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) كل البخيل (الذي) اذا (ذكرت عنده فلم يصل علي) وتعريف
الطرفين يدل على الحصر أي لا بخيل الا هذا والبخل الامساك عن بذل ما ينبغي شرعا أو مروءة والشرع
يقتضي ذلك لانه أمر به وكذا المروءة لانها تقتضي الثناء على ما أنعم وأحسن وأي منعم مثله صلى الله عليه
وسلم فانه واسطة لكل أحد في جميع النعم التي وصل اليها والبخل بكلمة تنفع في الدنيا والآخرة بخل
لا يضاهيه بخل وفي الحديث روايات مختلفة فروي البخيل كل البخيل ومؤكدا كما يأتي وفيه مبالغة
لا تخفى وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق أو مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة
بالمال الذي ينبغي انفاقه (وعن جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر (عن أبيه) محمد الباقر وهو تابعي
فالحديث مرسل كما في شعب الايمان للبيهقي ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن علي جده
رضي الله عنهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به
طريق الجنة) رضي الله عنهم اخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء في أكثر النسخ مبني لما لم يسم فاعله
وجوز بناؤه للفاعل أيضا أي دخل النار لانه أخطأ عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد
أضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفي بعضها خطئ (وعن علي بن أبي طالب
قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي)
وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كأنه جمع افراده كلها وتجب حينئذ اضافته لظاهر مماثل لموصوفه
لفظا ومعنى كما هنا وكقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقد يضاف لما يماثله معنى فقط وهذا الحديث أخرج من طرق متعددة أخرجه النسائي والبيهقي
والبخاري في تاريخه (وعن أبي هريرة) رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه (قال أبو القاسم
صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم) أي هنا للعموم وما مزيدة أي كل قوم (جلسوا مجلسا) أي في مجلس
ما (ثم تفرقوا) أي قاموا من مجلسهم (قبل ان يذكروا الله) أي من غير ذكر له تعالى في مجلسهم أو عند
قيامهم

بخل على بزيادة الفضيلة وعلى نفسه بزيادة المثوبة الجزيلة (وعن جعفر بن محمد) كما رواه البيهقي في شعب الايمان عنه (عن أبيه) أي مرسلا فان جعفرا هذا هو الصادق وأبوه هو الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل ورواه الطبراني في الكبير عن محمد جد الحسين موصولا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على أخطئ طريق الجنة) بضم الهمزة وكسر الطاء وجوز الدجى كونه مبنيا للفاعل أيضا وكأنه قصد به النسبة المجازية (وعن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل) أي كامل البخل حيث بخل بما لم ينقص من ماله ويزيد من جماله وكماله في حاله
وماله (من ذكرت عنده فلم يصل علي) وقد تقدم هذا
الحديث والظاهر ان هذا من زيادة الكتاب والله أعلم بالصواب وفي الجامع الصغير بلفظ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي
رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن الحسين مرفوعا (وعن أبي هريرة) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم
وصححه عنه (قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا) أي مكان جلوس أو جلوسا وفي نسخة صحيحة مجلسهم
(ثم تفرقوا) أي قاموا ويروى ثم تفرقوا عنه (قبل ان يذكروا الله

قيامهـم منه (و) قبل ان (يصلوا على كانت عليهم من الله ترة) وترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء المهملة وهاء تأنيث عوض من الفاء المحذوفة كعدة وزنة وهى مرفوعة اسم كان وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة مما قبله والترة لغة اما الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة وهو اقربها الا انه ورد كذلك فى رواية كما سيأتى وقوله (ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم) يقتضى انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعانى كلها متقاربة وما قيل من انها بمعنى الحجة القائمة عليهم فهم فى مشيئة الله ان شاء عذبهم بترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد علم ان الترة هى فى الاصل النقص قال تعالى وان يتركم أعمالكم ومعناها هنا التبعة كما فى شرح السنة وفى غريب المدونة ان بعض الفقهاء حرفه وقرأه بالثاء المثلثة من الثأر بالهمزة أى طلب الدم من القاتل وأين هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فيسن لمن أراد القيام من مجلس ان يقول لا اله الا الله وصلى الله عليه وسلم على رسوله ليكون مكفرا لما فى ذلك المجلس (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى فى الشعب (من نسى الصلاة على نسى) بضم أوله وتشديد ثانيه مبنى للمجهول وفى نسخة نسى مخفف مبنى للفاعل (طريق الجنة) ففيه جعل الصلاة كأنها دليل يرشده لطريق الجنة أو مذكر يذكره بها ففيه استعارة أو النسيان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقول الله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله وكذا اليوم تنسى (وعن قتادة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به فى الفضائل دون الاحكام كما علم مما مر (من الجفاء) الجفاء ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب أهل الجفاء والجفاء يمد ويقصر وهو ضد الصلة (ان أذكر عند الرجل) وفى نسخة رجل وفى أخرى أحد (فلا يصلى على) المراد بالرجل الجنس كاللئيم فى قوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى (وعن جابر) رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا منه على غير صلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا تفرقوا على) رائحة تفوح منهم (أنتن) افعل من النتن وهى الرائحة الخبيثة التى يكرهها كل طبع وتكون كاللحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر والضم عند ابن قوطية فافعل من الثلاثى على القياس أو من أنتن على مذهب سيبويه فما قيل ان صوابه أشد نتنا الا وجه له مع انه يكفى لصحته وروده فى كلام أفصح الناس صلى الله عليه وسلم (من ريح الجيفة) الريح اما على ظاهره أو بمعنى الرائحة والجيفة فى الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم أتوا بامر مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا من غير مكفر له وهو تقييد من غير دليل وقيل انه ريحهم فى الملأ الاعلى أو يوم القيامة يشمه أهل الموقف وهو بعيد لا يلائمه السياق فالظاهر أنه على التشبيه أو المراد انه كذلك فى الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من أهل الغيبة رائحة خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسى والبيهقى والنسائى والضياء فى المختارة بسند صحيح الا أنه وفيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة أو شئ غيرها أشد نتنا منها (وعن أبى سعيد) الخدرى فى حديث رواه البيهقى وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق صحيحة (عن النبى صلى الله تعالى

ويصلوا) أى وقبل ان يصلوا (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانت) أى وقعت (عليهم من الله ترة) بمثناة فوقية مكسورة وراء مخففة مفتوحة أى منقصة أو تبعة وهاء ترة عوض عن واوه المتروكة كعدة ومقة ومنه قوله تعالى ولن يتركم أعمالكم وروى ترة بالنصب أى كانت الجلسة أو التفرقة عليهم مضرة (ان شاء) أى الله (عذبهم) أى بتركهم كفارة المجالس لما صدر عنهم ويكون عدلا (وان شاء غفر لهم) أى مع تقصيرهم ويكون فضلا (وعن أبى هريرة) على ما رواه البيهقى فى الشعب عنه مرفوعا (من نسى الصلاة على) أى تركها ترك المنسى (نسى طريق الجنة) أى تركها واخطأها وضبطه الدلجى بضم أوله وتشديد ثانيه وتبعه الانطاكى (وعن قتادة) أى من رواية عبد الرزاق عن معمر عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الجفاء) بفتح الجيم والمد ضد الوفاء وقد يزاد به الاذى (ان اذكر عند الرجل) لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة فى المعنى وان كان معرفة فى المبنى ونظيره قوله تعالى فاكله الذئب (فلا يصلى على) لغلظ طبعه وعدم مراعاة شرعه (وعن جابر) كما رواه البيهقى (عنه عليه الصلاة والسلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا) أى منه (على غير صلاة) حال وفى نسخة من غير صلاة صفة مصدر محذوف أى تفرقا صادرا عن غير صلاة (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى حال من الاحوال (الا تفرقوا عن انتن) أى الا حال كونهم متفرقين عن حال انتن ويروى على انتن (من ريح الجيف) بما صدر عنهم من ردىء الكلام ومذمومه فى مقام المرام (وعن أبى سعيد) كما رواه البيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور (عن النبى صلى الله تعالى

عليـه وسـلم قال لايجاس قوم مجاسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أولا يذكرون الله تعالى فيه كما في رواية (الا كان) أي ذلك المجلس (عليهم حسرة) أي يوم القيامة كما في رواية ولان الجنة لاحسرة فيها فلا بد من هـذا القيد ليستقيم (قـوله وان دخلوا الجنة) والمراد بالحسرة الندامة اللازمة لمقامهم من سوء آثار كلامهم فقول الدلجي بعـد قوله وان دخلوا الجنـة فتزدادوا حسرة ليس في محله (لما يرون) أي فيها (من الثـواب) أي الاجر العظيم بالصلاة على النبي الـكريم (وحكى أبو عيسى الترمـذي) أي صاحب السنن (عن بعض أهـل العلم قال اذا صلى الرجل) أي الرجل بل أي شخص (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجاس) أي في مجلس (اجزأ) بالهـمزة واجزى لغة فيـه أي كفى (عنـه ما كان في ذلك المجاس) أي مادام فيـه دفعا للحرج وهـذا هو قـول الطحاوي مـن أصحابنا وهـو المعتـمد المعتقد والله أعـلم وعن صاحب المجتبي من أئمتنا يتـكرر الوجوب بتـكرره وان كثر وفي الجامـع الصغير كرر آية السجدة في المجلس الواحد يكفيه سجدة واحـدة وكذا في الصلاة ولا تسن السجدة لـكل مرة وفي الصلاة تسن لـكل مرة

* (فصل) * في تخصيصه) أي تخصيص الله اياه (عليه الصـلاة والسـلام بتبليـغ صلاة من صـلى عليه) أو سلم عليه (من الانام) أي الخلائق من طوائف الاسلام (ثنا) أي حدثنا كما في نسخة (القاضي أبو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد) هو أبو علي الغساني (ثنا أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر حافظ المغرب (ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة) بالمهملتين (ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا ابن عوف) أي الطائي الحافظ الحمصي شيخ أبو داود والنسائي وغيرهما توفي

عليـه وسـلم قال لايجاس قوم مجلسا) أي في مجلس يتحدثون فيه و (لا يصلون فيه على النبي صـلى الله عليه وسـلم) في اثنائه أو في آخره (الا كان) ذلك المجاس (حسرة عليهـم) أي ندامة وتأسفا على مافاتهم فيه (وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب) لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله

*أقوم آل حصن أم نساء * ويطلق على ما يشملهم تغليبا وقيـل انه عام لـكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى الحسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع من حسرة الناقة اذا انقطعت عن السير الكلال ويجوز في كان ان تكون تامة وناقصة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله تعالى وانه لحسرة على الكافرين أو اسناده مجازي (وحكى أبو عيسى الترمذي) امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغني عن ذكره (عن بعض أهل العلم) انه (قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجاس اجزأ) بالهمزة (عنه ما كان في ذلك المجاس) أي كفت المرة عن تكريرها بقدر ماذكر اسمه في ذلك المجاس فهو سنة كفاية أو فرض كفاية بناء على الخـلاف السابق وفي بعض الحواشي اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبي من الحنفية انه يتـكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لا يتـكرر كما لو تكررت آيات سجدة في مجاس فانه يكفي فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان في ذلك المجاس اللغط ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ما ورد في الحديث من صلى علي مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ماذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجاسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك فاذا ضم الى ذلك الصلاة والسـلام عليه صـلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما وكفر عنه ما صدر منه ومن أهل مجلسه * واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه ذلك فهل كانت صلاته صلى الله عليه وسلم على نفسه في صـلاته بطريق الاستحباب أو لم يكن يصلي على نفسـه فيها قيـل لم يصرح به أحـد وفي فتاوى السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسـلم واجبـة بالاجماع وكونها ركنا من الصـلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم مشارك لامته في هـذا الحـكم من كونها واجبـة عليـه في صلاته ركنا فيها فان نقل اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقـدمة ان يصـلوا على أنبيائهم فينبغي ان تعد من الخصائص واما غيره الانبياء فأقل من ان يتوهم مشاركتهم في الوجوب حتى يقتضي خصوصية وما نقله الجرجاني من انها لا تجب على غـيره استقلالا بالاجماع ان أريد في غـير هـذه الملة ان صح ثبتت الخصوصية وان أريد انه لا يجب علينا في ملتنا ان نصلي على غيره استقلالا فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى

* (فصل في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صـلى عليـه أو سـلم من الانام) كسحاب مطلق أو كل ذي روح أو الجن أو الانس خاصـه ويقال آنام بالمد كساباط وأنيم كاسير وبدأ بحـديث رواه أحمد وأبو داود والبيهقي بسند حسن وهو قوله (حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي) قال (حدثنا الحسين بن محمد) أبو علي الغساني وقد تقدم ما قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبـد البر كما تقـدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حـدثنا ابن داسة) تقدم ترجمتـه قال (حـدثنا أبو داود) امام الحديث وصاحب السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف) محمـد بن عوف الطائي الحمصي راوي سنن أبي داود عنه

(ثنا المقرى) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير مولى عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن أبى حنيفة وغيره وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المدينى أخرج له الأئمة الستة (ثنا حيوة) بفتح مهملة فسكون تحتية (عن أبى صخرة) بفتح مهملة وسكون معجمة (حميد) بالتصغير (ابن زياد) وصخر هذا هو الخراط رأى سهل بن سعد وروى عن أبى صالح السمان وأبى سلمة وخلق وعنه ابن وهب وجماعة قال أحمد ليس به بأس (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بضم قاف وفتح سين مهملة وسكون تحتية ليثى يروى عن ابن المسيب وعنه مالك والليث وثقه النسائى أخرج له الأئمة الستة (عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه) أى على من سلم على (السلام) مفعول اردوا الحديث رواه أبو داود وأحمد والبيهقى وسنده حسن وظاهره الاطلاق الشامل لكل مكان وزمان ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف على استغراقه المنيف ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والاذن المعتقد المعتمد انه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره كسائر الانبياء فى قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوى والسفلى كما كانوا فى الحال الدنيوى فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون والله سبحانه أعلم باحوال ارباب الكمال هذا وقال الانطاكى يمكن ان يقال رد الروح كناية عن اعلام الله تعالى اياه بان فلانا صلى عليك أوعن علمه عليه السلام باحوال المسلم من بين الانام

توفى سنة اثنين وسبعين ومائتين قال (حدثنا المقرى) أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد القصير المقرى مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة وأخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث عشر ومائتين كما تقدم قال (حدثنا حيوة) بن شريح كما تقدم قريبا (عن أبى صخر حميد بن زياد) الخراط قال احمد لا باس به وله ترجمة فى الميزان (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بالتصغير الليثى التابعى الثقة توفى سنة اثنين وعشرين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه السلام) أى أجيبه وكلام المصنف فى تبليغ الصلاة له وهذا فى تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع فيه كما يأتى اما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة أوفهم منه ان المراد بالسلام قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم حى حياة مستمرة لان الكون لايخلو من مسلم يسلم عليه فى كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء احياء حياة حقيقية كالشهداء وان كان حال البرزخ لايقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضى الموت وهو خلاف المقصود وقد أجيب عنه باجوبة منها ماقاله صاحب القاموس فى كتاب الصلاة والبشر ان البيهقى قال معناه ان الله تعالى رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت فى جسده وقال عبد الكافى السبكى شيخه انه يحتمل انه رد معنوى بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه أقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوى فى كتابه القول البديع رد روحه الشريفة يلزمه تعدد حياته ووفاته فى اقل من ساعة اذ الكون لايخلو من مسلم يسلم عليه بل قد يتعدد فى آن واحد كثيرا وأجاب الفاكهانى وبعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكأنه قال يرد الله على نطقى والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل أو بالقوة فعبر باحد المتلازمين عن الآخر ويؤيده ان الحياة مرتين لاغير لقوله تعالى أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغ السلام وفيه نظر انتهى وفى رواية كما قاله السبكى مامن احد يسلم على عند قبرى فان ثبتت فهو مخصوص ولا يرد بالرأى * أقول هذا جملة مافى الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما أولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة غير معروفة ولا مألوفة وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا لان قوله حتى ارد عليه السلام يأباه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت له روحه ولضده راحت روحه ولولا خوف الاطالة أوردت له شواهد وهذا يكون جوابا سادسا وجواب البيهقى خلاف الظاهر كما لايخفى وكون المراد بالروح الملك تأباه الاضافة لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد فى بعض الاحاديث وقال أبو داود وبلغنى ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يبلغه سلامه ويأتى الكلام عليه وقد ورد أيضا اطلاق الروح على الملك فى القرآن واذا خص هذا بالزوار هان أمره وجملة رد الله على روحى حالية ولا تلزمها قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره السهيلى وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث لايخلو من الاشكال * اقول الذى

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة) وهو الحافظ الكبير الحجة صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك وجماعة وروى عنه الشيخان وطائفة ووثقه الجماعة قال الذهبي أبو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى في الثقة (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عند قبري سمعته) أي من غير واسطة (ومن صلى على نائيا) أي بعيدا عني (بلغته بصيغة المجهول مشددا) أي بلغنيه الملائكة وفي رواية ابلغته والحديث أيضا رواه أبو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب (وعن ابن مسعود) قال الشمني هو الصواب وقال الحلبي عن أبي مسعود وهو عقبة بن مسعود الانصاري (أن) بفتح الهمزة وكسرها (لله ملائكة سياحين) أي سيارين (في الارض يبلغوني) بتخفيف النون وتشديدها وهو من باب التفعيل أو الافعال أي يوصلوني (عن أمتي السلام) أي على فارده عليهم رواه احمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب (ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر) أي موقوفا ويحتمل ان يكون مرفوعا (أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه) أي السلام (يؤتى به) أي يبلغه (منكم في كل جمعة) لا يعرف من رواه لكن ورد أكثروا من الصلاة على في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم مني منزلة رواه البيهقي عن أبي امامة ورواه عن أنس بلفظ اكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا أو شافعا يوم القيامة وروى ابن ماجه عن أبي الدرداء اكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها وهذا معنى قوله غيره

يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبياء والشهداء احياء وحياة الانبياء اقوى واذا لم يسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى يتنبه كما قال الله تعالى والتي لم تمت في منامها الآية فالمراد بالرد الارسال الذي في الآية وحينئذ فمعناه انه اذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها تيقظ ورد لان روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كوت الدنيا وحياتها الان روحه صلى الله عليه وسلم مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعده فلا اشكال أصلا الا لمن يتدبر وما قيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص بسلام زائره مردود لعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده أيضا الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن له خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك قال أبو اليمن بن عساكر واذا جاز رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم عليه من جميع الآفاق من أمته على بعد مسافة (وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة) هو عبد الله بن محمد العبسي الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة أخرج له الائمة الستة وتوفي في سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان (عن أبي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي وأبو الشيخ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على نائيا) أي بعيدا عني والنأي بالهمز البعد (بلغته) بالبناء للمفعول أي بلغتني الملائكة سلامه وصلاته كما هو مصرح به في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله (وعن أبي مسعود) عقبة بن عمرو الانصاري وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط (ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام) وفي أخرى ان لله ملائكة يسيحون في الارض يبلغوني صلاة من صلى على من أمتي وهذا يقتضي انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهي الطواف في الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لا سياحة في الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء اذا جرى على وجه الارض أما الملائكة اذا أمروا بذلك لهذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا ما يؤمرون وقوله يبلغوني الى آخره صفة الملائكة أو جملة مستانفة استئنافا بيانيا وليس هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه أحمد والنسائي والبيهقي والدارمي وابن حبان وأبو نعيم والخلعي بسند صحيح (ونحوه عن أبي هريرة) أي معناه ما رواه في الترغيب عن أبي هريرة وفي الحلية لابي نعيم واللفظ الذي في الترغيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعائهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه تبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم وآخرتهم (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما لم يخرجوا هذا الحديث (أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة) المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد السلام وحده (فانه) أي السلام (يؤتى به منكم في كل جمعة) لانه يوم يعرض فيه الاعمال وللصلاة فيه فضل على

(وفي رواية فان أحدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها) أي أول ما يفرغ من غير توقف بخلاف سائر الايام فانه يكون موقوفا الى مجيء يوم الجمعة وفي نسخة حتى يفرغ منها فالمعنى ان جميع صلاته وان أطال في كلماته تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وروى البيهقي عن أبي هريرة وابن عدي عن أنس وأبو يعلى عن الحسن وخالد بن معدان مرسلا اكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي (وعن الحسن) برواية الطبراني وأبي يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة والسلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) أي تصل الي بواسطة الملائكة يوم الجمعة وروى ابن مردويه عن أبي هريرة صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم وروى ابن عدي عن ابن عمر وأبي هريرة صلوا علي صلى الله عليكم وروى أحمد والنسائي وجماعة صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد (وعن ابن عباس) كما رواه اسحق بن راهويه في مسنده والبيهقي في شعبه موقوفا (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه) بضم موحدة وتشديد لام مكسورة ويجوز فتحها مخففة (وذكر بعضهم ان العبد) أي من عباد الله (اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه) أي اسم المصلي عليه بخصوصه (وعن الحسن بن علي) كما رواه ابن أبي شيبة وعنه أبو يعلى عن زين العابدين علي بن الحسين (اذا دخلت المسجد) أي أردت دخوله أو اذا حققت وصوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي) أي قبري كما في رواية لانه في بيته (عيدا) والمعنى لا تجعلوا زيارة قبري عيدا أو معناه النهي عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الايام وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وأبنائهم ونسائهم فنهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك تحذيرا لهم عما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث لعن الله اليهود

غيره وذكر في الدر المنضود ان في رواية ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة الا عرضت علي صلاته صححها الحاكم والبيهقي وفي سندها راو وثقه البخاري وضعفه غيره (وفي رواية) أخرى (فان أحدا لا يصلي علي) في ذلك اليوم وليلته (الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها) قال السخاوي رحمه الله هذا الحديث لم أقف عليه وفي الدر المنضود وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال راويه أبو الدرداء وبعد الموت قال وبعد الموت وروى البيهقي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أقربكم مني يوم القيامة أكثركم علي صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في الاحاديث الحث عليه في يوم الجمعة فانه يوم مشهود والانبياء أحياء في قبورهم كما تقرر فان قلت ورد تبليغ الصلاة عليه له صلى الله عليه وسلم مطلقا في أحاديث تأتي وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما مر ويأتي فما وجهه قلت وجهه يجوز أن يكون عرضها وتبليغها في كل يوم من بعض الملائكة وما في يوم الجمعة من آخرين أو ذلك عرض لها فرادى وهذا جملة على وجه خاص أو لتكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات (وعن الحسن) بن علي بن أبي طالب في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو يعلى بسند صحيح (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) أي تبلغها له الملائكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما فهي شرطية وهي ظرف مكان وتأتي للزمان كما في قوله

حيثما تستقم يقدر لك الله * نجاحا في غابر الازمان

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم أو يصلي عليه الا بلغه) بضم الباء وكسر اللام المشددة مبني للمفعول أي بلغته الملائكة سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا أردفه بقوله (وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى) أو سلم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم صلاته وسلامه و(اسمه) واسم أبيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفة كما ورد في حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد ويأتي قريبا ما يؤيد صحة ما قاله (وعن الحسن بن علي اذا دخلت) بتاء الخطاب لغير معين (المسجد) تعريفه للجنس فان كل من دخل مسجدا أي مسجد كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكر الخيضري في كتابه اللواء المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذي حمله على هذا قوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا) فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه في بيته دفن ويأتي

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ويحتمل أن يراد به الحث على كثرة زيارته اذ هي أفضل القربات وآكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين أو في العمر كرتين بدليل أحاديث كثيرة وردت بالحث عليها وبوجوب الشفاعة لمن أتى اليها وقيل يحتمل أن يكون نهيه عليه الصلاة والسلام لدفع المشقة عن الامة بناء على كمال الرحمة ويؤيده قوله الآتي وصلوا على حيث كنتم أو لكراهة أن يتجاوزوا في تعظيم قبره زيادة على

في رواية أخرى ولا تجعلوا قبري عيدا ام الكلام عليهما والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمي به لعوده في كل عام وجمع على أعياد وقياسه الجمع على أعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى لا يتخذ وثنا يعبد وقيل المراد لا يتخذوها كالعيد تزور ونها في العام مرة بل اكثروا من زيارتها (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي لا تتركوا الصلاة والعبادة فيها فتكونوا فيها كأنكم أموات وكذا قيل

فيا نائم الليل هنيئته * فقبل الممات سكنت القبورا

وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دفن في بيته لانه اتبع فيه سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كما ورد ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض فهو مخصوص بهم (وصلوا على حيث كنتم) أي في أي مكان فلا يحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد في أول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه ممن كان عنده في مسجده الشريف أو عند قبره الشريف وليس تأكيدا لما قبله لافادته تعميما آخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث أخرجه الطبراني وأبو يعلى (وفي حديث أوس) ابن أوس الصحابي الثقفي (أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة) خصها لما فيها من الفضل فهي يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه وللصلاة عليه فيه فضل على غيرها لما فيه من الصلة ولانه يوم يزار فيه وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي وأحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة لانه كما ورد في الحديث أفضل الايام الجمعة وفيه خلق آدم عليه السلام وقبضت روحه وفيه النفخة والصعقة قيل وحد أقل الكثرة من الصلاة ثلثمائة وبضع عشرة كما في قوت القلوب وقال السخاوي لم أقف له على مستند فلعله تلقاه عن أحد من الصالحين عرفه بتجارب أو غيره أو رآه أقل ما تحصل به الكثرة (فان صلاتكم معروضة على) تقدم بيانه قريبا (وعن سليمان بن سحيم) بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى آل العباس وقيل آل الحسين وهو من علماء الحجاز المشهورين وحيث أطلق في النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو الثقة توفي في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام) ومن رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته (فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك) اذا زاروا مقامك بعد الانتقال (أتفقه سلامهم) أي أتسمعه وتفهمه (قال نعم وارد عليهم) وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر يقول وعليك السلام ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الايجي

قدره بنحو السجدة لغيره (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي كالقبور لا يصلى فيها والمعنى اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم لما روى أحمد عن زيد بن خالد لا تتخذوا بيوتكم قبورا صلوا فيها ويؤيده قول الخطابي لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم أخو الموت والميت لا يصلي أو لا تجعلوها قبورا لموتاكم تدفنونهم فيها قال الخطابي وليس بشيء فقد دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ودفع بان هذا من خصوصيات الانبياء بدليل قوله عليه الصلاة والسلام ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب ان يدفن فيه كما رواه الترمذي عن أبي بكر (وصلوا على حيث كنتم) أي قريبا أو بعيدا (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه الطبراني وأبو يعلى بسند حسن

(وفي حديث أوس) هو أوس بن أوس الثقفي صحابي وفي الصحابة خمسة وأربعون نفرا يسمون أوسا انه (اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على) أي من غير واسطة أو من غير انتظار رابطة رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (وعن سليمان بن سحيم) بضم السين وفتح حاء مهملتين فتحتية ساكنة مدني يروي عن ابن المسيب وجماعة وعنه ابن عيينة وطائفة أخرج له مسلم وغيره (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك) أي للزيارة (فيسلمون عليك أفتفقه سلامهم) أي أتعرف كلامهم وتدري مرامهم (قال نعم وارد عليهم) أي سلامهم وأقضي مرامهم

انه سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف وعليك السلام يا ولدي وفي مسند الدارمي ان الاذان
والاقامة تركا أيام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما في المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا
بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله وارد عطف على قول السائل اتفقه ويسمى
هذا عطف التلقين وقد فصل في شروح الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون في
الجمل والمفردات كما تقدم ونعم وقع في الجواب عما سئل عنه وهو ظاهر *(تنبيه)* اذا رأى أحد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في منامه وأمره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه تفصيل فان وافق الشرع
لزمه العمل به ولا يلزمه أمر غيره به وما عداه لا يلزمه العمل به لان الرؤيا لا يضبطها النائم ويحتمل
التأويل وهذا هو الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله (وعن ابن شهاب) هو الزهري كما تقدم وهذا رواه
عنه النميري (بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) وفي نسخة بلغنا ان رسول الله قال
(أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر) يعني ليلة الجمعة ويومها ويعني بالازهر
الابيض المستنير ولذا كان الازهر لا يطلق في وضع اللغة على اللون الابيض وأشاع بعد ذلك مطلقه
ونورهما لبركتهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي خص بها وما فيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما
ذكر في فضائله وهو عيد المؤمنين وتنزل فيه الملائكة كثيرا (فانهما) أي يوم الجمعة وليلتها (يؤديان
عنكم) بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة أي يوصلان صلاتكم علي ويبلغانها
الي والاسناد الى الزمان اسناد مجازي أي يؤدي الملائكة فيهما ذلك وكونهما يخلق لهما نطق بذلك
الاداء خلاف الظاهر وان جاز الا ان التصريح بعده بحمل الملك لذلك يأباه وبما تقرر في هذه الاحاديث
علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة والسلام عليه اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره
الشريف بلا واسطة سواء ليلة الجمعة وغيرها وأفتى النووي فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم
الحنث (وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء) لانهم عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم لا تبلى
أجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات وأكلته الارض كما ورد
مصرحا به في حديث آخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية أو بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الى آخره
وقيل انه بيان لخاصية أخرى والاول أولى ولا ينافي ما تقرر من حياتهم ما في صحيح ابن حبان في قصة
عجوز بني اسرائيل انها دلت موسى عليه السلام على الصندوق الذي فيه عظام يوسف فاستخرجه
وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما لانها أرادت بالعظام كل البدن أو لان
الجسد لما لم تشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شأنه عدم البلى أو ان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان
الانبياء كابدان غيرهم في البلى (وما من مسلم) من مزيدة للتعميم أي كل مسلم (يصلي علي) وهو بعيد
(الا حملها) أي صلاته وسلامه (ملك حتى يؤديها) أي يوصلها (الي ويسميه حتى انه) بكسر الهمزة
(ليقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا) فيذكر ما قاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم أبيه ومكانه وشهرته
وأخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا أعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت
فليس أحد يصلي علي صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك الرجل بكل
واحدة عشرا وفي رواية فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة ليس أحد من أمتي يصلي علي صلاة الا قال
يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب ان من صلى علي صلاة
صلى الله عليه وسلم عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف أيضا ان يرسلوا السلام له
صلى الله تعالى عليه وسلم مع الزوار أيضا كل عام كما قيل

رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء وفي شعب الايمان (وعن ابن شهاب) أي الزهري كما رواه النميري مرسلا (بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء) أي البيضاء النوراء (واليوم الازهر) أي الانور وروى في الليلة الغراء واليوم الاغر يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فانهما) أي اليوم والليلة (يؤديان) أي ذلك (عنكم وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي) أي صلاة (الا حملها ملك) أي تحملها عنه (حتى يؤديها) أي يوصلها (الي ويسميه) أي لدي (حتى انه) أي الملك (ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا) كناية عن ألفاظ الصلاة والسلام اجمالا وتفصيلا وتكثيرا وتقليلا فناهيك به تعظيما وتبجيلا

(فصل) (في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي) و زيد في نسخة أبو الفضل يعني المصنف (وفقه الله) وفي نسخة رحمة الله تعالى فالاولى من كلامه والاخرى من كلام غيره (عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من سائر الانبياء وأقول بل هي مستحبة لما روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والخطيب عن أنس مرفوعا صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلاة كما أستحقها لان المراد بها تعظيم من يصلى عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على ابراهيم وهو في المدعى كالصريح (و روى عن ابن عباس)

كما في شعب الايمان للبيهقي وسنن سعيد بن أبي منصور (انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضي الله تعالى عنه أخذ من قوله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه ان الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام مما بين الانام (وروى عنه) أي عن ابن عباس كما في فضل الصلاة عليه عليه السلام لاسمعيل القاضي (لا تنبغي الصلاة على أحد الا النبيين) ولعله رجع عن قوله الاول أو مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل فانه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفيان) أي الثوري أو ابن عيينة (يكره ان يصلى) ما

ألا أيها الغادي الى يثرب مهلا * لتحمل شوقا ما أطيق له حملا
تحمل رعاك الله مني تحية * وبلغ سلامي روح من طيبة حلا

(فصل في الاختلاف) الواقع بين العلماء (في الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في جواز الصلاة على غيره من المؤمنين غير الانبياء كالصحابة ونحوهم (وسائر الانبياء) أي بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما وسائر بمعنى باقي كما تقدم والخلاف في جواز الصلاة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على آله وأزواجه (قال القاضي) عياض المؤلف وفقه الله (عامة أهل العلم) أي جميعهم (متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) من الانبياء والملائكة والمؤمنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليست بمسلمة وقد قال النووي في الاذكار أجمعوا على طلب الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك أجمع من يعتد به على استحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا واما على غيرهم ابتداء فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض أصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي عليه الاكثر كراهة تنزيها لانه شعار أهل البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال علي عليه السلام اللهم الا ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبياء الا انه تخصيص من غير دليل (و روى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن أبي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية أمته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله (وروى عنه) أي عن ابن عباس رواه القاضي اسمعيل في أحكام القرآن (لا تنبغي الصلاة) من أحد (على أحد الا النبيين) وهذا مفسر لما قبله (وقال سفيان) الثوري (يكره ان يصلى الا على نبي) وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة من معنى النفي عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد بها البيهقي يكره ان يصلى على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبياء استقلالا وهو احدى الروايتين عن الثوري كما تقدم (وهذا غير معروف من مذهبه) أي مذهب الامام مالك وأيد كونه غير معروف من مذهبه بقوله (وقد قال) الامام (مالك في المبسوط) اسم كتاب كالمدونة (ليحيى بن اسحق) الذي روى المبسوط عن مالك وهو يحيى بن اسحق بن عبد الله بن اسحق بن المهلب ابن جعفر ويكنى أبا بكر وله بيت شريف بقرطبة (أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى

أي على أحد اصالة (الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي) وفي حاشية الحلبي قوله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي بالفاء والسين المهملة نسبة الى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا أبو عمران الفاسي فقيه أهل القيروان في وقته (مذهب مالك انه لا يجوز) أي لا ينبغي (ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد وهذا) أي النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن ان يكون مراده الجمع بين الصلاة والسلام فانه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) أي الامام (في المبسوطة) وفي نسخة صحيحة في المبسوط (ليحيى بن اسحق أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى) أي بالجمع بين الصلاة والسلام

ما أمرنا به) فلا نتجاوزه لغيره لانه أمر تعبدي لا يعقل معناه بالرأي ويقتصر فيه على ما روي عنهم (وقال يحيى ابن يحيى) الليثي عالم الاندلس وراوي الموطأ عن مالك رحمه الله تعالى (لست آخذ بقوله) أي لا أتمسك بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما أمرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قط يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية ومن عزا لمالك عدم الجواز جعل قوله ما ينبغي على عدم الجواز فمعناه وهي تستعمل لهذا المعنى وورد لغيره أيضا (ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم) من الملائكة والمؤمنين (واحتج) يحيى بن يحيى لما قاله (بحديث بن عمر) الآتي انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر تبعا (وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة الصلاة عليه) كما مر (وفيه) أي في حديث تعليمه أيضا (وعلى ازواجه وعلى آله) فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبياء جائزة الا ان هذا بطريق التبعية والخلاف في الصلاة على غيرهم استقلالا كما مر وحينئذ فما ذكر لا ينافي ما قاله مالك ولا يتجه ما قاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفي بعض النسخ زيادة وهي (وقد وجدت معلقا) أي مكتوبا في بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه المحدثون من ذكر حديث طوى سنده أو بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهي في اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره أم لا فيرويه عن (أبي عمران الفاسي) هو موسى ابن عيسى الغفجومي بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء وضم الجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسي نسبة لفاس بلدة بالمغرب وقوله في القاموس انه بهمزة لا اصل له وأبو عمران فقيه المغرب توفي سنة ثلاثين وأربعمائة في ثالث شهر رمضان (روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) نبيا أو غيره (قال) أبو عمران (وبه نقول) أي نعتقده ونعمل به (ولم تكن) الصلاة على غير نبينا استقلالا (تستعمل فيما مضى) من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم (وقد روى عبد الرزاق) وهو امام الحديث أبو بكر بن همام بن نافع الحميري وله تصانيف جليلة وروى عنه أحمد وغيره وتوفي سنة احدى عشر ومائتين (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني) تعليل للصلاة عليهم بانهم ساووه صلى الله عليه وسلم في أصل البعثة وينبغي ان يصلى عليهم كما صلى عليه وهذا الحديث رواه الطبراني والقاضي اسمعيل والتميمي في الترغيب وغيرهم بسند صحيح (قالوا والاسانيد عن ابن عباس) الواردة في منع الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (لينة) أي ليست بقوية فلا تعارض ما روي عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين فتأمله ثم رده بوجه آخر مقبول فقال (والصلاة) معناها التي وضعت له (في لسان العرب) أي في لغتهم واللسان اسم للجارحة التي هي آلة النطق تجوز بها عما ذكر كما قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (بمعنى الترحم والدعاء) بالرحمة (وذلك) أي الدعاء بالرحمة (على الاطلاق) أي يجوز مطلقا

كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر (وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اصحابه فيما مر (الصلاة عليه وفيه) أي وفي حديث تعليمه عليه السلام (وعلى آله وأزواجه) وفيه انه لا خلاف في جواز الصلاة على غير الانبياء تبعا وزيد في بعض النسخ هنا (وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي) بالفاء والسين وفي نسخة القاسي بالقاف وموحدة بعد الالف فسين مهملة (روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وبه أقول) وفي نسخة وبه نقول (ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله)

وفي نسخة فان الله (بعثهم كما بعثني قالوا) أي يحيى واتباعه أو جمهور العلماء وهو الظاهر من قوله (والاسانيد) أي الواردة (عن ابن عباس) من نحو قوله لا تجوز الصلاة على غير النبي عليه السلام (لينة) أي ضعيفة لا يصلح شيء منها للاحتجاج به على عدم جواز الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء) أي ونحوهما من الاستغفار وحسن الثناء (وذلك) أي جوازه (على الاطلاق) أي بالاتفاق

(حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) أي صريح وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية بتمامها ليخرجكم من الظلمات الى النور وفي المعالم للبغوي قال الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين وقال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال) أي الله تعالى لنبيه عليه السلام (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) أي من رذيلة البخل (وتزكيهم) أي وتنمي مالهم (بها) أي بسببها (وصل عليهم) أي

التفت اليهم وترحم عليهم واقبل عذر ما لديهم (الآية) وهي ان صلاتك سكن لهم أي تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وفيه ايماء الى خصوصيته بهذا الدعاء (وقال) أي الله سبحانه (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أي تحيات ومدحات (ورحمة) أي أنواع رحمات وظاهره ان الصلاة عامة للمؤمنين ولا يبعد ان يكون من باب التوزيع والتقسيم وان تكون الصلوات خاصة للانبياء والرحمة عامة للاصفياء (وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى (اللهم صل على آل أبي أوفى) ومن تتمة الحديث قوله (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) كناية عما ينسبون اليه وقد رواه أبو داود والنسائي عن قيس بن سعد بن عبادة انه عليه السلام قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ومرادهم كابي أوفى (وفي حديث الصلاة) أي في التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه) وفي نسخة وعلى أزواجه (وذريته وفي آخر) أي حديث آخر (وعلى آل محمد قيل) أي المراد بهم (اتباعه) أي الى يوم القيامة (وقيل أمته) أي أمة الاجابة وهو قريب مما قبله وربما يقال هو أعم والاول أخص (وقيل آل بيته) أي أقاربه وأزواجه وذريته (قيل الاتباع والرهط والعشيرة) أي جميعهم ويروى الاتباع وهم الرهط وقيل رهط الرجل قبيلته وعشيرته قومه

على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لا بأس بها على الانبياء وغيرهم كما قيل (حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم لانه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه أورد دليلا أقوى من هذا فقال (وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته) في هذه الآية دليل على انه تجوز الصلاة على كل مؤمن فضلا عن الانبياء لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه ان الله وملائكته يصلون على النبي قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شيء فنزل الله هذه الآية وتقدم ان صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار لسائر المؤمنين (وقال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم فامره بالدعاء لهم بلفظ الصلاة لمن أدى الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على آل أبي أوفى كما يأتي وفي دعائه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمئنان قلوبهم (وقال الله تعالى أولئك) الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المؤمنين (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها أعم لانه يجوز التفسير بالاعم اذا قصد فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان (اللهم صل على آل أبي أوفى) وهذا الحديث روي عن عبد الله بن أبي أوفى وتتمته (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) فأتاه بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى والصدقة المراد بها هنا الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك أموالهم التي بذلوا زكاتها وآله أهله واتباعه وقيل المراد نفسه وذاته كما في قوله لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود أي من مزامير داود عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المصنف في تفسير آله صلى الله عليه وسلم كما يأتي وأبو أوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابي أيضا شهد مع أبيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من أقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا (وفي حديث الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده وطرقه مفصلا (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته) وهم نسله وأولاده كما تقدم (وفي حديث آخر) روي في صلاة التشهد (وعلى آل محمد) وفسر الاول بقوله (قيل) آله (اتباعه) جمع تابع أو تبيع وهو من يقفو أثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخصه من الاهل والخدم (وقيل) آله (وأمته) والمراد أمة الاجابة وهم كل من آمن به وأمة الدعوة أعم منهم (وقيل) هم (الاتباع والرهط والعشيرة) والرهط القبيلة مطلقا وهو في الاصل

ما

ما دون العشيرة ثم عم والعشيرة بنو أبيه الادنون وقبيلته (وقيل آل الرجل ولده) أي نسله مطلقا (وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة) لانها أوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله تعالى وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس بكل نيهم (وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي) وهذا حديث صحيح روي من طرق رواه الطبراني والديلمي وشيبان وغيرهم وهذا معنى مجازي كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا آل البيت لان الله طهر أهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقي أكرمه الله تعالى وغفر سيئاته وهذا معروف في لسانهم كما قيل * رب أخ لي لم تلده أمي * (ويجيء على مذهب الحسن) البصري رضي الله عنه والضمير المستتر في يجيء للآل (ان المراد بآل محمد) الوارد في الصلاة عليه (محمد نفسه) أي فعنده ان الآل معناه الذات والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله في مثله زائدا مقحما والزيادة في الاسماء خلاف ما عهد من كلامهم وان أمكن حمل كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك * (فائدة) * روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تكون أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة قارئها أقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها أعظم الناس صدقة وتجارها أعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها تسعون ألف شهيد من أفضل الشهداء قلت وعلماؤها أقوالهم في العربية مقدمة على غيرهم لمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم لها (فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في التشهد (اللهم اجعل صلاتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل) بضم الياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام أي لا يترك والخلل يأتي بمعنى الترك والنقص (بالفرض) يعني به الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ويأتي بالنفل) يعني به الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم من ان الصلاة عليه في التشهد ليست بفرض الا عند الشافعي وعند المصنف انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر (لان الفرض الذي أمر الله به) في آية صلوا عليه وسلموا تسليما (هو الصلاة على محمد نفسه) لا على آله كما ذهب اليه الشافعي فوافقة الحسن له تنافي الشذوذ الذي ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض ما لا بد منه لمن أراد الصلاة فانه يلزمه أن يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره أو يقول انه مذهب الحسن وموافقة واحد لا تنافي الشذوذ عنده (وهذا) أي ذكر الآل وارادة الذات منه (مثل قوله صلى الله عليه وسلم) في حق أبي موسى الاشعري لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه (لقد أوتي) أي والله لقد أتى الله أبا موسى (مزمارا من مزامير آل داود يريد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مزامير داود) نبي الله صلى الله عليه وسلم فآله بمعنى نفسه كما في صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور أيضا والزمر النفخ في المزمار والصوت الحسن بغير آلة لان أصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

زنان حنان بينهما * رجل أحسن غناؤه زمر

أي حسن كما قاله ابن الانباري فزاميره بمعنى ترغاته لانه كان له الآلة المعروفة والمنقول انها له نفسه لا لآلة وكان لحسن صوته اذا قرأ بتلاحينه الزبور وأدعية تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء

كل تقي) الظاهر ان كل تقي منهم والمعنى من ليس بتقي ليس بآلي ولا يبعد أن يكون المعنى كل من يكون تقيا يكون آلا وعلى التقدير بن يؤيده قوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون (ويجيء على مذهب الحسن) الظاهر انه الحسن البصري (ان المراد بآل محمد محمد نفسه) أي في بعض التراكيب (فانه) أي النبي عليه السلام أو الحسن (كان يقول في صلاته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على ما رواه النميري (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد) زيد في نسخة يريد نفسه الشريفة الا انه لا يلائم قوله (لانه) أي قائله (كان لا يخل بالفرض) أي في الجملة وهو الصلاة على محمد (ويأتي بالنفل) وهو الصلاة على آله (لان الفرض الذي أمره الله به) أي في قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه (هو الصلاة على محمد نفسه) أي ذاته دون غيره بشهادة قراءته الاخرى من طرق متعددة على محمد دون آله (وهذا) أي كون الآل مقحما (مثل قوله عليه السلام) فيما رواه الشيخان (لقد أوتي) أي أبو موسى الاشعري (مزمارا) أي صوتا حسنا (من مزامير آل داود يريد) أي النبي عليه الصلاة والسلام (من مزامير داود) لانه لا يعرف أحد من آله انه كان له مزمار ونظير هذا من التنزيل قوله مما ترك آل موسى وآل هرون

(وفى حديث أبى حميد الساعدى فى الصلاة) أى فى ألفاظها (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفى حديث ابن عمر انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عند قبره (وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) بفتح همز ودال وضم لام وقيل بضم الثلاثة وقيده به احترازا عن يحيى بن يحيى النيسابورى وزيد فى نسخة والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر (وروى ابن وهب) وهو المصرى العلم (عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) أى للتهجد والاستغفار (ويصومون بالنهار قال القاضى) يعنى المصنف وفى نسخة قال الفقيه القاضى (والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه ماقاله مالك) أى امام المذهب (وسفيان) أى الثورى أو ابن عيينة رحمهما الله وروى أى وبما روى (عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثيرون (من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء) وهم أعم من الرسل (عند ذكرهم) أى افرادا وانما تجوز اتباعا (بل هو) أى الصلاة وذكر باعتبار خبره وهو قوله (شئ يختص) يروى يخص (به الانبياء) أى عرفا وعادة وفيه رد على الرافضة (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه) أى فيما ذكر (غيره) فيقال قال تعالى عز وجل وان كان الانبياء أعزة واجلاء وعن العيوب براء (كذا يجب تخصيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك) بالبناء للمفعول أو الفاعل وفى نسخة ولا يشاركهم (فيه) أى فى كل واحد منهما (سواهم كما أمر الله) أى المؤمنين (بقوله

الجارى يقف له وهو مبالغة فى نهاية حسنه وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر هو وعائشة رضى الله تعالى عنها على بنت أبى موسى وهو يقرأ القرآن ليلة فوقفا يستمعان له وكان من أحسن الناس صوتا فلما أصبح أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بانصاته له وقال له لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا اى لزدت فى تحسين صوتى لاستماعك لى (وفى حديث أبى حميد) بالتصغير (الساعدى) وهو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجى كما تقدم الذى رواه (فى الصلاة) عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبياء لكن تبعا لهم (وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه) أى ابن عمر (كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) عن مالك وانما قيده بالاندلسى لان الموطأ رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى أحدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى الليثى مات سنة أربع وثلاثين ومائتين والآخر أبو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمى النيسابورى توفى سنة ست وعشرين ومائتين وله رواية فى الصحيحين كما قاله السيوطى فى مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسى بفتح الهمزة والدال وضمهما والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر) رضى الله عنهما (وروى ابن وهب عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب) حال أى فى حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا (فنقول) فى دعائنا لهم (اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) للتهجد والعبادة (ويصومون بالنهار) ففى هذا دليل على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه) أى أرجحه واعتقد صحته والميل فى الاجسام معروف وشاع فى المحبة والمصنف رحمه الله تعالى تجوز به عما قلناه (ماقاله مالك) بن أنس امام أهل الحديث (وسفيان) الثورى رحمهما الله تعالى (وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثير (من الفقهاء والمتكلمين) أى أهل علم الكلام لان منهم من ذكرها فى السمعيات كمسائل الامامة (أنه) بفتح الهمزة بدل من ما (لا يصلى على غير الانبياء) بانفراده ولا (عند ذكرهم) أى ذكر الانبياء والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكر لغير واحد يأباه قوله (بل هو) أى المذكور وهو الصلاة أو ذكر رعاية للخبر (شئ يختص به الانبياء عليهم الصلاة والسلام) لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم فى الانفراد به وفيه نظر (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا يجعله شعارا لهم (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه) أراد به قوله سبحانه وتعالى فان معناه أنزهه والانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقائص ولكن لا يجوز ان يقال فى حقهم ذلك (والتقديس) باطلاق قدس وقدوس ونحوه وهو بمعنى التطهير (والتعظيم المخصوص به نحو جل جلاله وعز وجل فتعريفه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته (ولا يشاركه) أى لا يشارك الله (فيه) أى فيما ذكر التنزيه وما بعده (غيره) من نبى وغيره (كذلك يجب تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم) أى بهما معا (ولا يشارك) مبنى للفاعل أو المفعول هنا (فيه) أى فى ذكر الصلاة والتسليم (سواهم) من غير الانبياء وفى نسخة ولا يشاركهم (كما أمر الله بقوله

صلوا

صلوا عليه وسلموا تسليما) ويذكر من سواهم من الائمة المجتهدين من الصحابة والتابعين (وغيرهم) من العلماء الصالحين (بالغفران والرضى) وفيه ان الرضى مختص عرفا بالصحابة وان كانوا يدخلون في المغفرة تحت عموم الدعاء (كما قال الله تعالى يقولون) أي الذين جاؤا من بعدهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أي ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقال تعالى والذين اتبعوهم) وفي نسخة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار

والذين اتبعوهم (باحسان) أي بايمان وايقان وطاعة واتقان الى يوم القيامة (رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه وأيضا فهو) أي ذكر الصلاة والسلام على غير الانبياء (امر) ويروى فهذا أمر (لم يكن معروفا في الصدر الاول) أي من السلف والخلف (كما قال أبو عمران) أي الفاسى (وانما احدثته الرافضة) أي التاركة محبة اكثر الصحابة (والمتشيعة) أي المظهرة انهم السابقون والمتابعون (في بعض الائمة) أي من أهل بيت النبوة (فشاركوهم) أي أئمتهم كعلي والحسنين وغيرهم (عند الذكر لهم بالصلاة) وكذا بالسلام فيقولون مثلا على عليه الصلاة والسلام (وساووهم) أي أئمتهم (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك) أي مقام المرام وهذا لا يليق بالكرام وذكر الانطاكي ان الرافضة فرقة من شيعة الكوفة وسموا

صلوا عليه وسلموا تسليما) وقوله المذكور بيان لما ذكر لا دليل لما ذكره لانه ليس فيه جواز الصلاة على غيره ولا منعها عمن عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية الدعاء لغيرهم فقال (ويذكر من سواهم) أي من سوى الانبياء والرسل في الدعاء لهم (من الائمة) أي أئمة الدين أي الخلفاء (وغيرهم من سائر العلماء والمؤمنين (بالغفران والرضى) فيقال غفر الله تعالى لهم ورضي عنهم (كما قال الله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الله تعالى) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم) فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة والترضي لسائر المؤمنين والصحابة وقيل في الاستدلال بما ذكر نظر فان قوله رضي الله عنهم ليس دعاء لهم بل اخبار بان الله رضي عنهم وأعد لهم جنات النعيم ولا يلزمه جواز الدعاء به كان اخبار الله بالصلاة على المؤمنين بمعنى رحمتهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضي الله عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق وأما ما قيل من انه لا يدعى لاصحابة الا برضي الله تعالى عنهم فهو أمر حسن للادب وليس بلازم فلو قال للصحابي رحمه الله تعالى أو غفر له كان حسنا الا اذا أوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووي لا بأس به والارجح ان يقال رضي الله تعالى عنهم وقول امام الحرمين في الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم لنبوتها ورجحه ابن السيد (وأيضا فهو) أي الصلاة عليهم (أمر لم يكن معروفا في الصدر الاول) أي عصر الصحابة ومن قرب منهم والفاء في فهو جواب شرط مقدر أي فان اردت دليلا أوضح مما ذكر فهو الى آخره وفيه بحث سيأتي في آخر هذا الفصل (كما قال أبو عمران) موسى ابن عيسى الفاسى فقيه القيروان وان كما تقدم قريبا (وانما أحدثته الرافضة والمتشيعة) هما طائفتان من أهل البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما من اتفق على تفضيل على كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن على بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت لابى بكر لمصلحة رأوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة قوما اظهروا بغض على كما توهم وأصل معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهؤلاء والذي احدثه هؤلاء انما هو الصلاة على على وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه في سائر الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبياء مطلقا والشيعة انما يصلون على على فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضي والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفي نسخة الشيعة بدل المتشيعة (في بعض الائمة) المراد على وأولاده وفي نسخة في بعض أئمتهم (فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم) بانفرادهم وان لم يكونوا اتباعا له صلى الله عليه وسلم (وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك) أي في قولهم في الدعاء لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم

بذلك لان زيد بن على بن حسين بن على بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر فمنعهم عن ذلك فرفضوه ولم يبق معه الا مائتا فارس فقال لهم رفضتموني أي تركتموني فلقبوا بذلك ثم لزم هذا اللقب كل من غلا في مذهبه واستجاز الطعن في الصحابة والمتشيعة هم الذين ينسبون الى الشيعة وتقدم انهم فرقة يفضلون عليا ويزعمون انهم من شيعته أي اتباعه

(وأيضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أي وجعلوه شعارا لهم هنالك (وذكر الصلاة على الآل والازواج

مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم (والاضافة اليه) أي فهو جائز (لا على التخصيص) أي بحكم الاستقلال (قالوا) أي العلماء المحققون (وصلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه) أي من آل أبي أوفى ونحوه (مجراها مجرى الدعاء) أي مجرى تلك الصلاة محمول على مجرى الدعاء والرحمة (والمواجهة) أي بحسن المقابلة حال المعاشرة (ليس فيها معنى التعظيم والتوقير) أي الذي اختص بارباب الكمال (قالوا) أي العلماء وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي في المناداة باسمه وفي رفع الصوت عنده (فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) أي ليتميز به عن غيره (وهذا اختيار الامام أبي المظفر الاسفرائني) بكسر الهمزة وتفتح وفتح الفاء وتكسر (من شيوخنا) أي الفقهاء المالكية (وبه قال أبو عمر بن عبد البر) رحمه حافظ المغرب في البحر والبر

استقلالا كما صلوا عليه (وأيضا) مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبياء (فان التشبه باهل البدع) المراد بهم أصحاب المذاهب الباطلة (منهي عنه) شرعا (فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أي الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتأمله ثم أجاب عما اورد عليه بقوله (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) والكلام في ذكر الصلاة فلا يرد هذا انتقاضا عليه (والاضافة اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي انما ذكر الصلاة عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة (لا على التخصيص) لهم بذلك (قالوا) أي جمهور العلماء الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين عما استدل به من خالفهم (وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه) بانفراده كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى كما تقدم (مجراها مجرى الدعاء) بضم الميم وفتحها فيهما والمجرى المشي السريع والمجرى محل الجري أو الاجراء وجريه في مجراه جعله مثله ومن نوعه أي المقصود بها الدعاء بالرحمة لهم (والمواجهة) لهم بالدعاء لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهي كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقي وفي ذكره في الغيبة زيادة توقير لا يليق لكل احد كما قال (وليس فيها) أي في المواجهة (معنى التعظيم والتوقير) الذي في الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف (وقالوا) تاييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها تمسكا بقوله (وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بالدعاء وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم شأن يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعاء له بغير مواجهة ينبغي ان يكون بغاية التعظيم والتوقير اللائق به دون غيره فسقط ما قيل من انه ليس في هذه الآية مناسبة لمقصوده وما هو بصدده (فكذلك) أي مثل ما يجب له في الدعاء مواجهة (يجب ان يكون الدعاء له) في غير حال المواجهة (مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) فلذا خص بالصلاة عليه التي قصد بها التوقير وغاية التعظيم (وهذا) أي اختصاصه بالصلاة استقلالا وفي نسخة وهو (اختيار الامام أبي المظفر الاسفرائني من شيوخنا) أي من كبار علماء أهل السنة بقرينة مقابلة الرافضة واسفرائن بلدة بخراسان معروفة وأبو المظفر كنية طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم (وبه قال) الامام (أبو عمر بن عبد البر) رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان التصلية والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة أمرنا بالتعبد بها فهي واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا استقلالا مستحبة وما نقل عن مالك انها منهي عنها مخالف للقول الصحيح وقال القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبياء تبعا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مستحبة أيضا كما في التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه أيضا فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الانبياء بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبياء أيضا فلا يقال في غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقهاء فهو مكروه تنزيها

* (فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم) * أي ذكر ما يتعلق به من سننه وآدابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة وزارا فالمزار مصدر واسم مكان أيضا والزيارة تختص بمجيء بعض الاحياء لبعض مودة ومحبة هذا أصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات لاعطائهم حكم الاحياء

(فصل) في حكم زيارة قبره عليه السلام

وصار حقيقة عرفية فيه لشيوعه فيها (وفضيلة من زاره) بالجر عطفا على الحكم أو على ما أضيف اليه والضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم أو للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثناء والثواب (وسلم عليه وكيف يسلم) من زاره صلى الله تعالى عليه وسلم أي ما يقوله ويفعله عند الزيارة (ويدعو له) أي وكيف يدعو له صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه (وزيارة قبره سنة) مأثورة مستحبة (مجمع عليها) أي على كونها سنة ولا عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سيأتي بيانه (وفضيلة مرغب فيها) بصيغة المفعول مشددة الغين المعجمة أي رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما لتذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجري في جميعها أو لدعاء لأهلها المسلمين كزاره صلى الله تعالى عليه وسلم البقيع وهذا مستحب أو للتبرك بمن فيها من الانبياء والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبياء وانه في غيرهم بدعة واما في الانبياء فهي مشروعة وتوقف فيه السبكي وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحي وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته وهو مستحب أيضا لما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الميت آنس ما يكون اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعاء وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام (روى عن ابن عمر) رواه ابن خزيمة والبزار والطبراني والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن في رواته مردود كما بينه السبكي واطال فيه وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله أحمد في حديث دعاء الاستخارة مع انه في الصحيحين وقول الذهبي طرقه كلها لينة يقوى بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته انه يسلم ذلك حسن أو هو يطلق عليه الصحة كما بين في محله وفي نسخة هنا (حدثنا القاضي أبو علي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا قال (حدثنا الحسن) بن جعفر قال (حدثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني) المشهور كنار على علم قال (حدثنا القاضي المحاملي) قال (حدثنا محمد بن عبد الرزاق) قال (حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله) بن عمر عن نافع (عن ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما فذكره (انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي) أي سؤالي الله له ان يتجاوز عنه كما تقدم ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهي ثابتة له بالوعد الصادق لابد منها وليس المراد به الوجوب الشرعي وروي حلت له شفاعتي والمراد انه يخصه بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ والدي الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي وأفاد قوله له مع عموم شفاعته له ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه في ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات في الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما غير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان أريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره والافراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما فيجري على عمومه ولا يضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام وحده كاف في نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة جليلة اذ هي تعظم بعظم الشافع ولا أعظم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أعظم من شفاعته ثم أشار الى ان هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تحصل الا لمن أخلص وجهته فيها بان لا يقصد بها أو معها أمرا آخر ينافيها بقوله (وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبري في المدينة محتسبا) أي ناويا بزيارته وجه الله تعالى من غير غرض مخلصا في نيته مع قصد كرامه

وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع) ويروى مجتمع (عليها) أي مجتمع على كونها سنة وممن ادعى الاجماع النووي وابن الهمام بل قيل انها واجبة (وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر) فيما رواه ابن خزيمة والبزار والطبراني وله طرق وشواهد حسنه الذهبي لاجلها (قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي) أي حقت وثبتت وفي رواية حلت رواه الدارقطني وغيره وصححه جماعة من ائمة الحديث (وعن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا) أي ناويا ذلك الجناب وطالبا للثواب ليس له غرض آخر في هذا الباب فعن عمر رضي الله تعالى عنه أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته

(كان في جواري) بكسر الجيم أي مجاورتي وفي نسخة بضم الجيم أي في ذمتي وعهدي وجيرتي (وكنت له شفيعا يوم القيامة) قال الدلجي لا أعرف من رواه قلت قد رواه العقيلي وغيره بلفظ من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ورواه البيهقي ولفظه من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة وروى أبو عوانة من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة (وفي حديث آخر) أي مما رواه البيهقي وسعيد بن منصور في سننهما والدارقطني والطبراني وأبو يعلى وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما (من زارني بعد موتي) وفي رواية بعد وفاتي (فكأنما زارني في حياتي) والاحاديث في هذا الباب كثيرة والروايات فيها شهيرة منها ما رواه علي مرفوعا من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني وقد استدل به على وجوب الزيارة بعد الاستطاعة وعن أنس بسند ضعيف بلفظ ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر وعن ابن عدي بسند يحتج به من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني (وكره مالك رحمه الله) قال ابن تيمية وتبعه طائفة في ذلك (ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك) أي الداعي كراهية مالك (فقيل كراهية الاسم) وفي نسخة كراهية للاسم وفي أخرى كراهة الاسم أي اسم الزيارة (لما ورد) أي في رواية أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه (من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور) بفتح الزاي وتشديد الواو أي المبالغات في زيارة القبور وفيه انه عليه السلام انما لعنهن لانهن مأمورات بالقرار في بيوتهن فلا يصلح زيارتها لهن نعم قد يؤخذ منه انه لا يسن في حقهن زيارته عليه السلام كما قال به بعض الاعلام لكن الاصح انه لا يكره لهن ذلك اذا أمن شرائط فيما هنالك (وهذا) أي الاستدلال (يرده قوله) أي فيما رواه مسلم (كنت نهيتكم) وفي نسخة من الكتاب نهيتم (عن زيارة القبور فزوروها) وفي نسخة بزيادة ولا تقولوا هجرا بضم الهاء وسكون الجيم أي كلاما يوجب اثما وفيه بحث اذ يحتمل ان يكون خطاب الرجال بعد خطاب النساء فيكون الحكم الثاني في حقهم ناسخا لا في حقهن ويؤيده التعليل في حقهن بانهن قليلات الصبر كثيرات الجزع والفزع لا يمكن أنفسهن من الصياح والنياح واما التعليل في حقهم فلان أمواتهم في صدر الاسلام كانوا كفرة فمنعوا عن زيارة قبورهم فلما كثر أموات المسلمين أجازهم زيارتهم لما فيها من العبرة لاهل الحياة ومنفعة الدعوة للاموات فهذا حديث اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ (وقوله) أي ويرده أيضا قوله فيما رواه عن ابن عمر وغيره مرفوعا

لا ينوي غيره والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر رضي الله عنه أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض أجره فيه الى الله تعالى (كان في جواري) أي له منزلة رفيعة في الآخرة أو المراد انه يكون في امانه وعهده فلا يناله مكروه أصلا والجوار مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر أفصح (وكنت له شفيعا يوم القيامة) المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة فان له شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم يموت بالمدينة ويدفن بها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان كان لا تدري نفس باي أرض تموت (وفي حديث آخر) رواه البيهقي والدارقطني والطبراني وسعيد بن منصور عن ابن عمر (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يدري بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروي هذا بلفظه من طرق كثيرة (وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) هكذا روي عنه (وقد اختلف في معنى ذلك) وما أراده مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس (فقيل كراهة الاسم) أي اسم الزيارة واطلاقها (لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله زوارات القبور) فلعنهن من حيث انهن زوارات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة (وهذا يرده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (نهيتم) بالبناء للمجهول والرواية كنت نهيتكم (عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا) فهذا ناسخ له لانه أمر بعد نهي وهذا الدليل وجوابه أوهن من بيت العنكبوت لان الاول في حق النساء المكثرين للزيارة وهذا المطلق زيارة الرجال ودخول النساء تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته على قائله لا على المصنف رحمه الله فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل ان الحديث الاول خاص بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن من طرق صحيحة ولما كان هذا في غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله عليه وسلم أورد ما يدل عليه أيضا فقال (وقوله) صلى الله عليه وسلم

(من زار قبري) أي وجبت له شفاعتي أوحلت له شفاعتي (فقد أطلق اسم الزيارة) أي فلم تكن الكراهة لاسم الزيارة (وقيل) أي في توجيه كلام مالك (لان ذلك لما قيل) أي لقول بعضهم (ان الزائر أفضل من المزور وهذا) أي الاستدلال (أيضا ليس بشئ) أي معتد به وفي نسخة ليس بين أي بظاهر ولم يلتفت اليه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) بل الغالب عكسه في العرف والعادة (وليس هذا) أي هذا القول (عموما) أي عاما في كل زائر (وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ) أي اطلاق لفظ الزيارة (في حقه تعالى) ففي حق نبيه عليه السلام بالاولى فلا يصح الاستدلال بها المبني على هذا المعنى وزيد في بعض

وسلم في الحديث الذي تقدم روايته عن ابن عمر (من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة) فدل على ان الكراهة التي رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم (وقيل) وجه كراهته (لان ذلك لما قيل ان الزائر أفضل من المزور) هو من يزار ولا يقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة الزائر في قبضة المزار خطأ قبيح (وهذا أيضا) كالذي قبله (ليس بشئ) يعتد به بل عكسه أقرب الى الصواب منه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) وهي الافضلية فقد يكون مساويا له وأدنى منه (وليس عموما) في كل زائر (وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم) في الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه في العظمة فكيف يتوهم هذا (ولم يمنع) اطلاق (هذا اللفظ في حقه تعالى) ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة روى على وجوه منها ما رواه أبو نعيم عن علي كرم الله وجهه اذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك يقول ان الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون ثم توضع لهم مائدة الحديث وقال أبو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض فكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وارخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد (والذي عندي) في وجه الكراهة عنده وفي نسخة والاولى عندي أي في اعتقادي وحكمي في توجيه الكراهة عنده (ان منعه) من اطلاق الزيارة على قبره (و) وجه (كراهة مالك له) أي لقولهم زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (للاضافة) أي نسبة الزيارة (الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بايقاعها عليه فليست الاضافة هنا نحوية بل عرفية ودلالية بذكر القبر وجعله مزورا (وانه لو قال) كل قائل (زرنا النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم بدون ذكر القبر (لم يكرهه) أي على ما يأتي قيل وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي الا ان يقال انه ضعيف وان الصحيح حديث أنس من زارني بدون ذكر القبر الا انه غير مسلم لان عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه وتقدم الكلام أيضا فيه (لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا) أي كالوثن وهو الصنم من الحجارة (يعبد بعدي) أي بعد وضعي فيه وقيل الفرق بين الوثن والصنم الاول ما كان نحتا من حجارة وغيرها والثاني ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما وهو المشهور (اشتد غضب الله تعالى على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي يسجدون لها كما يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبي النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى السماء اللهم الا ان يقال انه تغليب أي قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد جدا ولا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا لم وقع في حديث آخر لعن

النسخ هنا (وقال أبو عمران) أي الفاسي وفي كثير من النسخ أبو عمر وهو ابن عبد البر (انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض) أي فيما بينهم (فكره تسوية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس) أي عمومهم (بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ان السلام أيضا يستعمل عاما فلا يكون التعليل تاما (قال وأيضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال) وفي نسخة شد المطي (الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض) أي موجب تهديد وفيه ان لفظ الزيارة قضية لغوية كالحج والعمرة والصلاة والزكاة وأمثالها والوجوب والندب والنافلة من الاحكام الشرعية (والاولى عندي ان منعه) أي منع هذا القول هنالك (وكراهة مالك له) أي لذلك لاضافته الى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) بكسر الهمزة وفتحها (لو قال زرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه) أي مالك ومن تبعه وانما ذلك (لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل قبري وثنا) أي كالوثن وهو الصنم (يعبد بعدي) أي بعد موتي (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي يسجدون لها كما يسجدون للاوثان كما فعله بعض النصارى

الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهذا يشكل عليه ماذكرناه ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم ان هذا الحديث هو الذى دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التى كفروه بها وصنف فيها السبكى مصنفا مستقلا وهى منعه من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحى حقا ترحل النجب * وعند ذاك المرجى ينتهى الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغى ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله تعالى عز وجل واما قوله صلى الله عليه وسلم الآتى لا تتخذوا قبرى عيدا فقيل كره الاجتماع عنده فى يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه فى العام مرة فقط بل أكثروا الزيارة له كما مر واما احتماله للنهى عنها فهو يفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة أى لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له فى الاعياد بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف (فحمى) أى صان مالك رحمه الله (اضافة هذا اللفظ) أى لفظ الزيارة اضافة معنوية (الى القبر) يعنى قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم (والتشبه بفعل أولئك) الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود (قطعا للذريعة وحسما) أى قطعا وسدا (للباب) أى باب الذريعة وهذا مبنى على سد الذرائع التى هى من قواعد مذهب مالك وقد قدمنا تحقيقه (والله تعالى أعلم) بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل مما يتعجب منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه أصلا بفعل أولئك فالظاهر انه لم يصح عنه وانما المروى عنه كما وقع هنا فى بعض النسخ (وهو كما قال أبو عمران) موسى بن عيسى الفاسى فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته (انما كره ان يقول طواف الزيارة) الذى يكون بعد رمى الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه فى اطلاقه غيره فالتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة فى كلام مالك وفى نسخة بدل هذه النسخة قبل قوله والذى عندى الى آخره وقال أبو عمران انما كره مالك الى آخر ما تقدم *(تنبيه)* ما ادعى المصنف رحمه الله تعالى انه الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره فى أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصحبنى الا ان قوله وصحبنى تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيارة منكرة ورد بان له متابعات وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافى خبر لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا الحديث وروى أيضا فى معناه أحاديث كثيرة قال السبكى كأنها لم تبلغ مالكا رحمه الله مع انه روى عنه أيضا كراهة ان يقال زرنا النبي لانه أعظم من ان يزار ولانه اشتهر فى الموتى وهو صلى الله عليه وسلم حى فى قبره وقيل كرهه لان الذهاب ليس لصلته ونفعه وانما هو رغبة فى الثواب قال السبكى وهو الاقرب فى توجيه كلام مالك وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شئ من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وهى كالواجب عنده واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حى

(فحمى) أى صان مالك (اضافة هذا اللفظ) أى لفظ الزيارة (الى القبر والتشبه بفعل أولئك) أى العامة (قطعا للذريعة) أى الوسيلة (وحسما) أى قطعا (للباب) أى لفتح هذا الباب (والله أعلم) أى بالصواب وفيه انه قد ورد بروايات متعددة التصريح بهذه اللفظة فلا يلتفت الى هذه العلة منها ما رواه أبو داود والطيالسى من زار قبرى كنت له شفيعا أو شهيدا ومنها حديث على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وجاء عنه موقوفا من زار قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى جواره عليه السلام على أنا اذا قلنا زرناه فالمعنى زرنا قبره لانه لا يتصور زيارة ذاته حقيقة ولهذا المعنى ورد من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى بلفظ التشبيه مع ان المعتقد انه وسائر الانبياء فى قبورهم من الأحياء فانهم أولى بذلك من الشهداء بل قولنا زرنا قبره أولى من زرناه عند التحقيق والله ولى التوفيق هذا وما وقع للشعبى والنخعى مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يعول عليه لمخالفته اجماع غيرهما وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى أقرب الصواب لان تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب نعم يمكن حمل كلام من حرم أو كره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع فى وقت خاص على هيئة منكرة أو صفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء فى وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيدا الموجب لما أورد فيه وعيدا

(قال

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه وممالم يزل) أي من قديم الايام (من شأن من حج) أي من تريده من قصد (بيت الله الحرام المرور بالمدينة) أي مدينة الاسلام لزيارته عليه الصلاة والسلام أي اماقبل الحج واما بعده (والقصد) أي أيضا (الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما ورد فيه من مزيد المضاعفة في تلك المحال الكرام اذ قد ورد ان الصلاة فيه بمائة ألف (والتبرك برؤية روضته) أي خصوصا (ومنبره وقبره ومجلسه) أي محل جلوسه في المسجد ومكان صلاته عند الاسطوانات وغيرها (وملامس يديه وموطئ قدميه) أي في نحو المنبر (والعمود الذي كان يستند اليه) وفي نسخة يسند وفي الصحاح سندت الى الشيء واستندت اليه بمعنى (وينزل جبرائيل بالوحي فيه) أي في حال استناده (عليه وبمن عمره) أي والتبرك بمن عمر مسجده مبنى ومعنى وقيل أي زاره (وقصده) أي بمن قصده (من الصحابة وأئمة المسلمين) أي من التابعين واتباعهم من المجتهدين والعلماء والصالحين (والاعتبار) بالرفع (بذلك) أي بما ذكره (كله) أي جميعه والحاصل انه لامنع من الجمع بين النيات في تحصيل الطاعات لكن ينبغي أن يكون الغرض الاصلي بعد حج فرض الاسلام زيارته عليه الصلاة والسلام ويتبعها حضور مشاهدة الكرام (وقال ابن أبي فديك) بالتصغير وثقه جماعة واحتج به أصحاب الكتب الستة (سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا) أي في الحديث (انه) أي الشأن (من وقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الآية) وهي قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) الظاهر انه يقرأ ما بعدها أيضا وهو يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ثم قال صلى الله تعالى عليك) الاولى أن يزيد وسلم (يا محمد) الاولى أن يقول يا نبي الله ونحوه (من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى عليك يا فلان) أي باسمه (ولم تسقط له) وفي نسخة لك (حاجة) بل ترفع والمعنى قضيت كل حاجة له دنيوية أو اخروية والحديث رواه البيهقي من طريق ابن أبي الدنيا

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه وممالم يزل من شأن من حج) أي انه استمر من عادة السلف اذا حجوا أن يأتوا (المزور) قيل انه بكسر الميم وسكون الزاي المعجمة وفتح الواو مصدر ميمي بمعنى الزيارة وقوله (بالمدينة) متعلق به وهو تكلف لايخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر كما في بعض النسخ انه بضم الميم وراءين مهملتين مصدر مراي من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل عليه قوله (والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه (والتبرك برؤية روضته) وهي ما بين قبره الشريف (ومنبره) سميت روضة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها انها روضة من رياض الجنة (وقبره) وكيفية التبرك به ستأتي (ومجلسه) أي موضع جلوسه في الروضة المأثور (وملامس يديه) أي المحال التي لمسها بيده الشريفة في سجوده فيها (وموطئ قدميه والعمود الذي استند اليه) باسناد ظهره الشريف اليه في جلوسه (ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه) وكان مراده انه يقصد التبرك بمسجده الشريف لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك مبنيا الآن فان نقل تعيين شيء من ذلك عمل به ذلك رزقنا الله تعالى عز وجل الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وبمن عمره) بتخفيف الميم أي سكنه واما بتشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم أي مدة الحياة كما اعتمده أهل اللغة (وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله) أي الاعتناء به تعظيما وتكريما أو التفكر فيهم وفي مآثرهم (وقال ابن أبي فديك) محمد بن اسمعيل بن مسلم بن أبي فديك بضم الفاء ودال مهملة وياء تصغير وكاف الامام الثقة روى عنه الستة وأحمد وتوفي سنة مائتين وله ترجمة في الميزان وحديثه هذا رواه البيهقي (سمعت بعض من أدركت) يقال أدرك فلانا اذا أدرك زمانه ورآه والمراد من أدركه من العلماء والصلحاء (يقول انه من وقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) متوجها له (وقال) تاليا (هذه الآية ان الله وملائكته الخ ثم قال) بعد تلاوتها (صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة) وفي رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة أي لا ترد ولا تخيب شبه عدم قبولها بسقوط شيء وبضياع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافي ما قالوه كما مر من انه لا يجوز نداؤه باسمه يا أحمد يا محمد في حياته وبعد مماته لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه تعظيما وكذا لا ينادى بكنيته كأبي القاسم وقد تقدم فان كان هذا مأثورا عنه فيغتفر اتباعا للمأثور ولتقديم تعظيمه هنا بقوله صلى الله عليك فليتأمل هذا وفي الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقي لما ذكر عن ابن أبي فديك ما نصه ولا دليل فيه لجواز ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقد صرح أئمتنا بحرمة ذلك وظاهره انه لا فرق بين أن يتقدمه له تعظيم له وان لا وهو ظاهر

خلافا لمن بحث تخصيصه بالثانى وذلك لما فى النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو جلى من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لا نظر اليه لانقضائه قال أئمتنا وانما ينادى بنحو يا نبى الله يا رسول الله فقول الزين المراغى رحمه الله تعالى الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا أولى انتهى (وعن يزيد ابن أبى سعيد المهرى) بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور أخرج له مسلم رحمه الله تعالى وغيره قال (قدمت على عمر بن عبد العزيز) أى أتاه قاصدا له واجتمع به (فلما ودعته) أى لما أردت الانصراف من عنده (قال لى اليك حاجة) أسئلك قضاءها وهى انك (اذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا زرته فاذا رأيته (فاقرأه منى السلام) أى بلغه سلامى وانى مسلم عليه يقال قرأ عليه واقرأه السلام اذا بلغه سلاما من غائب عليه وقيل لا يقال اقرأه الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذى يناسب الحديث الذى نحن فيه (وقال غيره) أى غير يزيد المذكور والقائل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقى فى شعب الايمان (وكان) أى عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور والجليل المقدار (يبرد) بضم أوله من ابرد بمعنى أرسل (اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (البريد من الشام) لانها كانت مقر الخلفاء أى يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه ويقرأه السلام لا لقصد غير ذلك البتة وكان ذلك فى صدر زمن التابعين ولم ينكر ذلك أحد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذى يكون مستعجلا لتبليغ أمر الخلفاء ونحوهم وهو فى الاصل فارسى معرب من بريدة دم أى مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون فى المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون قطع أذنابها علامة لها ثم أطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمى الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار وأحوال البلاد والولاة وأصحاب البريد قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة فاذا وقع أمر عظيم وجههم صاحب البريد للاخبار به وكان من دأب السلف انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والسلام السلام ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن فى هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لى على فلان فانه يجب عليه أداء أمانته له أى ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحياء التواصل وعدم التقاطع الذى يغلب وقوعه بين الاحياء وحينئذ فارسال السلام للغائب القصد به مواصلته وعدم مقاطعته واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا أو وسيلة الى المقاطعة المحرمة أى من شأنه ذلك وللوسائل حكم المقاصد وأما ارسال السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم فتركه ليس فيه الاعدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضائل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير * (فائدة) * قال صاحب القاموس فى رسالة الصلاة له أن السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند قبره الشريف أفضل من الصلاة عليه أى للاخبار الكثيرة ومنها ما من أحد يسلم على عند قبرى الخ وفيه نظر ثم رأيت فى الدر المنظم بعد ذكره له ويعارضه ما تقدم انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى بدل الصلاة الواحدة عشرا أو مائة على ما مر وصلاة الله أفضل من رده صلى الله تعالى عليه وسلم على انه مر انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى

(وعن يزيد ابن أبى سعيد المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء فياء نسبة (قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة) أى وهى انك (اذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حقيقة أو مجازا وهو محله وحوله (فاقرأه منى السلام) يجوز قطع همزه وكسر رائه ويجوز وصل أوله وفتح عينه والحديث رواه ابن أبى الدنيا من طريق البيهقى فى الشعب عنه (قال غيره) أى غير المهرى وهو حاتم ابن وردان كما رواه البيهقى فى الشعب الايمان (وكان) أى عمر بن عبد العزيز (يبرد) بضم ياء وسكون موحدة وكسر راء أى يوجه ويسير (اليه البريد من الشام) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القاصد من الشام ليقرأه منه السلام

أن يوجه أفضلية السلام بانه شعار اللقاء والتحية وحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة أما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه (قال بعضهم رأيت أنس بن مالك) الصحابي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتى قبر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارته (فوقف) عند القبر الشريف (فرفع يديه) للدعاء فانه مستحب لمن زاره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو ويستشفع به ويتضرع (حتى ظننت انه افتتح الصلاة) لانه يسن رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظان المذكور (فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم) بعد رفع يديه ودعائه (ثم انصرف) من عنده (قال مالك في رواية ابن وهب) عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام مالك (اذا سلم) الزائر لقبره الشريف (على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا) بما يريد الدعاء به (يقف) عنده (ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة) كما يستحب للداعي في غير هذا الموطن لان استدباره خلاف الادب (ويدنو) أي يقرب من القبر في حال الدعاء (ويسلم) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يمس القبر بيده) فيكره الصاق الظهر أو البطن بجدار القبر المكرم ويلحق بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحرير الآن لما في ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ثم تعين على كل أحد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما أذن الله فيه لامته صلى الله عليه وسلم في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزته ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث هو بما تؤدي الى محذور فليقتصر على الوارد ما أمكن واستقبال وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور ونقل عن أبي حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن أبي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى عن ابن عمر ان من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشيء لانه صلى الله عليه وسلم حي في ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال الزيارة كما نبه عليه المصنف بقوله يقف وهو أفضل من الجلوس عند القبر الشريف عند الجمهور ومن خير بينهما أراد الجواز دون المساواة فان جلس فالافضل أن يجثو على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه الاليق بالادب (وقال) مالك (في المبسوط) اسم كتاب له كما تقدم (لا أرى) أي لا أستحسنه وأعده رأيا (ان يقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) أي في حال كونه داعيا لما أراد (ولكن يسلم) عليه (ويمضي) أي ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لا للغرباء الزوار فانهم يستحب لهم الوقوف للدعاء له صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد يأتيه في أكثر أيامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرائع وسيأتي أيضا بيان ذلك في كلام المصنف عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني وغيره في استحباب الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعاء وسيأتي ما يعلم منه ان في المسئلة ثلاثة مذاهب (وقال ابن أبي مليكة) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وأبوه أبو مليكة صحابي جليل وابنه توفي سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (من أحب ان يكون) وفي نسخة يقوم (وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى

دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام (وقال مالك في رواية ابن وهب) أي عنه (اذا سلم) أي هو أو أحد (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة) وذهب بعض أرباب المناسك ان الزائر يسلم أولا وهو متوجه الى القبر ثم ليدع الله وهو مستقبل القبلة فوق رأسه عليه الصلاة والسلام (ويدنو) أي ويقرب الى القبر قربا يناسب الادب (ويسلم ولا يمس القبر) وكذا جدار قبته وشبكة حجرته عليه السلام (بيده) ولا بفمه لعدم وروده عن الصحابة الكرام ولانه أقرب الى مقام الادب ولان ذلك من عادة النصارى على مانقله الغزالي (وقال) أي مالك (في المبسوط لا أرى) أي لا أجوز (ان يقف) أي أحد (عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي) هذا بظاهره يناقض ما سبق عنه اللهم الا أن يقال هذا بيان الاكمل فتامل (قال ابن أبي مليكة) بالتصغير تابعي تيمي مؤذن ابن الزبير وقاضيه قال بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت اسأل ابن عباس وأما أبو مليكة فصحابي (من أحب ان يقف وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الواو ويضم أي في مواجهته ومقابلته

(فليجعل القنديل) بكسر القاف معروف وأما بفتحها فهو عظيم الرأس (الذى فى القبلة) أى فى جهتها (عند القبر على رأسه) أى محاذيا رأسه (وقال نافع) هو مولى ابن عمر من أئمة التابعين وأعلامهم (كان ابن عمر يسلم على القبر) أى على من فيه (رأيته) أى ابن عمر يفعل ذلك (مائة مرة وأكثر) وفى نسخة أو أكثر بمعنى بل أكثر (يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة السلام على أبى حفص وهو كنية عمر وهذا أقرب الى الادب (ثم ينصرف) أى ولم يزد على ذلك رواه البيهقى وغيره

(وروى) وفى نسخة وروئى أى أبصر (ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها) أى يده (على وجهه) رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى انه رآه واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن قسيط) بفتح قاف فكسر مهملة أو بالتصغير وهو الاصح (والعتبى) بضم عين فسكون فوقية فموحدة (كان أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد) أى من عامة الناس (جسوا) بفتح الجيم وتشديد السين المهملة أى حسوا ومسوا (رمانة المنبر) أى العقدة المشابهة للرمانة (التى تلى القبر) يعنى التى كان يأخذها عليه السلام بيمينه (بميامنهم) متعلق بجسوا أى يمسحوا بأيمانهم طلبا لليمن والبركة فى زيادة الايمان وايقان الاحسان (ثم استقبلوا القبلة يدعون) أى الله سبحانه بهذه الوسيلة المشتملة على الفضيلة رواه ابن سعد

تجاه وهو مثلث التاء أيضا كما فى مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه وجهه وتاء تجاه مبدلة من الواو كتخمة (فيجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر) الشريف (على رأسه) أى محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الرأس ووزنه فعليل وقيل فنعيل ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وان يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع وقيل ثلاثة وهذا مبنى على ان البعد أولى والأليق بالادب كما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب أولى وقيل يعامله معاملته فى حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان فى العصر الاول وأما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك (وقال نافع) هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبى خراسان وهو تابعى جليل توفى بالمدينة سنة سبع عشرة وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدنى المقرى وهذا رواه البيهقى وغيره (وكان ابن عمر) الصحابى المشهور (يسلم على القبر) الشريف (رأيته مائة مرة وأكثر يأتى الى القبر) بدل من قوله يسلم مفسر له (فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه (ثم ينصرف ٢) قيل وفيه اشارة الى انه لا ينبغى أن يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ما شاء فى الثناء والدعاء والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال ويأتى للزيارة من قبل رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما فيبدأ بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما كما يليق وقيل يأتى من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتأخر قليلا قليلا وفى كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور فى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى مفصل ليس هذا محله (وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) تقدم أن يحيى بن يحيى راوى الموطأ عن مالك اثنان (انه كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله عليه وسلم كما مر (فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) تبعا له أو يصلى بمعنى يدعو (وعند ابن القاسم) عبد الرحمن فقيه مصر كما تقدم (والقعنبى) بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها باء موحدة وياء نسبة وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثى أبو عبد الرحمن أحد الاعلام روى عنه البخارى وأبو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفى سنة عشرين أو احدى وعشرين ومائتين أخرج له الشيخان وغيرهما كما علم فى روايتهما عن مالك بلفظ (ويدعو لابى بكر وعمر) لا بلفظ يصلى كما مر (قال مالك فى رواية ابن وهب) عنه يقول المسلم أو الزائر (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) و(قال) مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) بعد السلام عليه و(قال القاضى أبو الوليد الباجى)

(وفى الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثى) هو عالم الاندلس (انه) أى ابن عمر (كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم) أى عند قبره كما فى نسخة (فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) أى وهو فى مكان يجمع بينهم فى السلام من غير تغيير المقام فى القيام (وعند ابن القاسم) وهو فقيه مصر (والقعنبى) وهو أحد الاعلام روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما (ويدعو لابى بكر وعمر) أى بدل لفظة وعلى أبى بكر وعمر (قال مالك فى رواية ابن وهب) وهو عالم مصر (يقول المسلم) بتشديد اللام المكسورة أى الزائر (السلام) ويروى سلام (عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته قال) أى مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) باى لفظ كان (قال القاضى أبو الوليد

٢ وقد وقع فى نسخ المتن وشرح على القارى هنا عبارة وهى قوله (وروئى ابن عمر الى قوله وفى الموطا فليراجع الى المتن مصحح

الباجي) بالموحدة والجيم وهو أحد الاعلام (وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة) أي بان يقول الصلاة عليك يا نبي الله أو الصلاة على رسول الله ولا شك ان الجمع بينها وبين السلام أفضل وأكمل كما دل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ولابي بكر وعمر) يعني ويدعو لهما أيضا (كما في حديث ابن عمر من الخلاف) أي المتقدم حيث جاء في رواية أخرى عنه انه كان يقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبي بكر السلام على أبي وفي رواية أخرى عنه انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر وقد تقدم ان الصلاة على غير الانبياء تكره استقلالا فكيف يصح قول الباجي عندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر وغايته ان حديث ابن عمر في الرواية الثانية ان ذكر الصلاة عليهما وقع تبعا أو تغليبا والحاصل ان الافضل هو الجمع بين الصلاة والسلام للنبي الاكمل واما صاحباه فتخصهما بلفظ السلام فتأمل فانه القول المعول (وقال ابن حبيب) أحد الائمة ومصنف الواضحة (ويقول) أي الزائر (اذا دخل مسجد الرسول) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كره بعض العلماء اطلاق الرسول من غير الاضافة الى الله سبحانه لتوهم معناه اللغوي (بسم

الله وسلام) أي تمامه (على رسول الله عليه السلام) وفي نسخة عليه الصلاة والسلام (السلام علينا) أي وعلى عباد الله الصالحين (من ربنا) أي من جانبه ومن لطفه وكرمه (صلى الله وملائكته) الاولى زيادة وسلم (على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي. وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك) أي بتوفيق اكتساب طاعتك واجتناب معصيتك (واحفظني من الشيطان الرجيم) أي من وساوسه وهواجسه (ثم اقصد) فيه التفات أي ثم توجه (الى الروضة) أي الشريفة (وهي ما بين

الباجي) تقدمت ترجمته (وعندي) أي الراجح عندي (انه يدعو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة) لما فيها من التعظيم كما تقدم (و) يدعو (لابي بكر وعمر كما جاء في حديث ابن عمر) الذي تقدم وقوله فيه السلام على أبي بكر السلام على عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما لما مر (من الخلاف) أي مخالفة الدعاء لهما للدعاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي المناسك هنا تفصيل طويل فيما يقوله الناس ليس هذا محله (وقال ابن حبيب) عبد الملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان (ويقول) الزائر (اذا دخل مسجد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله وسلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم (السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك) أي يسر لي ما يوصلني اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل لجنة روضة شوقه الى الجنان وقوى رجاءه فناسب دعاءه بما ذكر ولما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله (واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد) بعد الدعاء (الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين) تحية المسجد شكرا لهذه النعمة (قبل وقوفك بالقبر) أي عنده (تحمد الله تعالى فيها) أي في تلك الصلاة (وتسأله تمام ما خرجت اليه) من زيارتك وسفرك (والعون عليه) أي المساعدة بتيسيره له (وان كانت ركعتاك في غير الروضة) من المسجد النبوي (اجزأتاك) بالهمزة أي كفتاك في اداء السنة (وفي الروضة أفضل) أي اكثر ثوابا اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال عليه السلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) وباقي الكلام عليه وما بين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدي الى دخولها فكأنه منها فاطلق السبب واراد المسبب أو هو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفي حديث آخر يأتي وان أوهم كلامه هنا أنه من تتمة الاول (ومنبري على ترعة

القبر والمنبر فاركع فيها) أي صل (ركعتين) أي قياما بحق الربوبية كما اقتضته العبودية (قبل وقوفك بالقبر) أي للزيارة المصطفوية واداء التحية النبوية (تحمد الله تعالى) أي حال كونك تثني على الله سبحانه (فيهما) أي في الركعتين وفي نسخة فيها أي في الصلاة أو في الروضة (وتسأله) أي الله فيهما أو بعد الفراغ منهما (تمام ما خرجت اليه) أي من المقاصد (والعون عليه) أي في جميع المراصد (وان كانت ركعتاك) وهما تحية المسجد (في غير الروضة أجزأتاك) أي كفتاك عن السنة (وفي روضة) وكذا في المواضع الفاضلة في المسجد (أفضل) أي لورود الاحاديث في فضلها (وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي) المختص بعائشة المعبر عنه في رواية ما بين قبري (ومنبري روضة من رياض الجنة) أي اما حقيقة بان ينتقل اليها حال وصولها واما وسيلة بان تكون العبادة فيها سببا لدخولها وباعثة لوصولها فقد قال القتيبي معناه ان الصلاة والذكر في هذا الموضع يورثان الجنة فكأنه قطعة منها أو أول ولا منع من الجمع والله أعلم (ومنبري على ترعة) بضم فوقية فسكون راء فعين مهملة أي عتبة أو روضة مرتفعة

(من ترع الجنة) رواه أحمد بتمامه عن جابر والبزار عن أبي بكر والدارقطني عن عمر بلفظ قبري بدل بيتي ورواه بدون الجملة الاخيرة
البيهقي عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط أحمد وأبو عوانة عن سهل بن سعد والترعة في الاصل الروضة
على مكان مرتفع خاصة فان كانت في مطمئن فهي روضة وورد ارتعوا في رياض الجنة يعني مجالس الذكر

من ترع الجنة) ترعة وترع بمثناة كغرفة وغرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع مطمئن
وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا أو في مكان مطمئن تجمع اشجارا ورياحين والترعة تكون
أيضا محل الماء وبمعنى الدرجة كما ذكره أهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في
قوله روضة من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المصنف
(ثم تقف بالقبر) أي عنده (متواضعا متوقرا) أي بتواضع ووقار أي سكون تأدبا بهيبة واجلال وغض
طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف في الصلاة وقال غيره الاولى
الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه (فتصلي) بالخطاب لكل زائر (عليه صلى الله عليه وسلم
وتثني) عليه بثناء يليق به (بما يحضرك) أي يخطر ببالك من غير تكلف لامور تستعد لها بسبحة
ونحوها ويقبح الانحناء وتقبيل الارض وما يظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم ليس بشئ
(وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما) بما يناسب مقامهما كما مر (واكثر من الصلاة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار) والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف
صلاة في غيره كما يأتي وهو ما كان مسجدا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله النووي
وغيره والاشارة بقوله هذا تعينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث لو زيد في مسجدي الى
ذي الحليفة كان مسجدي رد بانه لا يقتضي مساواته من كل وجه ولا شك في ان الاول أفضل من غيره
وفي حديث الزيادة معجزة واخبار بالغيب ولا ينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا يحاذيه كما قاله ابن
عبد السلام (ولا تدع) بالخطاب والجزم أي تترك (ان تاتي مسجد قباء) بضم القاف ويمد ويقصر
ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بنى فيه عمرو بن عوف
الانصاري مسجدا أتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد أسس على
على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا في كل سبت وحكمة
تخصيصه ان في اتيانه زيارة أهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده وأعطى أهل أحد
يوم الخميس لانهم أفضل فبقي السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين فيه كعمرة ويقال
له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه يأتيه في كل اثنين وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وأصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلو كان في طرف الارض لضربنا اليه اكباد الابل
وقال صلاة ركعتين فيه أحب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين وكذا يستحب اتيان غيره من المساجد
المأثورة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين (وقبور الشهداء) المعهودين وهم
شهداء أحد رضي الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي أن لا تدع زيارتهم وان تبدأ
منهم بحمزة سيد الشهداء في الدنيا والآخرة (وقال مالك في كتاب محمد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم
اذا دخل وخرج) أي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه أي بالفعل لا عند ارادة ذلك
(وفيما بين ذلك) أي في أيام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم
كما دخل وخرج (قال محمد واذا خرج) من المدينة من أتاها زائرا (جعل آخر عهده) بالمدينة

وفي رواية اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك (ثم تقف) خبر معناه أمر أي قف أيها الزائر (بالقبر) أي قريبا منه ومقبلا عليه (متواضعا) أي متذللا في نفسه (متوقرا) أي معظما لمن في حضرته (فتصلي عليه وتثني بما يحضرك) أي لديه (وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما) أي بالغفران والرضوان (واكثر من الصلاة) أي الطاعة والعبادة أو الصلاة على صاحب السعادة والسيادة (في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار) أي في ساعاتهما ولا تدع ان تاتي مسجد قبا) أي ولا تترك اتيان ذلك المسجد وزيارة ذلك المشهد فانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها كل يوم سبت راكبا وماشيا وقباء يمد

ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ويمنع والاشهر الاكثر مده وتذكيره وصرفه (وقبور الشهداء) أي شهداء الوقوف
أحد وغيرهم أي ولا تترك اتيان زيارتهم واستدعاء شفاعتهم (وقال مالك رحمه الله في كتاب محمد) يعني واحدا من أصحابه ولعله محمد بن
الحسن من أصحاب أبي حنيفة فانه روى عنه الموطأ (ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل) أي سلام القدوم والزيارة
(وخرج) أي واذا أراد ان يخرج سلام المواعدة (يعني) أي يريد بذلك وهو (في المدينة) أولا وآخرا (وفيما بين ذلك) أي احيانا
(قال محمد واذا خرج) أي اراد الزائر ان يخرج من المدينة (جعل آخر عهده

الوقوف بالقبر) أي للزيارة قياسا على طواف الوداع (وكذلك من خرج) ولو من أهل المدينة (مسافرا) أي حال كونه مريد السفر وهذا كله بطريق الاستحباب واستحسان الآداب الموجب لمزيد الثواب (وروى ابن وهب عن فاطمة) أي البتول الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) قال الدلجي بفتح تاء الخطاب ولا أعلم من رواه قلت بل الصواب ان المراد به عموم الخطاب وقد سبق روايته مع مخرجها في الكتاب (فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في نسخة ضبط دخلت بكسر التاء وفصلي بياء المخاطبة (وقل) وفي نسخة وقولي فيه وفيما بعده (اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي رواية أخرى) أي لابي داود عن أبي حميد وأسيد (فليسلم مكان فليصل فيه) أي في هذا المروي (ويقول اذا خرج اللهم اني أسئلك من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني) أي احرسني وأعذني واعصمني (من الشيطان الرجيم) أي المطرود المبعود (وعن محمد بن سيرين) أحد أعلام التابعين (كان الناس) أي الصحابة (يقولون اذا دخلوا المسجد) أي المسجد النبوي أو جنس المسجد الالهي (صلى الله وملائكته على محمد) جملة خبرية مبنى انشائية معنى (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا) أي لا باسم غيره (وباسم الله خرجنا) والمعنى دخلنا مستعينين باسمه وخرجنا مستمسكين باسمه ففي الحالين باسمه تعلقنا (وعلى الله توكلنا) أي وفي جميع أحوالنا عليه اعتمدنا وجميع أمورنا اليه فوضنا (وكانوا يقولون اذا خرجوا) أي حين خروجهم من هنالك (مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها أيضا)

(الوقوف بالقبر) أي عنده للوداع (وكذلك) كل (من خرج مسافرا) من المدينة يجعل آخر عهده زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه (وروى ابن وهب عن فاطمة) الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) يعني مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم أو الاعم منه (فصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة (واذا خرجت) من المسجد النبوي أو الاعم منه (فصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي) ببركة العمل الصالح (وافتح لي أبواب فضلك) وذكر الفضل هنا أنسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل أموره وتيسير مسالكه وأسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصده وعبادته فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التي بها يحصل الارزاق والغناء عن الناس وهذا مظهر الفضائل التي تفضل بها على عباده فسئل عند التوجه ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى قالوا ويصلي ركعتين نفلا مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلاة أو يؤخرها ليكون آخر عهده ملاقاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن ان يقول لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم ويسر لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة ويتأسف على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه أصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره الخيضري في اللواء المعلم الا انه يكفي انه يدخل فيه دخولا أوليا وزاد بعضهم في المسجد النبوي رب وفقني وسددني واصلح لي وأعني على ما يرضيك عني ومن علي بحسن الادب في هذه الحضرة الشريفة (وفي رواية أخرى) من طريق آخر وحديث فاطمة رواه احمد وأبو يعلى والترمذي وحسنه (فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني أسألك من فضلك وفي) روايه (أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم) وهذه الامور كلها محال ذكرها مناسك الحج وفصلت ثمة (وعن محمد بن سيرين) التابعي المشهور (كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد) النبوي (صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا) أي ندخل ونخرج وعبر بالماضي مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هي للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف (وعلى الله توكلنا) أي فوضنا اليه أمورنا كلها فالتارك من دخل المسجد أمور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله (وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك) وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب في كل مسجد كما تقدم واستحب الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه هو الذي بين لنا العبادة فيها وهدانا الطريق الخير فكان حقا علينا ان نذكره ثمة والدعاء له والمراد بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة مأثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا أردفه بما يوضحه من قوله (و) روى (عن فاطمة أيضا) أي كما

أي كما تقدم عنها (كان النبي اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم) وفي نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أحمد والبيهقي في الدعوات (ثم ذكر) أي ابن سيرين (مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله) وهذا نقل بالمعنى وقد ثبت باختلاف المبنى فلا عبرة بقول الدلجي لا أدري من رواها (وفي رواية) أي للترمذي وابن ماجة (بسم الله والسلام) وفي نسخة والصلاة (على رسول الله وعن غيرها) أي وروي عن غير فاطمة من الصحابة من طرق متعددة فلا يضر قول الدلجي لم أقف عليه لان من حفظ حجة على غيره وكذا الالتفات الى قول الحلبي لا أعرفه بعينه لانه يكفي ان المصنف رواه وهو حافظ ثقة حجة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد) أي حقيقة أو اذا أراد دخوله (قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك) أي الدنيوية والاخروية (ويسر لي أبواب رزقك) أي الحسية والمعنوية (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي آه) أي أبواب رحمتك رواه ابن ماجه والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن حبان وابن خزيمة (وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة) أي كلما دخل به وخرج منه (الوقوف بالقبر) أي للزيارة (وانما ذلك) أي لازم (للغرباء) أي من الزائرين دون المقيمين وهذا كما قاله العلماء من ان الصلاة النافلة في مكة أفضل لاهل الاقامة والطواف أفضل للغرباء النازلة (وقال) أي مالك رحمه الله تعالى (فيه) أي في المبسوط (أيضا لا بأس

روى عنها ما قبل هذا (كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله) الذي وفقه للعبادة (وسمى) الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع (فيه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم) المسامر (وذكر مثله) أي ما هو بمعناه (وفي رواية) يقول اذا دخل المسجد (بسم الله والسلام على رسول الله) فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فهم مقتدون به (و) روى (عن غيرها) أي غير فاطمة رضي الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك) وانعامك بنعم الدنيا والآخرة (ويسر لي أبواب رزقك) أي سهلها ويسر أسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما مضى وفرغ منه (وعن أبي هريرة رضي الله عنه اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي) يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد أو خرج منه أو مر به أي مسجد كان يستحب له ان يسمى الله ويصلي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيري الدنيا والآخرة والمأثور أفضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه أحاديث صحيحة مسندة في باب الدعوات (وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد) النبوي (وخرج منه من أهل المدينة) المقيمين بها (الوقوف بالقبر) أي عنده للزيارة (وانما يلزم ذلك) أي الوقوف لازم (للغرباء) الذين جاؤا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التأكيد في حقه (وقال) مالك (فيه) أي في كتاب المبسوط (أيضا) كما نقل عنه أولا (لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر) من أهل المدينة (ان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يقوم عنده زائرا (فيصلي عليه) صلى الله عليه وسلم (ويدعو له ولابي بكر وعمر) بعد الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقيل له ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه) أي الخروج للسفر فهم مقيمون (يفعلون ذلك) أي الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعاء لصاحبيه (في اليوم) الواحد (مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون) عليه صلى الله عليه وسلم (ويدعون) لابي بكر وعمر (ساعة فقال) مالك لما ذكر له ذلك (لم يبلغني هذا) أي وقوف المدني من غير سفر عند القبر (عن أحد من أهل الفقه ببلدنا) يعني المدينة لان عمل أهلها حجة عنده (وتركه) أي ترك هذا الفعل (واسع) أي أكثر وأولى

لمن قدم) بكسر الدال أي نزل (من سفر) أي من أهل المدينة وغيرهم (أو خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له) أي بالسلام (ولابي بكر وعمر فقيل له) أي لمالك (فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون) بفتح الدال أي لا يجيئون (من سفر ولا يريدونه) أي ولا يقصدون السفر غالبا (و) هم مع ذلك (يفعلون ذلك) أي الوقوف على القبر للزيارة (في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا) أي تأخروا (في الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن أي في الاسبوع (أو في الايام) أي ولو أكثر من الجمعة (المرة) أي تارة (أو أكثر) أي أخرى (عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال مالك رحمه الله لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه) أي من المتقدمين (ببلدنا) يعني المدينة (وتركه واسع) اي جائز يعني ولو فعله فسائغ شائع لانه كما قال ابن مسعود ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والقياس بوقف الزيارة على حال الحياة صحيح ولا شك ان الصحابة كانوا يكثرون السلام عليه في حال حياته ويتبركون بتكرار ملاقاته ويتبركون بأخذ الفيض من أنوار بركاته فأي مانع من التردد على بابه والتوسل الى جنابه على (ولا

انه قد ثبت من صلى عليه نائيا بلغه ومن صلى عليه عند قبره سمعه نعم ان كانت الكثرة توجب الملالة فلا شك أن يقال فى حقها الكراهة كما يشير اليه حديث زر غبا تزدد حبا وأما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلا سبيل الى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث أبى بن كعب فى تكثير الصلاة والسلام عليه والحاصل ان تكثيرها مستحب بالاجماع فايقاعها أولى فى أفضل البقاع ولعل السلف الصالح كان عندهم أمور أهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك وكذا نقول ان طالب العلم بتحصيله وتدريسه وتصنيفه اذا كان خالصا فى طريقه أفضل من كثرة الطواف والزيارة بل أكل من حج النافلة وقصد العمرة فاندفع ما قررناه وارتفع ما حررناه بما يفهم من ظاهر قوله (ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما صلح أولها ولم يبلغنى عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك) وقد قدمنا عذرهم انهم كانوا يشتغلون بامور كانت أهم هنالك (ويكره) أى الوقوف للزيارة من أهل المدينة (الا لمن جاء من سفر أو أراده) أى السفر (قال ابن القاسم ورأيت

أهل المدينة اذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا) لا شك ان الزيارة فى تينك الحالتين أكثر استحبابا وأظهر آدابا لكن لا يلزم منه انهم لم يكونوا فيما بين ذلك من الواقفين هنالك وقد سبق عن نافع أن ابن عمر كان يسلم على القبر رأيته مائة مرة أو أكثر ولا شك انه كان من أهل المدينة فتدبر (قال) أى ابن القاسم (وذلك رأيى) أى المختار المطابق لظاهر قول مالك (قال الباجى) وهو بالموحدة والجيم (ففرق) أى مالك وفى نسخة بفتح فسكون أى فصل وفارق (بين أهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك) أى فى رحلتهم (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم) أى على صاحبه وفيه انه لا يلزمهم ترك ذلك وأى مانع لما هنالك فهل ترى أحدا قال ان الغرباء لهم الطواف حول الكعبة لانهم قصدوها فى سفرهم دون أهل مكة حيث لم يقصدوها فى اقامتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) كما روى مالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد) أى صنما يعبد من دون الله تعالى وانما قاله خوفا على أمته وأهل ملته أن يفعلوا مثل جهلة أهل الكتاب بالنسبة الى قبور أنبيائهم ومشاهد أصفيائهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا) أى مسجودا بها أو مشهودا فيها حيث عبدوها (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لا تجعلوا قبرى عيدا) رواه ابن أبى شيبة موصولا عن على وسعيد بن منصور فى سننه مرسلا من طريقين وتقدم تحقيق بيانه وتدقيق برهانه

(ولا يصلح آخر هذه الامة) المحمدية وآخرها من بعد الصحابة والعصر الاول (الا ما أصلح أولها) أى لا يصلح لآخرهم الا ما صلح لاولهم ولا يستحب لهم الا ما استحبوه أولا (ولم يبلغنى) أى لم أسمع بنقل صحيح (عن أول هذه الامة وصدرها) من الصحابة ومن ألحق بهم (انهم كانوا يفعلون ذلك) أى الوقوف للزيارة من غير الغرباء بلا ارادة سفر (ويكره) ذلك (الا لمن جاء من سفر او أراده) من أهل المدينة (قال ابن القاسم) من أتباع الامام مالك (ورأيت أهل المدينة اذا خرجوا منها) للسفر (أو دخلوها) قادمين من السفر (أتوا القبر فسلموا) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) ابن القاسم (وذلك رأى) أى قول لمالك وفى نسخة رأيى بالاضافة أى انه يقوله (قال الباجى) بباء موحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو أبو الوليد الحافظ من أئمة المالكية وقد تقدم (ففرق) مالك أو ابن القاسم رواية عنه (بين أهل المدينة والغرباء) فاستحب للغرباء الزيارة فى الدخول للمسجد فى كل حين ولم يستحبه للمدنى الا اذا خرج لسفر أو قدم منه (لان الغرباء قصدوا) المدينة (لذلك) أى لاجل الزيارة فينبغى له فعل ذلك فى كل حين (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها) من أوطانهم (من أجل) زيارة (القبر والتسليم) عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى فى كتابه شفاء السقام بعد نقل ما هنا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته فى سد الذرائع وغيره من أهل المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذى لا شبهة فيه والذريعة ليست بممنوعة من كل مقام كما تقدم عن القرافى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه عبد الرزاق ومالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار (اللهم لا تجعل قبرى وثنا) أى كالوثن وهو الصنم الذى (يعبد) أى يتخذ معبودا وتقدم فيه زيادة بعدى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أى يسجدون لها كما يسجدون لله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن أبى شيبة وغيره بسند متصل (لا تجعلوا قبرى عيدا) أى كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تأويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضى تفسيره بغير ما فهمه فانه نزغة شيطانية وقوله وقال الخ يحتمل انه من كلام الباجى أو من كلام مالك وابن القاسم تأييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من

(ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به) لانه ناشئ عن قلة الادب مع رسول الرب (ولا يمسه) أى لعدم وروده بل ورد النهي عن مسه ولمسه (ولا يقف عنده طويلا) أى وقوفا طويلا أو زمانا طويلا خوفا من الرياء والسمعة أو من الملالة والسآمة (وفي العتبية) بضم العين المهملة

وسكون الفوقية وكسر موحدة وتشديد تحتية منسوبة الى فقيه الاندلس محمد ابن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي مصنفها وهو من موالى عتبة ابن أبي سفيان أخذ عن يحيى ابن يحيى الليثي وطبقته (يبدأ بالركوع) أى بصلاة التحية للمسجد (قبل السلام) أى على سيد الانام حين دخوله (في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قياسا على حال حياته فانه قد ورد أن واحدا من الصحابة دخل المسجد فجاء وسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ارجع وصل ركعتين ثم سلم علي وفيه ايماء الى تقديم حرمة الربوبية على تعظيم الخدمة النبوية (وأحب مواضع التنفل منه مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق) بضم ميم وفتح خاء معجمة ولام مشددة مفتوحة أى المبخر المطلي بالخلوق بفتح أوله وهو نوع من الطيب المعبق (وأما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى أفضل للمأمومين وأما الامام فلا شك ان مقامه الافضل مصلاه الا كمل (والتنفل فيه) أى في مصلاه بل في جميع مسجده أفضل (للغرباء) دون أهل المدينة لحديث ورد بذلك (أحب الي) وكذا الى غيره (من التنفل في البيت) ولعل وجهه ان لا مضاعفة في الصلاة في غير المسجد من مواضع المدينة بخلاف ذلك في مكة فان الحرم كله تضاعف فيه الحسنة بمائة ألف فالنوافل في البيوت أفضل لهم ولو كانوا من الغرباء

في

كلام المصنف رحمه الله تعالى غير مناسب لما عقد له هذا الفصل (و) نقل (من كتاب أحمد بن سعيد الهندي) عالم الاندلس توفي سنة تسع وتسعين وثلثمائة وعمره سبع وسبعون سنة وترجمته مبسوطة في التواريخ وفي نسخة سعد الهندي والصحيح الاولى (فيمن وقف بالقبر) الشريف أى قال في حقه وبيان حاله انه ينبغي له ان (لا يلصق به) صدره (ولا يمسه) بشئ من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره لانه ترك أدب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا أمر غير مجمع عليه ولذا قال أحمد والطبري لا بأس بتقبيله والتزامه وروى ان أبا أيوب الانصاري كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام حسن (ولا يقف عنده طويلا) بل بمقدار الصلاة والدعاء تأدبا منه فهذا مستحب عنده (وفي العتبية) بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة أى مما سمع من مالك من مسائل المدونة وصاحبها يسمى العتبي نسبة لعتبة بن أبي سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن أبي سفيان القرطبي وتوفي منتصف ربيع سنة خمس أو أربع وخمسين ومائتين وأخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى المشرق وفي تاريخ الاندلس محمد العتبي هو أحمد بن محمد بن عتبة الاموي من أهل قرطبة قيل هو مولى لآل عتبة ابن أبي سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون وأصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة أكثر فيه من الشواذ والمسائل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها في المستخرجة وقال ابن وضاح في المستخرجة خطأ كثير (يبدأ بالركوع) المراد به الصلاة أى تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة (قبل السلام) على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو أحد القولين كما تقدم (في مسجد النبي) صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم أولا ثم يصلي ويتحرى بصلاته محلا كان يصلي فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وله علامة ذكروها وتبعهم المصنف وهو على يسار محراب الشافعية (و) شمل ذلك عموم قوله و(أحب) أفعل تفضيل من المحبة (مواضع التنفل فيه) أى أفضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة (مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى محل صلاته المأثور وبين محله بقوله (حيث العمود المخلق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب أصفر فيه زعفران والعمود هو السارية والاسطوانة وسمي مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه محلق بحاء مهملة أى له حلقة من حديد ونحوه قيل وهو محل جذعه الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر له وهذه الاماكن الشريفة وأسماؤها وفضائلها من أراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي (و) فضيلة هذا المحل والصلاة عنده انما هو للمتنفل الزائر (وأما في) صلاة (الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى التقدم في الصف الاول أفضل من غيره مطلقا (والتنفل) أى صلاة النافلة (فيه) أى في المسجد النبوي (للغرباء) الذين قدموا للزيارة وليسوا من أهل المدينة المقيمين بها (أحب الي) أى أفضل عندي (من التنفل في البيوت) أى مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقهاء وأطلقوه ان الافضل في الفرض الصلاة في المساجد والنافلة الافضل فيها ان يصلي في المنازل ووجه المخالفة ان الصلاة

(فصـل)* (فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) وفى نسخة من الآداب (سوى ماقدمنا) أى من أنواع الاستحباب (وفضله) أى فضل مسجده (وفضل الصلاة فيه) أى ومايتعلق به (وفى مسجد مكة) طردا للباب وما يتعلق به من بعض الابواب (وذكر قبره ومنبره) أى وشرف مابينهما وقدره (وفضل سكنى المدينة ومكة) أى سكانهما ومجاوري مكانهما وقدم المدينة بناء على معتقد مالك ومن وافقه على ذلك (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه) واختلف المفسرون فى المراد به (روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل أى مسجد هو قال مسجدى هذا) رواه مسلم والترمذى وصححه النسائى عن أبى سعيد وأحمد عن أبى بن كعب وسهل بن سعد وفى رواية لمسلم هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فكان الاولى للمصنف ان يقول فقد ورد أو ثبت اذروى بصيغة المجهول موضوعة للتمريض غالبا (وهو قول سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها وهو من أكابر التابعين فكان الاولى ان يؤخره عن قوله (وزيد بن ثابت وابن عمر) ثم يقول بعده (ومالك بن أنس) وأما ماذكره الحلبى من ان اللائق تقديم ابن عمر على زيد بن ثابت فغير زيد بن ثابت لان زيدا من أكابر الصحابة وممن

أخذ عنه ابن عباس وغيره وهو أجل كتبة الوحى وقد ورد فى حقه أفرضكم زيد أى أعلمكم بالفرائض وهو امام فى علم القراءة والكتابة وغيرهما وابن عمر من صغار الصحابة والطبقة الثانية منهم رضى الله تعالى عنهم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) أى لانه أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه أيام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو أوفق للقصة فى سبب نزول الآية فقد روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا فقالوا قد بنينا مسجد الذى الحاجة والعلة فصل فيه حتى نتخذه مصلى فقال أنا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما رجع كرروا عليه فنزلت ويؤيده انه روى البخارى فى تاريخه وجماعة عن محمد بن عبد الله بن سلام انه قال لما أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء قال ان الله تعالى قد أثنى عليكم فى الطهور خيرا أفلا تخبرونى فقالوا يا رسول الله انا نجده مكتوبا علينا فى التوراة الاستنجاء بالماء ونحن نفعله اليوم كذا ذكره شيخ مشايخنا الحافظ السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير المأثور ويقويه ما رواه الترمذى وأبو داود ان هذه الآية نزلت فى أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا وكذا ما رواه ابن ماجه ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال قال عليه الصلاة والسلام وقفا على باب مسجد قباء يا معشر الانصار ان الله تعالى قد أثنى عليكم فى الطهور فما طهوركم الحديث وعندى ان الجمع ممكن بان يراد به جنس المسجد الذى أسس على التقوى وان ماذكره من الطهور لاهل قباء لا ينافى الحمل على أهل مسجده من الانصار والله أعلم بحقائق الاخبار ودقائق الاسرار

فى مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة فى غيره على ما يأتى وهذا مبنى على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلاة فى المدينة مطلقا مضاعفة لا فرق بين فرضها ونفلها ومسجدها وغيره فعلى هذا نافلتها كغيرها الا ان الغريب يستحب له الاكثار من المكث فى مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شأن يخصه وهو الظاهر

(فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) اللازم لمن حضر مجلسه فى حياته (سوى ماقدمناه) فى الفصل الذى قبل هذا (وفضله) أى المسجد النبوى (وفضل الصلاة فيه) أى زيادة ثوابها على ثواب غيرها (وفى مسجد مكة) وفضله وفضل الصلاة فيه (وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة) والمجاورة فيهما لم يتكلم فى الشفاء على المجاورة الا ان الشارح أشار الى ذلك فيما يأتى (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) وضع اساسه فيه (أحق ان تقوم فيه) للصلاة من غيره وقد اختلف فيه كما سيأتى (روى) عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم وغيره (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل) عن المراد به فى هذه الآية (أى مسجد هو قال مسجدى هذا) يعنى الذى هو داخل المدينة وهو معروف (وهو) أى كونه المراد فى الآية (قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم) من كبار الصحابة قيل كان ينبغى له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك هكذا لكنه قدم بالاسن والترتيب فى الذكر ليس بلازم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) الذى تقدم بيانه وهو المراد فى الآية عنده لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أسسه وصلى فيه أيام اقامته من الاثنين الى الاثنين وكلاهما مما أسس على التقوى الا ان تأسيس مسجد قباء كان فى ابتداء دخوله صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه وأسس الآخر فالاولية ظاهرة فيه الا ان تجعل شاملة للحقيقية والنسبية والمراد بالتقوى الاخلاص فى رضى الله لا كمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذى ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول أيضا مروى عن كبار الصحابة مسندا له صلى الله عليه

(حدثنا هشام) وفي نسخة هاشم (بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين) بالتصغير والاصح كما في نسخة الحسن (ابن محمد الحافظ) أي حافظ عصره ومحدث دهره وهو الغساني (ثنا) أي قال حدثنا (أبو عمر النمري) بفتح النون وكسر الميم وهو ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا مسدد) بفتح الدال الاولى مشددة (ثنا سفيان) أي ابن عيينة (عن الزهري) وهو الامام ابن شهاب (عن سعيد بن المسيب) من قيل فيه انه أفضل التابعين (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم لا تشد الرحال) جمع راحلة وهي الصالحة لان ترحل أو يشد الرحل عليها والرحل للبعير كالسرج للفرس والمعنيان يحتملان هنا وفي النهاية الراحلة من الرحيل البعير القوي على الاسفار والاحمال للذكر والانثى والهاء للمبالغة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والمعنى لا ينبغي ان تركب دابة لزيارة مسجد من المساجد (الا الى ثلاثة مساجد) لفضلها على غيرها في كونها مشاهد (مسجد الحرام) بالجر بدل من الثلاثة وفي نسخة المسجد الحرام والمراد به المسجد الذي في بلد الله الحرام المحترم عند سائر الانام وهو أفضلها كما يشير اليه تقديمه في هذا الحديث ومزيد المضاعفة فيها كما في أخبار كثيرة وآثار شهيرة (ومسجدي هذا) يعني مسجد المدينة

وسلم وقد رواه مسلم وأصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغي للمصنف ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا روي بصيغة المجهول التي نغلب استعمالها في الضعيف فكأنه ايماء الى ان الاقوى ماقاله ابن عباس وهو مشكل وغاية مايقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بني بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قباء ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه أتى على أحد المسجدين بزيادة الطهارة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله أحق ان تقوم فيه لانه انما كان أكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قباء لكان صلى الله تعالى عليه وسلم تاركا للاحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قباء في الحكم ونص على ما خرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق جدا (حدثنا هشام بن أحمد الفقيه) هو أحد شيوخ المصنف رحمه الله لقوله (بقراءتي عليه) قال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) هو الغساني وقد تقدم قال (حدثنا أبو عمر) هو ابن عبد البر كما تقدم (النمري) تقدم بيانه أيضا قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن داسة) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن تقدم أيضا قال (حدثنا مسدد) تقدم قال (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة وقد تقدم (عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة) تراجمهم تقدمت كلها (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (لا تشد الرحال) لانافية وتشد مضارع مجهول وهو خبر أريد به النهي وهو أبلغ في النهي لانه جعل كأنه أمر لا يقع في الخارج أخبر عنه لتحققه والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل كما رلاجمع راحلة كما توهم وهو البعير ونحوه والمقصود منه المنع أو نفي شدها كناية عن منع السفر أي لا ينبغي السفر وقطع المسافة (الا الى ثلاثة مساجد) جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة وأصله موضع السجود (مسجد الحرام) بالحركات الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة أي المسجد الذي جعله محترما وهو مشهور غني عن البيان (ومسجدي هذا) أي مسجد المدينة المعروف (والمسجد الاقصى) بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى أي الابعد لانه أبعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور وليس هذا محله واختلف في هذا النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مأول أي لا تشد الرحال لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم تلزمه فلا يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبرك بها أو لزيارة من فيها من الصالحين أو لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه (وقد تقدمت الآثار) والاحاديث (في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد) النبوي في الفصل الذي قبل هذا كما سمعته آنفا والآثار كل مأثور أي مروي فيشمل الحديث وغيره ويطلق

احترازا من نحو مسجد قباء فلا يدل على حصر فضل مسجده على ما كان مشارا اليه في مشهده (والمسجد الاقصى) على وهو الابعد من المساجد بالنسبة الى العرب وهو الذي ببيت المقدس وهو مسجد كبير وقد دخله عليه الصلاة والسلام وصلى فيه في ليلة الاسراء وقد أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وفيه تذييه نبيه على انه ينبغي للعاقل ان لا يشتغل الا بما فيه صلاح دنيوي وفلاح أخروي ولما كان ماعدا المساجد الثلاثة متساوي المرتبة في الشرف والفضيلة وكان التنقل والارتحال لاجله عبثا من غير المنفعة نهى الشارع عنه لان لا تشد خبر وقع نفيا وأراد به نهيا (وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام) ويروى التسليم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد) أي مطلق المساجد فبالاولى مراعاتها في أفضل المساجد

(وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما) انه صواب ترك الياء فى آخره كما بيناه أولا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد) أى جنسه (قال أعوذ بالله العظيم و بوجهه الكريم) أى ذاته (وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) رواه أبو داود (وقال مالك) أى فيما رواه البخارى والنسائى (سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صوتا) أى عظيما (فى المسجد) أى مسجد المدينة (فدعا بصاحبه) أى طلب صاحب الصوت (فقال ممن أنت) روى من أنت (قال رجل من ثقيف) أى من أهل الطائف (قال لو كنت من هاتين القريتين) أى مكة والمدينة أى لفعلت نكالا أو لعذبتك أو لعذرتك وفى نسخة صحيحة لادبتك (ان مسجدنا) أى أهل المدينة خصوصا (لا يرفع فيه الصوت) أى لما ورد من قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وهو حى حاضر بعد مماته كما كان فى حال حياته. فيكون موجبا لمراعاته وقد قال بعض علمائنا ان رفع الصوت فى المساجد ولو بالذكر حرام لما يشوش على أهلها العبادة و يشغل خاطرهم عما تتعلق به الارادة قال الدلجى وقد اتفق العلماء عليه بشهادة الحصر فى حديث انما بنيت المساجد للذكر والعبادة هذا وفى صحيح البخارى بسنده الى السائب بن يزيد هو الكندى له صحبة كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأتنى بهذين فجئته بهما فقال من أنتما أو من اين أنتما قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لاوجعتكما ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله سامحهما لكونهما قريبى العهد من الايمان والاسلام وآدابهما أو لكونهما من الغرباء فاوجب مراعاة حالهما (وقال محمد بن مسلمة لا ينبغى لاحد ان يعتمد) وفى نسخة صحيحة ان يتعمد أى يقصد

على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر مشهور فى مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره (وعن عبدالله بن عمرو بن العاص) فى حديث رواه أبو داود باسناد جيد حسن كما فى الاذكار للنووى (ان النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا دخل المسجد) أى مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا مستحب فى دخول كل مسجد (قال أعوذ بالله العظيم) أى ألتجئ فى أمورى كلها وفى التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخف من التجأ اليه (و بوجهه الكريم) الوجه معروف فاذا أضيف الى الله تعالى فالمراد به ذاته المكرمة المبجلة (وسلطانه القديم) سلطانه بمعنى قهره وغلبته والقديم صفة سلطان وذلك ثابت له فى الازل والقدم (من الشيطان الرجيم) المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه من العبادة و يشغله بوسوسته وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم (وقال مالك) بن أنس رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى والنسائى فيه (سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صوتا) عاليا كالصياح (فى المسجد) أى مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فدعا بصاحبه) أى أمر بمجيئه اليه فجىء له به وسقط هذا من بعض النسخ فالفاء فى قوله (فقال ممن أنت) فصيحة أى من أى قبيلة وطائفة من الناس (قال من ثقيف) قبيلة من العرب مشهورة من هوازن (قال) عمر رضى الله عنه له (لو كنت من) أهل (هاتين القريتين) يعنى مكة والمدينة (لادبتك) كما فى نسخة وفى أخرى له لوتك بالدرة بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهى سوط عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب به على رأسه وأعالى بدنه يقال علاه بالدرة وجالله وقنعه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من أهل الحرمين وهما مهبط الوحى ومقر الدين لا يعذر فى الجهل بالشرع وآدابه ثم بين له وجه ما قاله بقوله (ان مسجدنا) يعنى مسجد المدينة أو الاعم منه (لا يرفع فيه الصوت) فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثانى هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من طريق آخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقهاء الى ان رفع الصوت فى المساجد مطلقا مكروه ولحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعذر وكلام عمر رضى الله عنه يدل على انه لو كان من أهل القريتين عذره لانه لا يعذر بجهله وأجيب بانه علم منه عدما كثراثه بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حرام يؤدى الى الكفر والعياذ بالله * قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أى عنده صلى الله عليه وسلم وهو فى حياته كما تقدم الا ان قوله ان مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شئ فاعرفه و يستثنى من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة وكذا التلبية كما صرحوا به على ما يأتى (قال محمد بن مسلمة) بميمين مفتوحتين كما تقدم (لا ينبغى لاحد ان يعتمد

(المسجد) أي فيه (برفع الصوت ولا بشيء من الاذى) أي من دخوله فيه أو رؤيته من بصاق ونحوه (وان ينزهه عما يكره) أي من بيعه وشرائه وحلاقة رأسه وقص ظفره وقتل قملة ونحوها فان المساجد لم تبن لذلك وانما بنيت لذكر الله ولما يناسب هنالك (قال القاضي) يعني المصنف (حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه) وهو الامام شيخ الاسلام اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد الازدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف ولد سنة تسع وتسعين ومائة وقرأ على قالون وتفقه وأخذ علم الحديث وقاله عن ابن المديني روى عنه جماعة وتفقه عليه طائفة قال الخطيب كان عالما متقنا فقيها شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف في علوم القرآن وله كتاب احكام القرآن لم يسبق الى مثله وكتاب معاني القرآن وكتاب القراآت واستوطن بغداد وولي قضاءها الى ان توفي وقال غيره صنف موطأ وصنف كتابا كبيرا نحو مائتي جزء في الرد على محمد بن الحسن لم يتمه توفي اسمعيل فجأة في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وروى النسائي في الكنى عن ابراهيم بن موسى عن اسمعيل القاضي عن ابن المديني والحاصل انه ذكر فيه (في باب

فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) أقول لكن لا شبهة في تفاوت مراتب المساجد في هذا الحكم وغيره من المقاصد (قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر) أي رفع الصوت (على المصلين فيما يخلط) بتشديد اللام المكسورة أي يلبس ويشبه (عليهم صلاتهم) أي من جهة قراآتهم وعدد ركعاتهم (وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت) أي بالكلام فرفع الصوت مرفوع على انه اسم ليس ومما يخص محله النصب على الخبر والمساجد مرفوع يعني على انه نائب الفاعل (قد كره) بصيغة المفعول أي كره جماعة (رفع الصوت بالتلبية) أي مع كونها ذكرا وسنة (في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى) اقول هذا الاستثناء انما هو على مقتضى مذهبه ومختار مشربه والا فالصحيح من مذهبنا انه يكره رفع الصوت مطلقا في جميع المساجد لانه لا فرق في العلة المانعة منه في كل المساجد وفي نسخة ومسجدنا قال الانطاكي كذا وقع في النسخ التي وقفت عليها والظاهر انه تصحيف اذ لا معنى لاضافة المسجد الى القائل هنا ولعل الصواب ومسجد منى فقد قال السروجي في شرح الهداية وقال مالك لا يرفع المحرم صوته بالتلبية في مساجد الجماعات لانها لم تبن لها الا في المسجد الحرام ومسجد منى قال وخالف الجماعة وقد لبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسجد ذي الحليفة دبر صلاته ورووا تلبيته صلى الله تعالى عليه وسلم ولو لم يرفع بها صوته لما حفظ ودامنه هذا لفظه بحروفه انتهى كلام الانطاكي وفيه ان تلبيته في مسجد ذي الحليفة ليس كسائر المساجد اذ هو ليس من مساجد الجماعات بل مسجد موضوع للاحرام وما يتعلق به من الصلاة والتلبية والحاصل ان مذهب الحنفية يستحب التلبية في المسجد الحرام ومنى سائر المساجد التي في بقاع الحرم لانها موضع النسك ولا يستحب اظهارها في مساجد الامصار والحل لما روي

المسجد) أي يقصده وفي نسخة يتعمد (برفع الصوت) فيه فيقال عمده واعتمده اذا قصده فان فعله لا عن عمد لجهل أو غيره جاز له ذلك (ولا بشيء من الاذى) هو كل مستقذر لان الطبع يتأذى به (وان ينزه) بالبناء للمجهول أي يبعد منه فيبعد هو (عما يكره) مجهول أيضا والمكروه المراد به أيضا المستقذرات ولا ينبغي تحمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء بمنع جعل النجاسة والمستقذرات في المساجد حتى النخامة والروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم الى غير ذلك مما فصل في أحكام المساجد وقد افرده بالتأليف الامام الزركشي فلا حاجة لذكره هنا لانا لسنا بصدده (قال القاضي) عياض هو المصنف رحمه الله تعالى (حكى ذلك) المذكور (كله القاضي اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل الازدي البصري العلامة الرحلة في سائر الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من أقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضاء اندرس ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين ومائتين ببغداد فجأة (في مبسوطه) اسم كتاب له كما تقدم (في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا تساوت في ذلك كان حكمها واحدا (قال القاضي اسمعيل) ابن اسحق المتقدم (قال محمد ابن مسلمة) المتقدم (يكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم) أي يشوش عليهم والخلط مزج شيء بشيء من المائعات ونحوها بحيث لا يتميز احدهما عن الآخر كالدقيق والشعير بالبر فالمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراآتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط (وليس) أي كراهة رفع الصوت (مما يخص به المساجد) فثبتت كراهة (رفع الصوت) رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله (فيكره رفع الصوت بالتلبية) أي قول الحاج لبيك اللهم لبيك (في مساجد الجماعات) التي تجمع فيها الصلاة الجمعة ونحوها (الا المسجد الحرام) يعني مسجد مكة (ومسجدنا)

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سمع رجلا يلبي فقال ان هذا لمجنون انما التلبية اذا برزت كذا في الكافي وفي أحكام المساجد للشافعية تستحب التلبية في المسجد الحرام وفي مسجد منى وابراهيم بعرفات وفي استحبابه في سائر المساجد قولان الجديد الاصح انه يستحب والقديم لا لئلا يشوش انتهى وقد علم بما ذكرنا ان الخلاف في رفع الصوت المشوش وأما أمر الاضافة فسهل اذا كان القائل مثلا في مسجد نمرة أو مسجد الخيف والله تعالى اعلم (وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه) أي فيما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا) أي مسجد المدينة وقال النووي المضاعفة فيه مختصة بما كان في زمنه عليه الصلاة والسلام وتحت نظر أصحابه الكرام (خير من ألف صلاة فيما سواه الى المسجد الحرام قال القاضي) يعني المصنف (اختلف الناس) أي العلماء فانهم هم الناس (في معنى هذا الاستثناء) يعني الا المسجد الحرام هل يفيد الزيادة أو النقصان أو الاستواء (على اختلافهم) قال الدلجي أي مع اختلافهم والاظهر ان على على بابها أو المعنى اختلافا مبنيا على اختلافهم (في المفاضلة بين مكة والمدينة) أي كون أيهما أفضل في حق المجاورة (فذهب مالك رحمه الله تعالى في رواية أشهب) أي ابن عبد العزيز (عنه) أي عن مالك (وقال ابن نافع صاحبه) أي صاحب أشهب أو صاحب مالك (وجماعة أصحابه) كذا بالاضافة وفي نسخة وجماعة من أصحابه أي من أصحاب مالك عنه (الى ان معنى الحديث) أي مراده ومقتضاه بحسب مبناه ومفهوم معناه (ان الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الالف) يعني فالاستثناء لبيان النقص في الجملة وسيأتي ما يرد هذه المقولة (واحتجوا بما روى) أي في مسند الحميدي (عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) وفيه انه يدل على ان صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة في مسجد المدينة لانه داخل فيما سواه من غير ذكر استثناء في مبناه فلا يتم قوله تبعا لهم

يعني مسجد المدينة لان محمد بن مسلمة كان من سكانها فرفع الصوت في التلبية مأمور به لحديث أفضل الحج العج والثج والعج رفع الصوت والثج اراقة الدماء ورفع الصوت مستحب لغير المرأة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه فيه غيره فجعله مستحبا في جميع المساجد وانما كرهه مالك في المساجد لانها محل الخشوع (وقال أبو هريرة) في حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (صلاة في مسجدي هذا خير) أي أفضل وأكثر ثوابا (من ألف صلاة فيما سواه) من جميع المساجد (الا المسجد الحرام) يعني مسجد مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال فيه وكذا الصيد وقطع أشجاره وتتمة الحديث وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا (قال القاضي) أبو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله (اختلف) بالبناء للمجهول أي اختلف العلماء والفقهاء (في معنى هذا الاستثناء) يعني المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبني (على اختلافهم في المفاضلة) أي القول بأيهما أفضل من الآخر (بين مكة والمدينة فذهب) الامام (مالك في رواية أشهب) بن عبد العزيز أبو عمرو القيسي المصري تلميذ مالك في مروياته (عنه) أي عن مالك (وقال) عبد الله (ابن نافع وصاحبه) أي صاحب امام مالك الذي روى عنه (وجماعة أصحابه) أي أصحاب مالك (الى ان معنى الحديث) المذكور والاستثناء فيه لانه ان لم يكن خيرا من ألف صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة في المسجد الحرام أكثر ثوابا من الصلاة في المسجد النبوي وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام بأقل من ألف وان الصلاة في المسجد النبوي لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية أشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من أصحاب مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه (ان الصلاة في مسجد الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من الصلاة في سائر المساجد) أي باقيها (بألف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه) أي في المسجد الحرام (بدون ألف) أي أقل منه وهو تأويل بعيد وممن استبعده من المالكية ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند أحمد عن عبد الله بن الزبير انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة في مسجدي هذا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقي كيف لا وقد مدحه الله تعالى وأمر بالحج اليه وفي الحديث أيضا انه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت كما رواه الترمذي والنسائي وقال انه حديث حسن (واحتجوا) لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة (بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) أي غير المسجد الحرام لما علم مما

(فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف) وسيأتى ماينا قضه ويعارضه بماهو أصح فى هذا الباب مما روى عن عمر ابن الخطاب والله أعلم بالصواب (وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة) أقول بل تفضيل المدينة على مكة مبنى على هذا انسحب تفضيل المكانين بموجب تشريف المسجدين والافلاشك ان مكة لكونها من الحرام المحترم اجماعا أفضل من نفس المدينة ماعدا التربة السكينة فانها افضل من الكعبة بل من العرش على ماقاله جماعة على انه لافضيلة فى العبادة بالمدينة خارج مسجدها لعدم تعلق المضاعفة فى الحسنة بها بخلاف مكة وماحولها من الحرم المحترم والله تعالى أعلم والحاصل انه ان ثبت أفضلية مسجد المدينة يدل على أفضلية المجاورة بها الان المقصود من السكون فيها اتيان العبادة بها على ماقدمناه (وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وفيه ان رواية الحديث السابق ليس لها دلالة على مذهبه اللاحق (ومالك وأكثر المدنيين) أى علماء أهل المدينة وفقهائهم من التابعين (وذهب أهل مكة والكوفة) ومنهم أبو حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وسفيان الثورى وحماد وعلقمة وأصحاب الشافعى وغيرهم (الى تفضيل مكة) لحديث النسائى وابن ماجه والترمذى حسنه وصححه عن عبد الله بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض ٥٣٠ الله الى الله تعالى ولولا انى أخرجت منك ماخرجت (وهو قول عطاء) وهو من اكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الساجى) بالسين المهملة والجيم محدث البصرة وعنه أخذ الاشعرى مقالة أهل الحديث وله كتاب جليل فى علل الحديث ذكره الشيخ أبو اسحق فى طبقاته فقال أخذ عن الربيع والمزنى وصنف كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث وتوفى بالبصرة سنة سبع وثلثمائة ذكره فى الميزان وقال أحد الاثبات ماعلمت فيه جرحا أصلا وقال أبو الحسن بن القطان مختلف فيه فى الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون (عن الشافعى) أى نصا فى هذا الباب (وحملوا الاستثناء فى و روى الحديث المتقدم) أى عن أبى هريرة برواية الشيخين (على ظاهره) أى للزيادة (وان الصلاة فى المسجد الحرام أفضل) أى منها فى مسجده عليه الصلاة والسلام (واحتجوا) أى لتفضيل مكة على المدينة (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (وفيه) أى وزيد فى حديث ابن الزبير (وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة) فهذا منطوق وقع صريحا فلا يعارضه مفهوم ولو كان صحيحا والحديث هذا انما ثبت فى مسند أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من حديث عبد الله بن الزبير ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى هذا وقال النووى فى شرح مسلم هذا حديث حسن رواه أحمد بن حنبل فى مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن انتهى وقد رواه ابن حبان فى صحيحه هذا وقال الدلجى فى قوله بمائة صلاة أسقط منه المضاف الى صلاة أى بمائة ألف صلاة اذ قد ورد كذلك عند أحمد وابن ماجه عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى أبو هريرة صدره وعمر آخره

تقدم (فتأتى فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه) أى على المسجد الحرام (بتسعمائة وعلى غيره بالف) أى غيره من المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ مارواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلفظ صلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه الامسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه بمائة صلاة وقد روى من طرق (وهذا) أى ماذكره من ان الصلاة فى مسجد الرسول أفضل من الصلاة فى مسجد مكة بدون الالف (مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ماقدمناه) قريبا (وهو) أى تفضيلها عليها (قول عمر بن الخطاب ومالك) فى احدى الروايتين عنه (وأكثر المدنيين) أى علمائها القوله صلى الله تعالى عليه وسلم مابين قبرى ومنبرى الخ ونحوه (وذهب أهل مكة و) علماء (الكوفة الى تفضيل مكه) على المدينة (وهو قول ابن وهب وعطاء وابن حبيب من أصحاب مالك) وفى رواية عنه (وحكاه الساجى) بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو أبو يحيى زكريا بن يحيى الضبى البصرى (عن الشافعى) رضى الله عنه لانه من أئمة الشافعية توفى بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة وله كتاب جليل فى علل الحديث وكتاب فى اختلاف الفقهاء وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة فى الميزان (وحملوا) أى المفضلون لمكة (الاستثناء فى الحديث المتقدم على ظاهره) من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه (وان الصلاة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا) لما قالوه (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى أخرجه أحمد وابن حبان (بمثل حديث أبى هريرة وفيه) أى فى حديث ابن الزبير (وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة

وروى قتادة مثله) أي مثل حديث ابن الزبير في أفضلية مكة (فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا) الذي رواه ابن الزبير وقتادة (على الصلاة في سائر المساجد مائة ألف) وفيما قاله شئ لانه كما قيل أسقط منه مضاف الى صلاة أي مائة ألف صلاة وهو كذا في رواية أحمد وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى مافيه وحديث ابن الزبير هذا روى صدره أبو هريرة وعجزه عمر رفعاً عرفه (ولا خلاف) بين العلماء والمحدثين في (ان موضع قبره) أي الموضع الذي قبر فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف (أفضل من) سائر (بقاع الارض) كلها بل هي أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكي رحمه الله تعالى لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافي في القواعد للتفضيل أسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له أولما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله تعالى عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار مافي الشفاء ان الافضل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال لاعمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضل وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة انتهى ووافقه السبكي رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكى مأواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الامكنة لتجلي الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة لا حاجة الى ماقيل انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا أفضل له في ذاته فالفضل كفي انه لاجل ما حل فيه وقول السروجي من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا في مذهبنا ليس بتوقف فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفي لفضله مااشتهر من ان كل احد يدفن في التربة التي خلق منها * قلت وفي هذا أفضل لضجيعيه ونحر كفى بشرفها ماحتى قال في عوارف المعارف روى عن ابن عباس ان أصل طينته صلى الله تعالى عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما أجاب ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو أصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان أتى بطينته لمحل دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم ففي الحقيقة لم يدفن الا في أصل الكعبة الذي خلق منها صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو قول ثقة ويؤيده ماجاء في بعض الآثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم أربعمائة من احبار بني اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التي ضمت الجسد العظيم اذا كان أفضل من سائر البقاع يلزم ان يكون المدينة أفضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هي تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلابد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفي كلام شيخنا ابن قاسم مايقتضي ما تقدر ان أفضل البقعة التي ضمت أعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت قبل دفنه فيها وقبل موته بل وقبل هجرته نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسي انما ثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لاقبله لانها حينئذ ليس فيها الا انها جزء من الكعبة بمجرده فلا يزيد على بقية اجزائها الا ان يقال اعداده لدفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها اقتضى مزيتها على بقية الاجزاء قبل دفنه فيها أيضا وهل البقعة المذكورة أفضل من منزله عليه الصلاة والسلام في الجنة أو منزله فيها أفضل

(وروى قتادة مثله) وفي نسخة روى عن قتادة أي مثل حديث ابن الزبير (فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا) أي القول المحتج المجتمع له بحديث ابن الزبير (على الصلاة في سائر المساجد) أي ولو مسجد المدينة (بمائة ألف) قال الحجازي يروى بمائة وألف أقول الظاهر انه تصحيف في المبنى وتحريف المعنى ثم اعلم ان العلماء صرحوا بان هذه المضاعفة فيما يرجع الى الثواب فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب مائة ألف فيما سواه ولا يتعدى ذلك الى الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في مسجد المدينة أو المسجد الحرام أو المسجد الاقصى صلاة لم تجزئه عنهما وهذا مما لاخلاف فيه بين العلماء خلافا لما يغتر به بعض الجهلاء (ولا خلاف) أي بين علماء الامصار (ان موضع قبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل بقاع الارض) أي بشرف قدره وكرمه عند ربه

(قال القاضى أبو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (الذى يقتضيه الحديث) أى الوارد فى فضل المسجدين (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) ومن جملتها مسجده عليه الصلاة والسلام بدليل حمل الاستثناء فى حديث أبى هريرة على ظاهره وحديث عمر رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه (ولا يعلم منه) أى من الحديث المذكور (حكمها) أى حكم مكة (مع المدينة) فى أيهما أفضل من الاخرى الا انه يدل على ان المجاورة بمكة والمداومة فى مسجدها بالجماعة أفضل من المجاورة بالمدينة لما يترتب عليها من مزيد المضاعفة الا ان حديث حسنات الحرم بمائة ألف ان ثبت صريح فى ان نفس مكة أفضل من نفس المدينة ماعدا البقعة السكنية ومما يدل عليه أيضا ماتقدم من حديث ابن الحمراء فانه حديث صحيح ودلالته على المدعى صريح (وذهب الطحاوى) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة العالم المشهور فى مذهب الحنفى (الى ان هذا التفضيل) أى فى المسجدين (انما هو فى صلاة الفرض) أى لان النافلة فى البيوت أفضل (وذهب مطرف) بضم ميم وكسر راء مشددة وهو اليسارى المدنى مولى ميمونة يروى عن خاله مالك ونافع القارى وعنه البخارى وأبو ذرعة (من أصحابنا) أى المالكية (الى ان ذلك) أى التفضيل الوارد فى الصلاة فيهما (فى النافلة أيضا) أى منضمة الى الفريضة أخذا بظاهر عموم الحديث وكذا قاله أيضا أصحاب الشافعى على مانقله الحلبى (قال) أى الطحاوى أو مطرف فى تفضيل الصلاة والصوم فيهما (و جمعة خير من جمعة) أو فى غيرهما بماسبق فى فضلهما كصيام (و رمضان خير من رمضان) أى كذلك (وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) أى من البلاد والظاهر على غيرها (حديثا نحوه) أى نحو ماذكر قبله رواه الطبرانى عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان رواه الطبرانى والضياء عن بلال بن الحارث المزنى وورد رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة رواه البزار عن ابن عمر

كما يسبق الى الفهم وقد يقال هذه أفضل مادام فيها فاذا صار فى الجنة صار منزله أفضل وقد يقال يجوز ان يكون هذه منقولة من منزله فى الجنة أو ينقل اليها فلها حكمة فليتأمل * واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساويان لاتفاضل بينهما ظن بعضهم ان القبر الشريف لايتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له أسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال فى المدينة على أعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها أعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهى تزيد بذلك واذا قال مالك فى المدينة أيضا ماليس فى غيرها المجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه والخلاف لفظى فتدبر (قال القاضى أبو الوليد الباجى) بموحدة وقد تقدمت ترجمته (الذى يقتضيه الحديث) المتقدم الذى فى فضل مسجديهما (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة فى المسجدين (ولا يعلم منه) أى من الحديث الذى استدلوا به (حكمها) أى حكم مكة فى التفاضل (مع المدينة) أى بالقياس اليها بالتفاضل فايتهما أفضل وهو الذى ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره (وذهب الطحاوى) هو الامام أبو جعفر أحمد بن محمد الحنفى كما تقدم (الى ان هذا التضعيف) بالضاد المعجمة أى تضعيف أجر الصلاة باحد المسجدين مسجد مكة أو المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المصنف فى الاصول والظاهر الاول (انما هو فى صلاة الفرض) وانه الذى يضاعف ثوابه وعممه بعضهم فى الفرض والنفل وهو المختار واليه أشار بقوله (وذهب مطرف) بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة المهملتين وفاء وهو أبو مصعب مطرف النيسابورى المدنى ابن أخت الامام مالك روى عنه البخارى وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه فى الفقه توفى سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة (من أصحابنا) أى من المالكية وقيده به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصرى الزاهد توفى سنة خمس وتسعين كما فى الحلية لابى نعيم (الى ان ذلك) أى مضاعفة ثواب الصلاة (فى النافلة أيضا) أى كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعى اذ لاداعى للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما أشار اليه بقوله (قال) أى مطرف وقيل الضمير للطحاوى (وجمعة خير من جمعة) أى ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة فى غيره ويحتمل انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول أولى لقوله (و رمضان) فيه (خير من رمضان) فى غيره وهو منون مصروف لتنكيره (وقد ذكر عبد الرزاق) بن همام المحدث الحافظ كما تقدم (تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) من البلاد (حديثا نحوه) أى مثل الحديث المذكور فى فضل الصلاة وهو مارواه الطبرانى وغيره عن بلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صيام شهر رمضان فى المدينة

(وقال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) رواه أحمد والشيخان والنسائي عن عبد الله بن زيد المازني والترمذي عن أبي هريرة (ومثله) أي مثل هذا اللفظ (عن أبي هريرة وأبي سعيد) أي في الموطأ (وزادا) وفي نسخة صحيحة زاد أي أبو سعيد الخدري (ومنبري على حوضي) أي حقيقة أو مجازا كما سيأتي (وفي حديث آخر) وقد سبق مخرجه (منبري على ترعة من ترع الجنة) بضم الفوقية وسكون الراء وقد تقدم معناها (قال الطبري) الظاهر أنه محمد بن جرير (فيه) أي في الحديث الاول (معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه) أي مع عائشة في مبيته ومثواه (على الظاهر) أي المتبادر من المعنى

كصيام ألف شهر فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) تقدم الكلام عليه وان الروضة أرض في مكان مطمئن ذات أشجار ومياه (ومثله) في معناه ولفظه (عن أبي هريرة وأبو سعيد) الخدري (وزاد) فيه أبو سعيد كما في الموطأ (ومنبري على حوضي) قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ يورث الري من العطش في هول القيامة (وفي حديث آخر) تقدم (منبري على ترعة من ترع الجنة) تقدم بيانه وهو تمثيل أيضا وتقدم تفسير الترعة (قال الطبري) محمد بن جرير لا الكيا كما قيل (فيه معنيان) أي وجهان واحتمالان (أحدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) الذي كان يسكنه وهذا مبني (على الظاهر) المتبادر من لفظه (مع انه ورد) في بعض الروايات (ما بينه) ويعين المراد منه وهو (ما بين حجرتي ومنبري) لان الحجرة بضم الحاء محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق الاحتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة (والثاني ان البيت هنا) أي في الحديث المذكور المراد به (القبر) فانه يطلق عليه بيت مجاز الان معناه ما يبيت فيه الحي وقربه هنا انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره (وهو قول زيد بن أسلم) الفقيه العمري كما تقدم (في هذا الحديث) وفسره به (كما روى ما بين قبري ومنبري) فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما (قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف) بحسب المعنى (لان قبره في حجرته وهو بيته) واخباره صلى الله عليه وسلم به قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم (وقوله) في هذا الحديث (ومنبري على حوضي) في تفسيره أقوال منها ما (قيل) انه (يحتمل انه منبره) المعروف (بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر) لتبادره من غير داع لتأويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان يخطب عنده يغرس في الجنة كما روي (و) القول (الثاني ان يكون له هنالك) أي في المحشر عند الحوض (منبر) آخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم فيقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته (و) القول (الثالث) انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر السبب وارادة المسبب فالمراد (ان قصد منبره والحضور عنده) في الدنيا (لملازمة الاعمال الصالحة) متعلق بقصد أو حضور أو هو علة مقدمة لقوله (يورد الحوض ويوجب الشرب منه) لاعماله الصالحة في الدنيا (قاله الباجي) تقدم بيانه (وقوله) في الحديث (روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين) وتفسيرين (أحدهما انه موجب لذلك) أي مقتض له اقتضاء محققا فكأنه موجب له أي لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا (وان الدعاء والصلاة فيه) أي فيما بين المنبر والقبر (يستحق) صاحبها (ذلك من الثواب) بيان لذلك أو تعليل له ففيه تجوز (كما قيل) في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة (الجنة تحت ظلال السيوف) كناية عن دنو المجاهدين من الجنة حتى كأنه اذا رفع سيفه للضرب به أو

اللغوي للبيت (مع انه روي ما بينه) أي هذا المعنى وهو قوله (بين حجرتي ومنبري والثاني) أي ثانيهما (ان البيت هنا القبر) أي باعتبار مآله (وهو قول زيد ابن أسلم في هذا الحديث كما روى) أي في بعض الروايات (بين قبري ومنبري قال الطبري) أي جمعا بين الروايات (واذا كان قبره في بيته) أي في آخر أمره (واتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف) في مباني الاعتبارات (لان قبره عليه الصلاة والسلام في حجرته وهو) أي حجرته (وذكره لتذكير خبره وهو بيته وقوله) أي في الحديث الآخر (ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه) منبره أي موضعه (بعينه الذي كان موضعه في الدنيا وهو أظهر) أي من غيره من الاقوال

وذلك بان تنقل تلك البقعة بعينها الى أرض الآخرة فيقع من بقع أرض الحوض فيها (والثاني أن يكون له هنالك منبر) أي عند الكوثر (والثالث ان قصد منبره والحضور) عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة (من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما انه) أي أيضا (موجب لذلك) أي لما سبق هنالك كما بينه بقوله (وان الدعاء والصلاة فيه) أي فيما بين بيته ومنبره (يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف) كان حقه أن يقول كما روي فانه حديث رواه الحاكم في مستدركه عن أبي موسى وفي معناه الجنة تحت أقدام الامهات رواه القضاعي والخطيب في الجامع عن أنس رضي الله تعالى عنه

بفتح اللام وسكون الهمزة والمد أى ضيق المدينة وعنائها (وشدتها) أى وشدة بلائها (أحد الا كنت له شهيدا) مبالغة شاهد أى أشهد له بما أعلم من صبره عليها (أوشفيعا) مبالغة شافع أى وأشفع له (يوم القيامة) وأو ههنا ليست للشك لانه رواه جابر وسعد ابن أبى وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبى عبيدة وهى تابعية على الصحيح فحديثها مرسل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا اللفظ و يبعد اتفاقهم على الشك وكذا يستحيل اتفاق رواتهم على الشك فأو هنا بمعنى الواو أو للتقسيم كما صرح به النووى فيكون شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم أو شهيدا لمطيعهم شفيعا لمذنبهم أو شهيدا لمن مات فى حياته شفيعا لمن عاش بعد وفاته وهذه خصوصية زائدة على شهادته فى القيامة على جميع الامم أو على أصفياء هذه الامة

علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل أو ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سببا للدخول من أظلته الجنة وهذا مراد القاضى هنا (والثانى) من معانيه المحتملة (ان تلك البقعة) من بقاع المسجد التى بين القبر والمنبر (قد ينقلها الله) من الدنيا الى الآخرة (فتكون فى الجنة بعينها) فهو على حقيقته (قاله الداودى) هو أحمد بن نصر شارح البخارى وهو أبو جعفر الاسدى اليشكرى التلمسانى توفى بتلمسان سنة أربعين وأربعمائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز تسكين لامها وفى نسخة الماوردى وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الى آخره انه كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حق ذكرها لاسيما فى عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تؤدى الى الجنة أو هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للآخرة قال ابن حجر والوجوه الثلاثة على ترتيبها فى القوة فالوجه الاخير أضعفها وقال بعضهم انه أقواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر الهيتمى والاظهر الجمع بين المعنيين يعنى انها تنقل الى الجنة وتؤديه الى رياضها ويؤيده ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة فى غيره وان الجذع الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس فى الجنة فهذا يقتضى ان البقعة تنقل اليها أيضا ولا يخفى ما بين أول كلامه وآخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح كما رواه الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى وأوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس خطيبا فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفى النهاية انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفىء بمعنى وقد يقال الظل لما قبل الزوال والفىء لما بعده كما فصله أهل اللغة وقلت فى قطعة

قلت له لما دنا طرفه * بناظر أهدى الينا الحتوف
أوجنة من تحت أهدابه * أم جنة تحت ظلال السيوف

(وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم (وجماعة من الصحابة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى) حق (المدينة) والساكنين بها انه (لا يصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة وواو بعدها مد (وشدتها) عطف تفسير لان اللأواء هى الشدة والمشقة والضيق وجاءت بمعنى القحط وجمع الاخير ليكون تأسيسا (أحد) فاعل يصبر (الا كنت) عبر بالماضى لتحققه أى أكون (له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) قال المصنف رحمه الله تعالى والنووى أو هنا ليست للشك من الراوى لانه رواه نحو عشرة من الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله تعالى عليه وسلم قاله هكذا فأو للتقسيم أى شهيدا لبعض وشفيعا لبعض أو شهيدا للمطيعين أو لمن مات فى حياته وشفيعا للعاصين أو لمن مات بعده وشهادته بانهم ماتوا على خير وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم أو تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغى ان تكون هذه خصوصية زائدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال الله تعالى (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وأو بمعنى الواو فيه وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا انها شفاعة خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم فى جواره دنيا وآخرة وفى الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص بمن لا يراعى حقوقهما المضاعفة الاعمال ثمة (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث

وزائدة على شفاعته الكبرى للخلق أجمعين والصغرى للمذنبين وقد ورد شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء أى شهادة خاصة توجب مزيد الرفعة والعلاء والحاصل انه عليه الصلاة والسلام له شهادات متكاثرة وشفاعات متظاهرة فى مواقف الآخرة (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه

رواه الشيخان (فيمن تحمل عن المدينة) أي رحل عنها وفارقها مختار السكنى غيرها عليها ومعنى تحمل رفع حمله وامتعته معها فكني به عما ذكر وفي نسخة يحتمل وهما بمعنى (والمدينة خير لهم) من غيرها من البلاد (لو كانوا يعلمون) فيه ايجاز أي لو كانوا يعلمون فضلها ما اختار وا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شئ والمعنى لو كانوا من ذوي العلم والادراك وهو أبلغ في أداء المراد ولو شرطية أو للتمني أي ليتهم علموا ذلك وهو حديث طويل معناه انه سيفتح بلاد اليمن والشام ويأتي منها قوم يسوقون ابلهم ودوابهم ثم يترحلون عن المدينة وهي خير لهم والحديث في البخاري وشرحه وفيه معجزة له باخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات لانها فتحت في عهد الخلفاء واختاروا اسكناها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة للحداد معروفة ينفخ بها النار لا يقادها على الحديد والكور البناء من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفي النهاية الكير الطين الذي يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافي وفي الصحاح خلافه ووجه الشبه انها (تنفي خبثها) بفتحتين وآخره مثلثة نصب على المفعولية أي تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدأ أو الاجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصة فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من خبثت طويته فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه (وينصع طيبها) بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروي طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبعدها عين مهملة أي يخلص ويبقى خالصا فيها ما طاب كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفاء البياض ومنه أبيض ناصع وأكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروي تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط القزاز طيبها بكسر أوله واستشكله فان النصوع لا يعرف والمعروف فيه يضوع بضاد معجمة وواو مشددة واغرب في الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من أبضع التاجر اعطى البضاعة أي تعطى طيبها من يسكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغاني انه خالف فيه جميع الرواة وكأنه تصحيف وروي ينضخ بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات مختلفة أصحها بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم الاظهر ان هذا يختص بزمنه صلى الله تعالى عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابي الذي أصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقلني فقال هذا الحديث في حقه وقال النووي ليس هذا أظهر لما في صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها يعني في زمن الدجال والمدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل ان يكون هذا في أزمنة متفرقة انتهى * قلت ان أراد

(وروى عنه عليه الصلاة والسلام) كما في سنن البيهقي والدارقطني عن عائشة بسند ضعيف (من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا) أي قاصدا لأحدهما وهو أعم من قول الدجى حال كونه محرما بهما (بعثه الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر) للبيهقي في الشعب عن عمر والطبراني عن جابر وسلمان (بعث من الآمنين يوم القيامة) وفي الجامع الكبير من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين رواه الطبراني والبيهقي وضعفه عن سلمان (وعن ابن عمر) أي مرفوعا رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها) تحريض على لزومه لها واقامته بها ليتأتى له ان يموت فيها اطلاقا للمسبب على سببه كما في قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون (فاني أشفع لمن يموت بها) أي

قبل ان أشفع لمن مات في غيرها قال التلمساني وروى فانها تشفع وقد أجمعوا ان الموت بالمدينة أفضل مما عداها وقد ورد عن عمر رضي الله تعالى عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتا في بلد رسولك وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجمع له بين ما تمناه (وقال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس) أي جعله الله تعالى معبدا لهم وقبلة يعبدونه فيها ويستقبلون ويتوجهون في عباداتهم اليها (للذي ببكة) وهي لغة في مكة من بكه اذا دقه لانها تدق أعناق الجبابرة أولان الناس يزاحم بعضهم بعضا في الطواف وقد روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة

المصنف انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي (وروى عنه) وفي نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما في مسلم روايته عن جابر (لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها) من غير داع له ولا ضرورة (الا أبدلها الله خيرا منه) يقال رغب عنه اذا كرهه فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وأبي موسى الاشعري أو هو مخصوص بزمنه اذا كانت الهجرة لها واجبة (وروى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال في حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها بسند ضعيف (من مات في أحد الحرمين) حرم مكة والمدينة (حاجا أو معتمرا) أي قاصدا الاحرام بحج أو عمرة وهو حال من الفاعل (بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب) وانما فسرناه بقاصد الذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا من أحرم من دويرة أهله أو لقرب ميقاتها والاحرام من الميقات أفضل عند بعضهم وقيل انه بتقدير أو زائرا أو اكتفى بها لاحد الحرمين بعلم ما لغيره وهو متجه أيضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة أو مأولة بمبشر ونحوه (وفي طريق آخر) في هذا الحديث للبيهقي والطبراني (بعث) أي أحيي بعد موته (من الآمنين يوم القيامة) أي آمنا من مناقشة الحساب والعذاب (وعن ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذي وصححه (من استطاع ان يموت بالمدينة) أي يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس بقدرته واختياره (فليمت بها) أي فليقم بها حتى يأتيه الموت كما سمعته آنفا والامر للاستحباب (فاني أشفع لمن يموت بها) شفاعة خاصة كما مر لانه في جواره وحمايته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بالجار وروى فانها تشفع على الاسناد المجازي فان قيل قد جاء ما يعارض هذا وهو ما رواه النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده قالوا لم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يشق له من مولده الى منقطع أثره في الجنة وذكره ابن طاهر في الصفوة وبوب عليه ايثارهم الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص بمن لم يولد في المدينة وقد أحسن المصنف بختم ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما أشار اليه في الترجمة وقوله (قال تعالى ان أول بيت وضع للناس الى قوله آمنا) شروع في بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله معبدا وقبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والباء تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال آخرون مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردي عن الزهري وزيد بن أسلم وبكة من بكه اذا دقه وهي تدق

أعناق

(الى قوله آمنا) عامه (مباركا) أي كثير النفع خصوصا لمن حجه أو اعتمره وطاف حوله وشاهد حاله (وهدى للعالمين) أي مرشد الهم لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه آيات بينات) أي علامات واضحات على قدرته سبحانه وتعالى وعزته وعظم شانه (مقام ابراهيم) أي منها مكان قيامه وأثر قدم من أقدامه في حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة في البناء أو حين اذن بالنداء (ومن دخله) أي البيت أو حرمه (كان آمنا) من التعرض في الدنيا ومن العذاب في العقبى وأما ما توهمه بعض العوام من ارجاع الضمير الى المقام فلا يصح في المرام لانه لا يتصور الدخول في حقيقة المقام والمعنى حوله من حوادث الايام

(قال بعض المفسرين آمنا من النار) ويدل عليه حديث يبعث الله من هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وحديث الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وقيل مبناه خبر ومعناه أمر أي أمنوه ولا تتعرضوا له وهذا توجيه قوله (وقيل كان) وفي نسخة بل كان (يأمن من الطلب) أي طلب النار (من أحدث حدثا) أي جنى جناية

من قتل نفس أو قطع جارحة (خارجا

أعناق الجبابرة إذا قصدوها بسوء أو هو إشارة إلى ازدحام الناس إذا طافوا وسئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لأن وضع المسجد في زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس في زمن داود وسليمان عليهم السلام وبينهما زمان أطول من تلك الاربعين بأضعاف مضاعفة وأجيب بأن داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وإنما عمره كما بيناه في حواشي البيضاوي وتفسير الآية ظاهر تكفلت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العمل فيه (قال بعض المفسرين) في هذه الآية بمعنى قوله ومن دخله كان (آمنا) أمنه (من النار) وعذابها في الآخرة إذا دخله مؤمنا به وورد أنه يدخل الجنة بغير حساب (وقيل) المراد بالأمن أمنه في الدنيا وفي بعض النسخ بل إضراب عن التفسير الاول (كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا) أي فعل أمرا يستحق به العقوبة كالقتل (ولجأ) بالهمزة بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه (اليه) أي المسجد الحرام بدخوله فيه هاربا (في الجاهلية) هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم سمي بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل إذا جنى جناية ودخله لا يمسكه أحد حتى يخرج وقال أبو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود تقام ويؤخذ من دخله فارا واليه أشار المصنف بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بعد مجيء الاسلام (وهذا) أي قوله من دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وحرمها (مثابة للناس) أي ملجأ ومرجعا من ثاب يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بجرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لأنه يأباه سياق المصنف لقوله (وأمنا في قول بعضهم) اشارة الى ان في الآية أقوالا أخر منها انه محل الثواب (وحكي ان قوما أتوا سعدون الخولاني) بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه أفكل بن أحمد بن مالك وهو من أهل القيروان وعظماء علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح انه منصرف ولا وجه لما وقع في بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة منه (بالمنستر) الباء بمعنى في والمنستر بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهذا اللفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق لينزل فيه أبناء السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم والف مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد يخفف بحذف الالف والياء وهذا مما اشتبه فيه عندهم فقوله في القاموس منستر بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين وبلد آخر بافريقية أهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقي الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا فهو خطأ وان قال عرب وغير كان عليه أن ينبه عليه وقال التلمساني انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر الشمني وهي

عن الحرم ولجأ) بالهمزة أي التجأ وعاذ وأما قول التلمساني وروي أولجأ بالتنويع فلا يصح مقام التفريع (اليه في الجاهلية) وكذا في الاحكام الاسلامية على مقتضى قواعد علمائنا الحنفية فانه لا يتعرض اليه ما دام في الحرم المحترم الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج منه اقتص منه ولعل عادة الجاهلية كانت على الاطلاق وأما في الاسلام فمن أحدث حدثا في الحرم ولو دخل الكعبة يخرج منها ويقتص منه بالاتفاق (وهذا) أي قوله تعالى ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وما حولها من أرض الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا لهم أو مكانا منسوبا لهم (وأمنا على قول بعضهم) أي العلماء الحنفية على

ما قدمنا عنهم أو معناه يأمن من حجه أو اعتمره أو دخله من عذاب الآخرة أو موضع أمن لا يتعرض لأهله كقوله سبحانه وتعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (وحكي ان قوما أتوا سعدون) بفتح السين وسكون العين وضم الدال والقياس صرف سعدون وحمدون ولكنهما وقعا غير مصروفين في كتب الحديث من الاصول المعتمدة (الخولاني) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو فنون قبل ياء النسبة (بالمنستر) بضم ميم وفتح نون ويكسر وسكون سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء مكان بالقيروان

بلدة بساحل البحر أو حصن رباط باقر بقية له سور بناه هرثمة بن أعين حين بعثه الرشيد لافر بقية سنة تسع وسبعين ومائة وهو الذي بنى سور طرابلس الغرب (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية وألف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر وأصلهم فيما قيل من حمير (فقتلوا رجلا واضرموا عليه النار) أي أوقدوها وقودا شديدا (طول الليل) منصوب على الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه ان الطول أبعد الامتداد بن هما شغله شغل غيره بالطريق الاولى وقد سمع في كلامهم كقول الوزير المهلبي

قال لي من أحب والبين قد جد * وفي مهجتي لهب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي * قلت أبكي عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض (فلم تعمل فيه) هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه (وبقي أبيض اللون) لم يتغير لونه ولو حرق أسود لونه وفي نسخة أبيض البدن (فقال لعله) أي الرجل المقتول والفاء فصيحة أي وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجي هنا (حج ثلاث حجج) بكسر الحاء بمعنى حجة وهي المرة من الحج (قالوا نعم) أي الامر كذلك (قال حدثت) بالبناء للمجهول أي روى لي من سمعت منه الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان من حج حجة) أي مرة (أدى فرضه) لانه فرض على كل أحد أن يحج في عمره مرة لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية (ومن حج ثانية) بعد أداء الفرض (دان ربه) أي أقرضه كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والدين والقرض دفع شئ الى غيره ليرد مثله أو بدله قال الراغب قال أبو عبيدة يقال دنته اذا أقرضته فهو دائن وذاك مدين ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كأنه أعطاه لله قرضا يرد عليه ثوابه الذي هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر دان هنا بمعنى أطاع وعبد لم يصب وفي نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث فينادي غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره) أي ظاهر جلده وبدنه (على النار) أي لم يعذبه ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادي الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيامة وأصل معناه اليوم الذي قبل يومك فعبر به ايماء لقربه وهذا الحديث لا يعرف من رواه (ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) لما هاجر أو في حجة الوداع أو يوم الفتح كما رواه الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله تعالى عنه (قال مرحبا بك) بفتح الكاف وكسرها أصله دعاء للقادم بالرحب والسعة أريد به هنا اظهار محبته لها والقرب منها (من بيت) بيان للمدعو له (ما أعظمك) عند الله وعند الخلق (وأعظم حرمتك) أي احترامك وشرفك وهو تعجب أريد به المبالغة في عظمته وتعظيمه (وفي الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود وهو معروف

(فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف ففوقية قبيلة من البربر (فقتلوا رجلا واضرموا) بالضاد المعجمة أي أشعلوا وأوقدوا (عليه النار طول الليل فلم تعمل) أي لم تؤثر (فيه) أي شيأ كما في نسخة (وبقي) أي الرجل (أبيض اللون) أي زيادة على ما كان عليه أو تبدل سواده بياضا وهو الاظهر وفي نسخة أبيض البدن (فقال) أي سعدون (لعله) أي المقتول (حج ثلاث حجج) أي مقبولة وهي بكسر الحاء وفتح الجيم الاولى جمع حجة بفتح الحاء أو كسرها (قالوا نعم) أي حج ثلاث حجج (قال حدثت أن من حج حجة) أي واحدة (أدى فرضه) أي ان قام بشرائطه وأركانه (ومن حج ثانية داين ربه) أي أقرضه قرضا حسنا وفي أصل الدلجي دان ربه أي أطاعه وعبده والظاهر انه تصحيف لما في نسخة من زيادة فينادي غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثالثة حرم الله تعالى شعره وبشره) أي ظاهر جلده من باهر جسده (على النار) أي في الدنيا والآخرة (ولما نظر رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى الكعبة) أي يوم الفتح أو وقت هجرته الى المدينة أو في حجة الوداع (قال مرحبا بك) يحتمل التأنيث والتذكير أي سهلا وفضلا (من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك) أي قدرا رواه الطبراني في الاوسط عن جابر (وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) هو حيث فيه الحجر الاسود (الا

وفي الترمذي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال الترمذي حسن صحيح وقال المحب الطبري وقد اعترض بعض الملاحدة فقال كيف يسود الحجر خطايا أهل الشرك والكفران ولا يبيضه توحيد أهل المعرفة والايمان وأجيب بان بقاءه أسود انما كان للاعتبار ليعلم ان الخطايا اذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم وأكثر وللحجر الاسود آيات بينات منها انه يطفو على الماء ومنها انه لا يسخن بالنار ومنها حفظ الله تعالى له من الضياع منذ أهبط الى الارض مع ما وقع من الامور المقتضية لذهابه كالطوفان ومنها انه يقال هلك تحته ثلثمائة بعير والله تعالى أعلم

(الا استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) لا يعرف مخرجه الا أنا قد روينا فى رسالة الحسن البصرى الى أهل مكة ان الدعاء يستجاب فى حرمها وعند البيت والركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وهو الذى يقال له ميزاب الرحمة قال الحسن البصرى وسمعت ان عثمان بن عفان أقبل ذات يوم فقال لاصحابه ألا تسألونى من أين جئت قالوا من أين جئت يا أمير المؤمنين قال مازلت قائما على باب الجنة وكان رضى الله تعالى عنه تحت الميزاب يدعو الله تعالى وذكر الازرقى فى تاريخه عن عطاء قال من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) رواه الديلمى وابن النجار ولفظهما من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلها بالغة ما بلغت لكن قال السخاوى لا يصح وقد ولع به العامة كثيرا لا سيما بمكة حيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا فى ثبوته بمنام وشبهه مما لا يثبت الاحاديث النبوية بمثله وقد ذكره المنوفى فى مختصره وقال فيه انه باطل لا أصل له والله أعلم ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغائر لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قال الفقيه القاضى أبو الفضل) يعنى المصنف (قرأت على القاضى الحافظ أبى على رحمه الله) هو ابن سكرة (حدثك) وفى نسخة حدثنا (أبو العباس العزرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (قال ثنا) أى حدثنا (أبو أسامة محمد ابن أحمد بن محمد الهروى) بفتح الهاء والراء منسوب الى هراة بكسر أوله مدينة عظيمة بخراسان (ثنا الحسن بن رشيق) بفتح الراء وكسر الشين المعجمة هو العسكرى مصرى مشهور عالى السند لين الحفظ وثقه جماعة وانكر عليه الدارقطنى انه كان يصلح فى أصله ويغيره (سمعت أبا الحسن وفى نسخة أبا الحسين محمد ابن الحسن بن راشد) أى الانصارى يروى عن وراق الحميدى (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى) بالتصغير وهو القرشى المكى الفقيه الامام أحد الاعلام وهو من أصحاب الشافعى مات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وهو أول رجل أخرج له البخارى فى صحيحه (قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشئ فى هذا الملتزم) بضم الميم وفتح الزاى وهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة قال الازرقى ذرعه أربعة أذرع سمى بذلك لان الناس يلتزمونه فى الدعاء ويقال له المدعى والمتعوذ بفتح الواو

(الا استجاب الله له) دعاءه أى قبله وأعطاه ما دعا به أو خيرا منه والحجر الاسود لما نزل من الجنة كان أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وأبقى سواده ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط فى تاريخ مكة (وكذلك) يستجاب الدعاء (عند الميزاب) والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التى جاء فى الحديث الصحيح استجابة الدعاء عندها والميزاب هو المسمى الآن ميزاب الرحمة وهو مسيل ماء السطح وهو معروف من جانب الحجر وفى كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب يزب انتهى ووزب بمعنى سال ويقال انه فارسى معرب معناه بل الماء واطال التلمسانى هنا بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله (وعنه) أى روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى هو الحسن البصرى فى رسالته الى أهل مكة (من صلى خلف المقام) أى مقام ابراهيم الخليل المعروف الذى قام عليه لما بنى الكعبة (ركعتين) نافلة (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) من العذاب وهول الحشر والمغفور الصغائر والكبائر وقيل الصغائر فقط والمقام معروف فى موضعه الذى كان فيه قديما وتفصيله فى تاريخ مكة (قرأت على القاضى الحافظ أبو على) هو ابن سكرة وقد تقدم (قلت حدثك أبو العباس العذرى) قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية يقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه (قال حدثنا أبو أسامة محمد ابن أحمد الهروى) قال (حدثنا الحسن بن رشيق) عبد الغنى بن سعيد العسكرى الحافظ العالى السند وترجمته فى الميزان بطولها (سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد) فى الميزان محمد بن الحسن بن على ابن راشد الانصارى وفيه كلام (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس) ذكر كنيته وقدمها لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعى رضى الله تعالى عنه فان كنيته أبو عبد الله لا أبو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمرو وهو من أهل مكة (سمعت الحميدى) بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشى الاسدى المكى صاحب الشافعى ورفيقه فى رحلته لمصر وهو شيخ البخارى وهو لاهل الحجاز كأحمد ابن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من أسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميدات وهى قبيلة توفى سنة تسع عشرة أو عشرين ومائتين (قال سمعت سفيان بن عيينة) تقدم بيانه (قال سمعت عمرو ابن دينار) تقدم ترجمته (قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشئ فى هذا الملتزم) بزنة اسم المفعول من التزمه اذا أمسكه سمى به لالتصاق الناس فى الدعاء

(الأأستجيب له قال ابن عباس وأنافادعوت الله تعالى بشئ في هذا الملتزم منذ) ويروى مذهنا ومابعده) سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاأستجيب لي وقال عمرو بن دينار) أي الراوي عن ابن عباس (وانافادعوت الله تعالى بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الاأستجيب لي وقال سفيان) أي ابن عيينة الراوي عن عمرو بن دينار (وأنافادعوت الله تعالى بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) ابن دينار (الاأستجيب لي وقال الحميدي) وهو الراوي عن ابن عيينة (وأنافادعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان) أي ابن عيينة (الاأستجيب لي وقال محمد بن ادريس) يعني الراوي عن الحميدي (وأنافادعوت الله تعالى بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الاأستجيب لي وقال أبو الحسن) وفي نسخة أبو الحسين (محمد ابن الحسن) وهو الراوي عن ابن ادريس (وأنافادعوت الله تعالى بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا أستجيب لي قال أبو اسامة وماأذكر الحسن ابن رشيق) يعني شيخه (قال فيه شيأ) أي مثل ماسبق عن بقية مشايخ السلسلة وعلى هذا فالمسلسل هنا منقطع (وأنا فادعوت الله تعالى بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا أستجيب لي من أمر الدنيا) أي مما طلبته (وأنا أرجو ان يستجاب لي من أمر الآخرة) أي مما دعوته (قال العذري) أي الراوي عن أبي اسامة (وأنافادعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمت هذا من أبي اسامة الا أستجيب لي قال أبو علي) وهو تلميذ العذري وشيخ المصنف (وأنا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة أستجيب لي بعضها وأنا أرجو من سعة فضله) بكسر السين وفتحها أي واسع كرمه (ان يستجيب لي بقيتها) والاحاديث المسلسلة قل ان تكون متصلة وندر ان تكون صحيحة هذا وقد ذكر شيخ مشايخنا أبو الخير محمد بن الجزري في الحصن الحصين أنا قد روينا في استجابة الدعاء في الملتزم حديثا مسلسلا من طريق أهل مكة كذا ذكره مجملا من غير أن يبينه مفصلا وقد روى سعيد بن منصور والبيهقي في سننهما من طريق أبي الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسئل الله تعالى أحد فيه شيأ الا أعطاه قال أبو الزبير وقد دعوت الله مرة هنالك فاستجاب لي (قال القاضي أبو الفضل) لعله يعني المصنف نفسه

عنده وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشبار وأربعة أذرع وتسميته بهذا قد جاءت وردت في الحديث ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو أحد المواضع التي ورد استجابة الدعاء فيها وقد جرب كذلك (الااستجيب له قال ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (وانافادعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا) الحديث (من رسول الله صلى الله عليه وسلم الااستجيب لي) الى آخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفاء في قوله فادعوت الله الخ اما زائدة بناء على انه يجوز زيادتها في الخبر مطلقا والمشهور زيادتها في الخبر اذا تضمن المبتدأ معنى الشرط نحو وما بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر أمرا أو نهيا كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * واما عاطفة على مقدر تقديره وأنا جربت ذلك فما دعوت الخ واما جواب شرط مقدر أي ان سالت عما عندي فيه فما الى آخره وقوله منذ في الجميع روي مذ بدون نون ومنذ بضم أوله وكسره معناه أشهر من أن يذكر (وقال عمرو بن دينار) الراوي عن ابن عباس (وأنافادعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الااستجيب لي وقال سفيان) المتقدم ذكره (وأنافادعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) بن دينار (الااستجيب لي وقال محمد بن ادريس) المكي بابي بكر (وانافادعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الااستجيب لي وقال أبو الحسن محمد ابن الحسن وانافما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس) المتقدم (الا استجيب لي) وهذا الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق بينوها (قال أبو اسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيأ) أي لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا فما دعوت الله بشئ الااستجيب لي والتسلسل قد يقطع بعض منه في أوله وآخره أو وسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع في الواقع والاحاديث المسلسلة صحتها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل في مصطلح الحديث (وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الااستجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي اسامة الااستجيب لي قال أبو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها) أي أرجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها بمعنى الوسع (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى

(ذكرنا

(ذكرنا) وفي نسخة وقد ذكرنا (نبذا) بضم النون وفتح الموحدة فذال معجمة أي قدرا يسيرا (من هذه النكت) بضم ففتح جمع النكتة وهي النقطة والمراد بها الفوائد اللطيفة والعوائد المنيفة (في هذا الفصل) أي عظيم الفضل (وان لم تكن) أي النبذ او النكت (من الباب) أي باعتبار الاصل وانما ذكرناها في اثناء الوصل (لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة) أي غاية منفعته (والله الموفق للصواب برحمته) وكرمه ولطفه * (القسم الثالث) * (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يثبت له ولا بد له من وقوعه (وما يستحيل في حقه وما يمتنع) مع امكان وجوده (أو يصح من

الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال

(ذكرنا نبذا) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة أي شيئا قليلا وأصل معناه الطرح والرمي كأنه لقلته مما يطرح ويجوز ضم أوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة كما (من هذه النكت) جمع نكتة وتقدم بيانها (في هذا الفصل) الذي نحن فيه (وان لم يكن من الباب) أي من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه فذكر فضائل مكة وحرمها ليست منه بل من موضع كتابه (لتعلقها) أي مناسبتها (بالفصل الذي قبل) من ذكر مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق به (حرصا على تمام الفائدة) بافادة أمور مهمة يرغب فيها والشيء بالشيء يذكر (والله الموفق للصواب برحمته) أي بفضله وانعامه لا بكدنا وكسبنا

* (القسم الثالث) * من هذا الكتاب (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) المراد به الوجوب الشرعي أو العقلي لقوله (وما يستحيل في حقه) أي يعد كالمحال عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم أو عادة واصل معنى الاستحالة التغير من حالة الى أخرى ومنه استحال الخمر خلا (أو يجوز عليه) مما لا يخل بشريف مقامه (وما يمتنع) في حقه شرعا وعادة وعقلا (أو يصح) وصفه به واطلاقه عليه كما سيأتي (من الاحوال البشرية) أي التي تطرأ عليه باعتباراته وهو بيان لما (ان يضاف اليه) أي تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوي لا النحوي ثم صدر الكلام بآية دالة على ما يأتي اجمالا فقال (قال الله تعالى) في حقه صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل الآية) فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما كان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر افراد أي ليس بمخلد حتى يستبعد موته أو قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما نصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وتلا هذه الآية كما مر والقصة مشهورة وقوله أفان الى آخره انكار وتوبيخ لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين (وقال الله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام الآية) أي ليس المسيح الا رسول كغيره من الرسل له آيات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى وأمه صديقة أي صادقة في أقوالها وأفعالها أو مصدقة للرسل وهذا غاية أمرهما دون ما يزعمون فيه ولذا أتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية من الاكل ونحوه ولذا قال الله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم (وقال قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي الآية) فلا يزيد على البشر الا

تعالى وما محمد الا رسول) أي من جملة الرسل لا من الملائكة الذين لا يموتون الا عند النفخة الاولى (قد خلت من قبله الرسل) أي مضوا وانقرضوا أو بعضهم ماتوا وبعضهم قتلوا واستمر دينهم في أممهم وسيخلوا محمد كمن قبله (أفان مات) أي محمد (أو قتل انقلبتم على أعقابكم) والهمزة للانكار والتوبيخ منصبة على الانقلاب وفي الآية الايماء الى موت الناس حتى الانبياء وتمام الآية (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما يضر نفسه حيث يحذر به (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دينهم والصابرين على يقينهم كأنس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما قيل له في أحد ألا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد قد قتل فان ربه حي

لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده قاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل (وقال) أي الله سبحانه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) أي لا الوهية لهما لا نبوة وانما هي كثيرة الصدق والتصديق بالحق (كانا يأكلان الطعام) وهو مما ينافي الربوبية ولذا قيل هو كناية عن يبولان ويتغوطان فهما محتاجان الى أكله أولا ومفتقران الى دفعه ثانيا (وقال وما أرسلنا قبلك) أي أحدا (من المرسلين الا انهم) أي ان شأنهم (ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما أنا بشر مثلكم) أي لا أدعي اني ملك وانما تميزت عنكم باني (يوحى الي انما الهكم اله واحد

فَحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أى وباقيهم عليهم السلام (من البشر) أى من جنس بنى آدم وهو أبو البشر وسموا بشر الظهور جلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد (ارسلوا الى البشر) أى من نوعهم (ولولا ذلك) أى التناسب بان كان أرسل اليهم الملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أى لما استطاعوا مقابلتهم وملابستهم لضعف البنية البشرية وقوة القدرة الملكية فقد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من أصولها على جناحه ثم قلبها أى جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين وأرى ابليس يكلم عيسى على عقبة بالارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة فالقاه على أقصى جبل بالهند (والقبول) أى ولما أطاقوا قبول الاحكام وأخذ الاسلام (عنهم) أى فى تبليغهم ما ارسلوا به اليهم اذ الجنسية علة الضم قال الحجازى ويروى عليهم أقول الظاهر انه تصحيف (ومخاطبتهم) أى ولما أطاقوا حال مكالمتهم لهم ومخالطتهم معهم (قال الله تعالى) أى فى جواب جمع اقترحوا وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (ولو جعلناه) أى الرسول الذى اقترحوه (ملكا لجعلناه رجلا) أى لارسلناه فى صورة رجل وهذا معنى قوله (أى لما كان الا فى صورة البشر الذى) أفرد نظرا الى لفظ البشر وفى نسخة الذين نظرا الى معناه (يمكنهم) يروى يمكنكم (مخاطبتهم) كما كان جبرائيل يتصور له عليه السلام فى صورة دحية وغيره وفى نسخة مخالطتهم (اذ لا يطيقون) أى جنس البشر (مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته) أى وهو على حقيقة ذاته الا نادرا على وجه خرق العادة كما وقع لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى جبريل فى صورته الاصلية مرتين وتتمة جواب المقترحين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أى ولو جعلناه فى صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فانهم اذا رأوه فى صورته قالوا ما هذا الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) أى الله تعالى لنبيه (قل) أى جوابا لقولهم أبعث الله بشرا رسولا انكارا منهم ان يرسل الله بشرا واقرارا بان يصلح ان يكون الاله حجرا (لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أى ظاهرين كما يمشى بنو آدم فيها ساكنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) أى لتمكنه من مخالطته وتلقنه من مخاطبته (أو لمن خصه الله تعالى واصطفاه) أى بان صفى مرآة روحه (وقواه على مقاومته) أى مقابلة الملك ومواجهته (كالانبياء والرسل) فيقومون بدعوة الخلق الى طريق الحق وكان المصنف ذهب فى الفرق بين النبى والرسول الى ما قاله بعضهم ان الرسول صاحب كتاب أو شريعة مجددة والنبى بخلافه (فالانبياء

بما خصه الله من الوحى والرسالة والتوحيد فهذا تميز عنهم ولذا قال (فحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أى باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم (من البشر) أى من جنسهم تميز واعنهم بانهم (ارسلوا الى البشر) لتبليغ ما أمرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير (ولولا ذلك) أى كونهم من جنس البشر بان كانوا ملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أى مقابلتهم فى الامور الدنيوية لقدرة الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم (والقبول عنهم) أى ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به (ومخاطبتهم) حتى بلغوهم عن الله ثم أثبت هذا بقوله (قال الله تعالى ولو جعلناه) أى النبى صلى الله عليه وسلم المرسل اليهم (ملكا) أى قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا (لجعلناه رجلا أى لما كان الا فى صورة البشر) تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان الملك يتصور باى صورة أراد ثم بين وجهه بقوله (الذين يمكنكم) بحسب الطاقة البشرية (مخالطتهم) أى معاشرتهم والاختلاط معهم وفى نسخة مخاطبتهم وفى أخرى مخاللتهم أى اتخاذهم اخلاء وهى متقاربة معنى (اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته) الاصلية التى خلق عليها ابتداء (وقال) الله تعالى (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) هذا جواب عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الآيات التى ألقمتهم الحجر فقالوا لم لم يرسل الله ملكا يبلغ أوامره ونواهيه فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملائكة لو كان أهل الارض ملائكة من جنسهم كما قال المصنف رحمه الله تعالى (أى لا يمكن فى سنة الله) أى طريقته وعادته المستمرة (ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملائكة الى الانبياء بين وجهه بقوله (أو من خصه الله) معطوف على من هو من جنسه أى خصه بنفس قدسية ملكية (واصطفاه) أى اختاره من نوع البشر لتلقى وحيه من الملك (وقواه على مقاومته) أى مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس (كالانبياء والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وأرواح ملكية فكانوا دون غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال (فالانبياء

والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وسائط بين الله وبين خلقه) وتوسطهم لامره وانهم (يبلغونهم) عن الله (أوامره ونواهيه) أي كل أمر ونهي لهم وفي كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على أمور ولم يوافقهم عليه أحد من النحاة وأهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام في تذكرته انه صحح بوجهين أحدهما انه جمع آمر اسم فاعل لما لا يعقل وسمي القول أمرا مجازا او كلامهم لا يدل عليه والثاني انه جمع آمرة مصدر كالعافية أي صيغة آمرة للامر بها وقد نقله ابن سيدة وقيل انه جمع الجمع فجمع آمر على اامر كاكلب ثم جمع على أوامر كاكالب فهو فواعل أو افاعل وقال الاصفهاني في شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم أيضا ذكرنا لهذا (ووعده ووعيده) الوعد يستعمل في الخير والوعيد في الشر كما فصلوه في محله (ويعرفونهم ما لم يعلموه من أمره) هو الفعل والشان وأحد الامور كما مر أي أقواله وأفعاله فيما سبق قضاؤه في كل شئ وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله (وخلقه) وعالم ما أبدعه الله تعالى من غير مادة وتولد من أصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال الله تعالى ألا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد (وجلاله) أصل معناه العظمة وهو في صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالي والقشيري الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضي انه الصفات السلبية أو ما يعمهما وقال الغزالي في معنى ذي الجلال والاكرام ان الجلال كماله في ذاته والاكرام ما كان منه لغيره (وسلطانه) أي قهره وغلبته أو حجته الباهرة أو ملكه أي انهم يبينون للناس ذلك (وجبروته وملكوته) التاء فيه زائدة أي كونه جبارا قهارا او مالك الملك الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله (فظواهرهم) أي ما يظهر من حال أنبياء الله ورسله وصفاتهم (واجسادهم) أي ذواتهم الظاهرة المشاهدة (وبنيتهم) بكسر الباء أي هيئة تركيب أبدانهم التي خلقهم الله تعالى عليها لانه بناء الله تعالى وهو في الاصل مصدر ثم أطلق على الهيكل المخصوص والبدن المحسوس (متصفة باوصاف البشر) من الخلق والتركيب ونحوه (طارئ) بهمزة في آخره وابدالها ياء أي حادث متجدد (عليها ما يطرأ على البشر) لان الاجسام كلها متساوية في قبول ذلك (من الاعراض) جمع عرض والمراد به مطلق الآلام وما لا يكون قارا منها ويقابله عند الاطباء الامراض (والاسقام) جمع سقم وسقم كحزن وحزن (والموت والفناء) الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمي أو وجودي كما بين في محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما في قوله * ذو الجهل ميت وثوبه كفنه * وأما الفناء فهو تفرق الاعضاء وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون في الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء كما ورد في الحديث المتقدم ولذا قيل انه كان ينبغي للمصنف رحمه الله تعالى ان يبدل قوله السابق متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفناء هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفاني الا ان اقترانه بالموت يبعده (ونعوت الانسانية) جمع نعت وفسره النحاة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله تعالى ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرأ من العوارض وهذه قضية مطلقة فلا يقتضي ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهي ما يفسخ بها النكاح

قوم ووضع آخرين (وخلقه) أي وما لم يعلموه من أحوال خلقه ابتداء وانتهاء (وجلاله) أي ومن بيان عظمته وهيبته وجماله من رأفته ورحمته وكماله من عنايته ورعايته (وسلطانه) أي علو شأنه وظهور برهانه (وجبروته) أي قهره وقدرته (وملكوته) أي عزته وغلبته وحاصل الكل بيان تصرفه في ملكه ومملكته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فظواهرهم) أي الانبياء (وأجسادهم وبنيتهم) أي أبدانهم المركبة من أشباحهم وأرواحهم أو الممتزجة من العناصر الاربعة بالوجه المعتبر (متصفة باوصاف البشر طارئ عليها) أي هو جار وهو من طرأ مهموز الفاء (ما يطرأ على البشر من الاعراض) أي العوارض في الاجسام (والاسقام) كسائر الانام (والموت والفناء) أي ولعله عطف تفسير والا فالفناء لا يطرأ على

مطلق الارواح وأما الاشباح فقد ورد أن الارض لا تأكل أجساد الانبياء (ونعوت الانسانية) وفي نسخة الآدمية أي من القوى الشهوية والغضبية

(وأرواحهم وبواطنهم متصفة باعلى) أي باوصاف أعلى (من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى) بل متوجهة بالكلية الى المولى وهو الاولى (متشبهة) يروى مشتبهة (بصفات الملائكة) أي في دوام الذكر والحضور من غير السآمة والفتور وفي القوة على الطاعة والعبادة من غير الملالة ففي البخاري انه أعطى قوة ثلاثين رجلا (سليمة من التغير) أي تغير العقل المورث لتغير النقل (والآفات) أي المنافية لارباب النبوات وأصحاب الفتوات (لا يلحقها) أي أرواحهم وأشباحهم (غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية) بفتح الضاد وضمها أي فتورها وقصورها فهم أتم افعالا وأصدق أقوالا وأكمل أحوالا الا أنهم قد يغشاهم فترة لطبيعتهم على نعت العلة لكن لا تخرجهم عن كمال القوة وعلو الهمة (اذ لو كانت بواطنهم) أي أسرارهم العلية (خالصة للبشرية) أي من دواعيها (كظواهرهم) أي لزوم مراعيها (لما أطاقوا الاخذ) أي أخذ العلم وتلقي الوحي (عن الملائكة ورؤيتهم) بالنصب أي ولا أطاقوا ملاقاتهم (ومخاطبتهم) أي مكالمتهم (ومخالتهم) بتشديد اللام أي مخالطتهم كما في نسخة مخاللتهم بالفك وهي موادتهم ومصاحبتهم (كما لا يطيقه) أي ما ذكر من الاخذ وما بعده (غيرهم) أي غير الانبياء (من البشر) أي ولو كانوا من الاولياء (ولو كانت أجسامهم) أي أجسادهم كما في نسخة (وظواهرهم) أي أبشارهم (متسمة) أي متصفة (بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر) أي من غيرهم (ومن أرسلوا) بصيغة المجهول (اليه) (ومن أممهم (مخالطتهم) وفي نسخة مخاطبتهم أي الاخذ منهم والانتفاع بامرهم ونهيهم (كما تقدم) أي مما يدل على هذا (من قول الله تعالى) أي ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (فجعلوا) بصيغة المجهول أي خلقوا متوسطين بين الارواح الملكية والاشباح البشرية جامعين بين الانوار الباطنية والاسرار الظاهرية فجبلوا (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أي مشاركين

كالبرص والجذام والعمى وأما ما أصاب أيوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك ويعقوب انما ضعف بصره وقيل ان بعضهم يطرؤ عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتداء الدعوة والحق انها لا تطرؤ عليهم أصلا (وأرواحهم وبواطنهم) كالقلب والدماغ ومالا يدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر (متصفة باعلى من أوصاف البشر) أي باوصاف أعلى منها من الفضائل الروحانية والتبري من العلائق الجسمانية كحب المال والتنعم بالمآكل والمشارب فارواحهم وبواطنهم (متعلقة بالملأ الاعلى) هو كالرفيق الاعلى الملائكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب الملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء (متشبهة بصفات الملائكة) في القوة والتجرد من العلائق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يفعلون الا ما يؤمرون غالبا (سليمة من التغير) أي تبدل أحوالهم الصالحة بغيرها (والآفات) وهي النقائص (لا يلحقها) أي لا تطرؤ على أرواحهم وبواطنهم (غالبا عجز البشرية) كالجبن والخوف المفرط من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه قد يلحقهم شئ منه كما في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة (ولا ضعف الانسانية) فانه لا يلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شئ من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولا يخرجهم عن كمال القوة والهمة (اذ لو كانت بواطنهم) أي أمورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا (الخالصة للبشرية كظواهرهم) وظواهر غيرهم وبواطنهم (لما أطاقوا الاخذ) أي قدروا على تلقي الوحي (عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم) أي مكالمتهم (ومخالتهم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وألف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم وهي اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز مخاللتهم بفك الادغام كما مر والاول أفصح (كما لا يطيقه) أي وما بعده (غيرهم) أي غير الانبياء (من البشر) لضعف أرواحهم وبواطنهم (ولو كانت أجسامهم) أي الانبياء وفي نسخة أجسادهم (وظواهرهم متسمة) أي موصوفة مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي (بنعوت الملائكة) أي صفاتهم الذاتية وهيئتها الحقيقية (وبخلاف صفات البشر) مما خلقت عليه الملائكة وصورهم التي صوروا عليها عظما ونورانية (لما أطاق البشر) غير الانبياء (ومن أرسلوا) أي الانبياء (اليهم) من أممهم (مخاطبتهم) ورؤيتهم ومخالطتهم (كما تقدم من قول الله تعالى) يعني قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون رؤية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رؤيته كما كان يأتي بصورة دحية وتراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا لا يتم ان لو كان رؤيتهم مخالطتهم وهم على خلقتهم والوارد في القرآن والحديث خلافه وقد رآهم بعض الصالحين وأصحاب الرياضة خلط وخبط ناشئ من عدم الفهم (فجعلوا) أي الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أي موافقين لهم في صورتها

(ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) أي متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشاكلة في الروحانية والقوى الباطنية حتى أطاقوا رؤيتهم ومخالطتهم ومخاللتهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لمخالته للملائكة (لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) فانه أقرب الناس اليه وأصدقهم محبة له وأعظمهم مواساة له بماله ونفسه وأسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذه خليلا لم يتخذ أحدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن مع البشر بباطنه فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفي خلة أبي بكر من انه لا مناسبة بينه وبينه فقال (ولكن) بيني وبين أبي بكر (اخوة الاسلام) أي ان لم يكن خليلي فهو أخي في محبة الله وفي دين الاسلام لاشتراكه معي في محبة الله تعالى وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر أي كونه أخا لي ويقال خوة بضم الخاء وحذف الهمزة وهي لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض ومغاربها وتسمع أطيط السماء وتشم رائحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا أراد النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رائحة يوسف صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء ولما نفى الخلة عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه استدرك توهم ثبوتها لغيره من الناس فقال (لكن صاحبكم خليل الرحمن) وقال صاحبكم ولم يقل ولكني وهو أخصر وأظهر اشارة الى أن مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين أظهرهم لا بحسب الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى أن خلته لله برحمته وتخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل المحبة في باطنه وباطنه مشغول بمحبة الله تعالى عما سواه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث آخر لم يكن نبي الا وقد اتخذ من أمته خليلا الا ان الله تعالى اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفي للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله في أمور الدنيا وأيضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وأبو بكر رضي الله تعالى عنه خليله بمعنى الفاعل وليس مخالاله بمعنى المفعول أو انه كان خليله أولا ثم تمحضت خلته بعد ذلك لله عند ما قربت رحلته للقاء ربه فان أول الحديث كما في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس فقال ان الله تعالى عز وجل خير عبده بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعجبنا لبكائه من اخبار عن عبد خير فكان أعلمنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب الا سد الا باب أبي بكر وهو نص منه صلى الله تعالى عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له بصيرة (وكما قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي وظاهره بشري (تنام عيناي) بتغميض الاجفان والنوم ظاهر (ولا ينام قلبي) لبقاء احساسه وتعلقه بالملأ الاعلى وكذا سائر الانبياء تنام أعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به في حديث البخاري فليس ذلك من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه القضاعي ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله تعالى عليه وسلم بشري وباطنه ملكي ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه استحبابا أو تعليما لغيره أو لعروض ما يقتضيه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في النهي عن صوم الوصال في الصوم مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم له (اني لست كهيئتكم) أي لست في حالي وأموري مثلكم فان لي خواص خصني الله تعالى بها اكرامامنه وأصل معنى

أي فيما رواه البخاري وغيره (لو كنت متخذا من أمتي خليلا) أي حبيبا تتخلل محبته خلال قلبي (لاتخذت أبا بكر خليلا) الا ان هذه المحبة الخالصة لقلبي مختصة بمودة ربي كما يشير اليه ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والتحقيق ان المراد بالنبي المرسل ذاته الاكمل فانه في مقام جمع الجمع يفنى عن ذاته ومقاماته ويستغرق في مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن اخوة الاسلام) أي حاصلة بيننا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعني نفسه الانفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه في قلبه بحيث لا يسع فيه غير ربه (وكما قال) أي فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال) أي فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة وأنس وعائشة جوابا لقولهم انك تواصل فكيف تنهانا (اني لست كهيئتكم) أي على صفتكم وماهيتكم

انى أظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أى أصير وأداوم نهارا (يطعمنى ربى ويسقينى) محلهما النصب على الخبرية لاظل ان كانت ناقصة أو على الحالية المتداخلة ان كانت تامة وفى رواية أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى اما بافاضته سبحانه عليه ما يقوم مقام طعامه وشرابه بدفع عنه مس الجوع وألم العطش الناشئ لديه ويتقوى به على الطاعة وما يجب القيام اليه أى أو بايصال رزق من الجنة له ليالى صيامه كما ورد انه

عليه الصلاة والسلام كان يبيت يتلوى من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبنى على ان طعام الجنة لا يفطر على ماقاله ابن الملقن ان كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل اطعام الله تعالى لا يفطر والصحيح الاول وهو ان المراد بالطعام ما يقوم مقامه من القوت لانه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلا ويمكن الجمع بانه يتقوى فى النهار ويأكل من طعام الجنة فى الليل كما يشير اليه رواية أبيت فالوصال حاصل فى الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) أى المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى المملة على الاجسام الحيوانية (وهذه) أى النبذة (جملة) أى قضية مجملة (لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة) أى علية (بل الاكثر) أى من ذوى الهمم الجلية (يحتاج) ويروى محتاج (الى بسط) أى الكلام فى أحوالهم (وتفصيل) ولما يتعلق بافعالهم (على ما نأتى به) أى نبينه ونذكره (بعد هذا) أى البيان الاجمالى (فى البابين) أى الموضوعين للمقام التفصيلى (قال بعون الله تعالى) أى بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) أى الله ربى (حسبى) كافى فى أمرى الجليل والقليل (ونعم الوكيل) أى هو أفضل من توكل اليه الامور ويعتمد عليه وتطمئن اليه الصدور

(الباب الاول)

(فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين

الهيئة الصورة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله (انى أظل) بفتحتين أى أكون (عند ربى) خص الرب اشارة الى تربيته له باعطائه ما يقويه فلذا اوقع موقعه هنا ولم يقل عند الله ونحوه (يطعمنى ويسقينى) أى يهبنى قوة على ذلك حتى أكون كأنى أكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافى الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان قوله أظل يأباه بحسب الظاهر وان أمكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به أحد وهذه القوة تدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملكى الباطن وقول ابن حبان وغيره اذا أعطاه الله تعالى قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم أجر فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاى معجمة وشد الحجر لا معنى له فى اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله تعالى عليه وسلم وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسؤالهم له فاخبرهم فشكوا له مما شكاه وشد الحجارة على بطونهم أمر ثابت فى أحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف ألم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعائه من الارتخاء ولا ينافى هذا انه يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فان فى الصوم رياضة وانجذابا للملأ الاعلى واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع ألا ترى المريض يمكث أياما لا يأكل ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ فى آخر كتاب الاشارات فهذا القوة ملكية وروحانية واستبعد القرطبى ما قيل ان الله تعالى عز وجل يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن أكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده (فبواطنهم) أى بواطن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم (منزهة عن الآفات) أى ما ينقص قواهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى العلل المضعفة لهم (فهذه جملة) فيما يختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالا (لن يكتفى بمضمونها) أى ما تضمنته ودلت عليه (كل ذى همة) فى تحصيل الفضائل (بل الاكثر يحتاج الى بسط) أى تطويل (وتفصيل على ما نأتى به) صفة لبسط وتفصيل أى تفصيل على نهج ما نأتى به (بعد هذا فى البابين) المذكورين عقب هذا (بعون الله) أى اعانته على ما قصده (وهو حسبى ونعم الوكيل) الذى لا يكل من توكل عليه لغيره

(الباب الاول)

فيما يجب للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم (فيما يختص بالامور الدينية) أى ما هو من الدين والشرائع النبوية (والكلام فى عصمة نبينا) أى وفى الكلام فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى عصمة (سائر الأنبياء) أى باقيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) والعصمة قالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية أو خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث أن يلجئه ويسلب اختياره ويجبره على الطاعة بل هى اطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف كما قاله الماتريدى ويأتى الكلام على ذلك مبسوطا

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف وهذا من ملحقات بعض تلامذه كما أشير اليه الترضية عنه (اعلم أن الطوارئ) بالهمزة جمع الطارئ وهو ما يطرأ أو يحدث (من التغيرات) أي الموجبة للفتورات ويروى التغيرات بياءين والاولى هو الاولى كما لا يخفى (والآفات) أي الحاصلة بالعاهات (على آحاد البشر) أي عوامهم ويروى الاجساد البشر أي ابدانهم

(قال القاضي أبو الفضل) المصنف عياض رحمه الله تعالى بتمهيد مقدمة لما سيأتي (اعلم ان الطوارى) أي ما يحدث من غير ما قارن خلقته (من التغيرات) المغيرة لما خلق عليه (والآفات) جمع آفة وهي ما يفسد ما اصابه والمأوف ما اصابته وانكره أبو حاتم وقال انما هو مئيف كما هو في افعال السرقسطي (على آحاد البشر) بالمد جمع ابدلت واوه همزة ثم الفا لانه من الوحدة أي افرادهم واشخاصهم (لا يخلون تطرأ على جسمه) أي ظاهر بدنه وجسده (أو على حواسه) جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة (بغير قصد واختيار) بل يخلق الله لما فيه (كالامراض والاسقام) السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل السقم مسبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى (أو تطرؤ بقصد واختيار) كافعال العبد واعماله (وكله) أي كل ما يطرؤ باختيار وغيره (في الحقيقة) أي حقيقة الامر في الواقع (عمل وفعل) قال في القاموس الفعل بالكسر الانشاء وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شيء من عمل أو غيره فهو اعم وقال الخوى الفعل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل ما تكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بمن تعقل ورد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث يا أبا عمير ما فعل النغير (ولكن جرى رسم المشايخ) أي استمرت عادتهم والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقهاء استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلماء (بتفصيله) أي تفصيل ما يطرأ (الى ثلاثة أنواع) الاول (عقد بالقلب) أي نيته نية جازمة وعزما مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم (و) الثاني (قول باللسان و) الثالث (عمل بالجوارح) جمع جارحة وهي العضو من اعضاء البدن من الاجتراح وهو الاكتساب (وجميع البشر تطرؤ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار) أي لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال الى حال من نعيم وبؤس ونصر وقهر وهذا أمر عام شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب كما قيل (في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم) أي جنس النبي أو كل نبي فتعريفه جنسي أو استغراقي وليس المراد نبينا مخصوصا لاستوائهم فيما ذكر (وان كان من جنس البشر ويجوز على جبلته) بكسر الجيم وكسر الباء الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة (ما يجوز على البشر) سواء وما موصولة في محل رفع فاعل يجوز الذي تقدم (فقد قامت) أي تحققت وظهرت (البراهين) جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم (القاطعة) أي القطعية دلالتها على ما ثبت بها (وتمت كلمة الاجماع) أي انعقد اجماع من يعتد باجماعه واتفقوا عليه حتى كأن كلامهم كلمة واحدة تامة (على خروجه عنهم) أي خروج النبي عن جنس البشر غيره (وتنزيهه) أي تبريته بنفي ذلك عنه وتبعيد ساحته (عن كثير من الآفات) أي

(لا يخلون تطرأ) أي من ان تعرض (على جسمه) أي جسم البشر (أو على حواسه) وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس (بغير قصد واختيار) أي من البشر بل يخلق الله تعالى لها فيه (كالامراض والاسقام) أي الاوجاع والآلام (أو بقصد واختيار) أي أو ان تطرأ بهما (وكله) أي وكل ما ذكر مما يطرأ بغير اختيار أو باختيار (في الحقيقة عمل وفعل) بل وعقد (ولكن جرى رسم المشايخ) أي دأبهم (بتفصيله الى ثلاثة أنواع) أي باعتبار مواردها (عقد) بالجر والرفع (بالقلب) أي جزم وقصد به وعزم (وقول باللسان) أي يترجم عن الجنان (وعمل بالجوارح) أي الاعضاء والاركان (وجميع البشر) أي افرادهم من خواصهم وعوامهم (تطرأ عليهم الآفات والتغيرات) بضم الياء التحتية المشددة أي الحالات المختلفة بالانتقال من حالة الى حالة كنعمة ومحنة وملك وهلك ونصر وقهر وكسر وجبر (في هذه الوجوه كلها والنبي) أي جنسه (وان كان من البشر) أي من جملتهم وعلى طبيعتهم (ويجوز على جبلته) بكسر جيم فوحدة وبلام مشددة أي خلقته (ما يجوز على جبلة البشر) أي سائرهم (فقد قامت البراهين القطعية) أي الادلة اليقينية (وتمت كلمة الاجماع) أي ثبتت (على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات)